

# یومیات ایلیا ابو ماضی

جميع و تحقیق  
الدكتور عفيف نايف قبا طوم  
مكتبة من جامعة العراق و مكتبة من جامعة عين شمس

دار صادر  
بيروت



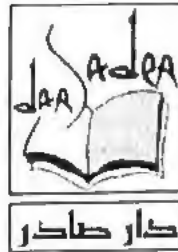
يَوْمِيَّاتُ  
إِلَيَّا أَبُو مَاضِي

# جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

بيروت 1433 هـ - 2012 م

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية، أو أشرطة ممغنطة أو وسائل ميكانيكية، أو الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر.



تأسست سنة 1863

ص. ب. ١٠ بيروت، لبنان

© DAR SADER Publishers

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270 Tel: 910340

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

*Yawmiyāt Iliyya Abū Māḍī*

p. 452 - s. 17.5x25 cm

ISBN 978-9953-13-734-6



9 789953 137346

# يوميّات إليّا أبو ماضي

جمع وتحقيق  
الدكتور عفيف نايف حاطوم  
دكتوراه من جامعة السودان ودكتوراه من جامعة عين شمس

دار طائر  
بيروت





صورة لإيليا أبو ماضي  
(ستيناتي - الولايات المتحدة الأمريكية)  
16 آب 1915

## مُقَدِّمَةٌ

### حياته

وُلد الشاعر المهجري الكبير إيليا ضاهر أبو ماضي في قرية المحيدثة - لبنان في 21 أيار سنة 1890 م. وحينما بلغ الخامسة من عمره أرسله والده إلى مدرسة الضيعة الابتدائية ولم يكد يمضي على وجوده فيها مدة سنتين متتاليتين حتى بدأ يدرك في قرارة نفسه أنه قد أصبح باستطاعته أن يصحح بنفسه أخطاء معلمه اللغوية..

وحينما بلغ أبو ماضي الثامنة من عمره أرسله والده برفقة شقيقه الأكبر مراد إلى مدرسة اليسوعية في بكفيا.. وجلّ ما نعرفه عن طفولته في تلك الحقبة من حياته أنه كان تلميذاً مجتهداً نجيباً وساخراً متهمكماً على نفسه وعلى وجهاء ضيعته..

ولقد كانت مخيلته قبل أن يتجاوز التاسعة من عمره مخيلة ضيقة لا تتعدى حدود السواقي التي تفصل بين قريته والقرى المجاورة لها حيث كان يعتقد بأن حدود العالم كلّ ينتهي عند حدود هذه السواقي..

وحينما بلغ الحادية عشرة من عمره سافر إلى مدينة الإسكندرية وبعد أيام قليلة من وصوله إليها وجد نفسه وذلك في سنة 1901 يبيع الدخان في دكان خاله المدعو قبلان اسكندر.

ظل أبو ماضي يعمل في دكان خاله هذا مدة سنتين متتاليتين ولما وجد شقيقه الأكبر مراد يفتح دكاناً خاصاً به لبيع الدخان انتقل على الفور لمساعدته حيث أنساه بعطفه وحذبه عليه مرارة فراقه لوالديه اللذين كانت رياح الحياة القاسية قد حملته منذ سنوات قليلة بعيداً عنهما وهو بأشد الحاجة إليهما..

وقد ظل أبو ماضي يعمل في هذا الدكان مدة عام ونصف تقريباً ولم يفارقه إلا بعدما وجد شقيقه يبيع دكانه، ليستقلّ الباخرة عائداً إلى لبنان.

فما كان من أبي ماضي الذي كان بلغ آنذاك سنّ الرابعة عشرة من عمره إلا العودة ليعمل من جديد في دكان خاله المدعو قبلان اسكندر..

ولمّا ترامى إلى مسامع والد أبي ماضي الذي كان مقيماً آنذاك في المحيدثة أنباء تدخل ابنه بالسياسة خاف عليه من السجن والاضطهاد ورأى أنه لو ترك ابنه إيليا مقيماً في الإسكندرية فيسبّب له الكثير من القلق ووجع الرأس فأرسل من أجل ذلك إلى ابنه مراد الذي كان قد سافر إلى الولايات المتحدة مباشرة بعد وصوله إلى لبنان قادماً من الإسكندرية رسالة قال له فيها: يا ابني لا أريد مالاً ولا مساعدة ولا هدية ولكن برضاي خنك أبعث إلى أخيك إيليا أن يلحق بك وحُبّ إليه الشّفر لأنّ مصيره هنا وخيم العواقب.

فقرّر أبو ماضي مغادرة الإسكندرية مغادرة نهائية نزولاً عند رغبة والده ورغبة شقيقه مراد حيث وجد نفسه يغادرها في عام 1912م قاصداً لبنان وذلك قبل أن يسافر إلى الولايات المتحدة الأميركية.

غادر أبو ماضي الإسكندرية في اليوم الخامس عشر من شهر حزيران سنة 1912م عائداً إلى لبنان وبعد وصوله إليه بأيّام قليلة بدأ يتدخل بالسياسة من جديد حيث شرع يدلّ الناس على أخطائهم بصراحته المعهودة وقصائده الثائرة وآرائه الجريئة التي سبّبت له الكثير من العداوة والبغضاء..

وبعد إقامة له قصيرة في بلدته المحيطة لم تتجاوز الثلاثة أشهر فقط أدرك أنّه ليس باستطاعته أن يبقى مقيماً في قريته تلك من غير أن يصادف فيها بعض المتاعب وذلك بسبب العصبية والحزازات الشخصية «فإذا حدث (قال أبو ماضي) أن فريقاً فتح طريقاً جاء الخوري وسدّ الطريق، وهنا بدأت العرائض تتوالى فريق يطالب بفتحها وفريق يطالب بسدّها».

فصمّم أبو ماضي من أجل هذه الأمور السطحية التي تلعب السياسة فيها والمصالح الشخصية دوراً فعالاً على تقريب موعد سفره إلى أميركا الشمالية التي كان شقيقه مراد قد سبقه إليها بسنوات قليلة.

وصل أبو ماضي برفقة شقيقه الأصغر متري إلى نيويورك في عام 1912م ولقد صادف يوم وصوله إليها يوم عيد اكتشاف القارّة الأميركيّة على يد كريستوف كولومبس ولم يكد نظره يقع وهو واقف على سطح السفينة التي كانت تقترب بركابها رويداً رويداً من رصيف الميناء على تثال الحرية المنتصب على مدخل ميناء نيويورك حتى وجد نفسه يهتف بهذين البيتين من الشعر اللذين نراه يقول فيهما:

نفسى اخليدي ودعي الحنين فلئنا      جهلٌ بعيد اليوم أن نتشوّقا  
أصبحت حيث النفس لا تخشى أذى      أبداً وحيث الفكر يغدر مُطلقاً

ولما أدرك أبو ماضي في قرارة نفسه بعد وصوله إلى نيويورك بأيّام قليلة أن أرض شوارعها لم تكن في الحقيقة مفروشة بالذهب منتظرة حشياً قيل له كلّ عابر سبيل لكي يضع منه في جيبه ما يشاء بلا مقابل انتقل منها قاصداً «سنسناي أوهايو» التي كان شقيقه مراد يملك فيها متجراً صغيراً متواضعاً ولدى وصوله إليها التحق على الفور بمتجر شقيقه هذا حيث ظلّ يعمل عنده مدّة خمس سنوات متتالية استطاع من خلالها التعرّف على السيّد نجيب دياب صاحب جريدة «مرآة الغرب».

انتقل أبو ماضي عام 1918م إلى جريدة «مرآة الغرب» وذلك بعد أن وعده صاحبها السيّد نجيب دياب بإطلاق يده في تحرير جريدته تلك كما لو كان صاحبها ومالكاً لها..

وفي عام 1920م أصبح أبو ماضي عضواً في الرابطة العلمية التي كان قد أسّسها في مدينة نيويورك الأديان الكبيران جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة..

وفي عام 1921م عقد أبو ماضي قرانه على الأنسة «دورا» الابنة الكبرى لصاحب «جريدة المرأة» السيّد نجيب دياب الذي كان أباً لخمسة إناث..

وحينما أيقن أبو ماضي أن الكرسي الذي كان يجلس عليه في جريدة «مرآة الغرب» قد بدأ يتزحزح من تحته



رويداً رويداً قرّر أن يترك عمله هذا فيها وراح يفكر بإصدار مجلة أدبيّة على نفقته الخاصّة، ولقد وجد نفسه يرهّن صكّ التأمين على حياته ليوفّر نفقات إصدار أوّل عدد من مجلّته التي سمّاها «السّمير» حيث أبصر العدد الأوّل من أعدادها الثّور بتاريخ 15 نيسان سنة 1929م.

قال أبو ماضي: أجل قد رجعت إلى حوّة الصّحافة لأنّني أحسب كلّ يوم أنفقه في غير خدمة قومي وبلادي ولغتي ليس من عمري بل أنا اعتبر الفناء في أمّتي وجوداً والوجود في غير أمّتي فناءً. ولئن تدمني أشواكها أحبّ إلى نفسي من أن ينثر عليّ سواها الورود والرّياحين أنا لأمّتي ضاحكاً وباكياً وأنا لها ضاحكة وباكية.

ظلّ أبو ماضي يصدر مجلّته الأدبيّة «السّمير» مدّة أربع سنوات متتالية كانت كلّها بالنسبة إليه سنوات قاسية عُجاف: «أربع سنوات (قال أبو ماضي) لم تنفتح فيها المسامع إلّا على أنباء الكوارث ولم تقع الأيدي إلّا على الدّموع والجراح فقد أناخت الأزمة بكلاكلها على التجار فسحقت كثيرين ورزح تحتها كثيرون وكان من نتائج هذا الكساد تكاثر عدد البطالين حتى امتلأت بهم شوارع أميركا التي كان النّاس يتوهّمون أنّها مفروشة بالذهب وصار المرء أينما سار ومشى تمتدّ إليه الأيدي المستعطية وتطرق أذنه هذه العبارة «أنا جوعان» وبين هذه الأيدي الممدودة أيدي طالما ورّعت من قبل الصّدقات وجادت بالهبات وبين الشفاه التي خرجت منها هذه العبارة الهائلة: أنا جوعان شفاه كانت إلى عهد قريب لا يخرج منها القول إلّا أمراً ونهياً»..

ولمّا وجد أبو ماضي أن مجلّته الأدبيّة «السّمير» تلك لن تستطيع أن تعمر طويلاً نظراً لتلك الضائقة الاقتصاديّة الحانقة ونظراً لكون صاحبها لم يكن يعضده حزب ولا هيئة بل كان يعتمد على بدل الاشتراك الزّهيد لمجلّته تلك قرّر أن يحوّلها من مجلة شهريّة أدبيّة إلى جريدة سياسيّة يومية حيث تمكّن أن يصدر أوّل عدد من أعدادها بتاريخ 2 تشرين الثاني 1936م.

## آثار أبي ماضي الأدبيّة

قضى أبو ماضي نحيبه فجأة بالسكتة القلبيّة في السّاعة الرابعة من ليلة الثالث عشر من شهر نوفمبر 1957م. غادر أبو ماضي هذا العالم الفاني تاركاً لنا وللأجيال الآتية بعدنا مجداً شعريّاً وأدبيّاً لا يقلّان بحال من الأحوال عن الأجداد التي تركها كبار الشّعراء الأفاضل والأدباء المجدّدين الأخيار في أدبنا العربي الحديث.

عرف النّاس أبا ماضي شاعراً يحبّ إليهم الحياة ويدعوهم للابتسام كلّما رماهم الدّهر بسهم من سهامه الطائشة ولكنّهم جهلوا أبا ماضي الكاتب والقصاص، والناقد والمصلح الاجتماعي الكبير، والدّاعي إلى الإنسانيّة الموحّدة الخالية من التعصّب والحروب والحقد والضعف والحسد فظلّ يعمل بجِدّ ونشاط وبأسلوب بليغ فصيح على الوصول بالإنسان الفرد إلى مرتبة الإنسان السويّ ماناً..

وكان أبو ماضي قد بدأ يفكر قبيل وفاته بحجب جريدته «السّمير» عن الأنظار ليتمكّن من الانصراف انصرافاً كليّاً إلى العناية بآثاره الأدبيّة علّه يتمكّن من جمعها في كتاب قبل أن يسحب النّسيان ذيله عليها..

بعث أبو ماضي عام 1957م إلى الأديب محسن جمال الدين الرسالة التالية وذلك ردّاً على رسالته إليه: «تسألني عن منظوماتي الجديدة إنَّها أشياء مبعثرة هنا وهناك وبعضها مشى عليه النسيان أمّا «السَّمير» فهي الآن محجوبة لمرض أصابني منذ أربعة أشهر دنا بي من عالم الأبدية ولمّا برئت منه قرّرت اعتزال الصحافة والانصراف إلى العناية بآثاري الأدبية بعد أن استوفى نصيبي من الراحة».

فهذه الآثار الأدبية التي فكّر أبو ماضي بجمعها وإصدارها قبيل وفاته.. ليست سوى «يومياته» ومقالاته الأدبية التي كان ينشرها تبعاً في مجلته الأدبية ثمّ في جريدته السياسية «السَّمير».

وقد بلغ بها حدّاً من الرّوعة والإجادة أسلوباً ومعنى جعل الأستاذ ميخائيل نعيمة يدلي برأيه فيها قائلاً: فيما يتعلّق بنثر أدباء المهجر الشّعالي فلا يوجد سوى مقالات جبران التي تستحقّ النشر وكذلك أكثر «يوميات أبي ماضي».

وكان الشّاعر جورج صيدح قد بدأ يجمع آثار أبي ماضي المتجسّدة في مجملها في يومياته تلك ولكن لم يتمكّن من أن يجمع منها سوى عدد قليل.

أمّا نحن فقد أسعفنا الحظّ أثناء وجودنا في مدينة نيويورك بزيارة منزل أبي ماضي في بروكلن - حيث استقبلتنا عقيلته السيّدة دورا بالترحاب وكذلك فعل ولداه الدكتور ريتشارد والدكتور بوب وكلاهما عالمان فلكيّان يدرسان في جامعة أوهايو ولم يبخلوا عليّ بالاطلاع شخصيّاً على جميع أعداد جريدة «السَّمير» التي كان أبو ماضي نفسه قد احتفظ بها في منزله. وبما أنّني لم أتمكّن من الاطلاع على جميع هذه الأعداد نظراً لضيق الوقت لديّ لجأتُ إلى صاحب الجلالة «المقص» فأعانني على الاحتفاظ سراً بها احتجت إليه من يوميات ومقالات نقدية واجتماعية وقصص ومذكرات أحمقّة.

أمّا آثار أبي ماضي الأدبية التي كان ينشرها في جريدة «مرآة الغرب» قبل وبعد أن أصبح مدير تحريرها فلم أتمكّن من العثور عليها... لا في مكاتب نيويورك ولا في أيّة مكتبة غربيّة. وقد قيل لي أنّ الحريق الذي شبّ في إدارة جريدة «مرآة الغرب» قد أتى عليها جميعاً.

فمعرّفتنا لآثار أبي ماضي النثرية تبدأ بحلول عام 1929م وهو العام الذي قرّر فيه إنشاء مجلته الأدبية «السَّمير».

وإنّني بدوري أتوجّه بالشكر من صميم قلبي إلى دار صادر الغزّاء لتكرّمها بإصدار آثار أبي ماضي النثرية في كتاب مستقل. وهو كتاب قيّم ومفيد يحتاج إليه المكتبة العربية كل الاحتياج.

والله وليّ التوفيق، ونعم الوكيل.

الدكتور عفيف نايف حاطوم  
كلية الآداب - الجامعة اللبنانية

..فرونت " أفرفت ؟

مكون - أجل . نعمت ، عرضت . ولكن لماذا تشكر ؟ المباركة داري ثانية ؟  
بل - ثانية ؟ الله دائماً في قلبى . فبقائه الله يريد ان يبرهنه  
وسنتعلم شئاً لصدق .

مكون - الذي اطلعت على الرصاص اسلمه الى

بل - وعات الوديع الفات . لم يرحمت ان داري بلكى في  
ساعة

مكون - هذه علامة سيئة . اذا بلكى حين مثل هذا فاحظر عظيم  
مؤثر فيه . فلو بدع اذا شكرت .

بل - انما في الحصة سياء كبرية . ونسبي عذنى في بالتوبة  
والحياء . بل كباى الناس يا الذي يكسبون رزقهم برون كباى .

مكون - " يرفع يديه " <sup>بشراً بالله</sup> يا الله ما اصاب هذه الدنيا ؟ اسمع

عندى شئ اريد ان اخبره لك . لذي مقدار من الاوراق

المزلفة التي سميدها احد بنوك وبين الاوراق لصحية . فاعلم

سعر رخص جداً . حازا نقول ؟ واذا لم يكن لك صبيك

نحاية فالى اهلك الى ان تطلع امورك . ونش انما رخص

بل - انت موطن انت الكونج والسبحي !

مكون - دع حذك الوهم . ليس من الضرورى ان تعرف انت نفسك



## بضاعتنا تروا لنا

قلّ للذين يتهامسون في دوائرهم الضيّقة قائلين: لمن تكون «السّمير» وأيّ الأحزاب تنصّر؟ إنّ هذه الجريدة ما أنشئت لحزب بعينه، ولا لشخص معلوم.

ليست «السّمير» لطائفة دون أخرى، ولا لمعشر دون معشر؛ الفكرة لا تعرف حدوداً، والأدب لا يعرف حزبية.

كلّ الذين نكتب لهم إخواننا في الوطنية، وهم إخواننا في الألم والفرح. وإخواننا في التاريخ وما حوى. فليس في تاريخنا مجد لا نتقاسمه كلّنا، وليس فيه من سيئة إلا وتلزمنا كلّنا.

ليس في تاريخنا بطل أو شاعر إلا وهو لنا كلّنا وليس في أرضنا جمال ليس لكل واحد منّا حصّة فيه. ونحن عندما نفكر بأمتنا في هذا النطاق الواسع لا نرى فرقاً بين ابن الدّسكرة المعتزلة المتنسكة وابن المدينة المتحرّكة المزدحمة ولا نجد فريقاً أقرب إلينا من فريق. فالكلّ للوطن أبناء. والكل بالوطن إخوان.

ولكننا وهذه نظرتنا في الحياة اليومية لا نجد في شيء من الحكمة أو الصّواب أن نتوقع أن يكون كلّ النّاس من رأي واحد. ولكننا نتوقع ونرجو أن يتّجه الكلّ في طريق واحد إلى الأحسن.

وعلى هذا نرحّب بكلّ رأي يخالف ما نقول به ونشره ليكون لنا مثل هذا الحق في إبداء الآراء التي قد لا تتفق وآراء الغير. فنحن نعتقد أنّ حرية الفكر هي الأساس الذي تقوم عليه كلّ حرّية.

ولقد مرّت بنا في الصّحافة أدوار كانت آراؤنا ونظراتنا الوطنية منطوّراً إليها من كثيرين كأنّها آراء فوضوية. على أنّ هذه الآراء الفوضوية يعنقها اليوم أولئك المخالفون المعارضون، وينافحون عنها كأنّها ولدت في أحضانهم..

كلّ هذا حسنٌ وجميلٌ، ومقبولٌ. وكلّ هذا ممّا يطربنا ويشرح صدورنا لأننا لا يهّمنا أن تكون الفكرة الطيّبة لنا أو ليسوانا بل الذي يهّمنا هو أن تنتشر ويأخذ بها الناس. الفكرة لا تحتكر.

## النمائم في المطاعم

يذهب بعض الناس إلى المطاعم لكي يأكلوا ما طبخ الطهارة من لحوم وأسماك ويقولون وحبوب. وبعضهم يذهبون لكي يأكلوا معها لحوم الناس... فتراهم ما عصفوا واحداً على لقمة إلا وعصف معها على أخلاق شخص غائب، وما غيب في خلقومه بلغة<sup>1</sup> إلا وأطلت بعدها من مسدوره سخيمة<sup>2</sup> على أديب أو تاجر. فهم هناك لينصبوا ميزان الدنيونة لكل من قصروا عنه في مضار أو لم يسرو معهم في تيار. وهم أبداً من محاسبة الناس والتحكك بالناس في شغل شاغل، وهم ناصب. لكنهم لا يربحون من هذا الشغل الذي لا يفيد إلا خسارة الشغل الذي يفيد؛ وأتعب خلق الله وأخسرهم من جعل عباد الله شغله؛ ولكن الكثيرين من بينهم يدفعهم الحسد من الناس إلى التصور بأن الله غير عادل في أحكامه، وأن الحياة مخطئة في أعمالها، فيقيمون أنفسهم قضاة في الأرض، ويخلو لهم الجؤ في المطاعم فيصدرون الفتاوى والأحكام بأسرع وأهون من ملء القدح خمراً، وذر الملح على الصحن.

ولكن أحكامهم لا تجيء إلا طائشة، لأنهم قبل الأكل يكونون جوعاً. وليس مع الجوع حكمة ولا تعقل. وبعد الأكل يكونون في حالة أقرب إلى التهمة والتخمة تجعل الذهن خائراً كلبلاً.

هي فترة قصيرة بالكاد تكفي لأزدراد الطعام ولكن هؤلاء الفلاسفة يحاولون أن يعلوا في أثنائها كل قضايا الجالية الكبرى. وأن يفضوا كل مشكلات العالم الخطيرة. فيتعذر عليهم هضم الطعام! هذه فئة من الناس فيها من التحل غدوائه وروحائه ولكن إلى غير الخير وفيها طبيعته عندما يُشرب حُماته<sup>3</sup> للشم ولكن ليس لها جناه.

وفيها منه شرهه إلى ما عند غيره. فهم فئة يحومون على الأزاهر ليمتصوا حلاوتها فإذا لم يبق فيها حلاوة هجروها إلى سواها.

كل الناس عرضة للوقوع تحت أنيابهم. وكل الناس يخفون في موازينهم ولا يرجح أحد في ميزان إلا إذا كانوا هم معه في الكتفة. وبكلمة أخرى ما اعترفوا لأحد بفضل إلا وجعلوا ذلك الفضل مثبِتاً منهم وصاعداً عنهم. فهذا الأديب لم يرتفع له شأن إلا لأنهم نصرّوه. وذلك التاجر لم ينجح لأهليته فيه بل لما فعلوه هم في سبيله.

يذكرون الناس وينسون أنفسهم لأنهم على ما يظهر ليس لهم ما يستحق الذكر. أما لماذا لم يرتفع لهؤلاء الفلاسفة علم في دولة الأدب ولا خفقت لهم راية في ميدان التجارة فذلك

1 البلغة: ما يكفي لسد الحاجة ولا يفضل عنها.

2 السخيمة: الحقد والضغينة.

3 الحمة كنية السهم أو الإبرة ج حمة.

أمر لا يجب أن يُسأل عنه أحد.

ولعل الله أراد أن لا يكون هؤلاء في دولة الأدب مكان ولا في دولة التجارة علم. رحمة بهذه ويتلك معاً.

وهكذا شاءت حكمة الباري أن يظل في الأرض كثير من المعاييب والسيئات والآفات لأنها إذا خلت منها صارت جنة ومات الشوق في الناس إلى الفردوس!

ننصح لأصحاب المطاعم أن ينضحوا الأغذية والصُّحون بهاء الكبريت بعد خروج هؤلاء لعلها تتطهر، فجراثيم النائم لا يطهرها ماء النهر ولا ماء المطر.

ونقول هؤلاء العضاضين النهاشين ارحموا أنفسكم لا تذهبوا إلى المطاعم وصُدوركم مؤغرة بالغل لأن الطعام على الغل يورث سوء الهضم وسوء الهضم مجلب للعلل.

السَّمير: 23 / 11 / 1936

## ساعة خلوة

أنا الآن جالسٌ إلى مكتبي. أنظرُ إلى الرسائل المتناثرة المتلبدة فوقها كأوراق الشجر فأحارُ بآيتها أبداً وعلى آيتها أجيبُ.

كلُّ شيءٍ حولي في هذه الساعة من الليل جامد ساكن إلا القلم الذي يجري على القُرطاس. وإلا دخان السيكارة الذي يتصاعد ويتلوى كالأفاعي.

والتفت بين فينة وأخرى فيقع نظري على المؤيد الصغير الواقف إلى جانب الجدار كيهودي عند حائط المبنى.

واصغي فلا أسمع إلا عنين الترام وزثيره كلما مرَّ وما أكثر ما يمر.

فكأنه يريد أن يثبت لي دُون سائر الناس أنه باقٍ في أتلنتك أقبو ولم يندثر بعد. فاذكر أنا أنه سوف يندثر في هذا الحي كما اندثر في كل مكان..

وما الترام إلا فكرةٌ بليت لتقوم مقامها فكرةٌ أجمل منها وإن في إسْتِغناء الناس في مواضع كثيرة عن هذه المركبة التي تسير بدون أن تجرّها الجنود والخيول. أو يوقد فيها فحمٌ أو حطب. لعبرة بالغة للمفكرين. وصدمة مؤلمة لأصحاب العقول الجامدة ففي زوالها بهذه السرعة من الأرض بعد أن مرّت الأجيال والناس يحثون إلى وجودها برهان على مَبْلَغ السرعة الهائلة التي تسير بها المدينة إلى الأمام. ودليل ناصع على أن العقل البشري لن يقف عن النمو وسيظل يخترع ويبتدع ما توالى الليل والنهار.

عجبا.. لقد بدأتُ بذكر هذه الرسائل لأتكلّم عنها فإذا بي لا أتكلّم عنها.

لا بأس فما هذا الترام غير رسالة مفكر إلى البشرية تمتع بها الناس زماناً وسهّلت أمامهم أن يفتحوا



الشوارع وَيَتَبَنُّوا الدُّورَ وَيُعَمِّرُوا الْأَرْضِي الْمَهْجُورَةَ وَلَكِنَّهُمْ الْآنَ يَنْصَرِفُونَ عَنْهَا لِأَنَّ رِسَالَةَ أُخْرَى لِمُفَكَّرٍ آخَرَ قَدْ أَغْنَتْهُمْ عَنْهَا.. وَالنَّاسُ أَبَدًا يَتَّبِعُونَ الْأَحْسَنَ وَالْأَهْوَنَ.

قُلْتُ إِنِّي وَحْدِي. وَالْوَاقِعُ أَنِّي لَسْتُ وَحْدِي. فِي هَذِهِ الرِّسَائِلِ الَّتِي أَمَامِي شَخْصِيَّاتٌ تَتَحَدَّثُ إِلَيَّ فِي هَذَا الْوَرَقِ الصَّامِتِ أَحَادِيثَ فِيهَا الْمُعْجِبُ وَفِيهَا الْمُطْرِبُ.

فَهَذِهِ رِسَائِلُ تَتَرَفَّقُ رُوحُ الصَّدَاقَةِ فِي سَطُورِهَا تَتَرَفَّقُ الْمَاءُ الصَّافِي فِي كَأْسٍ مِنْ بَلُّورٍ. وَهَذِهِ رِسَالَةٌ يَكَادُ يَعْتَبِقُ مِنْهَا أَرِيحٌ لِأَنَّ رُوحَ صَاحِبِهَا كَالزَّهْرَةِ النَّدِيَّةِ فِي لَطَافَتِهَا وَوَدَاعَتِهَا.

وَهَذِهِ رِسَالَةٌ يَحَاوِلُ صَاحِبُهَا أَنْ يُصَوِّرَ سُورَهُ بِ«السَّمِيرِ» وَيَتَخَيَّرَ الْكَلَامَ فَإِذَا الْكَلَامُ لَا يَعْنِيهِ. وَإِذَا كُلُّ كَلَامٍ دُونَ مَا يَتَّعْنِي أَنْ يَقُولَ.

وَهَذِهِ رِسَالَةٌ مُوجِزَةٌ لَيْسَ فِيهَا غَيْرُ التَّحِيَّةِ كَأَنَّ صَاحِبَهَا يَقُولُ: إِنَّ الْكَلَامَ عَبَثٌ فَلْنَعْمَلْ لَكِي نَنْصُرَ الْعَامِلِينَ فِي حَقْلِ الْأَدَبِ وَالصَّحَافَةِ.

وَهَذِهِ رِسَالَةٌ يُشِيرُ فِيهَا صَاحِبُهَا إِلَى بَعْضِ الْهِنَاتِ الْمَطْبَعِيَّةِ فِي «السَّمِيرِ» وَيَكَادُ يَقْفِزُ مَعَ رِسَالَتِهِ إِلَيْنَا لِيُصْلِحَ هَذِهِ الْهِنَاتِ<sup>1</sup> غَيْرَةَ مِنْهُ عَلَى الْجَرِيدَةِ الَّتِي يَحِبُّهَا.

وَلَوْ جِئْتُ أَعْدُدُ هَذِهِ الرِّسَائِلِ الَّتِي أَمَامِي وَادْكُرْ مَا فِيهَا لَوَجَبَ أَنْ أَبْقَى فِي مَكْتَبِي إِلَى الصَّبَاحِ وَيَبْقَى مِنْهَا شَيْءٌ كَثِيرٌ. وَيَبْقَى فِي النَّفْسِ شَيْءٌ كَثِيرٌ.

كَادَ يَمُرُّ الشَّهْرُ عَلَى السَّمِيرِ وَلَمْ نَتَحَدَّثْ إِلَى أَنْصَارِهَا بِكَلِمَةٍ عَلَى صَفْحَاتِهَا لِأَنَّا أَرَدْنَا أَنْ تَتَحَدَّثَ هِيَ بِمَا تَحْمِلُهُ إِلَيْهِمْ مِنَ الْآثَارِ الطَّيِّبَةِ وَالْآرَاءِ وَالْأَخْبَارِ لِرَهْطٍ كَبِيرٍ مِنَ الْكُتَّابِ.

فَإِنَّا كَمَا تَشْهَدُ أَعْدَادُهَا سَائِرُونَ بِهَا مِنْ حَسَنِ إِلَى أَحْسَنَ وَسَنَظِلُّ نَمْشِي بِهَا إِلَى الْأَمَامِ حَتَّى تَبْلُغَ أَبْعَدَ مَدَى تَسْتَطِيعُ جَرِيدَةُ عَرَبِيَّةٍ فِي الْمَهْجَرِ بُلُوغَهُ.

وَلَيْسَ هَذَا بِالْأَمْرِ الْكَبِيرِ إِذَا أَيْدُنَا الْأَنْصَارُ الْمُخْلِصُونَ وَتَضَافَرُوا عَلَى أَنْ تَكُونَ جَرِيدَتُهُمْ أَعْظَمَ جَرِيدَةٍ يَوْمِيَّةٍ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ.

السَّمِيرُ: 7 / 12 / 1936

## حِكَايَاتُ كَالِالْأَسَاطِينِ

لَا جِدَالَ فِي أَنَّ الْخَيَالَ فِي بِلَادِنَا خَصْبٌ جَدًّا وَرَبَّمَا كَانَ أَخْصَبُ شَيْءٍ عِنْدَنَا لِأَنَّ مَعْظَمَ ثَرَوَتِنَا مِنْ مَخْرَعَاتِهِ. غَيْرَ أَنَّهُ خَيَالٌ جَمُوحٌ غَيْرُ مَتَرَنٍ وَلَا رَحْمَةً عِنْدَهُ وَلَيْسَ لِلْحَقَائِقِ قِيَمَةٌ فِي مِيزَانِهِ..

وَلَا يَظُنُّ الْقَارِئُ أَنَّنَا نَتَكَلَّمُ عَنْ أَهْلِ الْمُبَالَغَاتِ مِنَ الشُّعْرَاءِ الَّذِينَ يَسِيرُونَ النُّجُومَ مُوَاقِبَ فِي الْأَرْضِ أَوْ يُعَلِّقُونَهَا عَقُودًا فِي نُحُورِ لَيْبَرَهِنُوتَا عَنْ مَقْدِرَتِهِمْ فِي الْفَنِّ وَعَنْ هَيَامِهِمْ بِالْجَمَالِ أَوْ يَزْلِزِلُونَ

1 الْهِنَاتُ: الدَّاهِيَةُ جَ هَتَوَات.

الجبال ويصدعون السماوات عندما يريدون الدلالة على أنهم في حزنٍ على مفقود.  
لا، نحن، لا نتكلم عن هولاء الشعراء الآن بل عن قوم يزاولون الكتابة لهم ولع بالتحدث إلى  
الناس عن الشعراء والكتاب وإن لم يتصلوا بهم وإن لم يعرفوا أين يقيمون. أو شيئاً عن حياتهم فتراهم  
يعتمدون الخيال وحده. ذلك الخيال الجموح العياث ويذهبون يروون أحاديث لم تُقصّ وحكايات  
لم تقع. يخلقها لهم التصوير ويصنع عليهم أن تبقى خفية كأنها لم تُخلق فيذيعونها ويتداولونها كأنها  
حقائق.

يدفعنا إلى هذه الكلمة حكاية كتبها أديبٌ في بغداد عن مُشيع «السّمير» اشتملت على مفارقات  
غريبة والغاز عجيبة فقد جاء فيها أن إيليا أبو ماضي كان مرة في الولايات المتحدة على نهر المسيسيبي؟  
وأن سيدة أميركية جميلة رآته مطرّفاً يفكر فسألته مُستفسرة فنظّم لها قصيدة بالإنكليزية!  
وتقدّم الكاتب بهذه الحكاية المصنوعة إلى الناس كأنه جاءهم بآية مُبينّة.  
واليوم نقرأ حكاية أخرى عنّا من هذا الطراز في مجلة «المعارف» فيها الشاعر وفيها سيدة لبنانية  
منقّفة. ولكنّها من مخترعات ذلك الخيال الجموح أيضاً.  
وقد قرأنا الحكايتين وضجّنا كيف يتخيّلنا الناس ويتصوّرُون كيف نعيش وننظّم ونكتب. وقد  
حملتنا هذه الحكايات الغريبة على التفكير في ما نقرأه من أمثالها عن سوانا. وقادتنا التفكير إلى الشك  
في صحّتها ولا سيّما الحكايات المنسوبة إلى أناس ذهبوا من هذه الدنيا ولم يعد في مقدّرتهم أن يكذبوا  
ما يُلْفَقُ عنهم.  
إنّ خيالنا خصب ولكنّه أحياناً يُثبتُ أشواكاً.

السّمير: 11 / 1 / 1937

## من لوح الذاكرة

لما زرنا قبر الجندي المجهول في أرلنغتون شاهدنا هناك سيّارات من كلّ ولاية في الإتحاد الأمريكي.  
ولكنك في الولايات المتحدة لا ترى شيئاً مما تراه في سواها من اختلاف الأزياء بل ترى القادم من غرب  
البلاد في مثل ملابس القادم من شرقها. أمّا الوجوه فلكلّ عنصرٍ سيّاته وملامحه وليس في هذه البلاد  
ولاية أو منطقة استأثرت بها عنصر واحد.  
ولقد مررنا بالبيت الأبيض فإذا هو ليس أظهر ولا أروع بناء في العاصمة وإن كان أشهر من كل  
بناء في العالم.

وكنا نود أن نزور المكتبة الكبرى للكونغرس ولكننا خفنا أن نستغرق فيها فننسى كلّ شيء...  
وهكذا أضغنا فرصة في ضياعها ضياع لذاتٍ روحية وعقلية كثيرة.

في أمثالنا «كل الدُّرُوبُ تُوْدِي إلى الطَّاحُون» وهو مَثَلٌ لَا يَصْدُقُ على دُرُوبِنَا ولكنَّهُ لَا يَصْدُقُ لَأَنَّ صوت الطَّاحُون هو الذي يَحْمِلُ النَّاسُ في الدُّرُوبِ إليه .

وبناية الكابيتول في واشنطنون كالطَّاحُون كل الدُّرُوبُ تُوْدِي إليها لَأَنَّهَا كُلُّهَا تنتهي عندها . وأينما كُنْتَ في واشنطنون والتَفْتَ اسْتَقَرَّ بَصْرُكَ على قَبَّةِ الكابيتُول وهي تستحِمُّ بالأنوار .

ومِمَّا لَاحَظْنَاهُ أَنَّ النَّاسَ في العاصِمة لكثرة ما يشاهدُونَ تلكَ المَبَنِيَّ الفخمة العجيبة صارت عندهم مِنَ الأشياءِ العاديَّة المألوفة كما هي بناية أُمير ستايت في نيويورك عند سُكَّانِهَا وتمثال الحرِّيَّة وأنفاق الصَّبَواي وغيرها مِنْ عجايب العصر الحديث فترى واحِدَهُمْ إذا سألَهُ الزَّائِرُ عن بناء أو أثرٍ تعجَّبَ مِنْ أَشَدِّ العَجَبِ وسَرَّ تعجُّبه عائدٌ إلى روعة الأثر التي كانت قد ذهبت مِنْ نَفْسِهِ وذلك لِإِلْفَتِهِ إِيَّاهُ والإلفة كما يقولون تُذهِبُ الكُلْفَةَ !

وكان أوَّل شخصٍ خاطَبْتُهُ وسمعتُ الرِّثَّةَ العربيَّة الحبيبة إلى أذُنِي صديقي الشَّاعِرُ الكبير مسعود سَمَاحَه الذي تنكَّرتُ لَهُ على التلفون فأفضى إليَّ بأشياء وهو يظُنُّ أَنَّهُ يحدثُ صديقاً آخرَ في واشنطنون . ولكن أعجَبَ وأفخَمَ ما رأيته شخصيَّة فيها جلال الشَّرْقِ وروعة عصر اليازجيين والبستانيين وهي شخصيَّة رجلٍ ضَرِيرٍ أَلَا وهو الأستاذ سليم حدَّاد الذي ما يزال محتفظاً بذاكرته القويَّة بالرغم من أَنَّهُ قد جاوز الثمانين من عمره .

جلسنا إليه في دارِهِ يَحِفُّ بِهِ أولاده الأكارِمُ فكُنَّا نَتَصَوَّرُ وهو يُحدِّثُنَا عن صِبَّاه عن البستانيين واليازجيين أَنَّنَا نعيش في عصرِهِم .

وهو كثير الحديث عن ذلك العَصْرِ وأهلِهِ . وقد قَصَّرَ علينا عنهم حكاياتٍ لَمْ نَدُونَ مِنْهَا إلا هذه النَّادِرَةُ التَّارِيخِيَّةُ وهي :

أَنَّ أخاه المرحوم حنا حدَّاد الجَهِدُ اللُّغَوِي المشهور كان من أعضاء الجمعيَّة الأدبيَّة العلميَّة التي أسَّسها الأمير محمد أرسلان والشيخ حسين بَيَّهَم والمعلِّم بطرُوس البُسْتَانِي في بيروت سنة 1868 . وكانت أول رواية مثَلَتْهَا هذه الجمعية هي رواية «الاسكندر وداريوس» .

وكان الأستاذ حنَّا حدَّاد مِنْ مُمَثِّلِي الرِّوَايَةِ فمَضَى فاستَعَارَ عِباءةً مِنَ الشيخ نصَّار اليازجي وهو أَكْبَرُ أَتْجَالِ المرحوم الشيخ ناصيف وقد تَوَفَّى إِخْوَتُهُ كُلُّهُمْ بالسَّلا إِلا نصَّار فَإِنَّهُ مات بِالْحُمَّى في رَحْلَةٍ حيث كان ضامناً أراضِي في البقاع .

وحدثَ أَنَّ حنَّا نَسِيَ أَنَّ يَرُدَّ العِباءةَ إلى الشيخ نصَّار الذي كان مَوْصُوفاً بِمِثْلِهِ إلى الدُّعَابَةِ<sup>2</sup> والمَجُونِ<sup>3</sup> فَلَمَّا طَالَ الوَقْتُ كَتَبَ إليه ما يلي :

1 والكُلْفَةُ ما تكلفته من نائبة أو حق .

2 الدُّعَابَةُ : اللَّعِبُ ؛ وداعبه مازحه .

3 مجن مجونا صَلَبٌ وَغُلْظٌ ومنه الماخن لمن لا يبالي قولاً وفِعْلاً كَأَنَّهُ صَلَبٌ الوجه .



عباءةً ذهبت عني وما رجعت  
سارت لجمعية الآداب طالبة  
أم أنها قد أصيبت من عساكركم  
فإن تكن قد قضت نحبا نناشدكم  
اللهم يا أرحم الراحمين  
من العث والنار والزيوت  
تكن قد توالى عليها الأيام  
الكهف بعد أربعين عام  
ولعلنا نتمكن من زيارة العاصمة مرة أخرى فتكون لنا كلمة مشبعة بل كلمات لأن في كل حجر  
من مبانيها مجالا واسعا للفكر والقلم.

السَّمير: 23 / 1 / 1937

## الإغراق المذموم في الشعر

كثّر الإغراق المذموم في الشعر العربي بعد طغيان أمواج الأدب الفارسي على الحياة العربية. أمّا  
قبل ذلك فكان الشعر العربي تفيض فيه روح البداوة البعيدة عن التكلف والتصنع الخالية من الزلفى<sup>2</sup>  
والملق. لأن الشاعر العربي كان في ذلك العصر مطلوباً لا طالِباً. ومقصوداً لا قاصداً. لا يطوّع خاطره  
ولا يستخر طبعه من أجل هبة أو عطية أو مجلس شراب. ولا من أجل ضيعة أو ولاية.  
وكان في قبيلته كالقائد في جنده. يسليها ويطربها وهو فيها. ويمثلها أحسن تمثيل عندما يغيب  
عنها. وكانت هي شديدة الاعتزاز به لأنه ناشر مكارمها وفضائلها. والمحدث عن عاداتها وأطوارها.  
والذائد عن حياض مجدها وكرامتها والمدون حكاياتها وحوادثها ووقائعها بأسلوب من الشعر ساذج  
ولكنه صادق.

فلما جاء شعراء الغلو والإغراق. اختلط الأمر اختلاطاً فسد معه الشعر وأنمست حقيقة  
الشاعر. فصار من المتعذر على مطالع شعره بعد حين أن يتبين في وضوح صورة الشاعر وصورة عصره  
وناسيه الذين كان يعايشهم لأنه كان يهمل الأمر الواقع الذي بين يديه ليصطنع أموراً لا وجود لها أو  
يخلع على الحقائق أثواباً من المبالغات تغيب فيها وتبدو كأنها سواها.  
وكان لا بُدّ في هذه الحالة من تصنيف معاني وأقوال لا يقرها العقل مثل هذا البيت الذي ولدته

1 الماضي السيف ج مواضي.

2 الزلفى: القرّة والمنزلة والطائفة من الليل.

وَأَعْجَبُ مِنْكَ كَيْفَ قَدَرْتَ تَنْشَأَ وَقَدْ أُعْطِيتَ فِي الْمَهْدِ الْكَمَالَ

اجتاز هذا البيت ألف سنة من الدهر وهو مشمولٌ بالإعجاب ومشهودٌ لصاحبه بالقُدرة على ابتكار المعاني لأنك عندما تلقى عليه نظرة تأخذك منه روعة الأسلوب ويُبهرُك المعنى الجديد وتهزُّك رنة الوزن فتترنم به طرباً وأنت ذاهلٌ عن موضع القُبْح فيه لأنَّ عقلك الناقد المُمَحَّص لم تُتَح له فرصة يتمكن بها من نقده وتمحيصه.

يتعجبُ المتنبِّي في هذا البيت كيف قدرَ ممدوحه أن ينمو ويكبر وهو قد أُعطيَ الكمال في المهد. وأنت لو بحثت عن كلام لا يفيد شيئاً لما وجدتَ نموذجاً أتمَّ من هذا البيت فهو سخفٌ ما بعده سخف وكلام أشبه بكلام السكارى والمجانين ففي صدرِ هذا البيت نسبَ الشاعر إلى ممدوحه القدرة على لنسوء والنمو وذلك بقدرته وليس بقدرة قادر.

وإذا انتقلنا من صدر البيت إلى عجزه إنتقلنا من ورطة مضحكة إلى ما هو أعظم من الورطة المضحكة لأننا نترك الشاعر يتعجب من أمرٍ معقولٍ لتجده يقرّر أمراً غير معقول ولا سبيل إليه حتى في الحلم الذي يجوز فيه كل غريب. فقد زعمَ الشاعر أنَّ ممدوحه أُعطيَ الكمال في المهد. فألقى عليه وشاح الألوهية وجعل الكمال كأنه خرزة تعلقها الأمُّ في عنقِ الطفل. أو أنه صفة وراثية تنتقل من الآباء إلى الأبناء. وناسياً أنَّ ممدوحه ليس سوى بشرٍ كسائر الناس وإنَّ وُلِدَ في مهدٍ من الذهب. ولا كمال لإنسان. وأنَّه هو أيضاً إنسان لم يبلغ الكمال ولن يبلغه ويس في مستطاعه أن يتصوّر حالة الكمال وإنَّ كان شاعراً فذاً.

ولكنها وساوس ازدحمت في رأسه فساقها إلى ذلك الممدوح بيتاً من الشعر هو من الخزعبلات<sup>1</sup> والشعوذات والمخرقات<sup>2</sup>. ولكنه جاز على سامعيه وعاش عصوراً طويلة. وكم من الخزعبلات التي يحتفظ بها الناس كأنها ثراث مقدس.

كم من الخزعبلات التي لو هوجمت كما هوجم هذا البيت من الشعر لقامت قيامة الناس على الناقدِ فرمَوْه بالكفر واتهموه بالزندقة. أو قالوا عنه إنه معتوه مأفون. لذلك تجد كثيرين من الفُهاء يقفون أمام أصنام الخرافات كأنهم أصنام من طين لأنهم يخشون أن تحطم رؤوسهم إذا هم وثبوا عليها فحطموها!!!

السَّعِير: 25 / 1 / 1937

1 الخزعبلات الأضحوكة.

2 خرّق الشيء: إذعاه كذبا.

## العيون السود

سَمِعْتُ إحدى السِّيدات المُنشِد المعروف يوسف سلوان يتغنَّى بقصيدة لصاحب «السَّمير»  
مطلعها:

ليت الذي خلق العيون السودا      خلق القلوب الخافقات حديدا  
فاعترَصَتْ قَائِلَةٌ - لماذا كُلَّ هذا التَّغْنِي مِنَ الشعراء بالعيون السود. ما بال العيون الزُّرْق! أليسَ  
فيها سحر أليس فيها جَمال؟ ألا تستهوي القلوب كما تستهويها تلك؟

بلى. كُلُّ عَيُونُهُنَّ جميلة وكلُّها فيها سِحْر  
العيون السود التي تطلُّ منها الأحلام سكرى  
والعيون البنفسجيَّة التي تتمشَّى في جوانبها الحيرة  
والعيون العسليَّة التي تطفو الأسرار فيها وتغيب  
والعيون التي يثبُّ قلبك إلى عينيك عندما تراها  
والعيون التي تحومُ عليك كأنَّها نسورٌ جبَّارة  
والعيون التي تتوارى وراء أهدابها أشياء لتُوقِظ في روحك أشياء لا تتوارى  
والعيون التي يتراقص فيها الهوى ويكاد يعربد  
والعيون التي يمشي فيها الأمل الداوي كالعليل المضنوك  
والعيون التي يبدو فيها الأمل مستتراً باليأس واليأس مستتراً بالأمل  
والعيون التي اشتغرت في الحيرة فلا أمل بادٍ فيها ولا يأس  
والعيون التي تنظرُ إليك كأنَّك أنت الملجأ الوحيد لها  
العيون... كُلُّ العيون...

التي تفيض حناناً

والتي تندفق مهابة

والتي أمسكها الخوف من الغدر فلم تندفق

العيون التي تحترق قلبك كالسَّهام

والعيون التي تهزُّك كأنَّها تيار كهربائي قوي...

أجل. كل العيون فيها سِحْر. وكلُّها فيها قوَّة على الإخضاع والفُتْكَ. وإنَّما الشَّاعر - لسوء الحظ أو

حسنه - عندما نظَّم تلك القصيدة كان تحت تأثير العيون السود وحدها...!!!

هذا وطوبى لمن قال:

حب العيون السود يحرق مهجتي وهوى العيون الزرق يحرق...<sup>2</sup>

السَّمِير: 4/2/1937

## هزل في جد

ضيف ولا كالضيوف جاء إلى إدارة «السَّمِير» ولم يرجع. فارق العشير والأليف والمرع والمشرح  
لم ينقل معه حقيبة. ولم يحمل صُرَّة. ولا وضع نصبَ خاطره مكاناً معيناً لينصل إليه ويستريح.  
مرَّ بالقرى والدساكر فما رآها. وبالحقول والمزارع فلم يعلم بمروره أحد لأنه جاء مخمولاً في قفص  
كالسلطان بيازيد عندما حمَّله جنكيز خان إلى بلاده أسيراً.

ووقفت سيارته أمام إدارة «السَّمِير» وخرج منها صديقنا السيد خليل عقل القادم من هومر  
نيويورك وصعد إلى الإدارة يحمل في يده علبة كبيرة من الكرتون مثقوبة الجوانب ثم رفع غطاءها فأطل  
منها ديك وديك. طويل العنق تلمع في رأسه عينان متوقدتان كأنهما جوهرتان صافيتان. سمين في غير  
اندلاق ولا اندفاق. مزين المشية لطيف الطلعة. لا نفار فيه ولا شراسة. حتى كأنها هو متخرج من كلية  
الآداب في باريس. وكأنه في ريشه الأحمر الحبيك فارس في درع من نسيج الشفق أو من جامد العاق.  
وأطلقناه فمشى بخطى في أرض المكتب غير متهيب ولا مستغرب والعيون تنظر إليه وتكاد تلتهمه  
خلالوته ورشاقتة. ولما عرّف الحضور أنه هدية إلى صاحب «السَّمِير» من صديقه صاحب قصر الدجاج  
في هومر كاد يسيل لعابهم وترقص أسنانهم شوقاً إلى لحم الطريء الذي لو لم يمسكه اهابه<sup>3</sup> لذاب.  
وكثر العاطفون عليه والمعجبون به والزاعبون في جلب الماء والحب إليه كعادة الناس عندما يرجون  
مغنياً أو يتوقعون قضاء حاجة.

وكان من الواجب أن تمتد حياته إلى ثلاثة أيام على الأقل لأنه ضيف ولكن ضيق المنازل في نيويورك  
وخلوها من مكان لذوات الأجنحة حال دون هذا الأمر فمشت السكين في عنقه في اليوم الثاني وصار  
الذي كان يسير على الأرض هيكلاً حياً تسير به الصُّحون مرقاً ولحماً. وعظماً وشخماً. وصار رأسه في  
جوف. وغابت بقية أعضائه في أجواف أخرى. وانتقلت اللذة من العيون إلى البطون.

وهكذا تخرب جسوم لتعمر جسوم. وتزهق أرواح في سبيل أرواح.  
فقل لِقَوْمٍ يَجُودُونَ بِالنُفُوسِ مِنْ مَّالِهِمْ أَنْظُرُوا هَذَا الْخَلْقَ وَخُذُوا عَنْهُ أَمْثَلَةً فِي السَّخَاءِ فَقَدْ جَادَ

1 طوبى: والطوبى الطيبُ وجمع الطيبة وتأنيت الأطيب والحسنى والخير وطوبى لك وطوباك لغتان.

2 فلعل الشاعر المجهول أراد أن يقول في عجز بيته هذا: «وهوى العيون الزرق يحرق ديني».

3 الإهابة: ككتاب الجلد أو ما لم يدبج آهيةً وأهْبُ وأهْبُ.

بروحه ولسان حاله يردّد قول السّمّوأل:

تسيلُ على حدّ الشّيوفِ دماؤنا      وليست على غير الشّيوفِ تسيلُ

أمّا صديقنا صاحب الدّيك خليل عقل فيجدُر بنا وقد نَعَيْنَا إليه صاحب الطّيّلَسَان الأحر أن  
نُعْزِيه بأنّه إنْ كان قد تلاشى فقد تلاشى في قوم أحياء عاقلين مُدْرِكِينَ يذكرون الدّيك فيترحمُون  
عليه ويشكرون صاحبه الذي وهبَهُ كريماً. وهذا خيرٌ مِنْ أن تفتَرسه الثّعالب أو ترعى في لحمه الدّيدان  
والحشرات. أو يغيب في بَطُون أناس لا يذكرون ولا يشكرون.

السّمير: 1937 / 2 / 25

## أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ

ما تردّدت هذه العبارة في مَسْمَع إنسان إلا ووقّف عندها مستغرباً كيف يمكن أن يحب الإنسان  
عدوّه ورجع يقول - هذا أمرٌ مستحيلٌ. هذا فوق الطّبيعة البشريّة.  
ونحن نقول: إنّهُ كذلك ولكنّه ليس فوق الطّبيعة البشريّة المُدْرِكَة معنَى الإخاء العام والحياة  
المُشتركة.

مَنْ هُوَ العدوّ؟

هو إنسانٌ في بلدتِكَ أو قريتك أو مدينتك.

هو إمّا جارٌ قريبٌ أو غير قريب أراد بك الشّوء أو ساق إليك مضرّة. فأنت تحذّره في كرهٍ وتربّص  
به الدّوائر لأنّه يتربّصُ بك الدّوائر<sup>1</sup>.

على أنّك قد نسيّت أنّه إنسانٌ مثلك. كما نسي هو أنّك إنسانٌ مثله وأنّ كلّيكما أخٌ للآخر أحبّ أم  
كره.

فإذا أنت أحببته وسعيتَ لنفعه بدلاً مِنْ السّعي لأذاه أفدّت إنساناً لا بدّ لك مِنْ أن تحمل شيئاً مِنْ  
أعبائه مباشرةً أو بواسطة لأنّه إذا افتقر وصار عالّةً على الحكومة فأنت الذي يعوّله لأنك تدفع المكوس  
والضرائب للحكومة التي تنفق عليه.

وإذا أصابه مرضٌ مُعْدٍ فمنْ مصلحتك أن تدوّد عنه هذا المرض لئلا يسري إليك وتصير أنت  
ضحيّةً له مثله.

فأنت ترى أن محبّة العدو التي تحسبها فوق الطّبيعة البشريّة وأمرأ مستحيلاً هي في مصلحتك وأمرٌ  
لا بدّ منه.

1 الدّوائر: الدّائرة ما أحاط بالشيء، والحلقّة، والدّاهية. ويقال: دارت علي الدّوائر: نزلت به الهزائم.



وإنما يختلفُ تفسيرُ هذه الآية باختلاف العقول فمنِ اتَّسعَ مدى فكره في الحياة وجدَّ أنَّ العدو كالحبيب يلزِمُكَ مِنْ أمرِهِ ما يلزِمُهُ مِنْ أمرِكَ في هذه الحياة المشتركة المتشابكة المتداخلة. ثم يرى أنَّ المحبَّة أحسن وأشهى ثمراً.

هَبْ أَنْ لَكَ عَدُوّاً تَكْرَهُهُ. مررتَ بِهِ يوماً فوجدته مطرُوحاً في الشارع مُهشَّماً مرَضُوضاً أفلاً تسرعُ إلى إغاثيرِهِ. أفلاً تدعوُ النَّاسَ إلى إعانته. أفلاً تُشفِّقُ على هذا الإنسان المجرَّح؟ إذن فلماذا تنتظر إلى أن يسقطَ طريقاً مُجرَّحاً مُهشَّماً لتحبته أو لتشفِّقَ عليه. أحبيته وهو سليم فإنَّ الحُبَّ فيكَ له إذا أفادَهُ ذرَّةً أفادَكَ قنطاراً. لأنَّ مُجرَّدَ طردِ البغضاء مِنْ قلبِكَ هو أشرف ما تفعله نحو نفسك. فأحِبِّ عَدُوَّكَ وَكُنْ لَهُ نِعَمَ التَّمَوُّذِجِ والمِثَالِ. أحبيته تشعرُ بفرح وغبطة وإن لم ينلْهُ مِنْ حُبِّكَ فائدة.

إذن فهذه الآية ليستْ ممَّا يستحيل العمل بها إلّا على الجاهِلين. فلا تكنْ مِنَ الجاهِلين. إقنَدَ بالمصلُوبِ صاحب هذه الحكمة البالغة. وليكنْ إيمانك بِهِ مُرتكزاً على دَعَاةِ الحُبِّ الشَّامِلِ والإخاء الكامل.

السَّير: 1/5/1937

## كَلِمَةٌ إِلَى الأَبْنَاءِ عَنْ طَرِيقِ الأَبَاءِ

أمّا وقد خرجَ الأولادُ مِنَ المدارس بعضهم على أن يعودَ إليها ليُكْمَلَ ما بدأ بِهِ. وبعضهم على أن يدخلَ مدرسة الحياة ليختارَ طريقه إلى الأمانِي التي تجُولُ في نفسه. فيجْدُرُ بنا أن نذكُرَ الأَبَاءَ والأُمّهات لعلَّهُمْ يذكُرُون أولادَهُمْ بأنَّ العِلْمَ ليس له مكانٌ ينحصِرُ ضمنَ تحوُّمه ولا زمانٌ معلومٌ ينتهي عنده وأنَّ الإكتفاء بالشَّهادات المدرسيَّة هو كإكتفاء صاحب الحقل بأنَّه يملكُ حقلاً فإذا لم يغرَسْ فيه الشَّجَر ويَنقِيهِ مِنَ الحجارة والأشواك ويسهرُ عليه مِنْ آفاتِ الحرِّ والقرِّ<sup>١</sup>. صارَ أرضاً مواتاً وإنْ كانَ جيِّد التُّربة.

كثيرون هم الذين خرجوا مِنَ المدارس والكُلِّيَّات يحملون شهاداتها الرِّسميَّة وَلَكِنَّ الذين استطاعوا أن يشقُّوا في معتركِ الحياة طريقاً جديداً وأن يتركُّوا في الأرض دويّاً قليلاً. ما الفائدةُ مِنَ السَّيفِ المُغمَدِ والكنزِ المدفونِ؟

إنَّ المدة التي يصرفها الولدُ في المدرسة هي فترة التَّأسيس والاستعداد للحياة خارج المدرسة. ومثلما أحسنَ المُهذَّبون تلقينَهُ فعليه أن يُحسِنَ إستعمالها وأن يواظبَ على الإستِزادة منها فما ذهبَ

١ القر: قرَّ اليوم قرأ بَرَدَ.

بالعلم شيء كالإهمال.

وهناك فتیان موهوبون يجب أن يرعاهم الأهل ويُفسِحوا المجال أمامهم لتظهر مواهبهم وإلا أصابها ما يُصيب الورود في بستان نام عنه صاحبه فكثُر فيه العشب الطفيلي وخنق ما فيه من رَيَاحين. وأهم شيء في حياة الناشئ المتعلم أن يدرك أنه يستطيع أبداً أن يكون مُعلماً حتى ولو كان في كل خيطٍ من رداءه شهادة مدرسية. لأنه إذا ماتت في نفسه الرغبة في الإقتباس أو غلب عليه الشعور بأنه قد بلغ حالة لا سبيل للزيادة عليها فكأنه قضى على عقله بالوقوف وعلى رغائيه بالجمود فتمضي عليه السنوات وهو على ما هو لم يكسب شيئاً غير الشهادة.

فاسهروا على أولادكم بعد المدرسة أكثر من سهركم عليهم عندما كانوا في المدرسة ولا تكتفوا بأنهم أخذوا الشهادات ولا تدعوههم يكتفون بها.

السَّمير: 1937 / 5 / 25

## عيد تكريم الموتى

بعد يومين يخرجُ النَّاس من كلِّ دار في كلِّ مكان إلى كلِّ مقبرة لزيارة القوم الذين لا يزورون أحداً وللسلام على أناس لا يردُّون السلام.

يخرجون إلى المقابر مدفوعين بعامل الوفاء لأحبائهم الذين غابوا في ظلمات الرُّموس. وبناتوا في أسر التراب الذي كانوا يستنكفون أن يعلّق بأيديهم أو يقع على ملابسهم.

وهناك في المدينة السَّاكِنة الصَّامِة برغم تراحم السُّكَّان فيها تستيقظُ الذِّكريات الهاجِعة وتنفِضُ الأشواق الصَّريَّة فيصير الزَّائر كلِّما اقترب من ضريح صاحبه خطوة رجعت به الذكرى سنين إلى الوراء. فتذكر كيف كان الميتُ الثَّاوي تحت الثرى يتكلَّم ويتبسَّم وكيف كان يطرب ويتألَّم وكيف كان يلبس ويأكل ويشرب.

ويتذكَّر ما عمِل من الصَّالحات وما كان له من أطوار وعادات وأخلاق. ولا تكون في هذه الحالة إلا جميلة ونبيلة.

وتهيج عواطفه فلا يلبث أن يذرف عُبْرَةً أو يُصنِّد زُفْرَةً أو يزرع زهرة أو ينجثو ويصلي.

هو يوم سُمِّي يوم تكريم الأموات ولكنه في الواقع يوم تطهَّر به نفوس الأحياء من أدران الغرور وتنطلق عقولهم من قيود المطامع ولو سوِّغَت قليلة فتُجَلِّي لهم الحقيقة الكبرى التي يتهرَّبون من رؤيتها وهي أن كلَّ شيء إلى الزَّوال. وأن النَّاس أخيراً لا تَقَاوَت بينهم ولا تفاضل أمام نوااميس الحياة..

ولكن من النَّاس مَنْ يذهب إلى المقابر في عيد الأموات غير مدفوع بعامل وفاء ولا بعامل اعتبار

ولا للقيام بواجب بل بعامل الحياء من الجيران أو متابعة لغیره من الناس . فيذهب ولا شيء في نفسه غير الرغبة بأن تقع عليه العيون ويرجع لم يستفد عبدة ولا حَزَتْ في قلبه حسرة . هو لا يخشى عتاباً ولا تلويماً من سكان القبور الذين عقل الموت ألسنتهم وكم أفواههم . وسد أسماعهم فصار سواء عندهم مُودّد عن حُب ومتودّد رياء وخداًعاً . لأنهم لا يتوقعون أن يصيبهم خير . ولا يبألون أن يصيبهم شر . بعد يومين تفرغ الدُّور وتمتلئ المقابر بالزوّار الذين يستطيعون اليوم أن يزرعوا الزهور على القبور وأن يسكبوا العبرات ويصعدوا الزّفرات ولكنهم بعد جيل لن يستطيعوا شيئاً من هذا لأنهم لن يكونوا هنا .

إنهم يزاحمون الأحياء اليوم في المدن والقرى ويُنازعونهم على الجاه والثروة . ولكنهم في غد سيزاحمون الأموات في الأجداث لا على جاه ولا على ثروة بل على لا شيء !  
أذكروا أيها الناس الموتى وترحموا عليهم سواء كانوا أنسياء لكم أو أحبباً . فكلهم إخوانكم في الحياة والموت .

أذكروهم واشكروهم لأن الدُّور التي تسكنونها والملابس التي ترتدونها وجميع ما تتمتعون به من أسباب الحضارة والرقي في هذا العصر هو من صنع الناس الذين جاؤوا إلى هذه الدنيا قبلنا فغرسوا وزرعوا وبنوا واخترعوا ومهدوا للذين بعدهم . هم غرسوا فأكلتم . فأغرسوا ليأكل الذين يجيئون بعدكم .

فإذا ذكرت أنهم كانوا من المحسنين في حياتهم فلا تنسوا أن تقتفوا آثارهم وتحسِنوا كما أحسنوا . فإذا رجعت بهذه الرُّوح من المقابر فقد رجعت بثروة ونفع عَمِيم<sup>١</sup> . وتكونون قد كرمتم الموتى أجل تكريم .

السَّمير : 1937 / 5 / 28

## مقارنة بين الجمهور والبحر

ما أشبه الجمهور بالبحر .

مضت الأجيال والدُّهور على البحر وهو يحمل الشفن ، وتُسَخَّر منه الآلي ، وتُصاد الأسماك ، ويرسل الشحَب في الفضاء فتَهْطِلُ في كُلِّ ناحية ؛ وهو لا يزال البحر .  
ومضت الأجيال والدُّهور والجمهور في كُلِّ مكان يستثمره أفراد يسيرون بقوَّته سفن مطامعهم ويستخرجون ما في رَوْحِيَّته من لآلي مكنونة ويصيدون ثمرات قلوبه وأرواحه وجهوده .

١ العَمِيم : كُلُّ ما اجتمع وكثر ، ويقال : خَيْرٌ عَمِيمٌ .

ويجيء المؤرِّخون فيُبدونون في بطون الكتب أن الملك فلاناً فتح الحصون وعمَّرَ المدن وأنشأ الدُّور والمكاتب وأنَّ ذلك الأمير أسعدَ البلاد وأشقى. ويتسوّون الجمهور الذي كان من وراء ذلك الملك وحول ذلك الأمير. كما ينسى الذي يصفُ سيّر السفينة في البحر أن البحر هو الذي حملها ولولاها لم توجد السفن.

ويشبه الجمهور البحر من ناحية أخرى وهي أنه يثور مثله فيدمرُ ويحطّم ويفرق ويهلك ويتلف. ولكن ثورة الجمهور كثورة البحر، لا تطول إلا قليلاً ثم يرجع إلى سكينته وهدوئه. وتعود السفن تسير فيه فيحملها راضياً مسروراً. ويستخرج الدر من أعماقه فلا يردّ أحداً عن جواهره. وتؤخذ منه الأسماك ولا ترجع فلا ينوح عليها ولا يشعر بوحشة لفراقها وهي بناته.

ما أعجب البحر!  
ما أعجب الجمهور!

السَّمير: 1937 / 6 / 26

## العيون الضيّقة

العيون للنظر. خزرها<sup>1</sup> ونجلها<sup>2</sup>. ونعني بالعيون الخزر التي فيها ضيق. والعيون النجل التي فيها سبعة.

وهي للفهم أيضاً فإنك بمجرد النظر إلى عينيّ محدثك أو الذي تتحدث إليه تعرف مبلغ صدقه أو كذبه في حديثه. كما تعرف موقع كلامك من نفسه أهو موقع رضى أم موقع استياء أم موقع مَلْ. فإن كل ما يحول في النفس يرتسم في العيون فإذا بهت فمعنى ذلك أن محدثك حائر أو أنه غير فاهم ما تقول أو أن نفسه في شلل وقتي. إلى غير ذلك من الحالات التي تدل عليها العيون ولا يدل عليها شيء كالعيون.

رُبَّ لَفْتَةٍ أو نظرة حوت من المعاني ما لا يستوعبه كتاب ضخّم. النفس كلها تطل من العين. حتى ليكاد المرء أن يرى فيها ما مضى وما تأخر من حياة صاحبها.

ولو اجتمع أبلغ الكتاب في كل أمة وحاولوا تصوير ما تنطوي عليه نظرة يتبادلها عاشقان لعادوا بالخيبة التي يعود بها من يحاول نقل البحر بالجرار.

في العيون أسرار لا تبدو إلا للعيون.

1 الخزر: خزرت العين خزرّاً صغرت وضافت خِلْفَةً ج خزر.

2 النجل: سعة العين نجل كفرح فهو أنجل ج نجل ونجال.

وفي كُلِّ المَرثِيَّاتِ التي تَقَعُ عليها الأَنظارُ معانٍ شَتَّى وأَسرارٍ لا تُحصى وإِنَّمَا لا يَرَاهَا إِلَّا الَّذِينَ رَزَقُوا مَعَ النَّظَرِ الثَّاقِبِ<sup>1</sup> قُوَّةَ المَلاحِظَةِ والإِسْتِنَاجِ ومع هَذِهِ القُوَّةِ رَغْبَةٌ في رُؤية الأُمُورِ والأَشْيَاءِ كُلِّهَا وَإِنْ كَانَتْ لَيْسَتْ بِالأُمُورِ والأَشْيَاءِ التي يَسْتَحْسِنُهَا الرَّايِي وَيُحِبُّهَا.

أَمَّا إِذَا سَاءَتْ أَنْ يَرَى مَا لَا يَتَّفَقُ وَالَّذِي يَحِبُّ أَنْ يَرَى.  
أَمَّا إِذَا لَاحَتْ لَهُ حَقِيقَةُ فَأَسَاحَ بِنَظَرِهِ عَنْهَا وَادَّعَى أَنَّهُ لَمْ يَرَهَا. وَمَا دَامَ لَمْ يَرَهَا فَهِيَ إِذَنْ غَيْرُ مَوْجُودَةٍ.

أَمَّا إِذَا اسْتَحْدَمَ عَيْنِيهِ لِلنَّظَرِ فِي عُيُوبِ النَّاسِ أَوِ النَّظَرِ فِي مُحَاسِنِهِ أَوْ مَا يَتَوَهَّمُ أَنَّهُ مِنَ المُحَاسِنِ فِيهِ.  
أَمَّا إِذَا لَاحَ لِعَيْنِيهِ الْقَمَرُ فَكَانَ أَظْهَرَ شَيْءٍ فِيهِ عِنْدَهُ تِلْكَ الكُلْفَةُ<sup>2</sup> الشَّوْدَاءُ فِي صَفْحَةِ الْقَمَرِ. وَإِذَا أَشْرَفَ عَلَى حَدِيقَةٍ غَنَاءٍ عَمِيٍّ عَنْ مُحَاسِنِهَا وَأَنْشَغَلَ بِذَمِّ صَاحِبِهَا الَّذِي أَقَامَ حَوْلَهَا الأَسْوَارَ.  
إِذَا كَانَ هَذَا مَا تُرِيهِ عَيْنَاهُ فَهُوَ مِنْ ذَوِي العُيُونِ الخُزُرِ الضَّيِّقَةِ وَلَوْ كَانَتْ فِي مُحَاجِرِهِ عُيُونُ الْبَحْرِ الوَاسِعَةِ. وَعَلَى لُغَةِ ابْنِ الْجَهْمِ<sup>3</sup> - عُيُونُ الْمَهَا<sup>4</sup> !!.

وَصَاحِبُ هَذِهِ النَفْسِيَّةِ حَسِيرُ النَّظَرِ وَلَوْ نَفَذَ بِتَصَرُّهِ إِلَى مَا تَحْتَ الرِّغَامِ<sup>5</sup>. وَشَاهَدَ مَا وَرَاءَ الغَمَامِ.  
وَارْحَمْتَ لِأَصْحَابِ العُيُونِ الضَّيِّقَةِ فَإِنَّهُمْ أَبَدًا فِي تَعَبٍ إِنْ رَأَوْا الأَشْيَاءَ كَمَا هِيَ وَإِنْ رَأَوْهَا عَلَى غَيْرِ مَا هِيَ...

لَأَتَّهُمْ إِنْ رَأَوْهَا كَمَا هِيَ جَرَعُوا الغُصَصَ. وَإِنْ رَأَوْهَا عَلَى غَيْرِ حَقِيقَتِهَا شَوَّهَتْ أَرْوَاحَهُمُ الصُّوَرُ  
المُشَوَّهَةُ الَّتِي دَخَلَتْ عَلَى أَرْوَاحِهِمْ.  
فَوَارْحَمْتَ لَهُمْ وَوَارْحَمْتَ لِلنَّاسِ مِنْهُمْ. وَمَا أَعْظَمَ فَضْلَ اللَّهِ عِنْدَمَا يَعْفُو عَنْهُمْ.

الشَّعِيرُ: 1937/7/6

1 الثَّاقِبُ: وَثَقَبَ رَأْيُهُ نَقَذَ وَهُوَ مُثَقَّبٌ كَمِنْبَرٍ نَافِذِ الرَّايِي وَالتَّجَمُّمِ الثَّاقِبِ المَرْتَفِعِ.

2 الكُلْفَةُ: وَالْكُلْفَاءُ لَوْنٌ بَيْنَ الشَّوَادِ وَالْحُمْرَةِ وَالْأَكْلَفُ الَّذِي كَلِفَتْ حَمْرَتُهُ فَلَمْ تُصَفَّ مِنَ الْإِبِلِ وَغَيْرِهِ وَالْكُلْفَةُ بِالصَّمِّ لَوْنُ الْأَكْلَفِ أَوْ حُمْرَةٌ كَثِيرَةٌ.

3 عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ: هُوَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ أَسِيدِ بْنِ أُذَيْنَةَ. كَانَ شَاعِرًا عَبَّاسِيًّا مَتَدِينًا مَجِيدًا عَالِمًا بِفُنُونِ الشَّعْرِ وَكَانَ خَصِيصًا بِالْمُتَوَكِّلِ. هَجَا الْمُتَوَكِّلَ فَتَفَاهَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَمَتَّيْنِ إِلَى خُرَاسَانَ.

كَانَ صَدِيقًا حَبِيمًا لِأَبِي تَمَامٍ وَلَهُ دِيْوَانٌ مِنَ الشَّعْرِ صَغِيرٍ وَهُوَ عَنْ شَهْرِ بَشْعَرِهِ وَوُجِدَ عِنْدَ الْعَامَةِ وَالْخَاصَّةِ وَلَهُ فِي الْغَزَلِ أَقْوَالٌ رَقِيقَةٌ عَنِيفَةٌ لَفْظًا وَمَعْنَى كَمَا يَوْجَدُ لَهُ فِيهِ أَيْضًا أَقْوَالٌ مَتَسِمَةٌ بِالْفَحْشِ وَالصَّرَاحَةِ كُلِّ الْإِتْسَامِ.  
تُوفِيَ فِي سَنَةِ 249 هـ فِي خُرَاسَانَ وَهُوَ بَرِيدٌ بَيْنَ بَالِسٍ وَحَلَبَ. (رَاجِعِ الْغَزَلَ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ الْأَوَّلِ - نَالِيفْنَا).

4 الْمَهَا: وَالْمَهَاةُ الْبَقَرَةُ الْوَحْشِيَّةُ جَ مَهَاً فِي الْأَصْلِ الْمَهَى تَحْرِيفٌ وَالصَّنَابُ الْمَهَا.

5 الرِّغَامُ: تَرَابٌ لَيِّنٌ أَوْ رَمْلٌ مَخْتَلَطٌ بِتَرَابٍ.

## نجيب وياب

في مثل هذا اليوم من السنة الماضية وقَفَ الموت والحياة يتصارعان.  
فقلت الحياة - لا تزال لي بهذا الرَّاقِد في السَّرير حاجة لأنه لا تزال للنَّاس به حاجة فدَعَه أَيْهَا الموت لي وللنَّاس.

فقال الموت - كُلُّ ما لَكَ أَيْهَا الحياة هو لي. لن يجْدِيكَ الحرص شيئاً وليس لك أن تردِّني عن أيِّ حيٍّ أريد أن ينتقل إلى مملكتي.

وكان الرَّاقِد في السرير يصحُّو حيناً فتظنُّ الحياة أنه قد رجع إليها. ثم يغفو طويلاً فيصفق الموت بأجنحته تصفيق المنتصر الظَّافر.

ذلك يوم ما كان أهوله. وما أنس ولا أنس كيف كان يحاول النَّجيب أن يتكلم فتمنعه وطأة الداء أن يتكلم. وكيف كنَّا نحاول نحن أن نتكلَّم فتعلَّق الألفاظ بالحناجر. وتطلُّ العبرات من المحاجر. ويضطرب الأمر علينا حتى نحسب كلَّ ما في الكون مشوشاً مضطرباً.  
ذهب النَّجيب وبقيت اللوعة عليه في قلوب بيته.

واستراح من أعباء الحياة ثقلها وخفيفها وكان لا يعرف في حياته للراحة معنى. فقد أصابته في السنوات الأخيرة من حياته ما عكَّر عليه صفو الحياة ولكنه كان برغم الداء الذي يعاينه لا يشكو ولا يتملَّمل كأنه يريد أن يعطي النَّاس أمثلة في الصَّبْر على المكَّار.

ولقد أنقضت سنة كاملة على وفاته ولا يزال أولاده وأصدقاؤه يشعرون كأنه توفي منذ أيام وبعضهم يذكره كأنه لم يمُت. وليس من عرفه إلا واشتوَّحش لغيابه.

كان غيوراً على أصدقائه، راغباً الخير للناس، حتى للذين لا يرغبون له الخير، وكان حسن البادرة، رفيقاً مُستملحاً حديثه، فالسَّمير التي تربط صاحبها بالفقيد أو اصر الأدب والنَّسب، تنشر اليوم صورته تذكراً لمرور سنة على وفاته وليست الصورة في الورقة غير ظلٍّ ضئيلٍ للصورة التي للفقيد في سويداء قلبي وقلوب جميع أهله ومحبيه.

السَّمير: 9/7/1937

## فتش عن المرأة

من أشهر الأمثال عند الفرنسيين قولهم «فتش عن المرأة» وهو قول اشتهر وشاع وردَّدته الألسنة والأقلام ولا تزال تردده كلِّما وقَّعت جريمة أو انقلب ملك عن عرشٍ أو تدحرج من قمة الشهرة زعيم.



وسبب اشتهار هذا المثل في فرنسا هو ما كان للمرأة في أيام الملوك والأشراف من التأثير في البلاط والقصور فقد جاء على فرنسا حين من الدهر كانت فيه مقدرات الأمة الفرنسية يديرها اثنان هما - المرأة والكاهن - . الأولى بما لها من الدهاء والثاني بما له من الشلطان .  
إنما هذا المثل الذي يجعل المرأة كالخمرة مصدر العثرات والزلات والشُرور لا يصدق فيها إلا عندما يذمّ الاعتكاف على الخمر . فإن العبرة ليست في الشيء بل في الطريقة التي يستعمله بها الإنسان .

قليل من الخمر يُفْرِحُ القلب . وَلَكِنْ كَثَرَتِهَا تُضَعِفُ القلب والعقل معاً .  
الخمرة في ذاتها غير مضرّة . وإنما إذا وُجِدَ مَنْ يَشْرِبُهَا وسيء شربها حصلَ الخطر وكانت التّبعة على الإنسان العاقل الذي لم يستطع مع عقله أن يتغلّب على تلك التي لا تعقل .  
أن المرأة كالخمرة على طول الخط ولكننا ضربنا هذا المثل لِنَرَفَع بعض التّبعة عن عاتقها في ما يُغزى إليها من الآفات ولا نعني بهذا المثل أنها مصدر التّكبات .  
لماذا يجب أن نلوم المرأة إذا مدّ شاب عنقه من النافذة وتمطّى ليشاهد فتاة جميلة سائرة في الشارع فسقط ودقّ عنقه؟

لماذا ننّحي باللام على المرأة إذا خسر رجلٌ غني ثروته من جرّاء إسراف زوجته وتبذيرها أليس هو مسؤولاً عن المال الذي يخرج من يده؟ !  
لماذا نعزو إلى المرأة كلّ الشر وننسى الرّجل وهو شريكها في كل ما يقع من الأمور التي نحسبها شروراً .

ولماذا لا نخصي لها الحسنات مثلما نخصي عليها السيّئات ونضع هذه في كِفّة وتلك في كِفّة الميزان الأخرى ليحصل لدينا حكمٌ عادل لا حيف فيه ولا جنف .  
إن الذين ينظرون إلى المرأة من وراء هذه الزجاجة الحمراء لا يرون إلا ناراً محرقة ولكنهم إذا رفعوا الزجاجة الحمراء رأوا النور المتألّق . ويحسنُ بهم أن يروه . لأنّهم بحاجة إليه . أمّا إذا سقطت الزجاجة الحمراء وبقيت المرأة التي ينظرون إليها لهيباً لا ذعاً . فيجب أن يعملوا على الوقاية من هذا اللّهب وأن يحصروا سخطهم بهذا النوع الشرير من النّساء .

السّمير: 12 / 7 / 1937

## إلى أمّ العواصم

في آخر هذا الأسبوع ينطلق مُنشئ «السّمير» من بين المحابر والأقلام ويخرج من أكبر عاصمة للمال في الدّنيا إلى أجمل وأفخم عاصمة في العالم من نيويورك إلى واشنطن .  
من المدينة التي يشيد فيها دهاقنة المال هياكل عظمتهم إلى المدينة التي يكتب فيها أساطين السياسة

أسماءهم في سجلّ المجدد.

وليست هذه أول مرة يزور صاحب «السّمير» ربّة البوتوماك فقد زارها السنة الماضية في شهر تموز وقضى فيها بضعة أيام كانت ألذّ من أحلام الشّباب وأطيب من سنة الكرى. وكان الباعثُ على زيارته إيّاها قومياً كالباعثِ الذي يحمله على زيارتها هذه السّنة. فقد جاءته دعوة من عمدة كنيسة القديس جاورجيوس الأرثوذكسية لحضور المهرجان الكبير الذي تقيمه يومي السبت والأحد القادمين.

وكانت قد جاءت دعوات كثيرة من جمعيّات وأفراد في أوقاتٍ مختلفةٍ ومن ولاياتٍ متعدّدة ولكنّه لم يتمكّن من تلبية أيّة دعوة في الشهور الماضية بالرّغم من حنينه إلى الأصدقاء الذين يحثّون إليه. وبالرّغم من إعتقاده أنّ من واجب الصّحافي أن يمتزج بالجماهير ليقيف على أحوالها ويعرف مواضع الحسن فيها فيشير إليها ليتردّد منها. ومواضع القبح فينبه عليها لتعرض عنها. فإنّ واجب الصّحافي خارج مكتبه كواجبه في مكتبه. والتّبعة التي يشعر بها نحو النّاس وهو منفرد وحده.

سيذهب صاحب «السّمير» إلى واشنطن ويحضر مهرجانها لا للترّهة ولا طلباً للرّاحة وإنّ تكلّف حاجته إليها شديدة بعد الجهاد المضيّن الذي نصّب نفسه له. ولكنّه ذاهب لمواصلة الجهاد الذي يجب أن يستمرّ في سبيل تغليب الحسّن من المبادئ على غير الحسّن. ونشر التعاليم القويمة المفيدة ما اتّسع لها المجال وأعانت الوسائل والظروف. فكلّما انتشر النور تقلّص الظلام. وكلّما أكثرنا من زرع الورود في أرض قلّ الشوك والعوسج. وحبّبتنا إلى النّاس رؤية الزّهر.

هذه عقيدتنا التي نتمشّي عليها في حياتنا الصّحافية ولا نبالي على أيّة عقيدة يتمشّي سوانا فكثيرون لا يهنأون ولا يطيب عيشهم إلا إذا أسدّلوا البراقع السوداء على أبصارهم لإعتقادهم أنّ النور يؤذيهم!

وكثيرون يحسّبون الحياة هواً ولعباً لأنّهم لا يدركون أنّ العلى لا تبلغ إلّا على جسرٍ من التّعَب والمشقّة.

سنكون في واشنطن العاصمة لتتّصل بقومنا وبها في العاصمة من مظاهر سنّة للمبادئ السّامية التي كانت الدّعائم لهذه الجمهورية العظيمة - وسنفكر لأنفسنا ولقومنا ونقول ونعمل على قاعدة تغليب الجمال على القبح. والخير على الشرّ. والالفّة والوثام على التفريق والخصام. ونرجو أن تساعفنا الظروف فنتمكّن من القيام بجولة في ما وراء عاصمة البلاد من ولايات ونحقّق آمال الأصدقاء التي هي آمالنا. إن شاء الله.

السّمير: 28/7/1937

## عن الطريق

أمران يجد فيهما الإنسان لذّة وغبطة.

الأول - عندما يتسنى له أن يؤدي إلى شخص آخر فكرة تتلجّج في نفسه أو يعلن خاطراً يجول في رأسه.

والأمر الثاني - عندما يسعده الحظ بالإصغاء إلى رجل يؤدي إلى الناس فكرة جديدة قيّمة أو يذيع رأياً ناضجاً.

في كلا الأمرين مجلبة للإرتياح والغبطة. وكلا الأمرين كثير الحدوث في زماننا لأنه زمان صريح لا يعرف الكتمان.

وإنما هناك حالة ثالثة هي فوق الحالتين. أي حالة التحدّث إلى الناس وحالة الإصغاء إلى المتحدّثين من الناس. وهي حالة التأمل التي يجد المرء نفسه فيها عندما ينتقل إلى مسارح الطبيعة حيث تطلّ معجزة مع كل ورقة مترنّحة وزهرة فوّاحة وقطرة لامعة وغيمة سارية ونجمة متألّقة.

فللورقة الخضراء التي نبّت في الغصن ولم تكن فيه حكاية مدهشة تقصّها على الرائي وهي صامتة. هي حكاية الخلق والتكوين.

وللزّهرة التي كانت سرّاً مضمرّاً خفياً فصارت كياناً يرتعش للنور والندى والنسيم قصة أعجب وأغرب.

وكذلك لقطرات الندى. التي تلتصق فوق العشب الأخضر كالأليء مبعثرة على بساط من سندس. أحاديث يبلغ صداها إلى قرارة النفوس الشاعرة وإنّما لم ينطق بها لسان. وهكذا الغيوم التي تتلبّد وتتبدّد.

أمّا النجوم فكم تحدّثت من قبل للقرون الخالية وكم تتحدّث كل مساء إلى الناس كلّما رفعوا إليها أبصارهم. ولا تزال على طول العهد بها تبدو للناس كلّما نظروا إليها كأنّها تولد كلّ ليلة.

ويشعرون هم لا اختطافهم بجلالها وجمالها كأنّهم قد ولدوا من جديد... لقد رأيت في طريقي إلى واشنطن كل هذه الأوراق الخضراء والزّهر الأنيق والندى اللامع والغيوم السّارية. والنجوم الأزلية.

وكنت كلّما تأملتّها ازدّدت لها حبّاً كأنّ بيني وبينها مودة قرّبي كانت مهملة من قبل منسيّة.

وكنت وأنا أتأمل أعجب للعقل الأكبر الذي من وراء هذه المشاهد العجيبة التي فيها كثير ممّا في الناس من حالات وأطوار.

من ذلك أنّك ترى العشب ينبت في مكان تدوسه الأقدام رائحة جاثية فيذبل ويحف ثم يعود

فينبت في المكان ذاته . فما أشبهه بالناس الذين ينون منازلهم من الخشب والحجر والطين على ضفاف الأنهر التي تغطي أو البراكين التي تثور .

فكم هدم الماء الطأغي بيوتهم ودمرت البراكين منازلهم ورجعوا بعد الكارثة يشيدون مساكنهم من جديد حيث دهمهم الطوفان أو باغتهم البركان .

يقولون أن النبات لا يعقل ولكن ما بال الناس ؟ أهـم أيضاً لا يعقلون ؟

أم أن الثواميس تسري على العاقل وغير العاقل بالسواء ؟

بلغت العاصمة الجميلة أنا والرفاق عند أصل السبـت . وهي المدينة التي أبدع الإنسان ما أبدع في تنسيقها وتنظيمها وتجميلها وترتيبها وبقيت فيها ملاحاة القرى وروعة الحياة في القرى بالرغم من الزحام . وسأوفي القراء بما رأيت فيها وسمعت في المقال القادم .

السـمير : 4 / 8 / 1937

## في مدينـة واشـنطون

يجيء المرء إلى واشنطن وهو يعتقد أنها عاصمة السياسة فلا يكاد يجول في شوارعها وحادائقها ويشاهد منازلها وحوانيتها ومسارحها ويزور الدوائر الرسمية وما هنالك من أنصاب وتمائيل حتى يتضح له أنها عاصمة الفن والجمال أيضاً .

إلى هذه المدينة تتجه قلوب مائة وثلاثين مليوناً من الناس لأنها هي القلب الذي يوزع الدم في شرايين البلاد . فمن هنا تخرج الشرائع والقوانين والأنظمة التي يسنها ممثلو الأمة لتوفير السعادة والرفاه للأمة .

تتجه القلوب والأرواح إلى هذه المدينة كأنها فيها قبر نبي أو مهند مسيح . ولم يظهر في الولايات المتحدة نبي ولا مسيح . ولكن ظهر فيها رجال مصلحون وأبطال مجاهدون ومفكرون عظماء وهم الذين تتعبد لهم الأمة التي تحصد اليوم ما زرعوا هم بالأمس وتمشي مطمئنة في مسالك الحياة الحرة بفضل اولئك الأبطال الأحرار والمصلحين الأبرار .

ولأصيف للقراء مدينة واشنطن وإن كان الوصف لا يغني عن المشاهدة والعيان .

شوارع متسعة فسيحة أنيقة نظيفة تقوم على جانبيها منازل جميلة البناء والهندسة والتنسيق لا يشمخ منزل على منزل ولا يزحم بناء كبير بناء صغيراً . بل تكاد تكون في أكثر التواحي متساوية كأسنان المشط . وكل بيت يطل على الفضاء . وتطل عليه الشمس . وفي أي شارع سرت فانت تسير بين صفين من الأشجار الوارفة التي تصد عنك أشعة الشمس وإن كانت لا تحجب عنك الفضاء الرحيب .

وفي واشنطن مثل ما في كل المدن من وسائل السير والنقل كالترام والتلفون والتلغراف ولكثك

لا تشاهد في الفضاء سلكاً ممدوداً ولا عاموداً يحمل في رأسه الأسلاك لأن هذه كلها مدفونة في الأرض كأنابيب الماء.

وإذا وقفت في الكابتول وتأملت المدينة من ذلك العلاء الشاهق لاحت لك الشوارع تتفرع من الكابتول كما تنبت الأشعة من النجمة فكل الشوارع الكبرى تنتهي إلى الكابتول. كما تنتهي أضلاع الدائرة إلى قلب الدائرة.

يحسنُ بكلِّ إنسان أن يزور مدينة واشنطن وليشاهد عظمة الديمقراطية وجلالتها وساحتها ويطلع التاريخ الأميركي في آثارها ورموزها. وإنما أحسن الأوقات لزيارتها كل وقت إلا الصيف لأن الحر يشتد فيها برغم ما فيها من شجر واريف.

السَّمير: 6/8/1937

## أخر ورقة

عند الساعة الثانية عشرة من هذا المساء يتزعج الناس آخر ورقة من الروزنامة ويطرخونها إلى الأرض. فيلظظ عام 1937 آخر أنفاسه.

يتزعج الشيخ هذه الورقة الأخيرة التي كانت تحت 365 مثلها ويداه ترتعشان وقلبه تتسارع دقاته. لأنه لا يقدر أن يستنقِها وهو يتمنى لو أستطاع أن يُوقف الزمان عن المسير. يرتعش لأنه يعلم أن الزيادة في أيامه نقص في قوته.

لأنه يتلاشى مع كل ساعة تتلاشى.

لأن الشيخوخة كآبة ووحشة وعجز...

لأنه وقد انحطت قواه وثقلت خطاه أصبح يشعر بمرور الزمان السريع وركضه.

لأنه وقد خارت عزيمته وذهبت نضارته واشتعل رأسه شيباً ويُلِيَتْ ديباجته أصبح يشعر ببطش

الوقت الجبار وبأسه وقساوته واستبداده.

لأنه يعتقد مع الشيخ ناصيف اليازجي أنه قد صار «كالظل تحت الشمس يمشي القهقري».

لأنه يؤمن بحكمة المتنبي البليغة:

إنما المرء صيحة وشبابٌ فإذا ولّيا عن المرء ولّى

لأنه يرى وراء تلك الورقة شبح الموت المخيف الرّهيب ولكنه مع هذه كلها لا يستطيع إلا أن ينزع

الورقة الأخيرة!

أما الفتى الممتليء عافية ونضارة وأملًا فإنه ينزع تلك الورقة وهو مهلّل طروب ينزعها لأنه يشعر

أن الوقت يسير بطيئاً مُمَهِّلاً.

لأنَّه يطمحُ ويشتاق إلى معرفة ما في الغد لأنَّ المرءَ ولا سيَّما الفتى تَوَّاق إلى الإستطلاع والوقوف على المجهول المحبوب ..

لأنَّ الشبيبة تحب العِثَّ حتى بطرة الزَّمان الجبَّار .

لأنَّه لا يعلم أنَّه يسير مع الزَّمان السَّائر ولا يريدُ أن يعلم !

لأنَّه يعتقد أنَّ المستقبل له .

لأنَّ الأَشباح التي تراءى له وراء الأفق جميلة ساحرة .. وهو يحب الجمال ويشتهويه السَّحر .

لأنَّه يحسب السنين واقفة حازما بينه وبين الشُّهرة . والعظمة . والثروة . والسَّعادة . والحبيب الذي

يهوى . فهو يفرحُ كلِّما سقط حَجَرٌ مِنْ هذا الشُّور .

لأنَّه في أوَّل الطريق وكلُّ مسافرٍ يكون في أوَّل الطريق سريع الخطى كبير الثقة عظيم الرِّجاء .

لأنَّه يحسب العمر كله شباباً . والحياة كلها لذات ولا يحسب لطائرات الليالي حساباً .

ينزع آخر ورقة ويستحثُّ الزَّمان ويستعجله إلى أمانيه . والزَّمان لا يحتاج إلى سائق ولا حاد .

ولكن الشباب كثير الغرور كثير الأحلام !

وبين الشيخ الذي ترتعش روحه ويدها والفتى الذي ت برق أسرته وعينه . يسمع في جوف اللَّيل

هاتف يقول :

أَوَاهِ لَوْ عَلِمَ الشَّبَابُ      وَأَه لَوْ قَدَّرَ الْمَشْرِيبُ

لحرق العام في هاوية الأبدية التي      لا قِـاعَ لَهَا .

أترأه علم مصيره حين جاء ؟

أتدرك الشمس عند طلوعها أنَّها للغروب ؟

أتعلم الوردة الفيَّاحة أنَّها للذُّبول ؟

أتدري الكائنات مصيرها ؟

وهل أمَّحى حقاً أم أنَّه لم يَمُحْ إلا في الروزنامة ؟

الحياة سلسلة مُتَّصِلَةٌ غير مُفَصَّلَةٌ فلا تبك على العام الفائت بكاءك على ضائع . فهو باقٍ فيك وما

أفكارك سوى بناته وابنائهم . والدُّنيا بعده مثل الدُّنيا قبله . شباب وآمال وشيخوخة وهُموم .

ذهب العام وَلَكِنَّ الشَّمْسَ التي كنت تستقبلها فيه عند الشُّروق وتودعها عند الغروب لا تزال

فوق رأسك تغمرُك بنورها ..

إذا شئت أن تبكي فليكن بكائك على الفرص التي ضيَّعتها فيه أو على غلطات ارتكبتها . لعلَّك

تغسل نفسك بالدُّموع مِنْ أذرائها وتتجدَّد قواك فتتمكَّن مِنْ انتهاز الفرص التي تعرض أمامك في العام

الجديد وَمِنْ إِصْلَاحِ أَغْلَاطِكَ الْمَاضِيَةِ .

العام الجديد يُحْيِيكَ مُبْتَسِماً فَحَيِّهِ مُبْتَسِماً !



لا تنظر إلى الأظلال السوداء التي وراءك . بل إلى النور الذي أمامك .  
إن قلبك سماء صغيرة جميلة فلا تحجب نُجومها بالغيوم .  
إن قلبك مملكة فليكن فيها النظام مُستتباً والراحة مستقرّة .  
النجوم تبسم لك من عل والنسيم يعانقك  
والشمس تغمرك بأشعتها والطيور تغني لك  
والأغصان ترقص لتستهويك والسواقي تهزج لتُسليكَ  
فأضحك مع النجوم وترنح مع الغصن  
وافتح رُوحك لأشعة الشمس واهزج مع السواقي  
ما مضى فات والمؤمل غيب  
ولك الساعة التي أنت فيها  
وكل عام وأنت بخير .

السَّمير : 31 / 12 / 1937

## مُهم أن تطالع ولكن أهتم مِنْهُ كيف تطالع

إذا كان القول الفرنسي المأثور «مَنْ كَتَبَ فسيكتب» صحيحاً فما أجددنا أن نقول «من قرأ فسوف يقرأ» لأن اللذة التي يجدها المرء في المطالعة ليست مِنَ اللذات التي تتكرّر على وتيرة واحدة ليضجر مِنْها القلب ويزهد فيها العقل . فانت كلما طالعت فكرة جديدة حصلت على لذة جديدة وكلما قرأت كاتِباً مفكراً تعرّفت إلى صديقٍ ورفيقٍ وعشيرٍ ومُعلّم .  
قالوا : «من كتب فسيكتب» ولكن القول لا يصدق إلا في الكتاب الذين يحملون في قلوبهم رسالة علويّة<sup>1</sup> إلى المجتمع فهم يكتبون لكي يؤدّوا هذه الرسالة . بل قل لكي يريحوا أرواحهم ممّا يتلجّج فيها مِنَ الحنين إلى رؤية الفكرة التي في رؤوسهم صورة تطالعها العيون وتشربها الأفهام .  
أما الذين لا رسالة عندهم يؤدّونها إلى زمانهم وناس زمانهم فهؤلاء لا يحسنُ بهم أن يكتبوا . لأنهم لن يفيدوا محيطهم شيئاً ولا تكون النتيجة غير قتل وقتهم وتضييع أوقات الناس في غير طائل .  
وإذا وجدت أناساً ينصرفون عن المطالعة بعد إقبالهم عليها فاعلم أنهم ما قتل الشوق فيهم إلى المطالعة إلا وجود كتاب بلداء ظهرُوا في وسطِ نامٍ فيه الكتاب المفكّرون أو تأخّر ظهورهم !  
وأن الكاتِب السَّمج البليد ليتمسّخ أذواق الناس إذا هم لم يتجنّبوه قبل أن تتسرّب سماجته إلى

1 العلي : أعلى مكان وأعلى درجة ج . عليّون .

نفوسهم وعقولهم.

وإذا أنت تبتغت سير عالم الأدب وجدت أن أذواق الناس في الأدب قد ارتقت في الزمن الأخير ارتقاءً كبيراً. والسّر في ذلك هو تكاثر عدد الكتاب المفكرين ذوي الرسائل الواضحة في الحياة والفكر الجليلة السنية التي يصبونها في قوالب من البيان رائعة وخلابة تحبب المطالعة إلى الناس حتى الذين بهم زهد في المطالعة.

وإذا أردت أن تعرف كيف بلغ هؤلاء الكتاب المفكرين منزلتهم العالية في خلق الفكر وأبداع الصور. وكيف ملكوا ناصية البيان ورؤضوا أوباد اللغة وصفت أرواحهم ورقت أساليبهم. فأعلم أن لذلك سبباً واحداً هو:

### المطالعة

وليست المطالعة أن تقرأ كل أسود أو أبيض. فهذا النوع من المطالعة يضر أكثر مما يفيد. فكن على بينة من المؤلف الذي تقرأ له وأحسن اختيار الجريدة التي تطالعها. وحينما تبدأ في المطالعة هيء لها ذهنك فلا تقرأ وأنت مشغول بأمر آخر ولا تخف أن تجادل الكاتب الذي تقرأ له شيئاً. وبكلمة أخرى جرب أن تقول في نفسك: لماذا يجب أن يكون الأمر كما قال هذا الكاتب ولا يجب أن يكون على خلاف ما يقول.

ثم قابل بين الوجهين وكن عندما تحكم للكاتب أو عليه عادلاً منصفاً في حكمك لأنك إن ظلمته أسأت إلى نفسك ورسخ في ذهنك اعتقاد مغلوط يجب أن يصحح. وفكرة عوجاء يجب أن تقوم. إن الإنسان الذي يطالع هو الذي يستفيد أكثر من سواه. إننا المطالع الذي يمحّص ما يقرأ ليستفيد ويقيّد سواه.

فكن هذا المطالع الممحّص أيها القاريء وأعلم أنه إذا كان من المهم أن يطالع المرء فإن الأهم منه أن يعلم كيف يطالع ولماذا يطالع!

السّمر: 1/3/1938

## مار نقولا وصاحب السّير

في الحياة مصادفات غريبة تعود بالطبع إلى أسباب خفية عن المدارك فيعلّلها الإنسان إمّا تعليلاً جيلاً وإمّا تعليلاً غير جميل طبعاً<sup>1</sup> لنتائجها من خير أو شر.

منذ تحرّرت كاثدرائية القديس نيقولاوس من الديون وقامت الإصلاحات فيها وفي قاعتها التي

1 الطبق المطابقة.

صارت من أجمل القاعات بفضل الأسخياء المحسنين والأغني تنظر إلى جدران الكائذرائية وتشتاق لو مرّت بها فرشاة الدهان ليتم جمال الكائذرائية.

وظلّت هذه الأمانة تتلجّج في الصدور حتى هبّت جمعية حاملات الطيب تجمع التبرّعات لهذا المشروع فاكبرنا همّها ورأينا أن نكون من مُشجّعِيها فتبرّعنا لها بخمسة دولارات.

ومرّ بنا صديقنا الشاعر توفيق فخر فسلمناه حوالة بالقيمة ليضمّها إلى المال الذي يرسل إلى أمانة صندوق الجمعية السيدة ليديا تادروس. كما سلمناه حوالة أخرى بدولارين لجمعية السيدات الخيرية تبرّع بهما صديق للسّمير في ولاية لوزيانا بعد أن قرأ مقالنا «أم البائسين».

ثمّ ذهبنا إلى مطعم الأهرام لتناول العشاء فما كدنا ندخل حتى رأيت صديقاً يحيني من بعيد وهو السيد خليل النعيمي فاقتربت منه مُسلماً وإذا به يعرّفني إلى رجل أميركي فما كاذ الأميركي يعرف أن «السّمير» جريدة يومية حتى دفع إليّ إعلاناً صغيراً وناولني عشرة دولارات، أجرة الإعلان.

وجلست بعد ذلك وصديقي توفيق نتحدّث فلمّا أخبرته خبر الرجل الأميركي. قال - لو لم نأت في هذه الساعة إلى المطعم لما اجتمعنا بالرجل. ولولا ما نقولا ما جئنا في هذه الساعة إلى هنا.

قلت: إذن أنت تعتقد أن هذه النتيجة بنّت تلك المقدمة!

قال: إن لم يكن هذا اعتقادي فهو إستنتاج صادق وتعليل صحيح..

قلت: ولكنني أخشى أن أصدّق تعليلك لأنّه يجعلني مديناً<sup>1</sup> لمار نقولا بهذه العشرة دولارات التي أخذتها من أميركي لا يعرف من القديسين غير سانتا كلوز.

قال توفيق: وهذا هو الذي نعرفه.

قلت: ولكنني أظنّ أن لمار نقولا شريكاً في الفضل!

قال: من هو؟

قلت وأنا أبتسم: مار توفيق الذي زارني هذا المساء!..

السّمير: 9/3/1938

## الشعر والحياة

استفتت إحدى المجلات المصرية بعض أكابر الكتاب في مصير الشعر فكان أكثرهم مُشائياً يزعم أن الشعر قد دخل في طور الإنزاع أمام عوامل الحياة الجديدة.

وهذا رأي سبق أن بسط غيرهم مثله من قبل فلم يكن بالرأي السديد لأنّه رأي أناس همّدت في قلوبهم حركات الهوى وغابت عن عيونهم البواعث التي تخلقه فيهم.

1 ودان فلان دينا اقترض فهو دائن بمعنى مدين.

يدوم الشعر ما دام الكلام. والكلام باقٍ ما دام في قلب الإنسان رغائبُ وأشواقُ يشقّيه أن يعلنها أو يصوّرَها إمّا لشخصٍ ما أو لذاته.

وإذا كانت الحضارة الميكانيكية الحديثة قد بدّلت الإنسان من منزله ولباسه وطعامه وشرابه. فهي لم تبدل الليل ولم تغيّر وجه الفجر. ولا سلّبت الصيف نجومه وأزهاره وجداوله. والشتاء رعوده وبروقه وثلوجه وأمطاره.

إذن ما دامت البشرية ذكراً أو أنثى. وما دام للرجل إلى المرأة حنين. وله بجهاها وعذوبتها هيام. وما دام الليل ينسدل في الأرض على عاشقين.

وما دام القلب ينبض ويخفق بدون محرك ميكانيكي.

وما دامت الطير تغني. والجداول تترقّق والأزهار تصطبغ بألوان الشمس وتنشر طيوبها مع النسمات.

ما دامت هذه كلّها فسوف يظل في زاوية من الأرض شاعر تلمس قلبه يد الآلهة فينبع سحراً أو شعراً أو خمراً يصبها في كأس من الألفاظ فتدور على الناس فيشربونها وكلّهم يحسب أنها معصورة من روحه.

لا. ليس الشعر في طور الإنهزام وإنما الذي يزول ويضمحل هو الكلام الذي يعرض على الناس في زِيّ الشعر دون أن يُترجم عن شيء في نفس قائله أو في نفس أي لسان...

وهذا النوع من الكلام ينقرض ويتلاشى لأنّ الأفهام تأتي أن تتغذى به بعد أن ثبت أنّه لا يحرك قلباً ولا شيئاً في قلب. ولا يروّض عقلاً ولا يهزّ روحاً.

إنّ الحياة ذاتها شِعْر فعندما تتعطل الحياة يبطل الشعر.

السّمير: 11/3/1938

## لنزرع جميلاً ولو في غير موضع

نريد أن نخالف صاحب هذه النصيحة فنقول إنّ كلّ موضع هو موضع الجميل والمعروف حتى في المكان الذي يظنّ الكثيرون أنّه غير مكانه.

فمن يصنع الجميل ويتوقّع أن يرجع إليه كلّهُ أو بعضهُ لا يكون إحسانه كاملاً أو بالأحرى لا يكون فهمه للجميل تاماً.

ماذا عليك إذا تصدّقت على فقير رأيته في الطريق إن اشترى بدرهمك فنجان قهوة أو اشترى به كأس جعة<sup>1</sup>.

1 الجعة نبيذ الشعير والقمح.

أما كفى أنه مدَّ إليك يده واستجذأك؟

أما كفى أنه وقف منك موقف السائل المستجير بك؟

قد تقول: إنك وهبته درهمك لأنه جائع أو عطشان أو مقرر أو شريد. فإذا صرفه في غير هذه الحاجات يكون قد كذب عليك وخدعك وغشك وصرف درهمك في غير القصد الذي قصدته.

حسن كلامك ومعقول ولكن أنسيت تلك الغبطة التي شعرت بها عندما مددت يدك إلى جنيبك وأنت تقول في نفسك: إنه جائع وأنا في وسعي أن أطعمه. وإنه عطشان وفي قدرتي أن أسقيه. وإنه شريد وفي إمكاني أن آوئه.

ألا تساوي هذه الغبطة وإن لم تعمّر طويلاً ذلك الدرهم الذي لو بقي معك لَمَّا زاد في غبطتك ولا في صحتك ولا في قوتك؟!!

نحن في مهمتنا الصحفية نحاول أن نكون مُحسنين لا بالفضة ولا بالذهب. ولا بالكساء ولا الغذاء. بل بما يعود على النفوس بالغبطة والمسرّة والفوائد الروحية.

ولكن بعض الأحيان نلقى من بعض الناس ما جعلنا نشعر شعور الرجل الذي بذل درهمه فصرف لغير الغاية التي وهب من أجلها. فنكاد نحزن لأن ما أرسلناه بركة قد رجّع إلينا لعنة!

غير أننا لإيماننا بأن العمل الطيب كالنور لا يفسد حتى في المكان الموبوء. لا نوبّخ الذي يسيء فهمنا أو يسيء استقبال عاطفتنا بل ننقلب إلى الإشفاق عليه لأنه لم يحسن الأخذ عندما أحسن غيره العطاء. ولكن حتى هذا لا يمكن أن يقال عنه أن الجميل الذي أسدي إليه قد زرع في غير موضعه لأنه إذا كان هو لا يرى فغيره يرى. وسيأتي يوم تنفتح فيه عيناه وتستيقظ روحه فيدرك أنه كان مُسيئاً والفضل في هذا الإدراك يعود إلى هذا الجميل الذي زرع عنده فلم يثمر إلا بعد زمن طويل.

إذن كل مكان صالح لزراعة الجميل مثلما كل مكان صالح لدخول النور النقي إليه وإن لم يكن هناك عين تلذ بالنور.

فلا تأسفن على جميل زرعتُه وخِلت أنه ضاع. فالجميل لن يضيع أبنا زرع. وهذا أصدق ما قاله شاعر حكيم.

السّمبر: 15/3/1938

## كتاب الحياة

عمّا قريب تنفتح في كتاب الحياة صفحة غير جديدة لأنك قد رأيت مثلها من قبل. ولكنك ستراها جديدة عندما تطل عليها أو تطل هي عليك.

نحن الآن في فصل الربيع وقد بدأنا نشق رائحته في الهواء ونلمس روحه في كل ما حولنا من

الكائنات. فهو يطلُّ علينا من الأشجار خضرة. ومن السماء صفاء. ومن النجوم سناء. ومن الجدَّاء أول خريراً. ومن السِّنة الطَّير أناشيد. ومن كلِّ شيء بهجةً وحُبوراً.  
إنَّ في الأرض يقظة لا شكَّ أنَّ في نفسك مثلها لأنَّ ما يؤثر في الشَّجرة والزهرة والجدول يؤثر فيك وإنَّ خالفَ الشكلَ الشكل.

ستجدُ نفسك عمًّا قريب مشتاقاً إلى الإنفلات من المكان الذي أنتَ فيه إلى البرية أو الجبل أو الشاطئ. وستلقَى حينها سرِّتَ آيات فائتة. وصوراً خلافة. هذا إذا فتحتَ عليها عينيك ولم تقفلْ دونها باب روحك. فكثيرون يمرُّون بهذه المفاتين في الرَّبيع والصَّيف وكأنَّهم لم يروا شيئاً لأنَّهم لا يعرفون كيف ينفصلون عن عاداتهم وأطوارهم فيعملون وهم في حضن الطَّبيعة كما يعملون وهم في المدينة في البيوت والملاهي والمجمعات.

ثمَّ يرجعون وهم لم يقرأوا من كتاب الطَّبيعة سطراً ولا وعَت أرواحهم من معانيه معنى.  
إنَّ الله في كلِّ شيء آية وفي كلِّ آية للمُتأمل المتبصِّر عظة بالغة.

فإذا كان قد فاتك من قبلُ أن تقرأ الآيات وتفهم العِظَات فلا تدع هذا الأمر يفوتك من بعدُ.  
اقترب من الطَّبيعة بروحك وعقلك مثلما تقترب منها بجسدك عندما تنتقل من المحيط الذي صنَّعه النَّاس إلى المحيط الذي صنَّعه الله.

ورَوْضُ عقلك على تفهم ما ترى مثلما تروِّضُ جِسْمَكَ فإنَّك لتستفيد من معاشرَةِ الشَّجر والزَّهر والطَّير والماء أكثر مما تستفيد من معاشرَةِ النَّاس. لأنَّ هذه لا تُخادِعُك ولا تَمَكُّرُ بك ولا تصحبك لما رُبَّ تطلبه عندك أو لحاجة تريد أن تقضيها بواسطتك.

فإنَّها هناك وإن لم تكن أنتَ هناك. ولا يزيدُها قربك منها جمالاً كما أنَّها لا تقبح إذا بعدت عنها.  
ولكنَّ أنتَ الذي تستفيد جمالاً وقوَّة وحِكْمة كلِّما تعمَّقت في درسيها وأوغلت في صحبتها. وكُنْتَ على بصيرة من أمرك وأمرها.

لا تقلَّ هذا كلام شاعر بل تدبَّر الأمر بعين الرويَّة ليسهلَ عليك عندما يحويك اللَّيل على شاطئ أو في جبل أن تعرف كيف تلذَّ بالصَّمت الذي يغمرُ الآفاق وتجدُّ لذَّة أن تستيقظ عندما يستيقظ الفجر فتترنَّم مع الطَّير عند طلوعه.

فإنَّك إن فَقهْتَ كيف تصحب الرَّبيع وكيف تدعوه إلى روحك حينما يدعوك هو إلى حماه ويعرض عليك بدائعه. أدركتَ حينئذٍ أنَّ ساعة واحدة على تلك الحالة خيرٌ من أعوام تقضي في حالة سواها.  
فترَوِّدُ سُوَيْعَات قليلة جميلة تعينك على الأيَّام والشُّهور التي تتضايق الرُّوح في طَيَّاتها ومثانيها.  
اقرأ كتاب الحياة المفتوح أمامك. اقرأ بعلم واحفظ معانيه بفهم.



## كيف يُعلِنُ الكاتبُ نفسه

ما رَسَمَ فنَّانٌ صورة. ولا أنشأَ كاتبٌ مقالاً. ولا رَوَى مُحدثٌ حكاية إلا ورأيتَ في ما رَسَمَ الفنَّانُ خيالَ نزعاته. وفي ما أنشأَ الكاتبُ مثلاً لتصوراته. وفي ما رَوَى المُحدثُ حكاية ذوقه أو قصة حياته. إذن فالكاتب - والأحسن أن نقتصرَ على الكاتب - يعرض نفسه في ما يعرضه على النَّاس وهو يدري أو لا يدري. فإذا كان سقيم الذَّوق ظَهَرَ هذا السَّقَمُ في ما يطرَّحه قلمه على القِرطاس مِن الكلمات التي يصرفها إلى غير معانيها. فيتَّسع المجال عليه للتأقيد فتسمعهم يقولون - ما كان أغناه عن هذه العبارة. وما كان أجدره أن يستعمل هذه الكلمة بدل تلك فقد أفسدَ المعنى الذي أراد تأديته.

كاتبٌ مثل هذا يُعلِنُ نفسه كاتباً رديئاً سقيم الذَّوق قليل الخبرة بالكلام. وقد تنطوي أحياناً تحت كلام الكاتب الركيك فكرة جديدة جميلة فيُعذَّر ويُسكَّر. ونمحو هذه الحسنة السيئة. أمّا إذا أجمعت الركاكة في التعبير والعقم في التفكير في كاتب فصاحبها لا يُعلِنُ نفسه للنَّاس كاتباً بل يدمغُ جبينه بأنَّه رجل يزجُّ نفسه بين رجال القلم على غير أهليَّة ولا استحقاق. ويكون مثله كمثل الذي لم يُخلَق ليكون رساماً ويحاول أن يكسبَ مِنَ الدُّنيا لقب رسَّام ولو جاءه مِن أفواه الصبية.

والصحافة على ما نعرف ويعرف الكلّ. هذه الصحافة التي يزاولها اليوم أناسٌ لم يُخلَقوا لها. تقوم في الدَّرَجَة الأولى - لا على المطبعة ولا على الحروف ولا على الآلات - بل على فنِّ الكتابة الذي يمكن تعريفه بأنَّه فنُّ تأدية الأخبار والأفكار إلى النَّاس في صورة لا زيفَ فيها ولا عوج ولا التباس ولا غموض. لأنَّ الكاتب إن لم يحسن تأدية أفكاره تصعبَ على النَّاس أن يُحسِنوا فهمها. وإذا لم يفهموا ما يعني ضاعَتْ جهوده كُلُّها عبثاً وكان كأنَّه لم يكتب!

والكتابة كما يعلِّمُ مُعالِجوها ومُمارسوها فنٌّ دقيق ولا سبباً في اللُّغة العربيَّة التي يمكن أن يُقال: إنَّها رسمٌ وموسيقى وكتابة في وقت واحد. فأشكال حروفها نوعٌ مِنَ الرسم. وأوزان كلماتها نوعٌ مِنَ الموسيقى. ولعلَّ هذا هو السرُّ في كثرة الشُعراء عند العرب فإنَّ نبرات مفرداتها وتجانس الكثير من كلماتها يحرك النَّفس فتجيشُ فيها عوامل الطَّرب فتندفع تشدو وتغني.

فإذا رأيتَ كاتباً لا تُضجِكُ كلماته. ولا تُغني عباراته. فاعلم أنَّه مكدود الذَّهن خامد القرينة ذابل الرُّوح. وكاتبٌ كهذا يجب أن يتحاشاهُ القارئون لأنَّه يجلب إلى نفوسهم الملل والسَّأم. وربما أفسدَ ذوقه السَّقَم أذواقهم الصَّحيحة.

فقلْ لذلك الذي يبحث عن عيوب الصحافة ارجعْ إلى نفسك وفتش عمَّا فيك مِن عيوب وجرب أن تحصيها إن كان في قدرتك أن تحصيها.

ولئن تحصي عيوبك خيرٌ من أن يحصيها عليك سيواك .  
أمّا إذا كُنْتَ قد ساءت بك الحالة حتى ما عدت ترى هفواتك البادية لكلّ الناس فعظم الله أجرنا  
فيك .

السّمبر : 1938 / 3 / 29

## أبو الثورات

لكلّ ثورة رجالها الذين يُعزى إليهم الفضل في نجاحها . ويشني عليهم المؤرّحون ناسين إليهم  
صفات الأبطال حيناً وحالات الأنبياء حيناً .  
غير أنّك إذا تعمّقت في درس أسباب الثورات وازدت أن تُستفسر على الباعث الأول على شُبُوب  
نارها وجدت أن أبا الثورات والإنقلابات هو الجُوع الذي قال العرب إنّه « كافر » لأنّ الكافر عندهم  
لا دين له يردعه عن ارتكاب المعاصي والموبقات .  
إذا جاع إنسان واحد سرق أو احتال أو زور أو اختلس أو خطف .  
أمّا إذا جاع الجمهور فإنّه يثور فينهب ويسلب ويقتل ويدمر . فإذا الناس غير النَّاس وإذا البلاد غير  
البلاد .

فإذا قيل لك أن الأمّة الفرنسية ثارت من أجل مبادئ الحرية والإخاء والمساواة فلا تنس أن  
تذكر لمُحدثك أن هذه المبادئ لم تتمخض بها العقول إلا عندما صاحت عصافير البطون . فإنّ الشبّان  
المُتخَم لا يحزن ولا يحسد ولا يتألم بل هو قليلاً ما يفكر . أما إذا عضّه الجوع بأنياه تغلّلت النّقرة على  
الدُّنيا في شرايينه مع الدم فراح يتساءل لماذا يشقى وفي الدُّنيا ناس ينعمون . ولماذا يجوع ومن حوله أناس  
يأكلون ويشبعون . وهم ليسوا أجمل منه صورة ولا أذكى منه عقلاً ولا أنقى منه دماً . بل ربّما كانوا من  
القوم ذوي الصور السّميحة والعقول الخامدة والقلوب الغليظة التي ران عليها الجهل .  
وعندما يبدأ المرء يفكر على هذا النّسق ويقارن ويقابل لا يلبث أن يعتقد أنّه مغبون مظلوم . فيذهب  
يبحث عن مصدر هذا الظلم والحيف . فيرى أن السّماء لم تميّز بينه وبين الآخرين . وأنّ الأرض لم تنبت  
البقل والتمر لقوم دون قوم . ولكنّها الإنسان هو الذي يظلمه . فيثور عليه ويطلب حقه منه فأما أن  
يفلح وأمّا أن يفشل فيسجّل اسمه في صفحة الذل والعار وينتقم منه كما تنتقم كل سلطة من الخوارج  
والثوار .

لذلك تجد المُتمردين على نظام أو على حكومة أوّل ما يتسلّحون به في ثورتهم هو تعليل الجائع  
بالخبز . والمظلوم بالإنصاف . والبؤساء والتّعساء بالخير العميم .  
وهذه الطّريقة في استهواء الجماهير يتساوى فيها أصحاب النزعات الإصلاحية وأصحاب

النزعات المفسدة فكلاهما يدرك ما لهذا الكلام من المضاء في التأثير على العقول. وكلاهما يعرف أن المعدة التي هي بيت الداء عند الأطباء. هي أيضاً بيت الثورة عند الزعماء الأذكياء.

السّمر: 1/4/1938

## عن الطريق

### نيسان (الكراب) - انهزام الرّبيع - مقابلة بين فترتين وحالتين

كانت الأيام الأولى من شهر نيسان فترة صحو وإشراق رأى الناس فيها وجه الصّيف ونشّقوا روائحه فأخذوا يفتحون الأبواب والنوافذ للهواء المنعش وأشعة الشّمس الدافئة يعدّلون عن الملابس الصّوفية الثقيلة إلى الملابس التي رقت وخفت. ولكن نيسان كان يخدعهم ويكذب عليهم فما كادوا يطمنّون إلى هذه الظّاهرة حتى تحوّل من اللّطف إلى الخشونة ومن اللّين إلى الشّدّة. ومن شهر ضاحكٍ بسّام طروب إلى شهر عابسٍ ناغم غصوب. وإذا السّماء التي كانت صافية كعين الديك أو كمرآة الغريبة. تلتحف غيوماً دكناً سوداء. وتخلع على الأرض التي استيقظت فيها الأحلام حُللاً بيضاء من الشّلج.

وقد رأيتُ أنا بدء ذلك يوم فارقتُ نيولندن فذكرني هذا الانقلاب في الطّقس بعد ذلك الصّحو الجميل ما كانت عليه البلاد في السّنة المنصرمة من نشاط في جميع نواحي الحياة التجاريّة والصّناعيّة وكيف انقضت تلك الفترة سريعاً وساد الكسل والجُمود في المخازن والمعامل. وكأنّها هبت على كلّ شيء عاصفة ثلجيّة. فجمد لها كلّ عِرْقٍ نابضٍ متحرّك.

وكأنّي بنيسان أراد أن ينتقم من النّاس ليجزيهم عن السيّئة بمثلها فكذب عليهم هذه السّنة لعلّهم يعدّلون عن تشويه أوّل يوم من عمره كلّ سنة بالكاذيب والأخاديع التي يلفّقونها ويفرحون بانطلاقيها على أصدقائهم ويستغرقون في التحدّث بها حتى ليذهل الواحد منهم عن أهم شيء بين يديه.

ولكن إذا كان نيسان قد إنغلب على أمره فلم يقدر أن يعرض محاسنه في أيّامه الأولى وظهّر كأنّه قطعة مسلّوخة من السّماء أو مريض ذو داء فهو اليوم ينقه<sup>1</sup> ويتعافى ويعود إلى إشراقه وتألقه وقد شرع - ولو متأخراً - يزيّن الأرض بالصّور الرائعة.

وكما تغلب نيسان على الرّمهرير وانفلت من وثاقه فسوف تتغلب أميركا الفتية الغنيّة على الشّدائد والأزمات التي تعانيتها لأنّ القوّة الكامنة فيها ليست ممّا تلاشيه محنة أو أزمة أو نزاع بين الأحزاب. أو عراقك بين نظريّات.

1 نقيه: من مرضه نقها ونقوها صح وفيه ضعف أو أفاق فهو ناقه ج كركع.

وليس هذا مِنْ باب تعليل النفوس المتضايقة بالأمانى الكواذب. بل هو الحقيقة التي تعبت بها وتشوَّهها السِّنة المتشائمون فلا بدَّ في النهاية مِنْ حالة استقرار. وليست الحالة التي نحن فيها ممَّا يصلح أن تستقر عندها الأفكار وتسكنُ العزائم والعقول.

ما دامَ في الإنسان نزوع إلى الأحسن فسوف يبلغ إلى الأحسن. وإنْ كثُرَتْ عثراته وطال تيهه وزاغت به الطريق.

السَّهير: 15/4/1938

## عن الطريق في مدينة القباب والصُّلبان

سُمِّيتْ مونتريال مدينة القباب والصُّلبان لأنَّ الزائر لا يرفع عينيه إلى مكانٍ إلاَّ ويشاهدُ قبةً أو صليباً. وقد تكون القبة على كنيسة أو على فندقٍ كما يكون الصليب على هضبة أو على منزلٍ. بل قد رأيتُ بعضهم يرسمُ إشارة الصليب على وجهه في الفندق عندما يجلسُ إلى المائدة ويبدأ الأكل.

وأكبر صليب موضوع على قمة الجبل الملوكي أو «مونت رويال» وهو يبدو للعيون مِنْ مسافات بعيدة لضخامته وبيضاء في الليل بالكهرباء.

وكنْتُ أَسْمِيها المدينة النَّاسِكةَ أو المتعبدة ولكنني رأيتها مِنْ جهة أخرى لا تختلفُ عن أيَّة مدينة أميركيَّة في حوائيتها وما فيها مِنَ المصنوعات والبضائع. وما عليها مِنَ الزينة والشارات.

كلُّ ما هنا يشبه ما هناك إلاَّ أمر واحد هو الزحام المصحوب بالسرعة فإنَّ هذه المدينة على رغم أنَّها عاصمة تجارية تمشي على مهل.

وتسمع الناس يتحدثون فإذا هم مثل القوم في الولايات المتحدة تدور أحاديثهم على ما قال الرئيس روزفلت للشَّعب على الرّاديو. وما قاله للثَّواب في الكونغرس.

وإذا سألتهم لماذا يهتمُّون بمجريات الأمور في الولايات المتحدة أكثر من إهتمامهم بالقضايا التي تحدثُ في كندا أجابوا أنَّ رخاء كندا وعشرها متوقَّفان على رخاء الولايات المتحدة وعشرها. وأنَّ كل موجة تندفع في الولايات المتَّحدة لا بدَّ لها مِنْ أن تصل أخيراً إلى كندا.

واشتريتُ نسخة مِنْ جريدة الغازات المونتريالَّة فلَمَّا مرَّرتُ عليها بنظري حسبتني أقرأ جريدة تصدر في مدينة شيكاغو أو مدينة كليفلند لأنَّ صفحتها الأولى طافحة بمثل الأنباء التي تموجُ في الصَّفحات الأولى مِنَ الجرائد الأميركيَّة. وبعض الرِّسائل السياسيَّة عن العواصم الأوروبيَّة مشتركة بينها وبين جريدة التَّايمس النيويوركيَّة.

وعلى ذكر التَّايمس أقول أنَّي قرأتُ خبراً صغيراً عنها وهي أنَّها رفعتْ سعر النسخة إلى ثلاث

سنتات بدلاً من سنتين أسوة بجرائد المساء في نيويورك. فكانتُها ترجع إلى خطة صاحبها المرحوم «او كس» الذي رفع سعر النسخة إلى خمسة سنوات عندما اشتراها وكانت في ذلك الوقت لا تطبع أكثر من عشرين ألف نسخة في النهار فإذا استمرت تطبع هذا العدد الكبير بعد هذه الزيادة في السعر زاد دخلها في النهار الواحد خمسة آلاف دولار. والأرجح أن يزداد انتشارها لأنها تكاد تكون الجريدة الوحيدة التي يرجع إليها في الأخبار العالمية بعد انصراف أكثر الصحف إلى العناية بأخبار الطلاق والشقاوة والحوادث الغرامية.

أما إذا كانت هذه الزيادة لسد عجز فإنها لن تسد عجزاً بل سوف توجد عجزاً أكبر إلا إذا تساهلت التأميس قليلاً في حشمتها ورصانتها وسارت والصحف الأخرى في طريق واحد. وأعني الصحف التي يتهافت عليها الشباب والفتيات ويجاريهم في ذلك الكبار لسهولة حملها واختصار أخبارها.

السَّمير: 2 / 5 / 1938

## قبل الرحيل

أكتب هذه الكلمة وأنا اتأهب لركوب القطار إلى مدينة تورنتو التي غلب عليها لقب «جنية كندا» كما اشتهرت مونتريال باسم «باريس العالم الجديد». وما لبستُ صفة شخص أو مكان إلا لأسباب معقولة.

سأخرج من مونتريال في هذا المساء ونفسي مغمورة بغبطة متألفة كفجر أيار. وفي ذهني ذكريات جميلة، ذكريات أشخاص وأماكن كلها مما تحتفظ به الروح به وتستبقينه لأن في استبقائه لذه لها وطرباً. عمّا قليل سأفارق هذه المدينة التي يلوذ بها النهر وتلوذ هي بالجبل. وبعد قليل يغيب عني هذا وذاك. النهر بكل جماله. والجبل بكل جلاله. كما ستغيب عن عيني القباب والصُّلبان والأضواء والأبراج وتبقى صور الأصدقاء تردّد في مخيلتي. وأحاديثهم العذبة كالأغاريد تردّد في أعماق روحي فترتعش كالنهر حرّكته النّسائم وتسكن وتطمئن كالجبل غمره نور القمر.

لقد حملت في حقيتي طائفة كبيرة من الصور التذكارية لمشاهد طبيعية رأيتها أو مواضع تاريخية مررتُ بها أو أبنية فخمة حدّثوني عنها. ولكن أعظم هذه الصور وأجملها وأحبّها إلى نفسي ليست في حقيتي بل في قلبي!

إن هذه الصور التي في حقيتي يمكن أن تضيع أو تسرق أو تمحى أمّا تلك الصورة فلا تضيع. ولا تصل إليها يد السارق. ويستحيل أن تمحى.

ولتلك الصور في حقيتي أمثال وأشباه. ولغيري مثلها. أمّا الصورة التي طبعتها الجالية الكريمة في قلبي فهي لي وحدي وأنا الذي ينعم بها. وأنا الذي سيحرص عليها لتظلّ لي. وأظلّ أنعم بها.

يقولون مَنْ كَتَبَ فسوف يعود فيكتب. وأنا أقول مَنْ زار مونتريال مرّة فسوف يعود فيزورها.  
لأنّ فيها جالية قد قطعت على ذاتها عهداً أن تتحوّل كلّما نزل بها ضيف إلى أنشودة عذبة شجيّة ساحرة  
يصغي إليها فيسكر. ويتعد عنها فيشتاق إليها.

ولقد سمعتُ أنا هذه الأنشودة السّاحرة فسكرت ورقصتُ رُوحِي على الحانها. وها أنا أبتعد عنها  
فأحسُّ كأنّي أنفصلُ عن شيءٍ لي. أو ينسلخُ مِنّي بعضي.

جئتُ إلى مونتريال شتّى

وأعود عنها وأنا أشوق

أتيتها وأنا أستشعر وحشة لنيويورك

وأخرج منها وفي نفسي وحشة لها

جتها يوم ثلاثاء وأودّعها يوم ثلاثاء

فشتان ما بين اللقاء والوداع

كان دخولي إليها كالميلاد وخروجي منها كالهجرة.

ولقد سلخت فيها أربع عشرة ليلة كانت لحلاوتها كأنّها مواسم ومهرجانات بفضل ما أبداه  
الأصدقاء الأكارم مِنْ ضُروب الحفاوة بي في منازلهم الأنيقة ومخازنهم الجميلة وحيثما لقيتهم ولقوني.

السّمير: 14 / 5 / 1938

## لذة ضائعة - متى يبلغ البنّيات تمامه؟

أمسكتُ عن الكتابة وليس في النّفس زهدٌ ولا ملل. وسكّنت القلم ومجال القول متّسع فسيح.  
فضلاً عن أنّ لقرّاء «السّمير» حقاً عليّ ما نسيته ولن أنساه. وأنا أجد في التّحدّث إليهم كلّ يوم لذة  
لا أجدُ مثلها في السكوت فإذا أنقطعتُ عن الكتابة أفلّنتُ مِنّي هذه اللّذة وشعرتُ شعوراً عميقاً  
بفقدانها.

على أنّي إذا كنتُ قد عاقنتُني عنهم الأحوال التي تحيط بالمسافر الجوّاب فما شغلَ هذا المسافر  
الجوّاب عنهم غيرهم. فهم يريدون أن تكون «السّمير» قويّة منيعة وهذا ما أعمل له أنا. وهم يتعجّبون  
أن يروا هذه المؤسّسة الأدبية تنمو وتردهر وهذا الذي أطوفُ في الأرض مِنْ أجله.  
فإنقطعي عن الكتابة ليس عن رغبة في الإنقطاع وإنّما هو السّفر الموصول بالسّفر. واستشار  
الأصدقاء بي...

فإذا كان سكوتي غبن فهو عليّ وحدي لأنّي حرّمتُ لذة يشقُّ عليّ حرمانها. أمّا هم فقد استعاضوا

عن قلمي في هذه الفترة بقلم كاتب بحأثة خير هو قلم الصديق يوسف لفلوفة الذي يدير «السَّمير»  
في غيابي إدارة ربَّان ماهر حكيم.

غير أنَّها فترة لن تطوُّل. سنعود فنلتقي وأُسترجع لذتي المفقودة.

كنتُ في توليدو واهايو عندما ظهرت في «السَّمير» برقية الخوري جبرائيل صالحاني المُنبئة بأنَّ عهد  
الخلاف قد انصرَم في الطائفة الأرثوذكسيَّة. وأنَّ عهد توحيد الكلمة والجهود قد بزغ فجره. فتهلَّلتُ  
للخبر كما تهلَّل كل محبِّ لهذه الطائفة حريص على كرامتها راغب في مجدها وسمعتُ كثيرين يحمدون  
الله لنجاح المساعي التي بذلها المخلصون ولا سيَّما في كندا.

إنَّما بعضهم اعترضوا على صيغة البرقية وتمنَّوا لو جاءت في صورة أخرى. ولكن لم يخطر في  
بال أحد أن يلبس الإعتراض على صيغة البرقية شكل التَّديُّد والتَّقرُّيع وأن يقف أفراد هذه المِلَّة  
العزيزة موقف الكاره للسلام الرَّاغب في الخصام. وأن تمتد أيديهم لتمزيق الثوب الذي حاكه المعلمون  
الحُكماء. وهو ثوب إذا تمزَّق وسقط لا بُدَّ أن يشعر أولئك الشَّاخِطون بالعري. ثم بلذع البرد مهما اشتدَّ  
بهم السَّخَط والغَيْظ.

فإذا كان صانعو السلام أبناء الله يُدعَوْنَ فلا شك أن الذين يكرهون السلام يكرهون أن يكونوا  
أبناء الله.

ومن دواعي الأسف أن يكون بين كارهي السلام والمناهضين للنُّظام بعض لاسي المسوَّح الذين  
تقضي عليهم وظيفتهم أن يسبِّروا في طليعة موكب السلام ولو كان الطريق شوكا وحجرا.  
نحن نعلم أن البناء صعب ولذلك لا نطلب من غير القادر أن يشيد ويبنِّي أمَّا التَّخريب فسهل  
ولهذا نسأل الذي لا يقدر أن يبنِّي أن لا يهدِّم ما يبنِّيه غيره.

إذا كُنْتَ لا تقدر أن تأتي عملاً مليحاً فلتكن فضيلتك الكبرى أن لا تأتي عملاً قبيحاً.

والوقوف في طريق السلام عمل قبيح ومضِر لا يُكسِب صاحبه غير الذم.

السَّمير: 11/6/1938

## على شاطئ البحيرة

لا أدري لماذا يستهويني الماء؟ فما وقفتُ مرة على شاطئ بحيرة من البحيرات التي مررتُ بها في  
رحلتي إلَّا وأحسنتُ بأن نفسي ترتعش كما يرتعش الماء الذي أراه.

وقفتُ على شاطئ بحيرة «اري» في كليفلند البحيرة التي نسي الناس أنَّها بحيرة لا تُساعِها  
وتراميتها فراحوا يسمونها «البحر» وكانت الشمس قد تراخت خيوطها وأخذت تنكمش وتراجع  
عن البحيرة فلم يبق منها غير شعاع مستطيل مُوهج ممتد في البحيرة كأنه سهم من هيب أو حبل من



أرجو أن. ولم يبقَ في شاطئ البحر غير الظلِّ والشُّكُون. وشرذمة من العصفير لا تكاد تطير حتى ترجع فتستقر كأنها أدركت السَّنا الذي كان يملأ الجو وكانت تسبح فيه قد قارب الزوال ولا شيء يستبقيه. فهي تحاول أن تنزود منه ما استطاعت كأنها هو لن يرجع. أو كأنها هي تشفق أن يعود إلى الشاطئ ولا تعود!

وقفتُ هناك ساكناً كالماء الذي أراه. وروحي مثله تتهاوج كأنها تريد أن تثب أو تندفق فلا تثب ولا تندفق.

ورائي المدينة بقصورها وشوارعها المزدهجة وقطرها الصاخبة وسياراتها المتراكضة. وفي المدينة ناس سعداء وناس غير سعداء وشباب يحلمون بالغد. وكهول يتطلعون بأرواحهم وقلوبهم إلى أمس. وقلوب يعصرها اليأس فتقطر علقماً وقلوب يلمسها إله الحب فتتسع وتنبت زهراً أو تفيضُ خمراً.

ورائي المدينة والنَّاس. غير أنني نسيْتُ وأنا واقف في الشاطئ. كل شيء ورائي وشعرتُ وأنا في الشاطئ كأنني زورق غير منظور في البحيرة تسير به أمواجها الساجية في كل ناحية. والأصح أن أقول إنَّ البحيرة هي التي كانت في تلك اللحظة تمشي في روحي.

وغابت الشمس كحلم جميل. وأنا هناك أرقب البحيرة المرتعشة المتهاوجة كأنها نفس حزينة. ولقد رجعتُ إلى المدينة الصاخبة فرأيتُ النَّاسَ قد جنَّ جنونهم في الرِّكض وراء حاجاتهم والاندفاع مع تيار أهوائهم حتى بتُّ أخشى أن أحدثهم عمّا رأيتُ في شاطئ البحر. لأنَّ الكلام لا ينقل إليهم شائئاً ولا بحيرة ولا شمساً ولا حفيفاً ولا ارتعاشاً.

بل خفتُ إذا أنا تحدثتُ عمّا رأيتُ أن أشوشَ المشهد الباقي خياله في ذهني. فأفقد اللذة التي أنعم بها.

إذا فليستدل الماء على البحيرة وليستدل الصمت على فمي.

السَّمير: 1938 / 6 / 29

## سافدا رأيتُ في رحلتي

رأيتُ بعض الأولاد يخوضون السَّواقِي يستحمُّون فيها ويلعبون وهي سواقٍ ليست كبيرة. فحملني الخيال إلى لبنان وسواقيه إلى زمن الطفولة الذي كنَّا فيه مثل هؤلاء الأولاد نخوضُ في مثل هذه السَّواقِي.

قلت في نفسي: غداً تحمل رياح الحياة بعض هؤلاء الصغار إلى المدن الكبرى فيبتدلون من أطوارهم أطواراً أخرى. ويَجَاوِرُونَ الأنهر والبحيرات والسَّلاَّات فيعجبون بها ولكنهم يظلُّون

يذكرون هذه السواقى الصغيرة ويحئون إليها. والصخور التي وثبوا فوقها والأشجار التي تعلّقوا  
بأغصانها ويحسبون أنهم كانوا في فردوس وأضاعوها  
ما أجملك يا عهد الطفولة وما أعذب تذكاراتك وأحلامك.

قد لا تكون دنياك كبيرة ولا جميلة ولكنها الدنيا التي يحملها المرء معه أينما ذهب. فتتقضي  
السنون وفيها المسترات والآلام والإنصارات والاندحارات ولكن سنوات الطفولة تبقى هي البارزة  
الواضحة في خياله مهما تلبّد وتراكم على خياله من الصور والأشباح.  
وكلما ازداد المرء بُعداً عن مراتع طفولته ومسارحها ازدادت روعة وجمالاً وصار الشوق إليها أشدّ  
وأعظم.

إلعبوا أيّها الأولاد وانعموا فلن تبقى لكم هذه الدنيا الجميلة إلى الأبد. فتزوّدوا منها ما استطعتم  
قبل أن تزولوا عنها.  
وحياك الله يا سواقيننا ويا هضابنا.

السّمر: 15/8/1938

## في جبال الكاتسكل

كانت الطريق كأنّها تطوى لنا لسرعة السيّارة. فبينما المرتفعات أمامنا ونحن لا ندرى متى نبلغها  
إذا بها قد صارت خلفنا وتوارت عنا في حجاب من المسافة.  
ونلتفت إلى الجبال التي نمزّ بها فيخيّل إلينا أنّها ترحل من مواضعها وتتراكض هاربة منّا ونحاول  
أن نثبت فيها أبصارنا فتنبو عنها.  
وكان النهار قد اكتهل وصارت حبال الشّمس واهية مشلولة فكان الشّمس أدركها الثّعب  
واستولى عليها الوئى.

ومن لم ير النهار يكتهل بين الهضاب الخضراء والسّواقى الجارية وتحت سماء الصّيف الصّافية لم  
يعرف أيّ جلال في الكهولة وأيّ فتون في أنفاسه الأخيرة.  
ومن لم ير الجبال والأودية والأنهر وقد وشّحتها كهولة النهار بالصّمت وتوزّع فيها نور الشّمس  
فلصق بعضه في القمة وانحلّ بعضه في السّفح. وعلق رشاش منه في رؤوس الشّجر.. ومن لم ير هذا  
المشهد لم يعرف أيّ رسّام مبدع ساحر هذه الدّنيا المشتعلة التي ندعوها «الشّمس» ولا سيّما في آخر  
مرحلة من عمر النهار

صور خلاّبة فائتة في غير ألواح.  
قصائد رائعة معجبة في غير قراطيس.

أغانٍ شجيّة لم تدوّزنْ على وتر ولم يهتف بها صوت.

مفاتيْن للنّظر ومفاتيْن للقلْب ومفاتيْن للروح.

هذ هو الصّيف في جبال الكاتسكل التي يقصدها المصوِّرون والشّعراء لإقتباس الفنّ من مدرستها وأخذ السّحر الحلال عنها. مثلما يقصدها أصحاب النفوس المتضايقة والقلوب المكروبة فتساقط عن عوايقهم هموم المدينة وأثقالها حالما يبلغون هضابها ويشرّفون على أوديتها ويستحمون بنور الشّمس في تلك القمم.

فلا عجب إذا وجدنا في الجارتين هاينز فولز. وتانرزفيل جُمهوراً من الشّوريين يزيد عن عدد جالية في مدينة كبيرة ففيها اليوم نحو من ثلاثمائة عائلة كلّها من بروكلن إلا بضع عائلات من جهات أخرى.

وتزداد الفنادق والمنازل إكتظاظاً بالمصطافين في يومي السبت والأحد حتى ليصعب تدبير غرفة لقادم جديد.

وهناك عائلة تجدها في كل فندق وربّما في كل بيت فيه مصطافون. عائلة لا تأكل ولا تشرب ولا تنام. ولكنها لا تفارق الموائد. ولا تُبالي إذا كان الجالسون غرباء أم أصدقاء فالكلّ عندها سواء. لا يعرف أحد من أين جاءت مع أنّ الكلّ يعرفون أفرادها معرفة جيّدة ولبعض النّاس بها إتصال غير منقطع وله بها هوى وهيام ولكن فأقرب النّاس إليها والصفههم بها يحلّ أصلها ولا يعرف إلا أنّها موجودة.

هي عائلة يبلغ عدد أعضائها 52 عضواً ولكنهم بعض الأحيان يتخلّون عن صغارهم لئلا يزعجوه وبعض الأحيان يحملونهم معهم كأنهم قوّة لا يجب أن تفارقهم.

أمّا هذه العائلة التي لا شك في أنّ القاريء الآن يتوق إلى معرفتها فهي أص البستوني وأتباعه الأمّاء. وأص السباتي وأبناءؤه النجباء. وأص الكبّا وأنسبائه الأعزّاء وأص الديناري وحاشيته الكريمة!!

وترى هذه العائلة أبداً في نضال وعراك. من نصر إلى إنكسار ومن إنكسار إلى نصر دون أن يسقط رأس أو يتهشم عضو أو تجري نقطة دم وبعد كلّ معركة تتضام هذه العائلة كجناح الطائر أو كخيوط التول فلا تعرف من منها المكسور ومن الظافر.

وفي الواقع أنّ الورق هو أعظم أسباب التسلية للمصطافين ولا سيّما عندما ينسدل ستار المساء أو يتعذّر الخروج من جرّاء البرد أو المطر. ولكنّه كثيراً ما يصرف البعض عن الرياضة والتمتّع بالضياء والهواء والمناظر الطبيعية.

وفي تانرزفيل ثلاثة فنادق يديرها سورثون الأول في فندق «الينبوع البارد» أو كولد سبرنغ. والثاني هوتال بلمونت. والثالث ماجستيك وقد جرى مدير الفندق الأول السيد صابر خوري على طريقة

لطيفة وهي تقديم كل زائر ذي حيثة إلى جمهور المصطافين في الحفلات الموسيقية التي تقام مساء كل سبت.

وعلى مقربة من هذا الفندق حلاق ساقني إليه الشعر المقضي عليه بالإستئصال كلما نبت أو هم بالظهور فأخبرني أن تلك النواحي كان يقصدها فيما مضى ثلاثون ألف مصطاف كل سنة وأن المكان الذي هو فيه كان لرجل رسام اسمه هوسار وكان له إثنان آخران فخرجت من يده وهجر الجبل تاركاً وراءه آثاراً جميلة من ريشته على الجدران لفت الحلاق نظري إليها فإذا هي صور أمراء فارسيين وصور جوار عاريات الأبدان.

فأعجب كيف ذهب الرسام وحل مكانه حلاق! وفي الليل تطل من فوق الجبل نجمة لماعة غماسة كأنها ترعى الضيوف التازلين في الجبل. وكانتهم تنادي القوم قائلة - ألا تمتعوا بالنظر إلي قبل أن يذهب الصيف وتذهبوا معه. فانا لن أنصرف أمّا أنتم فسوف تنصرفون. وسترونني هنا إذا عدتم في الصيف القادم. وحقاً أن النجوم هناك أسطع وألمع منها في المدينة. وفيها سحر قلما يراه فيها عندما تطل علينا في نيويورك!

وليست النجوم وحدها أجمل وأبهى في ذلك المصيف بل الناس أيضاً فالوجوه هناك مشرقة والنفوس كلها مودة. حتى لتحسب مختلف القوم أسرة واحدة متعاونة. ولقد رجعنا - بعد أن نفصنا عنا كثيراً من غبار المدينة - لنعود فنحمل كثيراً من هذا الغبار!!

السّمر: 2 / 9 / 1938

## في مدينة الأموات

خرجنا أمس إلى المدينة الصامّة التي ساد فيها الأمن والسلام إلى مدينة الأموات. خرجنا نشيع صديقاً عزيزاً فارقنا على كره منا ومنه. ولكن تعبنا عيناه من النظر إلى الشمس فأغمضهما ليسترريح. وهنت قواه من الجهاد في معترك الحياة فطوى رايته وسلم وسار في طريق الأرض كلها.

خرجنا من المدينة الصخابة التي لا ينقطع صراخها وضجيجها لا عندما يغمرها الصباح المتألق بأنوارهِ. ولا عندما تكتنفها الظلماء بأمواجها السوداء الطامية.

وكان النهار مشرقاً والجو صافياً ولكن فكرة أننا سائررون في جنازة رجل كان إلى ثلاثة أيام خلت سيرُ بيننا ويتكلم ويضحك ويلعب ويأمل ويرغب فصار الان جثة هامدة في نعش صامت، هذه الفكرة التي ملأت أذهاننا واستولت على مخيلتنا كانت تريتنا المنازل التي نمُرُ بها كئيبة. وتبدي لنا

الأشياء مضطربة مُشوَّشة لا قيمة لها. وتظهر لنا كُلُّ إنسان يضحك أو يأكل أو يشتغل أو يتأثق في لباسه وطعامه أحق مغرورا. لأنَّه يخطر والموت في ثيابه. ويمشي إلى حتفه عندما يمشي إلى رغائيه وأمانيه. ويجاهد في معترك مضت الأجيال والذهور يتعاقب عليه النَّاس موكباً إثر موكب فلم يمتليء ولم يفرغ. إنَّما هذه الفكرة السَّوداء القاتمة لحسن حظ النَّاس لا تستولي عليهم كل الوقت. فهي مثل كل حالة مصيرها إلى الزوال السَّريع أو البطيء. فلا تكاد تمتدُّ حتى تتقلَّص ويعود الإنسان إلى ما كان فيه كأنَّما لا موت ولا زوال.

ولولا هذا الذُّهول في أبناء الموتى عن الموت لكان العيش قشعريرة باردة. ومرارة لا نهاية لها بل لَمَّا كان للحياة من أثرٍ في الأرض. إذ مع هذه الفكرة لا يزرع أحد حقلاً ولا ينسج أحد ثوباً ولا يشيد أحد مسكناً.

ودخلنا المدينة الهادئة الصامتة. مدينة الذين انعتقوا من كُلِّ رقي في الحياة وباتوا لا يخافون فقراً ولا مرضاً ولا يشتاقون غنى ولا صحَّة. لأنَّهم في عالم لا جوع فيه ولا عطش ولا تعب ولا ألم. وأجلَّنا النَّظر ونحن سائرون فرأينا الأنصاب تسامي الأنصاب. والقُبُور تزاحم القُبُور. ورأينا السَّكينة ترفرف على اولئك النَّائمين تحت الثُّراب الذين عادوا بعد سفر طويل أو قصير إلى الوطن العجيب الخالد الذي يتَّجه إليه الإنسان كيفما مشى ومهما ابتعد عنه ووطن من له ووطن ومن ليس له ووطن - إلى القبر.

هناك رأينا الإنسان الذي شاد في المدينة المتحرَّكة الصَّاخبة الدُّور والقصور ليخاخر بها ويعتز بقوَّته وما أبدع. قد رفع في المدينة الصَّامته التي لا فخر فيها ولا مباهاة التماثيل الجميلة والأنصاب المنحوتة ليَدُلَّ بها على أنَّه كان في الأرض وإن طوَّته الأرض. فهو أبدأ يشتاق إلى إثبات وجوده. إلى البقاء والخلود. وهذا الشُّوق فيه هو الذي يملأ المدينة الصامتة بالأنصاب والتماثيل والمدافن الرخامية البيضاء.

وهو شوق لا يموت. إذن فالإنسان لن يزول فكلَّما ذهب جيل جاء جيل .

السَّمير: 1938/9/16

## من غزبل النَّاس نخلوه وربَّما فروه في سهب الريام اللّريم

لا يفتأ ذلك الصَّحافي العقيم يعرض بنا في جريدته الصَّقراء في خوف وحذر شأن كُلِّ جبان رعديد. وهو بذلك يحاول أن نلتفت إليه فنرفعه بعد السُّقوط ونشهره بعد الخمول. فقد تركناه بعد تلك المناظرة حول قضية الجنسية كشجرة نخرة خاوية حطمتها العاصفة. وتركنا الذين وقف من

خَلَفَهُمْ يَلْعَنُونَ السَّاعَةَ الَّتِي حَمَلْتُهُمْ فِيهَا الشَّفَقَةُ عَلَى أَنْ يَكُونُوا لَهُ جِدَاراً فَقَدْ لَوَّثَهُمْ بِجَهْلِهِ وَدَنَسَهُمْ  
بِلُؤْمِهِ وَكَادَ يَنْزِلُ بِهِمْ عَنْ مَكَانَتِهِمْ إِلَى مَسْتَوَاهِ!

لا. لن نلتفت إليه. ولكن يضحكنا من هذا السَّخِيفِ المغرور أَنَّهُ يتكلَّم بأشياء ليست في مناله ولا  
طاقة له بها ناسياً لحماقته أَنَّ لِلنَّاسِ مدارك وأفهاماً. فتراه يقول مثلاً - «شغلتنا الازمة العالمية عن كثير من  
الشؤون التي نعدّها تافهة أمام الخطر الأعظم» فكأنّه - لا شفاء الله ممّا به - كان مع تشمبرلين وموسوليني  
وهتلر ودالاديه في مونيخ يعالج قضية الحرب والسلام!! وكأنّ الأزمة لم تنحلّ عقدتها لولاه!!  
وقد يكون الأمر الحاصل في تلك الفترة هو أَنَّهُ كان مع زعنفة<sup>1</sup> مثله حول طاولة شراب أو طاولة  
أكاذيب وافتراءات.

وهو أبداً لشعوره بذل نفسه وخبت طويته لا يلمح حسنة في رجلٍ إلا أنكرها. ولا يسمع كلمة  
جميلة في ذي فضلٍ إلا استغربها. وكيف يشعر بالجمال من لا جمال في رُوحه؟!  
وقد قلنا من قَبْلُ لو أن هناك قضية مختلفاً عليها لما كَبُرَ علينا أن نتنازل ونجاوبه بما يبهته ويفحمه.  
ولكن الأمر كلّهُ هو أَنَّ الرَّجُلَ مشتاقٌ إلى التّلاحِي الذي فيه شفاء نفسه المطوّية على الحسد منذ كان  
فطيماً. وسيلزمه إلى أن يصير عظماً رمياً.

وأغرب ما عمّد إليه أخيراً أَنَّهُ أخذ يتوعّد بالطّعن على الكرامات والتّهجّم على السمعات بلسانٍ ما  
أوقحه. ووجه ما أصفقه<sup>2</sup>! ناسياً المثل المأثور - «مَنْ غَرَبَلَ النَّاسَ نَخَلَوْهُ وَرَبَّهَا طَحْنُوهُ وَذَرُوهُ فِي مَهَبِ  
الرياح الأربع».

وإذا كان غرّه الحلم فينا وفي سوانا. فكثيراً ما خرج المرء من سجيّته. وقرع للجاهل العصا<sup>3</sup>.  
فأخلق به أن يرتدّع عن غيّه إلا إذا كان لا يقدر أن يجعل سمعته فوق النُّجُوم بحيث لا يبلغها لسان.  
ولا يصل إليها قلم مسنون. وليذكر أن كلّ سُمُعة أغلى من سمعته. وكلّ ماضٍ أنقى من ماضيه. فإذا  
لم يعجبه إلا أن يوازن بين ما عنده وعند الناس فعلنا!. ولكننا نوكدُّ له من الآن أن الكِفَّة التي ستشيل  
لن تكون غير كِفَّتِهِ!

أجل إننا مستعدّون أن نتقل به إلى باريس ونقصّ له حكاية عجباً! بل مأساة هائلة!! فإذا استهول  
المسافة أو سدّ أذنيه عن تلك الحكاية إنتقلنا به إلى مكان أقرب وقصصنا عليه قصة أعجب وأغرب!

السَّمِير: 1938/10/5

1 الزُّغَيْفَةُ: بالكسر والفتح القصير والقصيرة وطرف الأديم كاليدنين والرجلين والقبيلة القليلة تنضم إلى غيرها  
والداهية ج زعانيف.

2 صَفَقَ: ووجه صفيق بين الصَّفَاقَةِ وَفَحْ.

3 قَرَعَ له العصا: قرع رأسه بالعصا ضربه وإن العصا قرعت لذي حلّم إذا بُتّه انتبّه.

## أُنْقِزُوا أُمَّةً تَتَعَزَّبُ

أيُّهَا الْمُهَاجِرُونَ الْأَحْرَارُ

يَا أَبْنَاءَ الضَّادِ الْبَرَّةِ

يَا أَنْصَارَ الْمَرْوَةِ

يَا أَصْحَابَ النَّجْدَةِ وَالنَّخْوَةِ فِي الْمَلَمَّاتِ وَالشَّدَائِدِ

إِنَّ «السَّمِيرَ» تَسْتَصْرِخُكُمْ الْيَوْمَ. وَمَا تَعَوَّدَتْ أَنْ تَسْتَصْرِخَكُمْ إِلَّا فِي حَادِثٍ جَلَلٍ. أَوْ لِأَمْرٍ فِيهِ شَرَفٌ لَكُمْ وَنَبْلٌ. وَمَجْدٌ وَذِكْرٌ مُجِيدٌ. وَآثَرٌ فِي الْأَرْضِ حَمِيدٌ.

بِالْأَمْسِ الْقَرِيبِ اسْتَصْرِخْتُكُمْ لِإِنْقَازِ رَجُلٍ مِنْ أَبْنَاءِ أُمَّتِكُمْ وَسَأَلْتُكُمْ أَنْ تَطِيرُوا بِرَقِيَّاتِ الْإِسْتِرْحَامِ إِلَى حَاكِمِ الْوَلَايَةِ فَاسْرِعْتُمْ إِسْرَاعَ الْكَرِيمِ إِلَى نَجْدَةِ الْمَلْهُوفِ.

وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَوْتِ غَيْرَ خُطَوَاتٍ فَحَلْتُمْ بَيْنَ الْمَشْنَقَةِ وَعَنْقِهِ. وَتَمَّ لَكُمْ أَمْرٌ فِيهِ غَبْطَةٌ لِأَرْوَاحِكُمْ وَقُلُوبِكُمْ كُلِّهَا تَذْكُرْتُمُوهُ.

وَمِنْذَ شُهُورٍ مَعْدُودَةٍ نَادَيْتُكُمْ لِتَغِيثِ الْبَلَاءِ الَّذِينَ دَهَامَهُمُ السَّيْلُ. وَحَاقَ بِهِمُ الْوَيْلُ فِي الْمَنْطِقَةِ الَّتِي أَغْرَقَهَا الطُّوفَانُ. فَكُنْتُمْ أَسْرَعَ مَنْ لَبَّى. وَأَكْرَمَ مَنْ أَغَاثَ.

أَمَّا الْيَوْمَ فَلَا تَسْتَصْرِخُكُمْ «السَّمِيرُ» لِإِنْقَازِ رَجُلٍ وَاحِدٍ وَلَا إِعَانَةِ جُمْهُورٍ مِنَ التَّعَسَاءِ بَلْ تَسْتَصْرِخُكُمْ لِإِنْقَازِ أُمَّةٍ مَهْدَدَةٍ بِالْإِنْقِرَاضِ وَالْفَنَاءِ. هِيَ الشَّطْرُ الَّذِي إِذَا ضَاعَ ضَاعَ كُلُّ شَطْرِ بَاقٍ.

وَهِيَ تَنَادِيكُمْ لِصَيَانَةِ بَقْعَةٍ مِنْ بِلَادِكُمْ هِيَ الْبَقْعَةُ الَّتِي فِيهَا أَنْبِيَائُكُمْ وَعِظَمَاءُكُمْ وَمَقْدَسَاتُكُمْ وَكِنَائِسُكُمْ وَجَوَامِعُكُمْ وَأَمْجَادُكُمْ الرُّوحِيَّةُ الثَّمِينَةُ الَّتِي تَتِيهُونَ بِهَا عَلَى الدُّنْيَا كُلِّهَا. وَتَوَدُّ كُلُّ أُمَّةٍ لَوْ كَانَتْ لَهَا أَوْ لَوْ كَانَ لَهَا مِثْلُهَا.

إِنَّهَا تَسْتَصْرِخُكُمْ لِفَلَسْطِينَ الَّتِي يُحَاوِلُ تَنْيِينَ الصَّهْيُونِيَّةِ ابْتِلَاعِهَا وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ.

تَنَادِيكُمْ «السَّمِيرُ» بَلْ تَنَادِيكُمْ أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ الَّذِينَ كَانُوا فِي وَسْعِهِمْ أَنْ يَعِيشُوا لَوْ قَبِلُوا أَنْ يَعِيشُوا مُحْتَقَرِينَ أَذْلَاءَ. وَكَانُوا فِي إِمْكَانِهِمْ أَنْ لَا يَمُوتُوا شَنْقًا وَتَقْتِيلًا لَوْ لَا النُّخْوَةُ الْحَيَّةُ فِي صُدُورِهِمْ.

وَلَقَدْ مَاتُوا لِكَيْ تَعِيشَ فِلَسْطِينَ وَلِكَيْ تَأْمَنَ الْأَقْطَارُ الْآخَرَى الَّتِي وَرَاءَ فِلَسْطِينَ غَزَوَاتِ الْيَهُودِ.

وَلَا تَسْأَلُكُمْ «السَّمِيرُ» الْيَوْمَ أَنْ تَتَقَلَّدُوا السِّلَاحَ وَتَذْهَبُوا إِلَى الْحَرْبِ وَتَقَاتِلُوا كَمَا يَقَاتِلُ الْمُجَاهِدُونَ.

وَلَا تَطْلُبُ مِنْكُمْ الْآنَ أَنْ تَتَبَرَّعُوا بِالْأَمْوَالِ فَإِنَّ الْمَوْقِفَ الْحَاضِرَ مَوْقِفَ بَسْطِ ظِلَامَةٍ<sup>1</sup> وَبِثْ شِكَايَةٍ

وِإِعْلَانِ حَقَائِقٍ. وَالْحَقَائِقُ كُلُّهَا فِي جَانِبِكُمْ مَهْمَا جَعَجَعَ أَنْصَارُ الصَّهْيُونِيَّةِ. وَلَكِنْ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ وَحْدَهَا لَا تَكْفِي.

1 الظُّلَامَةُ: كِتَابَةُ مَا تَظَلَّمُهُ الرَّجُلُ

ولكن سكوت المرء والحق في جانبه يشجع المبطل على الصياح.  
لهذا تناديكم «السَّمير» طالبة إليكم أن تعملوا في إنقاذ الأمة المهددة بالدمار كما عملتم في إنقاذ  
السَّجين الذي كان مهدداً بالإعدام.

طيرروا البرقيّات جمعيات وأفراداً كقوم أميركيين يؤمنون بحق كل شعب في الحياة حراً في بلاده إلى  
رئيس البلاد روزفلت وإلى ناظر الخارجية هول ملتمسين منها درس القضية درساً دقيقاً قبل أن تقول  
الولايات المتحدة كلمتها فإن الصهيونيين يحاولون أن نجيء هذه الكلمة في جانبهم.

برهنوا بالتماساتكم التي ترفعونها إلى المراجع الأميركيّة العليا أنكم أميركيون أحرار. واثبتوا للملأ<sup>1</sup>  
أنكم قوم إنسانيّون تكرهون الظلم. ولا تريدون الواقعة بأحد. وأنكم لا تبغضون اليهود بل تقاتلون  
الصهيونيّة لأنّها إستعمار وإستثمار وإعتداء فظيع لا تصبرُ عليه أمة في العالم ولو كانت أمة نعاج!  
واعلموا أن النصر مضمون وأن صوتاً واحداً يرتفع بالحق أفضل من ألف صوت يرتفع بالباطل.

السَّمير: 15/10/1938

## بعد ثلاثة أيّام

بعد ثلاثة أيّام تجتاز جريدة «السَّمير» مرحلة أخرى من مراحل الجهاد. وتودّع سنة لتستقبل سنة.  
بل قلّ إنّها تودّع عصرًا من الواجب لكي تستقبل عصرًا فيه كل يوم واجب على المشتغل بالأدب الذي  
يختلف عن كل صاحب حرفة في النَّاس بأن أعظم ما يكسبه هو ثقة الأمة به. ويختلف عن ذوي المال  
بأن أعظم ثروة في حوزته هي ثقته بالأمة التي يكتب لها.

كلُّ صاحب تجارة أو مهنة ينصرف إلى بيته في آخر النَّهار وليس له ما يشغله إلى أن يطلع صباح  
اليوم التالي. أما الصَّحافي فتبتديء مهمته ساعة ينهض من الفراش إلى الساعة التي يلقي رأسه على  
الوساد. ولا سيّما الصَّحافي العربي في المهجر حيث لا أحزاب سياسيّة تعضد الجريدة ولا حكومة تعولها  
ولا مورد لها إلا بدل الإشتراك الضئيل.

فالمُشترك هو الحزب. وهو الحكومة. به تقوم الجريدة وبه تعتز. أمّا إذا لم يكن من أهل الوفاء فهو  
كالحكومة الجائرة التي لا يزهر الأدب في ظلّها وتخاف أن يزهر لئلاّ تبدو قبئحها.  
وبعكسه المشترك الغيور الوفي الذي يتذوّق الأدب ويعرف للكاتب والشاعر فضلها.  
فهو الذي قامت النهضة الأدبيّة في المهجر على أكتافه وهو الذي توجّهت روح الأديب إليه عندما  
توجّهت إلى أذن تسمع. وروح تفهم. وقلب ينبض بالشُّعور.



وهذا المشترك سواء كان على مسيرة خطواتٍ مِنّا أو على مسيرة آلاف الأميال هو الذي أنشئت «السّмир» له فكان لها نِعَم الرفيق والنصير. وكان له أريجها الفوّاح وثمرها الشّهى. لم تقع أزمة أو نكبة إلا وكانت «السّмир» أسرع وأسبق إلى تفريج الكروب وتخفيف الخطوب. ولم تلمع موهبة أو ميزة في أمّتنا إلا وكانت «السّмир» هي التي تدلُّ عليها قبل سواها. وما طَمَسَ المُبْطِلُونَ حقيقةَ إلا ومزّقت «السّмир» عنها غشاوة الباطل وأبرزتْها نقيّة ناصعة للعيون.

إنّها للتّائِهينِ مُشْكَاةٌ مِنْ نُورٍ  
ولكنّها للمُتأفِّقينِ سَوَاطِ عَذَابٍ  
هي وردة طيبة الشّذى لمحبيّ الجمال  
وهي شوكة داميةٌ في نحورِ أهلِ البغي والفساد.  
على هذا سارت. وعلى هذا ستسير. لا تبغي على ضعيف ولا تخفض الجناح لبّاغ.  
وستعمل في غدها كما عمِلَتْ في أمْسِهَا لِنُصْرَةِ كُلِّ فِكْرَةٍ جميلة ومساعدة كُلِّ مشروع مفيد. سواء كانت الفكرة لها أو لسواها وسواء كان المشروع هيئة معلومة أو للأمة كلّها.  
فالمشترك الذي يؤيّد هذه الجريدة يؤيّد الفكرات الجميلة والمشاريع النّبيلة التي تخدمها.  
إنّه يساعد المدرسة التي نساعدُها.  
إنّه يُعِينُ الجمعيّة الخيريّة التي نعينُها.  
إنّه ينصر المستشفى الذي ننصره.  
إنّه يمسح جراح الأمّة التي نمسح نحن جراحها.  
إنّه يعزّز الأدب الذي نسير في موكبه.  
فهو شريكنا في هذا الجهاد. والسّмир فخورة بكلِّ شريك نبيل يدرك كم نتكبّد في سبيل «السّмир» من المشقّات والنّفَقَات.  
وما أحسن التّعاون في سبيل الخير.

السّмир: 1938 / 10 / 29

## السنة العاشرة لجريدة «السّهير»

سنة أخرى انطوّت في صحبة القلم. هذا الرّفيق الصّامت المتكلّم. الذي يكسو الأوراق حللاً مزخرفّة وهو عارٍ وتسمن به وهو هزيل. وتضحك لجريه في صفحاتها وهو بالك. سنة أخرى طويناها على كثير من المسرات والآلام ولكنّا لن نتحدّث عن مشقّة لاقيناها أو مرارة

تَجَرَّعْنَاهَا لِأَنَّا نَعْرِفُ أَنَّ فِي حَوَاشِي كُلِّ أَلَمٍ شَيْئاً كَثِيراً أَوْ قَلِيلاً مِنَ اللَّذَّةِ تَشْعُرُ بِهِ النَّفْسُ وَهِيَ تَتَأَلَّمُ أَوْ تَتَوَقَّعُ الْحَصُولَ عَلَيْهِ بَعْدَ الْعَذَابِ وَالْأَلَمِ.

لَا نَتَحَدَّثُ عَنِ الْمَتَاعِبِ فِي هَذِهِ الْمَهْنَةِ لِأَنَّ الشَّكْوَى مُضَعَفَةُ الْعَزَائِمِ وَلِأَنَّ الْمَجْدَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ لَا يَبْلُغُ إِلَّا عَلَى جَسَرٍ مِنَ التَّعَبِ.

وَعِنْدَنَا أَنَّ اللَّذَّةَ الَّتِي تَحْيِي بَلَاءَ جِهَادٍ وَلَا كِفَاحٍ لَا طَعْمَ لَهَا وَلَيْسَ لَهَا فِي الْبَقَاءِ نَصِيبٌ. فَهِيَ كَالْأَثْمَارِ الْإِصْطِنَاعِيَّةِ الَّتِي يَنْضُدُّهَا الْمَرْءُ فِي إِنَاءٍ مِنَ الْفَضَّةِ. فِيهَا مِنَ الْأَثْمَارِ جَرْمُهَا وَلَوْنُهَا وَرَوْنُهَا وَلَكِنْ لَا رَائِحَةٌ فِيهَا لِنَاشِقٍ. وَإِذَا خَدَعَ الْإِنْسَانُ بِهَا وَظَنَّهَا مَأْكَلًا شَهِيًّا وَحَاوَلَ قَضْمَهَا وَقَعَّتْ أَسْنَانُهُ عَلَى شَمْعٍ جَامِدٍ أَوْ زَجَاجٍ بَارِدٍ!

وَفِي صِنَاعَةِ الْقَلَمِ مِنَ اللَّذَازَاتِ مَا يَتَعَزَّى بِهِ الْكَاتِبُ عَنْ آلامِهِ وَحَسْرَاتِهِ. وَأَكْبَرُ هَذِهِ اللَّذَازَاتِ هِيَ عِنْدَمَا يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَتَلْتَقِي عَلَيْهِ الْأَرْوَاحُ وَتَتَجَاوَبُ بِهِ الْقُلُوبُ.

وَنَحْنُ عِنْدَمَا نَسْتَعْرِضُ حَيَاةَ «السَّمِيرِ» تَتَرَاءَى أَمَامَنَا أَنْوَارٌ سَاطِعَةٌ مِنْ عَوَاطِفِ الْأَنْصَارِ الَّذِينَ وَقَفُوا يَشْدُونَ أَزْرَهُدَ الصَّحِيفَةِ مِنْذُ أَنْشَأْنَاهَا. وَلَا رَيْبَ عِنْدَنَا فِي أَنَّهُمْ يَشْعُرُونَ بِكَثِيرٍ مِنَ الْغِيبَةِ عِنْدَمَا يَنْظُرُونَ إِلَى هَذِهِ الْمَوْسُوسَةِ الَّتِي نَاصَرَوْهَا فَكَانَتْ اللِّسَانُ الَّذِي يَرْجِمُ عَنْ أَفْكَارِهِمْ وَأَمَانِيهِمْ وَابْتِلَاسَمِ الَّذِي يَنْسَكِبُ عَلَى جِرَاحِهِمْ. وَالْيَدُ الَّتِي تَبْنِي وَتَشِيدُ فِي هَيْكَلِ مَجْدِهِمْ. وَالصَّوْتُ الَّذِي يَهْتَفُ لَهُمْ بِالْأَغَانِي الْعَذْبَةِ.

وَهُمْ عِنْدَمَا يَهْزُ كُلُّ قَوْمٍ لَوَاءَ الْمَفَاخِرَةِ بِأَدَبِ أُمَّتِهِ وَرُوحَانِيَّتِهَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى «السَّمِيرِ» فَيَجِدُونَ فِي صَفْحَاتِهَا مِنَ أَدَبِ كُتَّابِهَا وَشَعْرَائِهَا، ثَرَوَةً لَا شَرِيكَ لَهُمْ فِيهَا.

وَنَحْمَدُ اللَّهَ أَنَّنَا قَدَرْنَا أَنْ نَتَأَلَّمَ مَعَ الْبُؤْسَاءِ وَنَمَزَجَ أَرْوَاحَنَا بِأَرْوَاحِهِمْ عِنْدَمَا بَكَوْا.

كَمَا نَحْمَدُ اللَّهَ أَنَّنَا قَدَرْنَا عَلَى أَنْ نَسُوقَ إِلَى الْأَرْوَاحِ الْمُكْتَبَةِ شَيْئاً مِنَ الْغِيبَةِ. وَإِلَى الْقُلُوبِ الْخَائِفَةِ شَيْئاً مِنَ الطَّمَأْنِينَةِ.

وَنَحْنُ فِي كُلِّ حَالٍ كُنَّا نَسْتَرشِدُ رُوحَ الْإِخَاءِ الْعَامِ فِي مَا نَكْتُبُ وَنَدُونُ. فَلَنْ نَعْبَثَ بِحَرْمَةِ حَقِيقَةٍ. وَلَا تَرَا جَعْنَا أَمَامَ بَاطِلٍ. وَلَمْ نَزَيِّفْ خَبِيراً. وَلَمْ نُمَوِّهِ فِكْرَةً. لِأَنَّنَا نَعْرِفُ أَنَّ الْقَلَمَ سِوَاكَ كَانَ قَصْباً أَوْ حَدِيداً أَوْ ذَهَباً لَيْسَتْ قِيَمَتُهُ بِالْمَادَّةِ الَّتِي صَنَعَ مِنْهَا. وَلَا فِي الْقُرْطَاسِ أَوْ اللَّوْحِ الَّذِي يَجْرِي فِيهِ بَلْ قِيَمَتُهُ الْكِبَرَى فِي الْغَايَةِ الَّتِي يَنْشُدُهَا وَالْكِيفِيَّةُ الَّتِي يَسِيرُ بِهَا إِلَيْهَا.

وَالصَّحَافَةُ لَمْ تَسْمُ «ذَاتُ الْحَلَالَةِ» بِأَخْبَارِ تَلَفُّقِهَا وَدَعَاوَى بَاطِلَةَ تَنْمُّقِهَا. بَلْ بِمَبْدَأٍ نَبِيلٍ نَاضَلَتْ مِنْ أَجْلِهِ وَسُلْطَةً جَائِزَةً حَارَبَتْهَا. وَحَقِيقَةُ مَطْمُوسَةٍ كَشَفَتْ عَنْهَا الرَّمَادَ.

فِي هَذَا الطَّرِيقِ سَارَتْ «السَّمِيرُ» وَهِيَ مِنْ أَجْلِ إِيْمَانِهَا بِالْحَقِّ وَأَنْصَارِ الْحَقِّ فِي أَمْتِنِ دَرَعٍ وَأَقْوَى جَيْشٍ.

فَلِإِلى أَنْصَارِنَا فِي كُلِّ مَكَانٍ نَسُوقُ الشُّكْرَ عَلَى مَا أَسْلَفُوا مِنْ تَأْيِيدٍ وَتَعْضِيدٍ وَنَحْيِهِمْ فِي مَطْلَعِ السَّنَةِ

العاشرة لجريدتهم تحية إخاء ووفاء على أن نمشي إلى الحقيقة ولو كانت الطريق إليها أشواكاً وجرماً وأن لا نشتهي الباطل ولا نقر به ولو كان شهياً كتفاحة الفردوس!

السَّمير: 2/ 11/ 1938

## الحق على مين؟! ١

لما سأل الشاعر الشعبي عمر الزعني في أنشودته المشهورة عن المسؤول عن الحالة التي وصل إليها الناس في بلادنا بعد أن صارت في عهدة الأوصياء. إنصرف إلى وضع اللوم على الشعب ذاته. وعلى زعمائه.

أمّا هنا في المهجر فليس أسهل على أيّ إنسان عندما ينتبه إلى آفة موجودة بيننا من وضع التبعة كلّها على عاتق الصحافة.

مثال ذلك إذا قرأ أحدهم رسالة عن حفلة لأم الصحافة على نشرها لأنّها رسالة لا تهمّه. ولكن هذا اللائم المعتّف ذاته لا يلبث بعد حين أو بعد أيّام أن يكتب إلى الجريدة عن حفلة له أطول من التي قرأها لغيره ولأم الصحافي من أجلها!

وإذا تكاثرت الحفلات ومشى ممثلو الجمعيات إلى التجار وغير التجار يطلبون إعانة هذا المشروع ومناصرة ذلك الغرض. هبّ الناس يتذمّرون من كثرة الجمعيات والحفلات.

ويبحثون عن صخرة يقرعونها بمعاول التلويّم فلا يجدون غير الصحافي!  
وإذا نشب خلاف في جمعية من الجمعيات واستشّر أمره ذهب كلّ واحد من أعضاء الجمعية يتصل من تبعته. ويلوم سواه. وأخيراً يتفق الكلّ على أنّهم كلّهم أبرياء وأنّ الملموم هو الصحافي وخذه!

أجل على الصحافي في المهجر أن يؤسّس الجمعيات. وأن يحلّ الخلافات. وأن يمنع تعدّد الحفلات. وأن يحمي التجارة. وأن ينعش الأدب. وأن يكشف المظالم. وأن يطارد المجرمين. وأن يشيد الكنائس. ويبنّي المدارس وينظّمها. وأن يرضي كلّ أحد. وأن لا يرضي أحداً!.

وهذه تبعات لا يتهرّب الصحافي من وضعها على كتفيه ولكن ليس في مصلحة الشعب أن لا يحمل شيئاً من هذه التبعات فهو أيضاً مسؤول عن نفسه. لأنّه رشيد وله إرادة. وفيه حياة وله قوّة.

والصحافة أولاً وأخيراً مؤسسة من مؤسساته بل هي أعظم مؤسساته في ديار الهجرة ولولاها لانعدمت الروابط بين المهاجرين منذ عهد بعيد. فلا يصحّ أن تكون هذه المؤسسة دائماً هدفاً لمعاول النّقد. كما لا يجوز أن تحمل تبعه ذنوب لم تجرّحها وقد يكون مجترّحها هم هؤلاء اللائمون.

إذا رأيت عيباً في قومك فأنت مسؤول عن إصلاحه مثل الصحافي. ومثل أيّ رجل آخر. فلو ملك

سواك ونسيانك نفسك يعني أنك تعترف بواجب وتتهرب منه. والفرار على هذه الصورة غير مستحب فضلاً عن أنه لا يصلح ذلك العيب.

لا. ليس الحق على الصّحافي فهو في حوميتها ليصلح. ليرشد. ليهذب. ليفيد. وليس أحب إليه من أن يرى نصائحه تقع في أرض جيّدة وجهوده المستمرة تنمر ثمراً طيباً. وهو يعرف أنه لو كانت أمته في درجة الكمال لما احتاجت إلى صحافة ولا كنيسة ولا مدرسة ولا كتاب. ولكن للكمال درجة لا وصول إليها ولم تلبس طليسانه أمة في الأرض.

فعليك أن تكون للصّحافي معيناً في مهمته لكي تتكامل جهوده بالتجّاح. وإذا رأيت أمراً يحتاج إلى إصلاح فشمّر عن ساعدك وأمش معه لإصلاحه فهذا هو الذي يصلحه.

أنت تقدر أن ترسل نقدك إلى الجريدة فتشره للناس. كما تقدر أن تتجنّب الأمر الذي تستهجنه في غيرك فتكون قدوة حسنة ومثلاً صالحاً.

أمّا أن تلوم سواك وتفعل مثل ما يفعل فإنك لا تكون من المنصفين. وعندئذ تتجه إليك الأفكار عندما يقال: الحق على مين!

السّмир: 12/11/1938

## من هو يا ترى فكتور؟

كان الحوار الجميل المفيد الذي جرى على صفحات «السّмир» بين الكاتبة الأدبية فيكتوريا طنوس والأديب المتكتم فكتور حديث الناس في الشّهرات والمجالس.

واستيقظ حبّ الإستطلاع في نفوس كثيرين فخرج من بين شفاههم هذا السؤال:

من هو يا ترى فكتور؟

وجاءنا من يسألنا أن نخبره متعهّداً لنا بأنه لا يذيع السرّ لأحد. فابتسمنا وقلنا إذن أيّة لذة تجدها في أن تدفن سرّاً كهذا في صدرك والأسرار وقرّاً ثقيل على الصدور؟ أليس جهلك إيّاه أروح لك وأهنأ؟ وإذا كنت ستكتمه ولا تبوح به لأحد أفلا تكون كأنك لم تعرفه..

وهكذا أفتنّعتا السائل بأن بقاء هذا السرّ مدفوناً في إدارة «السّмир» أفضل له. فافتنع وبقيت حرمة السرّ غير مُتّهكة!

ولما مضى، قلنا في أنفسنا لو كان الناس يبحثون عن أسرار الحياة كما يبحث بعضهم عن أسرار

البعض لما بقي سر لم يعلن ولا طُلسم<sup>1</sup> لم تنحل عقده!

يشاهد أحدنا شجرة مثقلة بالثمر فيعجب بها ويذهب يحدث الناس بروعة شكلها ويصف لهم ثمرها الشهي. وظلها الوارف ولكنه لا يخطر له أن يسأل كيف نمت هذه الشجرة ولا أين تمتد جذورها في الأرض مع أنه لو فعل لاكتسب معرفة غير ضئيلة بالأرض والشجر الثابت فيها.

ويرى الشمس تصطبغ بلون العقيق عند الغروب فينظر إليها مشدوهاً كأنه مشحور ولا يمر في ذهنه أن يسأل عن السبب في اكتسابها هذا اللون عند الغروب وكانت قبله تتوهج كالماسة الصافية. لماذا هذا هكذا؟ ولماذا ذلك كذلك؟

وما أكثر هذا وذلك تحت أبصارنا كيفما إلتفتنا وأصغيتنا ولمسنا.

ولكننا لا نسأل عن شيء من هذا إلا في النادر.

أما إذا رأينا جاراً لنا في سياره جديدة، أو سيده في معطف ثمين، أو سمعنا بإنسان أترى، أو خطب أو تزوج أو ذهب إلى المصيف، فإن كلنا يسأل كلنا لماذا؟ وكيف؟

ونظلاً نشتغل بهؤلاء حتى تسوق إلينا التقادير أو أمواج الحياة أشخاصاً آخرين غير هؤلاء فنعود إلى مثل الذي كنا فيه.

فما أعجبنا. بل قل ما أعجب الحياة التي أوجدت فينا هذه الرغبة فشغلتنا بها عن التساؤل عن أسرارها خلا فئة من الناس هجروا الناس وانصرفوا بكلهم إلى درس أسرار الكون فقصر منهم من قصر وبلغ أمنيته من بلغ. وكلا الفريقين لم يصبر حديث الناس إلا بعدما انطوى في الأرض أولئك العلماء!

السّمر: 9/12/1938

## طفل المحزور

كلما دارت الأرض دورتها وجاء عيد الميلاد شخصت أرواح الناس من المدن العظمى ذات القصور والأبراج. والقرى الحغيرة التي ليس فيها غير الأكواخ إلى قرية صغيرة في فلسطين. بل إلى مكان صغير حقير في تلك القرية هو المذود الذي انبثق منه النور فغمر التاريخ عصراً فعصرأ وأضاء الدنيا كلها قطراً فقطراً. فإذا بالإنسانية صورة نيرة. وإذا بالأرض تنبت فيها أزهار لا عهد للناس بها من قبل. هي أزهار الوداعة والمحبة والرحمة والإخاء.

كان اليهود ينتظرون أن يولد لهم ملك يعصبون راسه بتاج من الذهب لينافسوا الأمم الأخرى أو

1 الطلسم: خطوط وأعداد يزعم كاتبها أنه يربط بها روحانيات الكواكب العلوية بالطبائع السفلية لجلب محبوب أو دفع أذى ج طلاسيم.

لِيَتَحَرَّرُوا مِنْ نِيرِ الإِسْتِعْبَادِ لِتِلْكَ الأَمَمِ.

ولقد جاء ذلك الملك لا لليهود وحدهم بل لكل الناس. ولا لِيُعْصِبَ رأسه بالذهب بل ليحملَ على رأسه إكليل الشوك ويخرج الخَلَّ وَيُطْعَنُ بالحراِبِ وَيُصَلَّبُ كَمُجْرِمٍ. وكان اليهود هم الذين جهلوه فظلموه وعذبوه وأبوا أن يعترفوا به.

وهم اليوم يطالبون بالإخاء الإنساني الشامل لعلهم يأمنون على أموالهم وأرواحهم من عسفِ الحكام وصولة الجماهير الناقمة.

إنهم يطلبون شيئاً كان لهم وفي حوزتهم منذ 1938 سنة فتحلوا عنه ونبدوه. وما زالوا يصرون على نبذه جهلاً واستكباراً.

ولقد تمكنت أيدي البشر من تعليق ذلك الهيكل الترابي على خشبة وأن تدق في يديه المسامير. واستطاع الجاهلون أن يوصدوا قلوبهم دون تعاليمه التي صعب على غرائزهم الحيوانية قبولها فصلبوه ورجعوا إلى منازلهم وهم يختالون كأنهم نالوا انتصاراً مجيداً.

غير أن الفكرة السامية كالكهرباء يعطل المرء الآلة التي تخرج منها أمّا هي فتبقى لأنها ليست شيئاً تطمسه الأيدي. أو تأكله النار. أو يذهب به السيف. أو تسحقه الأثقال. إنها قوة لا تُنظر ولكنها لا تُفهر.

والفكرة السامية كالكهرباء من وجوه كثيرة أهمها أنها تسطع لمن يمتعض منها ويتأذى كما تسطع لمن يتهيج ويغضب بها ويستفيد منها.

إضمحل الهيكل الترابي ولكن تلك النفحة الإلهية بقيت سائرة في الأرض تزداد نمواً كلما امتدت حتى صار جبابرة الأرض يطأطئون إجلالاً للذكرى طفل المذود.

فإن السيد المسيح عندما جاء إلى الأرض لم يطلب لذاته مجداً. بل جاء ليجعل من هذه الأرض فردوساً جميلاً ومن الناس كلهم إخوة. فإذا كانت الأرض لم تصير بعد ذلك فردوساً. وإذا كان الناس لا يزالون بعضهم لبعض أضداداً فذلك لأنهم لا يزالون بعيدين عن المسيحية الحقيقية. إن الطريق أمامهم ولكنهم لا يسرون عليها.

غير أنهم يقتربون كثيراً من الطريق كلما جاء عيد الميلاد. فتراهم أكثر سباحة وأصفى حباً وأجل شعوراً. وأكثر عطفاً.

وترى في وجوههم إشراقاً قلماً تراه فيها كل أيام السنة.

ذلك لأنهم يدنون بالذكرى من طفل المذود الذي جاء لا ليظهر نوراً بل ليكون هو نوراً.

ونحن اليوم على ضوء هذه الذكرى. نأمل من أعماق القلب أن ينتشر في الأرض نور المحبة

والإخاء فلا يعود ينبغي قوياً على ضعيف بل يقيّله إذا عثر. وينجّده إذا افتقر. ويحميه إذا وقع في خطر. ونرجو لقومنا جميعاً ولبلادنا حياة حرّة هانئة مطمئنة فيها خيرات وبركات. وأن تتخلص فلسطين من محتيتها الكبرى فقد طال شقاؤها وعذابها.

السّمر: 1938 / 12 / 23

## كل عام وأنتم سالمون

1939

أكتب هذه اليومية وعيني على روزنامة صغيرة أمامي لسنة 1939 أهداها لي أحد الأصدقاء. هي صامية لا تتكلم. وأنا مثلها صامت لا أتكلّم إلا أنّها لا تفكر وأنا أفكر. على وجهها نقاب كالستارة المسدّلة على المسرح قبل ابتداء الرواية. فما أشبهها بزجاجة محتومة موضوعة على مائدة يراها المرء فيشتهيها ولكنّه لا يعلم أفينها خمر شهية للمشاربين أم فيها شراب مرّ المذاق كالزقوم<sup>1</sup> والغسلين<sup>2</sup>!

هي كتاب صغير حوى الأيّام والشهور أسماء وأرقاماً. أمّا ما في مطاوي الشهور والأيّام المقبلة من خير وشر. وراحة وعذاب. وصحة ومرض. وفرح وكدر. وسلام وقاتل. فذلك كلّ في كتاب مكنون. لا تنفتح عليه عين نبي. ولا تصل إليه يد صفي. ولا ينفذ إليه خاطر ولو كان لهيباً. وبليت شعري كيف يدري الإنسان سجين اللحم والدّم ما خبأ الغد في طيّاته. وهو لا يعرف ما وراء الجدار الذي يفصل بينه وبين جاريه الجنب<sup>3</sup>.  
تكلمي أيتها الـروزنامة! تكلمي أيتها الجداول التي تبتديء السنة وتنتهي فيها في أوراق صغيرة معدودة!!

أكاد أنخيّل هذه الأوراق الصّامّة المتلاصقة كأنّها تهمّ أن تقول لي: إنّ الزّمان فيها!. كذبت فهي في حيّز الزّمان لا تخرج منه أينما كانت وكيف صارت.. هذا شهر «كانون». ولكن أين برده وزمهريره وعواصفه وثلوجه؟ وهذا شهر «أيار» فأين الورود، وأين الجداول، وأين العشب الأخضر، والصّفاء والسّناء والغناء؟

1 الزقوم: طعام أهل النار وشجرة بجهنّم.

2 الغسلين: ما يسيل من جلود أهل النار وشجر في النار والشديد الحرّ.

3 الجار الجنب اللازق بك إلى جنبك.

لا أَيْتُهَا الروزنامة. إِنَّكَ لا ترمُزِينَ إلى الزَّمانِ إلَّا كما ترمز التماثيل إلى الإنسان، وكلُّ سَمَاتِهِ  
وتقاطيعِهِ وأعضائِهِ فيها. أمَّا الإنسان فليس هناك!

الزَّمان؟ كيف تحويه وهو يحويك؟

وكيف يبتديء وينتهي فيك وهو لا بداية له ولا نهاية؟

بلى. إِنَّهُ فيك كالْبَحْرِ في لوحة المصوِّر. تبدو فيه مراكب وتلوح أمواج ولكِنَّهَا بلا بحر!  
وحَوَّلَتْ عنها نظري وفي النَّفس غُلَّةٌ لم تنفع فهي لا تدلُّ على شيء مما أتوق إلى معرفته.  
وفكَّرتُ في السَّنة التي صارت على الزَّمانِ الأخير فشعرتُ كأنَّ عالماً كبيراً مملوءاً بالأفراح والأحزان  
والآمال وانزعاجاً تمرُّ عليه يد فتمحوهُ فيتلاشى كالعالم المنظور عند النَّائم.

ثم فكَّرتُ في النَّاس الذين رأيتُهُمْ في الصَّبَّاح وقابلتُهُمْ اللَّيلة البارحة وما كنوا عليه من حنينٍ إلى  
السَّنة الجديدة. فإذا هم مقياس لأكثر النَّاس؛ كلُّهُمْ تمشي في أرواحِهِمْ نشوة من الشَّوق والأمل فيه  
راقصة شادية لأنَّ سنة مرَّت فصولها وانطوت أيامها ولياليها لتظهر على مسرح الزَّمان سنة جديدة.

فكَّرتُ في شوقِهِمْ وحنينِهِمْ وغبطتَهُمْ وإبتهاجَهُمْ فقلتُ في نفسي: ليت شعري ماذا في السَّنة  
الجديدة غير الذي رأوه في السنة التي ولَّت؟

أُترى ستطلع الكواكب ولا تغيب؟

أُترى ستورق الأشجار وتظل مورقة؟

أُترى ستزهو الرِّياحين وتبقى نديَّة متألِّقة لا يتطرَّق إليها الذَّبُول؟

أم أنَّ الرِّبيع سيهبط الأرض ولا يرحل عنها؟

أم أنَّ الأرض ستُخرجُ للنَّاس كنوزها الدَّفينَة دون أن يكِدَّ واحدٌ منهم ذهنه. أو يحرك يديه أو

يسعى على قدَمَيْهِ؟

أم أنَّ الشيخ سيعود إليه عصر الشَّبَاب والشاب لن تدركهُ الشيخوخة؟

أم تراهُم فرحين جذلين لأنَّهم صر عوا السَّنة الماضية ولم تصرعهم.

أم هم مبتهجون لأنَّهم راضون بالحياة كما هي ولا يريدون عنها انتقلاً ولا فيها تبديلاً.

لا هذه ولا تلك ولكنَّ الإنسان تَوَّاقٌ أبداً إلى المجهول. طمَّاح إلى ما ليس في حوزته. وأعظم ما  
يتوقُّ إليه معرفة ما في الغد. فإذا صار إليه حنَّ إلى ما بعده. وهذا السَّرُّ في أنَّه يتقدَّم ويزداد معرفة بالحياة  
التي حوله.

فنحن عندما نحتفلُ بإنقضاء عام وإبتداء عام إنَّما نحتفِلُ بِإنتصارنا على الأيَّام.. فحبُّ البقاء غريزة  
في كلِّ حي. وأشدُّ ما تَرى هذا الحُبَّ في صورة الله ومثاله على الأرض - في الإنسان.

غدا ننزع آخر ورقة من الروزنامة القديمة. وبعد غد نستقبل أوَّل ورقة من الروزنامة الجديدة  
بعد أن نرفع السُّتار عن الرواية التي سوف تمثِّل على مسرح الأيَّام والشُّهور. وهي رواية كلِّ واحد



مِن النَّاسِ.

فقرر أن تمثل دورك تمثيلاً جميلاً ترضى عن نفسك ويرضى عنك الناس وترضى عنك الحياة.  
واعلم أنك ما دُمْتَ في الحياة فلله حياة بك حاجة. وعليك أن تظل سائراً في موكبها وإذا تطلعت  
في الروزنامة فلا تعدّ الأيام فيها والشهور بل عدّ الأعمال الطيبة التي يمكنك أن تصنعها. فإن القيمة  
للصالحات وحدها. وهي التي تزدان بها الشهور والدهور.  
سنة مباركة إن شاء الله عليك. والذي نتمناه لك نتمناه لكل الناس.  
(كل عام وأنتم سالمون)

السَّعِير: 31/12/1938

## نهر النسيان

مِن الأساطير الإغريقية أن في جهنم ثلاثة أنهر. وهذا شيء غير مألوف إلا في الأساطير إلا أن  
تكون الأنهر المذكورة ناراً ذائبة. فيصُحّ التصوُّر وتتم المجانسة في جهنم الأساطير.  
ولكنها ليست كذلك لأن جهنم الأساطير تختلف عن جهنم الكتب المنزلة ولذلك فالأنهر التي  
فيها كالأنهر التي في الدنيا - هي أنهر ماء. وإنما لها ميّزات ليست في ماء الأنهر التي تجري في الأرض.  
مثال ذلك أن واحداً من هذه الأنهر الثلاثة في العالم السفلي كان يتصوّر وجوده الإغريقون القدماء  
يُما له مِن فاعليّة غريبه وهي أن الذي يشرب منه يفقد ذاكرته ويستولي عليه النسيان.  
وإنك لتعجب كيف وضع الإغريقون هذا النهر المبارك في ذلك المكان فإن إستيلاء النسيان على  
الإنسان عندما يريد ويهوى مِن أكبر النعم. والنعم لا تكون عادة في موطن العذاب والشقاء.  
أجل. إن النسيان في بعض الأحيان أو في كثير منها آفة ذميمة وحالة قبيحة. كأن ينسى الإنسان  
صديقاً له يتوقّع أن يذكره. أو كأن يتعهّد بقضاء أمر ويغفل عن قضائه. أو كأن يكون في حالة فقر  
وضنك<sup>1</sup> فإذا استغنى زها واستكبر ومالت بعنقه الخيلاء<sup>2</sup> فنسي في أيام سعده شركاءه وزملاءه في أيام  
بؤسه.

أو كان يبذل وعوداً ويقطع عهداً لواحد أو لجماعة أنه سيفعل كذا وكذا إذا هم أعانوه على أمر أو  
ساعدوه على النجاة مِن شر. فإذا قضى لبائته أو نجاً ممّا كان يحاذره لم يذكر شيئاً ممّا جرى به لسانه مِن  
الوعود ولا شيئاً ممّا صنعه الناس مِن أجله حتى كأنها هو قد طار إلى جهنم وعبّ في ذلك النهر - نهر

1 الضنك الضيق من كل شيء.

2 الخيلاء التكبر والعجب.

النسيان والغفلة فأضاعَ ذاكرته وكلُّ ما فيها منْ صُور ومشاهد وحكايات وخيالات وأحوال .  
نعم إنَّ النسيان في حالات كهذه منْ الآفات الكُبرى التي يجب على الإنسان أن يتحامى الوقوع في رَقْها واستعبادها . وأن يجاهد إذا كان عبداً لها للتحرُّر منها .  
إنَّها هذه الآفة الهائلة تصبح بركة عظيمة عندما يصبح الإنسان قادراً على أن ينسى إساءة الصديق .  
وأن لا يذكر مصائب الجار . وأن يذهل عن عثرات العشير والرَّفيق .  
وتصير بركة أعظم عندما يقدر الإنسان أن ينسى همومه وأحزانه وبلاياه فيخرج بذلك منْ دُنيا الألم والحسرات والغُصص ..  
ولعلَّ هذا ما قصدَ إليه الإغريقُون عندما اخترعُوا هذا النهر الرَّمْزي الذي يشرب منه المرءُ فينسى ..

السَّمير : 11 / 1 / 1939

## إِصْنَعْ جَمِيلًا

إذا شئتَ أن تصير الحياة جميلة في عينيك فاصنع أنتَ جميلاً . لأنَّ الحياة أنت . وإن قال لك المتسكِّون المتشكِّفون أنك لستَ شيئاً . وإن بدا لك في ساعة من ساعات الضَّجَر واليأس السُّوداء إنَّكَ أضعفُ منْ عَصَافَةٍ<sup>1</sup> في مهبِّ رِيح هوجاء . أو أنَّكَ في ميزان الدَّهر والنَّملة الحقيرة سَوَاء .  
فلتكنْ كما زعمُوا وكَمَا تراءى لِيذَاتِكَ وأنتَ مهمومٌ أو مغمومٌ أو مغلوبٌ على أمرِكَ . ولكنَّكَ مع هذا كلُّه ذلك الكائن الذي زودته الحياة بكلِّ قُوَّتها وجمالِها . وأنتَ الذي اخترتَ له كنوزها . ولم تُبَحْ لغيره الدُّخول إلى هيكل أسرارها . بل كأنَّها هي لم تُسْفِر عن جمالها الأسنى إلَّا لكي تتملَّى منه عيناك .  
أنتَ «الجرم الصغير» الذي قال فيه الشَّاعر الصوفي صِدِّيقاً : «إنَّ العالم الأكبر» قد إنطوى فيه .  
إذن فأنتَ شيء . وشيءٌ عظيم في الحياة .

لا نبغي بهذا الكلام أن نحملك على الزَّهو والإغترار والخيلاء فتذهبَ تتعثَّر في مشيتك كَمَنْ رنَّحته الخمر . بل الذي نبغيه هو أن تدرك سرَّ القوَّة المودعة فيك لتستخدمها إستخداماً حسناً مفيداً وتعديل عن إحتقار نفسك والإستسلام لليأس عندما تعترضُ عقبة في طريقك أو تجري الرياح بغير ما تشتهي سفيتك .

فأنتَ مهما بلغتَ منْ ضعفِكَ ومهما تناهى بك سوء الظنِّ بالحياة وتصاريفها تستطيع أن ترى في الحياة جمالاً وأن تصنع جميلاً .

فما هو الجميل الذي يخلق بك أن تصنعه ؟ أو بكلمة أصوب ما هو الجميل الذي تقدر أن تصنعه ؟

1 العصف : دَقَّاق الثَّوب .

إذ ليس كل ما يجب الإنسان أن يفعله يقدر أن يفعله.

إذا كنت لا تقدر أن تنفس كربة أمة مظلومة أو تسعد جماعة من الناس شقية. فلا يعنيك أن تنفس كربة<sup>1</sup> إنسان تاعس قد يكون في دارك أو في حانوتك أو في بيت حمارك أو في الحظي الذي يمسك فيه أو في المدينة. أو قد يكون منكوباً في مكان بعيد بينك وبينه فراسخ وأميال.

فإذا كنت لا تقدر أن تغيث دهرأ فإنك تقدر أن تغيث شهراً أو أسبوعاً أو يوماً أو ساعة. فافعل تصنع جميلاً.

وقد لا يكون في إمكانك أن تبني مدرسة أو ملجأ أو معهداً لأنك لست من ذوي الملايين والآنك تستطيع أن تضمّ دولارك إلى الألف التي يتبرّع بها غنرك فيكون لك مثل الفضل الذي له. وإن الجميل الذي صنّعه مثل الجميل الذي صنع. فالشعور واحد وإن احتلقت المقادير والغرفس الذي سعيته إليه واحد.

ولا تحسب أنّ صنع الجميل منحصر في إغاثة ملهوف أو إعانة مسكين أو إنقاذ مظلوم أو تحرير مستعبّد ففي قدرتك - مهما يكن شأنها - أن تصنع جميلاً في الأرض في أية ساعة وأيّ مكان.

يمكنك أن تقطع الطريق على وشاية أو سعاية أو خبر مُخلّق فتصنع جميلاً.

يمكنك أن تنشر فضيلة مطوية أو تشجع خائفاً. أو تنشط متردداً أو تمدح على الخير أهله. فتصنع جميلاً.

يمكنك أن تزرع شجرة أمام دارك أو ترصف الطريق أمام مخزنك أو أن تحرص على أن تظل الشجرة حيّة إذا كانت مغروسة وأن تستبقي الطريق المرصوفة نظيفة. فتصنع جميلاً.

يمكنك أن تشتري كتاباً مفيداً وتطالعه أو تشتري في جريدة محرّرها أدباء من أمثلك فتسدي جميلاً إلى نفسك وإلى أمثلك ولغتك.

يمكنك أن تشتري صورة فنيّة فتساعد الفن في قومك أو آلة مُستخدّثة فتعين صناعة بلادك.

يمكنك أن تروي للناس حكاية ذات مغزى أو مثلاً حكيماً أو تحدثهم بسيّرة رجل عصامي<sup>2</sup> فيسمع الأولاد ويقتدّون به فتصنع بذلك حسناً.

يمكنك أن تصوّن سمعك عن الأقاويل الكاذبة والنّهائم والأراجيف وأن تصوّن لسانك عن نقلها فتصنع أمراً جميلاً.

يمكنك أن تفعل هذه الأمور كلّها وأموراً غيرها كثيرة. فإذا فاتك واحدٌ منها فلا يجب أن تفوتك كلّها. اصنع جميلاً.

السّмир: 21 / 1 / 1939

1 الكربة: الحزن والغم.

2 العيصامي: من ساد بشرف نفسه.

## جارنا الطروب

لنا جَارٌ يميني<sup>1</sup> تَأَقَّتْ نفسه إلى الطَّرْبِ في الزَّمَنِ الأخيرِ فاشترى فونوغرافاً ووضعَه في حانوتِه الذي يأوي إليه بعض اليمينين فيشربون القهوة ويتحدثون بفضائل الإمام يحيى وعظمة جيشه المتوَكِّلِي. وقد ظَلَّ لغَطُهُم يتعالى كلما اجتمعوا حتى جاء صاحب المقهى بالفونوغراف فيثنا لا ينفذ إلى مسامعنا غير صراخ يتعالى من أسطوانة يضعها صاحب المقهى في الصباح فينقضي النهار وهي تدور وتصرخ كأنها عصفور عالِق على الدَّبَق أو ثعلبٌ علقت رجلاه في فخ. ولكن العصفور تتلاشى قواه فيسكت أمّا هذه الأسطوانة فلا تتعب من الدوران ولا من الصراخ.

ولا بُدَّ للثعلب الواقع في الفخ من أن يأتي صاحب الحقل على صراخه فيفتك به وينتهي أمره. أمّا صاحب المقهى اليميني فلا يطيب له إلا الفُتْكَ بأرواحنا فهو كلما أوشكت الأغنية تنتهي أعادها من أولها وهكذا دواليك<sup>2</sup> فكأنه يعتقد أن الأسطوانة لا يجب أن ترتفع عن الفونوغراف حتى يبح صوت المنشد!!

إن الغناء يذهب بالسَّام من النفوس المتعبة.

ولكن هذا الغناء المتواصل على وتيرة واحدة من مُغَنٍّ واحد كلَّ النهار ممّا يخلق الحنق والنقمة في النفس على الذي اخترع الفونوغراف والذي باعه والذي اقتناه. وكان في إدارة «السَّمير» بعض الأدباء فشكونا إليهم أمرنا وسألناهم عن علاج لهذه العلة الصَّارِخة فقال رجلٌ ظريف: أترح عليكم أن تهذوا إلى صاحب المقهى عدداً من الأسطوانات التي تحبون سماعها فتزول محنتكم.

فقال آخر هذا والله رأيٌ ظريف، وحصيف<sup>3</sup> وظريف. فإذا عملتم به كنتم كهارون الرّشيد لما قطع لسان المرأة السَّاخِطة بالمال.

وكاذ الجميع يوافقون على هذا الرأي حتى صاحب «السَّمير» ولكن الأستاذ لفوفة استنكره استنكاراً شديداً وقال: إنكم بهذا الرأي كمن يحرض الكلب على التُّبَّاح والحمار على التَّهْيِيق نحن نريد أن نخلص من أسطوانة واحدة تقلقنا. وأنتم تريدون أن تزيدوا أسباب إنزعاجنا.

قال الجماعة: إذن فكيف تحل أنت هذه المشكلة؟

- 1 دواليك تداول بعد تداول فيقال: فعلنا ذلك دواليك: مرّة بعد مرّة. وكذا تستعمل بمعنى مثل فيقال: علمتُك ناجحاً وكذا أخاك وتدخل عليها (ها) للتنبيه وتستعمل للدلالة على القدر أو ما لا يراد التصريح به مثل: يملك كذا وكذا بيتاً.
- 2 حَصُف الشيء حصافة كان محكماً لا خلل فيه. ويقال: حَصُف فلان استحکم عقله وجاد رأيه فهو حصيف.

قال: أحلُّها بأنْ أهْدِي إلى هذا اليميني مطرقةً يحطُّم بها الفونوغراف!  
قالوا: وإذا لم يحطِّمهُ  
قال: أنا أحطِّمهُ!!

السَّمير: 31 / 1 / 1939

## تأملات

لا ينفك الإنسان يدور على ذاته ويفكر في ذاته أو بالأشياء التي لها علاقة بذاته حتى يخرج من محيطه الصغير بيتاً كان أم مكتباً أم حانوتاً أم قصرأ أم كوخاً في ساعة هادئة من الليل ويُسرِّحُ نظره في الكواكب المعلقة في الفضاء غير مشدودة إلى شيء وفيها أجرامٌ أكبر من الأرض. فيدرك عندئذٍ كم هو كبيرٌ بالقياس إلى مثله وكم هو صغيرٌ بالقياس إلى الكون الذي يعيش فيه. ويعرفُ كم هو ضئيل وضعيف حيال القوى الجبَّارة المُحدِّقة به من كلِّ جانب. فيرجع وقد باخَ لَوْن غروره واضمحلت في نفسه الكبرياء.

وكثيراً ما رأيتُ إنساناً يعتز بثوبٍ حاكهُ. أو بيت بناه. أو حلية صاغها. أو آنية صنعها أو آلة اخترعها. ويمجدُ من الناس حوله مَنْ يسبحُ بحمده ويُرتِّلُ له آياتَ الثناء كأنَّها هو إلهٌ تجسَّدَ أو فرخُ إله فيزداد به العتوُّ ويشتدُّ به التَّيُّه حتى يُمسي يرى كلَّ كائنٍ دونَه ولا يرى في الأرض مكاناً يصلح أن يكون له ممكناً.

غير أنه إذا أشرف على الطبيعة متأملاً في ليل أو نهار ومَرَّت به بعض آياتها وعجائِبها من أشجار أو أحجار أو أزهار أو أطيَّار عَلِمَ أنَّه مِنْهَا كذرةُ الرَّمْل من الشاطيء أو قطرة الماء من البَحْر! فهو يصرفُ العمر كله ليبتدع شيئاً قد يكون له من قَبْلِ أشباه ونظائر. ولا يخرجُه حتى يكون قد استعان بأناس في عصره أو بأناس قبل عصره. بينما الأرض تبتدع في كل لحظة أشياء ليس لها في خلقها شريك سوى أمِّها الشَّمس. ولم تساجل فيها أحداً إلا ذاتها. وتلبثُ مكانها لا تزهُو ولا تختال ولا تنفث الفخر على السوى.

يظن المرء أنه عندما يخرج للنزهة لا يستفيد من خروجه إلا الهواء النقي ولُثُور المنعش على أنه في الواقع يستفيد أكثر منهما ولا سيَّما إذا كان ممن يتفقهون الأشياء التي تقع تحت أبصارهم. أمَّا إذا لم يكن من هؤلاء فحسبه أن يُعرضَ له مشهد ساحر أو غريب فيذهل به لحظة أو لحظات عن همِّ في صدره أو يلبال<sup>1</sup> في نفسه. أو ينسى في تلك اللحظات متاعبه ومشاغله. أو يتحرَّر لفترة قصيرة من قيود حبه

١ اللِّبال: يَلْبَلُ القوم بَلْبَلَةً ويَلْبَالُ أوقعهم في افتراق الآراء واضطرابها.

وبغضه وخوفه ورعائه . ولا أعني أن لا حُب ولا بغض ولا خوف ولا رجاء في صحبة الطبيعة ولكن هذه كلها تلبس الواناً غير الوانها التي تكون لها والإنسان مع الإنسان .

رأيتُ في أثناء رحلتي في ولاية فلوريدا أشجاراً غريبة منها «شجرة المقاتق» وهي شجرة يبلغ علوها عشر من قدماً تتدلى من أغصانها خيوط كالحرير تحمل في أطرافها ثمرات مستطيلة كالمقاتق الأميركية رمادي اللون ياس القشرة كأنه قطع من خشب مصبوغة . وهذا الشجر قليل نادر لذلك ترى الناس يقصدون إلى شجرة منه في ميامي كما يزور الشياح هيكلاً قديماً أو ضريحاً فرعونياً .

ورأيتُ أشجاراً أخرى قيل لي إنها أشجار المطاط تتدلى من جذوعها عروق دقيقة لونها كلون الشراب تبلغ الأرض وتعلق بها ثم تنمو وتقوى فيصير للشجرة أصولاً قوية وتكثر هذه الأصول حتى نحسب أن كل واحد منها شجرة مع أنها كلها شجرة واحدة . وهذا النوع من الشجر موجود في أماكن كثيرة .

ورأيتُ أشجاراً مجدولة الأجسام كأنها أمراس وهي صلبة العود كأية شجرة ولكننا ليس عليها لحاء فكانها رقائق من خشب تورق وتزهر .

ورأيتُ شجرة كشجر الورد كثيرة الأغصان ولكن ليس فيها غير الأغصان . ويخرج من أطراف أغصانها زهر أحمر . دون أن يكون فيها شيء من الورق .

ورأيتُ شجرة عالية كشجرة الصنوبر خارجة من قلب شجرة أخرى أوراقها كالحرير حجباً وشكلاً . وفي أطرافها شوك أسود كالأنثوس حاد كالمخارز وصلب كالحديد .

وأغرب ما رأيت من أنواع النبات نوع من الشجر أوراقه كأوراق الزنبق ينبت في الشجر وقيل لي أنه يطير مع الهواء فيعلق بالشجر وينمو فيها ويصير كأنه منها مع أنه يختلف عنها في لونه وشكله ونوعه . فهو كالطيور التي تبني أعشاشها في الأشجار .

وهناك شجيرات لا زهر لها ولكنك إذا نظرت إلى أوراقها تتماوج فيها الألوان المختلفة تماوجاً يفتن النظر حسبتها زهراً أو توهمت أن ألوان الشمس انسكبت كلها فيها .

ورأيتُ أشجاراً لها ثمر كالخروب ولكنه ليس خروباً ولا يمكن حُسنانه في الثمر .

فأشجار الفاكهة في فلوريدا كثيرة ومعظمها مما لا يعيش إلا في الأقاليم الحارة ومنها ما هو مجلوب إليها منذ عهد قريب وأحدثه شجرة «البابايا» التي تكون في أول أمرها نبتة صغيرة كغرسة الفليفلة فلا تنضج سنة حتى تعلو وتستطيل وتخرج أثماراً مستطيلة كالكوسى ولتها مثل لب البطيخ الأصفر وفيه مثل طعمه .

وفيها شجر ثمره كالشمس في حجمه ولكن طعمه كطعم البلح وفيه مادة لزجة كالصمغ فإذا أكل المرء واحدة منه لم يستطع أن يفتح شهيته إلا بجهد من جراء تلك المادة الصمغية ..

هكذا تَتَقَنَّ الطَّيِّبَةُ فِي حَوْكِ الْأَعَاجِيبِ وَخَلَقَ الْمَفَاتِينَ فَتَظَلَّ وَرَاءَ سِتَارٍ حَتَّى تَقَعَ عَلَيْهَا عَيْنُ الْإِنْسَانِ فَيَقِفُ أَمَامَهَا مَبْهُوتاً وَيَرْجِعُ عَنْهَا وَهُوَ أَكْثَرُ إِيمَاناً بِالْخَالِقِ الْمُبْدِعِ.

السَّمِير: 22 / 3 / 1939

## البرج الشَّادي

إِنَّ الَّذِي يَذْهَبُ إِلَى فُلُورِيدَا وَلَا يَزُور «البرج الشَّادي» كَمَنْ يَذْهَبُ إِلَى مِصْرٍ وَلَا يَشَاهِدُ أَبَا الْهَوَلِ أَوْ الْأَهْرَامِ. وَكَمَنْ يَذْهَبُ إِلَى لُبْنَانَ وَيَقْعِدُ عَنْ زِيَارَةِ الْأَرْزِ.

وهذا البرج حديث البناء إلاَّ أَنَّهُ لَهُ جَلَالَةٌ هَيْكَلٌ عَرِيقٌ فِي الْقِدَمِ لِأَنَّ الْفِكْرَةَ الَّتِي أُبْرَزَتْهُ إِلَى حَيِّزِ الْمَوْجُودَاتِ هِيَ أَقْدَمُ مِنْ كُلِّ هَيْكَلٍ وَقْصَرٍ وَبَرْجٍ وَهَرَمٍ. هِيَ فِكْرَةُ الْبَقَاءِ الْجَمِيلِ فِي الْأَرْضِ. وَمَا خَطَرَتْ هَذِهِ الْفِكْرَةُ فِي قَلْبٍ إِلَّا وَكَانَ صَاحِبُهُ شَاعِراً فَنَاناً. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ يَقْرَضُ الشَّعْرَ وَيَنْحَتِ التَّمَائِيلَ.

والمستر إدوارد بوك صاحب هذا البرج لم يرفع في جدرانهِ حجراً. وَلَا نَحَتَ تَمَثَالاً. وَلَا عَلَّقَ نَاقُوساً. وَلَا غَرَسَ حَوْلَهُ شَجَرَةً وَلَا شَقَّ دَرْباً. وَلَكِنْ رَغِبَتْهُ الْجَمِيلَةُ فِي الْبَقَاءِ الْجَمِيلِ حَمَلَتْهُ عَلَى أَنْ يَسْتَعِينَ بِأَسَانِذَةِ الْفَنِّ وَالتَّصْوِيرِ وَالْأَنَاقَةِ فَاشْتَرَى ثَلَاثَةَ وَخَمْسِينَ فِدَاناً مِنَ الْأَرْضِ فِي «جَبَلِ الْحَدِيدِ» الَّذِي يَعْلُو عَنْ سَطْحِ الْبَحْرِ 324 قَدَمًا وَلَيْسَ فِي فُلُورِيدَا بَقْعَةٌ أَعْلَى مِنْهُ. وَحَوْلَهَا بَسْتَانٌ أَغْنَى بِحُيُوتِ أَنْوَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ الْأَشْجَارِ وَالْأَزْهَارِ بَيْنَهَا أَلْفٌ سِنْدِيَانَةً وَعَشْرَةُ أَلْفِ غَرْسَةٍ مِنَ «الْأَزَالِيَا» وَكَثِيرٌ مِنَ النَّخِيلِ. وَأَنْشَأَ فِيهَا الْعَيُونَ وَالْمَسَالِكَ وَشَادَ ذَلِكَ الْبَرْجَ الْعَالِي فِي وَسْطِهَا.

وَطَوَّقَ قَاعِدَةَ الْبَرْجِ بِبَرَكَةٍ يَسْبَحُ فِيهَا السَّمَكُ الْأَحْمَرُ.

والبرج آيَةٌ فِي حُسْنِ الصَّنَاعَةِ تَرَى عَلَى جِدَارِيهِ التَّصَاوِيرَ وَالتَّهَاطِيلَ وَالزُّمُوزَ الْمُخْتَلِفَةَ وَفِي دَاخِلِهِ عُلُقٌ وَاحِدٌ وَسَبْعُونَ نَاقُوساً أَوْ جَرَساً لِكُلِّ جَرَسٍ نَغْمَةٌ كَمَفَاتِيحِ الْبَيَانُوتِ أَوْ الْأَرْغُنِ يَتَوَلَّى الْعَزْفَ عَلَيْهَا مُوسِيقِي خَاصٌ لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ غَيْرُهُ إِلَى الْبَرْجِ فَإِذَا قَرَعَتْ تِلْكَ الْأَجْرَاسُ بِالْأَنَاشِيدِ خَلَّتْ أَنَّ الْفَضَاءَ كُلَّهُ فِي تِلْكَ الْمُنْطَقَةِ يَمُوجُ بِالسَّحَرِ فَإِنَّ التَّلَاحِينَ تَخْرُجُ مِنْهُ كَأَنَّهُ الْمَثَالُثُ وَالْمَثَانِي<sup>1</sup> الْمُنْسُوبَةُ إِلَى الْأَجْوَاقِ الْمَلَأَتِيَّةِ. فَيَطْرَبُ لَهَا النَّاسُ عَلَى بَعْدِ أُمِّيَالٍ وَيَسْتَحْفُ الطَّرِبَ الطُّيُورَ الَّتِي فِي تِلْكَ الْبَقْعَةِ فَتَطْفِرُ مِنَ الْمَرْحِ أَوْ تَأْخُذُ بِالتَّغْرِيدِ إِذَا كَانَتْ مِنَ الصَّوَادِحِ.

شرعَ المستر بوك بِتَشْيِيدِ هَذَا الْبَرْجِ سَنَةَ 1922 مَحْمُولاً عَلَى ذَلِكَ بِوَصِيَّةِ لَجْدِهِ الَّذِي حَوَّلَ مِنْذُ مِائَةِ سَنَةٍ جَزِيرَةَ قَاحِلَةَ فِي الْبَحْرِ الشَّمَالِيِّ إِلَى جَنَّةٍ خَضِرَاءٍ تَأْوِي إِلَيْهَا الطُّيُورَ وَتِلْكَ الْوَصِيَّةُ هِيَ:

1 المثلث والمثاني: المثاني آيات تُتلى وتكرَّر وثلاث ومثلث غير مصروف معدول من ثلاثة ثلاثة.

«أَيْنَمَا سَكَنْتُمْ فَاجْعَلُوا الْعَالَمَ أَجَلَ وَأَفْضَلَ قَلِيلاً لِأَنْتُمْ سَكَنْتُمْ فِيهِ» .  
وكان المستر بوك الذي زاول الصحافة وأثرى مِنْ مُرَاوَلَتِهَا يُؤْمِنُ بِالتَّقَرُّبِ مِنَ الطَّبِيعَةِ مَعَ الشَّاعِرِ  
جون بوراز الذي قال :

«جئتُ إلى البرية لأجد نفسي فليس أسهل مِنْ أَنْ يَضِيعَ الْإِنْسَانُ ذَاتَهُ فِي الْعَالَمِ» .  
وكان قد قرأ عن الجبل القائم عليه البرج اليوم أَنَّ الْهُنُودَ الْحُمْرَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الشَّمْسَ فِيهِ وَلَا سِيَّيَا  
فِي أَوَّلِ كُلِّ ربيع .

وقد شاءَ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الْبَقْعَةُ الْعَالِيَةُ الْجَمِيلَةُ مَنْسَكاً يُلْجَأُ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ الْمُثْقَلُ النَّفْسَ بِالْهَمُومِ  
فِيستريح . ويجد الطائر الشريد ملجأً في أشجارها الظليلة .

فالواقف في تلك القمة يشرف على عدة بحيرات حولها . ويقال إنَّ الذي يصعد إلى قمة البرج يطلُّ  
منها على أكثر مِنْ سِتِّينَ بحيرة في تلك النواحي عدنا إليها . ولما اقترَبْنَا مِنْ «لايك دايلز» التي فيها البرج  
أخذنا نسير بين غياض البرتقال والكباد الأصفر «الكريب فروت» وكانت أثماره تبدو لنا كأنَّهَا أَكْرَمُ مِنْ  
ذهب معلقة بالأغصان . أو أَنَّ كُلَّ شَجَرَةٍ ثَرِيّاً تضيءُ فِيهَا الشُّمُوعُ .

ودخلنا أرض المنسك وطفنا بالبرج الذي ملأتْ شهرته البلاد . وطوبنا روح بانيه الذي أوجدَ  
للإنسان خلوة سعيدة وللطير مأوى أميناً .

ووقفنا عند عَيْنٍ فَإِذَا فِي الْأَرْضِ بِلَاطَةٌ مِنْ رِخَامٍ .

وقد عَرَّجْتُ وَأَنَا عَائِدٌ مِنْ مِيَامِي عَلَى مَدِينَةِ جَكْسَنْفِيلِ فَأَمْسَكَنِي الصَّدِيقُ يَوْسُفُ خَلِيلُ دَاوُدَ  
وبعض الأصحاب وقالوا : كيف تغادر فلوريدا ولم تر البرج الشَّادِي؟  
وما زالوا يحدثونني عنه حتى ملأوا النَّفْسَ شَوْقاً إِلَيْهِ . وصارتِ الْمَائَةُ وَالسُّتُونُ مِيلاً كَأَنَّهَا عَلَى  
مَرْمَى حَجَرٍ .

وكان الصَّبَاحُ الثَّالِي فَذهَبْنَا فِي سَيَّارَةٍ شَقِيقِهِ الْأَدِيبِ أَسْعَدَ دَاوُدَ وَكَانَ مَعَنَا الْقِسُّ الْمَحْبُوبُ إِبْرَاهِيمَ  
حَزُورِي وَالشَّاعِرُ الرَّقِيقُ نَعْمَهُ حَاجٍ . وَكُنَّا فِي الطَّرِيقِ نَتَجَاذِبُ صُنُوفاً مِنْ الْأَحَادِيثِ فَحَدَّثْنَا عَنْ الطَّرِيقِ  
وَنَحْنُ لَا نَدْرِي وَلَكُنَّا لَمْ نَلْبِثْ أَنْ كَتَبَ عَلَيْهَا بِاللُّغَةِ الْإِنْكِلِيزِيَّةِ هَذَا الْمَقْطَعُ مِنَ الشَّعْرِ وَهُوَ لِلشَّاعِرَةِ  
دُوروثي فرنسيس غورنسي :

### The Garden

The kiss of the sun for pardon

The song of the birds for mirth

You are nearer God's heart in a garden than anywhere else on earth.

فاستهوأنا هذا المعنى الدقيق كما استهوئى كثيرين مِنَ النَّاسِ قَبْلَنَا . وَإِنَّ فِي نَقْشِهِ عَلَى تِلْكَ الرِّخَامَةِ  
فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ بَرَهَاناً عَلَى حَسَنِ الْإِخْتِيَارِ وَسَلَامَةِ الذَّوْقِ فِي الَّذِي اخْتَارَهُ . وَفِيهَا نَحْنُ عَائِدُونَ خَطَرَ



لنا أن ننقل المعنى شعراً إلى العربية فقال نعمة:

شعاع الشمس يغمرني شعاعاً      وشذو الطير يُسمعني الملهي  
أنا في الروضة الغناء حقاً      لأقرب ما أكون إلى الإله  
وقال أيضاً:

أنت أدنى إن كنت في الروض  
كُل مكانٍ إلى فؤادِ الإله -

وقال صاحب السمير:

قبلات الشمس في الروضة عَفْدُ  
وغناء الطير في روحك أفراح -

وسماحُ

وراحُ

قُلْ لمن يبحث عَمَّنْ أمرُهُ كافٌ ونونُ  
أنتَ في الروض إلى ربِّكَ أدنى ما تكون

وقال أيضاً:

قبلة الشمس تعنق الروح في الروض      وشدو الطيور يفرح قلبك  
أنت في الروض أقرب الناس لله      وإن كنت لا تشاهد ربك  
وقال القس إبراهيم:

قبلة الشمس في الحديقة للعفو      وشدوا الطيور رمزُ الحنان  
أنت في الروض أقرب الناس للخالق      من أي موضعٍ أو مكان  
وقال يوسف:

في قبلة الشمس عنوانٌ لمغفرة      وفي غنا الطير رمز الزهو والمرح  
فأنت في الروضة الغناء بينهما      أدنى إلى الله ذي الآلاء والمِنِّح  
وعاد فقال:

قُبْلَةُ الشَّمْسِ رَمَزُ عَطْفٍ وَعَفْوٍ      وغنا الطير فيه إنسُ الخلود  
ليس كالرَّوضِ في الوجود مكانُ      فيه تدنو من قلب ربِّ الوجود

فتلاعب صاحب «السَّمِير» بمعنى هذين البيتين فقال:

قَبْلِي يَا شَمْسُ رُوحِي      تَنَعَّيْتُ بَلْ تَنَحَّرُ  
واهتفي يا طير، الأَلْحَا      نِ فِي سَمْعِي فَأَسْكُرْ  
أنا في الروض مع الله      ولا أَطْلُبُ أَكْثَرَا

وقال أيضاً:

قُبْلَةُ الشَّمْسِ فِي الْحَدِيقَةِ تَحْرِيرُ      وَإِلَّا فَإِنَّهَا غَفَرَانُ  
وأغاني الطَّيُورِ فِيهَا حِكَايَاتُ      وَإِلَّا فَإِنَّهَا أَلْحَانُ  
جَارِكُ اللَّهِ فِي الرِّيَاضِ فَإِنْ أَقْدُ      صِيتَ عَنْهَا فَجَارِكُ الشَّيْطَانُ

وهكذا قطعنا الطَّرِيقَ وهذا المعنى يفعل في أرواحنا فعل النَّسِيمِ اللَّطِيفِ أو الضوء بالأزهار وكلنا يشعر أنه إذا لم يرجع من زيارة البُرْجِ بغير هذا الزَّادِ الرُّوحِيِّ لكفاه.

وانسدل اللَّيْلُ ونحن لم نَبْلُغْ مدينة جكسنفيل وكادت تصبح عصافيرُ البطون من الجوع والبطون لا تشبعها القوافي وإن كانت تشبع العقول والقلوب، فقال صاحب «السَّمِير» مداعباً:

قُلْ لِلْمَدِينَةِ مَا لَهَا لَا تَقْرِبُ      طَالَ الْمَسِيرُ وَأَمَرْنَا يَتَصَعَّبُ  
والجوع يصفر في البطون كأنه      أفعى تَفْحُ لِحَارِثٍ أَوْ عَقْرَبُ  
تطوي الطَّرِيقَ بنا المطيَّة في الدُّجَى      وكأنتما هي في الطَّرِيقِ تُدَبِّدُ

وأخيراً استراحت السَّيَّارَةُ من الزَّكْضِ وحوثنا المدينة التي كنَّا نَظُنُّ أَنَّ لَهَا نَبْلُغُهَا.

السَّمِير: 8 / 4 / 1939

## ما رأيته وما سمعته

إذا كنتُ أتحدَّثُ إلى القُرَّاءِ عمَّا أراه في رحلاتي مِنَ المشاهدِ والأُمُورِ وما تخلَّقه هذه في نفسي مِنَ التأثيرِ فذلك لأنِّي أحبُّ أنْ يشاركني القُرَّاءُ اللَّذَّةَ التي أشعر بها حيناً. والعِظَّةَ التي أتمثلها حيناً آخر. وأنْ يعرف النَّاسُ شيئاً عن الأماكنِ التي أزورها ولا سيَّما الذين لم يسمح لهم الدَّهْرُ بأنْ يزوروها. فالحديث عن الأشياءِ البعيدة يقرُّبُها.

وقد ينتبههم الحديث عن بعض المحاسنِ إلى محاسنِ طبيعِية حولهم حيث يقيمون فيرجعون إليها فتكون لهم بها عناية ويصيرون لها أكثر تقديرًا. ويجدون في هذا الالتفات والعناية غبطة لم تكن لهم وهم عنها معرضون.

ومن المفيد جداً للإنسان أن يرجع إلى صحبة الطَّبيعَةِ حيناً بعد آخر لئلا تنقطع بينهما الصلة فيبقى

فيها جمالها وسحرها ويفقد هو لذة الإحساس بها فيها من جمال وسحر .  
وفي صحبة الطبيعة فوائد جمّة يحصل عليها الإنسان مجاناً . وهي أتمن من كل الفوائد التي يتقاضى  
الناس عنها أثمناً باهظة .

فكم من شجرة شعرت وأنت في ظلها كأنك في ظل رُوح نبيلة عطوفة شفيقة .  
وكم من بحيرة سرت في قلبك الطمأنينة عندما وقفت على الشط تنظر إليها .  
وكم من جبل أو وادٍ أيقظ في رُوحك ذكريات قديمة هاجعة فتتفصت كطيور الفجر وأحسنت  
عند استيقاظها كأنك تسترد ما مضى من العمر .  
وكم خلت أن همومك لا تنقضي فلما صرت في حمي الطبيعة إنطوت في صدرك الهموم وإذا بك  
مرح طروب كأنك لم تعرف الإنقباض في حياتك .  
فاقترب من الطبيعة ترجع إلى الناس وفي صدرك ما فيه من إتساع ورحابة وحلم جميل ...  
لما خرجت من فلوريدا فارقتها وأنا أردد في نفسي قول المتنبي المشهور الذي قاله بلسان حصانه  
وهو مارٌّ في وادي «بوان» وهو :

يقول بشعب بوان حصاني      أعن هذا يسار إلى الطعان؟<sup>1</sup>  
أبوكم آدم سن المعاصي      وعلمكم مفارقة الجنان

ورخت أجادل ذاتي وأقول إذا كان الحصان قد استهواه الجمال في الأرض وهو حيوان فكيف يجب  
أن يستهوي هذا الجمال الإنسان العاقل الراقى ولا سيما في أرض هي أجمل بكثير من أرض بوان .  
وكان من حسن حظي عند مقارفتي «أرض الزهور» أن يرافقني شاعر هو زهرة فواحة في بستان  
حياتنا الأدبية . وهو الصديق نعمه حاج الذي ألح عليّ أن اعرج على سوث كارولينا الغنية بالجبال  
والحقول ومناخها معتدل كمناخ لبنان فهي غير حارة كفلوريدا ولا باردة كنيويورك وخير الأمور  
الوسط .

فلما وصلت إلى غرينفيل التي فيها بيت الشاعر وهناك تعرفت إلى أفراد جاليتنا الكريمة فيها وزرنا  
مزرعة «الحويك» التي يقوم على حراستها عبد . وفيها نبع رقيق عذب الماء . وفي هذه المزرعة أشجار  
مختلفة وطيور داجنة .

وصعدنا مرة في سيارة الأديب الياس ملحم الخوري أنا وشقيقه الصّحافي القديم والشاعر اللبق  
أسعد والصديق نعمه إلى جبل اسمه «بارس» يشرف على غرينفيل وتشاهد منه البواشق السوداء تطير  
فوق الوادي العميق .

في هذا المكان الهادي الضامت استيقظت ذكريات قديمة في نفس أسعد فروى لنا شيئاً من شعره

1 الشّعب : إنفراج بين الجبلين ج شعاب .

أيّام كان يحزّر جريدة «المهاجر» فكنت أصنغي إليه وأتأسّف كيف أن الدّهر وضع هذه الشعلة الشّعريّة تحت المكيال. ولم يكن في الطّاقة نقل جلاله الجبل وكبريائه ولا شجرة من أشجاره إلى الورق ولكن تستنّى لي وأنا فيه أن أنقل بعض ما سمعته من أسعد لأعرضه على قراء «السّمير» فيعرفوا أيّ موهبة مخبوءة في غرينفيل. ففي الأبيات التّالية يدافع دفاعاً جيلاً عن حواء التي كانت سبباً في خروج آدم من الفردوس وهي:

إن أسقطت حواء آدم مرّة	كم مرّة نجّته من سقاطته
قالوا بغت وجمت عليه خروجه	من جنة الفردوس طول حياته
صدقوا ولكن ليس يُنكر أنها	أغنته عن فردوسه وفراته
لما رأى ذاك الملاك رفيقه	ترك الجنان وقال: تكفي هاته!

وإليك أبياتاً له في الغزل تدل على رقة شعور وصفاء بيان وجودة طبع قال:

لما رأيتك في الجمال فريدة	سيّرت في كل البلاد فرائدي <sup>1</sup>
لولاك ما خطر الغرام بخاطري	ورجعت أنشر في الأنام قصائدي
فلأنصبت - على الطريق حبائلي	وأبيت أرصد للغزال الشّاردي <sup>2</sup>
وإذا وقعت أكون أغنم صائداً	فإذا وقعت أكون أسلم واقع

ووقف مرّة على جسر بروكلن في ليلة مقمرة فقال يصف القمر وخياله في النّهر:

والبدر قد شاهدته في ليلتي	بدرين لا ما صوروه خيالا
قمر تهادى في السّماء ودوّته	قمر يحاكيه سناً وجَمَالا
يتسائران كعاشقين لموعدي	حيث المتيم لا يرى عذلاً <sup>3</sup>
أصباهما نظراً الرّقيب فراعته	فغدا يقطب وجهه إجحالا

وكانت بينه وبين المرحوم أسعد النقيري مداعبات. وكان النقيري الذي عاش مدة في مصر يلحق كلمة «قوي» التي تعني عند المصريين «جداً» بكلّ شيء يريد أن يبالغ في وصفه فيقول «مهم قوي» و«بليغ قوي» و«ضعيف قوي»! الخ.

وكان مصاباً بالزُّوماتيزم إلى درجة يتصعّب معها عليه المشي إلّا عرجاً. وحدث أن «أسعدنا» كان مرّة في سفر فكتب النقيري هذه الرسالة التي شاء أن يداعبه فيها قائلاً له:

صديقي العزيز «المهم قوي»!

1 الفريدة الجوهرة الثمينة ج فرائد.

2 الحيالة: الحابل الصّائد بالحيالة والأخبول المصنّدة.

3 العذل: عذله: لاهه.

توالى ذكرك في خاطري في هذين اليومين فقلت: لعلَّ الصَّدِّيقَ ذاكري ولو بملام. المحبِّ الدَّاعي  
جيد الصُّحَّة متقلبُ الأحوال. أنت كيف أنت. عسى أن تكون قد أوتيت الفَرَجَ مِنَ العَرَجِ وعليك  
السلام:

في كلِّ عمري ما رأيتُ شوارباً	أبدأ نظير شوارب الأنقيري
جرَّت على الشَّفتين أذبالاً لها	ورؤوسها إرتفعت على المنخور
لكنَّها في وجنتيه ملاحه	أخذت من التأنيث والتذكير
لوشفت في ضرب المحاشي فعله	شاهدت حقاً كيف عزم الزَّير
يتلو القريض كأنَّه أوفى على	سِخر الخميس وآخر المزمور

وله أشياء أخرى طريفة وجيلة وذذت لو أنَّه يستخرجها من مدافنها ويبيعها من جديد.

السَّمير: 14 / 4 / 1939

## يوم اللآلئ الصغير

أمسكنا القلم لنكتب كلمة عن عيد يوم الأمَّهات الذي شرع الأمير كيون يحتفلون به منذُ بضع  
سنوات فحضرتُ إلى الذَّهن صوَرُ أناس نعرفهم هاجروا إلى هذه الديار وهم في ميعة<sup>1</sup> الشَّباب  
الغض<sup>2</sup>. كان لهم أتراب وأصحاب فلما طال زمن البُعد نسوهم.  
وكان لهم عشراء وأصدقاء فاستخذتوا من بعدهم غيرهم في الأماكن التي نزلوها. وكانت لهم  
رغائب وأشواق فذبلت في أرض الغربة لتبت في قلوبهم أشواق ورغائب أخرى.  
وكان في أذهانهم للجمال والفضيلة صوَرُ خياليَّة قريبة من الواقع أو بعيدة. فلما نزلوا إلى معترك  
الحياة القاسي تبدلت هذه الصوَر بتأثير المحيط أو الأحوال أو إنطمسَّتْ واندثرت.  
أجل. إنَّهم تبدلوا من كل شيء شيئاً آخر حتى اللُّغة واللبَّاس والوطن.  
إلا أن شيئاً واحداً فيهم لم يتبدل وهو حبُّ الأم في قلوبهم وصورة الأم في أذهانهم فهي الإله  
الصغير المنظور الذي لا ينساه المرء إلا إذا استطاع أن ينسى الله..  
فهو رحمة شاملة.

وهي رحمة لا حدَّ لها

هو محبةٌ وغفران

1 وميعة الشَّباب والنَّهار أو لها.

2 الغض: الطَّري الحديث من كلِّ شيء.

هو صاحب العين التي لا تنام  
وهي صاحبة القلب الذي لا يتعب من الخفقان بالحنان والعطف والإشفاق  
هو الذي تشرق شمسهُ على الأخيار والأشرار من عباده  
وهي التي تغمرُ بحنوِّها ومحبتِّها الأخيار والأشرار من أولادها  
استمع إلى الفلاسفة الوعاظ ورجال اللاهوت يقيمون الدليل على وجود الله فتحار وتحار وربما  
ضللت وأنت تريد أن تهتدي...  
ولكنك إذا نظرت إلى وجه أمك ضاحكة أو باكيت شعرت أنك تقترب من الله. بدون أن تمشي  
خطوة أو تجهد عقلك في البحث .  
فإنها الدليل الذي لا يدحضُ بحجة فيلسوف ولا بكلام سفسطائي على أن الله موجود وعلى أنه  
رحمة ومحبة وسخاء عميم.  
ولقد أدرك الأمير كيون ما للام من الفضل على الحياة وما لها من التأثير الفعال في إرتقاء الإنسان  
وإزدهار الحضارة فخصَّصُوا لها يوماً في السنة فأحسنُوا وأجادُوا.  
إلا أن الأمر الواقع هو أن كل يوم في الدهر هو يوم الأم.

السَّمير: 13 / 5 / 1939

## بين الفصحى والعامية

وردت في المقال الذي نشرناه يوم السبت للأديب الفاضل إبراهيم قرعان ملاحظة حول لغة  
المشرح تدلُّ على أنه ممن يستحسنون استعمال اللغة العامية في التمثيل. ونحن من هذا الرأي . إلا أن  
الأمر لا يتوقف على اللغة العامية ولا على اللغة الفصحى، بل على الفكرة التي تلبس الكلام ثوباً؛  
وفي اللغة العامية عبارات ثقيلة وعبارات جوفاء لا قيمة لها لا تؤدي شيئاً إلى ذهن القاريء. وأحياناً  
يتكلفها المحدث تكلفاً فتجيءُ سمجة نابية عن الذوق كالكلام الوحشي<sup>1</sup> الذي يلجأ إليه المُقَصِّر في  
اللغة الفصحى.

وأما استعمال اللغة العامية عقبة كأداء<sup>2</sup> لا ندري كيف يمكن التغلب عليها وهي تعدُّ اللَهجات  
العامية بتعدد الأقطار والأمصار بل بتعدد المدائن والقرى بحيث يصعب على جمع خليط أن يفهم كلُّ  
ما يقوله الممثل الذي يلجأ إلى لهجته الخاصة، التي لا يفهمها سوى ابن قريته أو مدينته.

1 الكلام الوحشي: القديم الذي يصعب فهمه بسهولة.

2 عقبة كأداء: أي صعبة.

ولا يجب أن ننسى أن اللغة العامية ليست في الواقع إلا اللغة الفصحى مشوّهة محسوخة. ولما كانت اللغة الفصحى اليوم قد بلغت درجة من المرونة والسهولة يستطيع معها التعبير عن أي هاجس<sup>1</sup> في النفس أو ترجمة أي خاطر في الرأس، فالأخذ بها اليق وأنسب وأجمل وإنما يجمل بالممثلين أن يسكنوا أواخر الكلمات فلا يشبه الأمر على أي سامع. وتجيء كل كلمة مستقلة فلا يضيع معناها بين الرفع والنصب والجر والتنوين.

وقبل كل شيء يجب أن يحوي الكلام فكرة أو معنى أو مغزى يستهوي السامع فلا يتصجر. وأن يكون الكلام جلياً لا تعقيد فيه ولا تلبك. فتقطع الشكوى ويقل التذمر.

فالمسألة أولاً وأخيراً حسن أداء أو سوء أداء، لا أكثر ولا أقل. وبعضهم يعجز عن تأدية ما في نفسه بأية لغة وبعضهم لا يعجز عن إفهام السامع ما يجول في ضميره بأية لغة وإذا أعوزه الكلام عمد إلى الإشارة فأفصح وأبان.

لا، ليس العيب في اللغة الفصحى بل في الذين لا يحسنون استخدامها طبقاً<sup>2</sup> للمواقف والأحوال وأهم من كل مهم أن يراعي المتكلم سواء كان خطيباً أو ممثلاً أو محدثاً مدارك القوم الذين يستمعون إليه. فلا يلقي عليهم قصيدة كـ «قفا نبك» وهم يتوقعون أن يسمعوا مطلع معنى أو موال عتاباً ولا يغني لهم عتاباً وهم مغرمون بأغاني عبد الوهاب وأم كلثوم أو أغاني الأوبرا الإفريقية.

ولماذا لا يمكن أن تكون الروايات العربية كالأغاني المصرية الحديثة مزيجاً من اللغتين الفصحى والعامية يتفق مع أذواق السامعين مع تسكين أواخر الكلمات كما قدمنا وكما نفعل كلنا عندما نتحدث.

السّمر: 15/5/1939

## كلنا مغلوبون - أولاً وأخيراً

استوقفتنا في رسالة بعث بها إلينا صديق من رجال الأدب الذين هجروا حومته عبارة لم نستطع المرور بها دون كلمة نقولها وملاحظة نبديها. وهذه العبارة هي:

أمامي الآن رسالة كتبها إليّ المرحوم جبران سنة 1922 جاء فيها «لئن غلبت يوماً فسُغلب دهرًا».

وأنا اليوم مغلوب على أمري ولكني لا أعلم إلى متى؟ الشهر أم لعام أم لدهر؟

1 الهاجس: الهجس النبأ تسميها ولا تفهمها وكل ما وقع في خلدك.

2 طبقاً أي مطابقاً.

قرأنا هذه الكلمة فرحنا نتساءل قائلين :

أفوق الأرض كائنٌ عاقل أم تحت التراب ميتٌ رَمِيمٌ<sup>1</sup> لم يُغلب يوماً في عمره ؟  
وهل هناك قلبٌ لم يستشعر الحسرة والنَّدَم والغَيْظ والألم يوماً أو شهراً أو دهرًا. إمّا لأمرٍ طلبه فلم يدركه. وإمّا لحالة كان فيها وتمتَّى دوامها فلم تدم. وإمّا لخسارة في تجارة أو في غير تجارة. وإمّا لضياح لذة أو شبابٍ أو وطنٍ أو حبيب. أو غير ذلك من الأمور التي يقدرها الإنسان فيخطيء في التقدير؛ فإذا الذي توهم أنه واقع غير واقع وإذا المصير غير المصير.  
كلُّنا مغلوبٌ في الحياة حتى المنتصر الظافر مِنّا. كلُّنا ضعفاء أمام القوى الخفية التي تلعبُ بنا لعب العاصفة الهوجاء بالعصفور.

نحنُ ذرّاتٌ في كفِّ الدَّهر يجمعها حيناً ويفرقها حيناً فإذا كان اجتماعها إنتصاراً فلسنا نحنُ الذين أحرزناه وإذا كان افتراقها إنكساراً فما هذا الذي إختارناه وأردناه.

ولكنّا عندما نتكلّم عن الإنتصار والإنكسار. أو عن الفوز والإنغلاب لا نعني إنتصاراً على قوّة طبيعيّة ولا إنكساراً أمام قوّة أخرى بل الذي نعنيه ماكسبتناه نحنُ من ناسٍ مثلنا أو ما خسرناه مع ناسٍ مثلنا. فالشكوى المتصاعدة من فمي وفمك هي شكوى من جاري وجارك. من الإنسان الذي يحاول تكيف حياته وأمورك إمّا مباشرة أو بواسطة. وبعبارة أخرى أننا نشكو من المجتمع العام. من التّفاوت فيه. من الأخطاء في أنظمتِه وشرائعه وعاداته وتقاليده. وربّما كان أوّل شاكٍ مِنها هو الذي كانت له اليد الطولى في وضعها أو الدّفاع عنها.

فنحن مغلوبون أبداً. مغلوبون مع المجتمع القاسي الذي لا يرحم. ومغلوبون مع الحياة التي تعطف علينا عطف الأم الرّؤوم ثم تسحقنا سحق العاتي الجبّار فتتحطّم تحت ضرباتها كما يتحطّم الفخّار.

كلُّ إنسان مكتوبٌ له أن يكون مغلوباً أبداً. مع أمّه وهو طفل ومع المدرسة وهو يافع ومع المجتمع وهو رجل ومع الحياة في كلِّ أدوارها.

فلا حاجة إذن للإفتراس بأنّه إذا غلب يوماً فسَيُغلب دهرًا لأنّ الأمر الكائن الرّاهن هو أنّه مغلوب أبداً حتى عندما يتوهم أنّه ظافر منتصر !.

السّمير: 1939 / 5 / 29

1 الرّميم: رمّ العظم بليّ فهو رَمِيمٌ.



## غلط ولكنّه غير مطبّعي

يغلط الإنسان في عمل أو قول فإذا نُبّه إليه وكان حكيماً تداركه بل ربّما أسرع إلى إصلاح الخطأ قبل أن ينبّهه إليه أحد.

وهكذا تفعل الجريدة عندما يقع فيها غلط ناشيء عن سهو الكاتب أو المنضيد.

ولكن هناك غلطات لا يستطيع الإنسان إصلاحها لأنها فوق قدرته.

خذ مثلاً بعض الناس الذي خلقتهم الطبيعة ولهم كلّ ما للناس من أعضاء وجوارح وحواس.

ولكن ليس فيهم شيء من كياسة الإنسان الرّاقية ولا فهمه ولا شعوره.

هؤلاء بين الناس كالأغلاط المطبّعية في الكلام الجميل.

إنّهم مركّبون من لحم ودم ولكن قلوبهم مشوّشة بالحقّ وعقولهم مطمؤسة بالجهل ولا قدرة لك

أن تصلحهم لأنك لست ربّاً.

هم كالكلمات المغلوطة تتألّف من الحروف كسائر الكلام الصّحيح ولكن الحروف في غير

مواضعها لا تؤلّف كلاماً صحيحاً.

ومثلما يستعصي عليك فهم جملة مشوّشة أو تستكرّر عبارة نافرة خارجة عن قاعدة الكلام

الصّحيح. كذلك تقف أمام هذا الصنف من البشر وأنت حائر ممّتعض لا تقدر أن تصحّحه لأنّه ليس

كلاماً وليس لك أن تشطبه من دفتر الحياة لأنّ الأمر ليس لك. وأنكى من هذا أن عليك أن تحسّبه من

الناس وإن لم يكن منهم إلّا بشكليه وهيئته...

قد تقول في نفسك: لماذا لا نمزج هذا الصنف كما نمزج بالأصنام والتماثيل. فلا نكلّف أنفسنا أن

نحسّبها منّا ولا نجبر أنفسنا على أن نأخذ معها ونعطي.

رأي حسن. إلّا أنّ الأصنام لا تمشي إليك بمكروه إذا كانت لا تمشي إليك بجميل أمّا هؤلاء

فيمشون ولكن بالمكروه وحده!

إذن فالطريقة المثلى هي أن نفعل بهم ما يفعل البستاني بالشوك والزّارع بالزّوان أي أن نعزل الأول

عن الأزهار لئلا يخنقها. ونفصل الزّوان عن القمح لئلا يغلب الشرّ الذي في الشوك الخير الذي في

القمح.

أجل إنّ الجهلّة. والأشرار هم في عالم الإنسانيّة الصّحيح مرضى يجب عزلهم إذا إستعصى على

المجتمع أن يكشف عنهم عماوة الجهل وأن يغلب فيه نزعات الشر.

فإذا بليتّ بواحد من هؤلاء وأعجزك أن تصلحه فابتعد عنه كما تبتعد عن موبوء لئلا تنقل عدوى

التّعصّب والغباوة منه إليك.

خذها نصيحة مني . فهي بنت التجارب الكثيرة .  
تجارب الحكماء والفلاسفة والأنبياء . وتجاربي أنا أيضاً .  
فإذا عجزت أن تبعد فلتكن لك شجاعة وقوة على إستئصال الشوك لئلا يدميك . وعلى سحق  
العقرب لئلا تؤذيك .

السَّمبر: 5 / 6 / 1939

## ساء الزَّلِيل مقاساً أَيْنَمَا نَزَلَ

لكلِّ سنانٍ حقٌّ على الحياة إذا تَحَلَّى عنه ولم يطالب به لاحٌ في عيني الحياة صغيراً حقيراً وصار في  
نظر النَّاس أدنى من النَّاس .

حقك في الحياة يعني أن لك حصة في الماء والهواء والغذاء . فهذه لم توجد لفئة من البشر دون أخرى  
فإذا حال بينك وبين الماء إنسان وفيك عطش فهو جانٍ عليك . وهو معتدٍ على حق لك وإن أنت رَضِيتَ  
أن تصبرَ على أذاه وتحتمل الظَّما والماء موجود . فأنت جانٍ أكبر ومعتدٍ أشد إثمًا .

وحقك في الحياة يعني أن لك حصة في ما تخرج الأرض من الغذاء . فإذا أهملت حقك متَّ جوعاً  
أو ضنكاً . ولا يجوز أن يموت إنسان جوعاً لأن الخير في الأرض كثير يزيد عن حاجة سكَّانها .

وحقك في الحياة يعني أن لك أنت الكائن العاقل حقاً في أن تعيش حرّاً آمناً فلا يتعرَّض لك في  
النهار لص ولا يدبُّ إلى بيتك في الليل سارق . ولا ينبغي عليك مُستبد فيمنعك أن يكون لك رأيٌ غير  
رأيه ونظرات في الأمور غير نظراته .

فإذا تنازلت عن هذا الحق الذي وهبكَ إِيَّاه الحياة صرتَ غير مستحقٍ لآلاء الحياة وبركاتِها لأنك  
خالفت نواميسها وأبقت<sup>1</sup> بذلك وخنوعك من طاعتها ولم تعمل بوصاياتها .

فالحصول على هذه الحقوق لا يتمُّ لك بأن تقعد في ناحية من الأرض وتشكو عنت النَّاس وقسوة  
الأيام والليالي ومعاكسة الحظوظ والأقدار .

بل أنت لا تحصل على شيءٍ من هذه الحقوق إلا إذا كُنْتَ مستحقاً لها ولا تصير مستحقاً لها إلا إذا  
طالبتَ بها . وسعيتَ لإدراكها .

فإذا كُنْتَ تريد أن يأتيك نصيبك من غلة الحقل فيجب أن تعاون الأرض على إخراج الغلال وذلك  
بأن تتعب في حرائثها كما تتعب هي لتردَّ الحبة إلى زارعها مائة حبة .

والظَّفَر بالماء يوجبُ على الإنسان أن يجمعه إذا نزل من الغمام أو أن يحرصَ عليه إذا كان مجتمعاً في

1 أبق العبد: أي هرب.

حوض أو بئر أو مندفق من ينبوع.

إنَّ الحياة تعرض عليك هباتها بلا ثمن وإنَّما عليك أنت أن تحسنَ الأخذ وأن تعرف لهذه الهبات قدرها لتعرف كيف تصونها وتذودُ عنها.

وأثمن من كل هذه الحقوق حَقُّكَ في نفسك فإذا تهاوتت في كرامتك صرت عبداً ذليلاً لمن يستزيد من الكرامة والعزة والصَّولة في الأرض.

وأما بعض النَّاس - إذا جازَ أن نعدَّهم من النَّاس - فلقد مات هذا العرق في أرواحهم فهو لا يَنْبُضُ. لذلك تقعُ الكَفُّ على أقيمتهم فلا يحشون الماء ولا عاراً ويختطفُ المُستبدُّ اللُّقمة من أفواههم وأفواه أولادهم ويطرَحها لكلايه وعبيده فيذهبون يباركون للكلاب والعبيد بما أكلوا!

وتدور سلاسل الإستعباد حول رقابهم وتشدُّ عليها حتَّى تدميها فلا يتألَّمون إلا كما تتألَّم الدَّابة من سرج يوضع على ظهرها ولجام يوضع في شِدْقَيْها وسوط يسقط على قفاها وحيناً على فخذيها.

السَّمير: 1939 / 6 / 7

## الضُّفدَع في الحكايات

للضُّفدَع عند أهل الحكمة حكايات كثيرة كمثُل الحكايات عن الثَّعلب. والحَيَّة. والطَّاووس والهدهد. والحمار والذَّيب وغيرها من الحيوانات والطُّيور. فإنَّ الفلاسفة والشُّعراء رأوا أن يستخرجوا الحكمة للنَّاس في أمثال يضرُّونها أو حكايات يقصُّونها. فتحصل العظة منها في نفس القاريء والسَّامع دون أن يُثْهَم في عقله أو تُمسَّ كرامته. وليست الحيوانات في القصص والأساطير والحكايات إلا رموزاً لأناس فيهم مثل طباعها ولهم مثل تصرفاتها.

فمن الحكايات البليغة عن الضُّفدَع أنَّ أسداً سقط في بركة كلس حامية فأخذ يتخبَّط فيها لعلَّه يستطيع النِّجاة من الهلاك احترافاً وبينما هو يجاهد ويزار من الألم تطلَّع فرأى على ضفَّة البركة ضفدعاً وسقاية<sup>1</sup> وإذا بالضُّفدَع تملأ فمها ماء وتبخَّه على الأسد لعلَّها تكسر من حدَّة اللَّظي فلا يحترق. وإذا بالسقاية تنفخ في الكلس بشدَّة لتزيده وهجاً واستعاراً ليسرع الموت إلى الأسد.

فلمَّا رأى ذلك منهم ما كاد ينسى المحنة التي هو فيها فهزَّ رأسه ساخراً وقال في نفسه:

«لا الضُّفدَع ستطفيء النَّار ولا السقاية ستزيد اللَّهب. ولكنَّ ظهرت نية كلِّ واحدة منهما».

فالضُّفدَع في هذه الحكاية كائن مشفق رحيم يحبُّ الخير ويكره أن يرى غيره في محنة فيعمل جهده لإنقاذه منها.

ولاح لشاعر مرَّة أن يصوِّر حالة هو فيها فنظَّم هذه الحكاية:

1 سقاية: وسقاء بالشفة وأسقاء ذلك على الماء، أو سقى ماشيته أو أرضه فهو سقاء وهي سقاة وسقاية.

قالت الضفدع قولاً فسرته الحكماء

في فمي ماء. وهل ينطق من في فيه ماء

فوضع في فم الضفدع كلاماً يحير في نفسه ولا يستطيع الجهر به إماً خوفاً من سلطة غاشمة. أو مراعاة لجماعة جاهلة. وهي لسبب ما تمثل بهذا البيت السائر!

ويشبهه العرب الرجل الثرثار الغث الكلام بالصفدع لأنها تكثر الثقيق على وتيرة واحدة.

وللإغريق القدماء حكاية عن الضفدع يتمثل بها الناس عندما يرون رجلاً صغيراً يقلد رجلاً كبيراً. أو يحاول الظهور بمظهر لم يخلق له فإن الضفدع في هذه الحكاية أعجبها من الفيل أنه ضخّم كبير فأرادت أن تصير مثله فانتفخت ثم انتفخت لعلها تكبر فإذا بها تنشق وتمزق!

وليس في تشقّق الضفدع وتمزّقها كارثة ولا فاجعة ولكن في حكايتها هذه عظة بالغة لكل مغرور بلبس ثوباً ليس له. ويطلب حالة لا يستأهلها ولا تليق به. وقد قال أحد الشعراء:

من تردى برداء ما رآه لأبيه

سوف يأتيه زمان يتمنى الموت فيه

وما دُمنا في الحديث عن الضفدع وأطوارها والحكايات التي وضعها الناس عنها فلا بأس بإيراد قصة نظمناها عن ضفدع وقفت من سنوات حسنها موقف القائد المرشد والرعيم المجاهد وذلك في ليلة من الليالي لاحت لها خيالات النجوم قد هبطت من الأعالي لتطرد الصفادع من الساقية وتقيم مكانها. فأخذت تصيح في الليل حتى اجتمعت الصفادع كلها واندفعت في الصباح إلى الفجر. فلما مَحَا ضوء الفجر أشباح النجوم من الماء راحت تلك الصفدع تحتال كالقائد المتصر وتحدث رفاقها بالفوز المبين الذي تمّ لها ولهم على الليل وعلى النجوم معاً وهذه هي القصة:

صاحت الضفدع! لما شاهدت	حولها في الماء أطلال النجوم
يا رفاقي! يا جنودي احتشدوا	عبر الأعداء في الليل التّخوم <sup>1</sup> !
فاطردوهم واطردوا الليل معاً	إنه مثلهم باغ أثيم
زعقة سار صداها في الدّجى	فإذا الشطّ شخوص وجسوم
مرّق الفجر جلابيب الدّجى	وامّحت من صفحة الماء الرّسوم <sup>2</sup>
فمشّت في سربها تحتالّة	كمليك ظافر بين قروم <sup>3</sup>
ثم قالت: لكم البشرى ولني	قد نجونا الآن من كيد عظيم
نحن لو لم نقهر الشّهب التي	هاجمتنا لأذاقتنا الحثوم <sup>3</sup>

1 التّخوم: التّخّم بالفتح منتهى كل قرية أو أرض ج تخوم.

2 القروم: القرّم من الرجال السيّد المعظم ج قروم.

3 الحثوم: حثم عليه الأمر أوجه فهو حثم ج حثوم.

وأقامت بعدنا من أرضينا      في نعيم لم تجده في الغيوم  
أيها التاريخ سجّل أننا      أمة قد قهرت حتى النجوم!!!

ولا نرانا بحاجة إلى زيادة شيء على ما تقدّم لئلا ننتقل من الكلام على الضفدع إلى الكلام على بعض الناس الذين فيهم ما في تلك من أوهام وحديثهم نقيق وإن ليس صور الكلام.

السّمر: 12 / 6 / 1939

## فلسفة العجز - فلسفة الحمقى

للعجز فلسفته مثلما للقوة فلسفتها.

فالقويُّ القادر على بلوغ أمنية في نفسه يركّز في الوصول إليها على فلسفة «الدنيا لمن غلب» وعلى الحكمة القائلة:

«الأرض ميراث المجتهدين»

وهذه هي الفلسفة التي تتمشّى عليها الأمم الأوروبية التي بعد أن انتهت من استثمار أرضها أخذت تستولي على أراضي الأمم الأخرى وتستثمرها.

لذلك قلّ الزاهدون المتصوّفون في أوروبا وأميركا لأنّ القوم مُدركون أنّ الزهد آفة الهِمَم. فما انطوى إنسان على نفسه إلا وصار عالّة على محيطه وعبئاً ثقيلاً على الأرض التي يعيش فوقها.

وقد أدركت تركيّاً ما في الزهد من خطر ولا سيّما إذا كان شعورُهُ فراحَت تطارد الدّراوِش حتى طهرت منهم أرضها. لأنّهم حجارة لا تصلح أن تكون في البناء الوطني الجديد.

وها هي بعدما أكملت نهضتها - بالطموح والإقدام لا بالزهد والخنول - أخذت تمدّ يدها إلى سوريا وتقتطع منها الشقّة بعد الشقّة على حد ما تفعل الأمم الأوروبية الإستعمارية.

ونحن لن نصير أمة ذات شأن تقدر أن تردّ عنها العوادي وتذود عن حوضها من الأعادي إلا إذا نبذنا فلسفة العجز والخنول قصياً وخلعنا عنّا ثوب الزهد والتّصوّف. وفتحنا عيوننا بجرأة على الحقائق فطارَدنا عدونا الأكبر وهو القناعة بالحياة كما نجيء. وتركنا الفخر بالعظم الرّميم. والتّغني بالمجد القديم. والإستسلام للأوهام والخرافات. فالناس لا يسألونك من كان جدُّك ولا من أي أرض جئت بل يسألونك من أنت وماذا عملت؟

فأيُّ كتاب نحمل في أيدينا عندما تتقدّم كلُّ أمة بكتابها في يوم الفخار؟

ليس عندنا شيء

إنّ كتابنا صفحات مطموسة

وهو صفحات مطموسة لأننا نمنا عندما استيقظت الأمم. وقعدنا عندما نهضت. وسكّتنا عندما

قالت: ولم تتحرّك بينما هي تجدّ وتدأب وتعمل.

ولهذا السبب أخذنا نخدّر أنفسنا بالأوهام. فإذا رأينا أساطيل الأمم في البحر رحنا نعزي أنفسنا بأننا من بلاد كانت لها أساطيل منذ آلاف السنين!

وإذا انفتحت أعيننا على أجداد الأمم التي تدهش العقول رحنا نعزي أنفسنا بأن بلادنا كانت فيها حضارات ومدنيتات واندثرت!!

هذه طرمذة<sup>1</sup> العجز وفلسفة الضعف. وهي التي توحى لبعض الخياليين العائشين في دنيا الوهم أمثال هذه العبارة - «لا نقدر أن نهب العالم أساطيل ولا مخترعات ولا ذهباً ولا فضة ولكننا نقدر أن نهب أدمغة!».

أنحنُ الفقراء الضعفاء الذين ينتزع الناس الثروة من تحت أقدامنا وعلى مرأى منّا ومسمع نقدر أن نعطي العالم أدمغة؟

أنحنُ لنا هذه القدرة ومن الناس نأخذ كل شيء حتى المعلومات عن بلادنا عن أنفسنا؟ إلى متى نظل نتخبّط في ليل الغرور؟

إننا نستجدي العالم حتى زر القميص. حتى الإبرة التي نخيط بها ثيابنا. حتى القلم الذي ندوّن به هذه الشعوذة. ومع ذلك يقول قائل منّا وعلى مسمع الناس «إننا نقدر أن نهب العالم أدمغة!!». فما أعظم جسارتنا؟!

وما أنبل الأمة الأميركية التي تسمع مثل هذه الدعوى الوقحة في أرضها وترك قائلها يمضي في الشرثرة!

إن فلسفة الضعف والعجز هي فلسفة الحمقى والمغفلين وأهل الوسائس والأحلام. وهذه الفلسفة المضرة هي التي حالت من قبل ونحول اليوم دون صيرورتنا أمة قوية. بل هي التي تجعل منّا فرائس لكل أمة قويّة.

فإذا كنّا نريد أن يكتب لنا التاريخ صفحة إنتصار مجيد فأول إنتصار هو يوم نقضي على فلسفة العجز هذه قضاء مبرماً وننبذ أصحابها ودعاتها كما نبذ الأتراك الدراويش الممتخرقين<sup>2</sup>. فإن الأجداد لا تبنى بالوهم المضلل ولا بالتصوّر الخداع.

من كان يشرب من جداول وهمه قطع الحياة بغلة لم تنقع<sup>3</sup>

السّمير: 1939 / 7 / 20

1 الطرمذة: لم أجدها في «القاموس المحيط» ولعلها «طرمة» والطرمة الإطراقة من غضب أو تكبر.

2 الممتخرق: الخرق الجهل الحق.

3 الغلة: الغل شدة العطش وحرارته. تنقع: ونقع الماء العطش أي سكّنه.

## ليلة في الجبل

تضايقتُ من الحرِّ المتطاوُل كما يتضايق أيّ سامع من كلمة «يا ليل» يردُّدها مغنٍ قديم الطراز فينتهي الليل قبل أن ينتهي.

فلما جاء صديقي السيد نعمه صدقه يقول: هلمَّ<sup>1</sup> إلى الجبل! شعرتُ كأن نفسي توبّخني لبقائي في المدينة في حين أن الأصحاب كلَّهم يحويهم الجبل.

وكان صباح السَّبت فإذا بسيَّارة الأديب إبراهيم صدقه تنطلقُ بنا من المدينة كأنَّ بها حيناً إلى القمم العالية. إلى الجبل الذي كتبتُ فيه «صلاتي» وانفصلتُ عنه وبقي في مخيلتي يرافقني في رحلاتي وسكناتي.

وكنّا كلُّنا أرتفعتُ السيَّارة بنا في الجبل نشرفُ إمَّا على شلالٍ أو نهرٍ أو ساقيةٍ أو على غابةٍ من الشجر الأخضر المتلاصق المتعاقب كأنَّه يريد أن يقي وجه الأرض من سهام الشمس! وكثيراً ما لاحَ لعينيك بين هذه الأشجار فوق وادٍ أو على ضفَّة بحيرة بيت منفرد معلق كأنَّه وكنَّة<sup>2</sup> النسر الأعصم<sup>3</sup>. فتعجب كيف اختار الإنسان ذلك المكان ثمَّ لا تلبث بعد الجمال الذي تراه حوله أن تتعجَّب كيف لا يكون الإنسان في ذلك المكان..

وبلغنا ترزفيل فبدتْ لنا الوجوه الشَّرقيَّة وأخذنا نشاهد النَّاس الذين سبقونا إلى الجبل فنجوا من الحرِّ وإرهاقه «وعلقنا» نحن في إرهاقه.

قلتُ أنِّي هربتُ من الحرِّ ولم أعلم أنِّي فررتُ من زوبعةٍ ماطرةٍ شديدةٍ انفجرتْ على المدينة ميازيبها فكادتْ تغرقها ونحن في الجبل ننعم بالنَّسيم الملائف والظلَّ الوارف.

والتقيتُ رهطاً من الأصدقاء في منزل صديقي أديب زريق الذي سمَّاه الشاعر المتواضع بذري فركوح - بيت كاتي - فقد أخذني أديب أسراً وأنا في الطريق ونعمَ الأسير الود.

ووجدتُ دعوةً تنتظرنني إلى البيت الذي تصطاف فيه السيِّدة النجبية ماري زريق وسلفها<sup>4</sup> الأديب فؤاد وصهرها الفاضل ألفرد نحَّاس وقرينته المهذَّبة ألس.

فلمَّا كان الغروب انتظمتْ في ذلك البيت حلقة جميلة من الأصدقاء وأديرتْ أكواب الرِّاح عليهم

1 هلمَّ: أي تعالَ مركبةً من هاء التثنية و«لم» أي ضمُّ نفسك إلينا واستعملت استعمال البسيطة يستوي فيه الواحد والجمع والتذكير والتأنيث عند الحجازيين.

2 الوكن بالفتح عُش الطائر في جبل أو جدار.

3 والأعصم من الطَّباء والوعول ما في ذراعيه أو في أحدهما بياض وسائره أسود وأحمر وهي عصماء.

4 السلف للرجل زوج أخت امرأته ج أسلاف.

وكان عددهم كبيراً فإذا بنا في حفلة تقام لموافقة ذلك اليوم مولد فؤاد.  
وبينما المصطفون في البيوت والفنادق يتسامرون أو يلعبون أو يتحدثون، كانت الأرواح تترنح في ذلك البيت بصوت المشددة الساحرة أسماء صباغ التي ترداد القلوب ظمناً كلما شربت ذلك الصوت العذب.

وتلطفَت السيدة المهذبة أولغا مدام الفاضل عبد الله ورده فأنشدت بعض الأدوار الجميلة بصوتها الشجي.

ومن ثم إنجل صاحب «السمير» أبياتاً بقي منها في الذاكرة ما يلي :

أيُّها المنتشي بكأس مُدام      إني منتشٍ بكأسٍ ولَحْنِ  
رجع الحب والصَّبِّ وأمانيه      وكان الشَّبَابُ قد ضاع مِنِّي  
يا سواقِي أرقصي ويا شجر الفا      باتِ صفقُ فإن «أسماء» تغني

ثم ألقى كلمة ممتعة في وصف تلك الساعات الجميلة وشكر أصحاب البيت.  
وتعاقب المتكلمون في التعبير عن عواطفهم وهم الأستاذ توفيق فخر شعرا ونثراً. والشادة رزق الله كيون. والياس الطويل وجورج معقد وأمين سماره وعارف سماره. والمحامي إدوي زريق بالإنكليزية فأننى على الأصدقاء ثم على أبناء وطنه.

وألقت الشاعرة كاتي زريق أبياتاً لطيفة تناسب المقام.

وعادت أسماء تنشد والأرواح تترنح.

وفي آخر الليل أخذت السماء ترش الأرض بدموعها ثم صار الرذاذ مطراً واكفأ<sup>1</sup> في الصَّباح. فاستترت عنا محاسن الزُّبى والأودية وراء قناع كالضباب وهو الشحاب.

السمير : 22 / 8 / 1939

## خِتام مرحلة

تودع «السمير» مع هذا العدد عشر سنوات من حياتها كمؤسسة أدبية في المهجر. وثلاث سنوات من حياتها كجريدة يومية.

هي سنوات ليست في كتاب الدهر شيئاً ولكنها شيء كثير بالنسبة إلى حياة الفرد.

هي في الدهر كالسفينة في البحر سواء عليه حملت ناساً أو حملت أغلالاً أو نقلت تحفاً وجواهر. لا تزيد في مداه مداً ولا في جزره جزراً. بل سيان عنده ألف سفينة تنزل إليه وصخور نابته فيه أو حيتان

١ وكف المطر قطر قطرة قطرة.



تسبحُ في قاعِهِ.

ولكن السفينة ذات شأن كبيرٌ عند الإنسان لأنها تحمله من شطٍ إلى شطٍ. وتسيرُ به في البحر الذي لا يمكنه أن يمشي عليه إلا إذا آتاه الله قوَّةً كالْمسيح.

وهذه السَّنَوَات التي قطعناها في «السَّمير» بعد أن قطعنا مثلها في سواها هي قطعةٌ ثمينةٌ مِنَ العُمُر وجزءٌ عزيزٌ مِنَ الرُّوح صرفناه في خدمة أُمَّة هي أحبُّ إلينا من كُلِّ أُمَّة تحت الشَّمْس.

أُمَّة على فقرِها أعزُّ عندنا من أغنى أُمَّة في العالم.

أُمَّة على ضعفِها أغلى علينا من أقوى أُمَّة في الأرض.

أُمَّة تاعِستُ سيِّئةَ الحظِّ إلا أنَّها أجلُّ في نظرنا من أسعد وأهنأ أُمَّة في الوجود.

أُمَّة صرفنا الشطرَ الأكبرَ مِنَ الحياة في الدُّوْد عن كرامتها مِنَ المُعتدِّين. وفي مؤاساتها في الأرزاء والمصائب. وفي شدِّ أزْرِها<sup>1</sup> كلِّما خذلَّتها اللَّيالي. وفي تسديد خطواتها وتشديد عزيמתها كلِّما ألمَّ بها اليأس أو سار بها الدَّهر في غير الطَّريق القويم.

وكما أنفقنا تلك السنين سوف ننفق ما بقي مِنَ العُمُر في السَّعي معَها إلى الهدف الأسمى الذي تنشده منذ قرون وهو أن يكون لها ما لغيرها مِنَ الحقوق وأن يكونَ حظُّها مِنَ الحرِّية والسَّعادة مثل حظ سواها.

سنوات تعدُّ على الأصابع ولكنَّها سنوات ثمينة فيها تذكَّارات غالية لا تعدُّ على الأصابع لأنَّها كالذَّقَائِق التي إنقَضَتْ لا يحصيها العد.

هي ذكريات فيها المشرق الضَّاحك كإبتسامات الفجر في الرِّبيع. وفيها العائِس المتجهم كليلالي كانون العاصِفة.

إلا أنَّ النَّفس تبتسم لخيالاتها كُلِّها. للذكرى الضَّاحكة لأنَّها صورة شيءٍ فيه لذة وسرور وللذكرى العائِسة لأنَّها ذكرى أمرٍ كربه إنقضى. وزوال النَّقمة مُبْهَجٌ كحلول النَّعمة.

إنَّنا نظربُ لذكرى اليوم الذي صَفَتْ سِياؤه وطابَ هواؤه لأنَّنا نعمنا به وطربنا ولعبنا وأشرَفنا منه على الجمال في الحياة!

ونظربُ لذكرى اليوم الكئيب الذي أناخَتْ<sup>2</sup> علينا فيه الهموم والمتاعب لأنَّه زال وتكشَّفت عَنَّا همومه.

وفي هذه السَّنَوَات التي مرَّت بسوانا كما مرَّت بنا أشياء حلوة وأشياء مُرَّة ولكنَّنا نودُّ أن لا نستقي في الذَّاكِرَة إلا خيالات الأشياء الحلوة التي تملأ النَّفس ثقة بالحياة وبالنَّاس.

أمَّا الأشياء المُزعِجة المُكدرَة فنودُّ أن نتناساها وأن نمحوها من دَفترنا ليبقى في صفحاته مكان لما

1 شدَّ الأزر: القوَّة ويقال شدَّ أزره قَوَّاه.

2 أناخ: أناخت الجمل فاستناخ أي أبركته فبرك.

هو أجمل وأفضل وأبهج.

ونودُّ ونحن نستعرض هذه السنوات أن ندوّن للأنصار الشكر لأنهم كانوا لنا نغم الرفاق كما نودُّ أيضاً أن يشتركوا هم معنا في هذا الإستعراض ليروا كم أدت «السمير» من الخدم الجلى للمهاجرين في كل نواحي الحياة وكم بذلت من الجهود لتكسب ثقة الرأي العام. فإنها لم تذخر جهداً ولا ضنت بوقت ولا بهال في سبيل مبدأ تؤمن بصحته أو مشروع تعتقد بفائدته ونفعه. فكانت في كل مواقفها مثال الصراحة ومثال الأمانة على الحقائق وعلى مصلحة الشعب المهاجر.

وهي اليوم تلتفت إلى ماضيها مطمئنة كجندي قام بواجبه وتنظر إلى المستقبل مطمئنة أيضاً لأنها لا تجبن عن القيام بأي واجب. بل تجد في ذلك لذة لا تعادلها لذة أخرى. فرأس مال الصحافي الأكبر هو ثقة الجمهور به وهذه الثقة لا تأتي المرء عفواً ولا يوليه الشعب إياها إلا بعد التجريب. إننا نودُّع السنة المنصرمة شاكرين الذي بيده الموت والحياة الذي أعاننا على تذليل الصعاب وأثار سبيلنا فسرنا.

كما أننا نسوق الشكر إلى حملة الأقلام الذين يزيئون صفحات «السمير» بنتاج قرائهم وثمار تفكيرهم فإنهم شركاؤنا في الخدمة.

وسلام على الأنصار الأوفياء في كل مكان نزلوه.

سلام على القريب الذي إقترب فضله. وعلى البعيد الذي لا يبعد عنا إلا بالمسافة أما قلبه وشعوره فمعنا.

هؤلاء هم اللآلئ التي يتنظم منها هذا العنقد الجميل. وهم الرياحين التي يتألف منها هذا الرّوض الفوّاح. وهم الجيش الذي تعزّبه دولة الأدب.

وهم الرفاق الذين حوّلوا بحسن وفائهم مرارة المتاعب إلى حلاوة. وأشواك الجهاد إلى أزهار. فبتنا نترنم حتى ونحن في غبار المعارك.

إن «السمير» تحفظ عهدهم لأنهم حفظوا عهدنا وتصون ودّهم لأنهم صانوا ودّها. وستبقى دائماً عند ثقتهم بها، بإذن الله.

فربّ رسالة تشجيع من صديق جاءتنا والنفس مُضجّرة. والقلب يطوف به الزهد فشحذت الهمة الكليّة وصقلت الخاطر الصّديء. وعدنا نرى وجه الحياة على أجمل وأشرق ما يكون وجو العمل والسعي أفسح وأرحب من ذي قبل.

وكم مرّة عالجتنا أمراً ونحن لا نخشى أن يستعصي علينا فتمّ لنا النصر كله بفضل الأنصار والأعوان ولولا هم ما تمّ لنا منه شيء.

السمير: 1/11/1939

## في مثل هذا اليوم

في مثل هذا اليوم منذ ثلاث سنوات ودّعنا عهداً واستقبلنا عهداً. ودّعنا «السّмир» مجلة تصدر مرّتين في الشّهر واستقبلنا «السّмир» جريدة يوميّة تطلعُ على النّاس كلّ صباح.

وبينما نحن مُنصرفون إلى تمكين البناء الجديد كانت تتسرّب إلينا آراء مختلفة فيها نحنُ أخذون به فمن قائل إنّ المجال يضيق عن جريدة يوميّة جديدة.

ومن قائل إنّنا قد وضعنا على عاتقنا عبئاً ثقيلاً سنرّزح تحته.

ومن قائل إنّ الجريدة اليوميّة تحتاج إلى رأس مال كبير وليس هذا الرّأس مال موجوداً.

ومن ساكت لا يقول شيئاً يتمنّى لنا الخير أو لا يتمنّى لنا خيراً ولا شراً.

ومن متحدّث بنا في المجالس بأشياء لا يحسنُ التحدّث بسواها وإن كانت ليست مما تستسيغها النفوس. ولا تلذّها المستامع.

أمّا نحن فكنّا مُنصرفين بكلّيتنا إلى تحقيق أمر واحد وهو أن نجيء «السّмир» عند رضى الجمهور وأن يشعر أنّه بحاجة إليها.

وهدف مثل هذا لا يصل إليه المرء في يوم ولا في أسبوع ولا في شهر. فإنّ الشجرة لا تعطي ثمرها يوم تُغرس. والحبة لا تصير سنبلّة حال طمرها في الأرض.

لكلّ شيء ميقاته.

كانت هذه الأقوال والآراء تبلّغنا فنقول إنّ كانت صحيحة فلا يثبت صحّتها إلاّ الاختبار وإن كانت فاسدة فيظهر الاختبار فسادها.

وكان يسوقنا إلى العمل إعتقادنا المكين أنّ الشيء الحسن المفيد لا بدّ أن يجد أعواناً وأنصاراً واجتهادنا أن تكون «السّмир» هذا الشيء الحسن المفيد ومما قوى فينا هذا الإعتقاد أنّ الحياة تسير دائماً إلى الأحسن حتى في الأوقات التي يسود فيها الإعتقاد أنّ كلّ شيء بلغ منتهاه وأنّ الحياة آخذة في التراجع إلى الوراء.

ألّم تمتدّ الشكوى في كلّ عصر من كساد الأدب؟ بلى. ولكن الأدب لم يكسُد بل راج.

ألّم يزعم كثيرون أنّ النّاس قد زاغوا وفسدوا كلّهم؟

بلى. ولكن لا يزال في النّاس قوم لم يزيغوا ولم يفسدوا بل أنّ الصّلاح قد ازداد فيهم.

ألّم نهجر نحن بلادنا لإعتقادنا أنّها ضاقت بأهلها وليس فيها مورد للإرتزاق؟

بلى. ولكن بلادنا التي ضاقت بنا قد رحبت باللاجئين إليها فأقاموا ووجدوا فيها الغنى والموطن

الأمين!

ألم يقل كثيرون أن الدهر قد شاخ وأن الدنيا قد صارت كالكرم الذي لم يبق فيه غير الحطب .  
بلى . ولكن الزمان لا يزال في شبابه . ولم يزل في الدنيا خير كثير ورزق وفير .  
فأنت ترى أن اليأس كان في كل عصر يسطو على كثيرين من الناس فيسد عليهم الطريق ويغل  
أيديهم عن العمل وعقولهم عن التفكير بينما غيرهم يأمل فيعمل فإذا الحياة حلوة بالأمل وإذا اللذة كلها  
في العمل .

لقد كنا منذ ثلاث سنوات كمثل البُستاني غرس شجرة وأحاطها بكل أسباب العناية لتنمو فلما  
نمت صار يحرص عليها أن تبقى لتأوي الطير إلى أوراقها والإنسان إلى ظلها في الهجير<sup>1</sup> ، ولتظل شهية  
للناظرين وفي ثمرها قوت وغذاء للاكلين .  
وهذا ما نريد نحن أن نفعله في «السَّمير» .

السَّمير : 2 / 11 / 1939

## عيد بأية حال عُدت يا عيد

إذا أراد المرء الباحث أن يعرف سيرة حياة المتنبّي فما عليه إلا أن يرجع إلى قصائده التي نظمها  
بعد مفارقتها سيف الدولة الحمداني . ففيها صورة جليّة واضحة لما مرّ به من الحوادث وما كان لتلك  
الحوادث من التأثير على روحه وما كان في طباعه من الاستعداد لمقاومتها أو العمل بها . ولكنّه في هذه  
القصائد كان إلى التمرّد والعصيان أميل منه إلى الانجراف في تيارها .

ومن أشهر قصائده تلك التي قالها يوم جاء العيد عليه وهو بعيد عن وطنه وأحبابه مرزوء في  
أحلامه ومطامعه التي ظلت زهراء مشرقة حتى أحسّ كافور الأخشيدي أن المتنبّي شاعر بين جنبيه  
قلب ملك وأحسّ المتنبّي أن كافور الأخشيدي ملك في نفسه خسارة وضعة . فصار كلاهما من  
صاحبه على حذر .

وجاء العيد والمتنبّي يفكر في الخروج من مصر خلّسة<sup>2</sup> لأنّه أحسّ بروح الغدر تتأثّب في صدر  
ذلك العبد المتسلط على مصر . فجاش صدره بالشعر فقال يخاطب العيد :

عيد بأية حال عُدت يا عيد      بها مضى أم بأمر فيه تجديد  
أمّا الأحبة فالبيداء دونهم      فليت دونك بيدّ دونها بيد

وفيهما يقول :

1 الهجير : ينصف النهار عند اشتداد الحرّ .

2 الخلّسة ما يُختلس .

لا تشتري العبد إلا والعصا معه      إن العبيد لأنجاس منكبيد  
العبد ليس بحُرٍّ صالح باخ      لو أنه في ثياب الحرِّ مولود

إلى غير ذلك من الآيات التي جرت مجرى الأمثال.

ولقد مرَّ بنا عيد كذلك العيد الذي جاء على المتنبّي في مصر وهو عيد الهدنة فإذا لسانُ حال الناس في كلِّ مكان يهتف قائلاً:

عيد بأية حال عدت يا عيد      بما مضى؟ أم بأمر فيه تجديد؟

كان في مصر رجل واحد يلتفت إلى العيد فلا يرى فيه اليوم الذي يحقُّ له أن يطرب فيه ويبتهج.  
وجاء عيد الهدنة علينا فإذا الناس كلُّهم في كلِّ مكان يقفون مفكرين قائلين في أنفسهم: أي معنى للاحتفال بالهدنة ولا هدنة؟

أيمتفل الناس بالهدنة وهول الحرب في كلِّ موضع وشبَّحها ماثلٌ لعيني كلِّ أم وأب؟  
أحقاً أن كلَّ الدماء التي سفكت في الحرب الماضية قد ذهبت أدراج الرياح؟ وإذا كانت تلك المجزرة لم تعظ الخلق ولم تقتل فيهم حبَّ الفتك والقتل فهل تظنُّهم يرتدُّون إذا زُهقت ملايين الأرواح من جديد!

وإذا قيل لهم أن هذا العيد هو لتكريم الجنود الذين استشهدوا في تلك الحرب فأين تكريم أعظم وأسمى من الإنقطاع عن القتل والكف عن التدمير؟! فهذه هي الغاية التي بذل أولئك الشباب أرواحهم في سبيل تحقيقها. ولكن لسوء حظ البشرية لم تتحقق!

ذلك هو العيد الذي مرَّ بنا وهو عائد كما نرى بالأمرين<sup>1</sup> - بما مضى وبأمر فيه تجديد!

السَّمر: 13 / 11 / 1939

## متفجرات لا نار فيها

لا نحدثك اليوم عن تركيب كياوي جديد فلا شيء من الكيمياء في هذه المتفجرات وإن كان أصحابها من أبناء العرب دهاقنة الكيمياء.

ولا نصيف لك سلاحاً حربياً استنبطه قوم كالألمان الذين اخترعوا الألغام المغناطيسية التي تفتك بالسفن فتك وباء وبيل بالنعاج والبقر. فالتفجرات التي لا نار فيها لا تدمر سفينة ولا منزلاً ولا تقتل إنساناً ولا حيواناً.

1 ولقي من الأمرين بكسر الرءاء وفتحها والمترين بالضم أي الشر والأمر العظيم.

إذن فحديثنا معك عن هذه القصائد التي تنطأ في جرائد بيروت كالشظايا فتفرق وتدوي ثم تتلاشى كما تتلاشى فقايع الصابون.

قصائد لشعراء معروفين وقصائد لشعراء يريدون أن يشتهروا. وقصائد لأناس تدعوهم الصحف شعراء وما هم بشعراء. وقصائد لصبيان أو لرجال كالصبيان كلهم يشد قوسه ويوتر<sup>1</sup> سهامه لتصيب رجلاً واحداً هو هتلر الطاغية. المجنون. الوحش. الخنزير. السفاح. إلى آخر ما هناك من الثعوت التي إتفق عليها هؤلاء المحاربون بلا سيوف وهم الرافضون وغيرهم ينقر الدف.

كلهم يتوعده هتلر ويصرف بأسنانه متحرّقا لأنه لا يستطيع الوصول إليه والوثوب على عنقه. ولكن ليس بينهم كلهم واحد فرد له جراءة على أن يحمل البندقية حتى ولو صار هتلر قدأمة. وكلهم يسب هتلر كأنها هتلر قد وطأ داره وسلب ماله أو قتل له حبيباً. وليس من هذا شيء ولكن القوم يسمعون غيرهم يشنع على هتلر فيشنعون ويسرفون حتى يجاوزوا الحد وينقلب الأمر إلى الضد. فإذا الناس يضحكون منهم وهم في الجِد كل الجِد.

فهم في هذا الموقف مثلهم في المواقف الأخرى يبكي شاعر على ميت فيبكي كل شاعر منهم. ولا بد له من البكاء ولا نسي أنه بين الشعراء.

ويصف أحدهم القمر فيتسابق الكل إلى وصفه ويشكو أحدهم الضنى<sup>2</sup> فتتعالى الشكوى من الضنى من حنجرة<sup>3</sup> كل نظام.

من أمثال هذه المتفجرات التي لا نار فيها أبيات نشرتها «البشير» يخاطب ناظمها هتلر فيقول له:

لا شك أنك ظالمٌ عَشَقَ الأذى      أو أن عقلك ناقصٌ متضعفٌ

ولا جناح<sup>4</sup> على أحد أن يكره رجلاً ظالماً وإن لم يصل إليه ظلمة. وأن ينقم على البغي والعدوان أينما كانا.

ولكن هؤلاء الناقمين الضاجين إثنان: واحد لا يدري ما يقول، والآخر لا يعني ما يقول.

ولكن هذا وذاك يتظاهران بهذه البغضاء لكي يقول الناس عنهما إنهما من أنصار الديمقراطية وأعداء الحرية.

إننا الديمقراطية لا تحميها هذه القوافي السمجة المائعة بل الذي يحميها ويصونها سور من القلاع كسور ماجينو أو أسطول من الدوارع كالأسطول البريطاني. ولو أن القوافي تصون ملكاً. ونحمي

1 والوتر شرعة القوس ومعلقها ج أوتار وأوترها جعل لها وترأ وترها شد وترها.

2 الضنى المرض أو الهزال الشديد.

3 الحنجرة الحلقوم مجرى النفس في الرقبة.

4 لا جناح: الجناح يقال: لا جناح عليك لا حرج ولا إثم عليك ومثلها ليس عليكم جناح.

دولة. لما إحتاجَتْ أُمَّةٌ في الأرض إلى بارودة ولا سيف. ولكانتْ بريطانيا العظمى اليوم لا تحتاج إلى إنفاق ملايين الجنيهات كُلَّ يوم.

فكم كان جميلاً لو إنقطع بعضهم عن نظم قصائد الهُجو في هتلر وإنصَرَف إلى حراثة حقلة أو زراعة الأرض حول بيته لكي يَضْمَنَ لنفسه القُوَّة إذا طالتْ الحرب فلا يموتُ جوعاً. فهذه أكبر خدمة يقوم بها للديمقراطية. وهذا هو السَّلاح الذي يقدرُ أن يقهرَ هتلر وغير هتلر. أمَّا القوافي فلا تلتهمُ الأقوات التي في المانيا. ولا تزيد في الأقوات الموجودة في لبنان وسوريا. إنَّ العالم يحترق ونحن نغني. والبحرُ يتفجَّرُ بالديناميت ونحن نطلق مزاريق<sup>1</sup>.

السَّمير: 27 / 11 / 1939

## ما هي مقاصدك ؟

ما هي مقاصدك في العام الجديد ؟  
إذا كنتَ لم تفكِّر بعد في تحديدِها فأخْلُقْ<sup>2</sup> بك أن تفعل. لأنَّك لن تسعى إلى غاية إلا إذا كانتْ لك غاية. وأقرب ما يكون المرء إلى غايته عندما يمشي إليها في طريق واضح.  
فلان يقرِّر في نفسه أن ينقطع عن التدخين أو الشَّهر أو الخمر. أو لعب الورق. وفلان يغرِّمُ على أن يتزوَّج أو أن يسافر. أو أن يطالع في كُلِّ شهر كتاباً. أو أن يحضر في كُلِّ أسبوع رواية.  
وفلان يقرِّر في نفسه أن يعتزل العمل الذي يزاوله أو أن يسير به في وجهة جديدة.  
أو أن ينام باكراً وينهض باكراً.  
أو أن يتعلَّم لعبة الغولف أو الرِّقص أو التصوير أو فتاً ما.  
أو غير ذلك من المقاصد الكثيرة التي يختار كُلُّ إنسان منها ما يلائمه ويوافقه ويقدر عليه.  
وكُلُّها مقاصد حسنة ولكنها تصير أجمل وأحسن إذا تعدَّت صاحبها إلى الغير. فإنَّ إقتصار المرء على التَّفكير بنفسه نوعٌ من الأنانية.  
وخيرُ المقاصدِ هي أن يحسنَ المرء عمله ليجيء متقناً ينظر إليه فيرضى. وينظر إليه النَّاس فيمتدِّحُون منه.  
فاعمل على ترقية محيطك وإسعاد الذين حولك كما تعمل على ترقية ذاتك وإسعادها. فإنَّ وجودك

1 الميزراق رمح قصير.

2 أخلق بك: يقال: ما أخلقه أن يفعل كذا: ما أجدره وأولاه.

في محيطٍ عَسِرٍ مُشَوَّشٍ يُوَدِّي بك إلى التَّعَاسَةِ وإلى الفوضى .  
خذ من الحياة أَجَلَ ما فيها . ولا تَنْسَ أَنْ تعطِها أَجَلَ ما فيك . ولتَكُنْ مقاصدك بعد ذلك كَيْفَما  
أَرَدْتَ أَنْ تكونَ !

وما أَحسن القاعدةَ التي جاءت في هذا القول المشهور :  
إِعْمَلْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَداً وإِعْمَلْ لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ سَتَمُوتُ غَداً .

السَّمِير : 2 / 1 / 1940

## كَيْفَ اسْتَقْبَلْتَهَا ؟

نَسْأَلُكَ كَيْفَ اسْتَقْبَلْتَهَا ونحن نعني السَّنَةَ الجديدة . وقد اخترنا أَنْ نقول «السَّنَةُ» لا «العام» لأنَّنا  
نلاحظ أَنَّ القسوة والخشونة تلازمان في الغالب كُلُّ ما هو مذكَّر . بينما الرِّقَّة واللِّين والعذوبة تلازم  
الأنوثة حتَّى في ما لا يَعْقِل .

تدُلُّ على ذلك اصطلاحات الأُمَم ورموزها وكنياتها<sup>1</sup> واستعاراتها<sup>2</sup> حتَّى في العُصُور التي كانت  
فيها المرأة مخلوقاً زريعاً .

فقد أَثْنَوْا الرُّوحَ وهم لا يعرفون عنها شيئاً لما أَحْسَوْا به مِنْ أفاعيلها وما لمَحُوا فيها مِنْ الأسرار  
والخفايا العجيبة .

وذكَّروا العَقْلَ لما فيه مِنْ قوَّة وإدراك .

وقسْ على ذلك .

ولسنا الآن نسنُّ قاعدةً بل نبدي ملاحظة خطرَتْ لنا ونحن نفكِّر بالناس وكيف استَقْبَلُوا العهد  
الجديد أو الشيء الذي سمَّوه العهد الجديد . فكثيرون سَكروا حتَّى عربَّدوا . سَكروا حتَّى نَسُوا السَّنَةَ  
القديمة والسَّنَةَ الجديدة معا .

وبعضهم لم يَخْتَلَفْ عندهم شيء مِنْ وُجُوهِ الحياة لأنَّهم قد سَبَرُوا غورها<sup>3</sup> وعرفوا أَنَّ ليس فيها  
قديم وجديد . وأنَّ الذي سيَكُونُ مِنْ بعد مثل الذي كان مِنْ قبل . أفراح وأتراح . وأرباح وخسائر .  
وصحَّة ومرض . ويقظة ونوم .

1 كُنِيَ عن هذا كِنْيَةً تَكَلَّمُ بها يستدلُّ به عليه ولم يصرِّح .

2 الإستعارة في علم البيان استعمال كلمة بدل أخرى لعلاقة المشابهة مع القرينة الدَّالَّة على هذا الاستعمال ، مثل : جاء  
الأسد أي الشُّجاع .

3 سَبَر الغور : الغَوْر كُلُّ مُنْخَفِضٍ مِنَ الْأَرْضِ والغَوْرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ قَعْرُهُ وَعُمُقُهُ ويقالُ سَبَر غورَهُ تَبَيَّنَ حَقِيقَتَهُ وَسِرَّهُ .  
وسَبَرَهُ : حَزَرَهُ ويقالُ سَبَر غورَهُ أي خَبَرَهُ .



## والنَّاسُ فِي غَفْلَاتِهِمْ وَرَحَى الْمَنِيَّةِ تَطْحَنُ

ولكن لا بُدَّ مِنَ الْكَلَامِ فِي مَا حَوْلَنَا. وفي ما نحن فيه. فقول أن نيويورك جُنَّ جُنُونُهَا لَيْلَةَ رَأْسِ السَّنَةِ حَتَّى بَلَغَ عِدَدُ الَّذِينَ احْتَشَدُوا فِي الْمَطَاعِمِ وَالْفَنَادِقِ وَمَسَارِحِ التَّمْثِيلِ وَالْحَانَّاتِ فِي الْحَيِّ الْأَعْلَى مِنَ الْمَدِينَةِ مِثَالَ الْأُلُوفِ فَلَمْ يَبْقَ فِي وَسْعِ إِنْسَانٍ مَهْمًا بِذَلِكَ مِنَ الْمَالِ أَنْ يَسْتَأْجِرَ مَكَانًا يَجْلِسُ فِيهِ فِي أَيِّ نَادٍ.

ويقدَّرُ مَا أَنْفَقَهُ هَؤُلَاءِ النَّاسُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ بِـ 50 مِلْيُونِ دُولَارٍ. ولكنَّ أَوَّلَ السَّنَةِ لَمْ يَكُنْ كُلُّهُ فَرَحًا لِكُلِّ النَّاسِ فَقَدْ جَاوَزَ عِدَدُ الْقَتْلَى بِحَوَادِثِ السَّيَّارَاتِ فِي الْبِلَادِ الثَّلَاثِيَّةِ وَهُوَ عِدَدٌ لَمْ يَسْقُطْ مِثْلُهُ بَعْدَ فِي مَعْرَكَةِ مِينْ مَعَارِكِ الْحَرْبِ النَّاشِئَةِ فِي الْمِيدَانِ الْغَرْبِيِّ. فَإِذَا كُنْتَ مِمَّنْ عَرَبَدُوا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَوْ مِنَ الَّذِينَ لَمْ يَعْرَبِدُوا فَاشْكُرِ اللَّهَ إِنَّكَ خَرَجْتَ مِنْ هَذِهِ الْمَعْمَعَةِ<sup>1</sup> وَأَنْتَ غَيْرُ خَاسِرٍ إِلَّا بَعْضَ مَالِكَ.

ورَأْسُ مَالِكَ وَهُوَ الرُّوحُ إِنْ بَقِيَتْ لَا تَأْسَفَنَّ لشيءٍ غَيْرِهَا ذَهَبًا وَلَا تَتَوَقَّعَنَّ أَنْ تَصِفُو لَكَ الْحَيَاةَ فَلَا تَسْتَشِيرِ الْكَدَرَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ. فَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَصِرْ بَعْدُ فِرْدَوْسًا.

السَّمِيرُ: 3 / 1 / 1940

## شذوذ الطبيعة

هل في الطبيعة شذوذ؟

إِنَّ الْإِنْسَانَ يَعُدُّ كُلَّ حَادِثٍ غَيْرِ مَالُوفٍ شَذُوذًا. وَلَا سِيَّيَا إِذَا خَرَجَ الْحَادِثُ عَنِ الْمَقَائِيسِ الَّتِي وَضَعَهَا النَّاسُ.

ولكن ليس في الطبيعة شذوذ فإنَّ كُلَّ شيءٍ يَجْرِي فِيهَا بِحِكْمَةٍ خَفِيَّةٍ وَعَلَى نِظَامٍ لَا زَيْغَ فِيهِ وَلَا خَطَأَ. وَتَجْرِي فِيهَا أُمُورٌ كَثِيرَةٌ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا الْإِنْسَانُ إِلَّا عِنْدَمَا تَلَامُسُهُ وَيَتَأَثَّرُ بِهَا فَيَرَاهَا غَرِيبَةً أَوْ يَتَعَجَّبُ مِنْ حَدُوثِهَا وَيَذْهَبُ يَفْتَرِضُ أَنَّ فِي نِظَامِ الْكَوْنِ خِلَافًا أَوْ أَنَّ الْقُوَّةَ الْعُلْيَا الَّتِي تَدَبَّرُ الْكَوْنَ تَفْعَلُ مَا تَفْعَلُ إِنْتِقَامًا مِنَ الْإِنْسَانِ وَلَا سِيَّيَا إِذَا حَدَثَتْ زَلْزَلَةٌ أَوْ انْقِصَ نِيزَكٌ أَوْ ثَارَ بَرَكَانٌ.

بل هُوَ يَتَوَهَّمُ الزَّيْغَانَ<sup>2</sup> فِي الطَّبِيعَةِ وَنَوَامِيسَهَا<sup>3</sup> عِنْدَمَا يُلْذَعُ الْبَرْدُ جِلْدَهُ فِي إِقْلِيمٍ حَارٍّ مِثْلَ فُلُورِيدَا مِثْلًا. وَيَنْسَى أَنَّ هَذِهِ الْأَرْضُ كَانَتْ كَمَا يَقُولُ الْعُلَمَاءُ مَغْطَاةً بِالْجَلِيدِ كُلِّهَا فَانْحَسَرَ عَنْهَا شَيْئًا فِشِيئًا.

1 الْمَعْمَعَةُ: بوزن المزرعة صوت الحريق في القصب ونحوه وصوت الأبطال في الحرب.

2 زَاغَ عَنْهُ زَيْغَانًا مَالِي، وَتَبَاعَدَ وَزَاغَ عَنِ الطَّرِيقِ عَدَلَ وَزَاغَ الْبَصَرُ مَالٍ عَنْ مَسْتَوَى النَّظَرِ حَيْرَةً وَشَخْصًا.

3 النَّامُوسُ: صَاحِبُ السَّرِّ الْمُطَّلَعُ عَلَى بَاطِنِ أَمْرِكَ أَوْ صَاحِبُ سِرِّ الْخَيْرِ.

فدبت فيها الحياة وظهرت على أديمها الخضرة.

إن الإنسان قد ارتقى كثيراً ولكن بالنسبة إلى الإنسان الذي معه أو الإنسان الذي سبقه.

أما بالنسبة إلى الطبيعة وأسرارها ونواميسها فلا يزال يخمن ويظن ويفترض كما يفعل الطفل الصغير فهو يحسب أن أباه يظلمه عندما يمنع عنه شيئاً يطلبه ولا يدري أن في الشيء الذي يطلبه خطراً أو ضرراً.

ليس غريباً كل ما يتوهم الإنسان أنه أمر غريب.

وليس شذوذاً ما يقول عنه الإنسان إنه شذوذ.

وليس شيء في الدنيا لمضرة الإنسان وحده أو نفعه وحده. فإن للطير والحيوان والهوام<sup>1</sup> والأشجار والبقول حصّة في الكون كحصّة الإنسان. فهي مثله تحتاج إلى الماء والهواء والغذاء. وهي مثله يؤديها البرد في غير أوانه والحر في غير وقته. ولكنها لا تشكو ولا تتذمر لأنها بكاء عجماء. وقد تكون مثل الإنسان في استغرابها وتذمرها ولكن على طريقته وبلسانها..

إننا شكوى الإنسان هي المتعالية وهي التي تطوف في الأرض ثم ترجع فلا تسمعها إلا أذن إنسان!

السّمير: 3 / 1 / 1940

## مشهد في حبرة

مررت في أيام الصيف بإحدى القرى بدار صاحب لي، هي دار نبئت حولها الدوالي فإذا بدالية منها شاحبة المنظر مصفرة الأوراق والدنيا لم تزل في بهجتها فلاحت لعيني بين الدوالي الخضراء النديّة كأنّها عجوز في سرب من الصبايا. أو كأنّها حشرة في موكب أفراح ومسرات.

فقلت لصاحبي: ما لهذه الدالية ليست كبقية الدوالي نضرة وبشاشة وخضرة وحياة؟

فأجاب: إنّها هكذا تلوح ولكنها في الواقع أطيب عروفاً وأشهى عنياً من كل هذه الدوالي.

قلت: أين العنب فيها إنّي لا أرى غير أغصان يابسة<sup>2</sup> وأوراق متناثرة؟

قال: إنّ الحشرات تفتك بها كلّها أورقت وأطلت منها البراعم!

قلت: لماذا لا تصونها وتقيها فتك الحشرات فيزول من أمام دارك مشهد من مشاهد الخراب والدمار. ويكون لك الورق الأخضر النديّ والعنب الناضج الشهي؟

1 الهوام: وخشاش الأرض تهم دبّت ومن الهامة للدابة ج هوام والخشاش: حشرات الأرض والخشاش الطير ونحوها الواحدة خشاشة.

2 أغصان جريدة: وجريدة (تحريف) فالجريدة سعة طويلة تقشر من خوصها. (والصواب ما أثبتنا).

فاستضحك وقال مستهتراً: ومن أين لي الوقت لأهتم بهذه الدآلية ولا سيما في أيام الصَّيف؟  
 فأغاظني جوابه وشعرتُ كأنَّ الدآلية سوف تؤنِّبني إذا أنا لم أوثِّبه على إهماله فقلت له: اليس من العار عليك أن تكون شريكاً للحشرات في جنائيتها؟ أترضى أن تذهب هذه الدآلية الجميلة المفيدة لتبقى الحشرات والهوام؟

ولكنَّه لم يتأثر بما قلت بل استرسل في المزاح<sup>1</sup> والتَّنكيت<sup>2</sup> فقال: إذا كنت مفتوناً بهذه الدآلية فخذها معك وقم عليها حارساً! أمّا أنا فلا أبالي أأكلتها الحشرات أم أكلتها الشياطين!  
 فرجعتُ من عنده وأنا أفكرُ في كثير من الأشجار الطيبة التي يهملها أصحابها فترعاها الحشرات فلا تمرُّ بضعة أعوام حتى تصير الأشجار كأنها أوتاد من خشب لا ورق فيها ولا لحاء<sup>3</sup>.  
 ومثلما تدبُّ الحشرات إلى الدآلية أو الشجرة أو غرسة الورد. ترى الجهلاء يدبُّون ألسنتهم وأقلامهم إلى ذوي المآثر والمحامد وأهل الفضل والتَّعَمُّق ويتسلَّقون الشمعات<sup>4</sup> العطيرة كما تتسلَّق الحشرات جذوع الشجر والأغراس للفتك والتدمير. ولكنهم لا يفلحون إلا إذا تناوم الناس وتغافلوا كما أهمل أصحابي تلك الدآلية كسلاً وإهمالاً وجهلاً بفضل الدآلية وجمالها ونفعها.

السَّمير: 1940 / 2 / 5

## 5 العَيْرُ الْمُحْتَنَرُ

كتبَ إليَّ صديقي الشَّاعر الكبير مسعود سباحة يقول:  
 أخي إيليا

كنت في الأسبوع الماضي في مجلس فسمعتُ قصة من رجلٍ إيطالي أعجبني جداً فنظمتُها في  
 الأبيات التالية وجعلت عنوانها:

الحمار وجلد الأسد

مرَّ الحمارُ بجلدٍ لَيْثٍ مَرَّةً فهِفَا إِلَيْهِ وَخَاطَ مِنْهُ جِلَلاً<sup>6</sup>

1 المزاح: المزح الدُّعابة وباب قطع والإسم (المزاح) والمزاحة بضم الميم فيهما.

2 التَّنكيت: التَّكَاثُ الطُّعْثَانُ فِي النَّاسِ.

3 اللَّحَاءُ: قِشْرُ كُلِّ شَيْءٍ. ج لَحِيٌّ

4 الشُّمْعَةُ: الصَّبِيَّةُ يُقَالُ: فَعَلَ ذَلِكَ رِيَاءً وَشُمْعَةً لِيَرَاهُ النَّاسُ وَيَسْمَعُوهُ.

5 العَيْرُ: الْحِمَارُ جُ أَعْيَارُ.

6 اللَّيْثُ: الْأَسَدُ. وَالْجِلَالُ: الْجُلُّ مَا تَغَطَّى بِهِ الدَّابَّةُ لِنَصَانِ جِ جِلَالٍ وَأَحْلَالٍ.

ومشى به فاستنقرت قدأمه  
فتوهم المغرور أن نهيقه<sup>1</sup>  
فاحتل رابية وأرسل صوته<sup>2</sup>  
وعت الوحوش نهيقه فتضاحكت<sup>3</sup>  
قالت أيجسب أن لبدة ضيغم<sup>4</sup>  
أسد الشرى وعنت له إجلالا<sup>1</sup>  
أمسى رعوداً في الفضا وبروقا<sup>2</sup>  
ليخيف أعداء فكان نهيقا<sup>3</sup>  
منه ومن أمثاله الأغرار<sup>4</sup>  
توليه صوتاً غير صوت جمار<sup>5</sup>

هذه الحكاية كما نظمها مسعود هي حكاية ذات مغزى جميل . ويحمد الرجل الإيطالي الذي حكاها لمسعود ولكنها ليست إيطالية . ولا نعني أن الشعب الإيطالي الغني بالأدباء والشعراء ليس له مثل هذه الحكاية فلكل شعب حكاياته الرمزية ولكن الحكاية على ما نعرف شرقية يتداولها العرب كأنها لهم وللفرس مثلها وقد تكون للهند أم الحكايات عن السينة الحيوانات مصدرها وهي سواء كانت مولودة في روما عاصمة الثقافة الرومانية أو في الهند مهد الفلسفات أو في بلادنا مهبط الوحي فهي حكاية جديدة بأن تنتشر في كل أمة للعظة البليغة التي تحويها . فإن الحمار وهو حيوان له منافع لا يصلح له أن يتشبه بالأسد أو بغيره من الضواري<sup>6</sup> لأنه وإن كان أضعف منها فتكاً وأقصر بطشاً فهو أكثر منها نفعاً للإنسانية . غير أن العبرة<sup>7</sup> في القصة هي أن كل من يلبس غير ثوبه أو يتخلق بغير أخلاقه ينتهي به الأمر إلى الفضيحة وربما إلى التلف والدمار .

ونحن بدورنا نذكر أننا نظمنا مرة حكاية كهذه اقتضتها واقعة حال وهي :

زعم المؤدب أن غيراً ساءه<sup>1</sup>  
فمضى فقصرت القواطع ذيله<sup>2</sup>  
حتى إذا جاء المروض واعتلى<sup>3</sup>  
لكنه ما زال غير مصدق<sup>4</sup>  
فاستل صارمه وطاح برأسه<sup>5</sup>  
ما دام يصحب كل حي صوته<sup>6</sup>  
أن لا يسار به إلى الميدان<sup>7</sup>  
وسطت مواضيها على الأذان<sup>8</sup>  
متتبه راب الفارس الكشاحان<sup>9</sup>  
حتى علا صوت كصوت الجان<sup>10</sup>  
ورمى بجثته إلى الغربان<sup>11</sup>  
هيهات يخفي العير جلد حصان !<sup>12</sup>

- 1 أسد الشرى: والشرى الجبل وطريق في سلمى كثيرة الأسد.
- 2 في الأصل أعداء (تحريف) والنهيق: ونهق الحمار نهيقاً صوتاً.
- 3 الأغرار: الغز من ينخدع وهي غرة أيضاً ج. أغرار.
- 4 اللبدة: كل شعر أو صوف متلبّد؛ والشعر المتراكب بين كتفي الأسد. والصيغم: الأسد الواسع الشذق ج ضياغم.
- 5 الضواري: الضاري من السباع المولع بأكل اللحم والضاري من الجوارح والكلاب المدرب على الصيد.
- 6 العبرة: الإثماظ والإعتبار بما مضى ج عير.
- 7 القواطع: يقال سيف قاطع: ماض. والمواضي: ومضى السيف مضاً قطع.
- 8 الكشخ: ما بين الخاصرة والضلوع ج كشوخ ويقال: طوى كشحه على الأمر أضمره وستره.
- 9 الصارم: يقال سيف صارم قاطع وصرم السيف صرامة كان قاطعاً.

ولعلَّ إلى هذا المعنى قصَّده مَنْ قال فأحسن:

مَنْ تَرَدَّى بِرْدَاءٍ      مَا رَأَهُ لِأَبْنِيهِ  
سَوْفَ يَأْتِيهِ زَمَانٌ      يَتَمَنَّى الْمَوْتَ فِيهِ

ولله في خلقه شؤون. ولكننا نعرف أنَّ الله خلق النملة لتكون نملة لا نسرًا. فإذا حاولت أن تقلدَ النسر هلكت. وليس للشجرة وإن طالت أغصانها وكثفت أوراقها أن تصير غمامة سابحة في الفضاء. السَّمير: 13 / 2 / 1940

## الطاووس وبعض الناس

لعلَّ الله لما خلقَ الطاووس أحسنَ إليه أكثر ممَّا أحسنَ إلى ذي جناحين من الفراشات إلى الطيور الدَّاجنة<sup>1</sup> إلى الطيور الكاسرة<sup>2</sup>.

لا نقول ذلك لأنَّ الله أسبغَ عليه ذلك الرِّيش المتلمَّع الوهاج الذي لم يخلع مثله على طائرٍ آخر. ولا لأنَّه أنعمَ عليه بالعنق الرَّشيقة. وبالعينين الصَّافيتين كالمرآة الصَّقيلة. بل لأنَّه وهبه فضيلة الصَّمت. فلو تكلمَ لأنصرفتْ النفوس عن النَّظر إلى ريشه إلى سماع صوته. وربَّما أفسدتْ لغته جمال شكله. ولكنَّه يتبختر وهو صامت فإذا نظرتْ إليه هبطتْ على روحك خشية كالتّي تهبط عليك عندما تنظر إلى تمثال فتان أو دُمية رائعة.

ليت الله وهبَ هذه الفضيلةَ بعض الناس. فإنَّهم ما أضرَّ بهم شيء مثل الكلام الذي تجري به ألسنتهم.

يكون لأحدهم شهرة طائفة بين الناس بأنَّه أديب ضليع<sup>3</sup> أو شاعر مجيد أو منشيء بليغ أو رجل فضل ومكارم وشهرة يأنسُ بها النَّاس وإن لم يقرأوا لهذا الكاتب مقالاً أو لذلك الشَّاعر قصيدة ولم يحصل لهم شرف التَّعرُّف إلى ذلك الرجل صاحب المكارم الذي تتحدَّث عنه الجرائد.

ولكنَّه لا يلزم الصَّمت كالطاووس وإن كان له زهوه وتنهه. فيوسوس له شيطان الغرور<sup>4</sup> - أن اكْتُب! فيكتب ويجدُّ حوله بعض الذين لا جرأة لهم على مكاشفتِهِ بالأمر الواقع. بأنَّه يضطلع بأمر لم يخلق له. فيسائلهم رأيهم فيقولون له: أجَدتْ وأحسنْت. ثم يدورون به إغراء وإطراء حتى يتوهم أنَّ

1 الدَّاجن: كلُّ ما أَلَف البيوت وأقام بها من حيوان وطيْر دواجن.

2 والكاسرة: كَسَرَ الشيء هشمه والكاسير: العقاب.

3 الضليع: القوي.

4 غرَّ فلانا غروراً: خدعه.

الشُّهرة التي خلقتها له الجرائد هي دون حقِّه عليها. وأنَّ على الشعراء والكتَّاب أن يولُّوه عليهم زعيماً. ولكنَّهم لا يفعلون لأنَّ الحسدَ يغطِّي على أبصارهم فلا يرون فضله.

وهكذا يظلُّ ينعم بالشُّهرة الواسعة الجميلة حتى يخرج من صمته فتتلاشى من أذهان النَّاس صورة جميلة له كان النَّاس يعتقدون أنَّها صورة طبق الأصل. وكانوا أحياناً يحْرِصُونَ عليها من التَّشويه فينسجون حولها حكايات من عندهم تستبقي روحها وتحفظ جدتها.

وأكثر ما ترى هذا الصنف من النَّاس في بيئة نامت فيها عيون النَّاقِدين. فإنَّ كثيرين لا تستيقظ فيهم الجرأة على الكتابة والنَّظم إلَّا في ذلك الوقت في غيبة الشَّمس تشتعل المصابيح وتوهج. قال الشاعر:

وكم ذا ترى من صامِتٍ بك معجَبُ فصاحته أو عيُّه في التكلُّم  
ولقد رأينا أناساً كان لهم عندنا روعة الطاووس حتى تكلموا فأدركنا أنَّ الله حكمةً علياء في حرمان  
الطاووس ميزة الكلام. فهي لا تترنم ولا تتكلَّم. لذلك لا تنفصح ولا تزول ملاحظتها من العيون.

السَّهير: 4 / 3 / 1940

## الترجمة ومشاقها

يتوهَّم الكثيرون أنَّ الترجمة أمرٌ سهل لا يستغرق وقتاً ولا يتطلَّب مشقَّة. وذلك لأنَّهم لا يزاولونها. ولا يعرفُ الشَّوق إلَّا مَنْ يكابده.

لنا صديقٌ كان على هذا الاعتقاد حتى عَنَّ له في إحدى الليالي أن يُترجم قطعة إنكليزية طالعها إلى العربية فكان يقرأ الفقرة الإنكليزية فيدرك معناها قبل أن ينتهي من قراءتها فإذا حاول نقلها إلى العربية شعرَ كأنه يجتاز أرضاً كُلُّها أشواك وهو حافٍ. وأقام يكتب ويشطب حتى راود النَّعاس أجفانه فأنقذه من الكتابة والمحو والشَّطب.

وراح بعد ذلك كُلُّما جاء ذكر الترجمة يشرح للنَّاس ما وقَّع له ويقول: وارحمته للمترجمين! مات بالأمس الشاعر ادوين ماركهام فرأينا من حقِّ قراء العربية علينا أن ننشر سيرة حياته وشيئاً من شعره ليعرفوا بأيِّ الجبال ارتقى إلى قمة الشُّهرة وتبوَّأ عرش الخلود.

فتناولنا قصيدته «الرجل ذو المسحاة» التي لها في العالم الإنكليزي شهرة معلقة امرئ القيس عند العربي. فإذا الصُّعوبة تعترضنا في عنوانها وهو بالإنكليزية هكذا The Man with the Hoe.

ما هي هذه «الهُو؟» إنَّ القاموس الإنكليزي العربي يقول في ترجمتها «فأس». صاقورة. معزقة. ولكنَّها ليستُ الفأس ولا الصَّاقورة ولا المعزقة لأنَّ لهذه أسماءها في الإنكليزية.

أما قاموس وبستر فيقول في تفسيرها: «أنها أداة زراعية لردّ التراب على الأغراس وقطع الأعشاب يقطع بها ويحرق لتنقية الأرض من الأعشاب.

وقد ترجمها بعضهم «بالرّفش» وصاحبها «الرّقاش» وهذا خطأ. فهذه الآلة ليست الرّفش ولا المجرفة لأنّ الرّفش يستعمل لجرف التراب وسواه إلى الأمام وإما هذه فتستخدم لقطع الأعشاب وتمهيد التراب حول الأزهار والأغراس. ولها عصا مستطيلة. لذلك قال الشاعر في مطلع قصيدته أنّ الفلاح إنكأ عليها.

وليس بالمستغرب أن يترجمها بعضهم «بالرّفش» وآخر «بالمجرفة» وغيرهما بغيرها. فإنّ هذه الأداة الزراعية لم تكن موجودة عند العرب. ولذلك يخلق بنا أن نختار لها الكلمة التي يمكن أن تؤدي أكثر معناها إذا تعذر الوصول إلى الكلمة التي تؤديه كلّها. لذلك وجدنا نحن أن «المسحاة» أقرب إلى تأدية المعنى المقصود لأنّها أداة من حديد تقشر التراب وتجرفه.

ولسنا نبغي أن نقول أنّها هي بعينها ولا نقصد بهذه الفدلكة التنقّص من قدر أي مترجم ولكنا نودّ أن تشيع على الأفلام والألسن العبارة الأصحّ والأكثر إنطباقاً على المعنى الأصلي. لئلا يلتبس الأمر على القارئ ويقع في حينص ينص ولا سيما إذا كان غير واقف على الأصل المترجم ولئلا تنقلب الآية فيقال: وارحمنا للقارئ بدل وارحمنا للمترجمين!

السّمبر: 15 / 3 / 1940

## هل يعرف الفنان قيمة أياته؟

قلّما لمخنّاً رجلاً عموماً ذا مكانة وشهرة إلا ولمخنّاً في خلال أقواله وأعماله صورة شاعر أو فنان أو مفكر كبير فإنّ هؤلاء الرّجال لا يصلّون إلى مسرح الشهرة ويطلّون على الجماهير إلا بعد زمن يقضونه في المدارس في صحبة الأجيال الماضية ورجالها المفكرين البارزة أسماؤهم في لوحة التاريخ. فيأخذ كل واحد عن الأستاذ الذي يستهويه فإذا كان الطموح إلى المجد من طبعه إقتفى آثار القوم العصاميّين<sup>1</sup> الذين بنّوا الدول والممالك أو هدموها؟ ليسوا على أنقاضها دولا وممالك أقوم سبيلاً.

وإذا كان في طبعه ميل كامن إلى الفن ظهر وسطع بالاحتكاك مع رجال الفن الخالدين بآثارهم. أمّا إذا لم تكن في نفسه نزعة إلى فن ولا إلى مجد ولا إلى علم فإنّه يصحب الكتب دون أن يستفيد منها أكثر ممّا يستفيد المزكّوم مرّ بروضة فاح أريجها. فإنّ الأزهار عند من لا ينشق لا رائحة لها. بعثت فينا هذه الفكرة خطبة لمحافظ المدينة لاغوارديا سمعناه يلقيها في حفلة لرجال الفن. فقد

1 العصاميّ: من ساد بشرف نفسه.

كَانَتْ خُطْبَتُهُ قِيَمَةً تَدُلُّ عَلَى أَنَّ لِلْأَدَبِ وَالْفَنِّ حَصَّةً مِنْ وَقْتِهِ وَلَهَا فِي قَلْبِهِ مَكَانٌ كَبِيرٌ وَإِنْ بَدَأَ لِأَكْثَرِ النَّاسِ أَنَّهُ سِبَاسِي بَحْتٌ<sup>1</sup>.

وَمِمَّا أَعْجَبَنِي فِي خُطْبَتِهِ فِكْرَةُ جَاءَ بِهَا وَهِيَ أَنَّ الْفَنَّانَ الْمُوهُوبَ يَبْتَدِعُ أحياناً آيَاتَ رَائِعَةٍ خَالِدَةٍ وَهُوَ لَا يَدْرِي. إِنَّهَا نَظَرِيَّةٌ غَيْرُ جَدِيدَةٍ وَلَكِنَّهَا ظَهَرَتْ لَنَا جَدِيدَةً عِنْدَمَا سَمِعْنَاهَا مِنْ شَفَتَيْ الْمُحَافِظِ الَّذِي كُنَّا نَظُنُّ أَنَّهُ لَا يَهْتَمُّ هَذِهِ النَّاحِيَةَ. غَيْرَ أَنَّنَا لَمْ نَلْبِثْ أَنْ تَذَكَّرْنَا مَا قَامَ بِهِ مِنَ الْمَشَارِيعِ الْعُمُرَانِيَّةِ الْكَبْرَى لِجَعْلِ مَدِينَةِ نِيُويُورْكِ جَمِيلَةً كَمَا هِيَ كَبِيرَةٌ وَضَخْمَةٌ وَشَعَرْنَا أَنَّ الرَّجُلَ رَسَّامٌ وَإِنْ لَمْ يَرْسَمْ بِالرَّيْشَةِ وَالْأَدِهَانِ عَلَى الْأَلْوَاحِ. وَلَمْ نَسْتَكْبِرْ أَنْ يَكُونَ لِلْفِكْرَةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا عَرْشٌ فِي مَمْلَكَةِ تَفْكِيرِهِ.

وَنَحْنُ نَرَى أَنَّ الْفِكْرَةَ لَيْسَتْ خَالِصَةً مِنَ الْخَطَأِ فَإِنَّ الْفَنَّانَ لَا يَبْدَعُ حَتَّى يَدْرِي مَا يَصْنَعُ. وَكَثِيراً مَا عَانَى الْآلَامَ الْمُوجِعَةَ قَبْلَ الْوُصُولِ إِلَى الْخَيَالِ الَّذِي يَنْشِئُهُ.

وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى لَيْسَ فِي الْفَنِّ رَمْيَةٌ<sup>2</sup> مِنْ غَيْرِ رَامٍ. وَإِذَا كَانَ الشَّاعِرُ أَوْ الْفَنَّانُ لَا يَحْدُثُ النَّاسَ بِآيَاتِهِ وَمُعْجَزَاتِهِ فَذَلِكَ لِأَنَّهُ حَدِيثُهُ عَنْهَا يَفْسُدُ جَمَالُهَا عِنْدَهُمْ وَيَخْفُضُ مِنْ مَنْزِلَتِهِ أَيْضاً.

وَلَوْ كَانَتْ الزَّوَائِعُ وَالْبِدَائِعُ تَحْيِيءُ عَفْوَاً لَمَا رَأَيْتَ الْفَنَّانِينَ مُسْتَحْوِذاً عَلَيْهِمُ الذُّهُولُ كَأَنَّهُمْ فِي عَالَمٍ آخَرَ غَيْرَ الْعَالَمِ الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ النَّاسُ.

وَلَكُمْ قِرَآنَا عَنْ فَنَّانٍ أَنَّهُ جَاعٌ وَعَرِيٌّ وَمَرِيضٌ فِي سَبِيلِ فِكْرَةٍ لَاحَتْ لَهُ فَاسْتَهْوَتْهُ وَسَحَرَتْهُ فَبَاتَ يَسْتَشْعِرُ التَّعْظِيمَ مَا دَامَتْ لَهُ وَهُوَ جَائِعٌ مَقْرُورٌ عَارٍ مَضْنُوكٌ.

لَا إِنَّ الْفَنَّانِينَ يَعْرِفُونَ قِيَمَةَ مَا يُخْرِجُونَ لِلنَّاسِ مِنْ آيَاتٍ. وَإِنَّمَا بَعْضُ النَّاسِ لَا يَعْرِفُونَ.

السَّيْمِرُ: 18/3/1940

## مَرْحَباً بِالرَّبِّيعِ

جَدَّدَ الدَّهْرُ لِلأَرْضِ صِبَاَهَا.

فَانْفَلَتَتْ مِنْ كَاثِبَتِهَا وَجُودِهَا.

وَاسْتَيْقَظَتْ أَحْلَامَهَا وَرَوْأَهَا.

فَهِيَ كَالْمَيِّتِ الَّذِي سَقَطَتْ عَنْهُ الْأَكْفَانُ وَرَجَعَتْ إِلَيْهِ الرُّوحُ.

بَلْ هِيَ قَدْ وَلَدَتْ الْيَوْمَ وَلَادَةً جَدِيدَةً.

لَأَنَّ الرَّبِّيعَ قَدْ رَجَعَ.

1 البَحْتُ: الصُّرْفُ الْخَالِصُ لَا يَخَالِطُهُ غَيْرُهُ يَقَالُ: خَبِرْتُ بَحْتٌ غَيْرُ مَادُومٍ وَعَرَبِيٌّ بَحْتٌ خَالِصُ النَّسَبِ وَعَرَبِيَّةٌ بَحْتَةٌ وَأَعْرَابٌ بُحُوتٌ.

2 رَمْيَةٌ مِنْ غَيْرِ رَامٍ: الْيَرْمَاةُ كَمَا سَحَاةُ سَهْمٍ صَغِيرٍ ضَعِيفٍ أَوْ سَهْمٍ يَتَعَلَّمُ بِهِ الرُّمْيُ.



ها هي السَّماءُ في نقائِها كمرآة الغريبة أو ككُوح الأبرار .  
لا سحابة بها ولا جهمة في حواشيها .  
سكنت العواصف .  
نامت البروق .  
خرست الرعود .  
انكشَّت الغيوث .  
عندما رجَّع الرَّبيع .

اليوم لا تتعثرُ بالثلوج أقدامنا .  
ولا يقرصُ الزَّمهريرُ جلودنا<sup>1</sup> .  
ولا تُلَفِّحُ الرِّيحُ السُّمومَ وجوهنا<sup>2</sup> .  
ولا نلوذُ بالموادِّ لنعانقُ اللَّهيب !  
نحن الآن في الرَّبيع !

إلَّسِي يا أشجار سراييلك الخضرَاء .  
وأطلِّي يا نجوم مِن قُبَيْكَ الزَّرَقَاء .  
وانطِلقي مِن مخائِكَ يا طيُور .  
واخرُجي مِن جوف الأرض يا زهور .  
فإنَّ الرَّبيع قد رجَّع إلى الدُّنيا .  
أجل قد رجَّع السَّاحر العجيب .  
الذي يلمسُ التُّراب الصَّامت البارد فتدبُّ فيه الحرارة وتخرج منه كائنات حيَّة !  
ويمشي في المكان الخالي المُقفر فتدوي فيه أصوات وتنبُت فيه أزهار وأشجار !  
ويَرفُ على الأودية النَّائمة فإذا هي جداول وسواقي وغُدران !  
ويطيف بالشَّجر العاري الجريد فإذا هو أوراق تصفَّق . وثمرٌ يتدلَّى . وظلٌّ وريف .  
ويتنفَّس فوق البحيرات المُجمَّدة فتذوب سلاسل الجليد وقيوده تحت أنفاسه الحارَّة .  
ويَرميُ الجبال الشَّاحبة الباهتة المهجُورة فيشيعُ فيها الألق<sup>3</sup> ويموج الجَمال .

1 الزَّمهريرُ شدة البرد .

2 السُّمومُ : الرِّيح الحارَّة تهب غالباً بمصر في شهر مايو وأكثر ما تكون نهاراً .

3 الألقُ : ألق البرق لَمَعَ وأضاء .

وَيَرَاءَى لِلتُّجُومِ فَتَضْحَكُ حَتَّى يَتَرَنَّحَ الْأَفْقُ وَتَبْدُو ابْتِسَامَاتُهَا فِي حَوَاشِي الظُّلُمَاءِ .  
وَيَلُوحُ لِلطُّيُورِ فَتَغْرُدُ حَتَّى تَمْلَأَ الْفُضَاءَ أَنَاشِيدَ .  
وَلِلْأَزْهَارِ فَتَفُوحُ حَتَّى يَمَسَّ أَرْجِيحُهَا أَذْيَالُ الشُّحْبِ .

أَهْلًا بِالْمَلِكِ الطَّالِعِ مِنْ قَصْرِ الشِّتَاءِ .  
الْلَّابِسِ الزَّهْرَ وَالتُّجُومَ .  
الْمُتَعَطِّرِ بِالنُّورِ وَالْأَنْدَاءِ وَالْأَشْدَاءِ .  
الْمُتَوَجِّعِ بِذَهَبِ الشَّمْسِ .  
الْمُوشِي طَيْلَسَانَهُ بِلُجَيْنِ<sup>1</sup> الْفَجْرِ .

لَقَدْ فَرَشْتَ لَكَ الْأَرْضَ بِسَاطًا مِنْ زَبَرْجَدٍ<sup>2</sup> .  
وَنَصَبْتَ لَكَ الْجِبَالَ أَرَائِكَ مِنْ نُورٍ .  
وَمَدَدْتَ فَوْقَكَ السَّمَاءَ قُبَّةً مِنْ لَازُورٍ .  
وَتَصَاعَدْتَ التَّهَالِيلَ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْحَقُولِ وَالسَّوَاقِي وَالْأَوْدِيَةِ فَرَحًا بِرَجُوعِ الْمَلِكِ الشَّاحِرِ .  
بَلْ فَرَحًا بِالشَّبَابِ الْعَائِدِ إِلَى الدُّنْيَا بَعْدَ الْغِيَابِ .  
فَأَهْلًا بِكَ يَا رَبِّيعُ .  
أَهْلًا بِأَصَالِكَ وَأَسْحَارِكَ<sup>3</sup> .  
أَهْلًا بِسَوَاقِيكَ وَأَنْهَارِكَ .  
وَأَهْلًا بِفَرَاشَاتِكَ وَأَطْيَارِكَ وَرِيَا حِينِكَ وَأَزْهَارِكَ .  
وَمَرْحَبًا بِبِلْيَالِيكَ . لِيَالِي الْهَوَى وَالْفَتُونِ وَالسَّحَرِ .  
وَأَصْبَاحِكَ . إِنَّهَا أَصْبَاحُ الْيَقَظَةِ وَالْمَوْسِقَى وَالشَّعْرِ .  
مَا كَانَ أَشَدَّ شَوْقَنَا إِلَيْكَ عِنْدَمَا غَبْتَ .  
وَمَا أَعْظَمَ ابْتِهَاجَنَا بِكَ عِنْدَمَا جِئْتَ .

إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ الشِّتَاءَ .

فَقَدْ أَرْهَقْنَا بِمِظَالِمِهِ وَمَغَارِمِهِ لَكِي نَنْكُثَ عَهْدَكَ وَنَنْسَى وَدَّكَ . فَصَبَرْنَا عَلَى أَذَاهُ وَاحْتَمَلْنَا جَوْرَهُ<sup>4</sup>

1 اللُّجَيْنُ : الْفِضَّةُ .

2 الزَّبَرْجَدُ : حَجَرٌ كَرِيمٌ يَشْبَهُ الزُّمُرُودَ وَهُوَ ذُو أَلْوَانٍ كَثِيرَةٍ أَشْهَرُهَا الْأَخْضَرُ الْمِصْرِيُّ وَالْأَصْفَرُ الْقِبْرِصِيُّ .

3 الْأَصِيلُ : الْوَقْتُ حِينَ تَصْفُرُ الشَّمْسُ لِمَغْرِبِهَا جِ أَصَالٌ وَأَصَائِلُ .

4 جَارَ جَوْرًا مَالٌ وَعَدَلُ .

وجنایاته.

أَبَيَّنَا أَنْ يَمُوتَ الشُّوقُ فِي أَرْوَاحِنَا إِلَى الْجَمَالِ.

لَوْ مَاتَ مِثْنًا.

وَمَا أَنْتَ مَعْنًا بِكُلِّ جَلَالِكَ وَجَمَالِكَ.

فَمَا أَكْرَمَ الْحَيَاةَ وَمَا أَعْظَمَ بَرَكَاتِهَا.

جَنَّتْ. فَفِي أَرْوَاحِنَا نَشْوَةُ الْأَزْهَرِ عَانَتْهَا الْفَجْرُ. وَرِغْشَةُ الْعَصَافِيرِ بَلَّلَ أَجْنَحَتَهَا الْقَطَرُ.

كُلُّ هَذَا لِأَنَّكَ جَمِيلٌ وَلِأَنَّنا نَحْبُوكَ.

السَّمِير: 21 / 3 / 1940

## الولادة والألم

لا ولادة بلا ألم.

هذه قاعدة شاملة سائدة في عالم الأحياء العاقلة وغير العاقلة. كما أنها مشهورة ولموسة في عالم النباتات.

إنَّنا مقبلون في غدٍ على ذكرى قيامة المسيح من القبر التي هي في الواقع الولادة الكبرى لطفل المذود وأمير السلام.

بل لو لم يمت كما مات ويرجع كما رجع لما كانت ولادته الأولى ذات شأن في التاريخ أعظم من شأن مولود عادي آخر.

لا بُدَّ لصاحب العقيدة من التضحية في سبيل عقيدته إذا شاء أن تحيا وأن يعتنقها الناس. لأنَّ إحصاءه عن التضحية يدلُّ على أنَّه هو نفسه غير واثق من صحة العقيدة التي يدعو الناس إليها. كما يدلُّ على خوفه من الألم. وكثيراً ما خنق الخوف في الإنسان أجمل ما فيه من المزايا.

والمسيح الذي دعا إلى حبِّ العدو ليكون للمرء فضل وللحب معنى. ظلَّ يحسِّن إلى أعدائه وباركهم حتى وهُم يجرِّعونهُ العلقم<sup>1</sup> ويطعنون صدره بالحِراب ويدقُّون يديه بالمسامير.

فكان بهذه الفضيلة فضيلة التسامح والصَّفْح أقوى وهو يُهان ويُضرب من الذين ضربوه. وكان وهو ذليل أعزُّ من الذين أذلَّوه. وكان وهو يموت على الصَّليب يحيا للأجيال كلها بينما هم يموتون في تلك الساعة موتاً رهيباً.

وإنَّكَ لتعجبُ والتعاليم المسيحية في الأرض منذ حوالي ألفي سنة كيف أنَّ الناس يَسْتَوْنَ فضلها

1 العلقم: كلُّ شيء مرَّ وبنات الحنظل واحده علقمة.

عندما يتغنّون بالمباديء الديمقراطية ولولا المسيحية لم تكن هذه المباديء بل إنها لا تزال دونها بمراحل بالرغم مما فيها من نبيل وفضل وجمال.

ثم تعجب مرة أخرى للناس يترنّمون بالمسيحية وتعاليمها الديمقراطية وحسناتها وفي الوقت ذاته يأتون من الأعمال ما لا يتفق مع هذه ولا تلك.

إنّ الأناثية لا تزال هي المتسلطة في الأرض. وهي الشؤسة التي تنخر شجرة المسيحية كما تتآكل عروق الديمقراطية. فترى الإنسان ينادي بالإخاء العام ثمّ تراه من جهة أخرى يفكر كيف يجعل إخوته الناس عبيداً له.

إنّ الشرق قد سبق الغرب في الدعوة إلى الإخاء العام وإلى المساواة بين الأجناس ولكنّ الغربيين لا يعترفون بفضل إلا إذا كانوا هم أصحابه.

غير أنّهم إذا استطاعوا أن ينكروا على الشرق كلّ فضائله وأن لا يذكروا له إلا السيئات وأن لا يفكروا إلا باستغلال كنوزه وناسه. فإنّهم عندما يجيء الفصح يحنون رؤوسهم حتى المتوجة منها إجلالاً للإله الإنسان الذي ولد في الشرق.

السّمير: 23 / 3 / 1940

## البهلوان - والعبقري

إذا سمع الناس بهلوان يمشي على الحبل تهافّتوا على رؤيته وأنفقوا الوقت والمال في هذا السبيل لكي يرضوا غريزة الفضول فيهم.

وتراهم يرجعون بعد ذلك لينفقوا الوقت أيضاً في الحديث عنه والتعجب من فعلته. فيشتهروا وتتناقل الألسن الحكايات عنه بين صحيحة ومفتركة.

وهكذا يشتغل القوم بأمر لا يقدم ولا يؤخر في حياتهم وتخرج من جيوبهم الدنانير لتدخل إلى جيب ذلك البهلوان الذي سيّان عند المرء رآه أو لم يره. ولا فرق إن مشى على الحبل أو مشى على الأرض.

وكم هناك من أشياء يشتغل بها الناس دهرًا طويلاً وينفقون عليها مالاً جزيلاً وهي في أهميتها كالبهلوان الذي يمشي على الحبل.

ألا يجنّ الأميركيون جنونهم لرؤية رجل يلكم رجلاً.

ألا يتألب الأشراف والصّعاليك في أسبانيا ليشاهدوا رجلاً يناضل ثوراً؟!

ألا يحتشد الألوف من الخلق حول كلّ حومة سباق تترأص فيها الخيول؟

ألا يستارع الناس في بلادنا إلى الشوق كلّما سمعوا أنّ في البلدة دُبّا يعرضه صاحبه للمغالبة

والمباطحة لكي يروا الرجل الذي يغلب الدُّبَّ ويصرعه إلى الأرض؟

بلى. وليس في ذلك كُلُّه ما يدعُو إلى الاستغراب فإنَّ في الإنسان نزوعاً خفياً إلى الأمور التي لا يستطيع هو أن يقوم بها فهو يُعجَبُ بالبهلوان لأنَّه لا يقدر أن يمشي مثله على الحبل. ويصفقُ للملاكم لأنَّه لا يقدر أن يصرع مثله رجلاً قوياً بلكمة. ويهللُ للرجل الذي يصرع الثور لأنَّه يشعر أن انتصار ذلك الرجل الحاذق الباسل انتصار له. ويهرعُ لرؤية العراك بين دبٍّ وإنسان لأنَّ قهر الدُّبِّ فيه شهرة للبلدة ومجداً لأهلها وهو واحدٌ منها.

ولكن هذه الأمور تبدو صِبيانيَّة وغير إنسانيَّة عندما نقيسها إلى صفات الإنسان الرَّاقِي أو الإنسان الذي ينشدُ الإرتقاء..

ثمَّ تبدو سمجةٌ مُستهجَنةٌ مُستنكرةٌ عندما نتذكَّر أن كثيرين من رجال المواهب الذين صرفوا أعمارهم في التَّنقيب والبحث إمَّا عن مصلٍ واقٍ من مرضٍ خبيث. وإمَّا لإختراع آلة تزيد الإنتاج في المصنوعات أو تريحُ الفلاح والعامل من المتاعب التي يُعانيها أو تزيد المواصلات سرعة ودقَّة. أو تجعل المآكل والمشارب أكثر نفعاً وأقلَّ عطباً وخطراً.

ثم نتذكَّر أن النَّاس لا يتهافون على تمجيد واحد من هؤلاء الموهوبين حتى ولو كان يمجِّدُ بهلواناً أو ملاكماً ولا يهتفون له وهو يصرع الوقت والمسافة كما يهتفون لمن يصرع دُبّاً أو يغلب ثوراً. هذا كُلُّه يدلُّ على أن الطفولة لا تزال مستقرَّة في نفوس النَّاس فهم يحبُّون العبثَ ويطيرون على أجنحة اللُّهُو في أعظم البلاد حضارة كشأنهم في القرى التي لا يزال أهلها على الفِطْرة والبداوة.

السَّمير: 27 / 3 / 1940

## أين تجر الربيع

يا صاحب «السَّمير»:

قرأتُ قصيدتك المنشورة في «السَّمير» التي تحيي بها الرِّبيع في اليوم الأوَّل منه فراقبتني وأطربتني وتمنَّيتُ لو أنك أرسلتها قصيدة منظومةً لا منشورة. وبعد أن سكرتُ بها رفعتُ عيني وتطلَّعتُ من النافذة فرأيتُ الثلج يتساقط رقعاً رقعاً لو اتَّصل بعضها ببعض ودام اتِّصالها لصلحتُ أن تكون ملابس للملائكة. فقلتُ في نفسي يا لله من خيال الشعراء العجيب كيف يتقلُّ بنا إلى الرِّبيع ولا ربيع. ويصوِّر لنا الدُّنيا كلَّها أنعام مسكرة وليس غير الرِّيح المَعُولَة والغيوم السوداء المتلبِّدة. ولم أستطيع أن أكتفِ هذه الملاحظة في نفسي فجلستُ وكتبتُ إليك هذه الكلمة لأقول لك أيها الشاعر إتَّقِ الله فينا. لا تسابق الوقت. واصبرْ إلى أن يطلَّ الرِّبيع وصِفْهُ لنا فلا نستشعر الحَيَّة عندما نبحت عنه فلا نجده إلا في الورق!

أنا أحبُّ الخيال ولكنني مثلك في قولك :

إنَّ شيئاً لا أحسُّ به      هو شيءٌ يشبه الكذبَ  
ولا يشفعُ في الشعراء قول القائل :

«أعذب الشعر أكذبُهُ»      والسَّلام عليك مِنِّي حَسَّان

غفر الله لك يا حَسَّان وإن لم تغفرَ لنا ما حسبته ذنباً مع أنَّه غير ذنب ولا شيء فيه مِن الخيال الجامع  
فالربيع الذي «توهَّمت» أنَّه غير موجود هو أكثر مِن موجود لو أنَّك أنعمتَ الفِكرَ قليلاً.  
لو لم يكن الربيع موجوداً لما كنَّا نتوقَّع مجيئه. فهو كائن حتى في قلب الشتاء الباكي الكئيب وإنَّما لا  
يراه هناك إلا مَنْ نظَرَ إليه بعين الرُّوح والعقل التي تخرقُ المسافات والوقت لا بالعين الجسديَّة التي لا  
تمتدُّ إلا إلى مسافة محدودة ثمَّ يخفى عنها ما وراء ذلك.

هذا إذا كان الربيع الشَّجر المورق والسَّماء الضَّاحكة والنُّور الدافيء والماء المترنِّم ولكن هناك ربيع  
آخر غير هذا. هو الذي يجده الإنسان في نفسه حتى في ليالي الشتاء المُدْلِهمَة. وهذا هو الربيع الأجل  
والأبقى. فإذا ضاعَ مِن نفس الإنسان فلا يَرُدُّ إليه السرور ربيع.

ليس في وسعنا ولا في وسعك «يا حَسَّان» أن تسيطرَ على الطَّقْس في هذه البلاد. فكم انهطلَ المطر  
في الصَّيف هنا ورافقتهُ البروق والرُّعود كأنَّه الشَّتاء. أفَتَعْنِي هذا أن الصَّيف لم يوجد.  
ليس الشعراء وحدَهُم هم الذين يسعدونَ بالخيال وينتقلون على أجنحته. فالسَّعادة التي يشعرونها  
النَّاس كُلُّهم على اختلاف أنواعها واختلاف أحوالهم هي في الغالب بنت الخيال لا بنت الحقيقة.  
وحسبنا أنَّنا قد سكَّبتاه في كأسِ روحك قطرةً مِن الفرح بذلك المقال. فهلَّلتَ للربيع والثَّلج  
ينهمر. ودَفَّقْتَ روحك وجسمك يرتعش مِن البرد.  
وأخيراً ابحث عن الربيع بروحك لا في الروزنامة ولكَ مِنَّا الشكر والتَّحيَّة.

السَّمير : 6 / 4 / 1940

## ما هو الطُّوفان

ما هو الطُّوفان ؟!

هو مطر غزير أو ماء كثير يحتشد في موضع واحد فإن كان نهراً طغى وفاض وجرف وهدم ورؤِع.  
وإن كان جدولاً صغيراً تضخَّم واتَّسع وتعالى واندفعَ بقوة الجبَّار.  
هو في كل حالة ماء ولكنه ماء في غير أوانه وفي غير موضعيه ولولا ذلك لكان فيه للأرض العطشى  
ري. وللنَّاس فوائد ومنافع. ولكنه زادَ عن الحد فصارَ آفة بعد أن كان بركة.

ومثل الماء كُلَّ شيءٍ آخر في الحياة.

إننا نَهْتَدِي بالضوء ونَرَى فِيهِ الأشياء والأشخاص جليَّة واضحة ولكنَّه إذا زادَ عنِ القدر الذي نحتاجُ إليه بهرَّ أبصارنا فصرُّنا لا نستطيع رؤية الأشياء وهي على مقربة منا.

إنما ليس كُلَّ شيءٍ كالطُّوفان يصعبُ على الإنسان الخُزول دونَ صيرُورته آفة كبرى فهناك أمور وحالات لا يعجزه أن يتصرَّف بها تصرفاً يعود عليه بالفائدة. ولكنَّه لا يفعل بل يسيء استعمالها فترجع عليه بالضرر ويرجع هو يشكو الأيَّام والنَّاس مع أن المسيء هو لا سواه.

خذْ لك مثلاً الخمر فإنَّ القليل منها كما قيل يفرحُ قلب الإنسان وفي حالة الإصابة بالرشح يصفُ الأطباء أنفسهم قليلاً مِنَ الويسكي للمُصاب.

ولكن بعضهم يُسرفُ في شربها ويدمنُ عليها حتى تتمكَّن منه عادة الشرب فيصيرُ لها عبداً. ولا يطولُ به الدَّهر حتى يتمشَّى في جسمه الضَّعف وفي جيبه الإفلاس. فضلاً عمَّا يصيبُ أخلاقه مِنَ الهزال.

ومن المفيد للمرء أن يلهو قليلاً ولكنَّه إذا تمادى في اللُّهو واتَّخذه دَيْناً<sup>1</sup> في صباحه ومساءه. لا يلبث حتى يأتي عليه يوم يجدُ فيه نفسه لا قدرة له على اللُّهو ولا سبيل إلى سواه! فيلتفتُ فإذا موكب أهل العزائم والمطامع قد بُعدَ عنه كثيراً وصار مِنَ العسير عليه اللحاق به ولو نَبَتَ له مكان كُلِّ إصبع جناح!

إننا نأسفُ لحدوث الطُّوفان ونشعرُ مع الذين نزلتْ بهم خسائرٌ كما نشعرُ مع كُلِّ مظلوم ومغلوب ومنكوب. والطُّوفان جائحة تنزل بالإنسان وحده. فالحقل الذي تبعثرت أشجاره وتبددت أحجاره لا يضيع منه شيء وإنَّما يضيع الجمال الذي أحدثه فيه الإنسان والنَّفع الذي كان يرجؤه عندما يخرج الحبَّ مِنَ الأرض فيصير سنابل أو تتفتقُ عن البذور فتصيرُ أزاهير ورياحين.

السَّمير: 1940 / 4 / 24

## ماذا كانوا يصنعون

خطَرَ «الباحث» أن يلقي على نفسه وعلى النَّاس هذا السؤال: ماذا كان يصنع يسوع لو جاء إلى العالم مرة أخرى؟!«

ولاحَتَ للسَّائِلِ في الأفق غمامُ الحرب السوداء وسمعَ قصفَ رعودها. وشاهدَ السِّنة نارها مُندلعة في الأرض وتراءتْ له الشُّفن المتحطِّمة في البَحْر وجثث الغرقى والهلَكى طافية على وجه الماء

1 الدَّيْدَن العادة والدَّأب.

تتقاذفها الأمواج. فراح يقابلُ بينَ العالم الجميل السَّعيد الذي جاءَ يسوع إلى الأرض لكي يوجدَه فيها والعالم الزَّاحِرِ بصنُوف البؤس والتَّعاسة وأنواع الألم والعذاب الذي يعيش فيه البشر. فكان جوابه على سؤاله هو الجواب الذي يتلجَّجُ في صدور الذين يكرهون الحروب والتَّافخين في ضرامها. ويمقتون استبداد الأقوياء بالضعفاء. ويحتنون إلى صيرورة البشريَّة كلَّها عائِلةً واحدة. إلى غير ذلك من الأمانى الجميلة والأحلام اللذيذة التي تراودُ النفوس الصَّافية الرَّاقية ولا سيَّما النفوس التي أشربتْ تعاليم النَّاصِرِيِّ السَّامية القائمة على المحبة. وهي التعاليم التي مسحها النَّاس وصرَّفوها إلى غير القصد الأوَّل الرئيسي منها.

أجل إنَّ يسوع لو جاء إلى الدُّنيا ثانية لعفا عن المسيء.. وأحبَّ الخاطيء المجرم. وغفَرَ لِلزَّانية وأهوى بالسَّوط على ظُهور الصَّيارفة الطَّماعين ووبَّخ المرائين. وجعل الرَّحمة فوق العدل. ونزعَ من قلوب النَّاس حُبَّ الحُطام<sup>1</sup> وجعل النَّاس كلَّهم إخواناً.

هذا. وأكثر من هذا كان يسوع يصنعه لوعاد ولكن ماذا كان النَّاس يصنعون لو رجَّع يسوع اليوم إليهم ورأوه بينهم؟!

إذن كان قام في المرَّة الأولى يهوذا واحد باعه من الذين يطلبون دمه بثلاثين من الفضة فسوف يقوم ألف يهوذا في المرَّة الثانية لبيعه بفضة وبغير فضة!

وإذا كان قد وجدَ قاضي واحد اسمه بيلاطس البنطيّ يدعُنُ للشعب الأحق الهائج لثلاثٍ بخسر منصبه فإنَّ قضاة كثيرين يطاوعون النَّاخيين في قضايا كثيرة ويحيدون عن جادة<sup>2</sup> العدل والصَّواب إكراماً لأولئك النَّاخيين ولن يكون هؤلاء القضاة أصلب عوداً من بيلاطس النَّبطي!

سيجدُ كثيرين يحملون إليه الخل في الإسفنج.

وسيجدُ أيادي كثيرة تدقُّ المسامير في يديه.

إذا رجَّع يسوع فإنَّ النَّاس سوف يصلبونه مرَّةً أخرى!

إنَّ النَّاس ما برحوا هم النَّاس!

السَّмир: 24 / 4 / 1940

1 الحُطام: من كُلِّ شيء ما تكسَّر منه وحُطام الدُّنيا متاعها.

2 جادة: الجادة وسط الطريق والطريق الأعظم الذي يجمع الطُّرق ج جواد.



## يوم الأمّات

قالوا إنّ الأم هي الإله الصّغير.  
ولا غلَو في القول ولا شذوذ في التقدير.  
فالله محبّة ورحمة وعفو وسخاء وكذلك الأمّ.  
إنّها تحبُّ لا تطلب عن حبّها عوضاً ولا تبغي به ثمناً. ولا تعدل عن حبّها ولو لم تحن منه غير  
العلقم المرير.  
محبّة الأم تملأ البيت الصغير فهي تملأ الأرض كلّها إذ ليس في الأرض مكان ليس فيه بيت تشع فيه  
إبتسامتها وتفيض جداول حنانها.  
كلُّ محبّة يعتورها الفساد ويتطرّق إليها النقصان إلا محبّة الأمّ فهي كالثور لا يفسد ولا يتشّن.  
ليكن ابنها دميم الوجه فهو عندها الأعز الأكرم.  
ليكن شريراً أو مجرمّاً فهو ابنها الذي يجب أن تحبّه بكلّ جوارحها وأن تفيض عليه حنانها ورأفتها.  
يستطيع الناس أن يُغضّوه وأن يخافوه وأن يطاردوه بالجند والشرطة. أما هي فلا تقدر إلا أن تحبّه  
وأن تكون له ملجأً ونصيراً.  
وليكن ابنها عالماً كبيراً أو قائداً خطيراً أو مخترعاً شهيراً أو غنياً فإن سرورها به وإن لم تحصل لذاتها  
على شيء من ثروته أو شهرته أو مجده أعظم من سروره هو بما حصل وكسب وأدرك.  
تشيب الأم وتهرم من الشّهر على أولادها ومن المخاوف والهواجس والهُموم التي يجلبونها لها  
ولكنّها تظل تحبهم حتى كأنّها هي لا يجوز لها أن تبقى على قيد الحياة إلا إذا أحبهم.  
فكر قليلاً تجد أن الجندي الذي يغامر بروحه من أجل بلاده ودولته ليس بأسخى ولا أكرم من الأم  
التي تجود بروحها كلّ يوم في سبيل أولادها.  
وإذا سمعتَ برجل غني يتصدّق بالملايين فاذكّر أنّه دون الأم في الجود والسّخاء فإنّ الإبتسامة  
التي تنبثق من شفثتها هي أثمن من أكوام الذهب والدّمعة التي تنحدر من عينيها هي أركى من دم أيّ  
شهيد. لأنّها لا تبسم ولا تبكي إلا صادقة..  
إنّها تهين نفسها ليتمجّد ابنها وتضني جسدها لكي تصون جسده. وتفني حياتها لعلّها تزيد في  
حياته.  
يهاجر الإنسان من وطنه ويضرب في مناكب الأرض وتحول بينه وبينها البحار والجبال. ويستغرق  
في المشاغل والمطالب والمشاكل. فينسى أترابه وأصحابه وتغيب عنه صور المنازل والمرايح التي كان فيها  
ولكن صورة واحدة لا تنمحي من ذاكرته ولا تغيب عن مخيلته وهي صورة أمّه!

وإذا وقع في محنة وخذله الرفاق والعشراء وانفض عنه الأصدقاء رفع بصره إلى السماء يستنجد الله ويطلب منه المعونة. وإذا مشت روحه في الأرض تبحث عن الإله الصغير. عن أمه يستمد من ذكرها رجاء لنفسه اليائسة. وقوة لهُمَّته الخائرة. وعزاء لقلبه الحزين. ويجد هذه كلها في ذكرها كما كان يجد عندها العطف والسَّحاح والغذاء والرِّداء. وهو طفل بين يديها وأمام عينيه.

السَّمير: 11/ 5/ 1940

## سَمِعْتُ

«سمعت» هي الكلمة التي يفتتح بها كل قول مصوغ، وخبر ملفق، وحديث مفترى<sup>1</sup>، يمشي بها في الأرض أحد رجلين. إمّا داعية سوء تغلغل المكر<sup>2</sup> في عروقه مع الدم، وإمّا رجل مأفون<sup>3</sup> استحکم الإسترخاء في عقله وأخلاقه فهو يتلقف كل قول يطن في أذنيه، ويردده كما يردد الحاكى نعمة الفرح ونعمة الأسى على حد سواء.

كم مرّة دخلت أيها القاريء إلى بيت فلما خرجت وسئلت عمّا رأيت فيه تذكّرت كثيراً من الأمتعة والصُّور والآنية التي رأيتها. ولكنك لم يخطر في ذهنك أن تتذكّر الباب الذي دخلت منه وخرجت.

وكلمة «سمعت» في كل حديث مبدوء بها كالباب في البيت يلتهمها النسيان كأنها لم يجر بها لسان ولا دخلت أذنًا، ويبقى بعدها الحديث المفترى كأنه أمر واقع فعلاً!

إنها كعود الثَّقاب يضرّم النار الهائلة فتلتهم المدينة الكبيرة العامرة وهو شيء لا تكاد تراه من مسافة أمتار! وإذا أصبح البلد قاعاً صفصفاً<sup>4</sup> بحث فلم تجد لعود الثَّقاب أثراً.

إنني والله لا أحذر الأسد الضَّاري<sup>5</sup> إنطلق من عرينه في طلب الفريسة كما أحذر هذا الذي يأتيني متكلفاً الإبتسام ويقول لي: سمعت.

ولا أتقي العدو يبرز لقتالي بالحديد والنَّار كما أتقي الرجل يعرف مني أنني لا أثق به فيقول لي: سمعت...! يتخذها دريئة لكي ينجو من التَّبعة ويتفلّت من العقبي<sup>6</sup>!

تقول له ممن سمعت هذا الحديث وأين سمعته؟ فيتبرّم بسؤالك ثم يلتبس الإباء والسُّمم ويتصنّع المروءة<sup>7</sup> والخلق العالي. فإذا أخرجته وتضايق قال لك: ليتني ما أخبرتك! ثم يعتذر عن التصريح بأنه

1 فرى كذبا خلقه وافتراه اختلقه.

2 المكر: الاحتيال والخديعة.

3 المأفون: أين فلان نقص عقله فهو مأفون.

4 الصفصيف: المستوي من الأرض لا نبات فيه.

5 الضَّاري: من الشُّباع المولع بأكل اللحم ج ضواري.

6 العقبي: اليوم الأخير أو المرجع إلى الله، وجزاء الأمر ويقال: لك العقبي في الخير.

7 المروءة: الإنسانية.

لا يجب أن يُروى الحديث عن لسانه. ويعلم الله وملائكته أن ذلك الحديث لم يدر به لسان قبل لسانه ولم تتمثل صورته في ذهن قبل ذهنه، وأن له من صنعه أرباباً<sup>1</sup>. وله من دسه في أذنك لبانة<sup>2</sup>. ولكنه لم يجد سبيلاً إلى قضاء وطره<sup>3</sup> إلا هذا السبيل..

وتقسم عليه أن يخبرك ممن سمع الحديث وتحلف له الإيمان المغلظة<sup>4</sup> أنك لن تضيع مما يقول لك شيئاً فيزداد إمتناعاً ويزداد تأيئاً. ويبدو الإنقباض على وجهه. بينما قلبه يرقص ونفسه تضحك لأن سحره سرى في نفسك وهيّج فيها حب الإستطلاع.

وتلج عليه أن يسمي لك الشخص الذي فاه بما نقل إليك. فيتملص منك قائلاً: كنت أود أن أسميه لتعرف عدوك من صديقك. ولتعلم ما في أخلاق الناس من ضعف.. ولكنني أخشى إذا أنا سميت لك أن تذهب إليه وتعاتبه.. أو أن تحقد عليه وتغاضبه.

وهكذا يترك الخبيث الحديث المكذوب في نفسك كأنه لقيط طرحة شخص مجهول في الظلام على باب مستشفى أو درج كنيسة وفّر.

وتجلس بعد ذهابه إلى نفسك تسائلها وتستحضر إلى ذهنك صور أصحابك وجيرانك وتسيرها موكباً موكباً في مضيق الظنون والريب لعلك تهتدي إلى المفتت عليك والمسيء إليك. فتظلم كثيرين من أصدقائك. ويداخلك الريب في إخلاص إخوانك. ويوغر<sup>5</sup> الوهم صدرك على أكثر جيرانك. وقد يتهادى بك الغيظ فتنقم على الناس أجمع حتى تتلاشى كل صورة جميلة في نفسك للصداقة والجوار. وحتى ينقلب الناس في نظرك ذئاباً لا ترعى عهداً. ولا تصون وداً.

وكثيراً ما هممت بأن تستطلع الحقيقة من بعض الناس الذين لم تتزعزع ثقتك بهم فيمنعك من التحري والإستقصاء قولة الناقل أنه يكره أن يروى الحديث عن لسانه. ولا يدور في خلدك<sup>6</sup> أبداً أن ذلك الخبيث لم يضع هذا الإستدراك إلا ليلجم لسانك ويكبّل نفسك. لأنك إذا ذهبت تستقصي الأمر الواقع لم تجد أحداً عنده خبر عن ذلك الخبر إلا الذي نقله إليك!

وكلمة السوء لا تسرع في الإنتشار فقط بل هي كلما إنتشرت نمت حتى تتحول في ساعة من شرارة إلى أتون. ومن حصاة إلى جبل!

السّمر: 17/8/1940

1 الأرب: الحاجة.

2 اللبانة: الحاجة.

3 وطر: الوطر الحاجة ولا يئني منه فعل وجمعه أوطار.

4 المغلظة: غلط اليمين قواها فهي مغلظة.

5 أوغر صدره: الوغر الحقد الضغن والعداوة والتوقد من الغيظ.

6 الخلد: البال والنفس ومنه يقال: لم يدر في خلدك كذاج أخلاق.

## ما رأييت وما سمعت

مضت أربعة أسابيع وأنا غائب عن إدارة «السَّمير» بالجسم لا بالروح. فهي البيت الذي بنيت. والحديقة التي غرست. ولا يغيبُ عن المرء بيتُ بنى. ولا حديقةٌ غرس. هجرتها وفي النَّفس مللٌ من القلم والحبر والأوراق. كالمَّل الذي يعتري أيَّ إنسانٍ من أمرٍ طال اشتغاله به وإن كان جميلاً في عينيه وحبیباً إلى قلبه. ولكنني ما كِدْتُ أسلخ بضعة أيام حتى راجعتني الحنين إلى هذا المنزل الروحي. إلى المكتب الذي لا يكاد يعرى من الأوراق والرسائل والجرائد والمجلات حتى يعود فيرتدي منها جلباباً فوق جلباب.

إلى المطبعة التي تلوح وهي ساكنة كأنها جيش متأهب لخوض المعركة عند أوَّل إشارة من القائد فإذا تحرَّكت ودَّارت اللُّوالب على اللُّوالب فهي كالكنار الحبيس لا يستريح حتى يفرغ من حُنجرتِه كُلَّ الأشجان التي في روحه تغاريد وأناشيد.

إلى ركوة القهوة النحاسية التي لا تنفك مُحتجبة كالغادة الحسنة في خدرها حتى يطرق الإدارة زائرٌ أو يأتي صديقٌ فتخرج لاستقباله من حولها الأكواب وفي جوفها ذلك الشراب. ما أكرمها. لا تضحك جوانبها إلا إذا وهبت كُلَّ ما فيها.

إلى الرفاق الأعوان الذين تلقى إليهم الأخبار والأفكار أوراقاً مُنثارة فلا تنقضي بضع ساعات حتى تنتظم تلك الأوراق المتناثرة فتصير حديقة سائرة يحملها البريد إلى كُلِّ أنحاء الأقطار الأميركية وكنت أقول أنحاء العالم لو أن السفن اليوم تمخرُّ البحار كما كانتُ تجتازها قبل الحرب.

إلى الأصحاب والعشراء الذين يتردّدون إلى إدارة «السَّمير» أو يحملُ سلك التليفون أصواتهم إلينا. إلى رسائلِ الأنصار والأصدقاء التي ينقلها البريد فيفوح من سطورها عبير الوفاء. ويشرق في حواشيها نور الإخلاص.

أجل شعرت بوحشة عندما فارقتُ الإدارة غير أنني وجدتُ في الأصدقاء الذين لقيتهم وما غمروني به من الحفاوة أنساً كثيراً.

ورأيتُ الصَّيف يعرضُ محاسنه الفتانة وينشدُ قصائده السَّاحرة في الأودية والجبال وعلى شواطئ الأنهر والبحيرات غير متصنّع ولا مُكَلَّف. ولا شيء يجلب الغبطة والخُبور إلى النَّفس المضنوكَة مثل الإستغراق في هوى الطَّبيعة. والدُّخول إلى هيكلها لعبادتها. فكم غسل النَّظر إلى الماء المتماوج الشَّادي من هموم. وكم من نظرةٍ إلى القمر في ليلةٍ صافية رفعتُ إلى العلاء روحاً كانت من متاعب الحياة كأنها في حبس.

إن أكثر النّاقمين على الدّنيا وعلى النّاس هم الذين سُدَّتْ السُّبُل دُونَهُمْ. أو حَسَبُوا هم أنفسهم  
فغاب عنهم الجمال في الحياة كما خَفِيَ عنهم الجمال في النّاس.  
وكيف يبلغ الإنسان شيئاً لم يسع إليه؟

ولقد كنتُ وأنا مسافرٌ أفكرُ بـ «السّмир» حتى وأنا مأخوذٌ بجمال الطّبيعة. ولا تغيبُ عني حتى وأنا  
مغمُورٌ بعواطفِ الأصدقاء. فإذا حانَ موعدُ صدُورِ «السّмир» تساءلتُ هل صدّرتُ؟ وإذا أضنّكني  
الحزُّ. وقد كان شديداً طَيرتُ بالخيال إلى الإدارة وأنا أقول في نفسي: كيف حال الرّفاق في هذا الحزِّ.  
ولكنّي لم يخامرني الشكّ لحظة في أن القائمين بأعباءِ «السّмир» في غيابي هم من خيرة الرّجال  
الأكفأ ذوي المقدرة والخبرة. فعلى سياسة الجريدة وإدارتها شقيقي الكاتب المعروف مراد أبو ماضي  
وعلى الترجمة الكاتب القدير الممتليء حمّة ونشاطاً راجي ضاهر. فضلاً عن الكتاب الذين اتّخذوا  
«السّмир» مسرحاً لأقلامهم. وعلى إدارة المطبعة الأديب الخبير شكري كنعان يعاونه فتى الهمة والغيرة  
جان رومية.

وإنّ جريدة تلتقي فيها هذه القلوب المخلصة والأيدي العاملة والعيون السّاهرة لهي في حرزٍ حريزٍ  
غابَ صاحبُها أو حضرَ. فأنّا الآن مثلما أشكرُ الأنصار الذين كانوا لي عوناً في رحلتي أشكرُ هؤلاء  
الرّفاق الذين كانوا وما برحُوا يتعهدون «السّмир» بعنايتهم ومحبّتهم وإخلاصهم.  
وليستْ هذه الكلمة إلا بمثابة تمهيد لكلمات ستجيء.

السّмир: 19/8/1940

## ما رأييت وما سمعت

منتزه ويترويت - ناسك فلنت - ليلة في بورت هيورت مشفى

لا أدري إذا كان سكان مدينة دترويت يعرفون قيمة المنتزه البديع المعروف باسم «بل ايل» الذي  
يشعرُ الإنسان فيه كأنه قد انفصلَ عن دنيا الزّحام والضّوضاء وصارَ في عالم بعيد مع أن ذلك المنتزه  
جزءٌ من المدينة. وكنتُ أحسبُ أنه أرضٌ أميركيّة غير أنّي عرفتُ أنه في الأصل أرضٌ كندية استأجرتها  
حكومة دترويت لتسع وتسعين سنة. لا تسأل لماذا لا تُكتب هذه العقود لمائة سنة كاملة بدل التسع  
والتسعين. فهذه مسألة يعرفها المحامون ولا يبالي بها الشعراء!  
ولكن سلّني عن تلك البقعة فأخبرك أنها جنة نظرة فيها للصّالحين ولغير الصّالحين مكان. هذا  
إذا جاؤا قبل أن تتهافت الجماهير إليها هاربة من الحرّ اللاّهب.

1 ماثية: الماثب والمثابة البيت الملجأ الجزاء والمثابة الموضع الذي يثاب إليه مرّة بعد أخرى ومنه سمي المنزل ماثبة.

فيها تتلاقى الطبيعة والإنسان. فحيثما تعالت شجرة رأيت موقدة ورأيت ناساً. حتى كأنها القوم المتحضرّون يتحوّلون في المساء إلى جماعات من البدو ولكنهم لا يحتاجون إلى حجارة يبنون منها موقد لأن الحكومة قد كفتهم هذا الأمر فنصبت الموقد الحجرية في كل ناحية. ولا يحتاجون إلى الخيام لأن الأشجار الباسقة تغنيهم عنها.

لكل غني حديقة حول قصره يخرج إليها للهو أو للشرب ولكن «بل ايل» كلها بأشجارها ومروجها ومياهها لكل إنسان سواء كان غنياً أم فقيراً.

وعندي إذا كانت الحكومة دترويت حسناً تحصيلها فهذا المنتزه هو أعظم وأجمل حسنتها. وإلى جانب هذا المنتزه بحيرة كبرى هي هناك الحد الفاصل بين الولايات المتحدة وكندا. فهي في هذا الشاطيء تلثم أرضاً يظللها علم الخطوط والنجوم. وفي الجانب الآخر تلثم أرضاً يخفق فوقها العلم البريطاني. وفي النهار يسيل فيها ذهب الشمس التي تغمر الشاطئين وما وراءهما على حد سواء.

هناك يحتشد الناس كل ليلة كأنهم في مهرجان وإنما ليس هناك خطباء إلا الشجر. ولا منشيدون إلا النسمات. وأحسن من هذا كله أن التجارة محظورة عليها الدخول إلى هذه الاجتماعات لأنها تكاد تكون في جملتها عائلية..

هناك يلتقي الأصحاب بالأصحاب مُفْلَتَيْن من هموم المدينة ومتاعب العمل والتجارة. ويرجعون أخيراً إلى منازلهم وقد اكتسبت أرواحهم نشاطاً وقلوبهم فرحاً وامتلات رئاتهم هواءً نقياً. ليت في كل مدينة منتزه مثل «بل ايل». جميل وقريب ولا كلفة<sup>1</sup> فيه ولا عناء في بلوغه. فإن النفس يفسدها الزحام.

السّمعير: 21/8/1940

## يوم العمال

نكتب هذه الكلمة والسماء غائمة تأبى أن تنزع عن وجهها هذا البرقع الأسود. كما تأبى أن تنقطع عن البكاء.

حالة شاذة غريبة لأنها في غير أوانها فما تعود الناس أن يلبسوا في آب ثياب كانون ولا أن يفتحوا عيونهم في مثل هذه الأيام إلا على فضاء متألّق وسماء سافرة.

وقد أصاب الناس الذين ذهبوا للإصطيفاء في الشواطئ والجبال العالية هرباً من الحر. ما أصاب

1 والكلفة ما يتكلفه الإنسان من نائبه أو حق.

الذين ذهبوا إلى فلوريدا في الشتاء هرباً من البرد. فقد لقي هؤلاء في فلوريدا الشيء الذي هربوا منه أمّا الذين قصدوا إلى الجبال ليستقبلوا فيها الهواء المعتدل والثور الضاحي فقد استقبلتهم الجبال بالغيوم والأمطار والهواء البارد.

والآن يهجم السواد الأعظم من سكان المدينة بالإنطلاق منها ولكنهم كلما تطلّعوا إلى السماء ورأوا ما فيها من غيوم كالحة غضبي فترت عزائمهم وانكشفت الرغائب في صدورهم. وراحوا يقولون لأنفسهم: إذا كانت هذه هي الحالة في المدينة فكيف تكون في الجبل العالي والشاطيء المكشوف. وهذا كله دليل على أن المرء يخطيء عندما يقيد نفسه بيوم معلوم في السنة لينقطع عن العمل ويخرج للراحة أو للترهة. كأنها هو قد أخذ على الطقس مؤثّقاً<sup>1</sup>. فإن أكثر ما تجيء الحية من هذا السبيل أو سبيل مثله.

كم من عمل أرجأه صاحبه إلى غد لا اعتقاده أن المجال سيكون أرحب. وأنه هو سيكون أكثر تهيؤاً للعمل. فلما جاء اليوم التالي عرض له أمر آخر صرفه عما كان ينوّه.

لماذا يجب عليّ أن ألبث مقيماً في المدينة لأنّ جاري لم يذهب بعد إلى المصيف<sup>2</sup>؟

ليست صحّة جاري صحّي. ولا جيبه جيبي. ولا ظروفه ظروفي. أمّا إذا كنت أذهب إلى المصيف لأرى جاري هناك فأنا ذاهب لأراه لا لأستفيد راحة وأكسب عافية.

لماذا يجب أن أوّجل الذهاب إلى المصيف إلى «يوم العمال» وهو يوم تكتظ فيه الطرق بالسيّارات والقطّر بالنّاس إلى درجة تضنك روح المسافر. وتشوش عليه سكينته. فيمسي مشغولاً بالنّاس وهو إنّما غادر المدينة لكي يهرب من النّاس ومن زحام المدينة وضواها.

وبيلغ بعد جهد ومشقة إلى القرية التي يقصدها فإذا هي قد تحوّلت لكثرة النّاس فيها إلى مدينة ليس فيها وسائل الراحة التي في المدينة. وإذا به يهرب من زحام منظم إلى زحام غير منظم ومن جلبة مألوفة إلى جلبة مرعجة لأنّها غير مألوفة.

إنّ كثيرين يتذمّرون ويتأفّفون في هذا اليوم من رداءة الطقس. من السّماء المكفّهرة. من الغيوم المندرة بالمطر. ولكن لعلّ الله حكمة خفيّة في ذلك. وربّما كان الأفضل للمؤثّقين أن يبقوا في المدينة إلى يوم آخر غير يوم العمال الذي لا ندري لماذا لا يدعى «يوم النّاس كلّهم» لأنّه غير مقتصر على العمال وحدهم بل ربّما كان العمال هم الفئة الأقل في مواكب الهاربين من المدينة في ذاك اليوم!

بل نحن لا ندري لأيّ شيء يذهب النّاس في هذا اليوم إلى الجبال أو الشواطيء لكي يستقبلوا الصّيف وقد أوشك أن يحتضر؟ أم لكي يودّعوه وهذا أمر ميسور لهم حيث هم.

وأخيراً إنّ الأتّام الجميلة ليست التي تحدّدها الروزنامة فكلّ يوم له جماله وإنّما على الإنسان أن يفتح

1 المؤثّق: الميثاق.

2 المصيف: مكان الإقامة في الصّيف ج مصايف.

عينه على هذا الجمال. ولكن أكثر الناس يتابع بعضهم بعضاً حتى في الأمور التي لا يحسن فيها إلا  
الاستقلال.

السَّمير: 31/8/1940

## نقطة الحبر

يا لها من قطرة مسحورة!  
إنها ليست ماء يشربه العطاش ولكنها تروي أحياناً كالماء النَّمير<sup>1</sup>. وتروي وهي قطرة صغيرة  
جماعات وجماهير.  
وليست خراً. ولكنها تسكير أحياناً كالخمر.  
والغريب فيها أنها وهي ماء سائل بارد فيها حرارة كالخمر بل أين منها في بعض الأحيان حرارة  
الجمر.  
والأعجب الأغرب أن فيها نوراً وضاحاً مع أنها سوداء داجية كالليل الذي توفيت نجومه!  
أجل إنها يا صاحبي نقطة الحبر!  
هي جرم صغير ضئيل متلاش مُضمحل ولكن كم فيها من خير كبير وكم فيها من شرٍ مستطير<sup>2</sup>.  
تتلاشى ولا يتلاشى أثرها  
وتنطمس وما تركته في العقول والقلوب باقٍ  
هي تلك القطرة المائعة  
ولكن كم زلزلت كياناً وزعزعت بُنياناً. وضعضعت عقيدة وأضعفت إيماناً.  
وأحياناً تشيد الكيان وتوطدُ البنيان وتقوي الإيمان.  
هي التي يدون بها المرء أحبَّ الأسماء إلى نفسه. كما يرقم أقبح النعوت والصِّفات.  
بنقطة حبر واحدة يكتب الدليلُ صكَّ عبوديته أو صكَّ تحريره! وبنقطة حبر واحدة يعلن المرء إماً  
فضائله وإماً رذائله!  
بنقطة حبر واحدة يمهر الحاكم طُرس<sup>3</sup> العفو أو طرس الإعدام  
وبنقطة حبر يكتب التاجر حوالة فيها عدة أرقام!

1 الماء النَّمير: وماء نمير أي ناجع عذباً كان أم غير عذب.

2 المُستطير: استطير فؤاده أصابه دُغْرٌ وفزع.

3 الطُرس الصحيفة ج طُروس.



هي أحياناً سَمٌ قَتَالٌ وأحياناً تَرْيَاقٌ<sup>1</sup> شافٍ  
وهي أحياناً جالبة الغنى الوفير. وأحياناً جالبة الفقر المدقع<sup>2</sup>.  
وهي أحياناً لا قيمة لها ولا نفع ولا ضرر.  
يشمُّ رائحتها بعض الأدعياء فيسكرمون ويتصوِّرون أنهم صاروا من فطاحل<sup>3</sup> الكتَّاب والمنشئين  
وأساطين<sup>4</sup> الشعراء. ويستفيق كلُّ شارب مخدَّر<sup>5</sup> وهؤلاء لا يستفيقون!  
إنَّ هذا شرٌّ في الأرض مصدره نقطة الخبر!  
ويجري بها قلم العبقرى<sup>6</sup> الموهوب في القرطاس فإذا للنَّاس إمَّا صورة ساحرة. أو قصيدة رائعة.  
أو فكرة عالية. أو لحن فاتن.  
هذا خير. مصدره نقطة الخبر!  
لولا الخبرُ لم يؤدِّ القلم رسالة. ولا كان للمطابع فائدة من وجودها ولم يحتشد كلام في قرطاس.  
فهو ذو فضل عميم على الحضارة والإنسانية ولكن النَّاس لا يذكرون فضل الخبر الذي لا غنى لهم  
عنه. ويتغزَّل شعراؤهم وكتَّابهم بالخمر!!  
ويكتبون قصائدهم بالخبر!  
وربَّما ذمَّ بعضهم الخبر وشتَّمه لأنَّ نقطة منه وقعت على ثوبه. أو ورقة من أوراقه.  
أمَّا فضائل الخبر وحسناته فَنسيَّ منسيَّ عند أكثر النَّاس حتى الذين يصنعونه ويربحون من صنعه  
الملايين من الدولارات. وحتى الذين لا يستطيعون مُزاولة صناعتهم إلَّا بالخبر!  
فيا للخبر من محسنٍ مغفون؟!

السَّمير: 7/9/1940

## الفائب المحاضر

بالأمس إنشقت الأرض في مقبرة غرينوود في بروكلن فإذا هناك حفرة ضيقة يغيب فيها رجل  
كانت الأرض كلها له ميداناً. وكانت همته تطاول النجوم.

- 1 الترياق: دواء السُّموم فارسيٌّ معرَّب.
- 2 المدقع: يقال دقع الرُّجل بالتراب أي لصق بالتراب ذلاً. وفقرٌ مدقع أي مُلصق بالدُّعاء (أي التراب).
- 3 الفطاحل: الضَّخَم الممتلئ الجسم، والشَّيل العظيم ج فطاحل ويقال لكبار الشعراء والعلماء فطاحل.
- 4 أساطين: أساطين العلم أو الأدب والثَّقَات المبرِّزون فيه المُفَرَّد أسطون.
- 5 المخدَّر: مادة تستبب في الإنسان والحيوان فَيُفقدان الوعي بدرجاتٍ متفاوتة ج مخدَّرات.
- 6 العبقرى: عبقر موضع تزعم العرب أنَّه من أرض الجن ثم نسبوا إليه كلَّ شيء تعجَّبوا من حذقه أو جودته صنعته وقوته فقالوا (عبقرى).

وبعد أيام معدودة يمرُّ المرءُ مِنْ هناك فيرى العشب الأخضر يغطي ذلك الضَّرِيح بحيث لا يبقى فرقٌ بينه وبين أي قبر آخر حتى القبور التي انقضت عليها عشرات السنين فإن الأرض لا تميّز بين دفين ودفين. فالغني والفقير. والصُّعْلوك والأمير. والفتى والشيخ كلُّهم هناك سواء.

وبالأمس تألَّب الناس بالمئات حول تلك الحفرة واليوم ليس هناك غير الشَّجر الصامت والفضاء الباهت وأعشاب كلِّها مرَّ النسيم مال بعضها على بعض كأنها تتناجى وتتهامس قائلة:

«أيُّ فرق بيننا وبين الناس الذين كانوا هنا؟ إننا نحيا ونموت. وهم يَحْيَوْنَ ويموتُونَ. هم مِنْ الأرض وإليها يرجعون. ونحن منها وإليها».

أجل. إنَّ الإنسان وإنَّ عمرَّ طويلًا لا بُدَّ له أخيراً مِنْ أن يَضْطَجَعَ في القبر. وأن يصيرَ شأنه كالعشب وأن يصيرَ في التُّراب تُراباً.

ولكن إذا كان القبر هو خاتمة في حياة العُشب<sup>1</sup> فهو ليس كذلك في حياة الإنسان. وإذا كان الناس الذين احتشدوا بالأمس حول ذلك الضَّرِيح ليسوا الآن هناك فإن ساكن الضَّرِيح الآن مع كلِّ واحد منهم.

إنَّه يعيش في قلوبهم وأذهانهم.

هو في الأرض ضمير مُستتر غير أنَّه صورة بارزة في أذهان الذين كان بينهم. إنَّه يحيا الآن فيهم كأنَّه لم يمت. فهو بعيد ولكنَّه قريب. وهو غائب ولكنَّه في الوقت ذاته حاضر. والذكر للإنسان عُمر ثاني.

ولا سيَّما الذكر الجميل.

وميزة الإنسان صاحب الميزات الكثيرة أنَّه يتذكَّر فيستحضر عصراً فات. أو صديقاً مات. أو مكاناً حالتْ دونه المسافات..

لولا الذَّاكِرَةُ لأمَّحَتْ صورة الوطن مِنْ نفوس المغتربين وانطَوَّتْ صُور الأهل والعُشراء والأحباب والأصدقاء.

لولا الذَّاكِرَةُ لاضْمَحَلَّتْ مِنْ ذهن المرء صورة المدرسة والمعلِّم والكتاب والرِّفاق.

لولا أنَّ الإنسان يتذكَّر في يومه كيف كان في أمسه وأين كان ومَنْ كان معه. لكان عليه أن يبدأ في كلِّ يوم حياة جديدة لا صلة لها بالحياة التي في اليوم الذي سَبَق. وفي حالة كهذه لا يَسْعَدُ في يوم مِنْ أيام حياته.

لذلك نقول: إنَّ الصَّدِيق الذي فارقنا بالأمس لا يزالُ حيّاً بيننا وإن كان قد طواه القبر.

هو معنا لأننا نقدر أن نتذكَّره ونحن سنتذكَّره كلِّما قيل: هذا رجل كريم.

<sup>1</sup> العُشب الكلا الرُّطب ولا يُقال له حشيش حتى يهيج

وكلّما قيل: هذا رجل مُحسنٌ.  
وكلّما قيل: هذا رجلٌ صاحبٌ معروف.  
وكلّما قيل: هذا عِصامي<sup>1</sup> سَوَدَتْهُ نَفْسُهُ.  
فالكريم لا يموت، وإن مات فإنه يحيا في أحاديث الناس وحكاياتهم عنه. ثم هو يحيا بما ترك وراءه  
من الأعمال الصالحة المبرّرة في حياته.  
لذلك سيحيا سليم ملوك فقيد الجالية ما دامت هذه الجالية. وما دام الناس يقدرّون الرجال  
العِصاميّين.  
سيذكره التجّار ويترخّمون على الرفيق الذي كان في حومة الثّجارة فاتحاً مغواراً<sup>2</sup>.  
وسيذكره المهاجرون قاطبة<sup>3</sup> لأنّه كان من رجالهم العِصاميّين الذين رفعوا مكانتهم في المهجر وفي  
الوطن.  
وستذكره المحافل والمجالس التي كان فيها موجه أدب وكياسة<sup>4</sup> وظرف<sup>5</sup>.  
وما دام نه هذا الذكر الجميل البعيد فأخرى<sup>6</sup> بنا أن نقول إنّ القبر لم يظفر منه إلا باللحم والدمّ أمّا  
تلك الشخصية البارزة فلا تزال صورتها الحسناء فوق الثّراب.  
إنّ الأعمال الطيّبة لا تُلَفُّ بالأكفان ولا يطمّرها اللّحد.  
إنّها كالنور والنور لا يلى.

السّمعير: 14 / 9 / 1940

## إلى مونتريال

إلى البلد الأمين  
إلى كرام يراعون المودّة والجوار:  
إلى المزدادٍ وذهم لَدِينَا إذا زدنا صفاتِهِمُ اختِبارا

- 
- 1 عِصامي: من سادَ بِشَرَفٍ نَفْسِهِ.
  - 2 المِغْوَار: من الرّجال المقاتل الشّجاع المِقدام الذي لا يخاف الموت في الحرب.
  - 3 قاطبة: يقال جاء القوم قاطبة أي جميعاً.
  - 4 الكياسة: الكَيْسُ ضِدُّ الحُمْق والرّجُلُ كَيْسٌ مُكَيِّسٌ أي ظريف.
  - 5 الظّرف: ظَرْفٌ فلانٌ ظَرْفًا وظرافةٌ كان كَيْسًا حاذِقًا فهو ظريف وهي ظريفة.
  - 6 فأخرى: الأخرى الأفضل والأجدر.

بينما القراء يطالعون هذه الكلمة في «السَّمير» يكون صاحب «السَّمير» في الطريق إلى مدينة مونتريال يطالع الكتاب الأكبر. كتاب الطبيعة المبدعة التي لا تحجب روائعها وآياتها عن أحد. ولا تُدينها لأحد لِتُخَصِّلَ منه على كلمة استحسان كما يفعل الإنسان.

هناك «حقول» أوسع مِنْ حقول الجريدة و«كلمات» مُحَرَّكة مختلفة الأصباغ والهيئات هي الأشجار والأغراس والأعشاب.

هناك «أنهر» حافلة بالأحاديث المدهشة والأساطير الغريبة والقصائد الرائعة الخالدة التي تتجدد روعتها ولا تبوخ جدتها<sup>1</sup>. ولا يخفُّ تأثير سحرها.

سنخرج مِنْ نيويورك التي اشتهرت بضخامتها وزحامها وثروتها إلى مونتريال التي اشتهرت بأريجيتها ومروءتها.

سنفارق أصحاباً لِنَلْقِي أصحاباً ونودّعُ إخواناً لِنَسْتَقْبِلَ إخواناً.

وإذا كنّا سننعمُ بجمال الطبيعة في الطريق فإنّنا سننعمُ بجمال الناس في تلك المدينة.

سنذهبُ تلبيةً لدعوة القومسيون المِلِّيِّ الكريم لكنيسة القديس جاورجيوس الأرثوذكسيّة في مدينة الجبل الملوكي. ولكي نشارك أبناء الطائفة العزيزة في إحتفالهم بتدشين الكنيسة الجديدة التي أنفقوا عليها حوالي 75 ألف دولار.

سنكون هناك باسم «السَّمير» وقرائها. ولتمثيل عمدة الكاندرائية في بروكلن.

سنحملُ إلى مونتريال عواطف الجالية هنا وإعجاب الجميع بالهمم البانية والعزائم المشيدة. والقلوب الكبيرة.

كما إنّنا سنحملُ إلى الأصدقاء نحايا الأصدقاء.

وستواصلُ «السَّمير» مِنْ مونتريال بوصف ما نرى ونسمع في مدينة القباب والصُّلْبَان.

السَّمير: 26/9/1940

## المرأة والثرثرة

لا أعرفُ شيئاً يَشِينُ المرأة كالثرثرة. قد تكون حسناء الوجه رشيقة الهندام<sup>2</sup> يقعُ النَّظرُ عليها محتشماً ويرتدُّ عنها منهياً فإذا إندفعتُ تتكلَّمُ أحسنَّ السَّامعِ كأنَّ يداً غير منظورة تمتدُّ إلى تلك الملاحاة في الوجه فتعبتُ بها وتشوشُ نظامها. وإلى الكياسة والرَّشاقة في ذلك الهندام فتبعثرها في كُلِّ ناحية كأوراق

1 الجِدَّةُ جدُّ الشيء جِدَّةٌ حدث بعد أن لم يكن فهو جديد.

2 الهندام: وشيء مهنَّد مُصنَّح على مقدار وله هندام معرَّب أُنْدَام.

الخريف في ربح صرصر<sup>1</sup> عاتية.

ويكون في نفس السّامع شيءٌ من روعة الجمال فلا تلبث أن تتلاشى وتضمحل وتحلّ مكانها وحشة كالتي يشعر بها المسافر في أرض جرداء خاوية مقفرة. ثمّ تنقلب هذه الوحشة إلى ضَجَر. والضَجَر إلى إستهجان. والإستهجان إلى اشمئزاز. حتى يتمنى السّامع لو لم تكن له أذنان لعلّه يستريح من شقشقة ذلك اللسان الذي لا يتعب من الدوران كأنه مُركَّب فوق لوالب.

من ميزات المرأة الثرثرة أنّها كثيرة الشكوى من الحاضر. كثيرة التلهّف على الماضي. كثيرة الخوف من المستقبل. لا ترى في حاضرها إلّا ما يسوء. ولا في الماضي إلّا ما يبهج الأسى والشجن ولا في المستقبل إلّا ما يدعُو إلى الحذر والحسبان<sup>2</sup>.

ومن علاماتها أنّها دائمة التذمّر من الجيران والأنساء والأصدقاء. شديدة التآفّف من شؤون المنزل وأعباء العائلة وقد لا يكون في المنزل عبءٌ سواها.

وهي كثيرة التّرديد لما تسمع من صادق الأحاديث وكاذبها تكرّرها على كونها محض أحاديث. وسيّان<sup>3</sup> عندها كذبت أم صدقت وساءت السّامع أم سرّته. فهي إنّما تتكلّم لأنّها لا تقدر إلّا أن تتكلّم. أمّا هل يفيد كلامها معنى أم لا يفيد فذلك أمرٌ لا يخطر لها أن تفكر به.

حسبك<sup>4</sup> أن تطارحها التحيّة أو توجّه إليها سؤالاً عادياً مألوفاً كأن تقول لها: كيف صحّتك؟ أو كيف زوجك وأولادك؟ فتمضي تحدّثك بما إنّفق لها في يومها وما حدث من الشؤون في أمسيها. وما كان يمكن أن يقع في الليل لو لم تكن النوافذ مقفلة. أو في الصباح لو لم تكن النوافذ مفتوحة. أو في النّهار لو لم تكن هي في المنزل. وتنتقل إلى الكلام على أولادها وما فعلوا من الأمور المدهشة التي يعجز عنها الرّجال الأساطين وإلى أولاد الجيران وكيف يجب أن يكونوا. وكيف كان يمكن أن يكونوا لو أحسن آباؤهم وأمهاتهم تربيتهم ولكنهم تاركون لهم الحبل على الغارب<sup>5</sup> فهم يلعبون في الشوارع وعلى الأرصفة وتتعالى أصواتهم حول البيوت. أمّا أولادها فقد خلقهم الله لهم أفواه تزدرد الطّعام فقط أمّا الكلام فلم تخلق أفواههم له!

وتصل الحديث عن أولاد الجيران بالحديث عن الجيران أنفسهم فتشرح لك شرحاً مسهباً<sup>6</sup> مفصلاً

1 ربح صرصر: صرصر صاح بصوت شديد متقطع. يقال: صرصر فلان وصرصر البازي.

2 الحسبان: حَسِب الشيء حِسباناً ظنّه.

3 سيّان السيّان المثلان والواحد سيّ.

4 حَسْبُكَ: حَسِب اسم بمعنى كافٍ يقال: مررت برجل حَسْبُكَ من رَجُل: كافيك.

5 الحَبْل على الغارب: الغارب الكاهل ويقال للإنسان: حَبْلَكَ على غاربك إذهب حيث شئت.

6 أسهب أكثر من الكلام وأطال.

ما صنع كل واحد منهم في كل ساعة من ساعات النهار وتنسى أنها أخبرتك في أول الحديث بأن شؤون البيت تستغرق كل دقيقة من وقتها بحيث تنسى في بعض الأحيان أن تأكل في موعد الأكل.. إنها تنسى نفسها أمّا الجيران فلا تنساها.

وتظل هي تتكلم ما دمت أنت مُصغياً. وليس في وسعك إلا أن تصغي إذ ليس من حسن الأدب أن تسد أذنيك بإصبعيك. ولا أن تعرض عنها بوجهك. ولا أن تعتذر بأنك لا تبالي بما ترويه لك وتقصه عليك. وعبثاً<sup>1</sup> تحاول أن تصرفها عمّا هي فيه إلى موضوع آخر. فكل المواضيع عندها تتلاقى أخيراً في الموضوع الذي يلذ لها الكلام فيه.

وقد يكون لك في النوم نجاة من تلك الأحاديث التي اختلط فيها الحابل بالنابل<sup>2</sup> ولكن كيف ينأى المرء في العاصفة!

المرأة الثرثارة آفة كل مجلس لأنها تُفسد على القوم مجرى أحاديثهم بما تحاول هي أن تتحدث به. وهي كابوس<sup>3</sup> على زوجها لأنها لا تكثر لما يجول في نفسه من الأفكار المتعلقة بشغله أو تجارته بل كل الذي يهتمها هو أن يسير معها في دنيا الأحاديث والنائم<sup>4</sup>. وأن يصغي إليها كما يصغي إلى نبي يتكلم!

وبعض النساء الثرثرات لا شر في ثرثرتهن لأن قصدهن من وراء ثرثرتهن قصد غير سيء وإنما هي عادة تملكتهن فصار من الصعب استئصالها. إنما هناك نساء ما تكلمن إلا خيلاً إليك أن هناك حيئات هائجة تنفث الشم نفثاً. فهن لا يلقين حكمة إلا أرسلن معها سهماً. ولا حكين عبارة إلا انطوت على تعريض أو تنكيث أو تنديد أو شماتة نقلن معه بذور الفتن والقلاقل والشاغب بين الصّحب والجيران والأصدقاء.

إن هذا الصنف من النساء كالديناميت ولكنه ينفجر من تلقاء ذاته. وكالشم إلا أنه سُمٌ يدري ما يصنع. وكالنار إلا أنها نار تضطرم على إرادة منها ورغبة.

هذه هي المرأة الهادمة التي تنبت الفتن تحت قدميها أينما مشّت. وتتطاير من فمها النائم والسعايات تطاير الحِمَم من فوهة بركان ثائر..

هذه هي المرأة التي إذا أصابت آمناً فعلت به ما تفعل الأفعى. ومن حسن حظ المجتمع الإنساني أنها اليوم كالأفعى لا وجود لها إلا في الأماكن التي تشبه

1 العبث العمل لا حكمة فيه ولا فائدة.

2 الحابل الصائد بالحيلة ويقال: اختلط الحابل بالنابل: اضطربت الأمور. والنابل: النبل السهام العربية وهي مؤنثة ولا واحد لها من لفظها وقد جمعوها على نبال فأنبال والنابل الذي يعمل النبل.

3 الكابوس: ما يقع على الإنسان بالليل ويقال هو مقدمة الصرع.

4 النائمة: نَمَ الحديث أي قَتَهُ. والرّجل نَمَ وتَمَّ أي قَتَّ. والقَت نَمَ الحديث.

قلت إن الثرثرة عيب كبير في المرأة وأزيد على ذلك أنَّها في الرجل عيب أكبر. وهي في الإثنين تنشأ في الغالب عن جهل صاحبها بالشؤون التي لا مساس لها بشؤونه الخاصة ورضاه واقتناعه بما يتردد حوله من الأصوات والأحاديث والشُّقشقات فهو لا يقرأ الكتب ولا يختلف إلى مسارح التمثيل. ولا يطالع ما تفيض به العقول المفكّرة ولا يحاول أن يخرج من دنياه الصغيرة الضيقة أو يوسّع تخومها ولذلك فهو يقطع الحياة وهو يفكر على نسق لا يتبدّل ويتكلّم على وتيرة واحدة لا تتغيّر. حتى ليستوي والضفدع من هذه الناحية. فلا جديد عندها وليس عنده جديد!

السّمر: 5/10/1940

## الأدباء الساكتون

بيننا عدد من الأدباء إنقطعوا عن العالم ولم ينقطعوا فهم معنا وبيننا وكأنهم أولئك المنفيون في مجاهل سييريا أو جزيرة الشيطان. في حين أن الحياة لا تزال كما عرفوها لا غنى لها عن أولئك الذين يعكفون على تصوير حقائقها وأوهامها وأفراحها وأتراحها وما فيها من جمال متلائم وغير متلائم. وما تزخر به من طمع وقناعة. وغواية ورشد. وكبرياء وتواضع. وخوف وطمأنينة. وشوق إلى ما لم يوجد وأسف على ما ضاع.

فهؤلاء الأدباء آثروا الصمت على الكلام. فما يحرك أحدهم قلماً ولا لساناً إلا ليعتذر بأنّه مغلوب على أمره. وأنّه في دنياه كالغريق يعلو ويسفل مع الأمواج التي تعلو حوله وتسفل. أو أنّه لا يرى لقول فائدة إذ ليس هناك آذان تستمع ولا قلوب تعي أو أنّه ساكت يتبصّر ويعلل نفسه بالوصول إلى يوم أغر<sup>1</sup> مُحجّل<sup>2</sup> كيوم النّور لا يتقيّد فيه بتجارة ولا صناعة. ولا يسيطر على نفسه أحد غير نفسه. وعندئذ يطلع من كمينه وينشط من عقاليه وينطلق يكتب ويخطب وينظم وينثر.

هكذا تمرّ الأيام راکضة مهرولة في أثر الأيام. وتتهاوى الشهور كأوراق الخريف صفراء ذاوية. وذلك اليوم الأغر<sup>3</sup> المُحجّل الذي يعلل به الأدباء الساكتون أنفسهم لم يبرح بعيداً قصياً كأنّها هو وراء نهر المجرة<sup>3</sup>. وتلك الأماني التي تختلج في الصدور لم تنفك محجوبة خفية كميّاه تجري في جوف الأرض

1 الأغر: ذو الغرة يقال: يوم أغر ليلة غراء ج غرّ.

2 والمحجّل: التحجيل بياض في قوائم الفرس أو بعضها بعضه لا يجاوز الركبتين والعُرْقُوبَيْن. ويقال أمرأ غرّ مُحجّل: مشهور.

3 المجرة: مجموعة كبيرة من النجوم تركّزت حتى تراءت من الأرض كوشاح أبيض يعترض في السماء.

لا تقع عليها عين ولا يبلغ صوتها إلى أُذُن.

يمكننا أن نقول أن هؤلاء الأدباء فريقان. فريق مضى زمانه وطأه أو أدّى رسالته في حينها ولم يبق لديه ما يقوله لهذا الزمان. وبعبارة أخرى قد أفرغ جرابه وصفر وطأه<sup>1</sup> فهو معتصم بالشكوت. والشكوت في بعض الأحيان يكون من ذهب وفضل من يصمت وقت الصمت كفضل الذي يتكلم وقت الكلام. وما انفضح أحد بكلمة يضرها وإنما تفضحه كلمة يظهرها.

وفريق آخر لم ينفق كل ما عنده ولا أحسنه وأجمله. ولكنه يعتقد خطأ أن مجال القول غير ذي سعة<sup>2</sup>. فهو يذخر ما بقي له إلى يوم يقرأ الناس سطورَه فيسكرون منها العبير. ويستمعون إلى حديثه فيطربون لما فيه من شدة وخرير. فليس النور نوراً إلا عند البصير وليس الصوت صوتاً إلا عند السميع.

وعندنا أن هؤلاء الأدباء وهمون في نظريتهم وعلى خطأ في اعتقادهم. فإن الفكرة الطيبة تخلق مجالها إن لم يكن في المحيط الذي ظهرت فيه ففي سواه وإن لم يكن اليوم فغداً. وكثيرون من رجال الأدب كتبوا أحسن قصائدهم وقصصهم ورسائلهم وهم إما في المنافي أو السجون. أو في حالات هي أشدّ ضنكاً من المنافي والسجون. فهل انطوت آثارهم يوم انطوا. وهل توارت مع زمانهم الذي توارى؟ كلا. لم يحدث من هذا شيء بل بقيت وزادت مع الأيام جمالا وانتشاراً ولولاها لما عرف الناس في عصرنا صورة ذلك العصر.

فأنت ترى أن الفكرة الصحيحة إذا ظهرت ظلت تعمل عملها حتى في الأيام المظلمة إلى أن يكمل تكوينها وتبرز إلى مسرح العيان<sup>3</sup>. فلا السجن يضيها ولا القيد يؤذيها ولا جهل المحيط يطمسها أو يخفيها. ولا شيء يُفنيها. وإنما يقتلها أمر واحد وهو أن يظن بها صاحبها فلا يبيدها! وإنما يمحوها أن لا تقال ولا تدون...

إذن فهؤلاء الأدباء الساكتون كأهل الكهف في حين أن نار الرغبة في الأدب تعتلج في صدورهم فيطمرونها بأيديهم خشية أن يراها أو لا يراها أحد. إن هؤلاء سيصلون إلى اليوم الذي يحلمون به ولكنهم سيصلون. وقد خارت منهم القوى وضاع من رغائبهم أكثرها. فإذا رجعوا إلى تلك النار الكامنة في صدورهم لم يجدوا لها آثاراً فيحاولون إضرارها من جديد فإذا هي رماد. كلما نفخوا فيه تطاير فكان على ثيابهم غباراً. وفي عيونهم قذى<sup>4</sup>. فيندمون ولات حين مندم.

1 صفر وطأه: صار خلاء. والوطأ سقاء اللبن وهو جلد الجذع فما فوقه ج أوطأ ووطأ.

2 وسعته الشيء بالكسر يستعته سعة بالفتح.

3 العيان: عاينه معاينة وعيانا رآه بعينه.

4 القذى: القذاة ما يقع في العين والشراب ووكل إلى التراب المدق ج أقذأ وقذّي.



أيُّ ماءٍ ركّدت ولم يأسن<sup>١</sup> ؟  
وأيُّ زهرةٍ انزوت عن الثور والهواء ولم يصبح الظلام لها كفنا ؟  
وأيُّ سيفٍ طال عليه الثواء في القراب ولم يأكله الصّدأ ؟  
وقديما قالت العرب «آفة العلم التّرك» كما قال أحد شعرائها في الجاهليّة :

ومن يك ذا علم فيبخل بعلمه على قوميه يُستغن عنه ويذمم  
ولا عذر للأديب في ضئه وبخله فإنّا نرى الجدول يجري مترنّما شادياً بين الأشواك وفوق الصّخور .  
ونرى الوردة تعبّق وتفوح في يد الملك ويد اللص على السّواء .  
أمّا إذا قالوا إنهم يمدّون أبصارهم فلا يجدون حولهم إلاّ أناساً منصرفين عن كلّ شيء اسمه أدب  
إلى الركض وراء الدولار العتيار . فهذا الكلام حجة عليهم لا هم ؛ لأنّ الذي لا يراقب النّاس لا يراهم  
مقبليين ولا مُدبرين .

فيا أيها الأديب الصّامت ! إذا كانت تتلجّج في صدرك أنشودة ضاحكة كأنّ ربّيع أو باكيّة كأنّ شتاء .  
فلا تحبسها . فلا تغالبها . إلّا في وقتها . إذا ضاع ضاعت . وإذا ضاعت عزّ ردها . ولذّتك في إرسالها من  
بين ضلوعك . فليس لك أن تسأل استقرارها بين ضلوعهم . ولا أن تسأل أين تقع ولا كيف تقع . وإنّما  
عليك أن تطلقها ولو لم يكن حولك أحد . فحياتها أن تنتشر لا أن تستتر هذا إذا كانت خليقة بأنّ نحيا  
وتبقى .

أمّا إذا لم يكن لديك شيء . فاعلم أنّ الكلام غير موجّه إليك ...

السّمير : 15 / 10 / 1940

## البحيرة والجبل

لعلّ أبرز سيمّة تمتاز بها كندا بعد سهولها المترامية هي بحيراتها وجبالها . فحيثما يرتفع جبل فهناك  
بحيرة نائمة في سفحه .

وما أجمل أن يلتقي جِرم<sup>2</sup> كبير من الماء يتلوى ويتملّل بجانب جِرم كبير من الصّخر ثابت لا  
يتحرّك . وكلاهما مغمور بالسّكينة .

مررتنا في طريقنا إلى مونتريال بالبحيرات المشهورة التي يرتادها طلاب الرّاحة ومتجعّو العافية في

1 والتاء في لات حين مناصب زائدة كما في ثُمّت أو شَبَّهوها بليس فأضمر فيها اسم الفاعل ولا تكون لات إلا مع حين  
وقد تُحذف .

2 الجِرم : الجِرم الجِسَد .

أيام الصيف. فإذا هي ما برحت توزعُ الجمال والسحر وإن لم يكن على شواطئها غير بيوت مهجورة. وليس حولها إلا الشجر الشاحب الكئيب الذي تحتضر أوراقه وتتمشى اليبوسة في أغصانه.

دَخَلْنَا مونتريال فإذا نحن في مدينة قائمة في ظل جبل والماء يحيط بها من كل جانب. وقد أتينا على وصفها في مقال سابق ذكرنا فيه بعض المعلومات عن سكّانها ومعاهدها وكنائسها وجسورها وبحسبنا الآن أن نتكلّم عن الجالية السوريّة اللبنانيّة فيها فإنّها جالية نشيطة عاملة بارزة لها مكانة ما رأيتُ مثلها في أي بلد آخر لجالية في مثل عددها. ولا في أكثر منها عدداً. فمعظم أفرادها إمّا تجار. وإمّا أصحاب معامل وإمّا باعة. وهم يزاولون جميع أنواع التجارة من حلي<sup>1</sup> إلى الملابس إلى الأقوات وإنّما أكثرهم يزاول بيع الأقمشة والملابس المختلفة.

ولا يزال شارع نوتردام الذي نشأت فيه التجارة السوريّة محتفظاً بمكانته فهو على العكس من شارع واشنطن في نيويورك الذي إنتقلت منه التجارة السوريّة إلى الأفنيو الخامس.

ومثلما إنتقل السوريّون بيوتهم من شارع واشنطن إلى سوٲ بروكلن وباي رديج إنتقل السوريون في مونتريال بيوتهم إلى أعلى المدينة وإلى اوترمونت وهي جميلة جداً، تبعد عن مونتريال بضعة أميال وفيها للسوريّين منازل كالقصور. مبنية على أحدث طراز. ولا تزال المنازل في قلب مونتريال على حالتها الأولى ولا سيّما في السلام الخارجيّة التي يتعجّب الغريب من وجودها في مدينة كمونتريال التي يشتد فيها الصقيع في أيام الشتاء وتكثر الثلوج. وتتعجّب كثيراً عندما تعلم أنّ المدينة غير ضيّقة المساحة ليلجأ القوم بسبب ضيقها إلى الإقتصاد في الأرض على هذه الصورة. أي بناء الأدراج خارج المنزل لا في داخله. غير أنّ المباني الحديثة لا سلام فيها من الخارج بل هي على الطراز الأميركي ومنها ما هو أجمل.

ولا يزال فيها للتّرام المكان المتقدّم في النقل. وقد تغصّ مركباته في الصّباح والمساء عند خروج الناس إلى أشغالهم وعودتهم إلى بيوتهم كما تغصّ مركبات الصبواي في نيويورك.

ويشتدّ زحام المارّة في المنطقة التي فيها المخازن التجارية الكبرى مثل مخزن ايتون ومخزن مورغن بحيث يصعب على صاحب السيارة أن يجد مريضاً لسيارته إلا إذا ابتعد كثيراً ورجع إلى حيث يقصد مشياً.

ولا يحتاج المرء الذي يطلب النزهة إلى الابتعاد عن مونتريال ففي ضواحيها أماكن جميلة ولا سيّما الأماكن العالية التي يشرف منها المرء على المدينة كلّها.

وقد ذهب بنا الصّدّيق جورج زغيب وقرينته السيدة المهذّبة لي إلى معبد ماريوسف الذي تتوج قبة الجبل ويبدو كأنّه حصن قديم. أو قصر سلطان من سلاطين الفرس أو الهند. فرأينا الناس هناك

1 الحلي ما يترزّن به من مصوغ المعديّات أو الحجارة الكريمة ج حليّ.

يصعدون إليه زرافات زرافات<sup>1</sup> ويدخلون إليه وهم يخشعون وبعضهم يصعدون على الدرج وهم ركوع إجلالاً وإكباراً.

وإن الصعود في ذلك الدرج العالي الطويل الممتد من سفح الجبل إلى أعلاه ليضنك الفتى الغريز<sup>2</sup> ولكن القوم يصعدون فيه أشيوخاً كانوا أم عجائز وهم يشعرون بالتعب فكأن الشوق فيهم إلى رؤية الهيكل يكسبهم قوة ونشاطاً.

أنشأ هذا المعبد راهب اسمه أندريا. إتخذ في أول أمره صومعة في الجبل ثم اشتهر أمره وذاع صيته فتهافت المؤمنون على صومعته وكثرت التذوُّر والهيَّات فأنشأ هذا المعبد الذي أصبح مزاراً يؤمُّه النَّاس من كل ناحية. وحيثما وقفت في مونتريال والتفت إلى الجبل رأيت ذلك المعبد الفخم.

السَّمير: 1940/10/23

## حديث معها

أيتها الرفيقة العزيزة الغالية.

ها قد انقضت سنة أخرى ونحن نسيرُ معاً في موكب الحياة نقتلعُ الأشواك التي أمامنا وننشر الرياحين وراءنا للذين يأتون بعدنا لعلَّهم يرون الدنيا جميلة. ولعلَّهم يفعلون في سبيل غيرنا كما فعلنا نحن من أجلهم.

عندما لقيتك وتعارفنا وتصاحبتنا كانت الدنيا شبه متزلزلة ممَّا أصابها من الأزمات والناس فوقها كالسَّكاري لما بوغثوا به من النكبات والضربات.

لقيتك أيام كانت الثروات المدخرة تذوب وتتلاشى كلمح البصر. والأملاك العقارية تسقط قيمتها وتبور تجارتها وهي لم تنزعزع. ولم تهتدم ولم يسقط من جدرانها حجر ولا من دهانها قشرة. لقيتك أيتها الرفيقة الغالية والحقائق الواضحة تتحوَّل إلى أخيلة وأشباح. والوقائع المرئية الملموسة تنقلبُ إلى حكايات وأساطير!

وكان بي مثلماً بالناس من وجل وإشفاق وشك في المستقبل.

فلمَّا رأيْتُكَ تحوَّل الخوف والإشفاق إلى شجاعة وإقدام وانقلبَ الشك إلى إيمان ويقين.

وكان بي زهد في الحياة والناس.

فلمَّا أحببتُك وجدتُ أن حبيَّيَّاك لا يكون تاماً ولا جميلاً إلا إذا أحببتُ الحياة والناس من أجلك.

1 زرافات زرافات والزرافة كسحابة وقد تشدَّ فاؤها الجماعة من الناس أو العشرة منهم.

2 الغريز: الشاب لا تجربة له ج أغرّه وأغرّاء.

وكانت الطريق طويلة والسفر شاقاً عسيراً محمواً بالمكاره. وعلى جوانب الطريق أشرار يتربصون بكل مسافر.

فلما أحبتك يا رفيقتي صرتُ فيلسوفاً يقول: إنَّ الطريق غير الطويل لا يستأهل أن يجتازَه المرء وإنَّ السفر الذي لا مشقة فيه هو بالإقامة أشبه. وإذا كان في جوانب الطريق موضع للأشرار فلا بد أن يكون فيها موضع لأهل الخير.  
ومشيئاً معاً ولكن إلى أين؟

لم يكن لي قصرٌ أنيق يليق بك يا حوريتي. ولكنك كنت نبيلة متواضعة فرضيت بالكوخ الصغير لندي بنيته لك بساعدي. فأقمنا فيه فترة من الدهر هذين كانت طائران في عش آمن.  
وكنت وأنت حورية في عش تضحكين كأنك في الفردوس.  
وكنت أن لأنك معي ولي أحسب أنني ساكن في قصرٍ من ذهب الشمس فأنشد وأغني.  
وكان الناس يرون ابتساماتك ويسمعون أناشيد فيسرون كأنهم وهمومهم ويطربون.  
ونشعر نحن كلُّي طربوا أنت قد قمت بالمهمة الموكونة إلي فتزداد مسرة وطرباً وندفع في التغريد والإنشاد.

هكذا مرَّت الأيام وأنا وأنت لا نفترق.  
يطلع الصباح فإذا نحن معاً. وينسدل الظلام فيغمرنّا كلينا.  
كم عدلني العاذلون لهمامي بك ونصحوا بي أن أهجرَكَ فاستريح وأسعد. فكنتُ كلما قالوا:  
«ابتعد» أزداد منك اقتراباً.

ولكم حاول أهل الحسد أن يضعوا العثرات في طريقك وطريقي لعلك تعثرين أو أعثر فكنا نظيرُ  
فوق الحبال والأشراك ونجئ تاركين أهل الشر والغدر تتقطع أكبادهم من شدة القهر كأنهم وقعوا  
في أشراك لا تتقطع.

أبتها الرفيقة الغالية.  
بل أبتها المحبوبة الجميلة.  
كم من ليلة أحيتها ساهراً وحدي لا أفكر بأحد إلا أنت.  
وكم من نهار مشرق ضاحك خرج الناس فيه إلى الشواطئ والجبال ينتجعون الراحة والسرور  
وبقيت أنا في المدينة من أجلك.

وكم ذهبت في الأرض أحدثُ الناس عنك.  
وكم سررتُ أنت في جوانب الدنيا تحدثين الناس عني.  
وكان شعارنا كليتنا هو أن نحب الناس لكي يحق لنا أن نحصل على محبتهم.  
وأن نقول الحقيقة لكي يحق لنا أن نطلب منهم أن يصدقونا.

وأن نحسن القول والعمل ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً لعل غيرنا يقتدي بنا.  
وأن نبث روح المحبة والإخاء بين أبناء الوطن الواحد في غربتهم لأن الدنيا تتسع بالحب وتضيق  
بالبغضاء. ولأن البيت الذي تتناكر<sup>1</sup> حجارته يهدم ويتقوض إلى الحضيض ويصير كومة حجارة بعد  
أن كان بيتاً.

وأن نشاير على هذه الخطة المثلى ما دمنا في قيد الحياة كما يثابر الزارع على حرث أرضه وتنقيتها من  
الأشواك والعوسج.

واتقننا على أن لا نستغل جهل الجاهلين كما يفعل بعض الذين لا ضمائر لهم. بل نحاول أن نبذلهم  
من جهلهم علماً ومن غباوتهم معرفة ليصيروا أناساً مفيدين لأنفسهم ولخيرانهم وللبلاد. فإن من لا  
يفهم لا يقدر أن يكون مفيداً حتى لذاته وليس هو المسؤول عن وجوده في تلك الحالة من الغباوة  
والجهل. بل المجتمع هو المسؤول عنه.

ولقد كنت أيتها الرفيقة نعم الرسول الأمين في كل ما عهدت به إليك فكافأك الناس على صراحتك  
وأمانتك وشجاعتك بالحب وأحلوك عندهم مكاناً منيعاً.  
وها أنا وأنت بعد هذه السنوات نشعر لتعلق أحداً بالآخر كأننا لم نتلاق إلا أمس<sup>2</sup>. فما زلت جميلة  
في عيني. وحيية إلى نفسي. كما كنت منذ أول يوم ترافقنا.  
وما زلت أنا ذلك المحب الذي وقف حياته عليك.

السَّعِير: 2 / 11 / 1940

## في الطريق إلى مونتريال

ما خرجت من نيويورك مرة وأطللت على الفضاء الرّحب المترامي الذي يمتدُّ كلما امتدَّ النَّظَرُ إلا  
شعرتُ كأنَّ روحي كانت موثقة وسقطت عنها القيود والأغلال. أو أنَّها كانت في بحرٍ زاخر متلاطم  
وخرجت منه إلى الشط الهاديء الأمين.

ولست نيويورك خالية من المحاسن والمفاتن الطبيعية ففيها من هذه أشياء ليست في أي مكان آخر  
تحت الشمس ولكنها لشدة الرّحام فيها لا يصل إليها المرء حتى يكون الشوق إليها قد مات في نفسه.  
فهو إن لم يمر في نفق لا مؤنس فيه غير مصابيح الكهرباء التي تبدو كأنها شموع في ديرٍ موحش.  
فإنه لا بدَّ له أن يمر في شارع يشبه وادياً بين جبلين تركض فيه السيَّارات كأنها المغزى الشاردة!

1 وتناكر القوم تعادوا.

2 أمسٍ مثله الآخر مبنية اليوم الذي قبل يومك بليلة يبنى معرفة ويعرب معرفة فإذا دخلها آل فمعرب.

خرجتُ بنا السيارة من بروكلن في يوم صافي السماء معتدل الهواء. وكان يقودُ السيارة فتى في وجهه نضرة الربيع وفي ثغره ابتساماته وفي صوته تهليله هو الشاب الأديب إميل دواليبي فخرجنا على مدينة «تروي» حيث زرتنا جامعة رنسلير التي يتعلّم فيها الهندسة ثلاثة من شبّاننا هم نجل صاحب هذه الجريدة والفتى جورج عزّه وشاب آخر من أميركا الجنوبيّة من عائلة راباي الزحلّة.

ومنها ذهبنا إلى مدينة ألبي ومضينا فيها ليلة في منزل النسيب العزيز ملحم اسكندر بعد أن زرتنا الأصدقاء. وفي اليوم التالي مررتنا بمدينة سكتكدي وقمنا بواجب الزيارة للصديق القديم الياس دواليبي وتعرفنا إلى السيد خليل زغيب واسرته وانطلقنا منها نقصد مونتريال.

كنتُ أسمع الناس يصفون المشاهد الخلابة الساحرة التي يمرُّ بها المسافر في هذه الطريق. ولكنني عرفتُ أن الوصف مهما تناهى في الدقّة والبلاغة ليس كالعيان.

ما كنّا نخرج من روعة إلا إلى روعة. ولا نرفع الطرف عن مشهد فتان إلا ليقع على مشهد أكثر فتونا. فمن بحيرات مُضججة كالحوريّات تحرسها الجبال الخضراء. ومن أشجار اشتعلت رؤوسها فظهرت كأنها مخضبة بالأصباغ المختلفة وبعضها كأنه التقط دم الشفق:

أيلول يمشي في الوهاد وفي الرُّبى والأرض في أيلول أجمل منظرًا

لمست أصابعه السماء فوجهها ضاح، ومرّ على الثراب فتورا<sup>1</sup>

وقبل أن أترسل في وصف هذه المشاهد التي توقظ في نفس ابن المدينة حب الطبيعة وتطرد من قلبه وعقله هموم المدينة وأثقال الحياة فيها. أقول إننا لما وصلنا إلى غلنز فولز نيويورك عرجنا إلى دير الأرشمندريت الكسي حنا فلم نجد فيه صاحبه ولكننا وجدنا باب الدير مفتوحاً فدخلناه فإذا هناك مائدة عليها أكواب مصفوفة كأنها أعدت لضيوف سيأتون. ثم ما لبثنا أن دفعنا الفضول إلى حديقة الدير فرأينا أغراس البندورة مثقلة بالرؤوس التي تتدلى كأنها أنقال. كل رأس منها يملأ الكفين ويزيد على البونين.

وجاء صاحب الدير فإذا بالأكواب الفارغة تمتليء بالقهوة وشربتنا ثم ودّعناه وهو يزودنا بالأذعية والبركات.

ومررتنا بالمصايف الجميلة على البحيرات فإذا الفنادق مقفلة والسكنية ترفرف على البحيرات وهي مصايف لم يبق فيها إلا سكّانها الأصلاء الذين يتمتّعون في هذه الأيّام بسحر الطبيعة وجمالها وحدهم. ويشركون معهم في الصيف الزوار الأغنياء ولكن بعد أن يشركوا أنفسهم في جيوب هؤلاء! فكأنما هم الذين اخترعوا السماء والجبال والبحار وخلقوا الأشجار والأزهار وأوجدوا الألوان والزوائج واستنبطوا النّسبات وحفيفها والمياه وخريرها وتموّجها.

1 ضاح: مكان ضاح أي بارز.

إنَّهم يصنعون بأبناء المدن ما يصنع هؤلاء عندما يزورون نيويورك مثلاً. لا يصلُّون إلى الجبال إلَّا إذا فرَّشوا الطَّريق بالمال.

ولكُنَّا كُنَّا مسافرين لا مصطافين فلم تحجب الطَّبيعة عنَّا ذاتها ولم يحجبها عنَّا النَّاسُ.  
هو يوم ودَّتْ لو امتدَّ فصار شهراً وظلَّت الجبال والشواطئ تمرُّ بنا وهي في روعتها كما ودَّتْ لو كان رفاقي كلَّ الذين يحبُّون هذه المشاهد.

فهنالك تسابيح وتهليل ولا معابد ولا أديرة.  
وهناك أناشيد وألحان ساجرة ولا مغنٍ ولا عازف.  
وهناك صور ورسوم رائعة ولا رسَّام ولا مُصوِّر.  
وهناك معجزات وعجائب تُجترَح<sup>1</sup> ولا نبي ولا قدِّيس.  
وهناك قصائد مرقصة ولا شاعر.  
فما أصدق القول الأميركي المأثور:  
«إنَّ الإنسان صنع المدينة أمَّا البرِّيَّة فقد صنعها الله»  
وما يصنعه الله فوق ما يصنعه البشر فتبارك الخلاق المبدع.

السَّمير: 8/ 11/ 1940

## هل لك خصوم وأعداء

لو تعمَّق المرء ملياً<sup>2</sup> في استجلاء الأشياء وأسرارها لكان يشكرُ عدوَّه كما يشكرُ صديقه. فإنَّ للعدوِّ حسناتٍ لا تَقِلُّ في قيمتها عن حسنات الصَّدِّيق. بل كثيراً ما كان للعدوِّ فضلٌ لا يمكنُ أن يجيَّء من أوفى الأصدقاء.

فلا يفتُ في عَضْدِكَ<sup>3</sup> أنَّ لك خصوماً بل اشكرُ الله لأنَّك رجلٌ له أعداء ولأنَّ الذي لا أعداء له هو أحدُ اثنين: إمَّا إنسانٌ قد مات وإمَّا إنسانٌ لم يولد!

الجوعُ من ألدِّ الأعداء ولكن كم لهذا الجوع من يدٍ بيضاء على الإنسان وعلى العُمُران.  
لو لم يشعر به الإنسان لما راح يضربُ في الأرض باحثاً عن القوتِ في الحقلِ والغابة والوادي والنهر والبحر.

1 تجترح: اجترح السيئة اقترفها.

2 ملياً: الملبى الساعة الطويلة من النهار.

3 يفت في عَضْدِكَ: العَضْدُ ما بين المرفق والكتف والعَضْدُ المعين ويقال فَت في عَضْدِهِ أضعف قُوَّته وفَرَّقَه عن أعوانه. وشَدَّ عَضْدَهُ قُوَّاه.

ولولاه لما تعلّم كيف يزرع الحِنْطَةُ<sup>١</sup> ويطحنها ويخبزها.  
ولولاه لما تعلّم كيف يخزّن في الصَّيْف مؤونة تكفيه كلَّ أَيَّامِ الشَّتَاءِ.  
إنَّنا نذمُّ الجوع ولكنَّا نتقيّه لبَّلاً يفتَرسنا. وهكذا يجب أن يكون موقفنا من كلِّ عدوٍّ سواء كان  
إنساناً أو حيواناً أو حشرة أو جرثومة أو فيضاناً أو قحطاً أو مرضاً.  
ولا نغايي إذا قلنا إنَّ الحروب أحياناً لا بدُّ منها فالأمة التي لا تخشى عدواً ولا تتقي خصماً تستسلم  
إلى المَلذَّات وتسترسل مع الشَّهوات فيدبُّ فيها الوهنُ<sup>٢</sup> ويستولي عليها الجمود وتصبح كالهيكَل  
الأجوف مظاهر جميلة خلابة أمّا داخله فظلامٌ وعفونةٌ ودودٌ كدود القبور.  
إنَّ الصَّدِيق لا يفشُّ عن عيوب صديقه أمّا العدو فيفعل.  
وخوفُ المرء من عدوِّه هو الذي يحمله على إصلاح عيوبه وستر نقائصه. فالعدو إذن نعمةٌ مستترةٌ  
في نِعمَةٍ<sup>٣</sup>. وخيرٌ كامنٌ في شرٍّ. وبركةٌ تسوقها الحياة إلى الإنسان في شكل آفة..  
إنَّ الحياة مع العدو مثل التصعيد في الجبل. فيه مشقة. ولكن فيه للجسم ترويض.  
أمّا الحياة مع الصَّدِيق فتشبه النزول في منحدر لا مشقة فيه ولكنه كثيراً ما رافقه الزَّلَل وصاحبته  
العثرات.

السَّمير: 10/12/1940

## من أنا

أنا. مَنْ أنا؟ يا تُرى في الوجود	وما هو شأني؟ وما موضعي؟
أنا قطرةٌ لمعت في الضُّحَى	قليلاً على ضفّة المَشْرِع <sup>٤</sup>
سيأتي عليها المساء فتغدو	كأن لم تَرْتَرَقْ ولم تَلْمَعْ <sup>٥</sup>
أنا نعمةٌ وقَّعتها الحياةُ	لمن قد يعي ولمن لا يعي
سيمشي عليها الشُّكُونُ فتُمشي	كأن لم ترَدِّدْ على مَسْمَعٍ <sup>٦</sup>
أنا موجة دفعتها الحياةُ	إلى أوسَعِ فإلى أوسَعِ

١ الحِنْطَةُ القمح.

٢ الوهنُ الضَّعْف.

٣ وانتقم الله منه عاقبه والاسم منه النِّعمَةُ والجمع نِعمَات ونِعمٌ وإن شئت قلت نِعمَةٌ.

٤ المَشْرِع: الشَّريعة مشرعة الماء وهي مورد الشَّارِبَة.

٥ تَرْتَرَقُ أصل الفعل تَرْتَرَقُ والتاء في أوَّلِهِ تسمى تاء المطاوعة أو الزائدة ويجوز حذفها من أوَّلِ الفعل المضارع.

٦ ترَدَّدُ أصل الفعل ترَدَّدُ.



ستنحلُّ في الشطَّ عمَّا قليلٍ      كأن لم تدفع ولم تدفع<sup>1</sup>

أجل<sup>2</sup>. هذا هو الكائن الذي أشعر أنه أنا!

إنما الإنسان إذا أحبَّ رأى في القطرة الصغيرة الزائلة نهرًا من كوثر<sup>3</sup> لا ينضب. وسجد للنعمة تخرج من قيثارة أو ميزمار كأنها صوت وحي من السماء. ولاحت له الموجة كأنها بحر زاخر العباب. وهذا الإنسان المحب هو اليوم الذي ينتزعني من صومعتي الروحية الهادئة ويسير بي في موكب شاد هازج فيه نور وعبير.

تلك مشيئة أصدقائي وأبناء بلادي أنزل عليها لأن في طاعتهم غبطة لي. فأنا أكتب هذه الكلمة مستسلمًا لمشيئتهم شاكرًا عواطفهم النبيلة التي أبدوها، فلعل هذه القطرة التي هي «أنا» تصير غيثًا عميمًا ولعل الموجة تصير بحرًا عظيمًا.

السَّمير: 14/12/1940

## الحماسة المحضوة للتلمع

يعجبني كاتب في جريدة الورلد تلغراف اسمه ج. أوتس سويقت وهو الذي يختلف عن سائر الكتاب فينبأهم يطرُقون كل موضوع ويعالجون كل قضية تراه لا يطرُق غير باب الطبيعة ولا يعالج شيئًا غير وصف أحوالها ومشاهدها. فهو في الصيف مع الجداول المترنمة والأنهر المتهدية والأشجار الخضراء المترنحة والطيور النشوى والأصباح الضاحكة والليالي المقمرة. وهو في الشتاء مع الرياح المولولة والثلوج المتساقطة والغابات الموحشة. والأشجار المترنشة والحدائق الشاحبة والأنهر المتجمدة الصامته صمت القبور.

إنه لا يتعب من صُحبة الطبيعة لأنه كيفما ظهرت له رأى فيها شيئًا جديدًا وطريفًا في حين أن أكثر الناس لا يشعرون بحُب للطبيعة إلا عندما تكتسي المروج عشبًا والحدائق زهرًا والأشجار ورقًا وثمرًا.

هو في ولعه بالطبيعة في حُزنها وسرورها. وفقرها وغناها مثل الشاعر أبو نؤاس في ولعه بالخمَر. كلاهما وهب نفسه التي أحبَّ. وكلاهما استغرق في هوى محبوبته حتى صار لا يسترخ ولا يطرب إلا إذا نبض كل عرق في جسمه بهواها وأنفق كل لحظة من عمره على استجلاء روائعها ومحاسنها.

1 أصل الفعل تدافع. والتاء في أوله تسمى تاء المطاوعة أو الزائدة.

2 أجل حرف جواب. مثل نعم.

3 الكوثر: النهر أو نهر في الجنة.

وإنك لتجد مَنْ يمقت أبا نؤاس لتبذله وتهتكه في معاقرة بنت الكرم. ولكنك لن تجد أحداً يمقت كاتباً أو شاعراً حبس نفسه على وصف الطبيعة كهذا الكاتب الذي ينقلك من دُنيا الزحام والضوضاء إلى دُنيا السكينة والحرية والانطلاق. هذا إذا أنت رافقته ورأيت بعينه وأحسست بقلبه أمّا إذا لم ترافقه فإنك تظل بعيداً عنه وعن الطبيعة ولا يضيره هذا ولا يضيرها. وإنما أنت الذي تخسر لذة معنوية يجب أن تتمتع بها.

نعتقد أن الذين يقرأون فصول هذا الكتاب هم العدد الأقل بين الذين يطالعون الجرائد في الصباح والمساء بل نحن نعتقد أن السيدات يقرأن الإعلانات في الجرائد عشرين مرة قراءة دقيقة قبل أن يطالعن مقالة واحدة لهذا الكاتب. وأن الرجال يطالعون جداول البورصة وأخبار الحرب مئات المرات دون أن يخطر لهم أن يطالعوا هذا الكاتب مرة واحدة. وإن كانت مقالاته اليومية لا تستغرق من الوقت لحظات قصيرة.

لا أرمي من هذه الكلمة إلى إعلان الكاتب المذكور ولا الجريدة التي تنشر فصوله بل غايتنا الرئيسة هي تبيين الأفكار وتوجيه الأنظار إلى أن الإنسان لا يزال في حاجة قصوى إلى مصاحبة الطبيعة وإن كان قد بنى القصور الفخمة وزينها بالمصابيح المشعة والصور الفتانة واقتنى الراديو والتلفون والتلفجن فهذه كلها لا تخبر إلا عن الإنسان. وهو كائن عجيب حافل بالأسرار والغرائب والمدهشات ولكنه لا يغني عن الطبيعة وما في مسارجها من صور ومشاهد وآيات بديعة.

نظرة واحدة إلى النجوم في ليلة صافية الأديم أو نظرة إلى الأشجار متسرّلة بالثلج أو إلى بحيرة جمد ماؤها من البرد فصارت كالملك المسجون المحجوب.

نظرة واحدة مع قليل من التأمل والتفكير تملأ النفس غبطة أو خشوعاً أكثر من وجود المرء في مهرجان أو في هيكل من هياكل العبادة.

إن النفس لتصدأ من المكث<sup>1</sup> في المدينة كما يصدأ السيف. وتأسن كما يأسن الماء الزاكيد. فإذا أردت أن تجلو هذا السيف وترد إليه لمعانه وأن يبقى ماء الفكر فيك عذباً ندياً<sup>2</sup> فارجع إلى الطبيعة ورافقها قليلاً. أو رافق شاعراً أو كاتباً كان يعيش معها كل الوقت أو بعضه. إن الماسة المحجوبة في صندوق لا تشع ولا تلمع فلا تكن هذه الماسة!

السّمر: 19/12/1940

1 المكث: اللبث والانتظار

2 النّدي: الزّاكي من الماء.

## المطروحة من البيوت

رأيتها بالأمس مطروحة على رصيف الشارع يمرُّ الناس فلا يلتفتون إليها وإذا رأوها تنكبُّوها كأنها هي موبوء... وساروا غير مكثرين.

فحزنتُ لحالتها ولكنتي ما استطعتُ أن أفعل شيئاً غير الذي فعلوه فمررتُ بها ولم أقف عندها ولا اكرثت لمصيرها المحزن.

هي شجرة العيد. شجرة الميلاد الخضراء التي كانت منذ عشرة أيام تُنصبُ لها العروش وتعلقُ فيها الحلبي والأقراط وتضاء المصابيح ذات الألوان المختلفة. ويطوفُ بها الناس كباراً وصغاراً كالحجاج بالحجر الأسود.

وكانت وهي لا ثمر فيها أكرم من ألف شجرة فيها ثمر. وكانت وهي عود أخضر تحشع لمراها القلوب كأنها كل ورقة من أوراقها تسبيحة ملاك. وكل فرع من فروعها يد نبي كريم.

أما الآن. فهي مطروحة في الشارع مع نفايات البيوت. وقد نُرعت عنها الحلبي وجُرّدت من الأضواء. وفارقتها الكرامة. فالرجل الذي اشتراها يشيحُ بوجهه عنها كأنها وجه الجريمة الشنعاء. والمرأة التي زينتُها بالحلبي والشرائط تأبى أن تتعرفَ إليها كأنها الأذى في معرفتها. أمّا الولد الذي سهر شوقاً إليها قبل العيد وقضى الساعات سعيداً في ظلها فإنه الآن يلهو بها ويعبثُ وبعد أن يضجر يضرمُ فيها النار ويستدفيء بحرارتها!

إن هذه المطروحة من البيوت كالحيرة لم تدخل إلى البيوت دخول اللصوص ولا الفضوليين بل جيء بها من أعالي ولاية ماين ومن أقاصي كندا محمولة على الأكتاف. فأخذ الناس يتهافون على اقتنائها لأن العيد لا يكون عيداً إلا بوجودها!

ولا شك أن هذه الشجرة كانت تحدثُ نفسها وهي في الحلبي والأضواء أنها ما وصلت إلى تلك المنزلة العليا إلا لأنها أرقى وأجمل من الأشجار كلها. غير عالمة أن سعادتها الكبرى ليست في البيت الذي شاده الإنسان بل في وطنها الأول. في الغابة حيث كانت. وأن الإنسان لم يحملها من الغابة ليمجدها بل ليمجد نفسه. ولم يزيئها لأنها أحق بالزينة من أية شجرة بل ليرضي شهواته في قلبه وفكره.

كم في الناس من تشبه حياته حياة شجرة العيد يعصبُ رأسه بالتأج ليلة ويقضي الليالي بعد ذلك معصوب الرأس بالشوك أو بتراب المذلة والندامة.

إن الوطن الطبيعي للشجرة هو الغابة أو الحقل أو الأرض العراء. فإذا خرجت منه فإنها تخرج

لتموت موتاً غير طبيعي أو لتعيش عيشاً غير جميل.

كانت قبل العيد شجرة خضراء وصارت في ساعات العيد ملكة زهراء... أما الآن فهي حطبه يابسة لا تصلح حتى للوقود!

ليس ندياً إحصاء رسمي بالأشجار التي قطعت من الغابات لعيد الميلاد غير أننا نقول إن الأموال التي أنفقها الأمير كيون على شجرة العيد في هذه السنة تزيد عن مائة وخمسين مليون دولار على تقدير أن ثلاثين مليون عائلة أنفقت كلها منها على شجرتها خمسة دولارات فقط. فتأمل مقدار الضريبة التي يفرضها «سلطان العادة» على الناس كلما جاء عيد الميلاد.

ومِمَّا لا ريب فيه أن منظر الشجرة ليلة العيد تشعُّ منها الأنوار وتلمع فيها الحلوى جميل يبعث في النفس السرور.

ولكن مظهرها بعد العيد مطروحة في الأرقعة وعلى أرصفة الشوارع غير جميل.

السَّيَر: 1941 / 1 / 7

## عثرات الحياة

ما أعجب أطوار الحياة.

بل قل ما أعجب أطوار الإنسان فهو لا يدرك من أسرار الحياة شيئاً وتراه يتكلم عنها كأنه قد كشف كل سر فيها.

أنظر إليه يضحك ساخراً من رجل عثر في الشارع فسقط. إنه يضحك منه كأنها هو لا يعثر أو أن العثار أمر غريب خارج عن التواميس المألوفة.

وانظر إليه يتحدث عن رجل خسر ماله أو وقع في ورطة<sup>1</sup> فتراه يتجنى عليه ويندد به ويلومه ويفترض أنه كان في مكانه أن لا يخسر فلساً<sup>2</sup> وأن لا يقع في أي ورطة. ناسياً أن الأجيال مرّت تتلو الأجيال والناس منهم الخاسر والزَّابِح. والصَّاعد والنَّازل. وأن الحياة ما برحت بالناس أدواراً. فيوم عليهم ويوم لهم ويوم فيه الحزن ويوم فيه السرور.

إذا جاع إنسان فسرق رغيفاً. قال فلاسفة اللوم والتنديد يا ويح<sup>3</sup> كان الأولى به أن يسرق كترأ ما دام سيكون سارقاً!

1 الورطة: كل غامض والهلكة وكل أمر تعسر النجاة منه والوخل.

2 الفلّس: عملة يتعامل بها مضرورية من غير الذهب والفضة وكانت تقدّر بشدّس الدرهم.

3 ويحك: ويح لزيد ويح له كلمة رحمة ورفعته على الابتداء ونصبه بإضمار فعل ويح زيد ويح نصبهما به أيضاً.

ولكن حاجة الجائع ليست إلى كز بل إلى رغيف خبز يسدُّ رمقه<sup>1</sup>. فالرغيف عنده في تلك الساعة أعظم كثر في الأرض.

وإن اختلس رجل مالا كثيراً من سك يشتعل فيه أو بيت تجاري قالوا: تبتاً له<sup>2</sup> ما أحقه! ما حاجته للمال وهو مستخدم يقص مرتباً يكفيه. وقد يكون الأمر في الظاهر كما قالوا ولكن لماذا يعثر المرء البصير المدرك وهو سائر في الشارع؟  
أترأه اختار العثار<sup>3</sup>؟

مثلاً يدوس المرء قشرة مور فيزلق كذلك يتاح له في حياته الإجتماعية صديق أو عشير أو قرين يكون له كقشرة الموز المطروحة في الشارع يدوسها فيفقد توازنه فيسقط فيشج رأسه أو يكسر ساقه أو يهشم وجهه أو يموت لساعته!

ومثلاً تنهياً ظروف<sup>4</sup> لـ «رَيْد» من الناس فيغتنى أو يفلح أو يشتهر كذلك تنهياً أحياناً ظروف وأحوال لـ «عَمْرُو» فيفتقر وتوصد في وجهه سبل التحاح أو يسقط ويحمل ذكره بين الناس.  
ولكننا نحن نأخذ بظواهر الأمور فلا نبحث عن الأسباب بل نسرع إلى استنتاج الحاصلة فنصدر أحكاماً بموجبيها وكثيراً ما تكون جائرة قاسية.

ونحن بطبيعتنا نصد عن الشجرة الشافطة المتحطمة وإن كنا قصينا ساعات طويلة في ظلها وهي واقفة في الحقل كالجندي الأمين.

فيا أيها الذين يديون البشر لا تنسوا أنكم بشر مثل الدين تدبثونهم. وأنكم مثلهم تماماً معرضون للسقوط والعثار.

لا تلوثوا الذي يعثر إلا إذا كنتم أنتم لا تعثرون.

ولا تسخروا من الذين يمشون على أقدامهم إلا إذا كنتم أنتم لكم أجنيحة!!

السَّمِير: 1/23 / 1941

## المعرة والجيب

لما قالت العرب: المعدة بيت الداء، وضعت قاعدة أولية لطبابة الأجسام لا عيّد عنها لطبيب ولا لعليل يحتاج إلى طبيب. فكلما اختل النظام في هذه المملكة المحجوبة نشبت فيها ثورات هائلة ووقعت اضطرابات عنيفة حتى يجيء الطبيب الحاذق فيطرده منها السُّموم الفتاكة كما تطارده الحكومة المجرمين

1 الرُّمق بقية الحياة ج أرماق.

2 التَّب والتَّبب النَّفْس والحَسار وتَّباً له مبالغة.

3 العِثار الرُّل.

والمشاغبين فيرجع السّلام والنظام إلى هذا البيت.

ما قتل الإنسان شيء مثل معدته إلّا جيبه. فبينهما مشابّهة عظيمة في حالتَي الفراغ والإمتلاء.  
إذا كان الإنسان شرهاً يأكل ما يلائمه وما لا يلائمه وما يفيد وما لا يفيد فأنّه لا يلبث أن يمرض.

أمّا الجيب فإن امتلأ عند بعض الناس فإنّه يجلب إليهم المضرّة إذ يحولّهم من طباعهم المأنوسة إلى الخشونة والفظاعة فيصيرُون كالمُتخمينين الذين تسوء طباعهم لأنّ معدّاتهم مُثقلات!  
وكذلك إذا فرغت فإن كثيرين من أصحاب النفوس الرّضيّة والقلوب الطاهرة ينقلب فيهم الحياء عند فراغ جيوبهم إلى وقاحة وصفاقة<sup>1</sup> وتصير ألسنتهم كالبارد تنحت في أعراض الناس وسُمعاتهم<sup>2</sup>.

إذا كانت الأجسام تمرض من قلة الطعام أو كثرت فالأرواح يعنورها المرض من فراغ الجيب أحياناً. ومن إمتلائها أحياناً. ولا سيّما إذا كانت من الأرواح الضعيفة التي تحسب السعادة كلّها في امتلاء المعدة والجيب.

أي ليس لها في الحياة مطمع في غير الطعام الذي يملأ المعدة والدراهم التي تملأ الجيب.  
أمّا النفوس الكبيرة فإنّها لا تفقد شيئاً من قوّتها ولا معنويّاتها في أيّ الحالات. بل هي تلمع وتسطع في حالة الفقر والجوع كما يشتدّ تالئ النجوم كلّما اعتكر الليل واشتدّ حُلُكَة<sup>3</sup> وامتدّ سُرَادِقُه<sup>4</sup> وتناول.

يجب أن يكون للحياة معنى. أكثر من ملء المعدة وملء الجيب وأن يكون للإنسان غاية هي فوق سدّ هاتين الحاجتين. فإنّ الغاية السّامية هي التي تجعل الإنسان سامياً.

السّير: 4 / 2 / 1941

## الناقم على الرّنيا

أمررت أيّها القاريء أو لاقيت في طريق أو مجلس أو ناد أو مقهى رجلاً ناقماً على الناس حانقاً على الحياة معترضاً على الشّمس والقمر والنجوم شاكياً من كلّ شيء يراه وحالة يمرّ بها؟  
أرأيت هذا الإنسان؟

1 الصفاقة: صفق الوجه وقح فهو صفيق.

2 الشمنعة الصيت.

3 الحُلُكَة شدة السواد.

4 السُرَادِق: الفسّطاط يجتمع فيه الناس لعرس أو مأتم وغيرها.

أسمعته يتكلم؟

إذن فأعلم أنه رجلٌ شقي. وأنَّ شقاءه غير مسبَّب من الناس ولا من الحياة بل من عجزه عن تكييف نفسه مع المحيط الذي هو فيه. وعن تعليل الأمور تعليلًا حسنًا يرجع إليه بالطمأنينة والرَّضى.

أجل، إنَّ أكثر الناس تعرّضاً للألم والعذاب هم الذين يذهلون واحدهم عن البُستان كله عندما تعرّز في لحمة شوكية. وإن كان دخول الشوكية في جسمه يوقظ فيه الحواس والشعور فيعرف في أي مكان هو ويرى المشاهد التي كان غافلاً عنها.

إنَّ للحياة نواميس لا تحيد عنها مهما شكا المتذمرون وتفلسف المتشدقون. وأسعد الناس حالاً هم الذين يسرون مع هذه النواميس لا ضيدها ويعملون معها لا عليها.

وليس في الخضوع لهذه النواميس عارٌ على الإنسان كما أنه ليس في مطاوعتها ضرر بل الضرر والخطر كله في التمرد عليها والاستخفاف بها.

هذا مع النواميس الطبيعية الشاملة أمّا الناس فإن كنت أعلم وأقوى من الذين حولك فيجدر بك أن تقودهم إلى مروج المعرفة الأمانة إذا كانوا قد ضلُّوا الطريق إليها لا أن تنظر إليهم ازوراراً كأنهم مخلوقات مشوّهة لا غناء بها.

كما يجدر بك أن تحوّل ضعفهم إلى قوّة مثل قوّةك إذا كنت تكره أن ترى الضعف حولك. لا أن تتأبأهم وتتحاشاهم كما يتحاشى الهنود طائفة الأنجاس!

أمّا إذا كنت لا تقدر أن تهيم شيئاً من معرفتك ولا أن تعطيه شيئاً من قوّةك فاسمح لنا أن نخبرك بلسان فصيح أنك لست عليماً ولست قوياً. بل أنت أجهل من الذين تظن أنهم أجهل منك وأضعف من الذين تحسبهم أضعف منك.

وإن جهلك سيبقى أبداً جهلاً. وضعفك سيستمر إلى النهاية ضعفاً لأنك لغرورك لا تستطيع أن ترى موضع الجهل والضعف في نفسك. ولهذا ستقطع الحياة شاكياً ومتألماً.

السّمر: 19 / 2 / 1941

## نحن بنو المحوتى

منذ بضعة أيام خاطبني بالتلفون صديقي وسمي العزيز رئيس هذا المخفل الموقر فلمّا سمعتُ صوته تسارع إليّ الظن - وبعض الظنّ إثم - بأنّه يخاطبني ليعاتبني على انقطاعي عن زيارة المخفل منذ عهد طويل.

1 الإزورار: الزور النظر بمؤخر العين.

وسمعتُ مع صوته صوتاً آخر يبيّئني ويؤثّبنني هو صوت الضمير. فوقفتُ أصغي إليه وأفكر في تهية الأعذار التي أنجو بها من الملامة فكانتُ حالتي في تلك اللحظة كحالة سائق «أوتوموبيل» أدركه الشرطي يتخطى الضوء الأحمر وهو منطلق كالطوربيد من غواصة!

ولكن ارتباكِي لم يطل. والفضل للرئيس المحبوب الذي أسرع فأخبرني أنه يخاطبني بدالة الاسم المشترك بيننا ليسألني إلقاء كلمة عن إخوان ورفاق وأصدقاء كانوا معنا وصاروا مع الله. فقلتُ له وقد زال ارتباكِي وانقضتُ حيرتي: حباً وكرامة<sup>1</sup>.

ولكنني بعد ما وضعت المسمعة من يدي وانقطع الصوتان: صوت الرئيس وصوت الضمير. فكّرتُ ملياً<sup>2</sup> في المهمة<sup>3</sup> التي ألقيتها على عاتقي فأدرّكتُ أنني تسرّعتُ وكان يجبُ عليّ أن أتروى وأتبصّر. فلا مستوّغ<sup>4</sup> أن أدعو الناس إلى وليمة وليس عندي ما يؤكل ولا ما يشرب. ولا أن أعد بأنني سأترع بمائة دولار وليس بإمكانني أن أترع بواحد من المائة.

غير أنني وعدت. ووعد الحرّ دين. وصعب عليّ أن يقال أن إيليتا خذل إيليتا. وها أنا الآن أمامكم أيّها الجمع الكريم. جيئتُ لأنجز وعدي. ولأشترك مع المحفل<sup>5</sup> ومعكم في تكريم الموتى.

فمن هم الموتى؟

يقول الذي لا يفكر كثيراً. إنهم أناس كانوا في هذه الدنيا وغيبتهم المقابر فهم رمم بالية لا يرجى نفعها ولا يخشى أذاها.

لا، هذا غير صحيح. فالموتى معنا وإن طوتهم الأجداث. ولا تزال لهم علينا سلطة ونفوذ وإن كانوا أمسوا رمم بالية وعظاماً نخرة.

إنحلال الموجة لا يعني اضمحلالها. فهي ما زالت في البحر تسكن عندما يسكن وتثور عندما يثور.

بل إن كثيراً من الموتى وهم الرُّسل والحُكماء والعابرة والمخترعون لا يزالون يكتفون أطوارنا وأخلاقنا. ويتحكّمون في عقولنا وعواطفنا ويقضون بيننا فترضخ لأحكامهم ونحن أحياناً ندرى وفي أكثر الأحيان لا ندرى.

1 حباً وكرامة: الحبّ الوداد ويقال في الترحيب حباً وكرامة.

2 وملاوة من الدهر وملاوة مثلثتين. برهة منه. والملي الهوي من الدهر. وهوي يَضَمّ وتهواء من الليل ساعة.

3 المهمّ الأمر الشديد.

4 مستوّغ: ساغ الشيء طاب وهنّؤ وساغ الشيء جاز وأبيح.

5 المحفل مكان الاجتماع.



بل يمكنني أن أقول أننا قلما<sup>1</sup> نمرُّ بنا لحظة لا نتَّصلُ فيها بواحدٍ مِنَ الأموات. يحدثنا كيف كان يقول ويفعل. وكيف كان يحبُّ ويكره. وكيف كان يأكلُ ويشرب. وكيف كانت الحياة في زمانه. وأحياناً يلقي علينا عِظَاتٍ مِنْ أبلغ العِظَاتِ في قصرٍ شادّه أو جسرٍ رفعه. أو صفيحة نقشها. أو بيت شعيرٍ قاله.

بل إنَّ الدُّنيا التي نحن فيها هي دنيا الموتى وهم الذين جعلوها كما هي. هم الذين بنّوا البيوت التي نسكنها. وهم الذين شادّوا المعابد التي نصلي فيها وهم الذين ألّفوا الكتب التي نطالعها وهم الذين غرسوا الأشجار التي نأكلُ أثمارها ونتفياً أظلالها. وهم الذين أعدّوا الطرقات والمسالك التي نسيرُ فيها. وهم الذين سنّوا الشرائع وقنّوا<sup>2</sup> القوانين التي نتمسّى عليها في معاملاتنا وشؤوننا. أنظروا إلى القطار الذي يصل البلد بالبلد والولاية بالولاية والقَطَرُ بالقَطَر. أليس هو فكرة إنسان مات؟

وهذه الطيارات التي تزاحم النُور في الفضاء وتُخلَقُ فوق الغيوم وتنبُ مِنْ شاطيء قارّة إلى شاطيء قارّة إنّها في الواقع أحلام أناس صاروا الآن رهنَ الحفائر. فالكهرباء التي نضيء بها منازلنا ومحافلنا وشوارعنا ونحرّكُ بها دواليب المِعمل والقطار والآلات المختلفة. أكانت تكون لنا لولا إنسان هو الآن بين الأموات؟

والسفن التي حملتنا في البحر. نحن الذين أنشأناها أم أنشأها الموتى؟ وما بالي أبعدُ بكم في الزمَن كثيراً. فأذكر لكم السفينة والقطار والبيوت والأشجار والكهرباء والكتاب والدرب وغير ذلك مِنَ البركات التي ننعم بها بفضل الموتى. والأهم مِنْ هذا كلّه علينا. نحن الأحياء. ألا ننسى أننا نحن أبناء الموتى؟

فنحن إذا شئنا أن نكرّم الذين تركوا لنا هذه الأشياء الثمينة النّافعة. وَمِنْ الواجب أن نكرّمهم. فعليّنا أن نفعلَ كما فعلوا والذي أعنيّه أن نتركَ للذين يأتون بعدنا مثل الذي تركه لنا الذين جاؤوا قبّلنا.

لا يكفي أن نخصّدَ ما زرَعُوا. بل علينا أن نزرعَ نحن لِيُخصّدَ غيرنا. ولا يكفي أن نلبسَ ما نسجُوا بل يجب أن ننسجَ نحن لعلَّ غيرنا يلبس. وأن الأمر ميسور لنا أكثر ممّا كان ميسوراً لهم. لم يغادر هذا العالم إنسان إلا وقد ترك وراءه أثراً حسناً أو أثراً غير حسن فعليّنا كلّما وجدنا حسناً أن نستبقينه وأن نزيده عليه. أمّا إذا كان هناك شيء غير حسن فما أخراننا أن نطويه ونصرف عنه. فإن

1 قلّما: قلّ فعل ماضٍ لا فاعل له وما زائدة. مثل كثر ما.

2 قنّ وضع القوانين.

ترك الشر فضيلة كفضيلة عمل الخير.

وعندي يا سادة. إن فكرة تكريم الموتى التي دعا إليها مخفيل دمشق الموقر شيء حسن يشير إلى أن المخفيل كالأم لا ينسى أبناءه. وتلبيتكم دعوته شيء حسن لأنه دليل على أنكم مثل المخفيل تعرفون ما للرفاق الذين طوتهم الأرض عنا من الفضل والجميل علينا. فكلهم قد وفى قسطه في الحياة. وليس بينهم من لم يترك بيننا أثراً جليلاً إماً بما ترك من القدوة الصالحة. وإماً بما ترك من البنين الذين يسرون اليوم على آثاره.

وإذا كان المهاجرون من قومنا قد ارتقوا وبلغوا منزلة عليّة<sup>1</sup> في عالم التجارة أو عالم الصناعة أو عالم الأدب أو عالم الاجتماع. فمرجع ذلك كله إلى الأولين الذاهبين. فهم المتقدمون والفضل للمتقدم. فنذكرهم بإجلال. ولنكرم ذكراهم. كافأهم الله عنا وأبقاكم طويلاً.

السّمر: 12 / 3 / 1941

## عندما ينام العقل

عندما ينام العقل يستيقظ الحيوان الرّاقِد في الإنسان فيصير نزاعاً إلى الفئك والبطش والسيطرة. وتشتد فيه روح الأنانيّة فيقسو ويصبح يتوهم أن الدُّنيا خلقت له وخذّه وأن غيره لا حق له فيها فإذا ادّعى أنه ذو حق كان معتدياً وأثيماً.

ما شبت حرب بين أمّتين إلا وكانت العقول فيها نائمة أو مخدّرة أو عليها غشاوة<sup>2</sup> من وهم أو خيال أو ضلالة.

والدليل على ذلك أن الناس يعودون بعد كل حرب ينادون بالإخاء البشريّ العام ويدعون إلى التّضامن في القول والفعل.

أجل، إنهم يصيرون حكماء وهداة ومبشرين بعد أن تكون الشبيبة قد صهرتها نيران المدافع وشوّهتها القذائف والخناجر.

ويصيرون بشراً حكماء ولكن بعد أن تكون المدائن الجميلة صارت خرائب. والحقول أصبحت بلاقع<sup>3</sup>. والأودية امتلأت بالدماء والجثث وصار العويل يتعالى من كل قرية ودسكرة<sup>4</sup>.

1 العليّ أعلى مكان وأعلى درجة ج عليّون.

2 الغشاوة: النّطاء.

3 البلقع: وبها الأرض القفرج بلاقع.

4 الدسكرة: القرية العظيمة ج دساكر.

إِنَّ النَّفْسَ الْبَشْرِيَّةَ أَغْرَبُ شَيْءٍ تَحْتَ الْكَوَكِبِ فَفِيهَا تَلْتَقِي السَّمَاءُ وَجَهَنَّمُ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ. وَعَنْهَا  
يَصْدُرُ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ مَعًا.

أَنْظُرْ إِلَى هَذِهِ الْحَضَارَةِ الْجَمِيلَةِ الْعَظِيمَةِ وَاسْأَلْ مَنْ هَذَا الَّذِي بَاهَا - أَلَيْسَ الْإِنْسَانُ ؟!

ثُمَّ انْظُرْ إِلَى الْحُرُوبِ وَوَيْلَاتِهَا وَقُلْ مَنْ الَّذِي يُضْرِمُ نَارَهَا وَيَنْشُرُ بَلَايَاهَا فِي الْأَرْضِ.

مَنْ هُوَ غَيْرُ الْإِنْسَانِ ذَاتِهِ !

أَجَلٌ. إِنَّ هَذَا الْإِنْسَانَ الَّذِي يَتَحَوَّلُ فِي لَحْظَةٍ مِنْ مَلَائِكَةِ سُوْيَا<sup>1</sup> إِلَى شَيْطَانِ رَجِيمٍ<sup>2</sup>. قَدْ اسْتَطَاعَ أَنْ  
يُصْلِحَ الْأَرْضَ وَيَرْقِيَ بِالنَّبَاتِ وَالشَّجَرِ وَيَرْوِّضُ الْحَيَوَانَ وَيَمْتَلِكَ نَاصِيَةَ الْأَمْوَاجِ وَالْهَوَاءِ وَالسُّحُبِ  
حَتَّى الْجَوْهَرِ الْفَرْدِ وَلَكِنَّهُ حَتَّى السَّاعَةِ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَبْدُلَ أَطْوَارَهُ فَيَصِيرَ مَلَكَاً بَاحِثاً<sup>3</sup> أَوْ شَيْطَاناً صَرَفاً.  
وَمَا دَامَ كَذَلِكَ فَسَوْفَ تَظَلُّ الْبَشَرِيَّةُ كَمَا كَانَتْ مِنْ قَبْلِ تَدَخُّلِ عَصْرٍ أَوْ تَقْتِيلِ سَنَةٍ فَتُهْدَمَ فِي سَنَةِ  
الْقِتَالِ كُلِّ مَا بَنَتْ فِي عَصْرِ السَّلَامِ.

وَسَتَبْقَى الْأَرْضُ مَسْرُوحاً لِلْآمَالِ الضَّاحِكَةِ وَالْأَمَانِيِّ الْبَاسِمَةِ فَتَرَّةً مِنَ الْوَقْتِ تَعْقُبُهَا فَتَرَةٌ أُخْرَى  
تَنْطَوِي فِيهَا الْآمَالُ وَالْأَمَانِيُّ وَيَرْحَعُ الظَّلَامُ وَالْهَوَلُ يَغْطِيَانِ الشُّهُولَ وَالْقِمَمَ !

وَالْإِنْسَانُ فِي كُلِّ مَكَانٍ هُوَ الْإِنْسَانُ. وَلَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ أَحْسَنُ مِمَّا كَانَ !

فَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ مِنْ سَاعَةٍ نَامَ فِيهَا الْعُقُولُ وَتَسْتَقِظُ شَيْطَانِينَ الْجَهْلِ وَالْهَوَسِ وَالرَّعَاتِ الْحَيَوَانِيَّةِ فِي

النَّاسِ.

السَّمِيرُ: 25 / 3 / 1941

## إِزْرَعْ جَمِيلًا

يَجِيءُ إِلَيْكَ صَدِيقٌ فَيَقْصُرُ عَلَيْكَ حِكَايَةَ لَهُ مَعَ أَحَدِ النَّاسِ لِيَنْتَهِيَ بِكَ إِلَى أَنَّ الْمَعْرُوفَ الَّذِي يَزْرَعُهُ  
الْمَرْءُ بَيْنَ النَّاسِ لَا يُثْمَرُ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ إِلَّا أَشْوَكَاً وَحَسَكاً؛ لِأَنَّهُ هُوَ أَعَانَ إِنْسَاناً وَسَاعَدَهُ وَمَهَّدَ لَهُ السَّبِيلَ  
إِلَى الْغِنَى أَوْ الشَّهْرَةِ أَوْ أَنْقَذَهُ مِنْ وَرَظَةٍ أَوْ أَخْرَجَهُ مِنْ أَزْمَةٍ فَكَافَأَهُ بِأَنْ رَجَعَ عَلَيْهِ بِالذَّمِّ وَالْقَدْحِ<sup>4</sup> أَوْ  
إِنْقَلَبَ يَكِيدُ لَهُ وَيَسُوقُ إِلَيْهِ الْأَذَى.

وَلَا يَكُونُ فِي الْحِكَايَةِ الَّتِي يَقْصُهَا عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنَ التَّزْوِيقِ وَالشَّمِيقِ أَوْ الْمُبَالَغَةِ وَلَا غَايَةَ لَهُ مِنْ  
سَرْدِهَا إِلَّا بَسْطَ وَاقِعَةٍ جَرَتْ لَهُ لَتَعَزُّزِ الْإِعْتِقَادِ فِي نَفْسِهِ وَتَوْجُدِ فِي نَفْسِكَ مِثْلَ اعْتِقَادِهِ بِأَنَّ النَّاسَ قَدْ

1 سُوْيَا: وَسَوَاهُ تَسْرِيَةً جَعَلَهُ سَوِيًّا.

2 الرَّجِيمُ: الرَّجْمُ الْقَتْلُ وَالْقَذْفُ وَاللَّعْنُ وَالشَّتْمُ وَرَمْنِي بِالْحَجَارَةِ جَ رُجُومٍ.

3 الْبَاحِثُ: الصَّارِفُ الْخَالِصُ لَا يَخَالِطُهُ غَيْرُهُ وَعَرَبِيٌّ بَحَثَ خَالِصَ النَّسَبِ.

4 الْقَدْحُ: وَقَدَحَ الشَّيْءَ فِي صَدْرِهِ أَثَرٌ وَقَدَحَ فِي عِرْضِ أَخِيهِ: عَابَهُ.

فَسَدُّوا وَلَمْ يَبْقَ لِلْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا قِيَمَةٌ.

إذا سمعتَ مثل هذه القصة فحذار<sup>1</sup> أن تستسلم إلى الشك في أن الجميل لا يثمر. وحذار أن يمنعك هذا الاعتقاد عن أن تزرع جيلاً عندما يباح لك أن تزرعه.

إزرع جيلاً فإن ضاع عند الناس فهو لا يضيع عندك. لأنك لا تتصدق على الأعمى ليعود الأعمى فيكافئك ولا تساعد الجندي الذي سقط في ساحة الجهاد ليجزيك عن صنيعك. ولكنك تتصدق على الأعمى لأن قلبك يستشعر لذة فائقة عندما تمد يدك إلى جيبك وتخرج منها درهماً يمكنك أن تستغني عنه وتفيد به انساناً لا يقدر أن يجنيء الدرهم. وتجد الجندي الخريح بالمال الذي يشتري به العلاج والنصماد لأن ذلك الجندي سواء كان ابن وطنك أو ابن أي وطن آخر إنسان ترك المال والأهل والوطن ليقوم بواجب مقدس فهو قد بذل روحه قبل أن تبذل أنت درهمك.

وإذا قلت أن الذي تصنع معهم جيلاً ليسوا جوداً ولا عُميلاً ولا مرضى وإنيهم بدلاً من أن يعترفوا بالجميل أنكروه وبدلاً من أن يحروك بالإحسان إحساناً حروك ذمّاً وعدواناً فاذكر أنهم هم الخاسرون لا أنت؛ لأنهم بعملهم يوصدّون الأبواب التي كان الجميل يدخل منها إليهم. فإن الكلب الذي تطرح إليه اللقمة فيهرع إليك أو يثبّ لتمزيق ثيابك لن يجد إنساناً آخر يطرح إليه اللقمة. والأرض التي تسقيها فلا تثبتُ عبر الشوك لن ترجع إلى سقيها ورثها. ولا هي تستطيع أن تخرج عشباً ولا بقللاً ما دامت رملًا!

فإذا أنت خسرت مالاً أو وقتاً أو مجهوداً في صنع جبين مع إنسان ورجع إليك بالإساءة فأكبر مكافأة لك على صنيعك أنك اكتسبتَ علماً وحكمة وصبرتَ بعد تلك التجربة أكثر معرفة كيف تصنع الجميل ومع من تصنعه.

وهناك أمر آخر يحسن بك أن تتذكره دائماً وهو أن المرء لا يصنع جيلاً إلا وهو يجد لذة في صنعه سواء كان مع مستحق أم مع غير مستحق. وهذه اللذة أحسن من أحسن مكافأة.

السّمير: 30 / 3 / 1941

## الإنسان والله

ما برح الفلاسفة والمفكّرون يتطلّعون إلى اليوم الذي يصير فيه الإنسان أكثر من إنسان. أي فوق مستوى الإنسان الحالي وهو ما يدعونه «سوبرمان». وإنك لترى هذه المساعي مبدولة لتحقيق هذا الحلم الجبار في المدرسة والبيت والمعسكر. والمختبر

<sup>1</sup> حذار اسم فعل أمر بمعنى اخذز تقول حذارك زيداً.

الكيمائي والمعهد العلمي والدائرة الفنية أو الميكانيكية ولكن هذه كلها لم تبدل أطوار الإنسان وإن بدلت مظاهره. وغيّبت مظاهر الحياة حوله بل الذي تمّ هو أن الإنسان العادي تحوّل إلى وحشٍ راقٍ كما تدلّ الحرب الحاضرة التي استخدم فيها الإنسان المتعلّم الرّاقٍ كلّ علم حدّقه<sup>1</sup>. وفنّ اتقنه. للبطش بأخيه الإنسان. وتقويض ما بنته يده.

إنّ هذه الزّوبعة الهوجاء<sup>2</sup> التي تقصف في جوانب أوروبا ويملاً زئيرها جوانب الدّنيا لن تدوم بل سوف تسكن أخيراً ويرجع الإنسان إلى رشده فيدرك أنّه لم يكن إنساناً ولم تكن أفعاله غير جرائم ومآثم.

وسوف الفلاسفة والشّعراء والمفكّرون يفكّرون فيدركون أنّ «السوبرمان» أو الإنسان الإله الذي حلموا به قد جاء إلى الأرض منذ 1941 سنة. وأنّ الناس لو إتبعوه وعملوا بتعاليمه في غير رياء ولا تصنع لصار كل واحد منهم سوبرمان

«مَنْ سَخَّرَكَ ميلاً فامشي معه ميلين»

لو فعل كل إنسان بهذه الآية لما وُجدَ إنسان يسخر إنساناً

ولو عملوا كلّهم بالآية «مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ، الْيَمَنِ حَوْلَ لَه الْأَيْسَر» لما ارتفعت يد تلطم خدّاً أيمن ولا خدّاً أيسر.

«أحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ بَارِكُوا مَبْغُضِيكُمْ».

إنّ الإنسان لضعفه يصعب عليه أن يحبّ عدوّ له وأن يبارك مبعضاً. وما دام فيه هذا الضّعف فلن يتسنّى له أن يتجرّد من الغرائز الحيوانية ويصير «سوبرمان».

ولكنّ الناس لبسوا تعاليم النّاصريّ كما يلبسون الثياب. الثوب الجديد النفيس يجمّل مظهر الإنسان ولكنّه لا يبدّل أطواره ولا يخلق فيه نزعات جديدة وإلاّ لكانت الدّمى والأصنام التي نخلع عليها أجمل الحلل وترصّع بأثمن الحليّ تصير مخلوقات حيّة راقية.

وعلى الجملة، إنّ الإنسان الذي ابتدّع الآلة العجيبة ما زال يتعبّد لها حتى صار هو مثلها آلة صماء لا حنان فيها ولا شعور.

فيجدد بالناس لمناسبة عيد قيامة النّاصريّ من القبر أن يفكّروا مليّاً ويقابلوا بين حالة البشريّة اليوم وحالتها لو تمسّى الناس على تعاليمه فزهدوا في ما عند غيرهم وأحبّوا أعداءهم وباركوا لآعنيهم وأحسنوا إلى الذين يسيئون إليهم.

إنّ الطّريق إلى «السوبرمان» هو هذا السوبرمان الإله.

السّمير: 19/4/1941

1 الحذق: حذّق فلان العمل وفيه حذقاً أو غل في ممارسته حتى مهّر فيه.

2 الهوجاء: الرّيح تطلع البيوت ج هوج.

## حادث غير منتظر

يريد أن نسوق إلى قراء «السَّمِير» حراً ألا نستطيع كتمانهم لأن في كتمانهم ضرراً. ولا ندري كيف نذيعه لهم وفي إذاعته جرح لكرامة لا نودُّ أن نجرحها يدُّنا.

على أنَّه سنذيعه ونتحاشى أن نسيء حتى إلى الذي أساء إلينا وتعتمد أذاننا في حين كتماننا سوق إليه الإحسان وبحاول جهدنا أن نجعل منه إنساناً مكرماً محترماً المعيب والمحضر.

ولو أن الإساءة لحقت بشخصياً دور أن تكون لها علاقة بهذه الجريدة التي هي مؤسسة عمومية نحصر أنصار أكثر مما هي تخصُّنا لسكتنا عنها وصفحنا عن مرتكبيها كما فعلنا في كثير من المواقف مع أناس طبعوا على حُبِّ الأذى كالعقارب.

ونكن الأمر أعظم. والإساءة كانت موجهة إلينا وإلى «السَّمِير» ومشركيها في وقت واحد.

وكانت إساءة فيها خرق للشرائع الأدبية والمدنية والدينية في وقت معاً.

هذا هو الحادث غير المنتظر الذي وقع في منتصف هذا الأسبوع فكان أشبه بفوهة إنشقت في الأرض بغتة تحت أقدامنا وإذ هذه الفوهة يعيب فيها منصُّد «السَّمِير» ويحال بينه وبينها من جهة. وبين العمل الذي كان فيه من جهة أخرى.

أحر. وقع حادث غير منتظر وكان حادثاً غريباً ومحرزاً في وقت واحد. فاضطررنا وقد ذهب المنضد على هذه الصورة الفجائية أن نهجر كلَّ عمل أحر حتى الواجبات المقدسة ونصرف إلى تنضيد الجريدة بأنفسنا على رغم أن هذه المهنة ليست مهنتنا ولا جلد لنا عليها.

وهذا السبب تأخر صدور الجريدة يوم الجمعة إلى الليل. وتأخر صدور عدد السبت إلى الأحد. لأننا على رغم محبتنا لهذه المؤسسة التي نذيب في سبيلها دم القلب وسواد البصر لم نستطع أن نتقاعس عن توديع الصديق الوفي الذي رحل عنا إلى الدَّار الباقية. وهو المرحوم نعمه صدقه. وليس بكثير علينا أن نقوم بهذا الواجب نحو صديق لم يتقاعس قط عن القيام بواجب.

وكان ذلك يوم السبت.

ولولا أننا نعرف ما يساور القراء الأعزاء من القلق كلما تأخر وصول «السَّمِير» إليهم في مواعيدها لما أشرنا إلى هذا الحادث.

ولكننا خشينا إذا كتماننا الأمر عنهم أن يتوهَّموا أشياء غير موجودة وأن يرجعوا علينا باللوم. فضلاً عن أن صدور «السَّمِير» في هذا الأسبوع سيظلُّ مشوشاً نوعاً ما إلى أن يتولَّى المنضد الجديد العمل فترجع الجريدة إلى الصُّدور في أوقاتها.

ولا شك أن القراء الآن يطالبوننا بالإفصاح ويلجئون في معرفة حكاية الحادث وكيف جرى. وهذا

حقُّ لهم لا تنهزب منه ولكننا نرغب إليهم أن يترنُّوا ويصطبروا فلكلُّ شيءٍ ميقات. وعندما يحين الوقت سيعرفون كل شيء.

السَّمير: 26 / 4 / 1941

## ذلك الحادِث

نران مضطَّرين مع الأسف أن نخرج من التلميح إلى التصريح في سرد الحادث الذي وقع في إدارة «السَّمير» وأشرنا إليه في مقالنا الذي كتبناه بعنوان «حادِث غير متظر» وها نحن نقصه على القراء لا لغرابته فحسب بل لما فيه من العظة والعبرة.

منذ ثلاثة أسابيع إلتقينا بالسيِّدة روز أندراوس زريق فما كدنا ننتهي من السلام عليها حتى بادرتنا قائلة - هل وصلت إليك حوالة من ابني وليم؟

فحرنّا كيف نجيبها لأننا لم نتذكَّر أننا استلمنا حوالة منه. فسألناها: متى أرسلها؟ فشعرت أننا لم نستلم الحوالة وبدأت في وجهها علامات التعجُّب. أمّا نحن فغيرنا مجرى الحديث. وكان صباح اليوم التالي فإذا بها تخاطبنا على التلفون وتعاتبنا قائلة كيف قلت لي إنك لم تستلم الحوالة؟

فقلنا لها: ولماذا كلّ هذا الإهتمام منك بأمر حقير كهذا؟ وطببنا خاطرها بما حضرنا من الكلام. ولما انتهى حديثها معنا عدنا إلى الدفاتر نبحث عن أثر للحوالة فلم نجدها مقيّدة في موضع. وراجعنا الذاكرة فلم نجد في زواياها خيالاً لها ولا شبه خيال. فتناولنا التلفون وخاطبنا وليم وسألناه إذا كانت الحوالة المقبوضة معه. فأجاب: إنَّها في جيبِي لأنَّ أمِّي لم تصدِّق أنني أرسلتها حتى أريتها إيَّاه مقبوضة.

قلنا: هل لك أن تنظر التوقيع عليها في الجانب الثاني منها؟ فقال: إنَّ عليها اسمك واسماً آخر تحته.

فأدركنا في الحال أنَّ في الأمر تلاعباً لأنَّنا لا نعطي حوالة مشترك إلى أحد إلاَّ البنك. فقلنا له حسناً احتفظ بها إلى أن تتلاقى في المساء.

وتلاقينا في المساء ورأينا الحوالة فإذا ما ظنَّاه هو الحقيقة فإنَّ التوقيع مزوَّر. وفي اليوم التالي تلقينا رسالة من صديقنا يوسف فلغلي في لورنس ماس يعاتبنا بل يوبِّخنا لأنَّ الإدارة أرسلت تطالب الأنسة لميا كواش ببدل الإشتراك مع أنَّها دفعته منذ حين قريب. وأرفق رسالته بالحوالة المقبوضة. فنظرنا الاسم فإذا هو مزوَّر أيضاً تحته كالحوالة الأولى اسم آخر تصعب قراءته. فحملنا الحوالتين إلى البنك الذي أودعهما فيه صاحب الاسم الثاني. وهناك شرحنا لمدير البنك

حكاية الحوالتين. وقلنا له أن التوقيع عليهما ليس توقيعنا. وسألناه كيف السبيل إلى الإهتداء إلى الشارق المزور؟ فلمّا تحقّق أنّ في الأمر تزويراً قال: نحن نهتم بالأمر. وتناول التلفون وخاطب في الحال أحد رجال الخفية وأطلعه على حكاية الحوالتين.

ولما فرغ من الحديث قال: يجب أن تترك الحوالتين هنا لتصويرهما وأنا أعطيك وصلاً بهما. فتركناهما معه وأخذنا الوصول ورجعنا إلى مكتبنا.

وفي صباح اليوم التالي جاء إلى إدارة «السّمير» أربعة من رجال الخفية وتقدّم إلينا كبيرهم وسألنا عن عدد العمّال في المطبعة والإدارة فأخبرناه. وعمّا إذا كنّا نرتاب في أحدٍ منهم فقلنا: كلاً.

فقال: إنّنا سنرجع بعد قليل.

وذهب الأربعة وغابوا نحواً من عشرين دقيقة وعادوا معهم رجل يوناني يملك مطعماً في اتلنتك افنيو. وطلبوا الدُخول إلى المطبعة واليوناني معهم فمشينا وإياهم ودخلنا. وهناك سأل أحدهم الرجل اليوناني - مَنْ هو الذي صرف منك الحوالات؟ فأشار بيده إلى المنضد الذي لا نسمّيه. فسألوه: هل هذا خطك؟ أجاب: نعم.

- وهل أنت الذي صرفت الحوالتين من هذا الرجل؟

قال: نعم.

- كيف حصلتَ عليهما؟

أجاب: واحدة أعطاني إياها المستر ماضي والثانية أعطانها أخوه.

فالتفتَ رجل الخفية إلينا كأنّه يسأل هل صحيح ما يقول؟

فقلنا: هذا غير صحيح.

ولا حاجة بنا إلى القول أنّ رجال الخفية أخذوا الرجل إلى مكتب المدّعي العمومي واضطّرونا نحن والرجل اليوناني أن نذهب معهم أيضاً حيث كتب محضر بالواقعة وعدنا ونحن نتأسّف لما جرى.

ولكنّنا مع سوء فعلته معنا. وجنايته على ذاته، لم نستطع أن نهمله وننساه. فخاطبنا صديقنا السيد سعيد كوكباني وأطلعناه على حكايته وقلنا له إنّنا لن نشدّد في محاكمته بل سوف نسترحم له القاضي ومن الضروري أن يخرج من السجن. فتبرّع حضرته بالقيمة اللازمة للحصول على كفالة من إحدى الشركات. وموعد خروجه من السجن كما فهمنا من المحامي هذا النّهار - الأربعاء.

هذا هو السّبب في تأخّر «السّمير» مدة ثلاثة أيّام عن مواقيتها المعتادة. أمّا الآن فقد رجع كل شيء

إلى نظامه السابق بفضل المنضد الجديد الذي تولّى العمل.

والآن بعد أن شرحنا الحادث وبسطناه نرجو كل مشترك دَفَعَ اشتراكه ولم يصل إليه متناً وصل

بالقيمة موقع باسم صاحب «السّمير» أن يتكرّم بإرسال الحوالة المقبوضة إلينا في الحال. لأنّنا لا نعلم

كم هو عدد الحوالات المسروقة. فالرجل اليوناني يقول إنّ المتهم صرف منه أربع أو خمس حوالات.



إنَّما الحقيقة كُلُّها لا تَنضَح إلا إذا أجاب المشتركون الذين أشرنا إليهم هذا النداء وعملوا برجائنا فنعلم إلى أي مدى وصلت هذه الفعلة.

وكَلِّمنا انكشفت لنا حوالة مسروقة فسوف نقيدها لمرسلها ونحن نتولَّى تحصيل قيمتها مِنَ البنك الذي صرفها وهو يتولَّى تحصيلها مِنَ الشخص الذي أودعها فيه.

السَّمير: 1/ 5 / 1941

## يوم اللأم

إلى الأمهات في الأكواخ والخيام.  
والأمهات في بيوت الحجر وقصور الرخام.  
والأمهات اللواتي نبا بهنَّ كلَّ مقام.

\* \* \*

إلى الأمهات اللواتي رصَّعن مئون التاريخ بأسماء الأنبياء والشُعراء والحكماء.  
والأمهات اللواتي وضعنَ في حواشيه أسماء اللصوص والقتلة والأشقياء.  
والأمهات اللواتي ليس هنَّ في التاريخ شهرة ضخمة ولا شهرة ضئيلة.

\* \* \*

إلى الأمهات السائرات في مواكب الدُموع والحسرات إلى وادي الفناء.  
والأمهات السائرات في مواكب الإبتسامات والأغاريد إلى هيكل الخلود.  
والأمهات اللواتي لم يسرنَ بعد في موكب ضاحك ولا موكب باك.

\* \* \*

إلى الأمهات اللواتي ولدنَ الآباء والأمهات.  
والأمهات اللواتي لم يكتبَ هنَّ أن يصرنَ أمَّهات.  
والأمهات اللواتي سيصرنَ أمَّهات.

\* \* \*

إلى الأمهات اللواتي تملأ أجفانهنَّ الدُموع على ما كان.  
والأمهات اللواتي يبكينَ إشفاقاً ممَّا سيكون.  
والأمهات اللواتي يتلهَّفنَ ويتحسرنَ على ما يشتهينَ أن يكون.

\* \* \*

إلى الأمهات اللواتي يبتسمن للرؤى والأحلام.  
والأمهات اللواتي يبتسمن ليخلقن حولهن الرؤى والأحلام.  
والأمهات اللواتي يبتسمن ولا رؤى لهن ولا أحلام.

\* \* \*

إلى الأمهات اللواتي تحت أطباق التراب وفي ظلمات الرُّموس.  
والأمهات اللواتي يسطعن في سماء الحياة كالشموس.  
والأمهات اللواتي لم ينحسرن بعد عنهن ضباب الأبد.

\* \* \*

إلى أمهات الأمس وأمّهات اليوم وأمّهات الغد.  
إلى كلِّ أم. إلى الإله الصغير في الأرض. تحية الأرواح والقلوب في يومها وكلِّ يوم في الدَّهر هو  
رمها. وأيُّ كلمة أعذب في الأفواه وأحبُّ إلى المسامع وأعلق بالقلوب والأرواح من هذه الكلمة  
قدسيّة ذات الشّذى والنور - الأم.

السّمير: 10 / 5 / 1941

## في مدينّة لورنس

تغيّرت الدُّنيا ومن عليها في ولايات نيوانكلند.  
تغيّرت من حسن إلى أحسن. فبعد أن كانت معامل النسيج في لورنس ماس كبيوت مهجورة بعد  
زلزلة ترف عليها سكينه المقابر إذا بها في هذه الأيام ترجع إليها الحياة والحركة كما رجعت الخضرة إلى  
الأشجار.  
أمّا الناس الذين كانت تغص بهم النوادي والمقاهي في النّهار فإنك لا ترى منهم أحداً إلا الذي  
يشتغل في الليل ويستريح في النهار. فإن بعض المعامل لا تهدأ ولا تنقطع عن العمل طيلة الأربع  
والعشرين ساعة. وبعبارة ثانية إنّها تشتغل ثلاثة أضعاف المعدل العادي. وإذا أضيف إلى ذلك الآلات  
الجديدة التي زادت على ما عندها كان معدل ما تنتجه اليوم أكثر من ثلاثة أضعاف ما كانت تنتجه من  
قبل حتى في أيّام لرخاء الماضيّة التي تلاشت كأنّها الأحلام.  
وكنّت من قبل تلقى المرء سواء كان تاجراً أم عاملاً فتراه في حيرة المسافر الذي ضلّ الطريق وفرغ  
منه الزاد وأدركه الليل وهو في الصحراء.  
أمّا اليوم فحيثما سرّت وجدت بشاشة وارتياحاً وانتعاشاً. فقد رجعت الحياة تضحك وعاد الناس

يبتسمون. ولا شيء يعكّر عليهم هذه الغبطة إلا فواجع الحرب التي يتمنى كثيرون أن تنتهي ولو ذهب معها هذا الرّخاء. وأن تنتهي دون أن تتصل نيرانها بهذا الشّطر الجميل السعيد من العالم. لكي يتسنى للولايات المتحدة أن تغيث العالم المنكوب فتطعم الجياع وتعمّر الديار الخربة. وتحول دون اضمحلال الحضارة التي تذبح نفسها بسلاحها.

أنا الآن بين الأصدقاء. فأنا أكثرهم ربحاً. لأنهم هم كانوا يروني في «السّمير» التي يطالعونها كل يوم أمّا أنا فلم يكن لي مثل هذا الحظ منهم.

وكأنني بهم أرادوا أن يجعلوا الأيّام التي أقضيها بينهم مواسم تنسيني السنوات التي مرّت على آخر زيارة لي إليّاهم في هذه المدينة. فما كدنا نصل إلى المدينة حتى دعانا الوطني الغيور السيد سليم شعيب إلى منزله. وقضينا سويعات لطيفة مغمورين بكرم أصحاب البيت ولطفهم.

وفي آخر السهرة جاء الرّفيق المحبوب الأديب يوسف فلفلي وحملني في سيارته إلى منزله. وما كاد الأصدقاء يتّصل بهم خبر وجودي في المدينة حتى أخذت الدّعوات تترى عليّ غير أنّي رفضت أن أكون معهم داخل البيوت بل خارجها نظراً إلى الحرّ. ولأنني مشتاق إلى المحاسن الطبيعية في هذا الشّهر الفتى. وما أجل أن يلتقي الأصدقاء في عرس الطّبيعة.

ورأيت من الواجب أن أزور رعاة الطوائف الكريمة في المدينة. فبدأتُ بالعالم اللّوذي والاكليريكي المجاهد قدس الارشمندريت بطرس ابو زيد الذي اكرم وفادتنا. وكان معي في هذه الزيارة الصّديقان ميخائيل شعيب والمعلم قسطنطين أبو رجيلي. فأثنى قدسه على نزاهة «السّمير» وحسن بيانها ثناء طيباً لا يُستغرب من رجل مثله ضليع في الأدب مالك ناصية البيان.

وزرتُ في اليوم التّالي مع صديقي الجوّابة المشهور السيد أسعد الحجّار المونسنيور يوسف داود الفرخ فأخبرتني أنّه كان يقرأ قصائدي في جريدة البشير التي كان من عيلة التحرير فيها وكان يترنّم بتلك القصائد لجمالها.

وأردتُ أن أزور كاهن الطائفة الارثوذكسيّة الأب جونسون الأميركي فقبل لي أنّه مقيم خارج لورنس ولا يأتي إليها إلا يوم الأحد.

وأصرّ الصّديق أسعد الحجّار على أن أراحتي لا تكمل إلا إذا نمتُ في بيته على الرّابية العالية في ماتون ماس وهي ضاحية في لورنس تكاد تصير مدينة لكثرة تهاقّت الناس على السكن فيها. والحقُّ يقال أن موقع ذلك البيت في رأس الجبل ممّا يبعدُ بين الإنسان وهموم المدينة ومتاعبها. ويقربه من السّماء.

ولعلّ السرّ في تهلّل السيد أسعد الحجّار الدائم هو سكناه في ذلك المعتزل القريب من النجوم.

## الإنسان والطبيعة

حبُّ الإنسان للطبيعة حبٌّ لا ينقضي . فهو يحبُّها ولدًا ويحبُّها شابًا ويحبُّها كهلاً ويحبُّها شيخاً . وحبُّه إيَّاهَا في كُلِّ هذه الأدوار حبٌّ لا تصنُّع فيه ولا تكلف كحبِّ الابن للأم . فهو في أَيَّام الصَّيف ينتقل إلى شواطئ والجبال ليشاهدها في مطارفها الرائعة وحلاها الفَتَّانَة . وفي أَيَّام الشَّتاء عندما يتعذَّر عليه الخروج من البيت ينقنها إليه إمَّا صوراً شمسيَّة أو صوراً زيتية وإمَّا أزهاراً وأغراساً اصطناعيَّة . وكثيراً ما كان للرَّمز جلال الشيء الذي يرمز إليه .

وإنَّ في ولايات نيوانكلند منَ المحاسن الطبيعية ما تحسدها عليه ولايات كثيرة فهي في الصَّيف كذبة عن بستان أبيض فيه الماء المصفق والزهر الفواح والشجر الظليل .  
كُلُّ غابة فيها منتزه .

وكُلُّ شاطئ فيها مسرح .

وكُلُّ طريق فيها يؤدِّي إلى فتنة منَ فتن الطبيعة .

ولا يحتاج المقيم في مدينة صناعيَّة مثل لورنس إلَّا أن يجتاز مسافة طويلة ليصل إلى منتزه أو شاطئ . لذلك ترى الشواطئ الجميلة تغصُّ مساءً بالناس الذين كانوا أثناء النَّهار في المعامل والخوانيت أو البيوت . فيصرفون السهرة على بساط الرَّمَل يصغون إلى أناشيد الأمواج ترقبهم عيون التُّجُوم الشهرة ويرجعون في آخر اللَّيل وقد اكتسبوا نشاطاً وقوة وفرحاً .

ذهب بي الأصحاب إلى منتزه «مكة» في دري نيومشر القريب من لورنس لصاحبه المواطن النشيط طام معلوف . وهو عبارة عن غابة كبيرة من أشجار الأرز نصبت في جوانبها الأرائك وشيدت فيها منازل للسياح والمسافرين وطلاب الرَّاحة والسَّكينة . وهي بيوت خشبية أطلق عليها صاحبها اسم «uncle toms cabin» وهو اسم حبيب إلى قلوب الأميركيين كما أنَّ اسم «مكة» حبيب إلى قلوب العرب وإلى الذين يحبُّون العرب وهم كثر في كُلِّ أرض .

وبينما السيارة تقترب منَّا من ذلك المنتزه روى لي واحد من الأصحاب أنَّهم اعتزموا زيارة «مكة» وكان معهم واحد يتردَّد في الذهاب معهم فحملوه إلى السيارة وهم يقولون :

خَطَرَةٌ ما عنها فكهُ لا تعارض ولا تَحْتَجْ

زيارة واحده له «مكة» بترجع منها بلقب حَجْ

وعندي إذا لم يرجع منها بلقب «حاج» فإنَّه يرجع وفي نفسه طمأنينة غامرة لا يشعر بمثلها إلَّا المؤمن الذي أدَّى فريضة الحج ونفض عن جوانب روحه الأدران التي علقَتْ بها .

ولما رجعتنا دعانا إلى العشاء صديقنا الأديب المعروف عبد الله نجم سمياً مترجم رواية «صادق» التي نشرناها في «السَّمير» ولاقت استحساناً كبيراً من القراء. وفي امكاني أن أقول عن خبرة أن معرّب الرواية الفاضل تتجلى فيه صورة أخلاق بطل تلك الرواية وإن اختلفت الحوادث في حياته عن حوادث بطل الرواية. فقد كان صادق يطلب المعرفة ويحب الصّلاح وهكذا عبد الله. وكان «صادق» عالي الأخلاق كبير القلب عزيز النّفس. وكذلك معرّب الرواية.

وهذا هو السّرّ في اختياره هذه الرواية دون سواها. فإنّ نزعات الإنسان سواء كانت صالحة أو طالحة تظهر في الأشياء التي يختارها. كنّا في الثّهار ضيوفاً على الطّبيعة الجميلة. ولكنّا في المساء كنّا ضيوفاً على هذا الأديب الفاضل وزوجته المهذّبة المضيفة فوجدنا هنا كما وجدنا هناك غبطة وسلاماً.

السَّمير: 23 / 6 / 1941

## في مدينة مانشستر

في مدينة مانشستر - نيومشر نهضة اجتماعيّة مباركة بين قومنا لا تشوبها شائبة إلا انقسام الجالية إلى فرقتين مع أنّ في الإمكان أن تكون كلّها فرقة واحدة. ولا أعني أنّ هناك نزاعاً أو خلافاً وإنما هناك قوتان تسعى كلتاهما إلى غاية واحدة وهي رفع مكانة الجالية. اختلفت المسالك ولكن الغرض واحد. وهاتان الفرقتان هما الجمعية السورّيّة الأميركيّة والجمعية اللبنانيّة. للأولى نادٍ فسيح جميل يلتقي فيه اعضاؤها في أوقات الفراغ وهي جمعية حديثة إلا أنّها نشيطة قويّة. وللثانية بناية فخمة كبرى من الحجر تصلح لأن تكون بيت الجالية كلّها لإتساعها وتوافر الوسائل فيها للحفلات والاجتماعات.

بل هي بناية تمثّلت لو كان للجالية في مدينة نيويورك مثلها. وكم كانت دهشتي عظيمة عندما قيل لي أنّ الجمعية ابتاعتها بثمن بخس لا يكاد يوازي ثمن طبق واحد من أيّ منزل عادي. وكانت عندما اشترتها مهجّوره فانصرفت الأعضاء إلى العمل فيها بأيديهم ترميماً ودهاناً وترتيباً حتى جاءت في شكلها الحاضر. وموظّفو الجمعية هم السّادة الآتية اسماؤهم. أدوّنّها على صفحات «السَّمير» تقديرًا لمساعدتهم وجهودهم وهم:

رئيس - خليل عطا الله. نائب رئيس - أنيس أبو خليل. كاتم أسرار - اسكندر القزّي. كاتب باللغة الانكليزية - يوسف قشوع. أمين صندوق - الياس قشوع. معاون أمين صندوق - حبيب أبو سليمان.

لجنة الوكلاء - يوسف عطا الله . سعيد أمين . أيوب الهادي .

قلت أن في مانشستر نهضة اجتماعية بين قومنا لأنني زرتها منذ بضع سنوات فوجدت الجالية متفككة العرى حائرة لا تدري كيف تتحد ولا على أي غاية تجتمع .

أمّا في هذه المرة فقد وجدت فيها كتلتين ناميتين هما هاتان الجمعيتان ويبدو لي أن السر في هذه النهضة هو الشباب المثقف الطامح إلى العمل ورغبة الآباء في إفساح مجال العمل أمام هذا الشباب . وإذا اجتمعت القوتان - حكمة الشيوخ وقدره الشباب - وراء قصد أو مشروع فإنه لا يلبث أن يصير كبيراً وجميلاً .

ولقد زرت الجمعيتين وأعجبت بما رأيت وسُررتُ بنهوض الجالية إلى العمل المثمر . ولعل الوقت لا يطول حتى نرى الجمعيتين متحدتين متضافرين في نطاق واحد للغرض الواحد الذي تسعيان إليه الآن .

السّميّر: 27 / 6 / 1941

## لماذا يسعد هذا ويشقى ذاك؟

ما هو السر في كون الرجل الفظ الخشن أقرب إلى السعادة في حياته مع المرأة من الرجل الأديب الدمث<sup>1</sup> الأخلاق؟

تناول بعض المفكرين هذا الموضوع بالبحث فقالوا والعهد<sup>2</sup> عليهم في ما قالوا: كلّمًا سمّا خيال الرجل - والرجال أسمى خيالاً من النساء - وجد الحياة صعبة شاقّة مع أيّة امرأة . لأن المرأة أقرب إلى الطبيعة من الرجل وهي كذلك لأنها حسّاسة أكثر منه . وهي لشدة إحساسها أكثر نزوعاً من الرجل إلى النضال والعراك حتى أنها لتجد في الغضب لذة كالتي تجدها في الرضى . وإذا تأملت وجهها وهي تحدّثك لمحت فيه الغبطة سواء كانت تتحدّث عن شيء تحبّه أم تتكلّم عن شيء تكرهه .

أمّا الرجل فيتكلّم إمّا لكي يظهر ذكائه وإمّا ليستر ضعفه وعجزه وإمّا ليحفظ لنفسه خط الرجعة . وبعبارة ثانية إنه يقيم من الحُجَج سوراً بينه وبين حقائق الحياة التي تواجهه . ولكن الكلام مع المرأة على خلاف ذلك فهي لا ترمي إلى التهرب من أمر واقع ولا إلى ستر عجز بل تتكلّم لأن الكلام شيء ضروري لحياتها .

1 الدّمث: دُمْتُ دمانّة ودُمُوتة سهّل خُلُقُه فهو دميث

2 العهد: التّبعة يقال على فلان في هذا عهداً لا خلاص منها .

إذن كيف يتسنى للرجل الذي يخلق الأوهام ويناضل عنها أن يكون سعيداً مع امرأة تشاركه  
الماوى والمطعم والمشرب في صباحه ومساءه؟ كيف يسعد هذا المتخيل مع تلك التي يزعمها التخيل  
والتوهم؟

على الرجل أن يشاركها الموقف فيعيش معها كفيلسوف لا يتوقع جزاء لفصيلته غير اللذة التي  
يستمدّها من هذه الفضيلة ذاتها. ولكن عليه في الوقت نفسه أن يكون يقظاً كرقب الطّقس فكثيراً ما  
تكشفت له وجوه الحياة الغامضة بواسطة هذه المرأة.

ولا شيء يضمن سعادة الرجل مع المرأة أكثر من إدراكه الفرق بين ما يغضبه وما يغضبها. فهو  
يغضب عندما يشعر أنه مظلوم أو مغبون أو مُعتدى على كرامته. إنّه يغضب مسترشداً عقله أمّا هي  
فيلوح أنّها لا تغضب لكرهه أو بغض في نفسها له بل تغضب لحبّها إيّاه. هذا غريب غير أنه الواقع  
فالمرأة لا تسترشد عقلها بل إحساسها وما غضبها غير جزء من التعبير عن محبّتها.

وإنّه لرجل أحقّ ذاك الذي يُعنى في جدٍ كثير بما يسمعه من فم المرأة وهي في حالة الإنفعال  
والغضب ويقيس أقوالها بمقياس العدل والحق فهي في تلك اللحظة لا تتحرّج من أن تقدّفه بأية عبارة  
جارحة وهي تعرف جيداً أي شيء يغيطه ويخرج كبرياءه. ولكنها بعد أن تهدأ وترضى تعود إليه قائلة -  
أتصدق ما قلته؟ اتحسب أنني عنيت؟ وفي الحقيقة إنّها لا تعني شيئاً ممّا قالته. لا تعنيه من الجهة التي  
يتطلّع منها إلى الحياة. فمقياسها غير مقياسه. ونظرها في الأمور غير نظره. وعليه أن يدرك هذه الحقيقة  
إلا أن الرجال الذين يدركونها قلال.

على الرجل الذي يريد أن يكون سعيداً مع المرأة أن يفهم فهماً جلياً قبل أن يشاركها العيش. أنّها  
لا يهتمها مطلقاً بمقاييسه الأدبيّة ولا مقاييسه العقليّة المنطقيّة. فعندما تكون فاضلة صالحة فالفضل في  
ذلك لعواطفها ولأنّها هي هي! وعندما تكون شريرة فالتبعة كلّها على الرّجل!

إنّها عالم غريب وعلى الرجل أن يتابع الإكتشاف في هذا العالم الغريب. ولا بدّ له من أحد أمرين  
إمّا أن يلقي الخوف في قلبها فهي تجد لذة في الخوف. أو عليه أن يثير في قلبها عاطفة الحب.

أمّا أن يعتمد على استعطافها وإثارة شفقتها عليه فأمرٌ وخيم العقبي<sup>1</sup> إذ لا شيء يزعج أعصاب المرأة  
مثل أن تجد نفسها مضطّرة إلى الإشفاق على الرجل هذا الأمر يزيد في سوء خلقها<sup>2</sup> بدلاً من أن ينقصه  
وهو ممّا يخفض منزلة الرجل في عينيها.

السّمير: 14 / 7 / 1941

1 وخيم العقبي: العقبي اليوم الآخر أو المرجع إلى الله. وجزاء الأمر ويقال: لك العقبي في الخير.

2 الخلق: السّجّة.

## الآباء والبنون

بين الآباء والبنون مشادة قديمة في الدَّهر كالشيخوخة والشَّباب. وستبقى إلى أن لا تبقى شيخوخة ولا شبَّية. وليس في ذلك شيء من الغرابة إذ كيف يلتقي ناظر إلى الأمام وناظر إلى الوراء وكلاهما يرى غير الذي يرى الآخر؟

يزعم الشيخ أو الكهل أنه أعرف من الفتى وأعلم. وأبصر منه وأحكم. لأنه أبلى ديباجة الشَّباب واستفاد من التجارب التي مرَّت به حكمة لم يستفدها ذلك المقبل على الكهولة فعلى هذا أن يرجع إليه وأن يأخذ بنصائحه ويعمل بآرائه فيأمن الخيبة والعار.

لو خلعتنا عن هذا الزَّاعم كهولته وأعدنا إليه شبابه مرة لوجدناه يفعل أخيراً ما كان يفعل أولاً. وإن قال الآن أنه لا يفعل. وإن زعم أنه ينهج نهجاً أقوم وأصلح. فهو في شبَّيته الأولى لم يتعظ بسواه ولم يستمع إلى نصائح الكهول والشيخوخة وهو في شبَّيته الثانية لن يتعظ نفسه لأنَّ للشباب ميادين لا يختار لذاته سواها ولا يلذ له الرُّكض إلا في حوماتها وإن كانت لا تُنتِ غير الأشواك ولا يجدُ فيها غير العقبات والعثرات.

نسمع كيفما سرَّنا شكوى الآباء السوريين من كون أولادهم لا يخفِّلون<sup>1</sup> بنواهيهم ولا يبرِّون<sup>2</sup> بهم وكثيراً ما وصفوهم بالتمرد والعصيان وألقوا بتبعية هذا العقوق<sup>3</sup> على المحيط الأميركي الذي لا يقيم للعاطفة الوالدية وزناً. وربما زفرَ أحدهم زفرة حزينة وهو يقول: أولادنا في هذه البلاد ليسوا لنا!

والحقيقة التي يجب أن تُعلم وتُقال في وقت واحد هي أنَّ الذنب في هذه القطيعة بين الآباء والبنين متاً مشترك بين الثلاثة: الآباء. والأولاد. والمحيط. وإنَّما الآباء ملومون في الدَّرجة الأولى لأنهم يتوقعون من أولادهم أن يكتفوا أنفسهم وأطوارهم طبقاً لتقاليد وعادات قد تكون جميلة. وقد تكون مفيدة. ولكنهم لا يعرفون عنها إلا النذر القليل. وليس لها في محيطهم الواسع غير أثر ضئيل. وهي تبدو سمجة لأنها غريبة. وكذلك كل غريب. وهم لا يستطيعون العمل بها إلى جانب التقاليد والعادات التي يتلقونها في المدرسة من الكتب. ويقتبسونها في المجتمعات من الأتراب. وفي البيوت من الجرائد والمجلات التي يطالعونها.

1 حَقْل كذا بالي به، يقال: لا تخفِّل به.

2 برّ: وفلان يبرِّ خالقه ويتبرَّره أي يطيعه والبرّ ضدُّ العقوق.

3 العقوق: عَقَّ أباه عَقّاً وعقوقاً استخفَّ به وعصاه ترك الإحسان إليه فهو عاقٌّ وعقوق.



والآباء هم الذين يجلبون المتاعب لأنفسهم من هذه الناحية في الحياة لأنهم يكبر<sup>1</sup> عليه أن ينسوا أنهم أصحاب السُلطة العليا بعد الله على أولادهم حتى بعد أن يشب هؤلاء عن الطوق ويصير لكل واحد منهم دنيا مستقلة من الرغائب والآمال. فهم من هذا القبيل<sup>2</sup> كالملوك الذين يريدون أن تبقى لهم جلالة الملك وسلطانه وصولته حتى بعد انتشار روح العلم الذي يدرك معه كل فرد أن السلطان بشر مثله. وأن حقه في الحرية والأمن كحقه.

أجل. ليس أولادنا لنا. ولكن لا ينبغي لنا أن نتوجع ونتفجع. فكل الأولاد ليسوا لأهلهم في كل زمن إلا على قدر. هذه حقيقة أدركها فيلسوف الإسلام الإمام علي بن أبي طالب فقال كلمته المشهورة: «ربوا أولادكم على غير ما أخذتم به فإنهم خلُقوا لزمان غير زمانكم».

فإذا كانت هذه القاعدة قد صدقت من قبل هذه الكلمة العطرة الصادقة واحدة. ولغتهم واحدة فإنها اليوم أصدق والمهاجرون أولى الناس باتباعها لأنهم يعلمون أنهم قد نسلوا أولادهم ليس لزمان غير زمانهم فحسب بل لبلاد غير بلادهم.

السَّمير: 16/7/1941

## في نورود - ماس

حيثما رأيت كنيسة لنا في المهجر - كبيرة أم صغيرة - فاعلم أن اليد التي شادت جدرانها وزينت حيطانها هي تلك اليد التي قيل عنها إنها تهز العالم كما تهز السرير.

ولا أعني أن لا فضل للرجل فهو ذو فضل كبير ولكن المرأة في هذه الحومة أكثر نشاطاً وأشدّ اندفاعاً. حتى ليتمكن القول أن الفضل يرجع إليها حتى عندما يتبرع الرجل بماله أو وقته في هذا السبيل إذ لا بُدَّ أن يكون له أم أو زوجة أو شقيقة تحضه على البذل وتحثه على العمل.

أمّا السر في ذلك فهو أن المرأة تؤمن بقلبها وتجد غبطة كبرى في الإندفاع مع هذا الإيمان. ولذلك لم يظهر بين النساء اللواتي عاصرن المسيح وآمن به امرأة ترتاب وتشك ولا تصدق أن المسيح قام من بين الأموات إلا إذا جسّت بإصبعها جراحه كما فعل توما.

ولقد رأيت في مدينة نورود ماس مظهراً يعزّز هذا الاعتقاد وذلك عندما زرّت قاعة كنيسةها فإذا هناك رهط من سيّدات الكنيسة اجتمعن كما يلتقي سرب<sup>3</sup> من النحل رجع في المساء من الحقول

1 كَبُرَ يَكْبُرُ: كَبُرَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ شَقٌّ وَثَقُلَ.

2 الْقَبِيل: الصِّفِّ الْمَائِلُ يَقُول: خَذْ هَذَا أَوْ مَا كَانَ قَبِيلَهُ.

3 الشَّرْب الْفَرِيقُ مِنَ الطَّيْرِ وَالْحَيَوَانِ جَ اشْرَابٌ.

بالشَّهْدِ الَّذِي اشْتَارَهُ مِنْ عِيُونِ الْأَزْهَرِ . لَكِي يَمْلَأُ الْخَلِيَّةَ عَسَلًا .

وكان دليلي إلى هذا الحفل صديقي الكاتب المُتَسِّك «سويد» صاحب الفصول الطَّيِّبَةِ التي تظهر في «السَّمِير» بأسماء مستعارة .

وقد صرَفْنَا سُوءِنَاتِ الصَّبَاحِ فِي زِيَارَةِ الْأَصْدِقَاءِ فِي نوروود حتى إذا جاء المساء كُنَّا ضِيُوفًا عَلَى الشَّاعِرِ الْعَتَابِيِّ الْمَعْرُوفِ دَاوُدِ بَدْرِ الْمَعْلُوفِ الَّذِي انْتَضَمَتْ أَمَامَ مَنْزِلِهِ قَصِيدَةٌ رَائِعَةٌ مِنْ الْبَقُولِ وَالْأَزْهَارِ . وَإِلَى جَانِبِ الْمَنْزِلِ تَفَاحَةٌ بِاسْقَةٍ مَلْتَفَّةِ الْأَغْصَانِ تَظَلِّلُ السَّاحَةَ وَيَمْتَدُّ تَحْتَهَا خَوَانٌ<sup>١</sup> مَا كَدْنَا نَدُورُ بِهِ حَتَّى حَضَرَ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ . وَأَخَذَ الشَّاعِرُ يَتْلُو عَلَيْنَا آيَاتِهِ فَاسْتَخَفَّ الطَّرِبُ الْأَدِيبَ فُؤَادَ مَفْرُجٍ فَوْقَ وَأَلْقَى كَلِمَةً أَثْنَى فِيهَا عَلَى صَاحِبِ الْبَيْتِ وَأَسْرَتِهِ الْكَرِيمَةِ وَجَالِيَةِ نوروود .

وَارْتَجَلَ صَاحِبُ هَذِهِ الْجَرِيدَةِ بَضْعَةَ آيَاتٍ مِنَ الشَّعْرِ أَعَقَبَهَا بِمَا حَضَرَ مِنَ الْكَلَامِ مُتَرْجِمًا عَمَّا شَعَرَ بِهِ مِنَ الْأَنْسِ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ .

وَكَانَ الْوَقْتُ يَسْرَعُ فِي الْمَسِيرِ وَنَحْنُ غَيْرُ شَاعِرِينَ بِمُرُورِهِ لِحُلَاوَةِ تِلْكَ الْهُنِيهَاتِ حَتَّى كَادَتْ تُشِيبُ نَاصِيَةَ اللَّيْلِ . وَكُنَّا مَعْتَزِمِينَ الْعُودَةَ إِلَى بَوْسَطَنْ فَأَبَى عَلَيْنَا الْقَوْمُ أَنْ نَسَافِرَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ الْمَتَأَخِّرَةِ مِنَ اللَّيْلِ .

وَأَلَحَّ عَلَيْنَا الصَّدِيقُ الْيَاسُ نَاصِيفُ مَعْلُوفٍ وَقَرِينَتُهُ الْفَاضِلَةُ السَّيِّدَةُ عَفِيفَةٌ أَنْ نَكُونَ ضِيُوفَ دَارِهِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ فَتَزِلْنَا عَلَى رَغَبَيْهِمَا . وَحَلَلْنَا فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ الْمُضَيَّافَ . وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ غَادَرْنَا نوروود وَعَدْنَا إِلَى بَوْسَطَنْ وَنَحْنُ نَتَحَدَّثُ بِمَا لَاقَيْنَا مِنْ لُطْفِ الْقَوْمِ وَحُسْنِ ضِيَافَتِهِمْ .

السَّمِير: 1941 / 7 / 21

## أَرَاءِ وَمُلَاحِظَاتِ

مَا كَتَبْتُ «السَّمِير» كَلِمَةً نَقَدَ فِي كِتَابٍ أَوْ مَقَالٍ إِلَّا وَنَهَضَ صَاحِبُ الْكِتَابِ أَوْ الْمَقَالِ بِاسْطِطْأَظْفَارِهِ لِيُشِيبَهَا فِي شَخْصٍ هُوَ إِيْلِيَّا أَبُو مَاضِي . مِمَّا يَحْمِلُنَا عَلَى الْإِعْتِقَادِ أَنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ أَنَاسٌ صَغَارُ يَعْرِفُونَ أَنَّهُمْ صَغَارُ فَيَحَاوِلُونَ أَنْ يَرْتَفِعُوا بِالتَّسَلُّقِ عَلَى هَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ أَوْ أَنْ يُوْهَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَالنَّاسَ الَّذِينَ حَوْلَهُمْ أَنَّ إِيْلِيَّا أَبُو مَاضِي نَزَلَ إِلَى حَوْمَتِهِمْ فَهُوَ مِثْلُهُمْ وَهُمْ مِثْلُهُ . اسْتَوَى الْمَاءُ وَالْخَشْبَةُ ! إِنَّا نَشْفُقُ عَلَى هَذَا الصَّنْفِ لَا مِنْ النَّاسِ بَلْ مِنْهُمْ وَنَأْبَى أَنْ نَنْصَرِفَ عَمَّا نَحْنُ فِيهِ . إِلَى مَا هُمْ فِيهِ . فَلِكُلِّ وَجْهَةٍ هُوَ مَوْلَاهَا . وَلَكُنَّا مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى نُوَدُّ أَنْ يَفْهَمُوا أَنَّنَا لَا نُرِيدُ لَهُمْ إِلَّا الْخَيْرَ كَيْفَمَا كَانُوا . وَلَنْ

١ الخُوَان: مَا يُوْكَلُ عَلَيْهِ جَ أَخُوْنَةُ .

نُعْدِلَ عن طريقتنا هذه معهم حتى عندما يصوّر لهم الوهم والحسد القتال أننا على خلاف ذلك. وليس انصرافنا عنهم احتقاراً لهم ولكننا نأبى أن نقضي الوقت الثمين في مُحاحكات<sup>1</sup> لا طائل تحتها. وإن كانت عند البعض هي الشيء الأثمن في حياتهم. ولكننا إذا كنا لا نُغْنَى بالردّ على أهل المباحكة والجدل العقيم<sup>2</sup>. فلا يعني هذا أن «السّمير» لا تؤيد الفكرة الجميلة حتى ولو خرجت من أفواه المباحكين بل تؤيدُها. ف«السّمير» تقاتل كل فكرة شريّة حتى ولو برزت لابسَة مسوح<sup>3</sup> الناسكين. وإذا التقينا وبعض الناس حول فكرة فلا يمنع هذا أن نفرق عندما نرى أولئك الناس يستخدمون الفكرة التي نحُبّها لأغراض ذاتية ولا سيّما إذا كانت فكرة وطنية يجب أن تبقى نقيّة من الشوائب<sup>4</sup> وأن يظلّ طابعها وطنياً لا مسحّة<sup>5</sup> أجنبية عليه. ولا يد أجنبية من ورائه.

السّمير: 1941 / 7 / 30

## بائعة المملوكات

دخلت علينا أمس امرأة متكسّرة الأجفان لا من نعاس كثيفة الملامح لا من حزن. زريّة الثياب لا من فقر. واقتحمت المكتب بلا شور ولا استئذان وفي يدها إضبارة<sup>6</sup> من الكتب. وما كادت تقف عند طاولة الحاسب في الإدارة حتى انفلت من بين شفيتها كلام يردّد في غير وعي. فاسترعت حالتها انتباهنا فوقفتنا ننظر إليها ونأمل فإذا عيناها باهتان ساكتتان قد انطفأت فيها علائم اليقظة<sup>7</sup>. وإذا كلامها يخرج من فمها وهي لا تتأثر به ضحكاً ولا غمّاً كأنها هي أسطوانة. وسرعان ما عرفنا أنها من أولئك الذين أطلقوا على أنفسهم اسم «شهود يهوه» ودعاهم أحد الكتاب الأميركيين «باعة الفردوس».

وكان قد سبق لنا أن استقبلنا مثل هذه الزائرة فأشفقنا على الكاتب وعلينا من تلك الأغنية الرُّسليّة

1 تماحكا: تلاحجا.

2 العقيم: عقيمت المرأة أو الرجل عقماً كان بها أو به ما يحول دون النسل من داء أو شيخوخة فهو عقيم ج عقماء وهي عقيم ج عقائم، ويقال ربح عقيم لم تأت بمطر.

3 المِسْحُ البِلاس بكسر الموحدة وتفتح ثوب من الشعر غليظ الجمع أمساح ومُسوح.

4 الشائبة: الشيء الغريب يختلط بغيره ويقال: ما فيه شائبة ليس فيه شبهة، والدّسّ والقَدَر ونحوهما ج شوائب، ويقال هذا الشيء بريء من الشوائب، ليس فيه ما يعيبه.

5 المسحّة: وعليه مسحّة من جمال أو هزال شيء منه.

6 إضبارة: الإضبارة الحزّمة من الصّحف ضمّ بعضها إلى بعض ج أضابير.

7 اليقظة رجل يقظ متيقظ خدير.

«الرذوذ فورديّة»<sup>1</sup> فقلنا لها: أيتها السيدة حسبك<sup>2</sup>. لا تضيعي وقتنا ووقتك. لك بغيرنا غنى. ولكننا كنا كأننا نخاطبُ صنماً أو إنساناً لا وعي له. ولا ح لنا من ذهولها واسترسالها في سرّ حديثها أنها لا تملك أمرها وليس في وسعها أن تتوقّف حتى يفرغ ذهنها ممّا حفظته. فهي من هذا القبيل<sup>3</sup> كالجرس الذي شدّ بالحبل فتأرجح وطنّ ويستمر في التّأرجح والطّنين إلى أن تبلغ الحركة الناجمة عن شدّ الحبل نهايتها. وتشاغلنا عنها لعلّها تدرك أنها تغني لغير سميع. فتتصرّف من تلقاء ذاتها. ولكنّها لم تدرك ولم تتصرّف وكادت تلتصق بالمكان!

وخشينا أن تعود فتبدأ حكايتها من جديد فقلنا: بكم تبيعن هذه الكتب؟ قالت: إنني لا أبيعها ولكني أعطيك كتاباً أو أكثر وأنت تتبرّع بها تريد! وكنا قد فهمنا منها أنها أنت لتخبرنا أن مملكة المسيح ستأتي بعد أسبوع أو أنها هنا منذ أسبوع أو ما شاكل من الأقوال التي تدل على شيء من الهوس<sup>4</sup> إن لم نقل الاختلاط العقلي. فلمّا سمعناها تذرنا بأننا سنهلك. ضحكنا وقلنا إذا كانت الحياة الأبدية تُشترى بدرئهمات فلن يُحرّم منها إنسان في الأرض.

ولكن يظهر أن للوصول إلى هذه الغاية العظمى شروطاً غير الدريهمات وهي أن يتخلّى المرء عن عقله ويهجر العوالم كلّها إلّا عالم الشيخ «رودر فوردي».

فأسفنا لحالتها. ولعلّها هي كانت تأسف لأننا لسنا مثلها إيماناً. ولما يئست من هدايتنا أو من بيع أيّ كتاب من الكتب التي تحملها انفلتت إلى باب آخر في الإدارة لتدخل على العمّال وتمثّل روايتها فرددناها بلطف فلم ترتد إلّا بعد جهد. فخرجت وهي تتمم لذاتها أشياء لم نفهم منها إلّا كلمة «ملكوت»<sup>5</sup> و«شاهد».

وبقيت نحن نتعجّب كيف يفعل الوهم في بعض الناس ما لا يفعل السحر. فهذه المرأة كائن بشري كان كسائر الناس فاستولّى عليها الوهم فسكرت فخدّرت فذهلت عن كلّ شيء في الدّنيا إلّا ما كان مصطبغاً باللّوان ذلك الوهم. والوهم أشكال واللّوان. وقد انفلت المرء من أمّاس الحديد ويعجز عن الإنفلات من أمّاس الوهم إذا استحوذ عليه.

1 الرذوذ فورديّة أي شبيهة بسيارتي الرذوذ والفورد القديمتين اللتين كانتا يضرب بهما المثل في إيذاء الأذان بصوتها كلّما سارا أو تحركا.

2 حسبك: كافيك.

3 القبيل: الصنف المماثل، تقول: خذ هذا أو ما كان قبيله.

4 الهوس: بفتحين طرف من الجنون.

5 الملكوت: من الملك كالزّهّيّوت من الزّهية يقال له ملكوت العراق وهو الملك والعزفهو ملكك وملك وملك.

وشارب الوهم كشارب الأفيون أو أي نوع من المخدرات يزداد به ولعاً كلّما ازداد إدماناً عليه.  
حتى لتصير مفارقتها أصعب عليه من مفارقة الحياة.  
والوهم كالخمور قليله ينفع وكثيره يضر. وهو مثلها منه الجيد ومنه الرديء. وأرداه وأخبثه هو  
الذي يستلب المرء عقله ويجعل منه آلة يحركها سيواه.

السّمير: 28/8/1941

## من إنسان إلى شيطان

ما شبت حرب في الأرض إلا رجّع الإنسان إلى غرائزه الوحشية التي كان قد فارقها. فصار كالنمر  
لا يفكر إلا بالإنقضاض والبطش والتكيل. وكالحية لا همّ له إلا أن ينفث السم. وكالصقر يدور في  
الفضاء وعينه تبحثان في الأرض عن فريسة.

والإنسان كائن عجيب غريب إذا ارتقى وسمّا فهو يتنوع رَحمة وصلاح وإخاء أمّا إذا سفل<sup>1</sup> فهو  
بُرّكان رزايا ومصائب وأهوال.

هو عندما يتجرّد من الأنانيّة يذهل عن نفسه ولا يعود يبالى جوعاً ولا عطشاً ولا عُرياً ولا مَشَقّة  
بل يصبح كلّ همّه أن يفعل شيئاً في سبيل أخيه الإنسان.

فكم من عالمٍ انقطع عن الدنيا كالزهاد لعلّه يهتدي إلى علاج لمرض من الأمراض الفتّاكة فكان  
حيناً يهتدي إلى ضلّته وأحياناً يموت في تجاربه وامتحاناته قبل أن يهتدي إلى شيء.

وكم من رحّالة مغامر اقتحمّ المجهل معرّضاً حياته للخطر لعلّه يكتشف ناحية مجهولة من  
الأرض فاكشفها وصارت بعد ذلك أرضاً مأهولة بالبشر أو أنّه ذهب طعاماً لذنب أو لحوت أو مات  
ولم يعرف أحد أين قبره!

على أن هذا الإنسان الذي تنبثق منه هذه الكواكب هو ذاته الذي ينقلب على نفسه فيطفيء كواكب  
العلم ويجفّف ينابيع التّهذيب وذلك عندما يستيقظ فيه الوحش النائم أو الغريزة الحيوانيّة العمياء.  
فينسلّ الأولاد ليجعلهم عندما يكبرون حشايًا للمدافع ويَزعمُ أنّه يسوقهم إلى ساحة المجد وملكوّت  
الخلود!

أو أنّه يصبّ القذائف المحرقة على مدينة عامرة فيتركها خراباً يباباً<sup>2</sup> ويترجع يباهي أنّه فتك ودمر.  
أو أنّه يسوق إلى السجون مئات وألوفاً من الخلق الذين يخالفونه في الرأى والعقيدة والأطوار ولا  
يطرف له جفن ولا يوبّخه ضمير كأنّها هو جزّار وهم أغنام!

1 سفل: سفالة خسّ ونذل.

2 اليباب: الخراب.

إنَّ هذا النوع مِنَ الإنسان المُسترجع غرائز الوحش الضَّاري كثير في هذه الأيَّام لأنَّ البشريَّة في حالة هي أشبه بالحيوان.

بل إنَّ النَّاس اليوم مثل أُمَّتهم الطَّبيعة عندما تغضب وتثور. فكَم مِنْ نَهرٍ كان يسقي الحقول عن جانبيه طغى وفاض فذهب بتلك الحقول واكتسَح ما فيها مِنْ أشجار وأغراس وجرف ما قام عليها مِنْ مباني!

لقد جَمَّل الإنسان هذه الأرض منذ صار فيها بما أحدثهُ مِنْ عمران غير أنَّه اليوم يهدِّم ما بنى ويزيدُ على الهدْم القتل والتَّكْييل. فهو اليوم شَيْطانٌ<sup>1</sup> لا إنسان.

السَّمير: 9/9/1941

## السَّيَّارة المحسروقة

كان في مؤتمر الحِلْف الشرقي في مدينة سكرنتون مصور شاب اسمه الأخير «نمير» حمل الآلة الفوتوغرافيَّة ودار بين القوم يصوِّرهم جماعات وأفراداً. واقفين وقاعدين وسائرين وجالسين. ثم يعلِّقُ الصُّور بعد إخراجها في لوحة كبيرة مركوزة في قاعة الفندق فيمُرُّ القوم ويقفون عندها يتفرَّجون على تلك الصور.

ولما كانت المادبة كان هو مصوِّرها. فلَمَّا إنتهى أخذ يطوفُ على الحضور مع بعض المساعدين ويأخذون مِنْ كُلِّ شخص يودُّ أن يحصل على صورة المادبة دولاراً ويدوِّنون عُنوانه لديهم ويُعطونه وصَلاً بالدولار. وكان عدد الذين اكتسَبوا اللُحْصُول على الصُّورة كبيراً. ولا شكَّ في أنَّ كُلَّ واحد منهم الآن ينتظرُ أن تصلَ إليه الصورة التي دفع ثمنها سلفاً.

غير أنَّ الصورة لن تصل إليه!

ويجب أن يقطع الرَّجاء مِنْ وصولها إليه!

لأنَّ الصورة باتت غير موجودة ولا سبيل إليها. فقد ذهب اللُّصوص بسيارة المصوِّر في تلك اللَّيلة وبكُلِّ ما فيها. وكان قد وضع فيها معدَّات التصوير كُلِّها والدَّراهم التي أخذها مِنْ النَّاس فذهبتُ كُلِّها ولم ترجع!

السَّمير: 9/20/1941

1 الشَّيْطان روح شرير مُغْوٍ وكُلُّ متمرِّد مُفسِد.

## الفقر والنوابغ

### هل يقتل الفقر الموهب أم يضييها؟

مِنَ النَّاسِ فَرِيقٌ كَبِيرٌ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْعَبَقَرِيَّةَ لَا تَنْمُو إِلَّا فِي ظِلِّ الْحَاجَةِ وَالضَّنْكَ<sup>1</sup> لِأَنَّ الْحَاجَةَ أُمَّ الْإِخْتِرَاعِ وَلَا تَكُونُ إِلَّا حَيْثُ يَكُونُ الْفَقْرُ.

وَيَعْزُرُ أَصْحَابُ هَذَا الرَّأْيِ نَظَرِيَّتَهُمْ بِأَنَّ جُلَّ<sup>2</sup> النَّوَابِغِ وَلِدُوا فَقْرًا وَعَاشُوا تَعْسًا وَبَعْضُهُمْ مَاتَ جَوْعًا. وَلَوْ أَنَّهُمْ وَلِدُوا فِي الْقَصُورِ وَتَقَلَّبُوا فِي النَّعِيمِ لَعَاشُوا عَيْشَةَ الْمُتَرَفِّينِ<sup>3</sup> وَمَاتُوا دُونَ أَنْ تَنْفَتَحَ مَغَالِقُ الْكُنُوزِ الرُّوحِيَّةِ فِيهِمْ. لِأَنَّ الْغِنَى مُفْسِدَةٌ.

وَيَتَحَمَّسُ بَعْضُ الدَّارِسِينَ لِهَذِهِ النَّظَرِيَّةِ فَيَنَادِي عَلَى رُؤُوسِ الْمَلَأِ<sup>4</sup> قَائِلًا: أَيُّهَا النَّاسُ جَوْعُوا النَّوَابِغَ! فَكَأَنَّ مَا يَصْحُحُ فِي الْخَبُولِ يَصْحُحُ فِي ذَوِي الْمَوَاهِبِ أَيْضًا<sup>5</sup>.

وَعِنْدَنَا أَنَّ فِي هَذِهِ النَّظَرِيَّةِ شَيْئًا مِنَ الصَّوَابِ. فَإِنَّ الْإِحْسَاسَ لَا يَرِقُّ إِلَّا بِالْأَلَمِ وَالْعَذَابِ. وَالْعَقْلُ لَا يَنْمُو إِلَّا بِالتَّجَارِبِ وَالِإِمْتِحَانَاتِ. وَقَلَّمَا<sup>6</sup> تَجِدُ ذَا بَطْنَةٍ<sup>7</sup> عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الذِّكَاءِ أَوْ غَنِيًّا بِالْوَرَاثَةِ يَمِيلُ إِلَى أَنْ يَكُونَ فِي غَيْرِ صَفِّ الْأَغْنِيَاءِ وَالشَّدُوذِ لَا يَقَاسُ عَلَيْهِ. بَلْ إِنَّ مِنْ ذَوِي الْمَوَاهِبِ الْأَغْنِيَاءِ مَنْ لَمْ يَسْتَعْمِلُوا مَوَاهِبَهُمْ إِلَّا بَعْدَ أَنْ خَسِرُوا أَمْوَالَهُمْ أَمْ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهَا. أَوْ أَنْصَرَفُوا عَنْهَا زَهْدًا.

وَلَكِنَّ الْفَرْقَ كَبِيرَ بَيْنِ أَنْ تَجُوعَ الْأُمَّةُ نَوَابِغِهَا وَبَيْنَ أَنْ يَخْتَارَ النَّوَابِغُ لَأَنْفُسِهِمْ حَيَاةَ الضَّنْكَ وَالْفَاقَةَ. فَإِنَّ الْفَقْرَ الَّذِي يُعْزِيكُ إِلَيْهِ تَحْرِيكُ الْهِمَمِ السَّائِكَةِ وَإِيقَاطُ الْمَوَاهِبِ النَّائِمَةِ كَثِيرًا مَا خَنَقَ الْعَبَقَرِيَّاتِ وَهِيَ أَجَنَّةٌ. وَنَثَرَ الْمَوَاهِبَ وَهِيَ بَرَاعِمٌ. فَهُوَ إِذَنْ غَيْرُ ضَرُورِي لِتَكْوِينِ الشُّبُوعِ أَوْ لِبَقَايَةِ وَنُمُوهِ. إِنَّ اللَّوْرِدَ يَبْرُونَ لَمْ يَصُدَّهُ الْغِنَى عَنْ أَنْ يَكُونَ شَاعِرًا كَبِيرًا.

وَابْنُ الْمَعْتَزِ لَمْ يَمْنَعَهُ جَاهَهُ وَسُلْطَانَهُ أَنْ يَبْرُزَ بِشَاعِرِيَّتِهِ إِلَى الْوُجُودِ.

وَأَرَسَ طَالِيسُ الْحَكِيمِ الَّذِي كَانَ مَعْلَمَ الإسْكَندَرِ وَمُؤَدِّبَهُ لَمْ يَسْلُبْهُ حِكْمَتَهُ أَنَّهُ النَّاصِحُ الْمُسِيرُ لِأَعْظَمِ الْفَاتِحِينَ فِي التَّارِيخِ.

1 الضَّنْكَ: الضيق من كل شيء وضنك ضاق عيشه.

2 جُلَّ الشيء: مُعْظَمُهُ.

3 تَرَفَّ فلانٌ تَتَمَّ فهو تَرَفٌّ.

4 المَلَأُ: الْجَمَاعَةُ.

5 وَأَضَى كَذَا صَارَ وَفَعَلَ ذَلِكَ أَيْضًا إِذَا فَعَلَهُ مَعْدُودًا فَاسْتَعِيرَ لِمَعْنَى الصَّيْرُورَةِ.

6 قَلَّمَا قُلْ فَعَلَ مَاضٍ لَيْسَ لَهُ فَاعِلٌ وَ«مَا» زَائِدَةٌ. مِثْلُ كَثُرَ مَا.

7 الْبَطْنَةُ: الْإِمْتِلَاءُ الشَّدِيدُ مِنَ الطَّعَامِ.

إنَّ الفقرَ في ذاته قُبْحٌ ودمامةٌ بل هو جريمةٌ يجب أن تعملَ البشريَّةُ على مَحْوِها ولن تبلغَ الكمالَ إلَّا يومَ مَحْوِها لأنَّها - أيُّ البشريَّةِ - إذا كانت قد وصَلَتْ إلى ما هي عليه الآن مِن الرُّقي فإنَّها ذلك بفضلِ ذوي المواهب والعَبَقَرِيَّاتِ وهؤلاء لم يكثر عديدهم إلَّا بعد أن صارَ الفَقْرُ سهلاً ميسوراً. ماذا كان يكون أديسون لو عملَ الأميركيُّون بالنظريَّةِ الأولى فضوَّروه جوعاً ولم يتوافرَ لديه المالُ الكافي لإنشاء المَعْمَلِ الذي يَحْلُمُ به؟

ولو جَوَّعَ القومَ أديسون فمضى دون أن يَخْتَرعَ ما اختَرَعَ مِنَ الآياتِ والمُعْجَزَاتِ أَفكانَ يَكْثُرُ عددُ الموهوبين في هذه الأُمَّة كما هي الحالُ الآن؟

إنَّ الموهوبَ لا يطلبُ المالَ مِن أجلِ المالِ فهو لا يشعر عند حيازته إيَّاه باللَّذَّةِ التي تدخل على نفسه مِن جعلِ المالِ ضالَّته الكبرى في هذه الحياة. فالمالُ عند الموهوبِ وسيلةٌ لا غير. وهو وسيلةٌ لا يُستغنى عنها بغيرِها. ومهما ينسبُ الناسُ إلى الفقرِ مِنَ المحاسنِ والفضائلِ فهو لا يعين الموهوبَ على تحقيقِ الآمالِ التي تجولُ في صدره وتَقْصُرُ عنها يداها.

إنَّ الأُمَّةَ العاقلةَ المُدْبِرَةَ لا تجوِّعُ موهوباً ولا غير موهوبٍ أمَّا الأُمَّةُ الغبيةُ الحمقاء فلا تجوِّعُ العَبَقَرِيَّينَ فحَسْبُ<sup>1</sup> بل تعذبهم وتقتلهم كأنَّهم لصوصُ أئمةٍ فتموت ويموتون جوعاً وضنكاً... فهي إذن في غير حاجةٍ إلى نصيحةِ القائلين: جوعُوا النَّوابِغَ!

السَّمير: 22/9/1941

## جبال بنسلفانيا

جرى الشعراء على تشبيه الرجل الحليم<sup>2</sup> الرَّصِين<sup>3</sup> الرَّاجِحِ الحَصَاة<sup>4</sup> الذي لا تتزلزل نفسه في الأزماتِ بالجبلِ الرَّاسِي الذي لا تقلقه العواصف.

غير أنَّ امرأَ القيس عكسَ هذا التشبيه في معلَّقته المشهورة فشَبَّهَ جبلَ ثبير<sup>5</sup> بزعيمِ قبيلةٍ أو كبيرِ قومٍ مُلْتَفٍّ بِشِابٍ مَخْطُطَةٍ.

وعندي أنَّ في طريقةِ امرئِ القيسِ فناً أكثرَ ممَّا في طريقةِ الشعراء الذين خالفوه أو خالفهم. ففي تشبيه الإنسانِ بالجبلِ تَعْظِيمٌ للجبلِ لا يحسُّه الجبل. أمَّا تشبيه الجبلِ بقائدٍ أو زعيمٍ أو شيخِ قبيلةٍ ففيه

1 حَسْبُ يكفي.

2 الحليم: الحِلْمُ الأناةُ وضبطُ النَّفسِ والعقل.

3 الرَّصِين: المُحْكَمُ الثَّابِت.

4 الرَّاجِحِ الحَصَاة: الحَصَاةُ العقلُ والرَّأي.

5 ثبير: جبلٌ بِمَكَّةَ.



تكریم وتكبر للإنسان في عيني الإنسان.

وَأَنَّ الَّذِي يَمُرُّ فِي جِبَالِ بَنَسَلْفَانِيَا الرَّافِلَةُ<sup>1</sup> مِنَ الشَّجَرِ فِي حُلَلٍ<sup>2</sup> مِنْ سُنْدُسٍ<sup>3</sup> أَخْضَرَ. الْمَمْتَدَّةُ مَعَ الْأَفْقِ كَأَنَّهَا غَيُومٌ يَشْعُرُ كَأَنَّهُ يَشَاهِدُ رَهْطاً<sup>4</sup> مِنَ الْجَبَابِرَةِ رِبْضُوا فِي جَوَانِبِ الْأَرْضِ كَأَنَّهُمْ يَخْرُسُونَهَا مِنْ طَارِقٍ<sup>5</sup> مَفَاجِيءٍ.

جبال وراء جبال. كلما غاب منها جبل بدا جبل. وكثيراً ما ترى بين جبلين مدينة عامرة زاهرة تتألق فيها المصاييح كالنجوم كلما غمرت الظلماء الهضاب والبطاح. فتتعجب كيف نشأت حتى أضحى القطار يسير إليها. أو تشاهد المسالك تراكض فيها السيَّارات نحوها. فإن كل مدينة وقرية في هذه البلاد متصلة بأسباب الحضارة على بعدها وانفرادها كأقرب المدن إلى مواطن الحضارة. ففي الكوخ الصغير النَّائِي عن العُمران الراديو والجريدة والمجلة. وأمام بابه الأوتوموبيل. كالقصر المشيد<sup>6</sup> في المدينة الكبرى.

ما أجمل الجبال عند الغروب تتوشَّح الإصفرار فوق الإخضرار. وما أجملها في الليل تشعُّ من جوانبها الأضواء فتدلُّ المسافر على أنَّ الإنسان يقيم فيها. وأنَّه قد يسطر سلطته عليها.

ليست هذه أوَّل مرَّة أشاهد فيها جبال بنسلفانيا فقد رأيتها من قَبْلِ مراراً فإذا موقعها من نفسي اليوم كموقعها من قَبْل. وستبقى لها جلالتها ومهابتها ما دامت راسية في الأرض. فهذه الجبال كانت في سنوات الأزمنة<sup>7</sup> تبدو كأنها كاسفة مغمومة أمَّا الآن فقد راجعتها روح البشاشة والبهجة فحيثما أرسلت بصرك رأيت الدُّخان يتصاعد من مداخل المعامل ورأيت الأضواء تنبعث من نوافذها في الليل. وسمعت زفير البخار ودوي الآلات. وإذا تحدَّثت إلى النَّاس أدركت حقيقة خالدة وهي أنَّ الإنسان إذا حزن واكتأب فكل شيء يمسي حزينا كئيباً حتى الشَّمس والقمر. أمَّا إذا فرح وابتهج فإنَّ الدُّنيا كلها تتحوَّل مهرجان ويشرق حتى الوادي ويضحك حتى الدخان الأسود.

مررتُ بمدينة الطونا وقضيتُ فيها ليلتين في ضيافة رفاقي وجيراني في الوطن الأول الإخوة الأكارم طانيوس ورشيد وتوفيق وجورج عفيش ووالدتهم الجليلة. وزرتُ الأصدقاء وفي طليعتهم رجل النخوة والهمة والوفاء السيد ناصيف طراد وشقيقه أشعد

1 رَفَل في ثيابه أطالها وجرَّها متبخراً.

2 الحُلَل: الحُلَّة الثوب الجيد الجديد غليظاً أو رقيقاً ج حُلَل.

3 السُّنْدُس: ضرب من رقيق الدُّيَّاج.

4 الرَّهْط: ما دون العشرة من الرِّجال لا يكون فيهم امرأة وليس لهم واحد من لفظهم والجمع أرْهَط وأَرْهَاط.

5 الطَّارِق: الآتي ليلاً، والحادث أو الحادث ليلاً ج طَوَارِق.

6 المشيد بالتشديد المُطَوَّل. وقال الكسائي المشيد للواحد والمشيَّد للجمع ومنه قوله تعالى: «في بروج مشيدة».

7 الأزمنة: الضيق والشدة ويقال: أزمة سياسية وأزمة مالية. والقحط.

والتاجر البارز السيد حنّا ناصيف وهم من ذوي الأيادي البيضاء.  
وتعرّفتُ إلى رجل غيور هو الفاضل السيد حنّا إلياس موسى الذي أبدى غيرة مشكورة على الأدب.

وقد لمستُ في الطونا حركة انتعاش كبرى بعد أن دارت فيها المعامل التي تصنع القُطر الحديدية وكانت منذ أربع سنوات جامدة هامة.

وتلطّفتُ الصديق ناصيف طراد فحملني في سيارته إلى مدينة جونستون وكان رفيقنا إليها الصديق الأديب طانيوس عفيش. وفي الطريق من الطونا إلى جونستون مشاهد طبيعية ساحرة ولا سيما<sup>1</sup> في هذا الوقت إذ بدأ الشجر تشتعل أطرافه فتبدو كأنها تمشي عليها ريشة فتأن بمختلف الألوان.

السّمبر: 1941 / 9 / 27

## الأفيال المسمومة

لو كانت الأفيال تصلي، لكانت تتضرّع إلى الله، كما يتضرّع الإنسان، لكي ينجيها من الشرير، وكان المقصودُ عندها بـ «الشرير» هذا الإنسان الذي يسافر من قارة إلى قارة، لكي يدخل إلى غاباتها، ويتّصّب للحيوانات فيها الأشراك، ويصطادها، ويرجعُ بها إلى بلاده، يطوفُ بها على الناس في المدن، والقرى، والدساكر<sup>2</sup>، ويغري النفوس، ويصطادُ الفلّوس. ولا تزال من سفرٍ شاق، إلى سفرٍ شاق، في غير الأرض التي تهواها، حتى يدسّ لها إنسانٌ شرير الشّم في ما تأكل، أو في ما تشرب، فتسقط صرعى<sup>3</sup>؛ كما حدثَ للفيلة التي تلغط<sup>4</sup> الجرائد الأميركية في هذه الأيام بحكاية موتها مسمومة. ونهوض رجال الحكومة للبحث عن الجاني الأثيم الذي اقترفَ جناية لا يقترفها شيطانٌ رجيم<sup>5</sup> فهذه الحيوانات لم تُفسد له أرضاً، ولم تسدّ عليه طريقاً. ولم تؤذ في نفسه، ولا في ماله، ولا أهله، ولا زاحته على مكسب، ولا نافسته في مجد، ولا منعت عنه ضوء شمس ولا قمر. وليس وجودها في الحياة، يتّقص من ملذّاته ومسرّاته، ولا هو مسؤول عن شيء من طعامها، وشرابها، ومبيتها، ولن ينتفع بلحمها، ولا جلدها، ولا عظمها، ولن تصير الأرض أوسع عليه بعد ذهابها، ولكنّه مع ذلك، مشى إليها بالشّم الفتاك متعمداً هلاكها، كأنها تمشي بقوائمها الضخمة على أضلاعه، وكأنّها تتغذى بدمه؛ فكان في

1 ولا سيما كلمة يُستثنى بها وهي «سي» ضمّ إليه «ما» ولك في المستثنى بها الزّفع والجُرّ.

2 الدسكرة القرية الكبيرة العظيمة.

3 صرعى: الصرّع الطّرح على الأرض كالمصرّع.

4 لَغَط القرم لَغَطاً اختلطت أصواتهم واستبهمت.

5 الرّجيم: القتل والقذف والغيب ورمي بالحجارة ج رُجُوم.

جنايته أكثر بربرية من الذي يُنبش الجثث من القبور ويمثل بها، كما تفعل الضَّبُع<sup>1</sup>.  
وهذه الفعلة الأثيمة، تثبت أن بعض الناس مفطورون على الأذى، كأنهم ولدوا والعقارب في  
وكُر<sup>2</sup> واحد. فهم أبدأ يسعون بالضّرر إلى الشوى<sup>3</sup>، دون أن يكون لهم مما يعملون أية فائدة؛ فإذا  
عجزوا عن أن يؤذوا إنساناً آذوا حيواناً، أو هرة، أو بناء، أو صورة، أو تمثالاً أو أي شيء.  
وإذا هم أعياهم أن يؤذوا بالأيدي، أو بالأسلحة، أو الأدوات، فلهم ألسنة كأنياب الأفاعي؛  
أينما وقعت، إندفَقَ منها السَّمُ الزُّعاف<sup>4</sup>. على أن الذي يُعزّي النفوس الكريمة، ويستبقي الإيمان يعدل  
الحياة غير متزعزع؛ هو أن هؤلاء الأشرار الذين يشبهون الأفاعي، ينتهي بهم الأمر أخيراً إلى أن يهلكوا  
كما تهلك العقارب، والأفاعي، إمّا دهنساً، أو رهساً، أو سحقاً. ولكل شيء ميقات<sup>5</sup>، ولكل شرير  
يَوْمُهُ!

السّمر: 21 / 11 / 1941

## لا تجوع روحك

يحتاج العقل إلى الغذاء كما يحتاج إليه الجسد. وهو يتحل ويهزل كالجسد إذا لم يحصل على القوت  
الكافي.

وقوت العقل هو كتاب قيم تقنيه وجريدة مفيدة مطالعها.  
نقول كتاب قيم لأن كتباً كثيرة لا يستفيد مطالعها منها شيئاً. وجرائد كثيرة لا نفع منها أكثر مما في  
الورق العادي.

وحسن أن يتقي المرء الكتاب والجريدة كما يتقي الطعام والشراب.  
وليس من إنسان مهما بلغ به الفقر إلا وهو يقدر أن يقتني بعض الكتب المفيدة ويشارك في جريدة  
تحمل إليه أبداع ما تنتجه قرائح الكتاب والشعراء.  
فالذي يتصور أنه يقتصد مالا عندما يقبضُ يده على بعض دولارات لثلا يشتري بها كتاباً أو  
يدفع بدل اشتراك في جريدة يخطيء في تصوّره كثيراً لأن هذه الدولارات القليلة لن تزيد في ثروته إلا  
دولارات معدودة ولكنه من جهة أخرى يوصد على نفسه باب معرفة ويحرم عقله من غذاء هو في أشد

1 الضَّبُع جنس من الشباع من الفصيلة الضبعية وهي كبيرة الرأس قوية الفكّين ج ضباع وأضبع.

2 وكُر الطائر بفتح الواو عشه حيث كان في جبل أو شجر وجنعه وكور.

3 الشوى: المثل والنظير.

4 السَّم الزُّعاف سريع القتل.

5 الميقات تحديد الأوقات كاللوقيات.

الحاجة إليه.

وليس في الاستغناء عن أي شيء خسارة مثل الاستغناء عن المطالعة. فإنك إذا لم تلبس قميصاً من حرير ففي إمكانك أن تلبس قميصاً من قطن ولا ضير عليك<sup>1</sup> ولا حيف<sup>2</sup> على مقامك. أمّا إذا كنت لا تطالع كتاباً ولا تقرأ جريدة فإن معارفك لا تتسع ولو لبست كل يوم ألف قميص من حرير وتقلدت خاتماً كخاتم سليمان في كل إصبع من أصابعك.

إن بعض الناس يجوعون عقولهم لكي يملأوا بطونهم وجيوبهم فلا تكن من هؤلاء. وإياك أن تتابعهم في طريقته في الحياة فإنها طريقة تقف بهم عن المسير إلى الأمام وترجع بهم إلى الوراء. فهم يظنون أن الدولار ينفق في شراء كتاب دولار ضائع. ولكنهم ينفقون دولارات كثيرة على السّافس التي لا تفيد قلباً ولا جسداً ولا تقوم خلقاً معوجاً ولا تصلح شيئاً فاسداً.

إننا في عصر لم يبق فيه أحد لا يقرأ إلاّ العجماوات أو الناس الذين يعيشون كالعجماوات. وحاشا لأي عاقل مدرك أن يرضى بأن يكون من هؤلاء.

إنك بالكتاب تحصل على أنيس وعشير وصديق لا يتغير ودّه ولا تملّ عشرته ويعطيك كثيراً دون أن يأخذ منك إلا القليل من الوقت.

وأنت بالجريدة تطلّ على الدنيا فترى ما يجري فيها من الأمور والحوادث كأنك في كل مكان منها دون أن تتقلّ خطوة من مكانك الذي أنت فيه.

فإذا كنت ممن استولى عليهم الزهد في المطالعة فأسرع وتفلّت من قيود هذا الزهد قبل أن يستعبدك فتصبح روحك بمعزل عن الأرواح وعقلك في دنيا غير دنيا العقول.

إلى المطالعة! فإنك بواسطتها تتعرّف إلى العلماء والشعراء والمفكرين والعظماء في عصرك وفي العصور التي مضت.

إلى المطالعة! فإن المؤلفين والكتاب قطعوا الحياة ينقبّون ويفكرون لكي يُعطوك أحسن ما عندهم وأجل ما استطاعوا أن يستخرجوا من كتاب الحياة.

إن أكثر الناس غمّاً ووخشة هم الذين لا يقرأون ولا يتخذون من المؤلفين عشراً وأصدقاء. ولا يزعم أحد أنه فقير فليس هناك فقير لا يقدر أن يقتني بضعة<sup>3</sup> كتب أو يشترك على الأقل في جريدة تحمل إليه نفائس الأدب وروائع الفن.

1 الضير: ضارة ضيراً ضرراً.

2 الحيف: حاف عليه حيفاً جار وظلم.

3 البضع في العدد من الثلاث إلى التسع تقول: بضعة رجال ويضع نساء ويركب مع العشرة فتقول: بضعة عشر رجلاً ويضع عشرة امرأة وكذلك يستعمل مع العقود فتقول: بضعة وعشرون رجلاً ويضع وعشرون امرأة ولا يستعمل مع المائة ولا مع الألف.

إنَّنا لا نبغي مِنْ هذه الكلمة أَنْ نَحْمِلَه على الإِشْراك في «السَّمير» لنستفيد نحن بل الغاية منها حَمْلُكَ على المطالعة لكي تستفيد أنت. لكي تغذي عقلك كما تغذي جسّدك.

السَّمير: 27/ 11/ 1941

## شجرة العير

أينما سرت في شوارع بروكلن - وكل مدينة في لولايات المتحدة في هذه الأيام مثل بروكلن - رأيت الأشجار الخضراء إمّا أكواماً على الأرصفة أو صفوفاً متساندة على الجدران. والنّس يقفون عندها يقيسون بأعينهم طولها وعرضها وكبرها وصغرها. وتمرّ أيديهم بأغصانها وأوراقها كما تمرّ يد الماشطة بالغدائر والطّرر<sup>1</sup>.

لماذا جعل النّاس الشّجرة الدائمة الخضرة رمزاً للميلاد دون سواه؟

سؤال له جوابه عند المؤرّخين ولكنه جواب لا يجل<sup>2</sup> على كل شيء. فإنّ الإنسان منذ نشأ كانت الشّجرة له نعم الرفيق يأنس بمرآها وهي كاسية في الرّبيع. وتطرب روحه لحفيف أوراقها. ويستريح عند اشتداد الحر في ظلّها. أمّا إذا جرّدها الشّتاء من أوراقها وعزّاه من خضرتها ودبّ فيها اليبس فإنّ الإنسان يستفيد منها وهي أعواد جرداء كما كان يستفيد منها وهي أغصان خضراء. فيتخذ منها أعمدة وسقوفاً. أو يشيد بها جسراً أو يصنع منها فلّكاً. أو طاولة أو كرسيّاً أو ما شاكل ذلك من الأدوات. على أنّ شجرة العير تختلف عن سائر الشّجر فهي قصيدة بل صورة فتانة أبدعتها الأرض لتباهي بها. ولكنّ الإنسان الأناني لما رآها في جلالها وملاحتها أحبّ هو أن يتباهى بها فانتزعها من الأرض وحملها إلى البيت. وخلع عليها جلالاً من الأنوار والألوان. إنّما أجل الألوان فيها هو لونها الأخضر. فهو رمز الأمل والرّجاء وهو الرمز الذي يجب أن يكون في قلوب الأميركيين كلّهم في هذه الأيام الكثيرة الأثقال والكروب<sup>3</sup>.

يجب أن نتذكّر أنّ المسيحيّة لم تسطع أنوارها في جوانب الأرض إلّا بعد أن اندفق الدم على الصّليب ولاقى أتباعها المؤمنون بالمحبّة والسلام والإخاء البشري أنواع الإضطهادات والعذابات فرجموا وشتموا وسُجنوا وقتلوا. وشربوا السمّ.

فلولا الأمل الذي كان متمكناً في قلوبهم بأنّ هذه التضحيات لن تذهب ضياعاً لما استطاعوا القيام

بشيء منها.

1 الطّرر: الطّرة ما تترّين به المرأة من الشّعر المؤني على جبهتها بالقص والتّصنيف وهي القصّة ج طرّرت.

2 جَلَّ عَظُم.

3 الكروب: الحزن والغم ج كروب.

لنؤمن كلنا. كبيرنا وصغيرنا. إيماناً غير متزعزع بأن الغلبة أخيراً تكون للخير على الشر. وأن بعد هذه الزواجع صخراً<sup>1</sup> جميلاً وبعد هذا الليل صبحاً أجمل.  
فلنحتفظ بالثقة كما تحتفظ شجرة العيد بخضرتها حتى في الشتاء عندما تغمرها الثلوج الباردة.

السَّمير: 1941 / 12 / 23

## سنة 1942

ما اشتاق الإنسان إلى شيء شوقه إلى معرفة الغد المجهول وما في طيات الغد المجهول من حوادث وأمر.

والغد هو الطلسم<sup>2</sup> الأكبر واللغز<sup>3</sup> الأعظم الذي مضت العصور تتلو العصور والإنسان يحاول تمزيق الشر<sup>4</sup> عنه فيرجع عنه خاسئاً خائباً.

وسيقى الغد سراً مجهولاً خفياً ولعل من الخير كله أن يبقى مجهولاً مخجوباً.  
تصور أنك عرفت في هذا النهار أن صديقاً عزيزاً على قلبك ستصدمه<sup>5</sup> سيطرة وهو يجتاز الشارع بعد أسبوع أو شهر. أقماً كنت تقضي الأسبوع أو الشهر مرتاعاً مضطرباً كأنها قد وقع الخطب<sup>6</sup> الآن؟ وهل تظن أنك لو عرفت بما سيحدث يتسنى لك أن تمنع حدوثه وأنت هذا الكائن الضعيف الذي يشرب الماء ولا يدري كيف يسري في بدنه. ويأكل الطعام ولا يعرف كيف يتحول.

وهل إذا أتيت لك أن تعرف أنك ستحل بك خسارة مائة في وقت معلوم لا تغالط نفسك إذا جاءك إنسان آخر وقال لك أنك لن تخسر بل ستربح كثيراً في ذلك الوقت؟ وكيف لك أن لا تصدقه وهو قد أوتي معرفة المستقبل مثلك؟ لأنك عندما تتزحزح الحجب عن الغد لن تتزحزح لك وخذك بل لكل الناس على السواء فيصير الكل يعرفون ما وراء الحجاب مثلما يجهل الكل الآن ما تخبئ وراء الشر!

ولكن ما هو المحجوب الذي نتوق ونشتاق إلى معرفته؟  
لقد كانت الحياة دائماً دمنةً وابتسامة. وصحةً ومرضاً. وأملاً ويأساً. وقوة وضعفاً. وحباً وبغضاً.

- 1 صحت السماء تكشفت سحبتها. وصحنا النائم صخراً استيقظ.
- 2 الطلسم خطوط وأعداد يزعم كاتبها أنه يربط بها روحانيات الكواكب العلوية بالطبائع السفلية لجلب محبوب أو لدفع أذى والشائع على الألسنة طلسم كجعفر ج طلاسيم.
- 3 واللغز ما يُعتمى به.
- 4 الستار ما يُستتر به ج سر.
- 5 في الأصل ستدهسه عامية (تحريف) والصواب ستصدمه.
- 6 الخطب: الأمر الشديد الكثير فيه التخاطب ج خطوب.

ولقاء وفراقاً.

وهكذا هي الآن.

وهكذا ستكون في الغد.

قد تبدّل مظاهر العمران بما ابتدعه الإنسان من الوسائل وما يخترعه من الآلات. وما يستنبطه من الطرائق الجديدة فيمسي مثلاً يطهي طعامه بلا نار. وينتقل من مكان إلى مكان كذوات الجناح ويرتدي ثياباً لا تحترق ولا تتجعد. أو إنه يستغني عن الثياب والبيوت والمركبات أو إنه يهتدي إلى استخراج الضوء من الهواء وتوليد الحيوان عن غير طريقة التناسل.

ولكنه مهما صنع وابتدع فسيبقى الإنسان الذي يحزن ويفرح ويحجوع ويشبع. ويحب ويكره. ويرجو ويخشى. وينام ويصحو. ويحزن ويشواق. حتى بعد أن يطلع على ما في كتاب الغد من أسرار فهو لن يقف من الشوق عند حد ولن يقنع بشيء يحصل عليه ويصل إليه.

لذلك نقول أن هذه السنة الجديدة لن تختلف عن غيرها من السنين من هذه الناحية ولكنها ستختلف عنها بحوادثها الهائلة التي ستقرر مصير البشرية كلها. فنحن الآن على مفرق الطرق بين فكرة تحاول أن تثبت وجودها بالسيف والنار. وفكرة تحاول أن تضع حداً لفكرة السيف والنار. إن العالم في حرب. والحرب شرٌ. ولكن يظهر أنها شرٌ لا بد منه لكي تظهر<sup>1</sup> البشرية بالدم من آثامها ولكي تعود فتسير إلى هدف أسمي.

وعندنا أن الواجب على الإنسان الرّاقى أن يوجّه عنايته إلى استئصال جرثومة<sup>2</sup> الحرب كما وجّه عنايته من قبل إلى استئصال جرثومة الطّاعون والجُدري<sup>3</sup> وغيرهما من الأوبئة الفتّاة. وهذا الذي تفعله الآن أميركا حاملة راية الحرّية ورافعة مشعل الديمقراطية. وإننا لندرجو أن يسمّ لها ما تبغيه في السنة الجديدة. فينجلي هذا الليل الحالك الذي يغمر الأرض من أقصاها إلى أقصاها.

السّمر: 2 / 1 / 1942

## ما هي مقاصدك في سنة 1942؟

ما هي مقاصدك في سنة 1942؟

قل لنا هل فكرت في أن تكون لك مقاصد جديدة؟

1 تطهر أصلها تتطهر والناء للمطاوعة ويجوز حذفها من أول المضارع وهذه لغة سليمة بليغة.

2 الجرثومة: الأصل.

3 الجُدري حمى مغذية تتميز بطفح حليمي على الجلد يتقيح ويعقبه قشر.

أَمْ أَنْتَ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ إِذَا لَمْ تَأْتِ الْحَيَاةُ كَمَا يَحْتَسِبُونَ وَيشْتَهُونَ قَنِعُوا<sup>١</sup> بِهَا كَمَا نَجِيءُ؟<sup>٢</sup>  
مِنَ الضَّرُورِيِّ أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ هَدَفٌ يَسْعَى إِلَيْهِ وَيَحْنُ إِلَى بُلُوغِهِ.

لأنَّ النَّفْسَ الَّتِي لَيْسَ لَهَا هَدَفٌ مَعْلُومٌ هِيَ نَفْسٌ حَائِرَةٌ قَلْقَةٌ كَالْفَرَاشَةِ الَّتِي تَتَقَاذَفُهَا النَّسِمَاتُ لَا تَدْرِي أَيْنَ تَقَعُ وَلَا تَدْرِي أَيْنَ وَلَا كَيْفَ سَيَكُونُ وَقَوْعُهَا وَحَالَةُ كَهَذِهِ لَيْسَ فِيهَا سَعَادَةٌ وَهَنَاءٌ بَلْ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ.

قَدْ تَجِدُ ذَلِكَ لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ<sup>٣</sup> حَائِرًا فِي الْجَوَابِ عَلَى هَذَا السُّؤَالِ لِأَنَّكَ لَمْ تَتَفَكَّرْ مِنْ قَبْلُ فِي أَنْ يَكُونَ لَكَ هَدَفٌ جَدِيدٌ غَيْرَ الَّذِي سَعَيْتَ إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ. أَوْ أَنَّكَ تَعْتَقِدُ أَنَّ كُلَّ يَوْمٍ لَهُ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ وَمَا عَلَيْكَ أَنْ تَتَفَكَّرَ فِي الْغَدِ حَتَّى يَجِيءَ.

مِثَالُ ذَلِكَ صَاحِبُ الْحَانُوتِ الَّذِي تَبْتَاعُ مِنْهُ مَوْنَةٌ بَيْتِكَ فَهُوَ فِي الظَّاهِرِ لَا هَدَفَ لَهُ إِلَّا أَنْ يَبْقَى صَاحِبُ الْحَانُوتِ يَفْتَحُ بَابَهُ فِي الصَّبَاحِ وَيُوصِدُهُ فِي الْمَسَاءِ. يَسْتَقْبِلُ النَّاسَ عِنْدَمَا يَأْتُونَ بِأَشْيَاءَ وَيُودِّعُهُمْ بِأَسْمَاءَ.

قَدْ يَكُونُ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي يَلُوحُ لَكَ إِنْسَانًا لَا أَحْلَامَ لَهُ وَلَا أَهْدَافَ صَاحِبِ رَغَائِبٍ كَبِيرَةٍ وَأَهْدَافًا بَعِيدَةً يَرِيدُ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهَا عَنْ طَرِيقِ ذَلِكَ الْحَانُوتِ.  
وَقَدْ يَكُونُ كَمَا لَاحَ لَكَ نَفْسٌ خَاوِيَةٌ لَا يَطِيرُ فِيهَا حُلْمٌ وَلَا يُغْنِي رَجَاءٌ.

قَدْ تَكُونُ أَنْتَ صَاحِبُ هَذَا الْحَانُوتِ. وَقَدْ تَكُونُ عَامِلًا فِي مَصْنَعٍ مَضَتْ عَلَيْهِ سِنُودٌ وَهُوَ يَنْتَظِرُ آخِرَ الْأُسْبُوعِ لِيَقْبِضَ أَجْرَهُ وَيَسْتَرِيحَ. فَهُوَ لِأَنَّهُ أَلْفَ هَذَا النَّوعِ مِنَ الْحَيَاةِ لَا يَخْطُرُ فِي ذَهْنِهِ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ مَا هُوَ وَلَا يَعِينُ لَهُ أَنْ يَخْلُقَ لِدَايَتِهِ هَدَفًا جَدِيدًا سَوَاءً<sup>٤</sup> أَنْطَوَى عَامٌّ أَوْ أَنْطَوَى عُمُرٌ.

قَدْ يَكُونُ فِي أَعْمَاقِ هَذَا الْعَامِلِ الْكَادِحِ أَمَانِي هَاجِعَةٌ هَجُوعُ الْأَزْهَارِ فِي الشِّتَاءِ تَحْتَ لِحَافِ الضَّبَابِ تَحْلُمُ وَهِيَ بِسَجْنِهَا بِرَجُوعِ الزَّيْبِيعِ لِيَحْرِّرَهَا مِنْ قَبُودِهَا.  
وَقَدْ تَكُونُ نَفْسُهُ كَالْمُنْخُلِ لَا تَمْسِكُ مَاءً وَتَضْبِطُ ضِيَاءً.

إِنَّمَا وَجُودُ أَرْوَاحٍ لَا أَهْدَافَ لَهَا فِي الْحَيَاةِ لَا يَعْنِي حَتْمًا<sup>٥</sup> أَنْ تَكُونَ أَنْتَ بِلَا أَهْدَافٍ جَمِيلَةٍ وَنَبِيلَةٍ.  
إِنَّ السَّنَةَ الْجَدِيدَةَ لَا تَبْدُلُ النَّاسَ وَلَا تَخْلُقُهُمْ خَلْقًا جَدِيدًا. وَلَيْسَ الْغَرَضُ مِنْ هَذَا السُّؤَالِ أَنْ تَجْعَلَ مِنْ نَفْسِكَ شَخْصًا آخَرَ أَوْ أَنْ تُصِيرَ لَكَ أَحْلَامُ فَتَى وَأَنْتَ الْآنَ شَيْخٌ. وَلَا أَنْ تُصِيرَ شَيْخًا حَكِيمًا وَأَنْتَ الْآنَ فَتَى غَرِيرٌ.

١ فَنِعَ قَتَعَا رَضِي بِمَا أَعْطَيْتُ فَهُوَ قَانِعٌ جُ قَنِعَ.

٢ الْوَهْلَةُ: لَقِيَهُ أَوَّلُ وَهْلَةٍ أَيْ أَوَّلُ شَيْءٍ.

٣ سَوَاءٌ: سَوِيٌّ إِذَا كَانَ بِمَعْنَى غَيْرٍ أَوْ بِمَعْنَى الْعَدْلِ فِيهِ ثَلَاثُ لُغَاتٍ إِنْ ضَمَمْتَ الشَّيْنَ أَوْ كَسَرْتَ قَصَرْتَ وَإِذَا فَتَحْتَ مَدَدْتَ تَقُولُ مَكَانًا سَوِيٌّ وَسَوِيٌّ وَسَوَاءٌ أَيْ عَدْلٌ وَوَسْطٌ فِيهَا بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ.

٤ الْحَتْمُ: حَتَمَ بِكَذَا حَتْمًا قَضَى وَحَكَمَ وَحَتَمَ الْأَمْرَ أَحْكَمَهُ.



بل الذي نريد أن نقوله لك ونود أن نسمعه منك وتعيه هو أن في إمكانك مَهْمَا<sup>1</sup> تكن حرفتك أو مهنتك أو تجارتك أن تكون لك أهداف جديدة وآمال جميلة وأشواق نبيلة وإن لم تبدل شعرة في رأسك. وسواء كنت عاملاً أم تاجراً أم طبيباً أم فناناً أم صيرفيّاً أم مخترعاً ففي قدرتك أن تهجر قبيحاً إلى جميل وتهرب من عادة مضرّة إلى عادة مفيدة وأن تطرح بالياً وتلبس قشيباً<sup>2</sup>. وأن تكثر وتزيد عدد حسناتك وأن تقلل وتقص عدد هفواتك وسيئاتك.

وأنسب وقت للتفكير في هذا الأمر هو هذا الوقت لأنه بداية مرحلة جديدة في الدهر. فليكن بداية مرحلة في حياتك. مرحلة للخير والنفع في سبيل نفسك وفي سبيل وطنك. فليكن بداية مرحلة في حياتك. مرحلة تكون مفيداً لغيرك كما أنت مفيد لذاتك.

السّمر: 5 / 1 / 1942

## المكتتبون

الإكتتاب هو أن يتبرّع الإنسان أو يهب شيئاً لمساعدة مشروع أدبي أو علمي أو خيري وبعبارة أوضح وأوجز هو أن يشترك المرء مع جمهور في الإحسان أو البذل.

والمكتتبون عند كل الناس بدافع المحبة والإخلاص لرأية الخطوط والنجوم هم ثلاثة أصناف: إمّا رجل ذو مال يشعر أن للبؤساء حقاً في ماله لأنهم إخوان له في الإنسانية فيهب شيئاً من ماله لتنفيس كربة أو لتخفيف شدة أو لدفع مكروه.

وإمّا رجل ذو علم جعل قاعدته في الحياة قول زهير:

وَمَنْ يَكُ ذَا عِلْمٍ فَيَبْخُلْ بِعِلْمِهِ عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَفْنَ عَنْهُ وَيُذَمُّ

فهو لا ينفك يعمل بهذه القاعدة لكي تتم سعادته ويكمل الغرض من وجوده في الدنيا ومن وجود العلم في صدره.

والثالث رجل ليس بالغني الكبير ولا بالفقر الصغير ولكنه ذو همة وسعي وشعور فهو كالمكوك الذي يروح بخيط ويرجع بخيط حتى تصير الخيوط وشيعة<sup>3</sup> تصلح لأن تكون طيلساناً أو جبّة أو قميصاً.

1 مَهْمَا: اسم شرط جازم يجرم فعلين الأوّل يسمى فعل الشرط والثاني جوابه.

2 القشيب: الجديد.

3 الوشيعة خشبه يُلَفّ عليها ألوان الغزل والقصة يجعل فيها النّساج لُحمة الثوب والطريق في البرد وكل لفيفة وشيعة.

إن رجلاً مثل هذا كثيراً ما حرك الغني فبذل ووهب وحرّض العالم فخطب وكتب. وفضله لا يقل عن فضل الإثنين.

هؤلاء هم المكتتبون عند كل الناس. وبهم قامت المشاريع الكبرى فبُيّت المستشفيات والملاجيء وشيّدت المدارس والكنائس والمعاهد المختلفة.

أما نحن فعندنا هؤلاء كلهم ولكن عندنا غير هؤلاء صنف رابع ينبت كالفطر<sup>1</sup> كلما نزل مطر. أو يولد كالبعوض كلما جاء الصيف. وهو أولئك الذين كلما نبّت زهرة في بستان الخير العام حاموا عليها بالنعرات السامة. وكلما ارتفع صوت داع إلى الخير والإحسان ورأوا الناس يلثون النداء ويتبرعون بسخاء جاؤوا هم واكتبوا بالإعراضات السخيفة والمجادلات العقيمة فإن لم يزجوا الطائفة في موكب الإحسان جاؤوا بالنعرة البلدية مأرباً فدلّعوا<sup>2</sup> ألسنتهم بالطعن على كرام الناس لأن هؤلاء تقدّموا إلى التضحية والبذل ولم يتقدّموا بغيرهما!!

إن هذا الصنف من الناس يكاد يكون محصوراً عندنا وهذا من سوء حظنا بل هذا كله نتيجة ضعف فينا. لأننا لو كنّا أقوياء مثلما نحن أسخياء لما رضينا أن يكون هذا الصنف باقياً عندنا بل كنّا هذبناه ورقيناه ليدرك أنّه لا يليق به أن يكون حشرة عندما يكون الناس زهرة. ولا يحسن به أن يكون جرثومة<sup>3</sup> شرّ وشقاق وفي وسعِهِ أن يكون كغيره جرثومة خير وصالح ووفاق.

وأقبح من هذا أن يستمرّ كل الوقت يفكر بذاته وبغايته الصغيرة فكل إنسان قد أخذ على نفسه مَوثقاً<sup>4</sup> أن ينسى ذاته من أجل غيره. من أجل النفع العام.

إن هذا الصنف المشاكس المولع بالمخالفة والمعارضة لو انصرف إلى المعاونة والمساعدة لأفاد كغيره. ولكنه صنف مولع بالظهور وليس في وسعِهِ<sup>5</sup> أن يصل إلى ما يبغيه بالمال ولا بالعلم فهو يقرع ليلتفت الناس إليه.

ولأنهم ليلتفتون إليه ولكن ليصبّوا اللعنات عليه!

السّير: 29 / 1 / 1942

1 الفطر اسم يُطلعه على طائفة من الازهريات منها فصائل وأجناس وأنواع متعددة وتسمى أيضاً فطريات منها ما يؤكل ومنها ما هو سام وما هو طفيلي على الثبات واحده فطرة ج أفطار ونطور.

2 أدلّع لسانه أخرجته.

3 الجرثومة: الأصل.

4 الموثق الميتاق.

5 الوُسع جعله في القاموس مثلث الواو والسعة بالفتح والطاقة لِيَتَفَقَّ ذو سعة من سعة أي على قدر سعة.

## عَذْرُ الصَّلِيبِ الْأَخْمَرِ

يَصْنَعُ عَلَى أَيِّ إِنْسَانٍ أَنْ يَتَصَوَّرَ أَنَّ فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا إِنْسَانًا فِي جُمُوعِهِ دِمَاعٌ، وَبَيْنَ ضُلُوعِهِ قَلْبٌ يَتَصَدَّى لِمَعَاكِسَةِ مَشْرُوعِ إِنْسَانِيٍّ كَمَشْرُوعِ الصَّلِيبِ الْأَخْمَرِ.

وَنَحْنُ نُوَكِّدُ لِلنَّاسِ أَنَّ هَذَا الْإِنْسَانَ غَيْرَ مُوجُودٍ فِي أَيِّ مَكَانٍ مِنَ الْأَرْضِ. وَلَكِنْ بَعْضُ الْأَنَانِيِّينَ الَّذِينَ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَنْسُوا غَايَاتِهِمُ الشَّخْصِيَّةَ حَتَّى فِي الْأَوْقَاتِ الْعَصِيبَةِ فَيَذْهَبُونَ مَعَ رِيَاكِ الْأَغْرَاضِ، وَيَشْتَدُّ بِهِمُ الْهُوسُ، فَيَعْمَدُونَ إِلَى نَكَايَةِ الَّذِينَ يَضْحُكُونَ بِالْوَقْتِ وَالْمَالِ لَخِدْمَةِ الْمَشَارِيعِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْمَقِيدَةِ. فَيَنْهَضُونَ لِلْإِعْتِرَاضِ عَلَى رَجُلٍ بَذَلَ دَوْلَارَاتِهِ؛ لِأَنَّهُ بَذَلَهَا عَلَى غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَرِيدُونَ، أَوْ عَلَى جَمَاعَةٍ سَارَعُوا إِلَى الْبَذْلِ، وَالسَّعْيِ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَشَاوِرُواهُمْ قَبْلَ أَنْ سَعَوْا، وَبَذَلُوا.

إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُتَعَتِّينَ، الْمَغْرُضِينَ الَّذِينَ غَلَبَتْهُمْ أَهْوَاؤُهُمُ الدَّائِيَّةُ لَا يَسِينُونَ إِلَى الَّذِينَ بَذَلُوا أَمْوَالَهُمْ، وَضَحُّوا بِأَوْقَاتِهِمْ؛ بَلْ إِلَى مَشْرُوعِ الصَّلِيبِ الْأَخْمَرِ ذَاتِهِ. وَإِنْ كَانُوا يَقُولُونَ إِنَّهُمْ لَا يَقْصِدُونَ الْإِسَاءَةَ إِلَيْهِ.

إِنْ مَشْرُوعُ الصَّلِيبِ الْأَخْمَرِ مَشْرُوعُ الْأُمَّةِ كُلِّهَا، بَلْ هُوَ مَشْرُوعُ إِنْسَانِيٍّ بَحْتٍ<sup>1</sup>، يَتَقَدَّمُ إِلَى نَصْرَتِهِ مِنْ شَاءِ التَّقَدُّمِ إِلَيْهِ، بِالْمُسَاعَدَةِ الْمَادِّيَّةِ، وَلَا تُكْرَهُ جَمِيعَةُ الصَّلِيبِ الْأَخْمَرِ أَحَدًا عَلَى التَّبَرُّعِ، لِأَنَّهُ تَعْتَقِدُ أَنَّ مَا تَفْعَلُهُ وَاجِبٌ؛ لَا إِكْرَاهَ فِيهِ، وَلَا إِلتِزَامَ.

فَمَنْ كَانَ لَا يُعْجِبُهُ أَنْ يَتَبَرَّعَ عَنْ يَدِ لَجْنَةٍ تَأَلَّفَتْ، فَلْيَفْتَحْ كَيْسَهُ، وَلْيَتَبَرَّعْ لِلصَّلِيبِ الْأَخْمَرِ رَأْسًا.

أَمَّا أَنْ لَا يَتَبَرَّعَ، وَيَشَاغِبَ عَلَى الَّذِينَ يَتَبَرَّعُونَ، فَهَذِهِ صَغَارَةٌ وَخَسَاسَةٌ، وَلَوْ مَعْتِقٌ!

يَجِبُ أَنْ يَفْهَمَ الْمُشَاغِبُونَ أَنَّ مَشْرُوعَ الصَّلِيبِ الْأَخْمَرِ، مَشْرُوعُ أَمِيرِكِيِّ وَالَّذِينَ يَتَبَرَّعُونَ لَهُ، يَتَبَرَّعُونَ لَكُمْ أَمِيرِكِيِّينَ؛ فَبأيِّ صِفَةٍ يَعْتَرِضُ هَؤُلَاءِ الْمُعْتَرِضُونَ! أَبْصَفْتَهُمْ أَمِيرِكِيِّينَ أَمْ بِصِفَتِهِمْ أَجَانِبٌ؟! وَلِمَاذَا؟ وَهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَرِيدُونَ خِدْمَةَ الصَّلِيبِ الْأَخْمَرِ، لَا يَتَبَرَّعُونَ لَهُ؟ فَالطَّرِيقُ إِلَيْهِ غَيْرُ مُسَدُودٍ فِي وَجْهِ أَحَدٍ. وَدَوْلَارُ الْفَقِيرِ الْوَاحِدِ مَقْبُولٌ كَأَلْفِ الْغَنِيِّ؛ وَلَكِنَّ الْفَقِيرَ الَّذِي يَتَبَرَّعُ بِدَوْلَارٍ لَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَعْتَرِضَ عَلَى غَيْرِهِ إِذَا تَبَرَّعَ بِأَكْثَرِ مِنْ دَوْلَارٍ؛ كَمَا لَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُطْلَبَ مِنْ أَيِّ مَتَبَرَّعٍ أَنْ يَشَاوِرَهُ قَبْلَ أَنْ يَتَبَرَّعَ! إِلَّا إِذَا كَانَ لَهُ فِي مَالِهِ حَصَّةٌ، أَوْ لَهُ عَلَيْهِ وَصَايَةٌ!

نَحْنُ لَا نَرِيدُ أَنْ نَتَصَوَّرَ أَنَّ بَيْنَنَا أَنَاسًا يَطِيبُ لَهُمْ أَنْ يَشَاغِبُوا حَوْلَ مَشْرُوعِ الصَّلِيبِ الْأَخْمَرِ؛ لِأَنَّ الْمَسَامِيحَ غَيْرَ مُسْتَعِدَّةٍ لِقَبُولِ هَذِهِ الْأَصْوَاتِ الْمُنْكَرَةِ.

أَمَّا إِذَا وَجَدُوا، فَإِنَّا سَنُسَلِّطُ الْأَنْوَارَ الْكَشَافَةَ عَلَيْهِمْ، لِكَيْ يَفْتَضِّحُوا وَيَبُوءُوا بِالْحِزْبِيِّ وَالْعَارِ.

1 البحت: الصرف الخالص لا يخالطه غيره يقال خبز بحت غير مَادُومٍ وعَرَبِيٍّ بحت.

لا راحة عندنا لإنسانٍ لا يتحرَّك عِرْق الرِّحمة في قلبه في هذا الموقف .  
ولا تساهل مع أناسٍ كلِّما خَفَضَتْ لهم جُنَاح<sup>1</sup> الرِّفقِ تَرَدُّوا واستأسدوا، أو شَمَخُوا وعَرَبَدوا.

السَّمير: 4 / 2 / 1942

## ما هي أسباب الثروة

يجدر بنا قبل أن نتكلَّم عن أسباب الثروة أن نسأل: مَنْ هو الثَّرائ؟  
إنَّ القاموس لا يعرفُ الثَّرائ إلَّا بأنَّه «المهذار الصَّيَّاح» ولكنَّه يعرفُ الثروة فيقول إنَّها الإكثار مِن  
الكلام وترديده ويعرِّف «الثَّرائة» بأنَّها المرأة الكثيرة الكلام.  
ولكنَّ هذا التعريف لا يَصوِّرُ لنا الثَّرائ صورة كاملة. لأنَّ كثرة الكلام وحدها ليستُ عيباً إلَّا إذا  
كانت في غير طائِل ولا معنى للكلام المرْدَّد. ولو أنَّ الكلام الكثير وحده هو العيب لكانتُ الحيوانات  
العجباء أميرة الفضائل!

لا. ليس الكثير الكلام وحده هو الثَّرائ. بل الثَّرائ هو الذي يتكلَّم في أمور فوق مفهوميته  
ويتحدَّث في قضايا لا تعنيه. ويُطَبِّقُ لسانه في كُلِّ ناحية لغير قصد أو لقصدٍ سخيف هو أن يظهر بمظهر  
الإنسان المُطلَّع العليم.

أما أسباب الثروة - ولكل شيء أسباب فهي ضَعْف في عقل الثَّرائ وهِمَّة وصِغَر في نفسه ووهنٌ  
في المنطق.

أمَّا الضَّعف العقلي فالدَّلِيل عليه أنَّ الثَّرائ يترك الإهتمام بالشؤون التي تعنيه إلى الإهتمام بشؤون  
لا تعنيه وليس مِن حقِّه ولا في طاقته أن يعالجها.

وَمَنْ تعرَّض لما لا يعنيه إدَّعى ما ليس له وما ليس فيه. وكلا الأمرين يدلُّ على سوء الأدب.  
وَمِنْ أسباب الثروة فراغ في ناحية مِن جُمُجُمَةِ الثَّرائ يشعرُ هو بوجوده ويخشى أن يشعر الناس  
به فيندفع يتكلَّم لعلَّه يصرف الأفكار عنه فيفضِّح نفسه مِن حيث أراد سترها!  
إنَّ أكثر ما تهتزُّ الشُّبلة عندما تكون فارغة.

ولا تخشخش أوراق الشَّجر إلَّا عندما تيبس. أمَّا وهي خضراء نديَّة فإنَّ صوتها يكون حفيفاً لطيفاً  
تأنسُ به المسامع وتنسبط له النفوس.

إنَّ النَّهر الكبير يسير هادئاً صامتاً أمَّا الشَّاقِيَّة فإنَّها لا تنقطع عن الثَّرائة.  
ولا تنحصرُ الثَّرائة في الألسنة فكم هناك مِن الأعلام الثَّرائة التي قلَّ محصولها مِن بضاعة الأدب  
فهي تتناول الشيء الجميل وتمسخه لعقمها<sup>1</sup> قبحاً وبشاعة. أو إنَّها تطنُّ كالذُّباب على وتيرة واحدة. ما

1 الجُنَاح: الحَرْج والإثم.

تقوله اليوم تقوله في كل يوم. تبدل الدنيا ويتبدل الناس وهي لا تفارق نغمتها البليدة. ولا تغدل عنها إلى نغمة جديدة لأن قوة التمييز فيها معدومة وهي لانعدام هذه القوة فيها لا ترى عيوبها وإن كانت عيوباً مكشوفة لعيون الناس كلهم.

ما عرفنا كاتباً بليغاً إلا وعرفنا فيه قوة التمييز بين المعنى الشخيف والمعنى الزائع وبين الرأي الفائل<sup>2</sup> والرأي الثاقب. بين اللفظ الموافق واللفظ غير الموافق.

وما طلع علينا كاتب بلغة ركيكة وألفاظ هزيلة وأسلوب أعجمي إلا ودلنا بكتابتته على أنه سقيم الذوق مظلم النفس بارد الذهن يزاول صناعة القلم وهو لم يخلق لها.

وما أكثر هؤلاء الأدعياء بيننا فإنا نعرف واحداً منهم لا يحسن التمييز بين كلمة «الآجر<sup>3</sup>» وكلمة «الآجر» فيلفظ الثانية كالأولى ويعد نفسه من رجال الصحافة في المهجر.

ونعرف واحداً آخر لا يفرق بين التاء الطويلة والتاء المربوطة وهو يزاول الصحافة!

ونعرف - لا عرف أحد مكروهاً - واحداً آخر قضى عمره يشم رائحة الجبر ولا يزال يشمها ولكنه لا يزال حتى الساعة كأنه خارج من الكتاب يحتاج في كل يوم إلى من يعلمه كيف يكتب. أمّا هو فيتوهم أنه أكتب الكاتبين. لله ما يفعل الغرور.

إن المصيبة في الثرثار المتهذّر المتكلم لا تتعدى سامعيه وقليل ما زادوا عن خمسة أمّا الكاتب المتهذّر الثرثار فالمصيبة به تقع على جمهور كبير.

ومن نكد الحظ أن يكون المهاجرون من قومنا هم المبتلون أكثر من غيرهم بأهل الثرثرة من الكتاب.

وأعظم نكداً<sup>4</sup> من هذا أنهم يدفعون ثمن هذه الثرثرة وقتاً ومالاً.

فهل صبرهم على أهل الثرثرة كرم وسماحة أم عجز؟!

السّمير: 1942 / 2 / 21

## ما هو الألم؟

هلاً - سألت نفسك - والعالم المسيحي كله يحتفل بذكرى آلام الصليب - ما هو الألم؟

إن من لا يسأل لا يصل إلى المعرفة. فاسأل ذاتك واسأل غيرك. واسأل الحياة حولك. فإن ألم

- 1 العقم: العقيم لا يولد له وريح عقيم لا تُلِفح سحاباً ولا شجراً ويوم القيامة يوم عقيم لأنه لا يوم بعده.
- 2 الفائل: الفأل أن يكون الرجل مريضاً فيسمع آخر يقول يا سالم أو يكون طالباً فيسمع آخر يقول يا واحد. يقال نفال بكذا بالتشديد.

3 الآجر الذي يبنى به فارسي معرب.

4 النكد: رجل نكد أي عسير ونكد عيشه اشتد.

النَّفْس لا يهدأ ولا يستكين ما دمتَ تحنُّ إلى شيء فلا تدركه.

أجل. إنَّ الألم هو نتيجة واحد من أمرين إمَّا خسارة شيء ثمين في حوزتك. وإمَّا الشوق إلى شيء لا تتمُّ سعادتك إلا بالحصول عليه ولكنه ليس في حوزتك.

ونحن هنا نتكلَّم عن آلام الرُّوح لا آلام الجسد. فإنَّ جراح الجسد تلتئم وتندمل. وأمَّا جراح الرُّوح فلا التئام لها ولا اندمال إلا إذا أسعفتها الأيام فبلغت ما تشتهي وتتمنى.  
لو درستَ الحياة من جميع نواحيها لوجدتَ أنَّ للألم اليد الأولى والطولى<sup>١</sup> في كلِّ ما تشاهده من المحاسن والزَّوائع والكمالات.

خذ مثلاً هذه الأزهار التي اخذتَ تطلُّ علينا في هذا الشَّهر من الشُّفوح والرُّبى. وتغازلنا بالحاظيها من وراء نوافذ حوانيت الزَّهر في المدينة. فهذه لم تخرج إلى الدُّنيا من رَحِم الأرض إلا بعد عراك عنيف تألَّمت معها ذرَّات التُّراب التي كانت تعيش بينها وتمتصُّ عروقها منها الغذاء.

وانظر إلى النُّجوم المتألِّقة في الفلك أتعرف حكايتها. أتدري كيف ولدت؟ وكم رافق ولادتها من العذاب؟

إنَّ كلَّ ذرَّة من ذرَّات النُّور التي تصلُّ إلى الأرض. وما أسرع سير النُّور. لا تبلغ الأرض إلا بعد عراك مع الأثير.

واسمع الطُّيور تغرَّد.. أتدري لماذا تغني الطيور؟ إنَّها على الغالب لا تغني إلا لأنَّها نجت من عذاب أو لأنَّها تحاول أن تنطلق بالغناء من سلاسل الألم والعذاب فهي في نواحيها تبكي على أليف بعيد. وهي في صداحها تحنُّ إلى عيش رغيد أو إلى مرج. أو إلى غدير. أو إلى عُش. أو إلى حالة تهواها.  
إنَّ الألم يطهرُّ النفوس من الأدراں واللُّوثات فتصفو وتلمع وتنير. ولولا هذه النفوس التي طهرَّها الألم لما وصلت الحضارة إلى مستواها الرِّفيع. ولبقي الإنسان كما كان في أوَّل نشأته يلجأ إلى المغاور والكهوف ويقنع من الدُّنيا بأنَّه يأكل ويشرب وينام.

إنَّ الألم هو الذي أوجد الأنبياء والشعراء والفنَّانين والفلاسفة والمُخترعين وسائر الذين نسميهم نوابغ.

والألم هو الذي أوجد نيران الثورات الإصلاحية في العالم فخرجت من تلك النيران أممٌ حرَّة طليقة من قيود الماضي وأغلاله.

بالألم يولد الإنسان. وللألم يولد. لأنَّ الألم ابن الإحساس والإنسان أكثر المخلوقات إحساساً وكلِّها رقيق حسُّه وصفاً كان ألمه أعظم وأعمق وأبعد مدى. لأنَّ صاحب الإحساس الدقيق يتألم لغيره كما يتألم لذاته. أمَّا الذي قسا شعوره وتحجَّر ضميره فهذا لا يتألم كثيراً ولا يُتظر منه أن يشعر مع سواه.

١ الطولى تأنيت الأطول والجمع الطول مثل الكُبرى والكُبرى.

فإذا مشيتَ غداً إلى الكنيسة. أو رأيتَ الناس يسرون إليها للاحتفال بذكرى المصلوب فاعلم  
أنهم يحتفلون باسمي وأنبل من تألم. وهو الناصري الذي احتمل الإضطهاد والعذاب ورضي أن  
يساق إلى الصليب وأن تُدق المسامير في يديه ورجليه لكي يعلم البشرية معنى التسامح والتضحية في  
سبيل الغير. حتى ولو اقتضى ذلك الجود بالنفس فهو لم يكتف بأن عذب نفسه بالصوم أربعين يوماً  
في البرية. ولم ينع بأنه علم وكرز وضرب الأمثال. بل مشى إلى الموت مشية مؤمن بالحياة. وقد مرت  
الأجيال تتلو الأجيال وتلك الذكرى تزداد جلالاً وجمالاً كلما مرت بالمخيلات وطافت بالأرواح.

وبينما دول تمضي ودول تحيي. وعروش تهوي وعروش ترتفع. وأمم تندثر وأمم تولد. كانت  
المملكة الروحية التي بناها الألم على الجلجلة منذ ألف وتسعمائة واثنين وأربعين سنة يغمر سلطانها  
الأرض من المشرق إلى المغرب وهي المملكة التي لا يقوُضُ السيف دعائمها وإنما يقوُضها أن يرجع  
الإنسان كالحیوان الأعجم لا يحسُّ الحزن لمصاب غيره ولا يحفزُه حافز إلى السعي للإرتفاع بذاته إلى  
مرتبة أعلى.

أما وقد عرفتَ بركات الألم فما أحراك أن تشفقَ على الذين يتألمون أو الذين لا يستشعرون  
الألم!!

السَّمير: 3/4/1942

## مات حكيمي

رَجَعْتُ منذ يومين بالذكرى إلى أيام طفولتي فانتصبتُ أمامي صورتي وأنا ولد صغير ملقى على  
فراش المرض والحُمى تلهبُ دمي. ومن وراء هذه الصورة لاحَت لي صورة الضيعة الصَّامِتة في أيام  
الشَّتاء لا يسمعُ فيها غير تساقط الماء من المزاريب أو ولولة الرياح وراء البيوت.

في ذلك الشَّتاء كان في الضيعة أولاد كثيرون أصيبوا بالتيفوس وكنت أنا من هؤلاء الأولاد.  
وكانت وطأة هذه الحُمى<sup>1</sup> الخبيثة ثقيلة بحيث لم يخل بيت من أم ساهرة إلى جانب فراش طفلها  
تتضرعُ إلى الله أن يشفيه.

وبينما الناس ينزوون في البيوت حول المواقد خوفاً من الرياح القارصة والثلوج كان هناك رجل  
لا ينزوي من وجه عاصفة ولا يقعده عن المسير تراكم الثلوج في الطرقات. يخرج من بيته ليدخل إلى  
البيوت متفقداً المرضي مستعيناً بعلمه وذكائه وهمة الشَّباب على مكافحة ذلك العدو الخبيث الذي  
هاجم الضيعة واحتلَّ أكثر بيوتها. وهو - حُمى التيفوس!

كان هذا الرجل المفرد جيشاً في شخص. وكان الرَّجاء يدخل إلى البيوت عندما يُطلُّ عليها.

1 الحُمى عله يستجيز بها الجسد وهي أنواع كثيرة منها التيفود والتيفوس.

هو الحكيم أمين الجميل الذي نَعَتْهُ إلينا جرائد بيروت الأخيرة!  
ولطالما رأيته بعد إبلالي<sup>1</sup> من المرض يسير بقامته الطويلة ووجهه الهاديء الرّصين فكان يلُوحُ لي  
كأنّه بطل من أبطال الأساطير.

ولقد مرّت الأعوام تتلو الأعوام وانمحتْ بالبعد من ذهني صور كثيرة إلا صورة هذا الحكيم  
المنقذ وصُور الكروم والحقول التي كنتُ أُمِرْحُ فيها. وصُور الأشجار والسّواقي التي كنتُ أَلْعَبُ  
حولها وغروب الشّمس وطلوعها في سماء لبنان.

ومن الغريب أنّي لما بعدتُ عنه عرفته أكثر. لأنّي صرّتُ أفهم قيم الأشياء أكثر. فهو لم يكن طبيب  
أجساد فحَسَبُ بل طبيب نفوس وأخلاق أيضاً فكم قرأتُ له من المحاضرات القيّمة والمقالات المفيدة  
والأبحاث الجليلة.

ولكم سمعتُ عن مساعيه الأدبية والعلمية والاجتماعيّة لترقية الحياة في لبنان وتنقيتها من  
الشّوائب والأدران حتى كأنّها هو مسؤول وخذّه عن كل هذا.

ولطالما<sup>2</sup> تذكّرته فقلت في نفسي: ماذا ترى كان يكون مصير أولئك الأحداث الصغار في تلك  
السنة لولا وجود الحكيم أمين الجميل؟

إنّ كثيرين من الأطفال ماتوا في الضيّاع والقرى لعدم وجود حَكِيم عندهم كهذا الحكيم.  
ولا تزال الأمراض حتى في أيامنا تحتاج أرواحاً كثيرة إمّا لقلّة الأطباء وإمّا لعجز الكثيرين المادّي  
عن الإستعانة بالأطباء في الوقت اللازم.

ولطالما كنتُ أقلبُ الجرائد البيروتية ولا قصد لي إلا أن أرى فيها شيئاً لحكيمي أو شيئاً عنه. أمّا  
الآن فلم يبق سبيل إلى هذا الأمر لأنّ الحكيم الذي كان معنا أصبح اليوم في غير دنيانا.

أجل. مات أمين الجميل الذي كان نَبْرَاس<sup>3</sup> رجاء ويَنبُوع شفاء..  
فأنا الذي لم أستطع أن أفيّه شيئاً من فضله عليّ في حياتي أذرفُ دُمعة سَخِينة<sup>4</sup> على طيبي الذي  
أنقذني من برائن الحمى الفتّاكة.

أحسن الله إليك أيّها الحكيم الأمين كما أحسنتُ إلى محيطك وقومك.  
وإلى جميع آلك. آل الجميل الكرام في الوطن والمهجر تعازي القلب الشّاعر بالخسارة الفادحة التي  
أصابَتْ الطّب كما أصابَتْهُمْ بفقد الأمين.

السّمعير: 14/4/1942

1 إبلالي: وبَلَّ الرُّجُلُ وأَبْلَّ إذا بَرَأَ.

2 طال فعل ماضٍ ليس له فاعل وما زائدته مثل قلماً وكثر ما وفي اللغة العربية ثلاثة أفعال فقط لا فاعل لهم.

3 النّبْرَاس: بالكسر المصباح.

2 السخينة: يقال أسخن الله عينه وبعينه أنزل به ما يبكيه لأنّ دموع الحزن تكون ساخنة وعكسه قولهم: أقرّ الله عينه.



## كيف تتفَلَّت مِن هُمُومِكَ

ليس مِن معلِّم للإنسان مثل الطَّبيعة ولا يستفيد أحدٌ مَّا تلقَّيه عليه مِنَ الدُّروس إلا إذا أطاعها وعمل بمشيئتها. فإذا أخرجَكَ هَمُّ يَتَوَاتَبُ في جِوانِحِكَ ويضيقُ عليه مسالكُ الرِّجاء فاعمل كما يعمل العصفور الذي ينفُض جناحيه في الثُّور فيسترجعُ نشاطه ويطير مِن مكانه إلى مكانٍ آخر فيغيب عن مشاهد لا ترضيه إلى مشهد يفتنه ويستهوِّيه.

نحن الآن في الرَّبيع المقدِّمة الجميلة لكتاب الصَّيْف فما أحرَّكَ أن تطالع هذه المقدِّمة التي تثير بك الشُّوق إلى الكتاب ذاته.

أجل إنَّ الصَّيْف قد جاء إليك بموكبه الفَتَّان وهذه هي بشائره وعلائمه تتراءى حولك في الأشجار التي تلبس الورق الأخضر. وفي الأزهار التي تخرج مِنَ الأرض بأصباغ وألوان مدهشة. وفي السَّماء الصافية التي ترشُّ عليك نجومها الفضيَّة وشاحاً لطيفاً.

فقم ورحِّب بهذا الزائر الجميل واصنع إلى ترانيمه وأناشيده فتَنسَى الكثير مِن هُمُومِكَ في هذه الأيام وتكتسب قوَّة ونشاطاً في رُوحك وجسمك.

لا تقلْ أن نفسك مغمومة ولا شوق فيها إلى شيءٍ مِنْ هذه الأمور. فإنَّ هذا الزهد المُستحوذ عليك هو القيد الذي يجب أن تحطِّمه بكل وسيلة ولن تحطِّمه بالقعود في البيت ولا بزيارة صديق لك لأنَّ القعود في البيت يملكك على الإرسال في الهَمِّ إذ لا مؤنس لك فيه. وحيث لا مؤنس فهناك الوحدة والوحشة والإكتئاب.

أمَّا الصَّدِّيق الذي تزوره لكي تتسلَّى فإنَّه مثلك في الهَمِّ والإكتئاب. وليس في قدرة الجريح أن يداوي جريحاً. كلاهما بحاجة إلى علاج الطَّبيعة التي تهيمُ لكما ولكلِّ النَّاسِ مِنْ أسباب الأُنس والبُهْجة ما لا يقدر عليه ملك ولا سلطان ولا إمبراطور. وهي لا تتفاضلك شيئاً إلا أن تذهب إليها وتفتح عينيك على محاسنها ومفاتيحها العجيبة.

هناك - في ساحتها - تتلاشى هُمومك ويتساقط الصَّدَأُ عن رُوحك فترجع صقيلة لماعة وتحسُّ عندئذ بأنَّ هذه الحياة ما زالت جميلة بالرَّغم مَّا فيها مِنَ المتاعب والمصائب والآفات. وتشعرُ وأنت معها أنَّها تُشكرُكَ بدون أن تسقيكَ خمراً.

والطَّبيعة تلهمك وتسليِّك وتقويك في وقت واحد ولا يزول تأثيرها كالمخدر. فاتَّخذها صديقاً ورفيقاً ولا سيِّماً<sup>1</sup> في هذا الوقت وأنت الرَّابِع.

السَّمير: 1942 / 4 / 20

1 لا سيِّماً: كلمة يستثنى بها وهي سيِّئ ضم إليه «ما» ولك في المنشئى بها الرفع والجزء.

## أوراق الخريف

طلعت في بستان الأدب الصافي ريحانة نديّة عبقة. ولمعت في سماءه نجمة زهراء متألقة وهي ديوان «أوراق الخريف» للشاعر العذب القافية الرائق الأسلوب ندره حداد الذي لا ندري لماذا دعا ديوانه «أوراق الخريف» وكل ما فيه ورود ورياحين تفوح منه روائح الشباب لأنها من حقوله خرجت وبهائه ارتوت. ومن ديباجته<sup>1</sup> استعارت ديباجتها.

أجل، لا ندري لهذه التسمية سبباً إلا أن يكون التواضع المتصيف به الشاعر حمّله على أن يسمي الشيء بضده تاركاً لغيره أن يهتدي بذاته إلى الاسم الحقيقي!

ليس ندره حداد بالشاعر المجهول من الناس ليعرفه إليهم. فهو ما برح منذ عهد بعيد يعزف على قيثارته أعذب الألحان لأبناء الضاد في هذا المهجر فتجتار أغايه المحيط إلى بلاد الضاد.

وهو في كل قصائده ومقاطعته ذلك الشاعر الهاديء الأحلام الزاهد في الدنيا وما فيها من حطام<sup>2</sup> لأنّ للشاعر دنياه التي يأوي إليها كلّما استحوذ على نفسه الضجر من دنيا الناس فيجد ذاته. ويسعد بذاته كأنه في ألف جوق<sup>3</sup> من أجواق الطرب. وكأنه في قصر من ذهب.

ومن يعلم لعلّ هذا الشاعر كان غديراً قبل أن صار إنساناً. أو لعلّه كان بنفسجة. فإن فيه من الغدير أناشيده الرقيقة المسكنة للهموم وفيه من البنفسجة تواضعها.

ومن لا يلذه أن يصغي إلى صوت الغدير المترقّق ولا سيّما عندما يأتي إليه ويلقي بذاته بين يديه كتابا اسمه «أوراق الخريف».

يقع الديوان في أكثر من مائتي صفحة وهو مطبوع طبعاً أنيقاً وفيه أجمل قصائد الشاعر ومفتّح بمقدمة لطيفة بقلم الكاتب المفكّر وليم كاستفليس وثمان النسخة ثلاثة دولارات. ولا حاجة بنا إلى حضّ محبّي الأدب على اقتناء هذا الديوان فإن أقل ما يجزى به الشاعر أن يتهافت الناس على مائدته فيشربون ما سكّب لهم من خمور ويأكلون ما أعدّ لهم من فاكهة..

السّمر: 1942 / 4 / 21

1 الديباجة: ديباجة الكتاب فاتحته ويقال لكلامه وشعره وكتابته ديباجة حسنة أسلوب حسن.

2 الحطام: من كلّ شيء ما تكسّر منه وحطام الدنيا متاعها.

3 الجوق الجماعة من الناس ج أجواق.

## يا ليتني سكر

لقينا صديق يميل إلى الدعابة فكانت فاتحة الحديث بيننا بعد السلام موضوع «الشكر» وتقنيته بحيث لا يحصل الإنسان الفرد رجلاً كان أم امرأة وغنياً أم فقيراً، إلا على نصف بوند في الأسبوع فقال: ليتني كنتُ سكرًا.

قلنا: إلَكي يا كلك الناس ويشربوك؟

قال: وأي إنسان لا يصير في آخر الأمر طعاماً للدُّود؟

فعبسنا لهذه الفلسفة التي لا شيء فيها من الدعابة وقلنا له: يظهر أنك قد صرت من مذهب المتشائمين القانطين الذين لا يروون في الحياة شيئاً يستحق الإهتمام.

قال: ومن أخبرك أنني صرت من هذا المذهب فأنا ما زلت على ضده. وإذا كنتُ اشتهيتُ بأنِّي سكرٌ فلأن السكر في هذه الأيام أرفع مقاماً وأعلى قيمة من الياقوت والمرجان والعقيق والألماس! ألا ترى أن ربّات البيوت يحرصن على ذريّات السكر أكثر مما يحرصن على الحليّ! ألا ترى الحكومة كيف تحدّد للناس مقدار السكر في كل أسبوع ولا تحدّد لهم مقدار الألماس الذي يجب أن يشتروه!

فأنا عندما تمثّيتُ أن أصبح سكرًا لم أود أن أصبح مأكولاً أو مشروباً بل أردتُ أن ترُمّقني الحكومة بعنايتها وحراستها فلا يستأثر بي صاحب الشلطان ولا ذو مال. ولا يرتفع شأنِي عند السيدات فلا يسرفن بي ولا يتذلّنين.

فضلاً عن أن صيرورتي سكرًا خيرٌ وأفضل من صيرورتي الماساً أو ياقوتاً أو زمرداً فإن الألماس والياقوت والزمرد وغيرها من الجواهر مثل كل الحجارة لا تتحوّل إلى شيء آخر. ولذلك لا يستفيد بها الناس إلا الزينة. أمّا السكر فإن قيمته الكبرى ليس في بياضه ولا لمعانه ولا ثقله ولا خفته بل في أنه يؤكّل ويشرب فيذوب فيتحوّل في الجسم إلى حرارة وقوة..

أو أنه يغلى ويستقطّر ويُستخرج منه الكحول التي يُحتاج إليها في كثير من العقاقير والأدوية والأشربة.

إن النحلة تقضي نهارها في الحقل من زهرة إلى زهرة لكي ترجع وفي جوفها من الشهد قطرة وما الشهد إلا سكر راق!

فهل رأيت نحلة وقعت على حجرٍ من الألماس اللّمع لو في إصبع ملكة؟!

فضحكنا وقلنا: وإلى أين الآن ذاهب. إلى الحقل كالنحلة لتجني الشهد؟ أم أنت ذاهب لتوزّع

فلسفتك هذه في البيوت والخوانيت؟

قال: كلا. بل أنا ذاهب علّني أحصل على وثيقة تكفل لي نصف بوند من السكر في كل أسبوع.

فضحكنا وقلنا له: إذا كان شوقك إلى الحصول على نصف بوند من السكر قد جعل منك فيلسوفاً فكيف بك إذا تم لك ما تتمنى وصرت أنت سكرًا..

السَّمير: 5/5/1942

## نور ونار

هذه الجريدة نور ونار!

هي نور هداية ورحمة للذين التفت بهم غيوم البؤس والنحوس وتطاول عليهم ليل الضيق والضنك.

وهي نار تنقّض نيازك وصواعق على رؤوس أهل النفاق والتدجيل تذيب جلودهم فتنتشر. وتَصْهَر<sup>1</sup> أكبادهم فتتفطر<sup>2</sup>.

هي مع الحق تؤيده في كل مكان وفي كل وقت.

وهي على الباطل تقاتله في كل مكان وفي كل وقت.

لا تفترى على أحد ولكنها لا تسكت عن مُفْتَرٍ<sup>3</sup>.

لا تنكر لإنسان فضلاً ولكنها لا تعترف لإنسان بفضلٍ ليس له وتكذبه إذا ادّعاه. لكي تعود الأشياء إلى أصحابها. ولا يدخل المتطفلون إلى البيوت من غير أبوابها.

يقول لنا بعض الأصدقاء: لا تنزلوا إلى حومة يتمرغ فيها السفهاء. وهم يقصدون أن لا نلتفت إلى الذين يتناولون علينا من زعانيف<sup>4</sup> الأدب وخنافس<sup>5</sup> الصحافة.

ونحن مع احترامنا رأي هؤلاء الأصدقاء نرى أن حياة الصحافي الحر لا تيم إلا إذا تمشى على الشُّنن الطبيعية التي يتمشى عليها كل البشر الرّاؤون.

فأنت لا تدير ظهرك للذئب إذا سطا على غنماتك. ولا تقف تتفرّج على الثعلب وهو يتسلّل إلى دجاجاتك. ولا تدع الجرّذان<sup>6</sup> تعبث<sup>7</sup> في بيتك بل كلّما شعرت بالذئب قادماً ليفترس شاتك أو عنزتك أسرعت إلى البندقيّة لتقتله. وإذا عرفت أن ثعلباً يتسلّل إلى دجاجاتك نصبت له فخاً أو أعددت له

1 صَهَر الشيء بالنّار ونحوها: أذابه.

2 فَطَر: انْفَطَر الشيء انشَقَّ.

3 الْمُفْتَرِي: افترى القول اختلقه.

4 الزَّعِيفَةُ: بالكسر والفتح القصير والقصيرة والرّذل والفيّطة من الثوب أو أسفله المتخرّق والداهية ج زعانيف.

5 الخنافس: الخنفسة الدّويبة السوداء ج خنافس.

6 الجرّذان الكبير من الفئران ج جرّذان.

7 عَيْثَ عَيْثاً لعب وعمل ما لا فائدة فيه.

العصا. أمّا الجرّذان فتقاتلها بالشّم!

فإذا كان هذا شأنك والإعتداء واقع على شاة أو دجاجة أو بعض الطعام فما قولك إذا كان الإعتداء واقعاً على شرفك وسُمعتك؟!

إنّ الدسّاس<sup>1</sup> المرّجف<sup>2</sup> ليس عدو الذي يدُسُّ ويختلق عليه وخذ بل هو عدوّ كلّ إنسانٍ شريف بل هو عدوّ الشّرف والمروءة.

هو أشرُّ من اللّص الذي يتربّص بك في الأزقة المظلمة ليغدير بك. وهو أضرُّ من الأفعى التي تبيخُ سمّها في طعامك وأنت غائب أو نائم. هذا هو عدوّنا وعدو كل أميركي.

هذا هو الذئب والثعلب والجرّذ في شكل إنسان!

فمن من الناس يتسامح مع عدوّ مثل هذا؟!

لا يزعم أحدٌ أنّ في الشكوت عن أهل اللّوم والفساد خيراً. فما رأينا بثرة<sup>3</sup> خبيثة زالت من جسم الإنسان إلّا بالمباضيع. ولا رأينا شارعاً نظيفاً لم تكسح<sup>4</sup> وجهه المكنّس<sup>5</sup>.

إنّ خدمة الخير والصّلاح في الحياة تتمّ بإحدى واسطتين إمّا بتعزيز الخير ذاته مباشرة<sup>6</sup> وإمّا بمقاتلة الشرّ ليتزحزح<sup>7</sup> عن طريق الخير. ونحن لهذا كما نحن لذلك.

السّمير: 9 / 5 / 1942

## المكان والإنسان

للأماكن والبقاع شخصيات مثل الناس. ومثلما يكون للأماكن تأثير على البشر الذين يولدون ويعيشون فيها كذلك للإنسان تأثير على المكان الذي يقيم فيه.

خذ مثلاً حديقة فيها الشجر الوارف والأغراس المتناسقة والأزهار المختلفة الألوان فهذه لم توجد في الأرض كما رأيتها من تلقاء ذاتها. بل الذي جعلها كذلك هو الإنسان الذي يهوى الجمال في الطّبيعة

1 الدسّاس الثّمام.

2 المرّجف: والإرجاف واحد أراجيف الأخبار وقد أرجفوا في الشيء أي خاضوا فيه.

3 البثرة: البثر نفّاثات صيفار بها صديد تظهر بالجلد واحدها بثرة.

4 كسحت الرّيح الأرض كسحاً: أزال عنها التراب.

5 المكنّس آلة الكنّس ج مكنّس.

6 مباشرة: باشر الأمر تولّاه بنفسه وباشر الفعل فعله في غير وساطة.

7 زحزحه عن مكانه نحاه وباعده.

ويُخسِنُ الجمع بين المحاسن.

وأنتَ عندما تحويك حديقة جميلة فيها مَخْتَلِفٌ<sup>1</sup> الرِّياحين والأزهار والمغارس غيرك عندما يحويك قفرٌ موحش أو صحراء قاحلة. ففي الحالة الأولى تهلّلُ روحك وينشرحُ صدرك. وفي الحالة الثانية تستولي عليك الوحشة<sup>2</sup> والكآبة والملالة والضجر.

أنتَ في الحالة الأولى أمام شخصية منورة عطرة.

أمّا في الحالة الثانية فأنتَ مع شخصية سمجة<sup>3</sup> كربية.

وبعض الناس رياض غناء ذات أزهار نديّة عطرة.

وبعض الناس كالصّحاري الموحشة.

لذلك لا تستطيع أن تَمُتَ<sup>4</sup> الأولى ولا تقدّرُ أن تُحبّ الثانية.

ومن الناس من ينبئون في رياض الحياة كما ينبتُ الشوك في الحدائق. فهم منها وليسوا منها.

ومنهم من ليس فيه راحة الصحراء ولا رملها الكالح ولكنّه كسرابها<sup>5</sup> الخداع تظنه ماء وهو غير

ماء!

فإذا نحن شبّهنا واحداً من البشر بالجرذ فذلك لأنّه بأخلاقه وأطواره كالجرذ لا يعيش إلا إذا عاث

وأفسد.

وإذا قلنا عنه أنّه ذئب فلائنه كالذئب من طبيعته الغدر. ومن كان غداراً لا يؤمن.

أمّا إذا قلنا عنه كالمُسْتَنقَع فذلك لأنّه لا يعمل عملاً فيه رائحة طيبة بل كلّ أعماله تدكُّ على روح

قذرة وسيخة.

أمّا كيف يصير الإنسان إلى مثل هذه الحالة فمرجه إلى التربية - إلى المحيط والعشراء - وبعبارة ثانية

إلى المكان والإنسان. فإذا كان المكان بيئة فاسدة نشأ هو فاسد الأخلاق. وإذا كان الذين يأخذ عنهم

ويقتدي بهم أشراراً حسنَ الشرّ في عينيه وملح الإثم فأصبح رجلاً شريراً.

لذلك كان من الواجب على المصلحين أن يجاربوا كلّ فساد واعوجاج في الأفراد لكي يصوّنوا

المجتمع من هذه الآفات ويخصّروا وباء<sup>6</sup> الفساد حيث ظهر لئلا يمتدّ إلى بقعة أخرى أو إلى شخص

آخر.

1 الخِلْفُ المَخْتَلِفُ ويقال رجلان خِلْفان وامرأتان خِلْفان.

2 الوحشة الخلوة والهم.

3 السمجة: سمج سماجة وسموجة قُبَح فهو سميج وسمجج وسمجج.

4 ممّته أبغضه.

5 الشراب: ما يرمى في نصف النهار من اشتداد الحرّ كالماء في المغاور. يُلصق بالأرض.

6 الوباء بالقصر والمدة مرض عام وجمع المقصور أوباء بالمدة وجمع الممدود أوبئة.

ولا يُتَظَر من الشَّرير الزَّائغ أن يعرف أنه شرير زائغ إلا إذا عُوقِبَ على جنائياته وغواياته. فإن الجرذ يظلُّ يتسلَّل للبعث<sup>1</sup> والفساد ولو ملأت وكره طعماً شهياً لأنه خَلِقَ ليعيث ولا يُقدِر أن يُبدل صورته صورة أخرى فيصير مثلاً عُصفوراً مُغرَّداً. لا. لذلك يلزم كُلُّ مُحِبٍّ للنظافة أن يطارد الجرذ.

السَّعِير: 14/ 5/ 1942

## قف بالمقابر صامتاً متأملاً

وقفة بالمقابر.

فهي المنازل الخالية العامرة.

وهي الكتب الصَّامِتة النَّاطقة.

قِفْ صامتاً متأملاً كيف تحوَّلت العزائم والهيمم إلى رمم. وكيف أحلام الطفولة أو طموح الشباب ورزائنة الكهولة وقناعة الشيخوخة اختلطت كلها وتمازجت كلها فهي الآن ليست أحلاماً ولا مطامح ولا رزائنة ولا قناعة. بل تراب في كساء من الأعشاب. أو تراب لا زهر فوقه ولا أعشاب. قِفْ بالمقابر خاشعاً.

فهي هياكل الأبدية التي لا يرتفع فيها لغط ولا ضوضاء. ولا يتلجَّج في جوانبها لسان محبة. ولا لسان بغضاء. فقد تلاشت هناك الأشواق والرَّغائب كما اندثرت الأحقاد والمواجِد.

قِفْ هناك حاسر الرأس إجلالاً للغابرين، للأجداد والآباء. للأصدقاء والعشراء الذين كانوا معنا وانفصلوا عنا. والذين كانوا فوق التراب ضحِكَاً وابتساماً وشوقاً وهياماً<sup>2</sup>. وحركة وقوة. فصاروا الآن لا شيء كأنهم لم يكونوا من قَبْلُ شيئاً.

قِفْ وتذكَّر أن البيت الذي تأوي إليه قد شادت جذرائه يد مَيّت. وأن الطريق الذي تمشي فيه قد عبَّثته يد مَيّت. وأن السيارة التي تحملك في كل ناحية قد أنشأها لك مطيَّة مطوَاعة<sup>3</sup> إنسان هو الآن في الثرى. وأن الدنيا العامرة حولك لم تصر عامرة إلا بفضل الذين كانوا هنا ومضوا. إنهم قد قاموا بما عليهم لمن يحيى بعدهم ووفوا قسطهم<sup>4</sup> للحياة وهم فيها. وإذا كان بينهم من ذهب قبل أن يقوم بقسطه ويؤدي فرضه<sup>5</sup>. فما ذهب لأنه كره الحياة معناً ولا لأنه اختار التملُّص من الواجب. بل مضى

1 عاث: عَيَّناً أفسد.

2 الهيام بالضم كالجنون من العشق.

3 المطوَاع من يسرع إلى الطاعة.

4 القِسط: الحصة والنصيب ج أقساط.

5 الفرض ما يفرضه الإنسان على نفسه.

كما تمضي الزهرة لفحها الهجير<sup>1</sup>. أو نثرها الزمهرير<sup>2</sup>. قبل أن تهب أريجها<sup>3</sup> كله.

فلتكن لنا بالأموات غدا عظة بالغة وهي أننا سنصير إلى ما صاروا إليه.

ولنذكر أننا نحن وخذنا المسؤولين عن ترك الحياة نبيلة وجميلة لمن يأتي بعدنا كما تركها لنا الذين مضوا جميلة ونبيلة.

لنذهب غدا إلى المقابر لنؤدي واجب الإحترام لأولئك الذين زرعوا لناكل وبنوا لناسكن وتعبوا لنستريح.

ولنرجع من المقابر وكلنا تصميم على أن نزرع ليأكل الآتون بعدنا وأن نبني ليشكّنوا وأن نتعب لكي يستريحوا.

وهكذا نؤدي الغاية التي أوجدتنا الحياة من أجلها. فتعبط وتهنأ أرواح الموتى في الفرديس لأننا قمنا بما كانوا هم يقومون به لو كانوا أحياء.

السّمبر: 1942 / 5 / 29

## عيش في زمانك

الناس أنواع فمنهم من يعيشون في هذا العصر ولكنهم يفكرون كأنهم يعيشون في الجيل السابع عشر أو الثامن عشر. وهم الذين جمدت أرواحهم ووقفت عقولهم فاكتفوا بما سمعوه وقرأوه وهم أحداث فتقدم الزمان ورجعوا هم القهقري!

ومنهم من يعيشون في هذا العصر لهذا العصر ذاته وهم الذين يتطلعون دائماً إلى الأمام ويسيرون إلى الأمام لئلا يتأخروا عن موكب الحياة الذي هم فيه.

ومنهم من خلق عقيم<sup>4</sup> الروح والجسد فهو يعيش كما يعيش الحيوان الأعجم لا يبدل من أطواره<sup>5</sup> شيئاً. وعنده سواء عاش في العصر الحجري أو في عصر الكهرباء والراديو. كل ما يشتهيه من الدنيا أن يملأ جوفه طعاماً ويملاً عينيه نوماً. وبعد ذلك سيئان<sup>6</sup> عنده عمرت الدنيا حوله أم صارت طولاً<sup>7</sup>

1 الهجير: نصف النهار عند اشتداد الحرّ

2 الزمهرير: شدة البرد.

3 الأريج: أريج الطيب أرجا وأريج فاح.

4 العقيم: عقيمت المرأة أو الرجل عقمًا كان بها أو به ما يحول دون النسل من داء أو شيخوخة فهو عقيم ج عقماء وهي عقيم ج عقيائم.

5 الطور الحال والهيئة ج أطوار.

6 سيئان: السيئان المثلان الواحد سيئ.

7 الطلول: الطلل ما بقي شاخصاً من آثار الديار ونحوها ج أطلال وطلول.



ولكن الحياة لا تسير هؤلاء الجامدين ولا تحترم مشيبتهم فتسير دائماً إلى الأمام وإلى الأحسن جارقة في طريقها كل مَنْ لا يمشي معها.

مِنْ العبارات التي كانت شائعة على ألسُن أصحاب العقول المحدودة الذين لا خيال لهم قولهم: «لا أستطيع أن أفعلَ هذا الأمر أكثر ممّا أقدر أن أطير».

وكان قائلوها يعتقدون اعتقاداً جازماً أنَّ الإنسان لن يطير لأنَّه لا أجنحة له. وليس الفضاء مملكته. إنّما وجود هؤلاء الناس. ووجود هذا الاعتقاد المكين<sup>1</sup> في أنفسهم لم يمنع أصحاب العقول النيرة والخيال البعيد أن يفكروا في الطيران ويتدعوا الوسائل التي تجعل الإنسان يجتاز الفضاء بأكثر وأسرع ما تجتازه النسور الجبّارة.

وليست الطيارة غير نموذج لكل شيء آخر فإن كثيرين يمتطون هذه السفينة الهوائية في هذه الأيام كالذين اخترعوها وينتقلون بها مثل الذين يفهمون دقائقها وخفاياها. إنّما أرواحهم لا تزال مثقلة باعتقادات وتصوّرات العصور الخالية. عصور النّياق<sup>2</sup> والخيول والبغال والزوارق الخشبية..

تأمل إذا كنتَ مِنْ الشيوخ أو الكهول كيف صارت الدنيا غير الدنيا في خلال نصف قرن. انظر إلى المدينة التي أنتَ فيها واستحضر صورتها إلى ذهْنِك<sup>3</sup> عندما كنتَ طفلاً أو فتى لتعرف أنّك صرتَ في مدينة جديدة وإن كنتَ لم تنتقل مِنْ مكانك. وانظر إلى بيتك الحديث وما فيه مِنْ آلات عجيبة كالتليفون والراديو والمغسلة الكهربائية وموقد الغاز فترى كيف انطوى البيت القديم ذو الموقد الحطبي والسراج الزيتي في مَدَى<sup>4</sup> حياتك مع أنّ ذلك البيت أقام في الأرض أجيالاً طويلة قبل ولادة الكهرباء.

كثيرون مِنْ الناس يستضيئون بالكهرباء ولكن أرواحهم لا تزال تعيش في عصر السراج! ولو وقف بهم الأمر عند هذا الحدّ لكان الخطبُ<sup>5</sup> هيناً يسيراً. ولكنهم كثيراً ما سمعتهم يتمنون لو رجع عهد السراج والذبالة<sup>6</sup>. لأنهم غير سعداء وهم غير سعداء فعلاً<sup>7</sup>. لأنهم غرباء عن هذا العصر.

لا تكن مِنْ هؤلاء لثلاً تشقى.

1 ومكّن ككرم وتمكّن فهو مكين ج مكّناء.

2 النّياق: النّاقة ج نوق وقد تجمع على نياق.

3 الذّهْن الفهْم والعقل.

4 المَدَى: الغاية.

5 الخطب: الأمر الشديد يكثر فيه التّخاطب.

6 الذبالة: فتيلة المصباح ج ذبال.

7 فعلاً: الفِعْل بالفتح مصدر فعّل.

وَأَنْتَ لَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ إِلَّا إِذَا صُرْتَ مِثْلَهُمْ لَا تَفَكِّرْ فِي مَا حَوْلَكَ وَلَا تَتَطَلَّعْ إِلَى مَا أَمَامَكَ. وَلَا تَقْدِرْ أَنْ تَنْتَقِ مِنْ سَلْسَلِ الْمَاضِي.  
أَنْتَ فِي هَذَا الْعَصْرِ فَعِشْ فِيهِ لَا فِي سِوَاهُ تَكُنْ سَعِيداً وَمُقِيداً.

السَّمِير: 15/6/1942

## كُلُّ وَالشَّرْبُ وَسِرُّ

أنا في هذه الفُسْحَة<sup>1</sup> مِنَ «السَّمِير» أدُونُ ما يجري به القلم مِنْ خَاطِرٍ يَمُرُّ فِي الرَّأْسِ أَوْ شَعُورٍ يَخْتَلِجُ<sup>2</sup> فِي الصَّدْرِ. لَعَلِّي أَنْبَهُ خَاطِراً نَائِماً فِي رَأْسٍ. أَوْ أَحْزِكُ شَعُوراً جَامِداً مُتَصَلِّباً فِي صَدْرٍ. أَوْ أَنِّي أدُلُّ عَلَى فَضِيلَةٍ مَكْتُومَةٍ. أَوْ أَذْكَرُ النَّاسَ بِمَأْثَرَةٍ<sup>3</sup> مَنْسِيَّةٍ. أَوْ أُوَيْدُ فِكْرَةً حَقٌّ كَثُرَ خَاذِلُوهَا. أَوْ أَجَالِدُ فِكْرَةً سَخِيفَةً تَحَاوَلُ أَنْ تَتَمَرَّكَزَ فِي الْأَذْهَانِ كَأَنَّهَا فِكْرَةٌ صَحِيحَةٌ. أَوْ أَسْتَخْرِجُ مِنْ لِبَالِي الْمَحَنِّ حِكْمَةً لَامِعَةً كَالنَّجْمِ لئَلَّا يَسْتَحْوَذَ الْيَأْسُ عَلَى النُّفُوسِ الَّتِي تَكَابِدُ الْبَلَايَا وَيَتَطَرَّقُ الْوَهْنُ إِلَى الْعَيُونِ السَّاهِرَةِ فِي دَيْجُورٍ<sup>4</sup> الرِّزَايَا. أَوْ أَسْوَقُ ابْتِسَامَةً إِلَى ثَغْرِ عَابِسٍ أَوْ أَخْلُقُ رَجَاءً فِي قَلْبِ قَانِطٍ. أَوْ أَمْسَحُ دَمْعَةً فِي جَفْنِ بَاكِ. وَهَذِهِ كُلُّهَا مَوَاضِيْعٌ لَا تَرِثُ<sup>5</sup> وَلَا تَبْلَى. وَالْكَلَامُ فِيهَا وَلَا سِيَّما<sup>6</sup> إِذَا جَاءَ فِي وَقْتِهِ لَا يَرِثُ وَلَا يَبْلَى. غَيْرَ أَنِّي حَاوَلْتُ أَمْسُ<sup>7</sup> أَنْ أَحْبَرَ مَوْضُوعاً يَجْرِي بِهِ الْبِرَاعُ كَعَادَتِهِ غَيْرَ مُتَلَعِّثٍ وَلَا مُتَرَدِّدٍ فَلَمْ يَحْضُرْنِي مَوْضُوعٌ يَلْذُ لِلْقَلَمِ الْجَزْيَ فِي مِيدَانِهِ. فَطَرَحْتُ الْقَلَمَ مِنْ يَدِي وَانْصَرَفْتُ إِلَى تَقْلِيْبِ جَرِيدَةٍ كَانَتْ إِلَى جَانِبِي فِإِذَا هُنَاكَ مَوْضُوعٌ!

1 الفُسْحَة: السَّعَة، والسَّعَة بين عمليْن للزَّاحَة والتَّزَه.

2 اخْتَلَجَ: الشَّيْءُ تَحَزَّكَ واضْطَرَبَ وَيَقَالُ: اخْتَلَجَ فِي صَدْرِي كَذَا خَطَرَ مَعَ شَكٍّ.

3 الْمَأْثَرَةُ: بَفَتْحِ التَّاءِ وَضَمِّهَا الْمَكْرُمَةُ لِأَنَّهَا تُؤَثِّرُ أَيَّ يَذْكُرُهَا قَرْنٌ عَنْ قَرْنٍ.

4 الدَّيْجُورُ الظَّلَامُ وَلَيْلَةُ دَيْجُورٍ مُظْلِمَةٍ.

5 رِثَ الثَّوبُ بَلِيَ.

6 لَا سِيَّما كَلِمَةٌ يَسْتَشْنِي بِهَا وَهُوَ سَيِّءٌ ضَمُّ إِلَيْهِ مَا وَلَكَ فِي الْمُسْتَشْنَى بِهَا الرِّفْعُ وَالْجَزْءُ.

7 أَمْسَ الْيَوْمَ الَّذِي قَبْلَ الْيَوْمِ الْحَاضِرِ وَقَدْ يَدُلُّ عَلَى الْمَاضِي مُطْلَقاً وَهُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى الْكُسْرِ غَيْرَ مُتَوْنٍ فِإِذَا نُونٌ أَوْ أَضْيَفٌ أَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِ «ال» أَغْرِبَ يَقُولُ: كُلُّ غَدٍ صَارَ أَمْساً وَكَانَ أَمْسُنَا طَيِّباً وَكَانَ الْأَمْسُ طَيِّباً.

فماذا تراني قرأت؟ أَخْبَرَا غريباً، أم مقالاً طريفاً لكاتب شهير، أم خطبة لزعيم سياسي كبير؟ أم قصيدة لشاعر من الطراز الأول؟

لا، بل رأيتُ «صورة» وقرأت تحتها «إعلاناً».

أمّا الصورة فهي ثلاثة مدافع أحدهم تنطلق النار من فُوهته<sup>1</sup> والآخران صامتان ومن وراء المدافع الثلاثة جنود يراقبون ويتطلّعون.

وتحت الصورة هذا الإعلان الحماسي الذي رأيتُ أن أنقله إلى «السّمير» لأنّه الموضوع الأهم من كل موضوع في هذا الوقت. بل الموضوع الذي يجب تقديمه على كل موضوع آخر:

**كُلْ واشرب وسِرْ**

تنعم. فإنّك لست واقفاً وراء مدفع على أرض تحت قدميك.

ولست في دارعة حربيّة يصفرُ حولك الموت منقضّاً من الجو.

ولست في خندق غارقاً في الوحل إلى رُكبتيك وألف بندقيّة ومدفع رشّاش ترصدك.

إنعم وتلذّذ.

مرّ الطاهي يطبخ لك الليلة عشاء<sup>2</sup> فاخراً. قليلاً من مرّقة<sup>3</sup> السّلاحف. ثم شرحّة من اللّحم

الرّخص<sup>4</sup>. ولتتبع الحلوى العشاء. ولا تنس أن تتناول شيئاً من الخمر قبل الجلوس إلى المائدة.

إنعم وتلذّذ.

أكثر من حشد الملابس.. فسيحدث نقص في المنسوجات. واستعمل الحيل التي تخطر لك لتحصل

على أكثر من ثلاثة غالونات غازولين في الأسبوع لكي يسهل عليك أن تخرج للنزهة يوم الأحد.

إنعم وتلذّذ.

لا تكتف بأن تلعب لعبة البريدج للتسلية بل يجب أن ترى الأوراق الخضراء على الطاولة لتصير

اللّعبة ذات<sup>5</sup> قيمة عندك!

وانفق المال بلا حساب. إن الانتفاخ قادم في الطريق فعجّل أنت قدومه. وماذا عليك إذا مضى

العالم كلّهُ إلى جهنّم!

**كُلْ واشرب وسِرْ... ثم جرّب أن ترى ذاتك وجهاً لوجه في المرآة.**

1 الفُوهة من كلّ شيء فمّه وأوله ج فُوهات.

2 العشاء طعام العشي وهو يقابل الغداء.

3 المرّقة: المرق إكثار مرّقة القدير.

4 الرّخص: رخص رخصة نعم ولأن فهو رخص

5 ذو معناها صاحب كلمة صيغت ليُوصّل بها إلى الوصف بالأجناس ج ذوون وهي ذات وهما ذاتان ج ذوات وذات بينكم أو حقيقة وصلكم أو ذات البين الحال التي يجتمع عليها المسلمون وجاء من ذي نفسه ومن ذات نفسه.

يا خواجا. إنَّ هذه حربك كما هي حرب الجندي. فإذا كنتَ تظنُّ أنَّك تفعل واجبك وأنتَ لا تزال تعيش كالعادة وتُحسنُ كالعادة... وإذا كنتَ تتوهمُ أنَّ العيش على هذه الصورة وطنية كبرى. فانفردُ بنفسِكَ في غرفة مظلمة وفكرٌ مَلِيًّا<sup>1</sup> ما أنتَ فيه وفي حالة العالم حولك.

واسأل ذاتك قبل كلِّ أمر إذا كنتَ قد اشتريتَ مِنْ سندات الحرب ما تستطيع أن تشتريه حقيقةً. ثم اشتر بعد ذلك أكثر. وعندما يطرقُ «رجل الدقيقه» بيتك فتعهّد بأن تشتري مِنْ سندات الحرب ما يوازي عشرة بالمائة مِنْ مدخولك.

أمّا إذا كنتَ لا تقدر أن تجدَ عواملَ وطنية كافية تحملك على استثمار 10 بالمائة مِنْ مالك في سندات الحرب فامتحنِ الأسباب التالية:

أولاً: إنَّ سندات الحرب تعلّمك توفير المال على طريقة منظّمة هي الطريقة الوحيدة للتوفير. ثانياً: إنَّ سندات الحرب تُردُّ إليك عند الإِستحقاق اثنين و 9 أجزاء مِنْ المائة بالمائة. وهذا أكثر مِنْ أيّة فائدة لأيِّ سند مِنْ سندات الحكومة.

ثالثاً: إنَّ سندات الحرب هي السند الذي تركز عليه والمُعَوَّل الذي ترجع إليه فتحصلُ على كلِّ الأشياء التي تحبها بعد إنتهاء الحرب.

فإذا كانت هذه الأسباب غير كافية عندك. إذن لماذا تريد البقاء في هذه البلاد؟!

السّمير: 1942 / 6 / 19

## جذال

ضَجَرْتُ نفسي ولم تكتُم ضَجَرَهَا فسألْتُها - ما الذي تَطْلُبِينَ؟

فأجابت: لا تقعُ الأشياءُ التي أطلبُها تحتَ حَصَرٍ ولكنِّي في هذه اللحظة؛ ولكلِّ لحظةٍ رَغَائِبُهَا - أطلبُ الانفلاتَ من المدينة لا هرباً مِنْ الحرِّ المَذِيبِ فهو قد يكونُ في سِوَاهَا أَشَدَّ. ولا فِراراً من الضَّوْضاء فهذه لا تَدُوم. بل شَوْقاً إلى وَقْفَةٍ عِنْدَ جَدُولٍ مُعَرِّبٍ ثَرثارٍ يَجْري في سَيْلٍ أَضْيَقَ مِنْ وَثْبَةٍ وهو يترنّم كأنَّها الدُّنيا كُلُّها له.. إلى ضَجْعةٍ تحت شَجَرَةٍ خضراءَ مُشْبَبَةٍ بالأَرْضِ كأنَّها تخافُ أن تَطِيرَ عنها كما تطير ورقةٌ مِنْهَا، أو إلى جَوْلَةٍ في غابةٍ تشابكت فيها الأغصانُ بالأغصانِ، والتفتِ الأوراقُ بالأوراقِ؛ كأنَّها تصدُّ الشَّمْسَ عن الدُّخُولِ إلى حِماها.

أَجَلْ إِنِّي أبغي الفِرارَ من دنيا الإنسانِ المُصْطَنَعَةِ إلى دنيا الله التي لا تصنَعُ فيها ولا تكلفُ؛ فقد كدْتُ لِطُولِ عَهْدِي بالمدينةِ الفُولاذِيَّةِ أنسى أن في الدُّنيا هَضْبَةً وسَفْحاً وَجَدُولاً وشَجَرَةً؛ وكاد يُسَيِّئَنِي الإنسانُ أن في الدُّنيا شيئاً غَيْرَهُ.

1 ملاوثة من الدَّهرِ بُرْهَةً منه والملي من الدَّهرِ السَّاعة الطويلة منه.

فَقُلْتُ لَهَا: هَذَا رَأْيِي لَكَ قَدِيمٌ؛ وَلَكِنَّهُ لَيْسَ بِالرَّأْيِ الْقَوِيمِ. مَا دُمْتَ أَنْتِ فِي هَيْكَلِ الْإِنْسَانِ فَلَنْ يَطِيبَ لَكَ مَكَانٌ إِلَّا إِذَا جَاوَزَكَ فِيهِ إِنْسَانٌ؛ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِالْجَارِ الْكَرِيمِ. كُلُّ كَائِنٍ تَائِقٌ إِلَى مِثْلِهِ وَمَجْدُوبٌ إِلَى شَكْلِهِ.

أَسْعَدُ مَا تَكُونُ النَّمْلَةُ مَعَ نَمْلَةٍ وَالسَّمَكَةُ مَعَ السَّمَكَةِ، وَأَصْلَحُ مَا تَكُونُ النَّمْلَةُ فِي قَرْيَةٍ تَبْنِيهَا وَتَخْزِنُ مَوْنَتَهَا فِيهَا، وَلِلسَّمَكَةِ الْبَرَكَةُ وَلِلدَّجَاجَةِ الْحَقْلُ. أَمَّا الْإِنْسَانُ فَالْدُّنْيَا كُلُّهَا لَهُ؛ وَلَهُ أَبْعَدُ مِمَّا تَلْمِسُهُ يَدَاهُ وَتَشَاهِدُهُ عَيْنَاهُ وَتَسْمَعُهُ أُذُنَاهُ؛ فَإِذَا هُوَ هَرَبٌ مِنَ الْإِنْسَانِ لِيَصْنَحَبَ الْجَدُولَ وَالشَّجَرَةَ وَالْهَضْبَةَ وَالْوَادِي فَإِنَّهُ يَهْرَبُ مِنْ نَفْسِهِ وَمِنْ الدُّنْيَا الَّتِي تَرَاءَتْ لِمُخَيَّلَتِهِ وَهُوَ بَعْدُ فِي الْغَابَةِ فَكَوْنَتْهَا يَدَاهُ. وَلَا تَحْسَبِي أَنَّهُ خَلَقَ الْمَدِينَةَ لَهُوًّا وَعَبَثًا. كَلَّا بَلْ سَاقَتْهُ إِلَى إِيجَادِهَا الضَّرُورَةُ وَالْحَاجَةُ؛ فَهُوَ لَمْ يَشِئْذِ الْبَيْتَ إِلَّا عِنْدَمَا سَيِّمَ الْعَيْشَ فِي الْكَهْفِ الْبَارِدِ الْمُظْلِمِ وَلَمْ يَعْجِدِ الطَّرِيقَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ آذَتْهُ الْعَتَمَةُ. أَفَيَرْجِعُ إِلَى مَا كَانَ فِيهِ وَلَمْ يَكُنْ. عِنْدَمَا كَانَ فِيهِ. سَعِيدًا وَلَا رَاضِيًا؟

فَقَالَتْ نَفْسِي وَهِيَ تُقَهِّقُهُ: إِنَّهُ أَفَلَتَ مِنْ قِيُودِ إِلَى قِيُودٍ، وَلَكِنَّهُ الْيَوْمَ يَحِنُّ إِلَى الْإِنْطِلَاقِ كَمَا كَانَ يَحِنُّ مِنْ قَبْلُ بَلْ هُوَ يُشْفِقُ أَنْ يَكْسِرَ الْأَغْلَالَ الْمُوثَقَ بِهَا لِأَنَّهَا صُنِعَتْ يَدَيْهِ. لَقَدْ اسْتَرَاخَ مِنَ الْعَتَمَةِ وَالطَّرِيقِ الْوَعْرِ وَالْعَتَمَةِ فِي الْكَهْفِ وَلَكِنَّهُ الْيَوْمَ يُضَاضِلُ مَا هُوَ أَمْضُ مِنْ هَذِهِ كُلِّهَا. كَانَتْ حُرُوبُهُ مِنْ قَبْلُ مُتَقَطَّعَةً قَصِيرَةً الْأَمَدَ أَمَّا الْآنَ فَهُوَ فِي حَرْبٍ مُشْتَعِرَةٍ لَا يَنْقَطِعُ حَبْلُهَا وَلَا يَخْمَدُ ضِرَامُهَا، مَعَ أَنَّ عَدُوَّهُ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْإِنْسَانُ! فَهُوَ إِنْ شَكَا فَإِنَّهُ يَشْكُو مِنْ إِنْسَانٍ. وَإِذَا خَافَ فَإِنَّهُ يَخَافُ مِنْ إِنْسَانٍ وَإِذَا التَفَّ الْحَبْلُ حَوْلَ عُنُقِهِ فَإِنَّ الَّذِي يَلْفُهُ إِنْسَانٌ، وَمَعَ عِلْمِهِ أَنَّهُ يَنْتَحِرُ فَهُوَ لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَنْتَحِرَ.

قُلْتُ: وَلَكِنَّ الطَّبِيعَةَ الَّتِي تَحْنِنُ إِلَيْهَا وَتَسْتَأْقِنُ مُجَاوِرَتَهَا مَجْنُونَةٌ لَا عَقْلَ لَهَا، فَإِنَّهَا تَجْرُ فِي لَحْظَةٍ نَكَبَاتٍ هَائِلَةً لَا يَجْزُهَا الْإِنْسَانُ فِي أَجْيَالٍ فَهِيَ لَا تَكَادُ تُرْسِلُ النَّسِيمَ اللَّطِيفَ الَّذِي يَحْرُكُ الْوَرَقَ فَيَتَرَاقَصُ. وَيَمُرُّ بِالْغَدِيرِ فَيَتَشَتَّى. وَيَلْمِسُ الْوُجُوهُ فَتَنْبَسِطُ مُهْلَلَةً حَتَّى تَنْتَشِرُ فِي الْأَرْضِ زَوْبَعَةٌ تَقْصِفُ الشَّجَرَ وَتُعَكِّرُ الْغُدْرَانَ وَتَقْتُلِعُ الْبُيُوتَ وَتَمَلَأُ الْفَضَاءَ هَوَلًا، أَوْ أَنَّهَا تَهْزُ الْأَرْضَ فَتَرْجَفُ فَإِذَا مَا فَوْقَهَا يَنْدُكُ وَيَتَقَوَّضُ. لَيْسَ فِي الْغَابَةِ رَحْمَةٌ بَلْ كُلُّ مَا فِيهَا عُنْفٌ وَشِدَّةٌ وَقَسْوَةٌ فَالشَّجَرَةُ الْكَبِيرَى لَا تَدْعُ نَبْتَةً فِي ظِلِّهَا حَتَّى الْيَاسْمِينَ وَالْأَسَدُ الضَّارِي لَا يَدْعُ حَيَوَانًا فِي جَوَارِهِ حَتَّى الطَّبْيِ الْجَمِيلِ وَالنَّهْرُ يَجْرِفُ فِي سَتِيرِهِ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الزَّهْرَةَ بَلْ حَتَّى اللُّؤْلُؤَةَ الثَّمِينَةَ!

قَالَتْ نَفْسِي وَقَدْ أَرَعَجْتُهَا فَلَسْتُ: عَلَى رِسْلِكَ<sup>1</sup> لَيْسَ الْإِنْسَانُ أَعْقَلَ مِنَ الطَّبِيعَةِ أُمَّه. بَلْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهَا جُنُونًا. وَيَنْحَكَ<sup>2</sup> أَلَا تَرَى مَا يَصْنَعُ بِنَفْسِهِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ، وَهَلْ رَأَيْتَ الطَّبِيعَةَ جَنَّتْ عَلَيْهِ مَرَّةً مِثْلَهَا

1 على رِسْلِكَ: بالكسر أي اتَّئِدَ فِيهِ.

2 وَيَنْحَكَ: وَيَنْحُ كَلِمَةُ رَحْمَةٍ وَوَيْلٌ كَلِمَةُ عَذَابٍ وَقِيلَ هُمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ تَقُولُ: وَيَحُ لَزِيدٍ وَوَيْلٌ لَزِيدٍ فَتَرْفَعُهَا عَلَى الْإِبْتِدَاءِ وَلَكِنْ أَنْ تَنْصِبَهَا بِفِعْلِ مُضْمَرٍ تَقْدِيرُهُ أَلَزَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَيَحَا وَوَيْلًا نَحْوَ ذَلِكَ. وَوَيْحٌ زَيْدٍ وَوَيْلٌ زَيْدٍ مَنصُوبٌ بِفِعْلِ مُضْمَرٍ.

جَنَى هُوَ عَلَى ذَاتِهِ؟

قُلْتُ: لَسْتُ بِمُكَذِّبٍ مَا زَعَمْتَ. وَلَكِنْ عَلَيْكَ أَنْ تُسَلِّمِي مَعِيَ بِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَمْ يَتَطَهَّرْ بَعْدُ مِنْ كُلِّ أَذْرَانِهِ الَّتِي خَرَجَ بِهَا مِنَ الْكَهْفِ..

قَالَتْ: لَقَدْ زَالَ الْكَهْفُ وَبَقِيَتِ الْأَذْرَانُ<sup>1</sup>. فَتَعَالَ نَهْرَبْ مِنْهَا..

قُلْتُ: إِلَى أَيْنَ؟

قَالَتْ: إِلَى أَيِّ مَكَانٍ لَا أَذْرَانٌ فِيهِ.

قُلْتُ: هُنَاهَا<sup>2</sup> ذَلِكَ!

وَلَكِنِّي بَعْدَ هَذَا الْجَدَلِ أَتَأَبَّطُ حَقِيقَتِي وَأُخْرِجُ مِنَ الْمَدِينَةِ..

السَّمِير: 1/8/1942

## فَنَ النَّقْرِ

يَكَادُ يَكُونُ فَنَ النَّقْدِ الْأَدْبِيِّ لَا وَجُودَ لَهُ فِي الْمُهْجَرِ. لِأَنَّ الَّذِينَ يَحْسُنُونَ هَذَا الْفَنَ أُنْدَرُ مِنَ الشَّجَرِ الْمُورِقِ فِي صَحْرَاءِ كَالِيفُورْنِيَا.

لِذَلِكَ تَشَابَهَتْ الْأَشْيَاءُ - الْحَسَنُ مِنْهَا وَالْقَبِيحُ. وَصَارَتْ لِلْكَتَبِ الْغَنَّةُ<sup>3</sup> قِيمَةُ الْكُتُبِ السَّمِينَةِ. لِأَنَّهَا لَهَا صُورَةُ الْكُتُبِ. هَذِهِ حَبْرُ وَورْقٍ - وَتِلْكَ حَبْرُ وَورْقٍ!

وَلَيْسَ غَرِيباً أَنْ يَقُلَ الْكُتَّابُ الَّذِينَ يَمَارِسُونَ هَذَا الْفَنَ فَإِنَّ فِيهِ مِنَ الْمَشَقَّةِ مَا لَيْسَ فِي أَيِّ فَنٍّ آخَرَ مِنَ فُنُونِ الْأَدَبِ. وَهُوَ يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ صَاحِبُهُ مِنْ ذَوِي الْإِطْلَاعِ الْوَاسِعِ وَالْعِلْمِ الْمُسْتَفِيزِ وَالذَّوْقِ الْفَنِيِّ الْعَالِي. وَأَنْ يَكُونَ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ - قَادِراً عَلَى أَنْ يَمْلِكَ نَفْسَهُ وَيَضْبِطَ هَوَاهُ فَلَا يَتَشَيَّعُ وَلَا يَتَعَسَّفُ فِي أَحْكَامِهِ وَلَا يَحْصِرُ الْفَنَ فِي دَائِرَةِ يَرْسُمُهَا. وَالْأَدَبُ فِي نِطَاقِ بَعِينِهِ. أَوْ مَحْبُوطٍ يَعِيشُ فِيهِ وَبُرَاعِيَّتِهِ. وَيَرْجُوهُ وَيَتَّقِيهِ. فَهَذِهِ أُمُورٌ وَأَحْوَالٌ إِذَا لَمْ يَتَفَلَّتْ مِنْهَا النَّاقِدُ بَقِيَ أَسِيرُ بَيْتِهِ وَرَهِينُ حَوْمَتِهِ يَرْفُ وَلَا يَطِيرُ وَيَتَحَرَّكُ دُونَ أَنْ يَسِيرَ. أَوْ يَدُورَ وَلَا يَبْرَحَ مَكَانَهُ كَمَا يَدُورُ دُولَابٌ مُشْدُودٌ إِلَى آلَةٍ.

وَلَكِنْ حَتَّى هَذَا الصَّنْفُ مِنَ النَّقَادِ يَكَادُ يَنْدَثِرُ فِي الْمُهْجَرِ كَمَا انْدَثَرَ تَاجِرُ الصُّلْبَانِ وَالسُّبْحِ<sup>4</sup> وَالْمُوَاسِي الْأَوَّلِ. إِذْ لَمْ تَبْقَ لِلنَّاسِ رَغْبَةٌ فِيهِ وَفِي طَرَائِقِهِ السَّادِجَةِ.

وَإِنْ مَعْرِفَتُنَا هَذِهِ الْحَقَائِقَ جَعَلْتُنَا عِنْدَ صُدُورِ دِيْوَانِ «الْخَمَائِلِ» أَنْ لَا نَتَوَقَّعَ مِنَ الْكُتَّابِ أَنْ يَقُولُوا

1 الْأَذْرَانُ: دَرَنَ دَرْتاً وَسَيَخَ وَتَلَطَّنَ.

2 هِيَهَاتِ اسْمُ فِعْلٍ مَاضٍ بِمَعْنَى بَعْدَ.

3 الْغَنَّةُ: الْغَثُ خِلَافَ السَّمِينِ يُقَالُ: هُوَ لَا يَعْرِفُ الْغَثَ مِنَ السَّمِينِ وَالْغَثُ الرَّدِيُّ الْفَاسِدُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

4 الشُّبْحَةُ خُرَزَاتُ مَنْظُومَةٍ لِلتَّسْبِيحِ وَالشُّبْحَةُ الدُّعَاءُ جَ سُبْحَ.

فيه غير الكلمة التي يوحىها الولاء. أو العداء إذا كان أحدهم طاوياً جوانحه<sup>1</sup> على موجدة! أما الجرائد في المهجر فقد قالت في الديوان كل ما وسعها<sup>2</sup> أن تقول. وهو أنه كتاب مُتَقَن الطبع جيّد الورق<sup>3</sup> وبعضها لم تقل حتى هذه الكلمات المملوكة ما كلّف الله نفساً فوق طاقتها!

ونحن لا نرسل هذه الكلمة لنُعْتَب أو نلوم أو نشكّي فإننا عندما تعرض لنا فكرة فنُدوّنُها. أو صورة فنؤدّيها. لا يكون لنا من هدف إلا تدوين الفكرة على الشكل الذي تبدو لنا فيه أنتم وأكمل وتأدية الصورة للناس كما عرضت لنا ووجدنا فيها ما يغري النظر ويستهوّي الروح.

ولكنّا نكتب هذه الكلمة تمهيداً لسلسلة مقالات وضعها الكاتب اللوذعي الأستاذ عبد الله بري يستعرض فيها ديوان «الخيائل» ورغبَ إلينا نشرها في «السّمير» فنزلنا على رغبته ونحن لا نعلم ما تضمّنته ولا بالينا أن نعلم لأن رأي الكاتب في الخيائل سواء نُشر أم بقي غير منشور لن يكون غير رأيه.

وسنبداً يوم الأربعاء القادم بنشر هذه السلسلة التي يعرف منها القاريء أن فنّ النقد في المهجر لم ينطو إلا ليظهر في شكل أرقى وأسمى وأن هالك من يرى في «الخيائل» غير الورق والحروف ويرى في صاحبه غير الصديق وغير العدو.

السّمير: 13/10/1942

## قيمة الدّم

ليست قيمة الدم في أنه سائل أحمر أو أزرق أو لالون له يجري في العروق. بل قيمته في أنه يرمز إلى الحياة بل إلى أقدس وأثمن ما في الحياة وهو الشرف والكرامة الشخصية والعزة والحرية لذلك تقول العامة عن الرجل لا يعضب لإهانة لحقت به أو خيف<sup>3</sup> أصابه - هذا رجل ما فيه دم! وعندما يحاول الناس وصف إنسان بأنه من ذوي الشرف العريق يقولون: إن في عروقه دما أزرق.

وعلى الحالتين ليس الدم غير رمز إلى الشرف في حالة وجوده. وإلى المهانة في حالة فقدانه. وإن الناس ليشفقون على الرجل انقلبت به الليالي فأضاع ثروته. أو كسدت تجارتها. أو غلب على أمره في نضال.

- 1 الجوانح: الجناح من يطير به الطائر ونحوه، والجناح الغضد. والجوانح الأضلاع التي تحت الترائب وهي مما يلي الصدر كالضلوع مما يلي الظهر الواحدة (جائحة).
- 2 الوُسْع: وسيع الشيء بالكسر يستعه سعة بالفتح والوسع والسعة بالفتح الجدة والطاقة.
- 3 الخيف: الظلم.

وَيَتَسَعَّعُ عِنْدَهُمْ مَجَالُ الْعُذْرِ لِلْإِنْسَانِ تَمَلَّكَتْ مِنْهُ عَادَةٌ مُضِرَّةٌ كَالشُّكْرِ أَوْ الْقِمَارِ فَشَرَّدَتْ بِهِ عَنِ الْحَيَاةِ الْمَهَادَةِ النُّظِيفَةِ وَقَدَفَتْ بِهِ مِنْ قِيَمَةِ الْكِرَامَةِ إِلَى حَضِيضِ الْإِبْتِذَالِ.

وَلَكِنَّهُمْ هِيَهَاتَ أَنْ يَعْذِرُوا أَوْ يُشْفَقُوا عَلَى رَجُلٍ أَصِيبَ فِي كِرَامَتِهِ فَنَامَ عَلَى الضَّيِّمِ وَصَبَرَ عَلَى الْهُوَانِ صَبَرَ الْعَبْدِ عَلَى الْقَيْدِ وَالْثَوْرِ عَلَى الْمُنْخَسِ.

وَهُمْ لَا يَمْسُكُونَ الْمَعَاذِيرَ فَحَسَبَ<sup>١</sup> عَمَّنْ يَسْتَحْلِي الذَّلَّ وَيَسْتَطِيبُ الْقَذَى<sup>٢</sup> بَلْ لَا يَجِدُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَهُ غَيْرَ الْإِزْدِرَاءِ وَالْإِحْتِقَارِ فَكَأَنَّهُمْ يَشْعُرُونَ أَنَّهُ أَهَانَ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِنْدَمَا شَذَّ عَنْهُمْ وَرَضِيَ بِمَا لَا يَرْضَى بِهِ رَجُلٌ حُرٌّ يَعْقِلُ وَيَحْسَبُ..

إِنَّ الصَّخْرَ يَتَشَطَّى<sup>٣</sup> إِذَا وَقَعَتْ عَلَيْهِ مِطْرَقَةٌ. وَمَا تَشْطِيهِ إِلَّا ظَاهِرَةٌ مِنْ ظَوَاهِرِ الْمَقَاوِمَةِ وَالْمَهَانَةِ. وَإِنَّ الْخَشْبَةَ لَتَتَطَايَرُ إِذَا أَصَابَهَا الْقُدُومُ فَكَأَنَّهُا تَحَاوِلُ الْفِرَارَ مِنَ الْأَذَى.

هَذَا فِي الْجَمَادِ الَّذِي لَا يُجَسِّنُ أَمَّا فِي الْحَيَوَانَاتِ الْأَدْنَى مِنَ الْإِنْسَانِ فَإِنَّهَا تَتَمَرَّدُ عَلَى الْهُوَانِ وَالذَّلِّ فِي أَسَالِيبَ مُخْتَلِفَةٍ فَتَرَى الطَّيْرَ الطَّلِيْقَ إِذَا تَسَلَّلَتْ إِلَيْهِ حَيَّةٌ وَلَمْ يَسْتَطِعْ الْهَرَبَ نَفْسَ رِيْشِهِ وَبَسْطَ جَنَاحِيهِ وَتَحَفَزَ لِلْنِّضَالِ بِمَنْقَارِهِ وَأُظْفَارِهِ وَتَعَالَى صِرَاحُهُ كَأَنَّهُ يَسْتَنْجِدُ أَوْ كَأَنَّهُ يَحَاوِلُ تَرْوِيعَ عَدُوِّهِ الَّذِي يَقْتَرِبُ مِنْهُ.

وَمِثْلُ هَذَا تَفْعَلُهُ الطُّيُورُ وَالْحَيَوَانَاتُ كُلُّهَا.

كُلُّهَا تَدَافِعُ عَنْ حُرِّيَّتِهَا - عَنْ كِرَامَتِهَا - عَنْ دِمَاحِهَا...

السَّمِيرُ: 19/10/1942

## سُورَةُ الذَّلِيلِ

لَا بَأْسَ فِي وَقْفَةٍ وَلَوْ قَصِيرَةٍ كَالْمَامِ الطَّائِرِ بِالْغَدِيرِ مَعَ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيِّ نَنْقُبُ وَنَبْحُثُ لَعَلَّنَا نَهْتَدِي إِلَى مُرَادِهِ فِي قَوْلِهِ:

وَالذَّلُّ يَظْهَرُ فِي الذَّلِيلِ مُوَدَّةً وَأَوْدُ مِنْهُ - لِمَنْ يُوَدُّ - الْأَرْقَمُ<sup>٤</sup>

كَيْفَ خَطَرَ لِهَذَا الشَّاعِرِ أَنْ يَخُوضَ بَحْرَ هَذَا الْمَوْضُوعِ وَيَسْتَخْرِجَ مِنْهُ لَوْلُوْتَهُ اللَّامِعَةَ؟  
إِنَّ مَنْ يَقْرَأُ سِيرَةَ الْمُتَنَبِّيِّ - وَخِلَاصَتَهَا مَوْجُودَةٌ فِي دِيْوَانِهِ - يَعْرِفُ أَنَّ هَذَا الشَّاعِرَ كَانَ كَثِيرَ الْحَسَادِ وَالْأُضْدَادِ فِي حَيَاتِهِ. وَبَقِيَ كَذَلِكَ حَتَّى بَعْدَ مَمَاتِهِ. وَكَانَ هُوَ يَدْرُسُ أَخْلَاقَ الَّذِينَ يَعَادُونَهُ وَالَّذِينَ

١ حَسَبَ كَافِيكَ، وَحَسَبَ اسْمٌ بِمَعْنَى كَافٍ

٢ الْقَذَى: الْقَذَاةُ مَا يَقَعُ فِي الْعَيْنِ وَالشَّرَابِ وَالْمَاءِ مِنْ تَرَابٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ جَ قَذَى.

٣ تَشَطَّى الْعُودَ تَطَايَرَ قِطْعًا.

٤ الْأَرْقَمُ: الْحَيَّةُ الَّتِي فِيهَا سَوَادٌ وَبَيَاضٌ.



يصاحبونه فلا يخفى عليها غث ولا يخدعه سمين. وكانت له جرأة على المجاهرة بآرائه وأفكاره في أكثر موافقه فهو عندما أرسل هذا البيت في شتم ابن كيلخ أرسله إلى صدر كل ذليل منافق يمشي إلى غايته الخسيسة تحت ستار الرياء والمصانعة. فيتكلف الابتسام وبين جوانحه تضرم<sup>1</sup> نار الحقد والبغضاء. ويتظاهر بالإخلاص والوفاء. ولكنه في السر يضحك من يستمع إليه ويصدق..

يُنْبَسِطُ لسانه كجناح حمامة فإذا حانت غفلة من صاحبه إنقلب ذلك اللسان إلى حمة<sup>2</sup> عقرب. أو نصل حاد مسموم..

إن صحبة الأرقم<sup>3</sup> أسلم عقي<sup>4</sup> من صحبة الذليل المرائي<sup>5</sup> هذا رأي أبي الطيب. ورأي أبي الطيب ليس بالرأي الذي يجوز الإرتياب فيه لأنه خارج من بوتقة التجربة والاختبار. ولذلك يحق لنا أن نقول أن مودة الذليل لم تكن مضرّة في عصر المتنبي وحده بل هي مضرّة في كل عصر.

وليس المتنبي وحده هو الذي ينظر إليها هذه النظرة بل إن رأي الناس الأحرار كلهم مثل رأي المتنبي في الذليل الذي يتصنع المودة ويتكلف الإخلاص.

ولكن رزق المتنبي بياناً وفصاحة فأعدن رأيه في الذليل المرائي في بيت عمر أكثر مما عمر نشر لقمان<sup>6</sup> دون أن تخلق جدته<sup>7</sup> أو تشيب حواشيه<sup>8</sup>. وخلود هذا البيت واشتهاره دليل جلي ملموس على أن المتنبي لما أعرب عن رأيه أعرب عن رأي الناس الأحرار كلهم في كره الرياء والتصنع والمداهنة في المودة.

ولكن المتنبي كان قاسياً كثيراً فهو لم يكتف بالكشف عن مضار صحبة الذليل المصانع بل استطرد فقال:

لا يخدعك من عدو دمه وراحم شبابك من عدو ترحم

فأثبت بقوله هذا أن الذليل الذي يظهر ذله مودة ليس غير عدو مبين<sup>9</sup> على المرء أن لا يكتفي بالخطر

1 ضمرت النار ضمرماً انتقدت واشتعلت.

2 حمة عقرب: الإبرة التي يضرب بها العقرب والزنبور ونحو ذلك حُمى وحماة.

3 الأرقم الحية التي فيها سواد وبياض وهي من أخبث الحيات.

4 عقيب: العقبى اليوم الآخر أو المرجع إلى الله، جزاء الأمر ويقال لك العقبى في الخير.

5 مرأه حقه جحده، وماراه مرأه جادله.

6 لقمان كعتمان اختلف في نبوته.

7 الجدة: جد الشيء بجدة جدّة صار جديداً. وأخلق الثوب وغيره صار بالياً رثاً قديماً.

8 الحواشي: الحاشية من كل شيء طرفه وجانبه.

9 العدو المبين: أي بين العداوة.

منه والإبتعاد عنه بل عليه أن يقضيَ عليه قضاءً مُبرماً<sup>1</sup> قبل أن يفسح الوقتَ لديه للغدر والفتك... هنا يَبْطُلُ المُتَنَبِّي أن يكون واعظاً حكيماً ويصير رجلاً فتاكاً يريد استئصال الرِّياء<sup>2</sup> مِنَ الأرض باستئصال الميراثين كلَّهم. ولا تعجب منه وقد صَوَّر لك أن الميراثي الذي يظهر الذلَّ فيه مودَّة هو شرٌّ مِنَ الأرقم حين يقول لك: افْتِكْ به قبل أن يفتك بك. إِيَّاكَ أن تخدعك دموعه فترُقَّ له وترحمه. لأنَّه إن قَدَرَ<sup>3</sup> عليك فلن تأخذه فيك رأفة ولا رحمة. هذا هو رأي المُتَنَبِّي ولكن الذين يعملون بهذا الرأي قليلون في الدُّنيا. ولذلك سيبقى جنس الميراثين المُنافِقِينَ في الأرض ولو ظهر أَلْف مُتَنَبِّي في كُلِّ يوم!

السَّمِير: 1942 / 10 / 26

## حادث لم يكن بالحسابات

أتينا إلى الإدارة صباح الإثنين وما فتحنا الباب حتى سمعنا في الداخل حيث المطابع صوتاً كوقع الماء المتساقط مِنْ «مِزْرَاب». وقد كان هو صوت الماء فإنَّ الجيران طرَحُوا يوم الأحد أوراقاً أو رِقاءً فوق سطح المَطْبَعَة على غير قصد منهم وجاء السَّتَاءُ الغزير في ذلك اللَّيْل واستطال واستلَى حتى صباح الإثنين فانسَدَّتْ القناة التي يَسْرِبُ<sup>4</sup> إليها ماء المطر فاحتشدَ على السَّطْح وتعالى حتى غمر «الْمَنُور»<sup>5</sup> ووجد مُشرباً فأخذ يسقط على المَطْبَعَة الكبرى وعلى المَطْوَاة حتى صار نصف الماء المجتمع على السَّطْح في أرض المَطْبَعَة وسرحَ منه إلى الغرفة الأخرى التي فيها رزم الورق فتعطلَّ منها جانب وهو اللَّاصِقُ بالأرض.

وخاطبنا بعض السُّمَكْرِيِّين فإذا بعضهم غائب وإذا الحاضِرُونَ يعتذرون بأنَّهم مَقِيدُونَ أو أنَّ عَمَّالَهُمْ في أشغال أخرى فإنَّ الأمطار التي سقطتْ في اللَّيْل أحدثتْ أضراراً مختلفةً في البيوت وسواها.

ودبَّتْ النخوة في صدور الأعوان فصعدوا إلى السَّطْح ومَشَوْا في الماء وما زالوا يعالجون القناة المسدودة حتى انفتحتْ واندفع إليها الماء بقوة وما هي غير دقائق حتى انكشف السَّطْح وانقطع سقوط الماء على المَطْبَعَة. ولكن بعد أن صارتْ هذه في حالة لا تصلحُ للعمل إلا بعد تنظيف أجزائها كلها وهو

1 المُبْرَم: أُنْزِمَ الحُكْمُ في «القَضَاء» أَيَّدَهُ.

2 وفلان مُرَاءٍ وَقَوْمٌ مُرَاءُونَ وَالرِّياءُ يُقَالُ: فَعَلَ ذَلِكَ رِيَاءً وَسُمْعَةً.

3 قَدَرَ عَلَيْهِ قُدْرَةً تَمَكَّنَ مِنْهُ.

4 سَرَبَ الْمَاءُ سَرَباً مَسَالاً فَهُوَ سَرِبٌ.

5 الْمَنُورُ كُوَّةٌ فِي الْحَائِطِ أَوْ سَقْفِ الْبَيْتِ يَدْخُلُ مِنْهَا النُّورُ إِلَيْهِ.

عمل يستغرق وقتاً طويلاً بقطع النظر عن التَّفَقَّات المَالِيَّة.

وكان مِنْ حَسَنِ الحِظِّ أَنَّ المَاءَ لم يَسْقُطْ عَلَى آلَاتِ التَّنْضِيدِ وَهِيَ المِسْمَاةُ «لِينوتيب» فَقَدْ كُتِبَ لَهَا النِّجَاةُ وَالسَّلَامَةُ مِنَ العَطَبِ<sup>1</sup>.

إِنَّهُ حَادِثٌ مَكْدُرٌ وَمُخَسَّرٌ وَلَكِنْ يَجِبُ أَنْ لَا يَمَرَّ دُونَ أَنْ نَدُلَّ عَلَى العِظَةِ فِيهِ وَهُوَ أَنَّ عَدَمَ الإِكْتِرَاثِ بِالأُمُورِ الصَّغِيرَةِ يُؤَدِّي إِلَى أُمُورٍ كَبِيرَةٍ. فَلَوْ أَنَّ الَّذِي طَرَحَ تِلْكَ الأَوْرَاقَ كَانَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الإِكْتِرَاثِ بِمَصْلَحَةٍ غَيْرِهِ لَتَنَبَّهَ إِلَى أَنَّ السَّطْحَ لَيْسَ سَلَةً مَهْمَلَاتٍ. أَوْ لَوْ كَانَ هُوَ صَاحِبَ السَّطْحِ لَا جَاراً لِلسَّطْحِ لَكَانَ فَكْرٌ فِي طَرَحِ أَوْرَاقِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ إِلَّا هَذَا السَّطْحَ.

إِنَّ الغَابَةَ الكَبْرَى تَحْتَرِقُ بِعُودِ ثِقَابٍ<sup>2</sup> صَغِيرٍ وَقَطْرَةِ مَاءٍ تَسْقُطُ فِي مَطْبَعَةٍ تَعَطَّلُهَا. وَذَرَّةٌ مِنَ الغُبَارِ تَقَعُ فِي العَيْنِ تُوْذِيهَا.

هَذَا هُوَ السَّبَبُ فِي أَنَّ «السَّمِيرَ» لَمْ تَصْدُرْ الإِثْنَيْنِ وَالثَّلَاثَاءُ.

السَّمِيرُ: 15/3/1944

## الضَّمَّتِ وَالْكَلَامُ

إِنَّ الصَّمْتَ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الكَلَامِ. بِأَيَّةِ لُغَةٍ كَانَ. وَلَا سِيَّماً إِذَا كَانَ المَتَكَلِّمُ يُطْلِقُ كَلَامَهُ بِلا رُويَةٍ وَلَا تَدَبُّرٍ وَلَا وَزْنَ. أَوْ يَطْلِقُهُ بَعْدَ تَدَبُّرٍ وَرُويَةٍ لِيَبْلُغَ بِهِ أَرَباً<sup>3</sup> غَيْرَ نَبِيلٍ أَوْ يَعْرِقْلُ سَعْياً نَبِيلاً يَقُومُ بِهِ سِوَاهُ.

إِنَّ الكَلَامَ بِأَيَّةِ لُغَةٍ كَانَ هُوَ أَدَاةُ كَالسَّكِّينِ وَالْقَلَمِ يُمْكِنُ أَنْ يَسْتَخْدِمَهُ المَرْءُ لِلخَيْرِ كَمَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَسْتَخْدِمَهُ لِلشَّرِّ. وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَدَاوِيَ بِهِ مَرِيضاً كَمَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُشْقِمَ صَاحِباً مَعَاوِي.

وَخَيْرُ المَتَكَلِّمِينَ هُمُ الَّذِينَ يَعِيشُونَ عَيْشَةَ الطُّيُورِ المَغْرَدَةِ يَمْلَأُونَ الفُضَاءَ أَغَانِي وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ سَمِيعٍ غَيْرِ الفُضَاءِ. لِأَنَّهُمْ يَجِدُونَ لَذَّةً فِي أَنْ يَصْنَدَحُوا وَيَتَرَنَّمُوا.

وَشَرُّ المَتَكَلِّمِينَ هُمُ الَّذِينَ شَأْنُهُمْ فِي الحَيَاةِ شَأْنُ الأَفَاعِي تَنْفُثُ السُّمَّ وَتَنْسَلُ مَسْرُورَةٌ بِمَا نَفَثَتْ وَلَوْ وَقَعَ سَمُّهَا عَلَى زَهْرَةٍ أَوْ طِفْلِ رَضِيعٍ.

فَالْمَتَكَلِّمُونَ أَنْوَاعٌ. فَمِنْهُمْ المَقْلِدُ الَّذِي لَوْ مُسِخَ طَيْراً لَكَانَ يَبْغَاءُ. وَمِنْهُمْ المُسْتَعِيرُ الَّذِي يَقْرَعُ أُذُنَيْكَ بِمَا قَالَهُ غَيْرُهُ كَأَنَّهُ مِنْ مُبْتَكِرَاتِهِ وَقَدْ يَكُونُ الَّذِي تَسْمَعُهُ مِنْهُ هُوَ لَكَ أَنْتَ.

وَمِنْهُمْ الرَّاغِبُ فِي الكَلَامِ كَيْفَمَا كَانَ فَهَذَا لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنَ البَشَرِ لَكَانَ ذُبَابَةً تَطْنُ أَوْ جَرَساً يَرِنُ.

1 عَطِبَ عَطْباً هَلَكَ، فَسَدَ.

2 ثِقَابُ: مَا تَشْتَعِلُ بِهِ النَّارُ مِنْ دِقَاقِ العِيدَانِ جُ ثَقْبٌ.

3 الأَرَبُ: البَغْيَةُ الأَمْنِيَّةُ.

ومنهم المتصنع في حديثه يحاول أن يوهمك أنه ذو شأن كبير في الحياة فيفضح نفسه من حيث لا يدري ويظل يتوهم أن السامعين مخدوعين به مع أن المخدوع هو وخذة.  
هذا نعمة<sup>1</sup> لا ريش لها.

الكلام خير مقياس لمعرفة الإنسان.  
إن الطبيب لا يقدر أن يفحص الإنسان حتى يفتح فمه وكذلك المرء لا يقدر أن يحكم على مقدار أخلاق المرء إلا إذا فتح فمه وتكلم.

لسان الفتى ينصف وينصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم  
فإذا حمدت الله لأن لك عينا ترى فأحمده لأن لك أذنا تسمع. فبالعين تستطيع أن تميز بين القبيح والجميل كما تميز بحاسة الذوق بين الحلو والمر وبالأذن تستعين على معرفة الكلام المبذل<sup>2</sup> من الكلام القيم فإن الكلام السقيم لا تهضمه الأذن كما لا تهضم المعدة الطعام الرديء.  
إن أعظم الفلاسفة والحكماء كانوا لا يتكلمون إلا قليلاً لأنهم كانوا يفكرون ويتأملون كثيراً.  
أنظر إلى الكواكب إنها تطلع وتملأ الفضاء نوراً ولا يحس الناس لها همساً ولا نبساً<sup>3</sup> أمّا الضفادع فإنها تملأ الليل نقيقاً وهي لا تكاد ترى  
قال الجامعة<sup>4</sup>: للكلام وقت ولكن كل وقت عند الحمقى<sup>5</sup> والثرثارين هو وقت كلام.

السَّعِير: 4/5/1944

## الصَّلَاة

ما أحوَجَ النفوس في هذه الأيام إلى الصَّلَاة التي يحسُّ الإنسان معها كأنَّ روحه تتسع وتمتد حتى تغمرُ الوجود. وكأنَّ الوجود كله يغمره.  
إنَّ الصَّلَاة الحقيقية تأمل عميق يشترك فيه القلب والعقل حتى يصيرا كأنَّهما قلب أو عقل.  
أمَّا الصَّلَاة التي ترددها الشُّفاه بقوة الاستمرار وحكم العادة ولا يرافقها التَّصوُّر العميق

- 1 النعمة طائر ويذكر واسم الجنس نعام.
- 2 المبذل: ابتذل الشيء والثوب امتهن، وامتهنت الشيء ابتذله وامتهنه استعمله.
- 3 النَّبَس: نَبَسَ يَنْبَسُ تكلم فأسرع.
- 4 الجامعة: في الأصل تحريف والصواب الجماعة والجماعة طائفة من الناس يجمعها غرض واحد. وكلمة جامعة كثيرة المعاني على إيجازها.
- 5 الحمقى: حمق فلان حمقاً قلَّ عقله فهو أحمق وهي حمقاء ج حمق حمقاً حمقاً فعل فعل الحمقى.

والوجد<sup>1</sup> البليغ فهي كلام يتردد لا صلاة وإن هتف به فأنله في معبد.

وليس الكلام هو الصلاة بل في وجدان المرء من شعور يحاول أن يصوره بالألفاظ. وفي أحيان كثيرة لا يفي الكلام باهتزازة واحدة من إهتزازات الروح فتري المرء ساهياً يحدق في السماء أو مطرقاً إلى الأرض. أو شاخصاً إلى صورة أو خيال يترأى له ولا يترأى لسواه.

فهو في هذه الحالة يصلي أكثر من الذين يمتثون الألفاظ ويرثمون الألحان. لأن الإنسان المشغول بنفسه وبما حوله لا يقدر أن يتصل بأكثر من ذاته وبما حوله.

الصلاة هي يقظة الوعي الداخلي. وتنبه المشاعر النائمة وتوجهها إلى الملائكة<sup>2</sup> المحجوب عن العيون لإستمداد القوة في حالة الضعف. والرَّجاء في حالة اليأس. والسلامة في ساعة الخطر.

الصلاة هي إقرار المخلوق بضعفه وأنه لا يملك من أمره ضرراً ولا نفعاً. فهو يستعين بالخالق ليُسَدِّدَ خطاه في الطريق القويم وينقذه من الآفات والمهالك.

وبكلمة مختصرة أعم. إن الصلاة هي رجوع الإنسان إلى الله.

فأنت وأنا وهو عندما نصلي نطرح عن كواهلنا الأعباء التي تؤفرها<sup>3</sup> حتى عندما نصلي من أجل غيرنا.

ولم يمر بنا عهد كنا بحاجة إلى الصلاة مثل هذه الفترة من الدهر التي يقتحم فيها شبابنا المهالك ويقذفون بأنفسهم في أشدق المنايا لكي يبرهنوا للأجيال المقبلة أن الحق والعدل والحرية كان لها في هذا الجيل أنصار لا يترددون عن الإستشهاد في سبيلها.

ولنصل من أجل أنفسنا فنحن مثلهم في هذه المحن الرهيبة محتاجون إلى الصلاة ليظل الرجاء فينا. وتبقى صِلتنا برب الحياة والموت مَّيَّنة.

ثم فلنصل حتى من أجل الذين لا يعرفون كيف يصلون.

لنصل بقلوبنا وأرواحنا فإن صلاة القلوب والأرواح لا يصدها شيء عن الوصول إلى السماء.

إن الصلاة تطهر النفوس وتُصَقِّلُ<sup>4</sup> الأذهان والعقول وتخلق في القلوب الخائفة المضطربة سَكينة وطُمأنينة.

السَّمير: 8 / 6 / 1944

- 
- 1 الوجد شدة الشوق.
  - 2 الملائكة الجماعة وهو الخلق أيضاً وج أملاء.
  - 3 وقِر: أوقر بعيرة، والوقر بالكسر الجمَل.
  - 4 صَقَل: صقله جلاء.

## صوت من العراق

كان الأديب العراقي عباس عماره أثناء وجوده في نيويورك يتردد إلى مكتب «السَّمير» في أوقات الفراغ ويحدثنا عن الحركة الأدبية في مدينة الرافدين. ولا سيَّما<sup>1</sup> تهافتُ النَّاشئة على تلاوة قصائد صاحب هذه الجريدة وحفظها. وينتهي كلُّ مرَّة إلى هذا السؤال - ألا تنوي أن تزور العراق؟ فأقول له - كيف تطلب مني هذا الأمر وأنت قلت الآن لي أنني هناك.

وذكر لنا أن له بنتاً في الرابعة عشرة من عمرها اسمها «لميعة» لا تزال في المدرسة وقد كتبت إليه مرَّة ترغب إليه أن يصف لها الشاعر إيليا أبو ماضي وسألنا رأينا في ذلك فقلنا له - قل لها إنه إنسان كأبي إنسان ترين.

ولا ندري ماذا قال لها. فقد فارقنا إلى ديترويت منذ حوالي سنتين وبتنا لا نسمع منه إلا قليلاً. ومنذ ما يقارب الشهر بعث إلينا بشطر من رسالة كتبها إليه ابنته «لميعة» الشاعرة الصَّغيرة تراكمُ وتتراحمُ فيها الأسئلة الأولى ويتبع التساؤل شكوى عنيفة من محيطها أو الناس في محيطها ولما كنَّا نضنُّ بروح هذه الفتاة أن تستقبل الحياة بالشكوى المُريرة فإننا ناشرون رسالتها ومعقبون عليها بما يحضُّرنا قالت:

«سرَّني وملاً جوانحي<sup>2</sup> طرباً وفخراً ذلك الإهتمام الذي أبداه الأديب إيليا أبو ماضي نحوي. أرجو من والدي أن يبلغه شكري على هديته الرائعة الثمينة ويجبره أنني جدُّ فرحة بها لأنني قد قرأت «الجداول» حتى حفظت أكثرها فوجدتها كنزاً من الأدب وثروة من الحكمة. أمَّا «الخمائل» فلا أعرف عنها شيئاً. ولكنني واثقة من كونها كأختها من حيث الرُّوعة والسَّحر.

فإلى صاحب «الجداول» و«الخمائل». إلى الخيال الذي لمست فيه خيالي أرسل هذه النفثة من روحي وليعلم أنها من وحي وحيه. وصوت ضرباته على القيثاره وإذا رأى أستاذي خطأ أو نقصاً فليعذرني أولاً وليرشِدني أخيراً:

من أنت. أنت ملاك جسمه بشرُ	أم أنت روح إله ساقها القدر
أمين سنا الحبُّ هذا الوحي منشأهُ	ومن لهيب الهوى قد جاء يستعرُ
أم من صفاء حياة قد نعمتُ بها	أم من تعاستها إذ شابهها الكدرُ؟
وهل من الحزن والآلام فُزت به	ومن دموع الأسى تهمني وتنهمرُ <sup>3</sup>

1 لا سيَّما: يستثنى بها وهي مكوَّنة من سبي وما ولك في المستثنى الجزء والرفع.

2 الجوانح: الأضلاع أضلاع الإنسان.

3 هَمَّت العينُ صَبَّتْ دَمْعُهَا.

لا تحسبن الذي قدّمت أسئلةً  
فلمست ممن يمدّون الرقاب إلى  
قد عشت بين أناس ساذ بينهم  
ما أعجب الناس يبقى الخير مختبئاً  
هم يملكون أنوفاً لا تشم سوى  
إذا راوا درهماً من أجله اقتلوا  
بها تطفئتُ عملاً خبأ السُّرُا  
ما لا يهّمهم إن قصّر النّظرُ  
حُبّ الحطام فما تغنيهم الفكرُ<sup>2</sup>  
ما بينهم مَهْملاً والشّرُّ ينتشرُ  
نثرُ الرّيح ولا يخلو لها العطرُ<sup>3</sup>  
وإن هم سمعوا شعراً به سخروا

\* \* \*

كأنهم والحبّ روضاً تُزيّنه  
فلم يُسرّ به بل زاده المأ  
وليتهم عند هذا الحدّ قد وقفوا  
لكنهم قد تمادوا في تعسفهم  
أنا الغريبة في أهلي وفي وطني  
وأنت تعرف روعي حيث تُشبهها  
عدّد مساوئها وأشرح محاسنها  
أبهى الورود وفيه الماء والشجرُ  
لأنّ ذا الرّوض لم ينضج به ثمرُ  
معي لما كان لي من أمرهم ضررُ  
وأضمرّوا قتل من بالقلب يفتخرُ<sup>4</sup>  
وأنت تجهل معنى رُوحك البشّرُ  
وليس يخفى على أمثالنا الخبرُ<sup>5</sup>  
قد ضقتُ ذرعاً بها وانتابني الضجرُ<sup>6</sup>

أيّها الشاعرة :

لم أستغرب شكواك فإن الشباب الطاهر العواطف والبريء التزعات يؤلمه ويُشجيه أن يتطلّع إلى  
العالم حوله فلا يراه طاهراً ولا بريئاً بل يراه قاسياً خشناً وظالماً عاتياً. ولا سيّما عندما ينظر إليه من  
ناحيته.

ولكن من هم الناس الذين تشكين منهم؟ إنهم يا لميعة، قومك وعشيرتك الذين يجب أن تحبهم

1 الشتر الشنارج أستر وشور.

2 الحطام: الدُّنيا متاعها.

3 الثن الرائحة الكريهة.

4 قالت شاعرتنا التي نفتخر بها ونجل:

«وأضمرّوا قتل قلب فيه افتخر»

فقلوها فيه افتخر (تحريف) والصواب به افتخر ومنعاً لإغصاب سيبويه عليها كان الأجدر بها أن تقول:

«وأضمرّوا قتل من بالقلب يفتخر».

«وليس يخفى على من مثلك الخبر»

5 في الأصل:

والصواب أن تقول وذلك حسب رأينا وحدنا: «وليس يخفى على أمثالنا الخبر».

6 الذرع: المقدار والطاقة والوسع ويقال: ضاق بالامر ذرعاً لم يطّقه.

وإن أبغضوك. وأن تُحسِنِي إليهم وإن أذكوك. وأن تفتحي الدُّرُوب أمامهم كلما سدَّ الدُّرُوب أمامك لأنَّك إن فعلتِ كما يفعلون وكنتِ مسيئة كما هم مسيئون خسرتهم وخسرتوك. فكوني أنتِ نعم، وإذا كانوا هم ظلاماً. وصيفاً ضاحكاً إذا كانوا هم شتاءً عابساً قَمَطَريراً<sup>1</sup>. ولا تقولي إنَّك هريبة فليس هريبة من يعرف نفسه ويعرفُ محيطه وإن كان في غير وطنه. أذكري أنَّ في كلِّ إنسان نفحة من الألوهية حتى اللص والقاتل. وإنَّما علينا نحن أن نكشف عنها الغبار الذي تكلس فوقها فلعلمها حتى صار صاحبها كأنه حيوان ضار<sup>2</sup> لا إنسان راق.

وإذا كان حولك أناسٌ مات فيهم الحسُّ وتحدَّج الخيال فهذا لا يوجب عليك أن تقنطي من وجود أناس أهل حسٍّ وأصحاب خيال. فإنَّ وجود فتاة في مثل عمرك لها هذه التزهات الجميلة في الحياة دليل لا يُدحض على أنَّ العراق يمشي بفتياته وفتيانه إلى عصر جديد سعيد.

لا تدعي القنوط يستحوذ على قلبك فليس مع القنوط حياة ولا هناء وإذا حزنت فلتكن نفسك كالذهب الذي تطهره النار من الشوائب والأكدار لا كالشيم والحطب الذي تلتهبه النار فلا يبقى منه غير الرماد.

وأخيراً أسوق إليك هذه الأبيات:

وإِسْمِي كالنَّجم إنْ جَنَّ المساءُ <sup>3</sup>	إِسْمِي كالورد في فَجْرِ الصُّبَا
وإذا ما ستر الغيم السَّماة	وإذا ما كَفَّنَ الثَّلْجُ الثَّرَى
وتوارى الثور في كهفِ الشتاء	وتعرَّى الرّوض من أزهاره
تخلّقي حولك زهراً وشذاءً <sup>4</sup>	فأحلّمي بالصَّيف ثمَّ ابتسمي
تحسِنُ الأخذَ فسُرِّي بالعطاء	وإذا سرَّ نفوسُ أنْها
فافرحي إنَّك تُعطِين الرِّجاء	وإذا أعياك أنْ تُعطِي غنى

السَّمير: 14/6/1944

## كيف يموت الإنسان وهو حي

ليس من مات ودُفِنَ في الثراب هو وحده الميت فالثراب لا يغيب تحته إلا الهياكل. ولا يبذل إلا الصُّور. أمَّا الشخصيات الجديرة بالبقاء والتي فيها أشياء أسمى من الثراب فإنَّها لا تغيب. بل تبقى

1 قَمَطَرير: القمطر الجبل القوي الضخم ويوم قِماطر كغلايطر وقمطرير شديد.

2 الحيوان الضَّاري: الضاري من الشباع المولع بأكل اللحم ج ضواري.

3 جَنَّ المساء: جَنَّ الليل جَنّاً أَظْلَمَ.

4 الشَّذاء: الشذا قوة الرَّاحة.



وتنمو وتنتشر وتزداد مع الأيام لمعاناً وإشراقاً.

الأنبياء لم يموتوا.

الشعراء لم يبيدوا.

الأبطال لم يندثروا.

الفلاسفة ما برحوا خالدين.

الفنانون لهم في كل عصر ولادة جديدة.

رجال العلم أحياء بما تركوا من آثار مفيدة وأعمال مجيدة.

«ذكرُ الفتى عمره الثاني» كما قال أبو الطيب ولكن بعض الناس يخملُ ذكرهم وينطوي أمرهم وهم في عُمرهم الأول. وهم أحياء يُرزقون. وشرُّ أنواع الموت أن ينطوي ذكرُ الإنسان وعينه مفتوحتان وأذناه تسمعان ورجلاه تطأان التراب.

عرفتُ أيها القاريء كيف يحيا الإنسان بعد موته بالأثر الطيب. بالفكرة الخالدة. بالقُدوة الصالحة أمّا كيف يموت وهو حيُّ يرزق ويأكل ويشرب فهو أنه يرضى من دُنياه كُلّها بأن يأكل ويشرب.

إذا كان الإنسان يجاهد في سبيل مبدأ سام ثم انقلبَ على نفسه وتخلّى عن مبدأه من أجل مال أو وظيفة أو لقب أو لذة زائلة فذلك رجل قد ألقى بنفسه في وادي الموت قبل أن يغمُرَه ظلام الموت.

وإذا اشتهر الإنسان بالاستقامة فوثقَ به الناس واثمنوه على أموالهم ثم وسوسَ له شيطان الطمع أن يحتالَ على هضمها واهتضمها فذلك رجل قد مات قبل أن يستوفي عُمره.

ورُبَّ رجل كان في جيش لَجِب<sup>1</sup> من الأصدقاء زينتَ له نفسه الأمّارة بالسوء أن يتوهم أنه كذلك لأنه أسمى منهم مقاماً وأرفعَ قدرًا أو أنهم خلِقُوا ليعيشوا من أجله فيذهب لغروره يتكبّر على هذا ويتنقص من قدرِ ذاك ويشمخ عليهم بأنف واربم خيلاء<sup>2</sup> ويظلُّ سائرًا في غوايته حتى ينفضوا من حوله فيمسي لعزّله وانفراده: «كالسيف عري مُناه من الحِلَل»<sup>3</sup>.

قد يعمّر هذا الرجل طويلاً ولكن كما تُعمّر عَوْسَجَة في قفر. هو حي عند نفسه ولكن لا حياة للكف بلا بنان.

ورُبَّ إنسان كان يحيا في قومه وأهله حياة شريفة نقيّة استولى عليه ضعف عقلي في ثانية بل لحظة فأقدم على خيانة شوهاء. أو معصية شنعاء. أو جريمة نكراء فسَيِّقَ إلى السجن أو عاش بعدها محتقراً منبوذاً كأنه من الدنيا في سجن بل في قبر.

فيا أيها القاريء لا تغتم أنك فقير ولا تحزن لأنك بلا عمل ولا تأسف إذا خسرت مالك أو

1 اللَجِب: الجلبة والصباح.

2 الخيلاء: الكبر.

3 الحِلَّة: الثوب الجيد غليظاً أو رقيقاً حُلِّل.

عقارك<sup>1</sup> فهذه كلها عوار<sup>2</sup> تُستردُّ وعليك أن تشكر الله أنك لم تخسر كرامتك عند نفسك وأنت كنت مسلوباً لا سالباً ومظلوماً لا ظالماً.

فكثيرون ممن سلبوا الناس أموالهم بالخدعة والتفاق قد أضاعوا كل ما كسبوا ولم يبق عليهم غير ميسم<sup>3</sup> الخديعة والتفاق.

والمظلوم أبداً يعلل نفسه بانكشاف ليل الظلم عنه أمّا الظالم فيقضي ليله ونهاره في حذرٍ وقلتي كأنه مضطجع على فوهة بُركان. والتاعسون كثيرون إلا أن رجلاً هذه حياته أتعسهم وأشقاهم.

السَّمير: 23/6/1944

## التَّصَلُّبُ فِي الرَّأْيِ

لكل مسألة وجهان: ولكن هذا لا يعني أن المسائل كبعض الناس تتقلب وتلبس اليوم وجهاً وغداً وجهاً آخر. بل تعني أن ما تجهله أنت قد يعرفه غيرك. وأن ما لا تراه أنت قد يراه سواك. وأن المسائل من كل نوع تتسهل وتتصعب على مقدار ما نعلم ونجهل. فإذا علمنا كثيراً هانت كثيراً. وإذا لم نعلم فكل شيء صعب وكل شيء مخيف.

ونحن نحمد الأشياء والأشخاص على نسبة ما ينالنا من النفع والضرر إنما النفع الذي ينالك وفيه ضرر لغيرك هو نفع مذموم بعكس الضرر الذي يصيبك في سبيل الغير وفي وسعك أن تتوقاه فإنه التضحية التي يحمدها كل الناس.

غير أن بعض الأنانيين يحسبون التضحية في سبيل السوى<sup>4</sup> نوعاً من الحماقة ولعلهم يعتقدون أن ليس في الناس من يستأهل أن يضحى من أجله شيء وهم الذين ينظرون إلى الدنيا من كوة<sup>5</sup> ضيقة هي الكوة التي يطلون منها على مصالحهم الشخصية فقط.

ما رأيت رجلاً حرداً<sup>6</sup> ناقماً على الزمان والناس إلا وكان ممن ضيقوا الدنيا على أنفسهم بالجهل فأصبح الواحد منهم لقصر نظره في الأمور وضيق صدره لا يرضى عما هو كائن ويغيبه أنه عاجز عن خلق الشيء الذي يرضيه.

1 العقار: كل ملك ثابت له أصل كالأرض والدَّار.

2 العارية: ما تعطيه غيرك على أن يعيده إليك يقال كل عارية مستردة ج عوارٍ.

3 الميسم: المكواة، والجمال.

4 السوى العدل الوسط ج أسواء.

5 الكوة والكوة ثقب البيت والجمع كواء بالكسر محدود ومقصور.

6 حرد عليه حرداً غَضِبَ.

فهو لشدة دورانه على نفسه ينسى أن في الدنيا أحداً سواه وأن لذلك الغير حقاً في الحياة مثل حقّه على الأقل .

أمّا الرجل العاقل الذي قرأ وفكّر وامتنحن وجزّب فإنّه لا ينظر إلى أيّة مسألة من الوجه الذي يعنيه وخذه منها بل يحاول أن يتفهّم موقف الآخرين حيالها وإن اختلفوا معه في تقديرها وتصويرها . فربّما كان الصواب في ما ارتأوا والخطأ في ما ارتأى . بل أن العاقل لا يستكبر أن يأخذ الفلسفة من أفواه الأطفال وأن يقتبس الحكمة من كلام المجانين .

أمّا الجاهل فيستكبر أن يقبل فكرة أو رأياً لسواه ولو جاءه من فم نبي لأنّه لغباوته يتوهّم أن في رجوعه عن رأي له ولو كان خطأ عيباً كبيراً وسبّة<sup>1</sup> شنعاء . حتى لتسمع بعض الجهلة يفاخرون بالعناد كأنّه ملك الفضائل فيقول واحد منهم مثلاً : «إنّي سأضرب الحيط برأسي فإمّا أن أهده وإمّا أن أكسر رأسي» ومعنى كلامه أنّه لا يوجد حل للمشكل الذي يعالجه غير أحد أمرين . إمّا هدّ الحيط وإمّا كسر رأسه . مع أن هناك طريقة سهلة جداً وبسيطة جداً يسلم معها الحيط من الهدّ ويسلم رأس ذلك النطّاح من الدقّ والكسر . وهي أن لا ينطّح الحيط .

أمّا إذا كان لا بُدّ من هدم الحيط فذلك أمرٌ ميسور بغير الرؤوس النطّاحة فهذه لا تهّدّ الحيطان بل لها المعاول والأخمال التي لم يخترعها هذا الصنف من الناس بل القوم الذين استعملوا ما في رؤوسهم من عقول لا رؤوسهم .

ومن علامات الجاهل أنّه رجل تقوم قيامته لأيّ أمر حقير تافه فتراه يعالجه في حماسة متناهية ونشاط بالغ كأنّها سعادة العالم كلّها متوقّفة على تحقيق ذلك الأمر وقد يكون في الواقع لا يهتمّ أحداً غيره ولكن النملة تغرق في شير ماء .

وإذا لم تغرق توهّمت أنّها عبّرت بحراً كبيراً .

أمّا إذا اجتاز أحد البحّر الكبير فذلك أمرٌ لا يدخل في عقلية النملة لأنّها لا ترى البحّر . وليس من بحر عندها إلا شبر الماء .

إنّ هذا النوع من الجهل هو السبب في ما نراه من التفكّك في صفوف أمّتنا وعلى خطبائنا وشعرائنا ووعاظنا أن يحاربوه . أو بالأحرى يجب أن يحاربه كلّ واحد منّا في نفسه وفي غيره . فكلّنا على شيء من هذا الجهل إمّا بالنسبة إلى غيرنا من الناس وإمّا بالنسبة إلى ما في الكون من أسرار مدفونة .

ومن فضائل العاقل أنّه يعترف بعجزه عند شعوره بالعجز . ولكن أحسن من هذا أن لا يقنع بالإعتراف وخذه بل يسعى إلى إزالة ما به من عجز وقصور بالدّرس والبحث والإستقراء والإستقصاء . فالحياة هي المدرسة الوحيدة التي لا تُؤصّد أبوابها ولا تردّد طلابها .

إنَّ المجد اليوم - كما كان مِن قَبْلُ - للأقوياء . الأقوياء بالعلم لا بكثرة الأجساد فالعراك اليوم عراك أدمغة مولدة وعقول مستنبطة . لا عراك سواعد ولا مخالب ولا كانت الغلبة والسيادة للسباع .

السَّمير : 26 / 6 / 1944

## المطيَّة العجيبة

هي مَطِيَّة لا تُدار بالبخار ولا الكهرباء ولا الغازولين ولكنها أعجب مِن كُلِّ مركبة تدبُّ على الأرض أو تسبح في الماء أو تطير في الفضاء .

هي أسرع مِن القطار والسيارة والطيارة حتى التي تقطع في الساعة ستماية ميل . إنها الخيال الذي ينقلك إلى أقاصي الأرض ويحملك إلى الآفاق المترامية ويصعدُ بك فوق الغيوم ويهبطُ بك إلى أعماق الأعماق ويدورُ بك في أنحاء العالم وأنت قاعدٌ في غرفتك أو مكتبك أو حانوتك أو مُستلقٍ على فراشك أو مُتكيٍّ على وسادتك .

كنتُ أطلُّعُ مِن نافذة القطار إلى النهر الذي يجري بين شاطئيه هادئاً صامتاً لا يثرثرُ وفيه الماء كثير - فقلت - ليت السَّواقِي وهي بعضُ منه تتعلَّمُ الرِّزَّانَةَ والرَّصانَةَ وحُسن السكوت .

وكنْتُ أطلُّعُ إلى الجبال ذات الأوسمة السُّندسية فأراها لا تترنَّحُ تيهاً<sup>1</sup> ولا كِبْراً<sup>2</sup> وفيها علوٌ وسمو . ولا تبدي امتعاضاً وإنزعاجاً . والشَّعالب تسترُّ فيها وتُعوي . والحشرات تدرُّجُ في جوانبها وتزحف .

فذكرتني بالنُّفوس الكبيرة التي تتعالى على الصَّغائر وتغضي عن العيوب والنِّقائص . وتُحسِّنُ حتى إلى الذين يسيئون إليها .

وصعد إلى القطار رهطٌ مِن الجنود فذهبتُ<sup>3</sup> عن الجبل والنهر . والشَّجر والزهر . وتذكرتُ إخوانهم الذين في ساحات الوغى<sup>4</sup> فإذا بالخيال ينقلني في لحظة إلى شواطئ فرنسا وجبال إيطاليا وجزائر الباسفيك . وإلى كُلِّ مكانٍ تلُعلعُ فيه المدافع وتقتلُ الجيوش . فإذا أنا في كُلِّ مكانٍ مع أني لم أنتقلُ إلى مكان . فما زلتُ في مقعدي ولم أبرح المركبة . ولكني ولا بارود يحترق حولي أكاد أشمُّ رائحة البارود . ولا يطنُّ في مِسمَعي<sup>5</sup> غير صوت الدَّواليب الرَّاكضة بي وأكاد أسمعُ دويَّ القنابل التي تنفجرُ

1 تاه تيهاً تكبَّرَ .

2 الكِبَرُ بالكسر العظمة وكذا الكِبَرِياء مكسوراً ممدوداً .

3 ذهل عن الشيء نسيه .

4 الوغى : الجلبة والأصوات ومنه قيل للحرب وغى لما فيها من الصَّوت والجلبة .

5 السَّامعة الأذن وكذا المِسمَع بالكسر .

في ميادين الهيجاء.

وأعجب من هذا التَّصوُّر لا يطوي المسافة وحدها بل الوقت أيضاً فيعود بك إلى العصور السالفة ويُرِيكَ كيف كان النَّاسُ يعيشون ويفكِّرون ويتصوِّرون.

أو يَقْفِزُكَ فوق حدود الحاضر إلى عالم المستقبل فيريك البيوت غير البيوت والأبواب غير الأبواب وطرائق النَّاسِ في المعيشة غير طرائقهم الحاضرة فإنَّ الإنسان ينزع دائماً إلى الأحسن ولا يرضى أن يتصوَّرَ إلاَّ الأحسن. فالخيال جناح وعَيْنٌ؛ وجناحٌ ينبسطُ فتتطوَّى له الأبعاد والمسافات وميضٌ تلمع فتشاهد ما غَبَرَ واندَثَرَ. ويبدو لها ما في ضمير الغد.

لولا الخيال في الإنسان لكان بهيمة<sup>1</sup>. ولهذا ترى أحياناً بهائم تمشي على اثنين هم النَّاسُ الذين لا خيال لهم.

السَّهير: 27/6/1944

## مع النهر

حياة النهر كحياة الإنسان تقوم باتحاد الرُّوح والجسم. فالماء والشطوط لا غنى لأحدهما عن الآخر فالماء الجاري هو الذي يكوِّن الضفاف على جانبيه ويوجد هنا فرضة ويبني هنا سداً ويجذب إليه الشجيرات.

أمّا الشاطيء فيقود النهر في سيره ويهديه ويصونه فيلويه هنا ويقومه هناك. ويدفعه حيناً فيجري مُمهلاً كأنه فيلسوف مُفكِّر. ويبسطه أحياناً فيبدو كالمرآة تنعكس فيها أشباح الشجر والغيوم.

في كُلِّ نهر جارٍ شيء يُحَبُّ لأجله إلاَّ أنَّ أحبَّ الأنهر إلينا هي تلك التي نعرفها أكثر من سواها هي التي رأيناها في طفولتنا تجري أمام بيوتنا وعمَّنا فيها زوارقنا الأولى. وقطفنا من ضفافها الأزهار.

والأنهر كالنَّاس. ليس أعظم النَّاس دائماً أقربهم إلى قلبك بل كثيراً ما وجدت من الأنس في اصطحاب رجل عادي ما لا تجده مع رجل عظيم ك نابوليون.

وفي الأنهر الصَّغيرة مِيزة لا يمكنُ تحديدها تستهوي طبقة معلومة من البشر وتكشف عن أطوارهم<sup>2</sup> ورغائبهم وطرائقهم في الحياة فحيث يكون النهر في بلد تجد البطالين والكسالى يختارون الوقوف على الجسر للتأمل. فإن لم يكن جسر جلسوا على حافة النهر وأرخوا أرجلهم في الماء.

ولكن إذا شئت أن تتعرَّف إلى النهر فلا تقنع بالنظر إليه لمحة هنا وهناك ولا سيَّما إذا كان البشر قد

1 البهيمة كل ذات أربع قوائم من دواب البر والبحر ما عدا الشباع ج بهائم.

2 الطُّور: القَدْرُ.

اتَّصَلُوا بِهِ وَغَيَّرَتْ أَيْدِيهِمْ مِنْ هِيَائِهِ وَبَدَّلَتْ. بل يجب عليك أن تتبعه إلى حيث يقودك.

ويجب أن تفرح لأنَّه يقودك فهو دليل وفيلسوف وصديق هو فوق ذلك أقدر من أيِّ معلِّم على أن يريك كيف تنشيء الطبيعة أناشيدها وتصبغها بالألوان والألحان والأحلام ولا سيَّما عندما تلملم الشمس أشعتها عند الغروب فكلَّها سادت الشَّكِينَة تعالى صوت النَّهر وازداد وضوحاً وجلاء. وفي تلك الساعة السَّحَرِيَّة تتسارع إلى مِسْمَعِيكَ<sup>1</sup> أغاني الطُّيور بل قل صلواتها العذبة الشَّجِيَّة وتحملُ النِّسَمَات إلى أنْفِكَ روائح الأزهار فترى سِحْراً وتَسْمَع وتَشْق سِحْراً. والأنهر لا تعرِّفك إلى الأطيَّار والأزهار فحسب بل تكشفُ لك جمال نَفْسِكَ الخفي وتعرِّفك إلى ذاتِكَ المحجوبة فتشاهدها وتلمسها عارية.

إنَّ نِصْف التَّعَاسَةِ في الدُّنْيَا كما قال أحد كبار العلماء مسبَّب عن الإعتقاد بأنَّ كلَّ إنسان يجب أن يقيم من نفسه على الحياة رقيقاً وحسبياً. وأن لا يمرَّ يوم دون أن يجد عيباً في نظام الكائنات. أو يوجد طريقة لإصلاحه.

أمَّا نِصْف التَّعَاسَةِ الثاني فمُسَبَّب عن ذلك الشُّعُور الأشعبي<sup>2</sup> بأنَّ حياة الإنسان تتقدم بالأشياء التي يملكها. وأنَّ عليه أن يكدَّ ويكدح فذلك خير من أن ينطرح على ظهره إلى جانب نهر أو جدول ويشكر الله لأنَّه حي.

فاهرج إلى النَّهر فإنَّ الشَّمْس أجمل ما تكون في نظر السَّماء. عندما يكون الإنسان مع ذلك الصَّاحِب الذي لا يَمْرُق<sup>3</sup> ولا يراوغ ولا يتصنَّع ولا يتضجَّر مع النَّهر.

قال صاحب ديوان «الجداول» مرَّة في قصيدة «ملفرد أم القرى» مشيراً إلى نهر الدُّلُوار:

ولقد وقفتُ حيال نهرك بكرةً	والطَّيرُ في الوَكَنَات والأوكار <sup>4</sup>
متهيِّباً فكأنَّني في هيكلي	وكأنَّه سيفرٌ من الأسفار <sup>5</sup>
مرَّ النسيمُ به فمرَّت مُقلتي	منه بأسطارٍ على أسطار <sup>6</sup>
فالقلبُ مشغولٌ بتذكاراته	والطَّرْفُ مندفعٌ مع الثَّيَّار <sup>7</sup>
حتى تجلَّت فوق هاتيك الرُّبى	شمسُ الصَّبَّاح تلوح كالدينار

1 الشَّامِعة الأذن وكذا المِسْمَع.

2 الأشعبي: وأشعب مات كانشعب وفارقه فراقاً لا يرجع وأشعب اسم رجل كان مشتهراً بالطَّعم المُفْرِط. ولقد توفي في عصر صدر الإسلام.

3 المَذْق: مَذْق الودَّ أي لم يخلصه من باب نصر فهو مَذَاق ومَذِيق أي غير مُخْلِص.

4 الحِيَال قُبالة الشيء ويقال قعدتُ حِيالَه وبحِيالِه: بإزائه. والوَكَن عُش الطَّائِر في جبل أو جدار.

5 السَّفر بالكسر الكتاب والجمع أسفار.

6 المُقَلَّة العين وما حولها.

7 الثَّيَّار المَوْج.

فعلى جوانبه وشاحُ زَبَرْجَدٍ      وعلى قواربه وشاح بهار<sup>1</sup>  
لو أبصرتُ عيناك فيه خيالها      لرأيتَ مرآةً بغير إطارٍ  
يَمَّمُّهُ سَحَرًا وأسراري مَعِي      ورَجَعْتَ في أعماقه أسراري

السَّمِير: 13/7/1944

## الابتسام

لا يتمُّ جمال الفتاة إلا بالابتسام. إنَّ المرأةَ الجميلةَ التي لا تَبْتَسِمُ تَغْلِبُهَا في ساحة الحب والحياة امرأةٌ غيرُ جميلة ولكنَّها تَبْتَسِمُ.

إذا وقفتِ أمام المصوِّر كان أول أمر يَنْبُهُكَ إليه هو أن تبتسمي أو أن تنفرجَ شفتاك قليلاً عن أسنانك إذا لم يكن في وُسْعِكَ الابتسام.

وكلُّ أبناءِ الفنون الجميلة يعتبرون الابتسامة في المرأة نصف الملاحظة فيها. والجواز الذي تستطيع الدُخُول به إلى القلوب والأرواح.

سُئِلَ مرةً شاب عزب لماذا لا يتزوَّج فتاة جميلة مستخدمة عنده فأجاب: إنَّها مِنْ أصلح الفتيات لأن تكون زوجة ولكنِّي لا أجدُ فيها المرأة التي أحلُمُ بها.

فقال السائل لماذا:

فأجابه الشاب: لأنَّها دائماً عابسة متجهمة كأنَّها تتحفَّز للخصام والقتال.

ولم تكن تلك الفتاة شرسة الأخلاق كما تصوِّرها وإنما إنهاكِها في الشُّغل نزع مِنْ وجهها البشَرِ مؤقتاً. أو هي لم تعود نفسها الابتسام فأضاعَتْ بالعُبُوسَة فرصة ثمينة.

مثال الفتاة التي لا تحسِنُ الابتسام كمثل المرج الجميل تدلِّي فوقه الضَّبَاب فحجبَ ما فيه مِنْ روعة ونضارة عن العيون ولكن لو سطعتِ الشَّمْسُ على مرج آخر دونه حسناً ظهرَ جميلاً بهيجاً يَسُرُّ النَّاظِرِينَ.

نظرَ أحد كبار المُمَوِّلِينَ العصاميِّين إلى فتى عنده فقال «إنَّه سيفوز لأنَّه يبتسم» فالابتسامة إذن رأس مال كبير للزَّجل. مثلما هي شهادة طَبِيبَة للفتاة تحملها في ثَغْرِها. وهي في كليهما عنوان الصحة والنشاط والمضاء والجلد والطُمَأْنِينَة الرُّوحِيَّة.

1 الوِشاح بالكسر شيء يُنسَج من أديم عريضاً ويُرصَّع بالجواهر وتشده المرأة بين عاتقها وكشَّحها. والزَّبَرْجَدُ: حَجَرٌ كريم يشبه الزُّمُرْد وهو ذو ألوان كثيرة أشهرها الأخضر المصري والأصفر القبرصي. والبهار: بالفتح القرار الذي يقال له عين البقر وهو بهار البر وهو نبتٌ جَعْدٌ له فُحَّاحَةٌ صفراء تنبت أيام الرُّبيع يقال لها العرارة.

وهي رمز اللطف والخلق الكريم  
 إنَّ الإنسان بلا إبتسام كالسَّماء بلا شمس  
 ولكنَّ الإبتسامات أنواع وأشكال  
 هناك الإبتسامات الباردة كالثلج  
 والإبتسامات الجارحة كالمُدَى  
 والإبتسامات الواخزة كالشَّوك  
 والإبتسامات الخادعة كالسَّراب  
 والإبتسامات الفارغة الخالية كفقاقيع الماء  
 والإبتسامات التي يجري فيها ماء الخيلاء والغرور  
 والإبتسامات التي يتوارى وراءها الخبث ويكمن فيها الغدر.  
 وليستْ الإبتسامة أنْ تنفرجَ الشَّفتان وتبدو الأسنان فحَسْبُ. فمنَ الإبتسام ما يكون في الوجه  
 طلاقة وفي العينين بريقاً. وقد يكون الإبتسام في الفم والعينين والملامح كُلِّها في وقت واحد وهذا  
 أفضل أنواع الإبتسام.  
 ولكي يستطيع المرء أنْ يتسمَّ الإبتسامة التي تَدْخُلُ النَّفُوسَ بلا مشورة ولا استئذان يجب أنْ يأخذَ  
 قِنِطَه<sup>1</sup> الكافي من الراحة والنَّوم والهواء النقي وعليه أنْ يَخْلُقَ في نفسه المِثْلَ إلى الإبتسام لأنَّ مَنْ يَمِيلُ  
 إلى أمرٍ يفعلُه ويَتقنه فلا يَبْقَى فيه أثر للتَّصَنُّع والتَّكَلُّف.  
 فتعلَّم كيف تبسم. وتعلَّم كيف تبسمين.

السَّمير: 24 / 7 / 1944

## الحُرُّ في نيويورك والحُرُّ في فلوريدا

اشتدَّ الحرُّ في مدينة نيويورك لدرجة لم يُعْهَدْ لها مثيل كما يقول ساكيني نيويورك والعُهْدَة<sup>2</sup> عليهم  
 فيما يقولون إنَّهم لم يشعروا بمثله في السَّنين الماضية ولم يكن الحرُّ مذيبياً في شهر تموز من كُلِّ سنة مثله  
 في عامنا هذا.  
 لا أنَّهمهم وأقول غير صادقين فيما قالوا فالإنسان طَبَعَ على النسيان والناس هم، هم، في البلدان

1 القِنِط: النَّصيب والحِصَّة.

2 العُهْدَة: كتاب الشَّراء وهي أيضاً الدَّرَك. والدَّرَك التَّبَعَة.



الحارّة والباردة على حدّ سواء. يَنْسَوْنَ الحَرَّ المذيب كما يَنْسَوْنَ البرد القارس<sup>1</sup>. ويتذمّرون من اليوم الذي هم فيه. وما لنا ولهذا فالأمر الواقع هنا أننا الآن تصطلي أجسامنا بحرّ تموز وهجير<sup>2</sup> وتكاد أن تذوب من شدّة الحرارة كما يذوب الشمع أمام النّار وتكاد الأرواح تَرْهَقُ<sup>3</sup> من ضغط الحرارة.

قالت إحدى الصّحف أن جماهير الناس الذين هربوا ملتجئين إلى شواطئ كوني أيلند بلغ عددهم مليون وربع المليون ومثل هذا العدد من الخلق إلّجأ إلى شاطئ راكاواي ما عدا مئات الألوف الذين فرّوا إلى الجبال والمصايف القريبة من المدينة. فقد هجر في يوم واحد نحو نصف سكّان نيويورك. أجلاهم الحرّ عن منازلهم كما أجلى «الروبوط» مئات الألوف من سكّان لندن نازحين عنها في طلب السّلامة والنّجاة.

ودخل عليّ صديقٌ خفيف الرّوح وهو يلهث من شدّة الحرّ يحمل على ساعده معطفه وسترته ويأقته وطوقه والعرق يتصبّب من رأسه الأملس ولا أقول جبهته إذ لا فارق بين جبهته ورأسه. فلما رأيته حاملاً «كلاكيشه» لم أتمالك من الابتسام بالرّغم عني وقلت له متى صرّت بائع ثياب. فغاظته ابتسامتي ولم يَغْظَه سؤالي وقال وما عليك من الحرّ هنا فقد تعودت على أشدّ من هذا في فلوريدا. قلت: وكيف هذا فأنا مثلك من لحم ودم.

قال: نعم ولكنّ الفرق بين حرّ نيويورك وحرّ فلوريدا «هذه الهيومدي»...

قلت: ما هي هذه الهيومدي؟ أجاب: ما بعرف. واستطرد «هالعبقه»...

قلت: مهلاً<sup>4</sup> وتناولت القاموس العصري لأسأل الياس أنطون الياس. عن «الييومدي» فإذا به يقول: «البلل. الرطوبة. الندى» فلم أقنع بقوله فسألت الرفيق فؤاد الخوري العليم باللغة الإنكليزية فأجاب: «كثافة الرطوبة». والكثافة تعني «التلبّد» فإذا هي «الرطوبة المتلبّدة» على أني استحسنت تعريب «الييومدي» التي جاءت عَقْوَ<sup>5</sup> وعن شعور باللّغة الدّارجة «العَبَقَة»، لأنّها أقرب إلى أفهام الجميع ويفهمها الخاص والعام.

ولأعود إلى حرّ فلوريدا فإنّه حرّ دائم على طول في شهور الصّيف وهو الهجير بذاته. ولكنّه يظلّ خارج المنازل والدّور والمكاتب فلا ينفذ إليها.

وفي فلوريدا يعيش سواد الناس أحراراً من قيود الملابس فلا يطوّقون أعناقهم بأطواق تشدّها الرّبطات وتراهم جميعاً نساءً ورجالاً وكباراً وصغاراً يرتدون من الملابس ما خفّ ورَقَّ وهم

1 القارس يقال برد قارس: شديد

2 الهجير نصف النّهار عند اشتداد الحرّ.

3 زهقت نفسه خرجت.

4 مهلاً: وقولهم «مهلاً» يا رجل وكذا للثنين والجمع والمؤنث بمعنى أمهل.

5 وأعفى أنفق العفو من ماله وأعطيته عفواً بغير مسئلة.

ديمقراطيون في السياسة وفي حياتهم وتصرفاتهم الشخصية وهم من أقرب الناس إلى الناس يتصفون بسذاجة<sup>1</sup> أهل القرى ومعروفون ببطء الحركة وهذه بركة من بركات السماء اختصهم بها الإقليم الحار وقد يبلغ البطء بهم درجة التواني والكسل المتناهي...

السّمر: 31/7/1944

## عيد الطفل

لم يشعر الكبار في هذه السنة بالمسرة التي كانوا يشعرون بها في عيد الميلاد. ولكنهم مع ذلك صعب عليهم أن لا يفرح الأولاد في العيد فكظموا<sup>2</sup> ما في نفوسهم من هم وكدر وكتّموا ما يخامرهم من وساوس<sup>3</sup> ومضت الأم إلى الشوق كعادتها تدور في الحوانيت باحثة مفتشة عن اللعبة التي عرفت أن ابنها يحبها. وعن الفسطان الذي اشتتت طفلتها أن يكون لها.

ومضى الأب مثلها يفكر في جلب الأشياء التي تعود جلبها في العيد لصغاره. وهكذا سطعت أنوار الكهرباء في الأشجار الخضراء في البيوت وابتسم الصغار فرحين بالعيد فسي الكبار همومهم وهواجسهم<sup>4</sup> عندما رأوهم يتسّمون ويطربون. فأنت ترى أن الإنسان عندما يسعى لإدخال الفرح إلى قلب سيواه يحصد هو فرحاً لذاته في النهاية.

كذلك يتضح لنا مما تقدّم أن المرء لا يسترجع نفسه وهي جديدة صقيلة إلا إذا نسيها قليلاً ليتسنى له الاتصال بالنفوس.

ولنضرب لذلك مثلاً الماء الجاري فهو إذا ظلّ واقفاً راکداً تطرّق إليه الفساد فتبدّل لونه وتغيّر طعمه ولكنه إذا جرى في الأرض فروى الأعشاب والمغارس تحوّل إلى خضرة ونضرة وأريج فنعش وازداد هو بالبذل صفاء وعذوبة.

إن الذين ينكمشون على أنفسهم وينطوون ويعتزلون عن اكتفاء أو عن استغناء توهماً منهم أنهم يصونون قوتهم فإنهم لا يصونون شيئاً بل يفقدون أجمل وأثمن شيء في الحياة وهو حب الغير. إن هذا الصنف من البشر هم والموميات سواء. بل ربّ مؤمّيات خير منهم في نظر كثيرين من الناس.

1 السذاجة: الشاذج معرّب ساده.

2 كظّم الرّجل غيظه وعلى غيظه أمسك على ما في نفسه صافحاً أو مغيطاً فهو كاظم فأنا كظيم ومكظوم.

3 الوسواس: الوسوسة حديث النفس والوسواس أيضاً اسم الشيطان.

4 الهواجس: الهاجس الخاطر يقال: هجس في صدري شيء أي حدّس وبابه ضرب.

أما السَّبب في تفضيل المؤمنين التي لا شعور لها ولا عقل على أولئك الأحياء ذوي العقول والشعور فهو أن المؤمنين لا تبخل عن علم وقصد. ولا تنكش على ذاتها عن طواعية وعمد. بينما هم يتخلون وينكمشون لأنهم يجهلون قيمة الأشياء الروحية العاطفية حتى ليتساور عندهم فقايع الصابون وابتسامات الأطفال في العيد.

إن هؤلاء الناس لا عيْد لهم يفرحون به ولذلك يفرح الناس بهم في عيدٍ ولا موسم!

السَّمر: 26 / 11 / 1944

## الغضب والطرب

إذا تكلمت عن إنسان بالحسنى فعزوت إليه بالأخلاق الكريمة وكنت لم تره غضباناً أو سكراناً فاعلم أنك تتحدث في غير يقين كما تتحدث عن قصير لم تدخله وعن ماء لم تشربه لأنك لم تشهد من أخلاقه وطباعه غير ظاهر ميكانيكية متشابهة في جميع الناس لأن الاصطلاحات والتقاليد الاجتماعية في أي وسط تجعل الناس متشابهين في كثير من العادات والأطوار<sup>1</sup> كما تجعلهم متشابهين في مساكنهم وملابسهم ومآكلهم حتى ليستوي في هذه الناحية أحكم إنسان وأحمق إنسان لأن الإثنين يلبسان لباساً واحداً. ومسكن الأول كمسكن الثاني وطعام هذا كطعام ذلك. فلم يبق ما يميّز بينهما إلا تباين الصور في النظر وهذه لا يصح الحكم عليها لأنها كثيراً ما تخدع الرائي.

وإنما تظهر أخلاق المرء كلها قبيحة أو جميلة إذا رنحت موجة من طرب أو هزته عاصفة من غضب. فإذا كان سافلاً تقياً كل أخلاقه. وإذا كان كريماً سطعت أخلاقه العالية وتألقت كالنجوم في سماء انكشفت عنها الغيوم.

الغضب كالشكر يطلق المرء من قيود الحشمة ويرسله على سجيته، ولذلك أطلقوا على الحالة الأولى اسم «ثورة» وعلى الثانية اسم «سورة»<sup>2</sup> وبين ثورة الغضب وسورة الخمر صلة ونسب.

أي شيء يميّز الحية عن الشوط غير هياجها وما في هياجها من خطر؟ وكثيرون كالحيات في لين الملمس ونعومة الجلد إلا أنهم ليسوا كذلك عندما يغضبون أو تغلبهم الخمر على نفوسهم.

وهذا البحر - أيقذف بحصاه ولائه إلا عندما يثور؟ وكم من الناس لا تظهر أسرار نفوسهم إلا

1 الأطوار: عدا طوره أي جاوز حده والناس أطوار أي أخيف على حالات شتى. والأخفاف: أخيف بين الخيف إذا كانت إحدى عينيه زرقاء والأخرى سوداء وكذلك هو من كل شيء ومنه قيل: الناس أخفاف أي مختلفون وإخوة أخفاف إذا كانت أمهم واحدة والآباء شتى.

2 السورة: سورة الخمر وغيرها جذتها كسوارها بالضم.

إذا هاجوا كالبحار!

ليس الغضب محموداً غير أننا يجب أن نعرف بأنه ذو فضل كبير في تمزيق براقع التّمويه والخداع والكشف عمّا في السرائر<sup>1</sup>. فإذا كنتَ في ريبٍ من إخلاص رجل يتقرّب إليك فاغضبه غير متهيّب لأنّه إذا كان حقيقةً مخلصاً فلن ينقص إغضابك إيّاه من إخلاصه أمّا إذا لم يكن مخلصاً فكلّها أسرعت في قطيعته كان ذلك أدفعُ للأذى عنك.

السّمير: 19/12/1944

## الإخاء البشري

يحاول الإنسان منذ وجد على هذه الأرض أن يجعل منها نعيماً لا حزن فيه ولا كدر ولا خصام ولا نزاع ولكنه لم يفلح ولا نظّنه يفلح بالرّغم من إدراكه أن في الأرض متسعاً لكلّ وخيراً كثيراً يكفي الكلّ.

حلّم أفلاطون بالجمهورية السعيدة ولكن حلمه الجميل لم يزل حلماً. وحلّم الفارابي بالمدينة الفاضلة ولكنها مدينة خيال ووهم فإن مجرّد التّصوّر لا يبدّل أطوار البشر ولا يغيّر سنن الحياة.

ولو أن معجزة حدثت وتبدّل الناس فلم يبق فيهم شعور بالحب ولا البغض ولا الغيرة<sup>2</sup> ولا الحسد ولا القناعة والطّمع. وبطل أن يجوع الإنسان ويشبع ويشتهي ويرغب. فإنهم لا يكونون عندئذ ناساً بل شبه آلهة. لكن الآلهة لا تسكن الطين ولا تعيش في اللحم والدّم. فإذا صاروا إلى هذه الحالة لم تعد الأرض صالحة لسكنائهم. بل لم تعد تصلح أن تكون مدفناً<sup>3</sup> لموتاهم.

كيف يُمكن أن يتمّ الإخاء بين البشر. والبشر حتى الرّاقون منهم لا يخرجون من هبّوة<sup>4</sup> حرب إلا ليتأهبوا لخوض غمار<sup>5</sup> حرب جديدة. إمّا لإستضعاف أو لإستقواء. وإمّا للحصول على مقتنيات الغير وإمّا للحؤول دون اشتراك الغير في خيرات الأرض.

كيف يُمكن أن يتمّ السلام البشري ويسود السلام في الأرض وتنقطع الحروب. وهذا يقول - إنّ ما أسعى إليه خيرٌ ممّا يسعى إليه سواي. وإنّ ما أعمله أنا يجب أن يعملّه غيري.

1 السريّة: السرّ الذي يكتم وجمعه أسرار والسريّة مثله وجمعها سرائر.

2 الغيرة: غار الرّجل على امرأته غيرة ثارت نفسه لإبدائها زينتها ومحاسنها لغيره. ج غيّر.

3 المدفن: موضع الدفن.

4 الهبّوة: الغبرة.

5 غمار: الغمرة الشدّة ج غمار وغمّرات يقال: غمّرات الموت.

كيف يمكن أن يسود الإحاء بين البشر وكل أمة تدعي أنها مغبونة<sup>١</sup> من الأمم الأخرى أو أنها مهضومة<sup>٢</sup> الحقوق حتى الأمم الكبرى التي بيدها مفاتيح الرزق، وبيدها القوة على أن تخفض وترتفع وأن تغتني وتفتقر.

لا شك في أن الناس قد ارتقوا كثيراً عما كانوا عليه منذ قرون وأحبال. ولكنهم ما برخوا في أول الطريق إلى اخذف الذي يشده العلاسفة والمفكرون وما زالوا من هذه الناحية أطفالاً. يلعبون معاً الآن وبعد قليل يختصمون ويقتلون. ثم يندفون فيتصاحبون. ثم يختلفون فيتنازعون ويتشاجرون<sup>٣</sup>. إنهم عاجز الإنسان حتى الساعة عن الوصول إلى الإحاء العام وصيرورة الأرض فردوساً سعيداً لا يدعو إلى القنوط ولا يحمل على الإنقطاع عن السعي في هذا السبيل. لأننا إذا زهدنا وقفنا ولم نصل إلى شيء. أما إذا استبقينا هذا الزحاه في أنفسنا فإننا إن لم نصل إلى فردوس فلا شك في أننا نصل إلى شبه فردوس.

إن الحياة بلا أمل شقاء وبؤس ولكنها مع الأمل والزجاء تصير لامعة ويصير فيها نور وهناء. فلنأمل ولنعمل.

السَّمير: 7 / 1 / 1945

## تَجَارِ الْأَقَاوِيل

من بيت إلى بيت

ومن مجلس إلى مجلس

يدور تجار أو تاجرات الأقاويل لالتقاط حكاية. أو خبر أو كلمة يبثون عليها بيوتاً عالية من الشوائع<sup>٤</sup>. ويتوهمون أنها ستبقى فتعصف<sup>٥</sup> بها رياح الحقيقة فإذا هي أطلال دارسة<sup>٦</sup> وأثار طامسة<sup>٧</sup>. وإذا لم تجد تاجرة الأقاويل شيئاً تحمله في جرابها وتدور به تشره هنا وهناك فإنها تعمد إلى الاختلاق والتزوير فتقول: «سمعت كذا كذا»<sup>٨</sup> دون أن تخبر أين سمعت ولا ممن سمعت.

١ غَبَنَ: غَبَنَ فِي الْبَيْعِ غَبْنًا غَلَبَهُ وَنَقَصَهُ.

٢ هَضَمَهُ حَقٌّ: أَي ظَلَمَهُ فَهُوَ هَضِيمٌ وَمُهْتَظَمٌ أَي مَظْلُومٌ.

٣ اشْتَجَرَ الْقَوْمُ وَتَشَاجَرُوا تَنَازَعُوا وَالْمَشَاجِرَةُ الْمَنَازَعَةُ.

٤ الشَّائِعَةُ الْخَبَرُ يَتَشَرُّ وَلَا تَثْبُتُ فِيهِ جُ شَوَائِعٌ.

٥ عَصَفَتْ الرِّيحُ اشْتَدَّ هُبُوبُهَا وَيُقَالُ عَصَفَتْ بِهِمُ الْحَرْبُ أَهْلَكَتْهُمْ.

٦ أَطْلَالُ دَارِسَةٍ: وَالطَّلَلُ مَا شَخَّصَ مِنْ أَثَارِ الدَّارِ وَالْجَمْعُ أَطْلَالٌ دَرَسَ الرَّسْمُ عَقًّا.

٧ أَثَارُ طَامِسَةٍ: وَالْأَثَرُ يَفْتَحَتَانِ مَا بَقِيَ مِنْ رَسْمِ الشَّيْءِ. وَالطُّمُوسُ الدُّرُوسُ وَالْإِمْتِخَاءُ.

٨ كَذَا وَكَذَا: كَذَا كُنَايَةٌ عَنِ الشَّيْءِ تَقُولُ فَعَلَ كَذَا وَكَذَا وَيَكُونُ كُنَايَةً عَنِ الْعَدَدِ فَيُنْصَبُ مَا بَعْدَهُ عَلَى التَّمْيِيزِ تَقُولُ: لَهُ عِنْدِي كَذَا دَرَاهِمًا كَمَا تَقُولُ عِشْرُونَ دِرْهَمًا.

وإذا سُلِّتْ أين ومتى. تكلَّفت الحشمة وزعمت أنها تأتي أن تسمي أحداً أو مكاناً لئلا ينتصب ميزان العتاب بين الناس.

وهي في زعمها كاذبةٌ مثلها في الخبر الذي تنشره. وليس الذي تخشاه وتتوقاه غير أمرٍ واحدٍ هو أن ينكشف السر ويعرف الناس الكاذب المختلق<sup>1</sup>.

نتكلم بصيغة المؤنث لأن النميمة<sup>2</sup> مؤنثة والسعاية<sup>3</sup> مؤنثة والجريمة مؤنثة والبعوضة التي تنقل الجراثيم مؤنثة.

وعندما يصير أي رجل إلى هذه الحالة. وتصير هذه العادة الذميمة عادته فقل إنه قد أضاع شئمة<sup>4</sup> الرجل وشمته<sup>5</sup> وصار لا رجل.

لا تكثر النِّمائم إلا بين الطبقات الجاهلة المنحطة التي تحنُّ لضعف مداركها إلى إستطلاع الأمور فتشرب<sup>6</sup> ثم تشرب وتتناول ثم تتناول ولكنها لا تبلغ إلا الأعراض والقشور فتعلقها وتلوّكها وتحسب أنها ظفّرت بالجوهر واللباب<sup>7</sup>.

للنِّمائم أجنحة ولكنها أجنحة بعوض. ولها طنين ولكنه طنين الذباب.

لذلك يكره الناس رؤية البعوض لأنه لا يحمل في أجنحته غير الجراثيم.

وهم يمقتون الذباب لأن أغانيه وأهازيجه ليست ممّا تطربُّ لها الأرواح أو تهتزُّ لها المشاعر.

ولكنهم مع معرفتهم أن ضرر الشوائع الكاذبة والأراجيف المختلقة مثل ضرر البعوض. والذباب بل أشد لا يعملون على إبادتها كما يعملون على إيادة البعوض والذباب.

ولو كان في البلاد شريعة تعاقب المختلق<sup>8</sup> المرجف<sup>9</sup> لرأينا كثيرين ممن يغشون البيوت والمجالس في غيابات<sup>10</sup> الشجُون.

السَّمير: 15/3/1945

1 اختلق القول افتراه.

2 النميمة: نَم الحديث أي قَتَه والإسم النميمة. والقَت نَم الحديث.

3 السعاية: وسَعَى به إلى الوالي سِعايةً وسَى به.

4 الشئمة: الخلق.

5 السَّمَم: ارتفاع في قَصَبَةِ الأنف مع استواء أعلاه ورجل أشَم أي طويل الرأس بين السَّمَم.

6 اشرب إليه وله اشرباباً مَذَعْتُهُ أو ارتفع لينظر.

7 واللَّب من كل شيء خالصه وخياره.

8 المختلق: اختلق القول افتراه.

9 المرجف: الإرجاف واحد أراجيف الأخبار وقد أرجفوا في الشيء أي خاضوا فيه.

10 غيابات: وغاب غيباً وغيبةً وغيباً خلاف شهد وحضر.

## الأخلاق والعنزة

الكل يعلمون أن الحياة في أيامنا تطير طيراناً. وأن الناس كلهم في كل مكان يحملون بالمستقبل وبدنيا المستقبل. ويبنون ويعملون لتلك الدنيا التي يتصورونها ويستعجلون خلقها.

أما نحن فعندنا فريق كبير من هذا الطراز. من الناس الذين يتطلعون إلى الغد ويعملون للغد. وهم يملكون قوة الإبداع ويحاولون أن يخلقوا ويتدعوا على غرار<sup>1</sup> الأمم الراقية.

ولكن عندنا أيضاً فريق كبير لا يزال حاصراً تطلعه وتفكيره في الماضي السحيق<sup>2</sup> كأولئك الذين كلما كتبوا مقالاً أو نظموا قصيدة رجعوا إلى قبور الأسلاف الصالحين فاستخرجوا منها الرّم<sup>3</sup> وسيروها أمام الناس صفوفاً ومواكب وراخوا يهتفون لها ويفرضون<sup>4</sup> على غيرهم الهتاف لتلك الرّم البالية التي لو رجعت إليها الحياة واستطاعت أن تتكلم لانهالت باللعنات على هؤلاء الأحفاد الذين لم يفعلوا شيئاً مذكوراً يستطيع أن يتباهى به أولئك الأسلاف<sup>5</sup> كما يتباهى به الأحفاد.

ومن الغريب أن أصحاب هذه النعمة المضجرة المملة يسمعون ويشاهدون كل أمة في هذا العصر تصبوا إلى حالة أحسن وأرقى من حالة أسلافها وأجدادها لأنها لو رضيت بأن تكون كما كان أولئك الأسلاف لما خطت خطوة إلى الأمام ولا تبدل شيء من زراعتها وصناعاتها وكل نواحي حياتها.

ونحن أيضاً نتبدل مع الناس ونسير في موكب الحياة لأننا لا نقدر أن نقف في التيار<sup>6</sup> ولكننا مع ذلك لا نفتأ نفاخر بأجداد طوتهم الأرض منذ دهور. نفاخر بهم لأننا لم نجترح<sup>7</sup> بعد آية نقدر أن نتباهى بها بل كل ما عندنا هو من فضل الغير ومستعار من أبناء الأمم الأخرى لا من أجدادنا في الأحداث. وألتي نظرة على ما تركه الأجداد الأقدمين من الآثار فتجد الأحفاد قد أهملوها ولم يجددوا شيئاً منها. ولم يحاولوا حتى أن يستبقوها في بلادهم فذهب منها كثير إلى بلاد الغير ومتاحف الغير.

ومن هذا النوع قالة الشعر العامي الذين يعيشون في البيوت التي تنار بالكهرباء. ويجري فيها الماء بارداً وساخناً. ويتحدثون منها بالتليفون إلى أماكن قصية<sup>8</sup> فإنهم مع كل هذه الوسائل التي توفرها

1 غرار: الغرار القالب يضرب عليه النصال يقال: ضرب نصاله على غرار واحد ويقال سار على غراره: نهج نهجاً.

2 السحيق: وسحيق سحيقاً بعد أشد البعد فهو سحيق وهي سحيقة.

3 الرّم: والرّم بالكسر العظام البالية واجمع رّم وقد رّم العظم يرم رمة بكسر الزاء فيها أي يلي فهو رميم.

4 فرض الله علينا كذا وافترض أي أوجب والإسم الفريضة.

5 والأسلاف: الأباء المتقدمون.

6 التيار الموج.

7 اجترح: اجترح الشيئ اقترفها.

8 القصية: البعيدة.

لهم الحضارة الحديثة ترى واحدهم كلّمًا نظمَ مقطوعةً ملأها لهفةً على الحياة إلى صوت الماعز أو إلى ظلّ خيمة أو إلى الثؤنة التي كان «يتعمشق بها» أو العنزة التي كان يرعاها ولو نقلته إلى المحيط الذي يحنّ إليه ويبكي عليه لبكى من وجوده فيه وحنّ إلى فراقه والدليل أنّه فارقه من قبل غير آسِف.

عجباً. إنّ عيوننا في مقدّمة<sup>1</sup> رؤوسنا. فلماذا لا نتطلّع إلى الأمام كسائر الناس. وإلى متى نُضرم<sup>2</sup> نار الحنين في قلوبنا إلى الماضي الذي لم نعيش فيه ولن يرجع. ولن يُسعدنا الرجوع إليه. أم إنّنا لا نعني ما نقول!

السّير: 21 / 3 / 1945

## ما هي السّعادة

نكتب هذه الكلمة ردّاً على سؤال وجهه إلينا أحدهم وهو - ما هي السّعادة ؟

يقول الجندي في نفسه - إنّها النصر

ويقول التّاجر في سرّه أو جهره - إنّها الثروة

ويقول العاشق: إنّها الحبُّ

ويقول المنكوب: إنّها النّجاة من التّعاسة

ويقول المريض: إنّها الصّحة

ويقول الغريب: إنّها الإجماع بالأهل والأحباب

ويقول الفيلسوف: إنّها الوصول إلى الحقيقة

ويقول كثيرون: إنّها كالعنقاء<sup>3</sup> إسم لا مسمّى له.

وهكذا يختلف الناس في تحديد السّعادة لأنّها كالجمال لا تتقيّد بمقياس. فهي ليست في الانتصار إلا إلى حسن. ولا في الثروة إلا على قدرٍ معلوم. ولا في الحبّ إلا إذا جاز أن تكون الوسيلة إلى شيء هي الشيء ذاته.

وقسّ على ذلك سائر الأحوال. فقد ينتصر الجندي ولا يكون سعيداً. وقد يُثري التّاجر وتظلّ

---

1 المقدّمة: المقدّمة بالفتح والكسر من كلّ شيء أوّلُه، والمقدّمة من الجيش طائفة منه تسير أمامه ومنه يقال مقدّمة الكتاب ومقدّمة الكلام.

2 أضرم النار أشعلها.

3 العنقاء: الدّاهية وطائر معروف الإسم مجهول الجسم والعنقاء المُغرب بالضمّ وعنقاء مُغرب ومُغربة ومُغرب مضافة طائر عظيم يُبعد في طيرانه أو من الألفاظ الدّالة على غير معنى والدّاهية.



نفسه ظمأى إلى السَّعادة. وقد يحب المرء فيشقى ويتعس. وقد ينجو المكروب من كُرْبِهِ<sup>1</sup> وليس في نفسه غير الأسى والألم. وقد يعود الغريب إلى وطنه ليدفن أحلامه الجميلة بدلاً من أن يحياها. ولكن السَّعادة مع ذلك ليست وهماً ولا إسماً لغير مُسمَّى كما يزعم البعض. لأنها إذا لم تكن موجودة فلا شيء يعيش الإنسان وأي معنى لأحلامه ورغائبه وآماله. بالطبع ليس لأحد أن يقول إنني وجدتها. ولكن ليس لأحد أن يقول إنها لا وجود لها. إنها معك عندما تحس أنها معك. وهي ليست معك عندما تشعر أنها ليست معك. إنها شعور يخلقه المرء في نفسه أو تخلقه فيه حالة من أحوال الحياة عندما تهب رياح الحياة ملائمة موافقة.

هي لمحات قصيرة ولكنها أحسن ما في العمر. فرويتك الصديق بعد فراق طويل هي نوع من السَّعادة. وانتصارك في معركة فيه شيء من السَّعادة. وأحياناً تشعر بها عندما تسمع طائراً يصندح أو ترى مشهداً جميلاً. أو تقع عينك على طفل يتبسّم أو تقرأ حكاية مرقصة. أو تتذكر شيئاً لم يسبقك إليه أحد من قبل.

السَّمر: 2/ 5/ 1945

## النَّفع العام

نودُّ أن نخلق في نفوس الذين نتصل بهم بواسطة القلم أو اللسان حُبَّ النَّفع العام. لأننا نعتقد أن أسعد الناس وأهنأهم هم الذين يعيشون في بيئة راقية ومحيط جميل المظهر والمخبر<sup>2</sup>. إذن فالمرء يعمل على ترقية محيطه ونفع الناس حوله لينفع نفسه ويمهد لها السبيل إلى الهناء والطُمأنينة. ونؤكد أن إنساناً ممتازاً لا يلتمع في أي مكان كما يلتمع في محيط راقٍ مُنور. خذ مثلاً عباقرة العقول والأرواح الذين ظهرُوا في الأجيال الدَّاجية<sup>3</sup> المُعْتَكِرة<sup>4</sup>. فهم في تلك العصور كانوا قوماً مكروهين لأن المحيط الذي عاشوا فيه كان محيطاً متأخراً متقهقراً مُنحطاً لا يستطيع أن يُطلَّ على الدُّنيا التي أطلَّ عليها هؤلاء العباقرة. فلما تقدَّم الناس وارتقوا وتآقت أرواحهم إلى المعرفة وحنَّت إلى درس الأجيال الماضية ورجاها كان للعباقرة النصيب الأوفر والمقام الأسمى في نفوس هؤلاء لأن هؤلاء محيط صافٍ راقٍ تنعكس

1 الكروب الحزن الهمج كروب.

2 المخبر: بوزن المصدر ضد المنظر. يقال طابق مخبره منظره.

3 الدَّاجية: دياجي الليل حنادسه. والحندس بكسر الحاء والدال الليل الشديد الظلمة.

4 المُعْتَكِرة: اعتكر الظلام اختلط.

عليه الأشياء فتبدو في أزوع حُسنها وأمجده جلالها.

ولم تحسن بيئة ولا محيط إلا بالقوم الذين يجدون لذة في تضحية الوقت والمال والإنفاق من أرواحهم مثلما يُنفقون من أموالهم.

فيا أيها الإنسان الذي يرى ما نعمل ويسمع ما نقول. إذا أعياك أن تكون صورة جميلة تقع على لوح بلّور<sup>1</sup>. أو نعمة طروبة تهبط على أذن سمّعة فكن إذن لوحاً صافياً لماعاً تنعكس عليه الصورة الجميلة.

وكن إذن سمعاً حسّاساً يتلقّف النغمات الشجيّة ويهتز لها.

وبعبارة أوجز وأقرب إلى الفهم. كن جميلاً في أقوالك. وجميلاً في أعمالك. وجميلاً في أفكارك وجميلاً في صُحبتك وعداوتك وقربك وبعادك وحُبك وبُغضك. وغنائك وبكائك. فتصير ترى كلّ شيء حولك جميلاً بل يصير كلّ ما حولك جميلاً.

ولا تدع الكآبة تسرّب إلى نفسك عندما ترى الكثيرين لا يقيمون وزناً لتضحياتك في سبيل محيطك أو عشيرتك ولا يفهمون معنى لجهودك بل تذكر أنّهم لو كانوا أكثر إدراكاً وفهماً للأمور لما احتاجوا إليك ولا لغيرك. ولما كان لمساعدتك أي معنى في نظر العارفين.

حسبك وأنت تسعى إلى هدف نبيل الشّعور الذي يخامر نفسك والاعتقاد المنتشر في قلبك بأنك تعمل خيراً وتُشدد جمالاً وكمالاً.

ليجرح غيرك أمّا أنت فعليك أن تأسوا<sup>2</sup> الجرح

وليهدم غيرك أمّا أنت فانصرف إلى البناء

وليضع غيرك العثرات والعراقيل في طريق المصلحين أمّا أنت فاجعل همّك أن تزيل العراقيل وتذلل العقبات.

السّمر: 1945 / 7 / 20

## الناس والكتب

ليس الحديث اليوم عن رغبة الناس في المطالعة أو زُهدهم فيها بل الذي حملنا على وضع هذا التّوبيخ هو سؤال وجهّه إلينا أحدهم قائلاً: لماذا تشبّهون الناس. فقلنا: إنهم كالكتب.

قال: كيف.

قلنا: إن الكتب أنواع وكذلك الناس.

1 بلّور: البلّور حجر أبيض شفاف ونوع من الزجاج.

2 آسى: آساة تأسيسية عزّاه وآساه بهاله مؤاساة جعله أسوته فيه.

رُبَّ كِتَابٍ لَا تَقْرَأُ مِنْهُ غَيْرَ عُنْوَانِهِ ثُمَّ تَنْصَرِفُ عَنْهُ وَلَا تَتَذَكَّرُ مِنْهُ شَيْئاً حَتَّى عُنْوَانِهِ . وَلَا يَذْكُرُكَ بِهِ شَيْءٌ حَتَّى اللَّوْنُ الْمَصْنُوعُ مِنْهُ غِلَافَهُ .

إِنَّ هَذَا الْكِتَابَ مِثْلُ الْإِنْسَانِ الَّذِي يُطِلُّ عَلَيْكَ مَرَّةً ثُمَّ يُطِلُّ عَلَيْكَ أَلْفَ مَرَّةٍ فَلَا يَحْرُكَ فِي نَفْسِكَ طَرَباً وَلَا شَعُوراً .

وَرُبَّ كِتَابٍ تَطَالَعَهُ فِي لَيْلَةٍ أَوْ نَهَارٍ فَتُسْرِبُهُ وَتُعْجِبُ بِهَا حَوَاهٍ وَلَكِنَّكَ لَا تَنْتَهِي مِنْهُ حَتَّى تَتَوَقَّعَ نَفْسُكَ إِلَى مِطَالَعَةِ كِتَابٍ آخَرَ .

هَذَا الْكِتَابُ مِثْلُ الَّذِي تَلْتَقِي بِهِ فِي سَفَرٍ أَوْ فِي حَدِيقَةٍ أَوْ فِي مَجْلِسٍ فَتَقْضِي لَيْلَتَكَ أَوْ نَهَارَكَ أَوْ سَاعَتَكَ فِي الْإِسْتِمَاعِ إِلَيْهِ وَالْحَدِيثِ مَعَهُ لِأَنَّكَ لَا تَجِدُ سِوَاهُ فَإِذَا افْتَرَقْتُمَا لَمْ تَشْعُرْ بِأَسْفٍ كَبِيرٍ وَيَمُزُّ الْوَقْتَ بِكَ فَلَا تُحِسُّ فِي نَفْسِكَ حَنِيناً إِلَيْهِ . وَلَكِنَّكَ مَعَ ذَلِكَ تَذْكُرُهُ بِالْحُسْنَى كُلَّمَا مَرَّ اسْمُهُ فِي مِسْمَعِكَ .

وَرُبَّ كِتَابٍ تَقْرَأُهُ الْيَوْمَ ثُمَّ تَعُودُ إِلَيْهِ بَعْدَ شَهْرٍ وَبَعْدَ سَنَةٍ لِتَقْرَأَهُ بِلَهْفَةٍ وَرَغْبَةٍ وَاسْتِعْرَاقٍ فَتَنْسَى بِهِ كُلَّ كِتَابٍ وَتَكَادُ تَذْهَلُ عَنْ زَمَنِكَ وَتَطِيرُ عَلَى جَنَاحِ الْخَيَالِ إِلَى عَصْرِ مُؤَلَّفِهِ فَتَصْبِرُ كَأَنَّكَ كُنْتَ مَعَهُ . أَوْ تَشْتَهِي عَلَى الْأَقْلَى أَنْ تَكُونَ مَعَهُ فِي عَصَرِهِ .

هَذَا الْكِتَابُ مِثْلُ الْإِنْسَانِ الْمُتَجَدِّدِ الْأَفْكَارِ الَّذِي تَلْقَاهُ الْيَوْمَ فَتَرَاهُ جَدِيداً ثُمَّ تَلْقَاهُ بَعْدَ حِينٍ فَإِذَا هُوَ كَأَنَّهُ شَخْصٌ جَدِيدٌ . وَسِرُّ ذَلِكَ أَنَّهُ غَيْرُ جَامِدِ الرُّوحِ وَالنَّكْرِ وَلَا رَجْعِي الْأَرَاءِ وَالنَّظَرَاتِ وَهُوَ فَوْقَ ذَلِكَ حُلُو الشَّائِلِ<sup>1</sup> تَرَى فِيهِ صُورَةَ مُتَجَسِّدَةٍ لِلرَّجُلِ الْكَامِلِ الَّذِي قَرَأْتَ وَصْفَهُ فِي قِصَائِدِ الشُّعْرَاءِ وَأَحَادِيثِ الْفَلَسَفَةِ .

أَجَلْ يَا صَاحِبَ . إِنَّ النَّاسَ كَالْكَتَبِ . بَعْضُهَا يَنْفُضُ الْغُبَارَ عَنْ رُوحِكَ وَبَعْضُهَا لَا يَصْلُحُ لَشَيْءٍ غَيْرِ الْغُبَارِ .

فَاخْتَرِ صَحَابَكَ وَانْظُرْ فِي اخْتِيَارِهِمْ إِلَى الْخَلَائِقِ قَبْلَ اللَّوْنِ وَالذِّبْنِ  
مَنْ يَقْتَنِرْ صَاحِباً تَبْقَى مَوَدَّتُهُ فَهُوَ الْغَنِيِّ بِهِ لَا ذُو الْمَلَايِينِ

السَّمِيرُ : 1945 / 7 / 25

## بعد الزَّوْبَعَةِ

لَا تَخْلُنَا نَسِيءُ التَّعْبِيرِ إِذَا نَحْنُ شَبَّهْنَا الْبَشَرِيَّةَ بِرُوضَةٍ انْتَشَرَ فَوْقَهَا الضُّبَابُ الْكَثِيفُ وَتَوَالَتْ عَلَيْهَا السُّيُُولُ وَالْعَوَاصِفُ حَتَّى خُيِّلَ لِلرَّائِي أَنَّهَا سَتَتْحَوَّلُ فِي آخِرِ الْأَمْرِ إِلَى فِدْفِدٍ<sup>2</sup> قَاحِلٍ لَا تَنْبِتُ فِيهِ شَجَرَةٌ وَلَا يَعِيشُ فِيهِ طَائِرٌ وَلَا يَصَفَّقُ فِيهِ جَدُولٌ .

1 الشَّائِلُ : وَالشَّيْءُ أَيْضاً الْخُلُقُ وَالْجَمْعُ شَائِلٌ .

2 الْفِدْفِدُ الْأَرْضُ الْوَاسِعَةُ الْمُسْتَوِيَّةُ الَّتِي لَا شَيْءَ فِيهَا جُفْدَايِدٌ .

ولكنّها ما لبثت بعد انكشاف الضباب وانقطاع الشُّيُول وسكون العواصف أن رجعت إليها الحياة تراباً<sup>1</sup> ما انصدع<sup>2</sup>. وتلّم ما تشّتت وتنشّء الثّبت والعشب والشّجر والزّهر وتغذي الأرض بالماء والهواء والضياء لتعود أجمل ديباجة<sup>3</sup> وأحسن رَونقاً<sup>4</sup>. وأقدر من قَبْلُ على العطاء الجميل.

ولقد مرّت بالبشريّة من قبل بعواصف كثيرة كادت تخلخلُ جدرانها وتزلزلُ بُنيانها ولكنها لم تنهدم. بل رجعتُ تبني أحسن ممّا كانتُ تبني. وتسرعُ في السّير إلى الأمام بعد النكبات أكثر ممّا كانت تُسرع قَبْلَها.

ولقد خيّل للنّاس في هذه الحرب كما خيّل لهم في كلّ حرب أن البشريّة سائرة إلى الإنقراض والإنمحاق إذ لم يبق مكان في الدُّنيا لم يتحوّل إلى مَيّدان عراك ولم يبق إنسان في الأرض لم تمسه الحرب في جسده أو نفسه أو ماله أو عقّاره.

ولكنّ إذا كانت الجهادات والنباتات لم تنقرض وهي أشياء لا تعقل أفينقرض الإنسان العاقل المدرك الذي استطاع أن يسخرَ لخدمته البحّر والفضاء وكلّ ما في اليابسة من حيوان وجماد.

لا، إنّه سيبقى. وسيرقى. وسيجعل من هذه الأرض فردوساً لا خصام فيه ولا انتقام فهو الكائن الوحيد في الأرض الذي يعرف كيف يستفيد من هفواته وعثراته وغلطاته. وقد تعلّم في الحروب الماضية كثيراً وسوف يتعلّم من هذه الحرب أكثر. ولا سيّما بعد أن صارت أقصى زاوية في الدُّنيا كأقرب زاوية بفضل الشّفنِ الجوّيّة والراديو العجيب و«التلفجن» الأعجب الذي سيكوّن العصر المقبل عصره.

أمّا القذيفة «الأتوميّة» التي توصّل العلماء في هذه الحرب إلى صنعها فإنّها أعجب ما اهتدى إليه العقل البشري. وإذا كانت قد استُخدمت في الحرب للتدمير والفتك فسوف تُستخدم بعدها لرفع البشريّة إلى أعلى مستوى من الهناء والسّعادة. فهي ليست شرّاً بل هي الخير كلّهُ فإنّ ظهورها قصرَ أجلّ الحرب وسوف يطيلُ عمر السّلام في الأرض.

ومن حسنِ حظ البشريّة أن اليَدَ التي اكتشفناها هي يدُ أميركا التي تدعو إلى الإخاء البشري العام وتنشدُ السّلام لذاتها ولكلّ أمة في الأرض.

لقد انكشفَ الضباب المترامي وانقطعتُ الشُّيُول الجارفة وركدت العواصف النّائرة وصحا الجوّ. وعاد السّلام إلى الأرض. وغمرتُ المسرّة كلّ الأمم إلّا الأشرار الذين أضرموا نارها. فكانوا

1 رآب: بين القوم أصلح بينهم.

2 الصّدّع: الشّق.

3 الدّيباجة: ديباجة الكتاب فاتحته. ويقال لكلامه وكتابته وشعره ديباجة حسنة أسلوب حسن. والدّيباج ضرب من الثّياب سدّاه ولُحْمته حرير.

4 والرّونق: ورّونق السّيف ماؤه وحُسنه ومنه ورّونق الضّحى وغيره.

لها وقوداً.

ولكن حتى هؤلاء لن يكونوا أقل هناء من سواهم إذا هم أحسنوا التوبة وساروا سيرة صالحة وسلكوا طريق العدل والحق وأماتوا في نفوسهم النزعات<sup>1</sup> الذنبية والبدوات<sup>2</sup> الأفعوانية. أجل، إن البشرية تدخل منذ الساعة في عصر جديد بل يمكن القول إنها قد ولدت ولادة جديدة. وستظل تحتفل بيوم الرابع عشر من آب كأنه يوم مولدها. فهو اليوم الأعظم في التاريخ.

السّمر: 17/ 8 / 1945

## أشَرُّ أم خير

ما هو الشرُّ؟

وما هو الخير؟

هذا بحث لا نهاية له عند جماعة العلماء غير أن السؤال اليوم لا يخص هؤلاء. لأن هؤلاء كلهم تناولوا مسألة بسيطة جعلوها مركبة معقدة وخلقوا منها مسائل لا تعدُّ ولا تُحصى. ووسَّعوا دائرتها بحيث تتجاوز الأرض إلى الآفاق البعيدة وتقفز من نطاق هذا الزمان إلى كل زمن.

إذن فلندع ساحة هؤلاء ولنرجع إلى الخير المحدود الذي لا يحار فيه العقل المحدود وتقنع به نفوس الجماهير فنقول أن الشرَّ في مذهب كل فرد هو ما أصابه منه ضرر. والبرُّ<sup>3</sup> هو ما ناله منه نفع.

ولذلك ترى ساكن المدينة يتأفف من المطر لأنه يبلل ثيابه وهو سائر في الشارع وينسى حيال<sup>4</sup> هذا التلف الذي يصيب ثوبه ما في المطر من خير للحقل الذي ينبت فيه الحبُّ والبقل والفاكهة.

ويفرح بالربح الوفير في هذه الأيام وينسى أن هذا الربح الوفير ناشيء عن قلة السلع<sup>5</sup>. وإن قلة السلع ناشئة عن قلة الإنتاج وإن قلة الإنتاج ناشئة عن وجود البلاد في حرب وأن الحرب سوف ترخص فيها الأرواح. والحرب شرٌ عظيم وطامة كبرى<sup>6</sup>.

لم يزلنا بعد من القنبلة الأتومية ضرر بل جاءتنا منها نفعٌ كبير إذ صانت أرواحاً كثيرة من الهلاك وقصرت أجل الحرب وأرغمت عدوة أميركا الكبرى على طرح سلاحها والإستسلام.

1 النزعة: ونازعت النفس إلى كذا نزاعاً اشتاقت.

2 البدوات: وبدا له في هذا الأمر بدءاً بالمدّ أي نشأ له فيه رأي وهو ذو بدوات.

3 البرُّ: الخير.

4 حيال: أحيال قبالة الشيء يقال قعدت حياله وبحياله بإزائه.

5 السلع: كل ما ينتج به من البضاعة ج سلع.

6 الطامة الكبرى: الداهية تفوق ما سواها.

مع ذلك قامت قيامة البعض على العلماء الذين توصلوا إلى تسخير قوى الجوهر الفرد وحصرها في قنبلة تقع على مدينة فتدمرها وتركها أثراً بعد عين<sup>1</sup>.

إنهم لم يعترضوا إشفاقاً على اليابانيين بل خوفاً على أنفسهم في مستقبل الأيام ولكن من ذا الذي يستطيع أن يعرف ما هو مخبوء ومكنون في ضمير المستقبل.

لماذا نخشى الأذى والضرر من هذا الاختراع الهائل المدهش الذي لم يحلم أحد بتحقيقه ولا يتوقع منه النفع والفائدة. فليس من شر إلا وفيه خير. بل يمكن القول أن ليس من شر في الحياة وإنما الإنسان هو الذي يملك هذه الآلات والأدوات وعليه يتوقف توجيهها إما إلى الخير وإما إلى الشر.

إذن فليس الخطر على الإنسان من هذه القنبلة ولا من أي أداة أو آلة أو مادة أو جوهر بل الخطر عليه من الإنسان ذاته.

وعندنا أن ظهور هذه القنبلة في هذا العصر ليس بأعجب ولا أشد هولاً من ظهور السكين في عصر الهراوة<sup>2</sup> والمقلع<sup>3</sup>. وظهور البارود في عصر الخنجر<sup>4</sup> والسيف.

ولن يكون خطرها أعظم من خطر أي سلاح إلا على نسبة الاستعمال والزمان والمكان. فلتسكن فرائص<sup>5</sup> المرتعدين فإن الإنسانية لن تنقرض والأرض لن تنمحق.

السَّمِير: 1945 / 8 / 21

## حديث تَقَى

نودُ أن نتحدث اليوم إلى قراء «السَّمِير» عن «السَّمِير» ذاتها فهم شركاؤنا في المهمة<sup>6</sup> الأدبية التي نقوم بها. والحديث عن السَّنة التي انقضت أو كادت تنقضي وهي التي وثبت فيها «السَّمِير» وثبتها الكبرى المثلثة فصدرت بثماني صفحات وأنشأت القسم الإنكليزي وأضافت إلى ما فيها من الأبواب والفصول تلك الصور الرمزية وغير الرمزية التي لا وجود لها في جريدة عربية أخرى. فقد كانت هذه المرحلة التي تجتازها «السَّمِير» بعد أسبوعين من أشق المراحل في حياتها وذلك باستثناء دور التأسيس. ولكنها كانت من أجد المراحل لأنها استطاعت أن تغلب على الصعاب التي اعترضتها وأن تطير فوق

1 أثر بعد عين: الأثر بفتحيتين ما بقي من رسم الشيء.

2 الهراوة بالكسر العصا الضخمة والجمع الهراوى بفتح الهاء والواو.

3 المقلع الذي يُزَمَى به الخنجر.

4 الخنجر سكين ذو حدين.

5 فرائص: الفريضة العظيمة الصَّدرية.

6 المهمة الأمر الشديداً.

وأحسنُ من هذا كُلُّه أَنَّهَا كَانَتْ وَهِيَ تَغَالِبُ هَذِهِ الصُّعَابُ وَاثِقَةٌ مِنْ ذَاتِهَا وَمِنْ أَنْصَارِهَا غَيْرِ  
مَكْتَرَّةٍ لَطِينِ الحُسَادِ وَفَحِيحِ الكَاشِحِينَ الَّذِينَ نَبَّهَتْهُمْ وَثَبَّتْهَا الدَّأْوِيَّةُ مِنْ غَفْلَتِهِمْ فَرَاخُوا بِمَحاوِلُونِ  
الوُثُوبِ مِثْلَهَا وَأَنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ أَجْنَحَةٌ. وَيَلْدَجُونَ<sup>1</sup> فِي مَنَافِسَتِهَا وَلَيْسَ لَهُمْ شَيْءٌ مِنْ أَهْدَافِهَا وَلَا يَجُولُ فِي  
نَفْسِهِمُ الشُّوقُ الَّذِي يَتَوَاتَبُ فِي نَفْسِهَا إِلَى الْأَجْمَلِ وَالْأَكْمَلِ.

بَلَى كَانَتْ تَخْتَلِجُ فِي أَكْبَادِهِمْ نَارٌ شَدِيدَةُ التَّلْطُّيِ وَهِيَ نَارُ الْغَيْرَةِ<sup>2</sup> وَالْحَسَدِ الَّتِي تَلْتَهُمْ حَامِلُهَا وَتَظَلُّ  
مُسْتَعِرَّةَ الْأَوَارِ.

إِنَّ كَثِيرِينَ مِمَّنْ لَمْ يَكْبِدُوا حَرْفَةَ الصَّحَافَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَيَقِيسُونَ جَرَائِدُنَا إِلَى الْجَرَائِدِ الْأَمْرِيكِيَةِ الْكَبْرَى  
يَحْسَبُونَ إِصْدَارَ جَرِيدَةٍ كَالسَّمِيرِ شَيْئاً هَيَّئاً يَسِيراً. وَلَكِنَّ الَّذِينَ عَالَجُوا الصَّحَافَةَ وَكَابَدُوا مَتَاعِبَهَا  
الْعَمَلِيَّةَ وَالذَّهْنِيَّةَ وَحَمَلُوا مَسْئُولِيَّاتِهَا الْمَالِيَّةَ وَالْأَدَبِيَّةَ يَدْرِكُونَ أَنَّ جَرِيدَةَ كَالسَّمِيرِ تَصْدُرُ بِهَذِهِ الْحُلَّةِ<sup>3</sup> مِنْ  
الْمَشَارِيعِ الَّتِي تَتَقَطَّعُ دُونَهَا الْأَعْنَاقُ وَيَنْوِيءُ بِهَا الرِّجَالُ أَوْلُو الْعُصْبَةِ<sup>4</sup>. وَلَكِنْ لَوْ كَانَ الْأَمْرُ سَهْلاً لَمَا كَانَ  
فِي إِدْرَاكِهِ شَيْءٌ مِنَ اللَّذَّةِ لِمَعَالِجِهِ وَلَا شَيْءٌ مِنَ الْفَخْرِ لِمَدْرَكِهِ.

عَلَى أَنَّ حَدِيثَنَا مَعَ الْقُرَاءِ الْيَوْمَ لَيْسَ لِلْفَخْرِ وَلَا الْإِعْتَزَازِ إِلَّا بِمَا وَجَدْنَاهُ عِنْدَهُمْ مِنْ حَسَنِ الْمُؤَازَرَةِ فِي  
جِهَادِنَا وَجَمِيلِ التَّقْدِيرِ لِلْجُهُودِ الَّتِي نَبْذُلُهَا. فَقَدْ ضَاعَفُوا فِيْنَا الثِّقَةَ بِأَنَّ الْعَمَلَ الْجَمِيلَ لَا يَعْدَمُ<sup>5</sup> أَنْصَاراً  
وَبَرَهْنُوا لَنَا وَلِلنَّاسِ أَنَّهُمْ يَحْسَبُونَ تَقْدِيرَ الْأَشْيَاءِ وَالتَّمْيِيزَ بَيْنَ غَثٍ<sup>6</sup> الْأُمُورِ وَسَمِينِهَا فَلَمْ يَخْتَلِطْ عَلَيْهِمْ  
صَوْتُ يَدْعُو إِلَى الْحَقِّ وَصَوْتُ يَدْعُو إِلَى الْبَاطِلِ. وَلَمْ يَلْتَبَسْ عَلَيْهِمْ كَاتِبُ حُرِّ يَعِيشُ لِيَكْتَبَ. وَآخِرُ  
يَكْتَبُ لِيَعِيشَ. وَقَدْ بَرَزَتْ فِي الْقُرَاءِ هَذِهِ الْقُدْرَةُ عَلَى التَّمْيِيزِ عِنْدَمَا احْتَدَمَتِ الْقَضِيَّةُ الْوُطْنِيَّةُ فِي لُبْنَانَ  
وَسُورِيَا. فَقَدْ تَسَاقَطَتِ الْبَرَاقِعُ<sup>7</sup> عَنِ الْوُجُوهِ وَانْقَضَى عَهْدُ الْخُتْلِ<sup>8</sup> وَالرَّوْعُ<sup>9</sup> فَإِذَا لِكُلِّ أَمْرِيءٍ لَوْنُهُ  
الْحَقِيقِيُّ.

لَمْ نَنْشِءْ «السَّمِيرَ» لِتَكُونَ لَنَا جَرِيدَةٌ فَحَسَبَ بَلْ أَنْشَأْنَاهَا لِتَكُونَ وَسِيلَةً لِلْمَطَالَبَةِ بِحَقِّ مَهْضُومٍ<sup>10</sup>

1 لَجَّ فِي الْأَمْرِ ثَمَادَى.

2 الْغَيْرَةُ: غَارَ الرَّجُلُ عَلَى أَمْرٍ أَنَّهُ غَيْرَةٌ ثَارَتْ نَفْسُهُ لِأَبْدَانِهَا زِينَتِهَا وَمَحَاسِنِهَا لغيره فهو غَيُورٌ وَهِيَ غَيُورَةٌ جَ غَيْرٌ.

3 الْحُلَّةُ: الثُّوبُ الْجَيِّدُ غَلِيظاً أَوْ رَقِيقاً جَ حُلٌّ.

4 أَوْلُو الْعُصْبَةِ: الْعُصْبَةُ الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ أَوْ الْخَيْلُ أَوْ الطَّيْرُ جَ عُصَبٌ.

5 عَدِمَ الْمَالُ عَدَمًا فَقَدَهُ فَهُوَ عَادِمٌ وَالشَّيْءُ مَعْدُومٌ وَعَدِيمٌ.

6 الْغَثُ خِلَافَ السَّمِينِ وَالرَّذِيءُ الْفَاسِدُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

7 الْبَرَاقِعُ: الْبُرْقُوعُ يَكُونُ لِلنِّسَاءِ وَالذُّوَابُ وَبِرْقَعَةُ الْبَسَةِ إِثَاهُ فَتَبَرَّقَعَ جَ بَرَاقِعُ. (وَالْتَعْبِيرُ بِمَجَازِي).

8 الْخُتْلُ: خَتَلَهُ خَدَعَهُ. وَالْخُتْلُ الْخِدَاعُ.

9 الرَّوْعُ: رَاغَ الرَّجُلُ وَالثَّلْبُ رَوْعًا وَرَوْعَانًا مَالٌ وَحَادٌ عَنِ الشَّيْءِ وَالْإِسْمُ رَوْاعٌ وَرَوَاعٌ.

10 الْحَقُّ الْمَهْضُومُ: هَضَمَ فَلَانًا ظَلَمَهُ وَغَضَبَهُ.

وأداة لنصرة شعبٍ مظلوم. ومنبراً تتعالى منه أصوات الدّاعين إلى الحرية والاستقلال.

وميداناً تتنافس فيه الأقلام في تشييد هيكل الإخاء بين أبناء الوطن.

وهذه المهمة ليست مما ينقضي بيوم ولا هي مما يقوم به فرد. بل هي مهمة الكلّ كلّ الوقت. إذ ما دام في الأرض نفوس شريرة فسيظلّ العالم بحاجة إلى من يكافحون الشرّ ويحولون دون الأذى. فإذا جبنوا<sup>1</sup> ولم يفعلوا كانوا كأنّهم يعاوتون الأشرار.

نريد أن نقول للقراء أن «السّمير» لا تقف عند حدٍ من التحسين ما دامت لها قدرة على التحسين. ولكننا نودّ أن نلفت نظر الآباء والأمهات إلى القسم الإنكليزي في «السّمير» فمن الضرورة أن تشارك الناشئة في مؤازرته لكي يتسنى لنا أن نجعل الصّفحة صّفحتين أو أن نُصنِّد القسم الإنكليزي عدداً مستقلاً في كلّ أسبوع. فإنّ الغرض من هذا القسم أن يكون مَشرَحا لأقلام الناشئين وصلة بين الجيلين: جيل الآباء وجيل الأبناء.

وسنعود إلى هذا الموضوع.

السّمير: 19/10/1945

## الحجر والحسرة والسلام

ليس عيد الميلاد غير يوم ولكنه في هذه السنة يوم أعظم من كلّ الأيام لأنّه عيد كامل بكلّ ما فيه من المعاني بحيث يشعر المرء عندما يردّد هذه العبارة «المجد لله في العلاء وعلى الأرض السّلام وفي الناس المسّرة»<sup>2</sup> إنّ كلّ شيء كما يقول. فإنّ الإنسان لا يقدر أن يمجد الله وهو طاوي الجوانح<sup>3</sup> على الحقد والغيل<sup>4</sup> كما كان الحال وهو في ضباب والقُبْلة والحرب رازحاً تحت أنقالهما. أمّا الآن وقد عاد السلام إلى الأرض فإنّ الإنسان يحقّ له أن يفرح ويبتهج وأن يهتف بالتسابيح<sup>4</sup> في هذا اليوم كلّما رجّع إلى الدُّنيا رجع بكلّ جلاله وروعته لأنّه يذكرّ الناس بأنهم يستطيعون أن يكونوا أرقى ممّا هم وأجل ممّا هم وأسعد ممّا هم عليه وذلك باتّباعهم المباديء التي جاء بها وليد المذود السيّد المسيح عليه السلام وذلك منذ ما يقارب ألفي سنة. فهي المباديء التي تشقى البشريّة كلّها انصرفَتْ عنها وتَسَعَّدَ كلّها أخذت بها

1 جبن: تهيّب الإقدام على ما لا ينبغي أن يُخاف.

2 الجوانح الأضلاع التي تحت الترائب وهي ممّا يلي الصّدر كالضّلوع ممّا يلي الظّهر الواحدة جانحة.

3 الغيل: بالكسر الغيش والحقد.

4 التّسبيحة: التّسبيح التّزويه (وسُبْحان) الله معناه التّزويه لله وهو نَصَبٌ على المَصْدَر كأنّه قال: أُبْرِي الله من الشّوء براءة.



وسارت بموجبها<sup>١</sup>.

لأنَّ الأخذ بها يعني أنَّ الناس صاروا يحثُّون بعضهم بعضاً ويضحِّي بعضهم في سبيل بعض وليس مع الحبِّ خصام ولا نزاع.

والإنصراف عن هذه المباديء يعني أنَّ الحيوانية لا تزال مُستَحْكِمَة في الإنسان فهو يقاتلُ قريبه ويعتدي على جاره. ويطمع بما ليس له. ولا يبالي إلا أنَّ يتمتَّع بأطياب الحياة ولو هلك كلُّ الذين حوله وأكلَ البَشَرُ كُلُّهُم الحصى والتراب.

قد يصير هذا الإنسان قوياً وغنياً وسرياً<sup>٢</sup> ولكن هيهات أن تذوقَ روحه الطمأنينة التي يشعر بها المرءُ المحبُّ أو أن يستشعر قلبه الغبطة التي يشعر بها المرءُ المضحِّي.

إنَّ لعيد الميلاد في هذه السَّنة روعةً ممتازة لأنَّ العالمَ خرجَ منْ جوِّ الحرب ورجع السَّلام إلى البيوت وإلى القلوب.

وهو بنوع خاص أروع منْ كُلِّ عيد سبق لأنَّ أكثرَ الشَّباب الذين كانوا في ساحات الوغى<sup>٣</sup> قد رَجَعُوا إلى بيوتهم وصاروا بين أهلهم وذويهم ورفاقهم.

وكلُّ واحد منهم عاد إلى وطنه وأهله وكأنَّه قد وُلِدَ ولادة جديدة.

ف«السَّмир» ومحرَّرها وعمَّالها يتقدَّمون بالتهاني القلبية إلى جميع قرَّانها وأنصارها ومحبيها. ويرجُونَ أن يستمرَّ الحبُّ في القلوب لكي يستمرَّ السَّلامُ وطيداً<sup>٤</sup> في الأرض وتتمنَّى لكلِّ عيداً سعيداً وعمراً مديداً.

السَّмир: 1945 / 12 / 21

## هدية صديقين

الهدايا كلها جميلة على اختلاف أنواعها لأنها تُترجم عن شعور المُهدي وحُبِّه للمُهدى إليه بأفصح منْ أفصح لسان وأجلى منْ أجلى بيان. ولكن أجمل الهدايا هي الأكثرُ نفعاً.

إعترمنا في مطلع السنة الجديدة أن نجعل مكتب «السَّмир» في بناتها الخاصة أتم وأجمل مكتب لجريدة عربية في المهجر فأفرغنا الطَّابِق<sup>٥</sup> الثاني من البناية وبينما نحن نبشر إعدادَه وتهيئته زارنا

١ المؤجِب: وجَب الشيء يَجِبُ وجوباً: لَزِمَ.

٢ السَّري: السَّرو سخاء في مَرْوَة وقد سَرا يَسْرُو وسَري بالكسْرِ سَرَوْا فيها وسَرَوْا من باب ظُرف أي صار سَرياً وجمع السَّري سَراة وهو جَمْعٌ عزيزٌ أن يجمعَ فعيل على فَعَلَة ولا يُعرَف غيره.

٣ الوغى: الجلبة والأصوات ومنه قيل للحرب وغى لما فيها من الصَّوْت الجَلْبَة.

٤ الوطيد: وطداً الشيء اثْبَتَه وثَقَلَه ووطَّده أيضاً توطيداً.

٥ الطَّابِق الدُّور في البيت أو العِماره ج طوابق.

الصَّدِيقَانِ الْكَرِيمَانِ سَلِيمِ أَيُّوبَ الْمَشْهُورِ بِحُبِّهِ لِلْأَدَبِ وَالْأَدْبَاءِ وَرَزَقَ اللَّهُ كَيْلُونَ الَّذِي لَوْ لَمْ يَكُن تَاجِرًا لَكَانَ شَاعِرًا لَمَا يَضْطَرُّ فِي صَدْرِهِ مِنْ حُبِّ الْفُنُونِ.

فَقَالَ الْأَوَّلُ: مَا أَجْدَرُ أَنْ تَكُونَ دَارَ «السَّمِيرِ» بَيْتَ الْأُمَّةِ فَإِنَّهَا مُؤَسَّسَةٌ أَدَبِيَّةٌ نَفَتْخَرُ بِهَا كُلَّنَا.

وَقَالَ الثَّانِي: إِنَّ هَذَا الْمَكْتَبَ لَنْ يَكُونَ لَكَ وَخْذُكَ يَا إِبِلِيَّا بَلْ لِكُلِّ أَدِيبٍ وَحِبِّ لِلْأَدَبِ.

وَنَحْنُ الَّذِينَ رَافَقْنَا «السَّمِيرَ» مِنْذُ نَشَأَتِهَا وَعَرَفْنَاكَ مِنْذُ جِئْتَ إِلَى نِيُويُورْكَ وَأَحْبَبْنَاكَ نَشْعُرُ أَنَّ عَلَيْنَا وَاجِبًا نَحْوَ السَّمِيرِ.

فَلَمَّا سَمِعْنَا عِبَارَتَهُ أَشْفَقْنَا مِمَّا وَرَاءَهَا. فَقُلْنَا: إِنَّ وَاجِبَ الْأَدِيبِ نَحْوَ أُمَّتِهِ لَا يَنْتَهِي وَلَيْسَ مِنْ عَمَلٍ نَعْمَلُهُ إِلَّا بِوَحْيِ الْأُمَّةِ الَّتِي نَحْنُ مِنْهَا. فَإِنْ جَاءَ جَمِيلًا فَجَمَالُهَا مِنْهَا. وَلَوْ لَاهَا لَمَا تَمَّ لَنَا تَحْقِيقُ آيَةِ فِكْرَةٍ فِي النَّفْسِ.

وَكُنَّا مُزْمَعِينَ أَنْ نَنْقُلَ الْمَكَاتِبَ الَّتِي فِي الطَّابِقِ الْأَوَّلِ فَقَالَ سَلِيمٌ: لَا تَنْقُلِ الْآنَ شَيْئًا إِلَى أَنْ تَسْمَعَ مِنِّي وَكَذَلِكَ قَالَ رَزَقَ اللَّهُ.

فَلَمَّا أَطْلُتْ عَلَيْنَا وَعَلَى الدُّنْيَا بِأَسْرَها تِلْكَ السَّنَةُ الْجَدِيدَةُ وَجَدْنَا مَرْكَبَةً كَبْرَى تَتَوَقَّفُ أَمَامَ دَارِ «السَّمِيرِ» ثُمَّ جَاءَ سَائِقُهَا إِلَيْنَا وَيِيْدُهُ قَسِيمَةٌ طَالِبًا مِنَّا أَنْ نَوْقِعَهَا لَهُ فَلَمَّا قَرَأْنَاهَا عَرَفْنَا مَا وَرَاءَ وَعَدِ الصَّدِيقَيْنِ. فَقَدْ كَانَتْ فِي الْمَرْكَبَةِ هَدِيَّتَيْهِمَا إِلَيْنَا وَهُمَا عِبَارَةٌ عَنْ مَكْتَبٍ مِنَ الْخَشَبِ الْجَمِيلِ أَهْدَاهُ إِلَيْنَا الصَّدِيقُ سَلِيمُ أَيُّوبَ وَكَانَ مَعَ الْمَكْتَبِ مِصْبَاحٌ كَهْرِبَائِيٌّ ثَمِينٌ وَدَوَاةٌ مِنْ رِخَامٍ وَقَلَمَانٌ مَدَادَانِ نَفِيسَانِ. وَغَطَاءٌ مِنَ الْجِلْدِ لِلْمَكْتَبِ مِنْ أَحَدِ طَرَازٍ؛ وَهَذِهِ كُلُّهَا أَهْدَاهَا الصَّدِيقُ رَزَقَ اللَّهُ.

وَبَعْدَ أَنْ اسْتَوَى ذَلِكَ الْمَكْتَبُ وَسَطَ تِلْكَ الْقَاعَةِ وَارْتَدَى حُلَّتُهُ خَاطِبُنَاهُمَا بِالتَّلْفُونِ لِنَشْكُرَهُمَا عَلَى هَدَايَاهُمَا الْجَمِيلَةِ. وَدَعَوْنَاهُمَا إِلَى الْمَكْتَبِ وَهَنَّاكَ شَرِبْنَا سِرْ صَدَاقَتَهُمَا وَحُبَّهُمَا. وَلَمْ يَسْغِ الْوَقْتُ لِأَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ لِأَنَّهُمَا كَانَا يَتَأَهَّبَانِ لِلْسَفَرِ إِلَى مِيَامِي تَرْوِيحًا عَنِ النَّفْسِ مِنْ عَنَاءِ الْعَمَلِ.

وَلَكِنَّا نَنْوِي بَعْدَ عَوْدَتِهِمَا أَنْ نَقِيمَ تَدْشِينَ لِإِدَارَةِ «السَّمِيرِ» الْجَدِيدَةِ نَجْمَعُ فِيهَا شَمْلَ الْأَصْدِقَاءِ عَلَى أَنْ تَتَكَرَّرَ كُلَّمَا سَنَحَتْ لَنَا فُرْصَةٌ سَعِيدَةٌ مَجْدِيَّةٌ كَهَذِهِ الْفُرْصَةِ الثَّمِينَةِ.

وَيَحِقُّ لَنَا أَنْ نَعِيدَ فِي هَذِهِ الْمُنَاسِبَةِ مَا قَلْنَاهُ مَرَّةً فِي فَضْلِ الْأَصْدِقَاءِ وَهُوَ:

«إِنِّي أَمْرٌ بِصَحَابِي فَوْقَ قَارُونَ»<sup>1</sup> وَأَنَا الْقَائِلُ أَيْضًا فِي أَحَدِ قِصَائِدِي:

مَنْ يَفْتَنِ صَاحِبًا تَبْقَى مَوَدَّتُهُ      فَهُوَ الْغَنِيِّ بِهِ لَا ذُو الْمَلَالَيْنِ

السَّمِيرُ: 16 / 1 / 1946

<sup>1</sup> قَارُونَ: اسْمُ رَجُلٍ كَانَ مَلِكًا يَضْرِبُ بِهِ الْمَثَلَ فِي الْغِنَى لَا يَنْصَرِفُ لِلْعُجْمَةِ وَالتَّعْرِيفِ.

## لا فُضَّ فُوك

لا فُضَّ فُوك - أي لا سقطت أسنانك - هي الوسام الذي لا يكلف صاحبه شيئاً غير فتح شفثيه وتحريكهما لحظةً ويخلعه على هذا الشاعر وذلك الخطيب وذئالك الواعظ. فيذهب هؤلاء وقد شربوا قَطْرَةً يَخْتَالُونَ كأنَّهم كَرَعُوا نَهْرًا. ويشعرون وهم لم يَلْتَفِتْ بأجسامهم خيط واحد كأنَّهم ارتدوا سراويل وأطالس!

بهذه العبارة كان الشَّرْقِيُّونَ وما زالوا يكافئون أصحاب المواهب مِنْ فَنَّانِينَ وشُعراء ومُشْدِدِينَ وعلماء لذلك كان الكمد<sup>1</sup> دائماً لباس الشعر والفن والعلم في الشرق..

لا فُضَّ فُوك. دعاء جميل ولكنها لا تمنع سقوط الأسنان إذا تطرَّق إليها الفساد. فإنَّ زمن العُوذَةِ<sup>2</sup> قد انقضى. ولا ينبغي له أن يعود.

وهي بالرَّغم مِنْ أنَّها كلمة تشجيع وتنشيط لا تأتي بالغاية المنشودة بل تأتي بعكسها. فإنَّها كحُقْنَةٍ<sup>3</sup> المُرْفِين تسكِّن الوجع إلى حين فإذا زال تأثيرها رجع الألم رجعة أشد وأنكى.

لم تكن ولن تكون هذه العبارة وأمثالها مِنَ الوسائل التي تزيد الموهوب اندفاعاً في استغلال موهبته استغلالاً يرفع الفن ويرفع شأن التي يتسبب إليها ويحياها.

وأبغض ما تكون هذه العبارة عندما تخرج مِنْ فَمِ إنسان يقولها مطاوعة لسواه دون أن يكون قد وقع في نفسه شيءٌ مِنَ الإستحسان أو شيءٌ مِنَ الفهم الذي يَنْبَغِ منه الإستحسان أو الإستهجان. فتجيء في هذه الحالة كمن كان يدعو للسلطان بالنصر بلسانه وهو يتمنى في قلبه أن يزول مُلْكُهُ وتَنْصَرِمَ<sup>4</sup> حياته؛ لأنَّه سلطان ظالم مستبد لم يزهر في عهده حقل إلا ليكون جناه. ولم تنشق الأرض عن كنز إلا ليكون ما فيه لذلك الحاكم الظالم.

وكثيرون يقولون: لا فُضَّ فُوك. وهم لا يَعْنُونَ<sup>5</sup> شيئاً. بل ربَّما كانوا في قلوبهم يتعجبون كيف استطاع هذا الرجل الموهوب أن يكون له هذا المكان العالي بين الناس وهو ليس بصاحب ثروة ولا بوليذ زعامة. ولا هو مِنْ أصحاب الشرف الموروث.

1 الكمد: كمد الرجل كَمَّ حُزْنَهُ أو حَزَنَ حُزْنًا شديداً فهو كامد.

2 العُوذَةُ ما يعلّق لرفع الحسد والرُّقِيَّة يُرْقَى بها الإنسان من نزع أو جنون. ج عُوَذٌ.

3 الحُقْنَةُ دواءٌ يُحقَّنُ به المريض ج حُقْنٌ.

4 انصرم الليل ذهب، وانصرم الشتاء انقضى.

5 عَنَى بالقول كذا أَرَادَهُ وقصده.

وأكثر هؤلاء مِنَ الجَهْلَةِ الحَمَقَى<sup>١</sup>. ولكنَّهم يَلْتَقُونَ وسواهم في حومة واحدة: فهم يقولون ولا يفعلون.

وأشدُّ ما يَحْزُنُ<sup>٢</sup> في النَّفْسِ أَنَّ هؤلاء الذين لا يَنْصَرُونَ موهوباً أو أديباً وهو حيٌّ تتحوَّل عيونهم إلى ميازيب تتدفَّق منها الدموع عندما يرحل عنهم.

ولكنَّهم مثلما كانوا في حياتِهِ يقتصرون على الكلام الذي لا يُغني عن فقرٍ ولا ينقذُ مِنْ شَرٍّ. كذلك يصيرون في مماتِهِ يَبْكُون ثم بعد لحظة يَنْسَوْنَ أَنَّهُمْ بَكَوا وأنَّه ليس معهم.

وهذه لَعَمْرِي<sup>٣</sup> ظاهرة مسيئة تدلُّ دلالة واضحة على أَنَّ بين النَّابِه وقومه هُوَّة<sup>٤</sup> وسِعة وعميقة وليس فوقها جسر يعبُرُ عليه إليهم ويعبرون هم إليه.

فمتى. متى يمتدَّ هذا الجِسر؟!.

السَّمير: 19/4/1946

## هل تهلك الإنسان معرفته

يقول الحكماء - وما أصدق القول - إِنَّ المعرفة قوَّة. فما وقع نظر المرء على حقل زاهر أو بلد عامر إلاَّ وأدرك أَنَّ المعرفة هي سِرُّ الإزدهار في الحقل. وسِرُّ العُمران في البلد. لأنَّ حقل الجاهل يباب<sup>٥</sup>. وبلد الجاهل خراب.

المعرفة.. هي التي حفرت الأنفاق تحت الأرض ومن فوقها الأنهر... وهي التي مدَّت الجسور العالية المعلقة فوق الأنهر الكبرى فوصلت بين بلد وبلد وبين ولاية وولاية.

والمعرفة.. هي التي حوَّلت البخار إلى قوَّة تجرُّ القُطُر في البرِّ. والسفن في البحر.

والمعرفة هي التي رفعت الإنسان في الفضاء فخلق فيه يزاحم النُور في دُنياها. ويجتاز في ساعة ما كان يعسر عليه اجتيازُه ماشياً في أسابيع.

والمعرفة هي التي جعلت كل شيء للإنسان أفضل ممَّا كان. بل جعلت الإنسان نفسه أرقى ممَّا كان! إِنَّها السُّحر بل هي أعظم مِنَ السُّحر.

١ الحمقى: حَمِقٌ فلان حَمَقاً قلَّ عقله فهو أَحْمَقُ وحَمَقٌ فعلٌ فَعَلَ الحَمَقَى.

٢ ويقال حَزَّ الشيءُ في صدرِهِ أو قلبِهِ: أثَّر فيه.

٣ لعمرى: لَعَمْرُ الله فاللَّام لتوكيد الابتداء والخبر محذوف تقديره لَعَمْرُ الله قسِمي أو لَعَمْرُ الله ما أَقْسِمْ به فإن لم تُدخل عليه اللام نصبته نَصْبُ المصادِر فقلت لَعَمْرُ الله ما فعلت كذا.

٤ الهُوَّة: الهَواء الجُرُّ كالْمُهَوَاةِ والهَوَّة.

٥ التِّباب: أرض يباب أي خراب.

إنما هذه القوة قد تدمر كما تعمّر. وقد تفسد كما تصلح. فإن البشرية كلها ترتعد فرائصها<sup>1</sup> في هذه الأيام كلها لاح لها شبح القذائف الأتوميّة تتساقط على الدنيا لتهدم ما فيها من عمران وتستأصل ما عليها من حيوان.

ويزداد الخوف من هذا الغول كلما ازداد عدد الذين يعرفون سيرّ تكوين هذه القذائف الجهنميّة. وليس هذا السرّ المحجوب بلا مفتاح. وليس الوقت الذي يهتدي فيه الكلّ إلى هذا المفتاح ببعيد. فقد صرّح هارولد ستاسن معاون الرئيس ايزنهاور الخاص في مسألة تحديد السلاح. بأن الغطاء سوف يسقط عن هذا السرّ في غضون سنة ويصبح معروفاً في العالم كله. فإذا حصلت عليه الأمم الأخرى قبل الإتفاق على تحديد السلاح فإنّ الخطر يشتدّ على العالم كلها انتشرت معرفته.

فأنت ترى أنّ المعرفة قوّة. ولكنّها أحيانا تصير قوّة لا تنتج إلا الشرّ. وليس ذلك لأنّها هي شرّ في ذاتها. ولكنّها مثل كلّ أداة وكلّ شيء يحوزه الإنسان يصير شرّاً إذا صرفها هو إلى الشرّ، وخيراً إذا أرادها ووجّهها إلى الخير.

نرجو أن لا يبلغ الإنسان إلى يوم يقول فيه مع الشاعر العربي:

آفتي معرفتي ليتني لم أعرف

السّمر: 7/ 5/ 1946

## المنزل الأول

لله ما أشد سلطان المنزل الأول على الإنسان. قد يكون المنزل الأوّل قرية صغيرة لا شأن لها في التاريخ ولا إسم لها في خريطة وقد يكون الإنسان المغترب عن المنزل الأوّل ممّن يمرحون في غربتهم في فردوس من السعادة والهناء والرّخاء ولكنه مع ذلك يظلّ يحنّ إلى مسقط رأسه. وإلى المنزل الأوّل.

وقد يسيح الإنسان في الدنيا فيرود مجاهلها ويهبط أهلها ويشاهد عجائب العُمران وغرائب البُنيان وسحر المدنيّة الحديثة فيشكر حتى يكاد ينسى. ولكنه ينسى كلّ شيء إلا البقعة التي انفتحت فيها عيناه للنور. وتسلق أشجارها وركض في دروبها.

وقد يكون من المؤمنين العاملين بقول المتنبي:

وما بلد الإنسان غير الموافق وما أهله الأذنون غير الأصادق<sup>2</sup>

أوربّا فلسفته إذ يقول:

1 الفريضة: لحة بين الجنب والكُف لا تزال تُرعد من الإنسان والدابة وجمعها فريص وفرائص.

2 الأدنى: الأقرب.

إذا كان أصلي من تراب فكلها      بلادي وكل العالمين أقاري  
ولكنه مع إتساع دائرة فلسفته في الوطن ورحابة صدره في مسألة السكّن لا يقدر أن يمنع قلبه  
في الخلوات الهادئة من الحنين إلى المنزل الأول حيناً ناشئاً عن حب لا يبلّى ولا ييوخ لونه كالذهب  
الدّفين.

وربّما كان الإنسان المغترب قد هجر وطنه ناقماً على الحكّام لأنّهم ظلموه وتحقّفوه<sup>1</sup>، أو غاضباً على  
الوطن ذاته لأنّه وجد فيه مجال الرّزق ضيقاً ومجال الحرية أضيق.  
ولكنّه مع نغمته واستيائه وكرهاته يظلّ يشعر في أعماق نفسه بدافع لا رادع له يدفعه إلى الحنين إلى  
المنزل الذي هجره. والرغبة في الرّجوع إليه وإن لم يكن فيه غير الأشواك التي تذمي وتؤلم.  
ثمّ هو يحسّ أنّه يستطيع أن ينسلخ عن الأصحاب والعشراء. وعن كل شيء له ولكنّه لا يستطيع  
أن ينسلخ عن المنزل الأول إلّا إلى حين. فهو يحمله في روحه وقلبه وعقله وفي كُرّيات<sup>2</sup> دمه أينما ذهب  
وكيفما صار.

ولكنّه في الحاليتين لا يرى منزلاً أبقي في نفسه من المنزل الأول.

السّمر: 14/5/1946

## هزل في جدّ

التقى في إحدى حومّات السباق صديقان أحدهما من المولعين بالمراهنة على خيل السباق. والآخر  
من رأي القائلين العز في سروج الخيل ولكنّه يمقت المراهنة عليها وعلى سواها.  
وكانت الحومة على إتساعها مكتنظة<sup>3</sup> بالخلق بحيث يصعب على المرء السير ثم يكاد يصعب عليه  
الوقوف عندما يتحرّك القوم نحو الحومة وعندما يرجعون عنها.  
وكان الزّاهد في المراهنة يتأمّل أولئك الناس فلا يرى مُبتسماً واحداً حتى يرى ألف عابس. ولاحظ  
أنّ كثيرين تبدو على وجوههم علامات الدّهول وفي ملابسهم آثار الإهمال والخمول. وكثير منهم تخبر  
هيناتهم أنّهم بلا عقول..  
ومرّت سويّعات وكل واحد مشغول بنفسه لا يعي شيئاً ممّا يجري حوله. ولا يستعيد وعيه إلّا  
بعدما يغادر حلبة السباق وهو يشعر بخيبة أمل شديدة وحتى لو كان رابحاً فربحه قد كان ربحاً  
زهيداً جداً.

1 الحيف الظلم.

2 الكُرّيات الحمر كُرّيات الدّم الحمر والكُرّيات البيض كُرّيات الدّم عديمة اللون.

3 مكتنظة: اكتظّ امتلاً واشتدّ امتلاؤه. يقال اكتظّ المكان بالنّاس.

وكلّما خرجت الجياد إلى السباق تكأكا<sup>1</sup> الناس على جانبي الممر كأنّما سيّشاهدون موكب ملك أو سلطان أو سرباً<sup>2</sup> من الحور<sup>3</sup> الماريات من الفردوس.  
هذا يحدّج هذا الجواد بعينين كأنّهما تتضرّعان وذاك يرمق<sup>4</sup> ذاك الجواد كما يرمق العاشق صورة حبيبته.

وكلّهم مثل هذا وذاك في فتونه وجنونه ورجائه الملتهب المعلق على ذوات الأذنان والخوافر.  
وقديماً عبد المصريّون العجل أبيس  
وقبلهم عبد الأشوريّون الثور والأسد  
وفي الهند للبقرّة عبّاد ومصلّون  
ولكلّ قوم فنّتهم

فإذا جرت الجياد في الحلبة وقف ذلك الحشد الكبير المترّاص كالبنّيان صامتاً باهتاً حابس الأنفاس  
فلا تسمع نامة ولا همسة حتى يزاحم جواد جواداً فيعلو الهتاف ويكثر الصراخ ويصير المراهن على الجواد المتأخّر يشبّ في مكانه كأنّما هو يستحثّ ذلك الجواد ليطير.  
ويصير المراهن على الجواد المتقدّم يقفز ويلوّح بيديه كأنّه يخشى عليه أن يقصّر أو يتأخّر.  
وتدوم هذه الضوضاء حتى ينتهي الشوط ويعيّن رقم الجواد الفائز فيسكت الرّاهون والخاسرون من بين هؤلاء القوم سكوت الأصنام. ثمّ يعودون إلى ما كانوا عليه فيراهنون من جديد على جياد الشوط الثاني.

ولمّا وجد الصّديقان الفرصة السانحة للكلام قال أحدهم لزميله الذي كره الرّهان:

ـ كيف رأيت السباق؟

فقال وهو يتسم: إنّ الذي رأيته هو أنّ الخيول أعقل وأحكم من البشر.

قال: كيف ذلك؟

فأجابه: لأنّ الخيول لا تراهن على النّاس ولو كانوا من سلالة الأكاسرة والفراعة والقياصرة. أمّا الناس فيراهنون على الخيول.

وإنّك لتعجب كيف أنّ الحكومة تحظر<sup>5</sup> على النّاس الرّهان على الخيول خارج حلقة السباق

1 تكأكا: تجمّع. وهذه اللفظة لفظة يسميها علماء والبلاغة امثالها بـ«الحوشية» والحوشي من الكلام هو الغريب القديم الذي يحتاج إلى القاموس ليفهم معناه.

2 السرب الفريق من الطير والحيوان ج أشراب.

3 الحور: حورت العين حوراً اشتدّ بياضها وسوادها واستدارت حدقتها ويقال: حورت الظبية وحور الظبي فهو أحور وهي حوراء ج حور.

4 رمقه نظر إليه.

5 الحظر الحجز وهو ضيد الإباحة وحظره فهو محظور أي محرم.

وتطارده الذين يبيعون أوراق المراهنات وفي الوقت ذاته تُبيح للخيل أن تجري في حلبات الشباق.  
وأعجب من هذا أن ترى رجلاً عاملاً أو بائعاً يركض ساعات النهار كلها ليربح بضعة دولارات  
ثم يجيء في المساء فإذا تلك الدولارات قد طارت من يده لأن جواداً ركض بضعة دقائق.  
ومع ركضة كل جواد تطير أموال العباد.

السَّمِير: 5/6/1946

## طالب الشهرة الجوفاء

يكاد يكون أمراً مفترراً عندنا أن أكثر الناس ولعاً بالظهور هم أقل الناس أهلية للظهور. فإنَّ  
الشهرة لا تجيء لمجرد الولوع بها والرغبة فيها. بل لها شروطها وهي أن يكون المرء على شيء من الأهلية  
وعلى كثير من الجِدِّ والاجتهاد في مهنته وعلى شيء أكثر من التجافي عن طلب الشهرة. لأنَّ الإنسان إذا  
انصرف إلى الاستعانة بالوسائل المزيّفة للحصول على الشهرة أضاع الوقت الثمين في ما لا طائل تحته.  
وإذا حصل على شيء من الظهور فإنه لا يحصل عليه ليُمَدِّح بل ليُذَمَّ.

إنَّ الوسائل التي تؤدي إلى الشهرة كثيرة لا تُعدَّ ولكنَّ أفضلها تلك التي تؤدي إلى شهرة حقيقية لا  
يبوخ لوها عندما تُستلَطَّ عليها نار النقد أو تغلي بهاء الإمتحان والتجربة.

ما أشبه طالب الشهرة على غير أهلية بالضفدع يتعالى نقيقتها في الماء فيحسب السامع أن صاحب  
ذاك الصوت كائن ذو قوَّة واقتدار فإذا وصل إلى مصدره عَجِبَ لذاته كيف انخدع وكيف غلط في  
التقدير.

على أنه إذا كان عاقلاً حكيماً لا يَنَقِمُ على الضفدع لنقيقتها فهي ليس لها من وسيلة تدلُّ بها على  
وجودها إلا هذا النقيق.

كل امرؤ يُنفقُ ممَّا عنده. وليس للضفدع أن تغرَّد كالكنار.

لا ينبغي للرجل الحكيم أن يغضب على الضفدع تنقُّ في الليل وإن أزعجته وأطارت الكرى من  
جفنيه بل عليه أن يتمثَّلَ بالنجوم السابحة في الفضاء وينصرف إلى التفكير بما ينسبه الضفدع ونقيقتها.  
لكل بيت باب الذي يدخل إليه منه وللشهرة أبوابها. فلا يدخلنَّ في وهم إنسان أنه يستطيع  
الوصول إلى شهرة ثابتة وجيلة إلا بالأعمال الصامدة الجميلة التي تستحق أن تشيع وتشيع معها شهرة  
صاحبها.

لا تشع تجارة تاجر لمجرد أنه تمنى ورغب واشتهى أن يصير صاحب تجارة واسعة بل لأنه سعى  
وسهر وتعب «وبقدر الكد تكتسب المعالي».



ولا يصل كاتب إلى شهرة في عالم الأدب لمجرد أن جريدة أو مجلة نعتته بالكاتب التحرير<sup>1</sup> بل لأنه خَلِقَ وفيه كُلّ عاصر الكاتب التحرير من ذوق كتابي ومعرفة بأساليب الكلام ومناحيه وصبره على الدرس والتنقيب وإخلاص في العقيدة وشعور بما يكتب ويدوّن وغير ذلك من الميزات والصفات. إن بعض طلاب الشهرة أو عشاق الظهور يلجأون أحياناً إلى أمورٍ مضحكة ويستعينون بأشياء لسواهم لكي يحقّ لهم أن يتباهوا بأنهم كانت لهم حصّة في الديك لأنهم شربوا مرقته. فلهؤلاء نقول أطلبوا الشهرة من أبوابها فتأتيكم منقادة تجرّ أذيالها وتبقى تيجانها على رؤوسكم.

السّمر: 1946 / 6 / 24

## كيف تشع الدنيا وتضيّق

كم هي مساحة دُنياك؟

كانت دنيا الإنسان في أول أمره مغارة أو كهفاً ثم صارت خيمة فكوخاً فبيتاً فأقليماً فبلاداً. أمّا اليوم فلا يقنع إلا أن تكون له الأرض كلّها وطناً.

أنت جزء من هذا العالم إذا اتّحدت به صار كلّك لك أمّا إذا انفصلت عنه وحصرت نفسك في دائرة ضيقة كالمذهب مثلاً والجنس واللون والإقليم فإنك تصبح كالمسجون في نفق أو سرداب لا يرى من الدنيا غير الجدران التي حوله. وصار كل شيء غيره مجهولاً منك كلّما تصوّرتَه دُبّاً إلى نفسك الخوف واستحوذ عليك الحذر لأن الإنسان عدو ما جهل وصديق ما فهم.

فما هي دنياك؟ وكم مساحتها؟ لا نقول لك: ثب فوق البحر ولكننا نقول لك: ثب فوق الحواجز المذهبيّة والجنسيّة والإقليميّة تصبح الدنيا كلّها وطنك والناس كلّهم أهلّك وإخوانك. فالعالم ينكمش ويتقلّص إذا انبسطت العقول وتمدّدت الأرواح أمّا إذا كانت العقول في انكماش والأرواح في انقباض فالدنيا تشع وتنبسط وتكبر وتكثر فيه المجهل حتى ليصير الإنسان فيها كالحشرة القابعة في ظل صخر في سهل مترامي الأطراف.

قيح أن يكون الإنسان كالحشرة. عليه أن يعرف دنياه ما دام فيها ولن يعرفها ما دام عقله في سجن الجهل والغبّاة.

لا يصير العالم لك إلا إذا صرّت أنت العالم فإذا عجزت عن السياحة بنفسك في الأرض فلا يُعجز عقلك أن يسوّح في الكتب.

رسّع دائرة نفسك تصغر الدنيا لديك.

السّمر: 1946 / 7 / 22

1 التحرير: بوزن المشكين العالم المثقّن.

## ويل للهؤلاء

ويل<sup>١</sup> للكاتب الذي يستحوذ<sup>٢</sup> عليه الغرور<sup>٣</sup> لأن جريدة أو مجلة نشرت له مقالاً فتوهم أنه صار نابغة عصره وأن الزمان لن يأتي له بمثل.

وويل للتلميذ الذي ينال شهادة المدرسة العالية أو الكلية ويكتفي بأنّه نالها ويذهب يمدن على الدنيا بأنّه يحمل شهادة.

وويل للطبيب الذي يقنع بأنّه صار طبيباً ويتوقع من الناس أن تنصب له تمثالاً وتشيد له عرشاً لمجرد أنّه طبيب ولو كان لم يشف مريضاً إلا وأودى بعشرات المرضى لجهله وغروره واعترازه بنفسه.

وويل للعامل الذي حذق صنعة وراح يدل على الجيران والأقرباء والغرباء بأنّه بارع في تلك الصنعة كأنّها هو موجدّها أو مخترعها وويل للشاعر الذي يتوهم أنّه بلغ مرتبة الخلود لأنّه استطاع أن يأتي بشيء من الكلم الموزون المقفى.

وويل للرجل الذي أدرك ثروة فراح يستعلي على الناس ويستكبر وينسب إلى ذاته الذكاء<sup>٣</sup> الخارق وإلى غيره الجهل المطبق.

ويل لهؤلاء وويل للناس من هؤلاء وأمثالهم ممن استحوذ عليهم الغرور فتوهموا أنهم طبقة أرقى من الناس أو أنهم صاروا في غنى عن الناس.

ويل لهم لأنهم باستسلامهم إلى الغرور قطعوا الطريق على أنفسهم فصار من العسير عليهم أن ينفعوا أنفسهم أو ينفعوا سواهم. وصاروا لوقوفهم عند هذا الحد واكتفائهم بما نالوه أشبه بالماء الجاري الذي وقف عن الجري فصار آسناً بعد أن كان عذباً. وعكراً بعد أن كان صافياً. ولا يشرب الماء الأسن<sup>٤</sup> أحد مهما برّح<sup>٥</sup> به العطش ولا يبتهج بمراى الماء العكر أحد إلا إذا كان لم ير الماء الصافي في حياته!

وويل للناس من هؤلاء لأن الذين يتوهمون أنفسهم فوق الناس أو أرقى من الناس هم خطر على

١ وتل: كلمة مثل ونبح إلا أنّها كلمة عذاب يقال ويله وتلك وتلي وفي التذبة ويلاء وتقول وتل لزيد وويلاً لزيد فالرفع على الإبتداء والنصب على إضمار فعل.

٢ الغرور ما اغترّ به من متاع الدنيا.

٣ الذكاء ممدود جذّة القلب.

٤ أسين: الأسين من الماء مثل الآجين وقد آسن من باب ضرب والآجين الماء المتغير الطعم واللون.

٥ برّح به الأمر تبريحاً أي جهدة.

الناس. وقِدْوَة<sup>1</sup> سيئة لغيرهم. ولا سيّما<sup>2</sup> إذا تساهل الناس معهم ووافقوهم في غرورهم ولو مصانعة ومسايرة.

يجب لفائدة هؤلاء المغرورين أن يجابههم الناس بالحقائق فيفهمونهم أنهم عالة على الناس وأنهم طُبول جوفاء لو وخزتها إبرة لطار منها الهواء وانقطع دويها.

إننا نَعْذِر مَنْ يَكْرَحُ خابيةً فيسكّر ويُعْزِدُ ولكننا لا نقدر أن نَعْذِرَ رجلاً يعرِّدُ على الناس لأنه شرب عصير زَبِيَّة<sup>3</sup>!!

ولا يمكننا إلا أن نَعْتَرِفَ للنسر بقوة جناحيه ولكن من الحماقة والغفلة أن تَطِنَ حولنا بعوضة فنَعْتَرِفَ لها بأنها نَسْرٌ جَبَّارٌ أو أنها بُلْبُلٌ صَدَّاحٌ.

السَّمِير: 6/11/1946

## لِمَاذَا!

جرى الحديث في مجلس عمّا في الشّرق العربي من الإمكانيات العظمى وما في تلك البقاع من الكنوز الطّبيعيّة الدّفينّة تحت الثرى فقال أحدهم:

«لماذا والشرق على هذا الغنى الطبيعي وأهله موصوفون بالذكاء لا يزال متأخراً في كل مضمار ولا تزال كنوزه وخيراته لغير سُكّانه؟»

فحرّك هذا السؤال أفكار الحاضرين فأجاب كل واحد عليه بما حضره وهذه خلاصتها:  
قال الأول: «إن السرّ في ذلك هو أن الناس في ذلك الشّطر من العالم يحركون ألسنتهم كثيراً ولا يحركون عقولهم وأيديهم إلا قليلاً. ويعيشون في الماضي السّحيق<sup>4</sup> على رغبة وهيام ولا يعيشون في الحاضر إلا على كره<sup>5</sup> وإرغام».

وقال الثاني: «إن السّبب في بقاء الشّرق العربي في حالة عَجْز واستسلام هو تعبّد العامّة للحكّام والزّعماء الإقطاعيين الذين يعيشون في بلهنيّة<sup>6</sup> خرّقاء<sup>7</sup> وفخفخة جوفاء».

1 القِدْوَة الأُسْوَة يقال فلان قِدْوَة يُقْتَدَى به وقد يُضَمّ فيقال لي بك قِدْوَة وقِدْوَة وقِدَة.

2 لا سيّما كلمة يستثنى بها وهي مكوّنة من سَيٍّ وما ولك فيها النّصب والجرّ.

3 زَبَبٌ عِنَبُهُ تَزْيِيْبٌ جعله زَبِيْباً.

4 السّحيق البعيد.

5 وأقامه فلان على كرهه أي أكرهه على القيام.

6 بلهنيّة خرّقاء: البلهنيّة الرّخاء وسعة العيش، والخرّقاء: المرأة غير الحاذقة.

7 الدّهماء: عامّة النّاس وسوادهم ج دهم. والسّواد من النّاس معظمهم.

وقال الثالث: «إِنَّ السَّببَ الأكبر هو الجهل في الزُعماء والغباوة في الدُّهماء<sup>1</sup>. فإن لم ينتشر العلم في سائر طبقات الشعب فلا سبيل إلى التقدم والرُّقي. ولا دوام لنعمة. ولا وصول إلى غاية. لأنَّ الجاهل كُتْلَةٌ مِنْ لحم وعَظْم بل هو صَنَمٌ متحرِّك وحَشَبٌ وما أَشَقَّى الأُمَّة التي يكثرُ فيها هؤلاء الأصنام.

وقال الرابع: «إِنَّ السَّببَ الأكبر هو استرسال الشرقيين مع الخيال الذي يطير بهم إمَّا إلى وراء الحياة وإمَّا إلى ما فوق الكائنات فتراهم يشاهدون الأرض تبور وهم يغنون ويهزجون كأنَّ بوار<sup>2</sup> الأرض شيء حسن ومشهد جميل أو كأنَّ الأرض التي تبور وتعقم<sup>3</sup> ليست لهم!

وقال الخامس: «بل العصبية<sup>4</sup> هي روح القبليَّة المتملكة في الفؤوس فإنَّ على كُلِّ قرية تحسب ذاتها وطنًا مستقلًّا ذات سيادة! وكل عائلة تتوهم أنَّها الشعب كُلُّه! وكل طائفة منكمسة ذاتها انكماش السُّلحفاة في صدفتيها.

إنَّ هذه الحلقات المفككة المبعثرة لا يمكن أن تتنظم عقداً وإنَّ كانت كلُّها من ذهب حيثما تنفُش هذه الرُّوح تتخلخل مفاصل الأُمَّة. وتنطمس الأهلية والكفاءة وتروجُ المحسوبية. وتنتشر الزُّلفى<sup>5</sup>».

السَّمير: 9/ 12/ 1946

## مَنْ يَرِثُ الْأَرْضَ الْوَدَعَاءُ أَمْ الْجُرُفَاتُ أَوْ النَّاصِرُونَ؟

مَنْ يَرِثُ الْأَرْضَ؟

أنت أيها القاريء مثلي تؤمنُ بأنَّ الوَدَعَاءَ هم الذين سيرثون الأرض كما قال النَّاصِرِيُّ.

وأنت مثلي متشبَّث بهذا الإيمان لأنَّه يخلُق في نفسك غِبْطَةً ولا سِيَّماً إذا لم تكنُ مِنْ أولئك الذين يزعمون أنَّ الأرض للأقوياء وأنَّ الدُّنْيَا لا يرثها غير الجبابرة الطُّغَاة.

ولا شكَّ في أنَّ رباح الفلسفة «النيثسيَّة» لم تزعزع إيمانك هذا. وكيف تزعزعه وقد رأيتَ ما فعلتْ

1 الكُتْلَةُ: القطعة من الصمغ وغيره.

2 بَارَتْ الْأَرْضُ تُرِكَتْ مَدَّةٌ دُونَ أَنْ تُحْرَثَ لِتُزْرَعَ.

3 عَقِمَتِ الْمَرْأَةُ أَوْ الرَّجُلُ عَقِيماً كَانَ بَهَا أَوْ بِهِ مَا يَحُولُ دُونَ النُّسْلِ مِنْ دَاءٍ أَوْ شَيْخُوخَةٍ فَهُوَ عَقِيمٌ جَ عَقَمَاءُ وَيُقَالُ رِيحٌ عَقِيمٌ لَمْ تَأْتِ بِمَطَرٍ.

4 الْعَصَبِيَّةُ: التَّحَمُّسُ لِلرَّأْيِ وَالْمُدَافَعَةُ عَنْهُ.

5 الزُّلْفَى: الْقُرْبَةُ وَالْمَنْزِلَةُ.

هذه الفلسفة الهوجاء أَصْرَتْ بالشَّعب الألماني وذلك عندما اعتنقها وحاول أن يجعلها دُستوراً لحياته فكانت الشُّم الذي أودى بحياته.

ولكن اليوم تهبُّ عاصفة جديدة على هذا الإيمان في نفسك وفي نفسي. تهبُّ لا من كتاب الفيلسوف الألماني المجنون ولا من حانة هتلر في مونيخ بل من محاضرة لعالم أميركي في جامعة هارفرد اسمه الفرد سومر ألقاها بمناسبة الإحتفال بمرور نصف قرن على جامعة برنستون. فقد زعم هذا العالم أن الإنسان لن يرث الأرض. بل سيرثها الفئران والجُرُذَان وغيرها من الحيوانات الحقيرة التي يقول هذا العالم أنها سترقى وتعظم وتسيطر على الأرض.

أمّا الإنسان فيقول هذا العالم أنه قد استوفى نصيبه من النُشوء والارتقاء والتطوُّر وهو الآن سائر إلى الإنقراض كما يدلُّنا التاريخ. فإنَّ الأحياء التي ارتقت قبل سواها إنقرضت قبل سواها! وضرب مثلاً على صحَّة نظريته فقال «لو كنَّا دينوسورات أيام كانت الدينوسورات في إبان عظمتها لكنَّا نفكر مثلها لو كانت لنا أدمغة تفكر. على أن الدينوسور قد إندثر أمّا سنة النُشوء والارتقاء فبأقية.

بالطبع إنَّ الإنسان إذا صدقت نظريته هذا العالم لن ينقرض في شهر ولا في سنة ولا في جيل ولا في عصور. وربَّما كانت نظريته خطأ في خطأ ولكنَّها مع ذلك نظرية مزعجة تشوُّشُ إيمانك وإيماني بأنَّ الإنسان سيرث الأرض ولا سيَّما إذا كان من الودَّعاء.

وهي نظرية بشعة لا شيء من التَّعزية فيها. فأبي جمال في الأرض يبقى إذا انقرض البشر وانتشرت فيها الجُرُذَان والفئران والصَّراصير والخنافس!

لو أنَّ هذا العالم اكتفى بالقول إنَّ الإنسان سينقرض كما انقرض الدينوسور لكان الخطب محمولاً على الناس لأنَّهم يعلمون أن كل ما عليها فإن ولا يبقى غير وجه ربك ذي الجلال ولكنه عزَّ عليه أن تبقى الأرض غير مأهولة فلم يجد غير الجُرُذَان يورثها الأرض.

لو كانت الجُرُذَان والصَّراصير والجِعلان<sup>1</sup> تقرأ لصفقت طرباً ولكانت طفرت إلى الارتقاء واختصرت الزمن كثيراً.

ولكن محاضرة هذا الإنسان لم يسمعها ولم يفهمها غير الإنسان فلم تطرب الجُرُذَان والجِعلان أمّا الإنسان فقد شعر بالحزن وذلك قبل الأوان!! ولم يبقَ له ما يعزِّيه غير الرُّجوع إلى الآية القائلة: طوبى للودَّعاء فإنَّهم يرثون الأرض!

فالمقصود بالودَّعاء في نظرنا البشر لا الخنافس.

السَّمير: 7 / 1 / 1947

1 الجُعل حيوان كالخنفساء يكثر في المواضع النديّة ج جعلان.

## حكاية ملفقة

أكثر ما تؤكد الحكايات الملفقة وتجري على الألسن كأنها أمور واقعة في القرى البعيدة عن العمران التي لا يشغل أهلها شاغل من صناعة رائجة أو زراعة نامية. وليس لهم بالعالم الخارج غير اتصال ضئيل متقطع كلمع البروق. فالتأخر في وسط مثل هذا يؤمسون وشأنهم في الحوادث البعيدة والأشخاص الغائبين كجماعة العميان والفقير. يخبطون في تصور الأشياء خبط عشواء<sup>1</sup>.

ومن هذا النوع الحكاية الطريفة التي سمعها «البدوي المثلث» عن صاحب «السمر» في قرية من قرى شرق الأردن<sup>2</sup>.

ومثل هذه حكاية طاب للأستاذ حنا خباز أن يلقها عن صاحب «السمر» أيضاً. وهي مثل حكاية البدوي المثلث في بعدها عن الواقع.

وإذا نحن عذرنا قروياً منكمشاً في قرية متروية عن التورط في هذا النوع من التصور الخاطيء فلا نقدر أن نعذر رجلاً من رجال القلم مثل الأستاذ حنا خباز لا سيما وهو قد زار الولايات المتحدة وكان له بصاحب «السمر» معرفة وله بغيره من الناس هنا اتصال.

إن الحكاية الأولى قد ظهرت وصار علينا أن ننفيها ونرد روايتها إلى الصواب أمّا حكاية الخباز فلا تزال في عالم المخاض<sup>3</sup> ولم يعلم بها إلا قليلون ممن لذل للخباز أن يقصها على سامعهم.

وقد اتصل بنا خبرها من صديق لنا في مصر فضحكنا وقلنا إذا كانت روايات الخباز كلها في رحلته حول الأرض من نوع الحكاية التي لفقها عن صاحب «السمر» فكل ما رواه لا قيمة له ولا يمت إلى الحقيقة بصلة.

أمّا حكاية «البدوي المثلث» فما كنا لنعيرها أقل اهتمام لو لم تكن قد ظهرت مطبوعة في مجلة «الضاد» الحلبية. ولو لم يكن ناقلها قد دخل عليه الوهم إن فيها شيئاً من الصحة...

وما ننشرها نحن إلا لإطلاع الناس هنا على ما في خيال الناس هناك من جموح واعوجاج حتى في حكاياتهم عن الأحياء. فإن لم يكن في معرفة هذا الأمر فائدة فلا شك أن فيه تفكهاة. وما أحوج الناس في هذه الأيام التي يرتعش فيها العالم ارتعاش المحموم إلى شيء من التفكهاة!

وهذه هي الحكاية وهي مكتوبة بقلم الأديب الأردني الكبير البدوي المثلث وقد نشرت في مجلة «الضاد» الحلبية وذلك تحت عنوان: «تاريخ ما أهمله التاريخ».

1 خبط عشواء: العشواء الظلمة ويقال هو يخبط خبط عشواء يعمل على غير هدى فيخطئ ويصيب.

2 الأردن بشد النون كورة بالشام وأصبحت فما بعد ملكة مستقلة ألا وهي المملكة الهاشمية.

3 المخاض بالفتح وجع الولادة. وغض الدهر بالفتنة أتى بها.

قال الكاتب: يخيّل إلى الكثيرين من حملة الأقلام أن الشاعر الشاعر الأستاذ إيليا أبو ماضي كان في طليعة من أم المهجر من أدبائنا الأحرار الذين ركبوا البحر صوناً للكرامات. وإبقاء على الحرمات<sup>1</sup>. وقد عبّر نابغة الشعر العربي الحديث المرحوم فوزي المعلوف عمّا يعتلج في صدر هذا الرّاعيل الحرّ بقوله:

مهما يَجْزُ وطني عليّ وأهلُهُ      فالأهل أهلي والبلادُ بلادِي  
أرثي لبؤسهمُ فأندب حالهم      بقمي وأرثي حظهم بعدادي  
لكن أنفت بأن أعيش بموطني      عبداً وكنت به من الأسياد

أقول: يخيّل إلى كثيرين من المتأدّبين وحملة الأقلام أن صاحب «الجداول» و«الخمائل» و«السّمير» عندما ودّع لبنان وركب غارب<sup>2</sup> الموج إلى الأندلس الجديدة كان يقصد من وراء ذلك استرواح شذا بلد تسوده الحرية ولا يعرف بثوه للطغيان لونا أو للظلم مذاقاً...!

غير أن الدّهشة تتولّى القاريء الكريم عندما يقرأ في عجالتني هذه أن «أبا ماضي» كان في طليعة الأحرار الذين ضربوا في معسفات<sup>3</sup> القفار والصحارى طلباً للحرية.. وسعيّاً وراء تحرير بلاد العرب من الجور فالتحقوا بجيش التحرير العربي الذي كان يقوده الثائر المتوثّب الأمير فيصل بن الحسن الملك فيصل فيما بعد.

قبل عامين على وجه التقريب التقيتُ في قرية الزرقاء «من أعمال شرقي الأردن» بالسيد يوسف سمارة الرّيحاني وهو أحد عيون بلدة «جرش» من أعمال لواء عجلون والمناسبة مؤاتية أنشدتُ الجمع من شعر أبي ماضي قوله في قصيدته «ابتسم»:

قال: السّماء كثيبة! ونجّها      قلت: ابتسم يكفي التّجهّم في السّما  
قال: الصّبّا ولّى! فقلت له: ابتسم      لن يرجع الأسف الصّبّا المتصرّماً  
قال: العدى حولي علّت صيحاتهم      أسرّ والأعداء حولي في الحِمَى؟  
قلت: ابتسم. لم يطلّبوك بدمهم      لو لم تكن منهم أجلّ وأعظماً

\* \* \*

قال: الليالي جرّعتني علقماً!      قلت: ابتسم ولئن جرّعت العلقماً  
فلعلّ غيرك إن رآك مرّناً      طرح الكأبة جانباً وترّناً

فاستوى الرّيحاني في جلسته وطفق يسردُ لنا قصّة إنضمام صاحب «السّمير» إلى صفوف

1 الحرمّة ما لا يحل انتهاكه ج حُرّمات.

2 الغارب: أعلى كلّ شيء ج غوارب وغوارب الماء أعلى مَوْجِه.

3 عَسَفَ عن الطريق مال وعَدَكَ.

المتطوعين في الثورة العربية وانضوائه تحت لواء الأمير فيصل بن الحسين. وهنا استوتيت في جلستي وأخذت كآلة اللاسلكي اللاقطة أسجل ما رواه القاص عن (أبو ماضي).

وحرصاً مني على التأريخ وأخباره أجمال ذلك الحديث برسم (الضاد) العزيزة وأتمنى أن يكتب لهذا العدد (السلامة والاستقرار) في يد (إيليا أبو ماضي) ليطالع هذه الرواية ويأدر إلى تصويبها وتقويم ما اعوج منها إذ أن ما يضاعف شكوكي وظنوني أن (إيليا أبو ماضي) غادر مصر إلى المهجر عائدا 1911 والفارق بين هذا العام والعام الذي أعلن فيه العرب الثورة على الأتراك خمس سنوات فتأمل يا عزيزي القاريء الكريم هذا التباين... واحكم!

غير أنني رغم هذه (البلبلة) أسجل على صفحات (الضاد) ما رواه السيد يوسف سماره الريحاني في الزرقاء قبل عامين متأسياً بالآية الذهبية «ناقل الكفر ليس بكافر» وإليكم ما روى موجزاً:  
«... كنتُ عام 1917 ضابط إرتباط في جبل الدروز وقد نزلت يوماً إلى قرية (ملح) وهي في القرن الجنوبي وتحت زعامة الأطارشنة (فرقة نجم) وحللتُ ضيفاً على أسرة (أبو صعب) وزعيمها عهد ذاك يوسف أبو جمرة. وبعد أن استقرَّ بي المقام أخذ الحاضرون يشيدون بوطنية «أبي ماضي». ويشهدون بسموِّ خلاله ونوازه القومية... (وللكلام بقية<sup>1</sup>).

## ليس للفكرة مزق

عندما يأتيك رجل بتحفة صناعية جميلة أو بحجر كريم من الجواهر الثمينة. أو بصورة رائعة أفنقول له: ما مذهب هذه التحفة؟ أم إلى أي طائفة ينتمي هذا الحجر الكريم؟ أم في مذهب أي طائفة

---

1 لقد كان أبو ماضي يشعر بالأسى والحزن من جزاء سماعه في أكثر من مرة لحكايات ملفقة رويت عنه ومنها ما طال سمعته الشعرية وما أكثرها ولكنّه كان يواجه هؤلاء المفترين على سمعته وأدبه بابتسامة عريضة ولسان ساخر لاذع لا يهين ولا يرحم.

فأبو ماضي بعدما نظم قصيدته الشهيرة «الطلاس» وجد الأديب الأردني روكز بن زائد العزيزي يتهمه بسرقة أكثر معاني قصيدته الخالدة تلك عن شاعر عاش في الصحراء الأردنية حسب ما زعم روكز بن زائد العزيزي كما سمّاه أبو ماضي قد التقى بذلك الشاعر البدوي فلما أسمعته بعض أشعاره اقتبسها أبو ماضي وأدخل بعض معانيها في بعض معاني قصيدته «الطلاس». وهذا الزعم في نظرنا زعم مرفوض جملة وتفضيلاً وتفصيلاً.

وقد تحدثنا في كتابنا الذي أصدرناه تحت عنوان إيليا أبو ماضي - حياته - شعره - نثره - في فصل مستقل عن هذه الاتهامات الباطلة وهي اتهامات كان لها أثر عميق في نفسية أبي ماضي وهو أثر جعله يشعر بكثير من الحزن والأسى والعتب الذي نلمح بوادره جلية واضحة في أكثر قصائده وخاصة قصيدته الشهيرة «ابتسم» وهو القائل فيها:

قال السماء كثيئةً وتجهماً  
قلتُ ابتسم يكفي التجهم في السماء



ولدت هذه الصورة النفيسة البديعة؟

أم أراك تنكر قيمة التحفة وتميل بوجهك عن الجوهرة والصورة لأنها لا سمة لمذهب عليها.  
أم أراك تستهجنها وتستقبحها لأن الذي صنعها أو الذي جاء بها إليك لم يولد في المذهب الذي ولدت أنت فيه؟!

إنك لا تفعل شيئاً من هذا لأنك إنسان عاقل مدرك تفهم أن الفن كالعلم لا دين له. وهو لا دين له لأنه صور الحياة. فكيف يكون لصورة القمر في الليل مذهب وليس للقمر نفسه مذهب؟ ومثل صورة القمر صورة أي شيء آخر.

ولا شك في أنك تستنكر أن يفعل إنسان ما لا تفعله أنت في هذا المقام. وتعدّه بين الحمقى والمغفلين الذين طمس الجهل على قلوبهم وأبصارهم فصاروا في مرتبة لا هي إنسانية راقية ولا حيوانية سافلة. إنك لا تقدّر قدر الجواهر والمعادن الكريمة مثل الألماس والذهب والفضة وغيرها ولا يغض من منزلتها عندك أنها ولدت في باطن الأرض بين الأوحال والديدان.

لذلك لا يجدر بك ولا نحسبك تسوّغ لنفسك احتقار الفكرة الجميلة لمجرد أنها ولدت في كوخ حقير أو جاءت من إنسان غير غني ولا جميل ولا قوي.

وأقبح من هذا أن تحتقرها لأن الذي يؤدّيها إليك ليس من مذهبك أو طائفتك فإنك بذلك تسدّ على ذاتك الطريق إلى المعرفة وتضرب حول عقلك وروحك نطاقاً دونه الفولاذ في صلابته وسمكه. وتكون أشبه بدودة القز التي تحوك أكفانها بذاتها...

فأذكر هذا الأمر. وأذكر معه أنك أنت قد يكون لديك فكرة جميلة تريد أن تؤدّيها فإذا نظر الناس إليك وإليها على طريقك فكيف تنتشر فكرتك وكيف يتاح لك أن تؤدّيها؟!

أحُب الفكرة الجميلة كما تحب الزهرة الفوّاحة المتألّقة. وكما تحب الشجرة في أوراقها الخضراء وأثمارها الشهية. وكما تحب النجوم التي تسطع وتلمع في الأفق.

خذوا الحكمة من أي المصادر جاءت. واطلبوها في أي مكان وجدت وسيروا إليها في كل سبيل تفتح عليه عيونكم.

وليذكر كل إنسان هذه الحقيقة وهي أنه لم يختر مكان ولادته ولا مذهبه ففي هذه الذكرى فوائد جمّة<sup>1</sup> للبشرية لأنها تقرب الإنسان من أخيه الإنسان. ولا تيمّ فائدة الإنسان في الدنيا إلا بإنسان.

السّمر: 1947 / 3 / 24

## أشواقك وأزهار

الناس كالنبت فيه الشوك والزهر.

أي إن فيهم الخير وغير الخير. والجيد والردىء.

ومن علامة الخير أنه ينظر في عيوبه قبل عيوب الناس وإذا لاحت له عيوب الناس كف عنها بصره وأمسك لسانه.

ومن علامة الردىء أنه ينسى ما فيه من عيوب ويمضي يتطلع هنا وهناك. في الظاهر والخفاء لعله يجد عيباً يعلنه أو قبيحاً يتحدث به قاعداً وقائماً. ويلغط به مع أصحابه ومع غير أصحابه. ولكن حتى هذا الإنسان ليس شراً كله وليس عمله ضرراً كله. بل هو ينفع من حيث يقصد الضرر ويحسن من حيث يسعى للإساءة.

إن النار تحرق عود الند<sup>1</sup> ولكنها في الوقت ذاته تنشر أريج<sup>2</sup> الذكي الطيب.

تصاعد الروائح الكريهة المؤذية من مستنقع أو بؤرة يحمل الناس على اتقائها فيهربون من ذلك المكان إلى سواه أو أنهم يتعاونون على طمر المستنقع وتحويله إلى حديقة غناء أو إلى سهل لا روائح كريهة فيه.

لكل شيء نفعه. جل<sup>3</sup> أم قل.

ولكن هذا لا يعني أن يستمر القبيح قبيحاً وفي وسعه أن يكون جميلاً.

كما أنه لا يعني أنه يجب أن تكون في الأرض مستنقعات لكي ينشئ الناس الجنائن والحدائق. وإننا ضربنا هذه الأمثال لكي نرشد الإيمان إلى بعض النفوس التي يستولي عليها اليأس من صلاح البشرية كلما رأت شراً في الأرض.

وإننا نحن نضرب هذه الأمثال لكي يسهل على الناس أن يروا البطانة<sup>4</sup> الفضية<sup>5</sup> وراء كل غمامة سوداء. وأن يتوقعوا المطر الذي يحبي السهول كلما تلبد الفضاء بالغيوم الدكناء.

فنحن نضرب هذه الأمثال لكي نخلق الرحمة في قلوب الأخيار على الأشرار لأن هؤلاء ما صاروا أشراراً لأنهم أرادوا أن يصيروا كما أن الشوك لم يصير شوكاً لأنه أراد وإنها هناك أسباب وعوامل منها

1 عود الند: والند الطيب غير عربي.

2 الأريج توهج ريح الطيب.

3 جل فلان يجل جلالة أي عظم قدره فهو جليل.

4 البطانة: ما يبطن به الثوب.

5 الفضة من أكثر المواد توصيلاً للحرارة والكهرباء وهو من الجواهر النفيسة التي تستخدم في سك النقود.

الخفي ومنها الظاهر تجمعت كلها فنشأ عنها ما نراه ونحسبه قبحاً ودماً أو شراً وخساسة<sup>1</sup>.  
إنَّ كُلَّ إنسان مسؤول عن أعماله وأقواله على أنَّ المجتمع مسؤول عن كل فرد من أفراده. وعليه أن  
يكافيء الفضيلة مثلما يعاقب الرذيلة. وبذلك تصلح البشرية وينتشر الجمال في نواحي الحياة.

السَّمير: 8 / 4 / 1947

## ناسك الشَّروب

كان صديقنا مخائيل نعيمة ناسكاً قبل أن آوى إلى الجبل. ولكنَّ صوت النَّاسك في المدينة لا يصل  
إلى المسامع لشدة ما فيها من ضوضاء وصخب ولأنَّ أرواح الناس فيها كأوراق طائرة مع الرِّيح ليس  
في طاقتها الوقوف لاستماع أحاديث النَّسك. وكأنَّنا بالنَّعيمة خشي على نفسه أن تصدأ في المدينة ويصير  
الغبار والدُّخان لها لباساً فلا تعود صقيلة لامعة ولا يعود هو يراها فصقَّ بجناحيه وطار واستقرَّ  
في بسكنة الجائمة على صدر صنين حيث لا غبار ولا دُخان ولا ضوضاء. فكان موقفاً في ما اختار  
لنفسه. فلكل صورة ألقها الذي لا تتم روعتها إلا به. وليس للنَّاسك أفق مثل الجبل فعن الجبل تحدَّرت  
الوصايا. وفي الجبل غلب يسوع الشَّيطان. وإلى الجبل يلجأ الخائفون ولا يلجأ الجبل إلى غير ذاته.

وبينما الناس في المدينة يدورون كدواليب النَّاعورة واحداً إثر واحد يحملون الماء قليلاً ثم يفرغونه  
ليعودوا إلى إفراغه وهم في عطش مضنك مذيّب كان مخائيل نعيمة يعمل في كوخ الهاديء بلا انقطاع  
والناس يظنون أنه بطال لا يحسن العمل ولا يحبّه وكذلك تبدو الأرض الجرداء للعيون في أيام الشَّتاء  
غير أنها وهي في حالة الهمود والجمود تهيء للناس الزَّهر والبقل والعشب وهم عنها غافلون.

أجل إنَّ النُّعيمة كان في عزلته في دأب كما كان وهو في المدينة الصَّخابة يتلمس المعرفة في الأشياء  
والناس والزَّمان ويكاد لشدة ما به من شوق يغرق في كل شيء لعله يهتدي إلى نفسه. أو لعلَّ الغير  
يهتدون إليه فهو ذو نزعة نسكية ترمي إلى محو الفوارق والحدود التي تواضع الناس عليها منذ  
كانوا. وقد بثَّ هذه الفكرة في أكثر الكتب التي أخرجها وهي «البيادر» و«كرم على درب» و«لقاء»  
و«الأوثان» ومجموعة قصائد له دعاها «هَمْس الجفون» وهذه أحدث مؤلفاته بعد «المراحل» وكتابه  
عن جبران وقد صدر في السَّنوات الأولى بعد استقراره في بسكنة.

وقد تلطَّف فأهدى إلينا مؤلفاته الأخيرة التي أحسن فيها التأليف بين خيال الشَّاعر وحكمة  
المفكر. وسنُتخف القراء بشيء من محتوياتها ليعلموا أنَّ هذا النَّاسك الذي هجر الناس ما اختار العزلة  
إلا لكي يعمل خير الناس.

السَّمير: 25 / 4 / 1947

## الآلات والناس

للآلات كالناس آجال.

وتعترى الآلات العلل كما تعترى الأحياء.

ولكن بعض المرضى تساعفهم الظروف وتتوفر لهم الوسائل الملائمة فيشفون.

وبعضهم يقتلهم جهل الطبيب قبل الأوان وقد ظنَّ علَّتْهم من العلل العادية.

لما بُليت مطبعة «السَّمير» بعد الانحطام الأول الملبك لها «بأطباء» إنتهازيين يستغلُّون مصائب الغير فكان رأيهم غير موفق. وكان علاجهم غير مصحوب بطهارة الذمة فبقيت العلة بل استفحلت وذهبت النِّفقات الباهظة التي تكبدناها ضياعاً. ورجعنا إلى التِّلْبُك الذي كنَّا فيه منذ انحطمت المطبعة لأوَّل مرَّة.

وكان الأسبوع الماضي فلم نتمكن من إصدار «السَّمير» إلا في اليومين الأوَّلين - الإثنين والثلاثاء

ثم رزحت المطبعة كما يرزح البعير خرت قواه.

ولما كنَّا نخشى أن يتكرَّر هذا الحادث ولا وجود لمطبعة قريبة في بروكلر تستطيع إصدار «السَّمير» بصورة منتظمة فقد اتَّفَقْنَا مع مطبعة أميركية في نيويورك إلى أن نتمكن من شراء مطبعة جديدة أو من إصلاح مطبعتنا إصلاحاً مضموناً. والأمر الثاني أقرب منالاً لأنَّ شراء مطبعة جديدة غير ميسور في الوقت الحاضر لأنَّ فَبَارَك المطابع لا تضمن تسليم أية مطبعة جديدة إلا في خلال سنتين.

والسَّبب في ندرة المطابع هو نفس السَّبب في ندرة الآلات الأخرى بل أنَّ المطابع أعزُّ منالاً من سواها لأنَّ جيراننا في الجمهوريات اللاتينية وسواهم كنسوا المطابع كنساً من أسواق الولايات المتحدة الجليد منها والقديم.

هذا هو الأمر الواقع بسطناه لأنصار «السَّمير» ومحبيها لكي يكونوا على ثقة من أنَّنا لا ندخر وسعاً في سبيل استبقاء هذه الغرسة الأدبية في المهجر نامية لاسيما وأنَّ لهم الفضل في نموها وازدهارها والواجب يقضي علينا نحن القائمين على العناية بها أن لا نفرط في عهد موضوع في عنقنا.

وبالطَّبع إنَّ رسائل كثيرة سيتأخَّر درجُها<sup>1</sup> من وراء هذا التِّلْبُك. فنرجو المَعذرة من أصحابها كما نتوَقَّع من نصرائنا أن يكونوا لنا في هذه الظروف نِعَم الأعوان على الزَّمان ففي الشَّدائد يُعرَف الصَّدِّيق الصَّادق من الصَّدِّيق المَذاق<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> درَج الشيء في الشيء أدخله في اثنايه ويقال نحن درج يدك طوع يدك وانفذته في درَج كتابي: في طيِّه.

<sup>2</sup> مذاق الودأي لم يُخلِصه من باب نصَّر فهو مذاق ومُذاق أي غير مُخلِص.

ستظهر «السَّمِير» بستَ صفحات كبيرة تُشع لكل ما كانت تحمله وهي ثلاني صفحات وأكثر وتستمر على هذه الحالة إلى أن تنفرج الأُرْمة التي نحن فيها. وقد اضطررنا هذه الحالة إلى استخدام عامل جديد لنقل الأطواق إلى نيويورك ونقل الجريدة من نيويورك إلى بروكلن. فضلاً عن المشاق التي تصاحب هذه الحالة الشاذة. وكل هذا هيّن عندنا ما دامت «السَّمِير» حاصلة على رضى الأنصار وثقتهم ومحبتهم.

السَّمِير: 20 / 5 / 1947

## الضَّيف

ما مِنْ لغة في الأرض إلّا وفيها كلمة تُطلَق على الشخص الذي ينزل في دار غيره. إلّا أنْ لكلمة «ضيف» في اللغة العربيّة معنى كبير لا يعثرُ ذِهنك<sup>1</sup> بمثله في مثلها عند الأمم الأخرى. لأنّ للضيف عند العربي مقاماً فوق كلِّ مقام وحرمة يضحّي في سبيل صيانتها بكلِّ مرتخص وغال.

ليس الضَّيف عند العرب زائراً يجب أن يُطعمَ ويسقى وتوفّر له أسباب الرّاحة فحسب بل يجب أن يُدَادَ عنه بالأرواح ويُصان بالمُهَج الغوالي.

للضيف ذمّة ليست للجار وله حرمةٌ ليست للإبن أو للأخ بل ربّما ضحّي بالأخ في سبيل الضَّيف ولا يُضحّي بالضَّيف من أجل الأخ والإبن.

لما وقع المُهلَهَل في أسر الحارث بن عبّاد وكان قد قتل ابنه قال له الحارث: دُلّني على المُهلَهَل!

قال المُهلَهَل: ولي دمي.

قال الحارث: ولك دمك.

فأجابهُ المُهلَهَل: أنا هو طلبتكَ.

فأطلق سراحه وهو قاتل ابنه لأنّه لم يبق بعد ذلك أسيراً بل ضيفاً.

وكلّنا نذكر أن الثورة في جبل الدروز طارت شرارتها الأولى من أجل ضيف لجأ إلى الزعيم سلطان الأطرش وكانت السُّلطة تجدّ في طلبه فلم تراع حرمة الضَّيف بل كبست منزل سلطان الأطرش للقبض على ذلك الضَّيف. وكان هذا الإعتداء على أقدس تقليد عند العرب من أكبر أسباب الثورة الهاثلة. فكان سلطان الأطرش وأعوانه وسكّان الجبل على بكرة<sup>2</sup> أبيهم أدركوا أنّه إذا امتهنت كرامة الضَّيف عندهم ذهبت كلُّ كرامة لهم فثاروا.

1 الذَّهنُ الفطنة الحفظ.

2 بكرة: يقال جاءوا على بكرة أبيهم أي جاءوا كلّهم.

ومن الأمثال التي تدلّ على أنّ حماية الضيف وإكرامه أمر مقدّم على سواه عند العرب قولهم في الرجل الذي لا يُرجى لمكرمة ولا لدفع أذى «لا للضيف ولا للضيف ولا لغدرات الزمان». فقدّموا الضيف على حمل السيف للدفاع عن الشرف المصان. وقدّموه على نصرّة البائسين والمنكوبين عند حلول الكوارث.

السّمر: 7/ 8/ 1947

## ماذا رأيت وسعيت

الرجل البسام.  
ليس في الناس من لا يتّسم في نهاره أو ليله أو في وقت ما. وليس في الناس من لا يأنس بالوجه البشوش والثغر المبتسم.  
فإذا دعوتُ صديقي نقولا حداد شاهين الرجل البسام فلا تُني ما نظرتُ إليه مرة إلا ورأيتُ وجهه متهللاً كريحانة الرّبيع هكذا عرفته أنا منذ سنين وهكذا عرفه جميع الذين إتّصلوا به فهو فجر يمشي على قدمين. ووتر في صدّاح مستمر.  
جاء إلى أكرون في سيارته يريد مني أن أرجع معه إلى كانتون فقلتُ: بل نذهب إلى يونغستون فنحن الآن على مقربة من بلبل لزم الصّمت حتى كاد ينسى الشّدو والترنّم.  
قال: من؟

قلت: الشّاعر نبيه أبي سعد.

حاول نقولا أن يثني عن عزمي لكي يستأجر بي ولكن أنا نيتي غلبت أنا نيته وما هي غير ساعة حتى كنّا في ضواحي يونغستون نبحتُ عن الشّاعر المحجوب لأنّ اسمه التجاري غطّى على اسمه. وأخيراً اهتدينا. وإذا بالشّاعر يستقبلنا وهو حائر يكاد يتلجّج كأنه غير مصدّق أنّنا معه. حار كيف يرحّب بنا! وحرّ ماذا يقدم لنا. أثاراً أم شراباً أم حلوى أمّا نحن وبالأخص أنا فقد لمست وراء كلّ ذلك روح الشّاعر الكريم الذي يلذّ له أن يهب كلّ ما في نفسه فلا يجد إلى ذلك سبيلاً فيستعيز عن غير المنظور بالأشياء المنظورة.

وجاء والد الشّاعر وهو شيخٌ جليل له همة الشّباب فكان شأنه معنا شأن فتاه. ثمّ جاءت قرينه الشّاعر فإذا نحن في مثلث من البشاشة والولاء والشّعور الصافي.

وكانت زيارتنا كزيارة أيّ إنسان لروض أغن أو نهر مترنم يقنع بأن يراه ويعود ليتحدّث بأنّه رآه. وقد زرنا بعض الأصدقاء في المدينة في ذهابنا وإيابنا ولم نمكث في يونغستون غير ساعات قليلة ثمّ رجعنا إلى أكرون وهناك افترقنا.

## في الطريق إلى غراندرابيدس

وفي اليوم التالي ذهبتُ إلى مدينة توليدو ومنها إلى غراندرابيدس مشغن في سيطرة الصَّدِيق مايك هاني وكان رفيقنا بلبل الكنيسة الصَّدَاح الأكرس خوس غفرنيل برو وقبل أن ندخلَ إلى غراندرابيدس وقفنا عند نُهَيْر متر قرق تظللُّه الأشجار الوارفة فاستهواني خرير الماء كما استهوئني الشَّكِينَةُ الغامرة في ذلك المكان فقلتُ للأكرس خوس: هذا معبد لم يشيِّدَه الإنسان. وأنت الآن كاهن هذا المعبد!

فاستضحك وقال: وأين الرَّعِيَّةُ؟

أجبتُه: أنا ومايك وأبناء السبيل!

وأطلقنا الجلوس على ضِفَّة الماء الجاري وإذا بـ «مايك» يصعد إلى السيارة ويَهْتِف بنا: إنِّي ذاهب إلى غراندرابيدس وسأعود عندما تنتهيان من الشَّاء على الكنيسة في هذا المكان!

قلت: بل سترجع ويرجع معك جمع غفير إذا قرَّرنا الإقامة هنا. وارتفع صوت الأكرس خوس في هذه البقعة.

قال: إنَّ المساء سيدركنا هنا.

قلنا: بل لن يدركنا هنا.

وهكذا استأنفنا المسير إلى غراندرابيدس حيث جرت سيامة الأب الياس الخوري ارشمندريتيا في قدَّاس حبري حافل. وأقيمتْ بعد ذلك مأدبة رائعة في الفندق سيظهر وصفها في «السَّمِير» بقلم مراسل أديب.

وتلتها مأدبة جميلة في منزل فتى الجراءة والإقدام السيد اسكندر مالك وقرينته الفاضلة. حضرها رهطٌ كبيرٌ من أصدقاء الإسكندر في المدينة وخارجها.

وقضيتُ في غراندرابيس ثلاثة أيَّام زرتُ في خلالها صديقي الوفي التَّاجر البارز السيد عبد الله القسيس فأكرم وفادتي ومنها ذهبتُ في سيارته إلى غراندهافن مشغن لأزور الأديب العربي الذي يرقُب سَيَر الحوادث والشُّؤون في العالم العربي من تلك البلدة النائية الهادئة كما يرقُبُ الفلكي النجوم من قِمَّة جبل. عَنَيْتُ الكاتب النَّاصح يوسف أحمد نجم الذي يعيش لغيره - ويظنُّه من ليس يعرفه يعيش لذاته.

وصرَّفتُ في غراندهافن ليلة جاراً لِاثْنَيْنِ أَحْبَبْتُهُمَا وأعجب بهما هما: صديقي يوسف والبحيرة!

السَّمِير: 14/8/1947

## الغضب الجميل

كَانَتْ الدُّنْيَا مِنْذُ كَانَتْ عَرَكَاءَ وَكَفَاحاً حِينَ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَآفَاتِ الطَّبِيعَةِ مِنْ زَلَزَلٍ وَأُوبَةِ وَطُوفَانَاتٍ وَحَرَائِقٍ وَزَوَابِعٍ. وَحِينَ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانَاتِ الضَّارِيَةِ الْفَتَاكَةِ ثُمَّ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَالْإِنْسَانِ. وَكَانَ مِنْ نَتَائِجِ هَذَا الْعِرَاكِ الْعَنِيفِ الَّذِي لَمْ يَنْقُطِعْ أَنَّ الْبَشَرِيَّةَ ضَمِنَتْ لِدَائِهَا الْبَقَاءَ عَلَى الْأَرْضِ. وَلَكِنَّهَا ضَمِنَتْ مَعَ بَقَائِهَا بَقَاءَ أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ هِيَ مِنْ عِيوبِهَا وَمَسَاوِيهَا. فَالْغَضَبُ هُوَ فِي الْإِنْسَانِ نَوْعٌ مِنَ الْجُنُونِ وَلَكِنْ أَيُّ رَجُلٍ عَاقِلٍ لَا يَرَى الْفَضِيلَةَ كُلَّ الْفَضِيلَةِ فِي غَضَبِ الْإِنْسَانِ لِحُرِّيَّتِهِ وَكَرَامَتِهِ. وَفِي غَضَبِ الْأُمَّةِ لِحَقُوقِهَا وَنَقَمَتِهَا<sup>1</sup> عَلَى مُضْطَهْدِيهَا وَسَالِبِيهَا. إِنَّ رَجُلًا لَا يَغْضِبُ لِلْحَقِّ وَهُوَ حَقٌّ يُذْبَحُ أَمَامَ عَيْنَيْهِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ هُوَ تَمَثُّلٌ مِنْ خَشَبٍ أَوْ حَجَرٍ لَا رَجُلَ!

وإِنَّ أُمَّةً تُظَلِّمُ وَتُضْطَهْدُ وَتُهَانُ وَتُضْرَبُ بِالسَّيَاطِ وَتُصِيرُ عَلَى هَذَا الذُّلِّ وَلَا تَغْضِبُ وَلَا تَتَوَرَّعُ خَيْرٌ مِنْهَا قَطِيعٌ مِنَ الْمَاشِيَةِ.

وَالْغَضَبُ فَضِيلَةٌ بَلْ شِيمَةٌ نَبِيلَةٌ فِي مَوَاقِفَ كَثِيرَةٍ مِثْلَ غَضَبِ الرَّجُلِ الْكَرِيمِ مِنْ تَحْرِشِ وَغَدِ<sup>2</sup> زَنِيمٍ<sup>3</sup> بِهِ وَافْتِنَائِهِ عَلَيْهِ. وَمِثْلَ غَضَبِ إِنْسَانٍ صَادِقٍ مِنْ سَمَاعِهِ الْأَكَاذِبِ وَالتَّخَرُّصَاتِ<sup>4</sup> مِنْ عَجُوزٍ ثَرَاتَةٍ أَوْ مَنَافِقٍ مَأْفُونٍ<sup>5</sup> فِي حَقِّ هَذَا وَذَاكَ مِنَ النَّاسِ الْمَشْهُودِ لَهُمْ بِالْفَضْلِ وَحُسْنِ السَّيْرِ وَالتَّعَالِي عَنِ الشَّفَاسِيفِ<sup>6</sup> وَالتَّرَهَاتِ<sup>7</sup>.

يَجِبُ أَنْ تَغْضِبَ عِنْدَمَا يَكُونُ الْغَضَبُ فِيكَ عَلَى اغْوَجَاجٍ أَوْ فَسَادٍ فَهُوَ ثَوْرَةٌ الْحَقِّ فِيكَ عَلَى الْبَاطِلِ فِي سَوَاكِ. وَاحْتِجَاجُ الْفَضِيلَةِ عِنْدَكَ عَلَى الرَّذِيلَةِ عِنْدَ غَيْرِكَ.

أَنْظِرْ إِلَى الشَّجَرَةِ كَيْفَ تَضْطَرِبُ جَذْوَعُهَا عِنْدَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا وَلَدٌ لِيَتَأَرَّجَحَ أَوْ لِيَكْسِرَ مِنْهَا غُصْنًا إِنَّ اضْطِرَابَهَا هَذَا غَضَبٌ عَلَى ذَلِكَ الْعَابِثِ الْمُتَهَجِّمِ عَلَى سَلَامَتِهَا وَكَرَامَتِهَا!!

وَأَنْظِرْ إِلَى مَاءِ النَّهْرِ كَيْفَ يَتَجَعَّدُ وَيَتَلَوَّى إِذَا طَرَحْتَ فِيهِ حَجَرًا أَوْ أَلْقَيْتَ فِيهِ خَشَبَةً أَنَّهُ قَدْ تَبَدَّلَ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ مِنْ سَكِينَتِهِ هَيَاجًا وَمِنْ طَلَاقَتِهِ تَهْجًا غَضَبًا مِنْكَ وَنَقْمَةً عَلَيْكَ لِأَنَّكَ اعْتَدَيْتَ عَلَيْهِ

1 النِّقْمَةُ بِالْكَسْرِ وَبِالْفَتْحِ الْمَكَافَاةُ بِالْعُقُوبَةِ جَ نَقِمَ.

2 الْوَعْدُ: الرَّجُلُ الدَّنِيءُ الَّذِي يَخْدُمُ بِطَعَامِ بَطْنِهِ.

3 الزَّانِمُ: الْمُسْتَلْحِقُ فِي قَوْمٍ لَيْسَ مِنْهُمْ لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَكَأَنَّهُ فِيهِمْ زَنْمَةٌ وَهُوَ شَيْءٌ يَكُونُ لِلْمَنْعَرِ فِي أَذُنِهَا كَالْقُرْطِ.

4 التَّخَرُّصَاتُ: تَخَرُّصٌ كَذَبٌ.

5 مَأْفُونٌ: الْمَأْفُونُ وَهُوَ الضَّعِيفُ الْعَقْلُ وَالرَّأْيُ.

6 الشَّفَاسِيفُ: الشَّفَاسُفُ الرَّدِيءُ الْخَفِيرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَعَمَلٌ جَ شَفَاسِيفٌ.

7 التَّرَهَاتُ: التَّرَهَةُ الْبَاطِلُ وَالْقَوْلُ الْخَالِي مِنْ نَفْعٍ جَ تَرَهَاتٌ.



وعبثت به.

لو لم يغضب الإنسان من إيذاء الحية إياه لما فتك بالحيات.

ولو لم يغضب من إعتداء الثعالب على كرمه ودجاجه لما طاردها ولعاش بلا عنب ولا دجاج وربما

كان ذهب فريسة الثعالب!!

إذن فاغضب لحقك ولكرامتك ثم اغضب لكل حق وكرامة. تثبت أنك إنسان عيوف نبيل

وتصلح الدنيا بأمثالك!

السَّمير: 9/4/1948

## العالم محتاج إلى الضحك

لن يسعد العالم حتى يرجع إلى الضحك. ولا يظن القاريء أن الحصول على هذا الدواء أمر سهل. فهو في هذه الأيام أندر من أسنان الدجاج كما يقول الأمير كيون وأعز من بيض الأنوق كما يقول العرب.

ولا نعني بالضحك أن يتسم المرء ابتسامة باهتة كلها تكلف وتصنع ولا أن يكشر عن أسنانه ثم يطبق شفتيه كالمحارة<sup>1</sup> احتفاظاً بحشمته!...

لا. بل نعني بالضحك أن يقهقه المرء حتى تسيل الدموع من عينيه ويحس بالآلم في خاصرته. وينسى في تلك اللحظة كل شيء في الدنيا.

وأن الناس كلهم محتاجون إلى هذا النوع من الضحك لعلهم ينسون المكوس والضرائب ويذهلون عن الغلاء الكاوي وأحاديث الحرب المقلقة وينفصلون ولو قليلاً عن همومهم الشخصية التي لا شيء يكشف غيومها السوداء مثل الضحك...

والضحك مثل كل شيء آخر ينتقل بالعدوى أو بالمحاكاة فلا يستطيع فرد أن يغيب في مجلس طروب ضاحك إلا إذا كان قلبه من حجر. بل لا بد له أن يجاري الضاحكين كثيراً أو قليلاً.

ومن الخير له أن يجاريهم<sup>2</sup> وإلا كان أسمع<sup>2</sup> من ذبابة في صحن عسل.

إن الضحك دليل على صحة الجسد وسلامة النفس. وطهارة القلب كما هو مشاهد في الأولاد...

وهو في الكبار دليل على إتساع مداركهم ورُجحان عقولهم.

وهو في كل وقت مفيد إلا إذا كان ضحك حماقة وبلاهة.

1 المحارة: الصدفة ونحوها.

2 أسمع: أتبع.

وَأَنَّ الَّذِي يَسْرُحُ النَّظْرَ الْيَوْمَ فِي الْأَوْدِيَةِ وَالْجِبَالِ وَالشُّهُولِ يَرَى الطَّرْبَ شَانِعاً فِي الْأَشْجَارِ  
وَالْأَغْرَاسِ وَالْأَنْهَرِ وَالشُّوَاقِي. وَالْإِبْتِسَامُ يَتَدَفَّقُ مِنَ الْوَرَقِ خُضْرَةً. وَمِنَ الْأَزْهَارِ عِطْراً. وَمِنَ الشَّمْسِ  
نوراً.

أَجَلٌ. إِنَّ الْحَيَاةَ تَضْحَكُ فِي الصَّيْفِ ضَحْكاً لَا تَكْلُفَ فِيهِ وَلَا تَصْنَعُ. فَمَا أَجْدَرُ النَّاسَ أَنْ يَتَعَلَّمُوا  
مِنْهَا وَأَنْ يَقْتَدُوا بِهَا. فَإِنَّ الْهَمَّ كَالْقَطَنِ كُلَّمَا شَدَّدْتَ عَلَيْهِ تَلَبَّدَ. وَكُلَّمَا عَاجَلْتَهُ انْتَشَرَ وَكَثُرَ.  
وَلَا نَعْنِي أَنْ تَكُونَ الْحَيَاةَ كُلُّهَا عِبْثاً وَلَهْوَاً وَضِخْكَاً وَدُعَابَةً<sup>1</sup>. فَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ إِذَا زَادَ عَنِ الْحَدِّ انْقَلَبَ  
إِلَى الضَّدِّ...

السَّمِير: 8/6/1948

## السَّنَةُ الْعِشْرُونَ

تَبْدَأُ «السَّمِير» فِي هَذَا النَّهَارِ صَفْحَةً جَدِيدَةً مِنْ كِتَابِ حَيَاتِهَا. وَمَعْنَى هَذَا أَنَّهَا انْتَهَتْ مِنْ مَرَحَلَةٍ  
لِتَسْتَأْنِفَ السَّيْرَ وَتَقْطَعَ مَرَحَلَةً أُخْرَى.

نَحْنُ لَا نُوَدُّ أَنْ نَعُدَّ السَّنِينَ الَّتِي صَرَفْنَاهَا فِي صَحْبَةِ الْبِرَاعِ وَالِدَّوَاةِ. فَلَيْسَتْ السُّنُونُ شَيْئاً جَلِيلاً إِلَّا  
إِذَا كَانَ فِيهَا عَمَلٌ جَلِيلٌ. أَوْ أَثَرٌ نَبِيلٌ.

إِنَّ الْأَشْجَارَ فِي الْأَرْضِ كَثِيرَةٌ وَلَكِنْ أَفْضَلُهَا مَا كَانَ لَهُ ثَمَرٌ فِيهِ شَبَعٌ أَوْ زَهْرٌ فِيهِ بَهْجَةٌ لِلنَّاطِقِينَ.  
فَإِذَا خَلَّتْ السُّنُونُ مِنْ عَمَلٍ طَيِّبٍ أَوْ فِكْرَةٍ مَفِيدَةٍ. أَوْ سَعْيٍ حَمِيدٍ. كَانَتْ كَالْفَدَايِدِ<sup>2</sup> الَّتِي لَا ظِلَّ  
فِيهَا وَلَا مَاءَ وَلَا شَجَرَ.

كَانَتْ «السَّمِير» وَمَا بَرَحَتْ تَنْشُدُ الْإِخَاءَ الْعَامَ كَمَا تَنْشُدُ السَّلَامَ فِي الْأَرْضِ. وَفِي سَبِيلِ هَذِهِ الْغَايَةِ  
كَانَتْ تَجْهَرُ بِالْحَقَائِقِ حَتَّى عِنْدَمَا تَتَوَارَى وَرَاءَ أَلْفِ حِجَابٍ. كَمَا كَانَتْ تَتَحَاشَى الْإِشْتَغَالَ بِالسَّافَسِيفِ<sup>3</sup>  
وَالثَّوَاغِ مِنَ الشُّؤْنِ لَمَّا فِي ذَلِكَ مِنْ تَضْيِيعِ الْجُهُودِ وَالْأَوْقَاتِ. وَكُلُّهَا ثَمِينٌ.

وَقَدْ اسْتَطَاعَتْ أَنْ تَكُونَ حُرَّةً فِي تَفْكِيرِهَا صَامِدَةً فِي عَقِيدَتِهَا بِفَضْلِ الْمَبَادِيءِ الدِّيمَقْرَاطِيَّةِ الَّتِي  
تَرْتَكِزُ عَلَيْهَا الْحَيَاةُ فِي الْوِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ فَلَا رِقَابَةَ تَحْشَاهَا وَلَا سُلْطَةَ غَاشِمَةٍ تَتَوَقَّاهَا وَلَا رَأْيَ عَامٍ جَاهِلٍ  
تَلْتَبِسُ عَلَيْهِ وَجُوهَ الْأُمُورِ فَلَا يَعُودُ يَمَيِّزُ بَيْنَ حَقٍّ وَبَاطِلٍ وَبَيْنَ صَدَقٍ وَزُورٍ.

وَأَعَانَهَا مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى أَنَّهَا لَمْ تُخْلَقْ لِكَيْ تَتَزَلَّفَ<sup>4</sup> لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ كَبِيراً أَمْ صَغِيراً فَلَمْ تَعْفُرْ

1 الدُّعَابَةُ: الْمَهَازِحَةُ.

2 الْفَدَايِدُ: الْأَرْضُ الْوَاسِعَةُ الْمُسْتَوِيَّةُ لَا شَيْءَ فِيهَا.

3 السَّافَسِيفُ: الرَّدِيُّ الْخَفِيرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَعَمَلُ جِ سَفَاسِيفٍ.

4 تَتَزَلَّفُ: تَتَقَرَّبُ.

الجبين عند باب ولا في محراب. صونا لكرامة القلم وحُرمة الصحافة.

ولكنها من ناحية أخرى لم تستر فضلاً بادياً ولا تعامت عن جمال ظاهر. بل كثيراً ما أغضت عن المساوي لتذيع الحسنات اعتقاداً منها أن نشر الحسنة هو بمثابة طي للسيئة بل بمثابة قتل لها. أجل. إننا وضعنا نصباً<sup>1</sup> أعيننا أن نكون مفيدين لقومنا في كل حالة من حالاتهم وحادث من حوادثهم. وأن نترفع عن العنعنات<sup>2</sup> المذهبية وما شاكلها لأننا نعرف أن هذه العنعنات هي التي جلبت على الشرق العربي ما هو فيه اليوم من بلاء عظيم وهي التي كانت سبباً في استدلال الأجانب إياه من قبل.

نفتح المرحلة الجديدة ونحن بالرغم من النكبة الهائلة التي نزلت بفلسطين غير قانطين من رجوع الحق إلى نصابه ولو بعد حين فلا بُد للعرب أن يستفيقوا ويفتحوا أعينهم على الخطر الهائل الذي يهدد كيانهم كله.

وأننا لنستطيع أن نقول إن «السَّمير» أدت لقومنا هنا وهناك خدمات جليلة فما ولد مشروع عمومي مفيد إلا وعُضدته<sup>3</sup> وأيدته غير متوقَّعة ثواباً ولا جزاء غير أن تراه مكلَّلاً بالنجاح. وما نزلت بالوطن الأول نكبة إلا وكانت «السَّمير» البوق الصَّارخ في استحثاث النفوس الحساسة على الإسراع في الغوث والمعوثة.

أمَّا اللِّمَّامُونَ المتأجرون بعواطف قومنا فموقف «السَّمير» منهم واضح جلي. ويعلم الجميع أن صليب فلسطين لم يحمله أحد كما حملته جريدة «السَّمير» وصاحبها منذ صارت الصهيونية خطراً على البلاد المقدسة وعلى الشرق العربي كله. وإذا كانت صرخاتنا لم تأت بالغاية المنشودة فنحن قد قمنا بما يفرضه علينا الوجدان والضَّمير وهو نصره الحق ولو أحاطت بنا السيوف. وأحاط به الضَّباب الكثيف...

وكما كنَّا قبلُ سنكون من بعدُ. للفكرة النبيلة والمبدأ الصَّحيح. والخير العام. وبهذه الروح وهذه العقيدة نحیی أنصار «السَّمير» في كل مدينة وديكرة قريبهم وبعيدهم ونرجو أن تساعدنا الحياة ويعيننا الله لنظلَّ أهلاً لثقتهم ومحبتهم.

السَّمير: 3 / 11 / 1948

1 النَّصْب: الغاية.

2 عَنْ لَهُ كذا: عَرَضَ.

3 عُضدته: من باب نصر أعانه.

## أَوَّلُ الْفَيْثِ قَطْرُ

هذه أولى رسائل صاحب «السمير» من لبنان وردت علينا في البريد الجوي

صاحب «السمير» في لبنان

«أحقيقة أننا نشاهد إيليا أبو ماضي يمشي في أسواق بيروت؟

«أصبح أننا نراك في اليقظة معنا؟»

«دعني أفرك عيني لأتحقق أنني لست في منام»

«ألف شكر للأونيسكو الذي أرانا شاعرنا الحبيب».

هذه العبارات وما شاكلها من كلام التعجب المقرون بالفرح كانت تنسكب في مسمعي كلما

التقيت أديباً أو شاعراً أو صحافياً أو شاباً أو فتاة.

ومثل هذه العبارات كانت تتصاعد من قلبي إلى فمي وإن لم أجهز بها فأقول في سرّي: أصبح

أنّي أرى الأرض التي انفتحت أجفاني للنور فيها؟ وأنّي في الوطن الذي غبت عنه خمساً وثلاثين سنة؟

وأنّي حقاً أمشي في شوارع بيروت، وأطأ في أرض المحيثة التي يرقد فيها أجدادي؟

وإذا كانت الدهشة استحوذت عليّ كما استحوذت على الناس هنا فذلك لأنّي ما كنت أحلم أنّي

سأزور لبنان الجميل الزارع في هذا الخريف. وإن قد زرته بالروح في كل خريف وربيع وصيف وشتاء.

فما رأيت في غربتي جمالاً في مكان إلا وتذكرت لبنان. وما حزن مغترب إليه إلا وحننت معه. ولا زاره

أحد من النازحين إلا رافقته بالروح. وكثيراً ما كانت لذة التوهم كلذة الواقع. للخيال خمرته المسكرة!

أما الآن قد صار الحلم حقيقة. والفضل في هذه المفاجأة السعيدة يرجع إلى حكومة لبنان الوطنية

التي تجلّى تقديرها وحبّها للمغتربين في دعوتها عدداً من الأدباء وحملّة الأعلام في الولايات المتحدة

والبرازيل والمكسيك. وهذه الإلتفاتة الجميلة إلى الأدباء في المهجر لا يمكن أن تستغرب من حكومة

على رأسها رجل هو من أعلام الأدب الرفيع في هذا العصر. عيّنت اللبناني الأول الشيخ بشارة

الخوري رئيس الجمهورية اللبنانية الذي تتعطر بذكره الأفواه. حتى أفواه المعارضين. فهو عند الكل

فوق العتّعات الحزبية وقد كنت أطلع خطبه التي ألقاها في مواقف مختلفة فكنت ألس في عبارتها

البليغة المسبوكة روح الأديب العالي الثقافة النبيل الأهداف. كما ألس في نبراتها قوة التعبير وصفاء

وجلاءه.

كان وصولنا إلى مطار دمشق عند الساعة الثامنة من صباح السبت - ميقات سوريا - فاستقبلنا هناك

وفد من نظارة الخارجية اللبنانية ومندوب نقابة الصحافة في لبنان ووفد من زحله ووفد من المحيثة -

١ - جهر بالقول رفع به صوته وبابه قطع.

بكفئاً. وجمهرة من الأصدقاء بينهم صديقي الكاتب المعروف الأستاذ يوسف أحمد نجم.  
ودخلنا إلى مكتب مدير المطار الأستاذ زهير العطية فاستقبلنا مرحباً مهللاً وأدار علينا أكواب  
القهوة العربية واهتم بأمرنا اهتماماً كبيراً. وتعرفنا في مكتبه إلى رهط من الأدباء الذين غمرونا بلطفهم  
وجميل عنايتهم. وقال لنا إن الكثيرين كانوا يأتون إلى المطار ينتظرون وصولنا وأن جرائد دمشق مضى  
عليها يومان وهي تُرحَّبُ بالشاعر أبو ماضي لإعتقادها أنه وصل. ولكن الطائرة تأخرت عن الموعد  
المعيّن يومين لتكاثف الضباب. واضطرارنا إلى المبيت ليلتين في الطريق - ليلة في سدني نوفوسكوشيا  
وليلة في شانون - أرنلدا.

ومن دمشق صعدت بنا السيّارات إلى عروس الوادي - زحله - بعد أن طافت بنا في شوارع دمشق  
الجديدة والقديمة فرأينا في الأولى الأناقة والتّسيق كما شاهدنا في الثانية صورة الحياة التي سبقت العهد  
الجديد.

وارتفعت بنا السيّارة - وكان يرافقني فيها الأستاذان شمس الدين نجم وحسن عسيران من قبل  
نظارة الخارجية اللبنانية وممثل الصحافة الأستاذ توفيق وهبه صاحب جريدة الدنيا - فلما صرنا في  
مرتفع عال ظهرت لنا منائر المساجد تتعالى بين المباني كأنها أشجار النخل الباسقة.

وفي زحلة اجتمعنا في بيت الزعيم الزحلي يوسف بك البريدي بأفراد أسرته الكريمة وبرهط من  
كرام الزحليين وبالزّفيق القديم في نيويورك الأستاذ شكري البخاش الذي أصرّ عليّ أن أزور الوادي.  
فمشينا إليه فإذا هو المتنزه الخلّاب الذي تغنى به الشعراء فاكسبت قوافيهم كثيراً من عذوبة مائه  
وصفاء هوائه. وألقى<sup>1</sup> الفجر فيه وجلال المساء.

وبعد أن شربنا عند «الكوخ الأخضر» كوخ رياض المعلوف الشاعر كأساً من العرق الزحلي في سِرِّ  
ذلك الوادي وعروسته. عدنا إلى البيت البريدي حيث تناولنا طعام الغداء. واستأنفنا المسير إلى فندق  
بيت مري الكبير الذي أعدت فيه الحكومة غرفاً لنزول ضيوفها. كما أعدت سيارات تنقلهم منه إلى  
بيروت ومن بيروت إليه وهو فندق يطلّ الجالس في شرفته في المساء على مدينة بيروت فيراها تتوهج  
كأنها كومة من لآليء متألّقة أو رُجْمة<sup>2</sup> من حجارة ماسية!

وأمامها البحر الأزرق مُبْسِطٌ كصدر الكريم أو كمرآة الحسناء تقنعُ أمواجه الهادئة بلثم شواطئها  
ثم تعود وهي تضحك ضحك المغتبط بأمر ظفّره به.

وتقابل زرقة البحر التي تقع عليها النواظر مطمئنة كاسية خضرة لا تبوخ. هي خضرة أشجار  
الصنوبر الفتية التي ترتفع كلها في نسقٍ واحد لتصير رؤوسها كالمظلات.

السّمر: 1948/11/26

1 تألّق البرق لمع.

2 الرُجْمة: حجارة تنصب على القبر.

## أنا في لبنان

قالوا: إنني ضيف في لبنان.

وحاولتُ أنا أن أسايرهم وأقول كما قالوا. فأدركني الخجل من نفسي. صعب عليّ أن أقنع ذاتي بأنني ضيف في الأرض التي منها النور الذي في عيني وعياني، والدم الذي في عروقي - وعروقي - والأحلام التي في مخيلتي - ومخيلتي. والرغائب التي في قلبي - وقلبي. والكلم الذي يجري به لساني - ولساني.

ليت شعري كيف أكون ضيفاً في لبنان. وهذه الإبتسامة التي ترقص على فمي في غمرة الفرح ليست غير إشعاع ضئيلة من فجره الضحوك. وهذا الرضى الذي في نفسي عن الحياة مستمد من الأصدقاء التي كنت لها جاراً ورفيقاً وأنا طفل يلعب في الحقل. وهذه الكتابة التي تغطي على وجهي في ساعة الضنك والشدة ليست غير بقايا الليل المتجهّم في شتاء لبنان. وما ثورتي على الضلّالات والسخافات غير صورة مُستعارة من ثورة الزوابع في غاباته على الأشجار اليابسة النخيرة التي تملأ في الأرض حيّزاً دون أن تُعطى زهراً ولا ثمراً.

لا. أنا لست ضيفاً في لبنان.

أيمكن لبنان في وأكون ضيفاً فيه؟

أنا في أرض آبائي وأجدادي. ولا يكون المرء ضيفاً في وطنه وبين أهله وذويه...

وحقّي في لبنان مثل حقّه في. وإذا كنتُ لا أجزى لذاتي أن أكون أناً فأقول: «إنّ لبنان لي» ففي

وسعي أن أجهر بملء فمي قائلاً: «أنا للبنان».

غُيّتُ به مقيماً ومسافراً، كما غُتّ لي أنسامه وأنا في المهد.

وحملته معي إلى كل أرض كما حملتني أرضه.

وفتحت عيون بينه وغير بينه على الجمال الذي فيه كما فتحت عيني على الجمال في الحياة وفي الناس.

من أجل النجوم في سمائه أحببتُ النجوم في كل سماء.

ومن أجل أزهاره أحببتُ الأزهار في كل أرض.

ومن أجل سواقينه أحببتُ كل ساقية شادية.

ومن أجل الناس فيه أحببتُ الناس في كل مكان.

وسرتُ في الدنيا لا أشعر أنني غريب في أيّة بقعة فيها شيء ولو يسير من روعة لبنان وجلاله فكيف

بي وأنا الآن في لبنان ذاته؟

أَيكون لي. وأكون له ثمَّ يقال عني إنِّي ضيف فيه؟

لا، أنا لست ضيفاً في لبنان والآن يسألني قومي هنا، وسيسألني قومي وراء البحر. كيف وجدت لبنان بعد ذلك الفراق المديد المتطول. فأنتهزُ هذه الدقائق التي تمرُّ بي في لبنان مسرعة لأخبرَ الذين فارقوا لبنان منذ عهد بعيد فأقول لهم:

إنَّ لبنان السراج والشمعة هو اليوم لبنان المصباح الكهربائي الذي يتألَّق في البيت والمكتب والحائُوت والطريق.

ولبنان الجرَّة. قد انطوى وصار الماء يأتي إلى البيوت في أكثر القرى حتى النَّائية منها، يجيء ليملاً الجرَّة والإبريق. بعد أن كانت الجرَّة تذهب إليه في الصباح والمساء على أكتاف الصِّبَايَا..

ولبنان الطُّربُوش والعمامة هو اليوم الجزء الأصغر من لبنان.

واللبناني الذي كان من قَبْلُ يمتطي الحيوان في السَّفر أو يضرب في الأرض على قدَميه هو اليوم لبنان السيارة الحديثة التي تركض في السَّفح والقيَّة وتتهادى في المدينة والقرية بحيث لم يبق في لبنان مكان بعيد عن مكان.

ولبنان الذي كانت كل قرية فيه وطناً، وكل جمهرة من الناس في قرية أو بلدة أو منطقة شعباً، قد أخذ بفضل الروح القومي الشَّاري في الأرواح يهدم هذه الحدود الوهميَّة ويؤلَّف من القرى والبلدان كلَّها وطناً واحداً. ويحتشد من سكانه كلهم شعباً واحداً، له علمٌ واحد. وهدف واحد. هو أن يبقى لبنان حراً مستقلاً.

أجل، إنَّ لبنان في عهده الجديد عهد الحرية والكرامة الوطنيَّة يحسُّ باتصال وثيق بين أجزائه وأشطاره. كما يحسُّ إنَّ لبنان بمثل هذا الإتصال بينه وبين كل شطِّ وجبل وسهل نزل فيه واحد من بيته. وليست صلته هذه ببيته مقيمين ومغتربين قاصرة عليهم ومحصورة فيهم. كلاً فهو يتطلَّع إلى العالم كلَّه ليتَّصل به فكراً وروحاً. إنَّه يستجلب من الخارج، الفكر والنظريَّات والفلسفات والأنظمة مع السيارة والراديو والمثلجة والقلم المداد والمطبعة الحديثة مثلما يصدِّر العزائم والمواهب إلى بلاد الناس...

لبيته لا يصدِّر غير نتاج الأرض... إنَّ نتاج الأرحام ليس بضاعة للتصدير..

أريد أن أقول للقاريء شيئاً آخر وهو أنَّ التقدُّم في لبنان لم يقتصر على الماء والضوء واللباس بل شمل البيت والفندق والحائُوت والطريق. ففي هذه القيَم والمشارف فنادق تضاهي أجمل الفنادق في أميركا تنظيمياً وترتيباً ورياشاً. وفي القرى الوادعة بيوت حديثة البناء. لها ميزة على البيوت في أميركا وهي أن أرض هذه البيوت كجدرانها من الحجر المنحوت الأملس. ولا غرْو<sup>1</sup> أن تكون كذلك

فالصخور في لبنان في كل مكان... أمّا الشجر فقليل. وأقلُّ منه الصّالح للبناء.

أمّا الناس في لبنان فإنّهم يتظاهرون بالرّضى عن أنفسهم وعن الحياة التي هم فيها وهي حياة لها قيمتها وروعته ولكنّهم لا تفرّج أذانهم أخبار الثروات الطائلة في أميركا حتى يتبدّل الرّضى فيهم إلى قلق. ويصير الواحد منهم كالشجرة في الزوينة تتلوى وتضطرب أغصانها كأنّها كرهت البقاء في الأرض!

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام<sup>1</sup>

تندفق على لبنان الآن كما من قبل أمواج مختلفة بين ثقافة وسياسة وحضارة. منها الموجهة العيفة الطاغية. ومنها الموجهة الضاحكة الشادية. وكلّها تحاول أن تبدّله من ذاتيته ذاتية جديدة. أمّا هو فيتلقّف الموجهة تلوّ<sup>2</sup> الأخرى ويذيقها في كبينه. كما تتلقّف الزبينة ندى الفجر فتزداد طراوة ونضرة دون أن تفقد شيئاً من ماهيتها أو ألوانها.

مهما تعالّى الموج يظلّ الجبل أعلى منه!

أمّا نظام الحكم في لبنان فهو النظام الديمقراطي الشّعبى. وهو نظام تزداد محاسنه وفوائده كلّما ازداد فهم الناس إيّاه. كما تكثر مساوئه ومخازيه كلّما انعدم فيهم الفهم له.

سأفصح أكثر في غير هذا المجال ولأحدث قراء «الشمير» الآن عن الجمال الرائع الذي خصّته به الطبيعة لبنان الساحر.

زارني أحدهم فقال: إلا تتعجّب من كثرة الشعراء في لبنان؟ فقلت له: كلا. بل أنا أعجب كيف لا يكون كل الناس في لبنان شعراء.. فهنا للجمال في كل قمة هيك. وفي كل سفح محراب. وفي كل حقل مسرح. وهنا للوحي والإلهام وتحريك المشاعر موارد لا تنضب ولا تجفّ حتى تصير الشّء لوحة سوداء ويتحوّل البحر إلى صحراء جرداء!

هنا الطبيعة على أجمل وأتم وأروع ما تكون الطبيعة في نظر الإنسان. فالبحر أغان والثور أناشيد. والجبال صور خلابة. والأنسام عطور والشّء سحر محدود. بل يكاد المرء في هذا الجوّ السّمح الغني الفيّاض، يخيّل إليه كأنّ للصخور العجّاء أرواحاً. وكأنّ هذه الجهادات أحياء لها في الحياة رغائب. وفي الخلود مطامع.

رُبّ صخرة جائمة في رأس مُطل. تتطلّع وليس لها عيّن. وتحدّث وليس لها لسان. كأنّها هي روح انطلقت من الجبل فلمّا بلغت ذلك المُطل وقفت ذاهلة مسحورة بها في الوادي من عمق. وبها في الشّء من علو. فهي لا تريد إلى الوادي نزولاً ولا تستطيع إلى الشّء صعوداً.

1 المراد المكان يذهب فيه ويُجاء. والمزيد بوزن الشكين الشديد المرادة.

2 تلوّ الشيء الذي يتلوه.



ورُبَّ شجرة واقفة في الحقل عند المساء كحسّاء على موعد. وأغصانها مُبسطة انبساط الأيدي المتضرّعة وأوراقها مرتعشة كألْسِنَة ارتجّ عليها الكلام. فهي تترنّح من ساقها إلى أوراقها لعلّ الحركة فيها تنوب عن «الكلمة»...

وكم في لبنان من مشاهد خلابة مذهشة كهذا أو ذاك المشهد يغمُر سحرها الإنسان الواعي فيقف باهتاً صامتاً إلى جانب الصخرة كأنه صخرة. وأمام الشجرة كأنه شجرة! بينما خياله منطلق يلفّ الأبد بالأبد.

ويصعد في الفضاء ليلمس النجوم ويقترب من خالق النجوم.

إنّ لبنان آية الزمن. وفتنة الفتن.

هذا هو الفردوس الذي تحنّ إليه روح الشاعر.

إنّه الجنة التي خلقها الله لي وأنا الآن فيها. فأنا لست ضيفاً في لبنان.

السّمير: 15 / 1 / 1949

## ما رأيت وسعت

ها أنا في مكتبي أستعرضُ موكب الأيّام والليالي المشرقة الضاحكة في العاصمتين بيروت ودمشق فأشعر للسرعة التي مرّ بها هذا الموكب الجميل كأنّي كنتُ في حُلُم وصحوت.

أليس شيئاً كالحُلُم أن أكون صبيحة الأحد الماضي في متحف دمشق يدورُ بي القيم عليه من قاعة إلى قاعة فأشهد في كلّ قاعة عصرًا من العصور التي سلفت بما هناك من الآثار التي ذهب أهلها وبقيت بعدهم تخبر كيف كانوا يمشون وكيف كانوا يبنون ويلبسون ويأكلون ويشربون.

أم يراني بعد ساعتين في مطار استامبول وبعد عشر ساعات في مدينة بروسيل وبعد سويّعات في شانون الأارلندية ثمّ منها إلى جزيرة سانتا ماريا في الأزور وعند الساعة التاسعة من مساء الإثنين في مدينة بوسطن وحوالي الساعة الحادية عشرة في مطار لاغوارديا.

أليس هذا شيئاً كالحُلُم؟

بلى، وأنّه شيء أغرب من الأحلام التي تراءى للمرء في سنّة الكرى<sup>1</sup>. والفضل فيها للإنسان الذي أراد أن يطير وقرن الإرادة بالعمل فطار. وأصبح اليوم يطوي الفضاء كما يطوي باليد الرداء. لا يعوقه غمام ولا يعرقه ظلام. ويكاد المرء يتصوّر والطائرة متطلّقة فوق الغيوم البيضاء والسوداء هازجة مُجلجلة كأنّها سائرة بمن فيها إلى نجم في السّماء أو إلى أبعد من النجوم!

1 الوسنّ والسّنة الثّعاس. والكرى: الثّعاس أيضاً.

كنتُ من قبل أتهيبُ ركوب الطائرة ولا أجد ضرورة للإلتجاء إليها في سفر أو رحلة. ولكنني بعد أن عبرتُ بي المحيط الإتلانتيكي من سدني كندا إلى شانون في أيرلندا في أقل من تسع ساعات صرتُ لا أرى مطيئة خيراً منها لمن يُهمُّه<sup>1</sup> اختصار المسافة وتوفير الوقت ورؤية المشاهد الساحرة الخلابة عند شروق الشمس وغروبها وانسيال اشعتها على الغيوم واكتساب الغيوم مختلف الألوان والصور مما لا يحيط الوصف به مهما أبدعَ القلمُ في الوصف.

سأترك هذا إلى وقت آخر لأحيي الآن من مكتب «السَّمير» في بروكلن أنصار «السَّمير» الأوفياء في كل مدينة وقرية من الولايات المتحدة وكندا والأقطار الأخرى الذين تعهدوها بالحب والوفاء وأنا بعيد عنهم وعنهما كما كانوا يتعهدونها بعواطفهم وأنا قريب منهم ومنها.

وإن شكري لهم لجزيل مثل شكري للرفاق الذين تولوا في غيابي القيام على تسير دفة<sup>2</sup> هذه السفينة الأدبية فحافظوا على مكانتها. ومسَّوا بها في الطريق القويم لا يلوهم عن خطتها الزهية شغب<sup>3</sup> مشاغِب ولا تطاول حاسد كائد<sup>4</sup>. بل كانوا يرتفعون بها فوق التَّخَرُّصات<sup>5</sup> كما كانت الطائرة ترتفع فوق الضباب المتكتل فيزدادون وقاراً<sup>6</sup> كلما ازداد المرجفون<sup>7</sup> عاراً.

فأنا وقد عدتُ إلى مكتبي أحمدُ الله الذي ردَّني إلى أسرتي وأصدقائي وإلى هذه الأرض السعيدة أرض الحرية السمحاء والأيدي البانية والعقول المبدعة والعبقريات الخلاقة. إلى أميركا. ولأبدأ الحديث الآن بالتحدث إلى قراء «السَّمير» عمّا رأيت وسمعت واختبرتُ أثناء وجودي في لبنان ودمشق وإن كانت المدة التي قضيتها في لبنان قصيرة وفي دمشق أقصر.

أرادت الحكومة اللبنانية أن تكرّم المهاجرين اللبنانيين فوجّهت دعوة إلى صاحب «السَّمير» وخمسة آخرين من المشتغلين بالصحافة في المهجر لحضور مؤتمر الأونيسكو في بيروت وهم فوزي البريدي «نيويورك» ونجيب عواد وناصر الفضل «المكسيك» وحبيب مسعود «البرازيل» ورشيد رستم «الأرجنتين». وكان وصول الوفد النيويوركي قبل سواه فوجّهنا تحية إلى لبنان حكومة وشعباً هي تحيتنا وتحية قومنا المهاجرين إلى الوطن وأهله.

ثم هبطنا مدينة الأونيسكو فإذا نحن في عمائر أنيقة شبيهة بما كان في معرض نيويورك العالمي. وأخذنا نتنقل في تلك المباني من معارض كتب إلى معارض رسوم وألواح منها ما هو للبنان ومنها ما هو

1 أهمة الأمر أقلقه وحرته.

2 الدفة: والدفة من السفينة الشكّان وهو آلة في مؤخرها تحركها يمينا أو يساراً.

3 الشغب بالتسكين تهييج الشر ولا يقال شغب بالتخريب.

4 كاد: الكيد المكر ومكيدة أيضاً بكسر الكاف.

5 خرّص: الخرّص الكذب وتخّص كذب.

6 الوقار الحلم والرزانة.

7 الإرجاف واحد أراجيف الأخبار وقد أرجفوا في الشيء أي خاضوا فيه.

لسوريا، ومنها ما هو للعراق وآخر لمصر. وكلُّها تدلُّ على ما بلغت إليه هذه الأقطار من التقدم الثقافي. وكان رئيس المؤتمر الدائم رجل الثقافة العالية والأخلاق السمحاء والهمة<sup>1</sup> الشماء حميد بك فرنجيّة وزير الخارجية والتربية والمغتربين الذي أجمعت القلوب على محبته وإجلاله لما امتاز به من إخلاص مُسنّاه في خدمة لبنان كما أجمعت الألسن على مدح من الأستاذ فؤاد بك عمون المدير العام لوزارة الخارجية الذي كان متغنياً في باريس لخدمة لبنان وجيرانه فهو رجل له من الحنكة<sup>2</sup> السياسية ما يرفعه إلى مصاف كبار الساسة ولا غرابة فهو سليل أسرة لها في تاريخ لبنان صفحات مجيدة. وفي لبنان عدد كبير من المفكرين ورجال الثقافة والأدب بين كُتّاب وشعراء وأساتذة لم توجه الحكومة إليهم دعوة إلى المؤتمر فعَبّوا على الحكومة ولكنهم لم يسبّوها ولا شتموها.

وأني لأجد من الخير أن أتجاوز عن هؤلاء الحاسدين الذين انشقت مرأثرهم<sup>3</sup> غيظاً عندما وضعتُ الأشياء موضعها. وأن أعمل بقولي:

لا تطلبنَّ محبة من جاهل المرء ليس يحبُّ حتى يفهم  
وارفق بأبناء الغباء كأنهم مرضى فإنَّ الجهل شيء كالعمى

فلأنتقل الآن إلى وصف الناس والأحوال في لبنان كما رأيتُ الناس ولمست الأمور فأقول:  
إنَّ البَحْبُوحَةَ التي غمرت لبنان أثناء الحرب زالت مع الحرب ولكن آثارها باقية في القصور الأنيقة التي شادها أهل الثراء. وفي الشوارع والطرقات التي أنشأتها الحكومة في خلال وقت قصير. ولا يزال الهدم والبناء قائمين في مدينة بيروت. هدم الأحياء القديمة وتشيد أحياء جديدة وتوسع الشوارع. فإنَّ مشكلة السير في بيروت من أعقد المشاكل لشدة الزحام وتكاثر السيّارات فهذه المدينة أشبه بالوادي الذي ينصبُّ السيل إليه من كلِّ مكان.

وقفت مرّة أمام الفندق أتأمل المارّة فإذا هم من كلِّ طراز<sup>4</sup>. فمن لا يس عقال إلى لا بس عيامة إلى لا بس طربوش إلى لا بس بُرنيطة. إلى حاسر عن رأسه. ومن راكب سيّارة إلى راكب حافلة. إلى راكب حمار إلى راكب نعليه إلى حافٍ عاري القدمين.

فأنت لا ترى شعباً واحداً بل شعوباً لا يجمع بينها غير شيئين هما: اللغة والمصلحة. يضاف إلى هذين المكان.

وقلّما مررتُ بشارع وسيع أو ضيق إلا رأيتُ مزدحماً بالسيّارات فليس في بيروت مرايض عموميّة كما هو الحال في المدن الأميركيّة ويزيد مشكلة السير تعقيداً أن تخطيط مدينة بيروت القديم لم يكن

1 الهمة يقال فلان بعيد الهمة وهم بالشيء أرادته.

2 الحنكة: التجربة والبصر بالأمور.

3 المرأثر: المريرة الحبل الشديد الفتل عزة النفس والعزيمة.

4 الطراز النمط والشكل الجيد من كل شيء ج أطرزة.

بتقدير ولا حُسبان<sup>1</sup> ولم يراع فيه إلا إنشاء مسالك للإنسان وخذّه أو حصانه وحياره. فلقد جاءت السيارة ضاقتُ بها المسالك. على أنّك لا تستطيع إلا أن تعجب براعة السوّاقين في بيروت فإِنَّ الواحد منهم ينطلق بسيّارته في أضيق زُقاق<sup>2</sup> كأنّه يقود سيّارته في أرحب طريق. ويذهب بها في المنعرجات<sup>3</sup> والمنعطفات كأنّه في طريق قويم. وهو إلى ذلك كلّ لطيف المعشر حسن الأدب يجاملك ككثّ ضيف في بيته.

وعند القوم عادة عجبتُ لها وهي طريقة الجلوس في السيارة. فمن الإكرام عندهم التّصنيف أو لذي الحيثيّة أن يجلس إلى اليمين في السيارة وعبثاً حاولتُ إقناع الذين رافقوني بالتخلّي عن هذه العادة معي. فليس في اليمين غير ما في الشمال. وليست السيّارة مجلساً ولا ديواناً رسمياً لتجري فيها مثل هذه المجاملات...

وفي بيروت فنادق من الطراز الأول في أنافتها ونظافتها وحسن هندستها وجمال غرفها وطرائق الخدمة فيها ولكنّ المصاعد الكهربائيّة فيها عرضة للتوقّف من جرّاء ضعف التيار الكهربائي في المدينة التي اتّسعت كثيراً وبقيت الشّركة صاحبة الإمتياز كما هي لم تستبدل الآلات التي لديها ولا زادت قوّة التيار وهذا الأمر حدا بأصحاب الفنادق إلى استخدام المصاعد في حانة الصعود فقط. وهم لا يسمحون للخدم باستخدام المصاعد لا في الصعود ولا في النزول وفي ذلك ما فيه من المشقّة على الخدم. وكنتُ أحياناً أطلب طعام الفُطور إلى غرفتي فلمّا تبَيّن لي أنّ الخادم يصعدُ ماشياً عدلتُ عن تكليفه هذه المشقّة.

وتضيف الفنادق إلى حساب التّزليل فيها عشرة بالمائة باسم الخدم غير أنّي أشكّ في حصولهم على العشرة كاملة. فقد سمعتُ بعضهم يتذمّر ويشكو من هزال دخله. والذي حملني على الشكّ أنّي دفعتُ إلى صاحب فندق ليرتّن لي عطيها إلى الخادمة التي تهتم بغرفتي. واتّفقتُ أنّي رأيتُ الخادمة فسألْتُها عمّا إذا كانتُ تناولتُ شيئاً من صاحب الفندق فأجابت: كلا، فعرايبي أسفّ شديدٌ لطمع إنسان بقيمة زهيدة كهذه.

ومما عجبتُ له أنّي رأيتُ فتيناً دون الرّابعة عشرة يتولّون إدارة المصاعد الكهربائيّة «الليفاتر» في الفنادق. وليس ثمة ضمان فيما يحصل من ضرر للفتيان أو مكروه أثناء عملهم. كذلك علمتُ بعد الإستفسار أن لا ضمان للسيارات من الحوادث الطارئة. وليس هناك قانون يوجب على صاحب السيّارة ضمانها.

«وللحديث صلة».

السّمبر: 1949 / 1 / 20

- 1 حَسَبَ المال ونحوه حساباً وحُسباناً عدّه وأخصاه وقدرّه.
- 2 الزُّقاق الطَّرِيق الضيّق نافذاً أو غير نافذ ج أَرَقَّة.
- 3 مَنعَرَج الطَّرِيق والوادي والنّهر وغيرها: مَنعُطَةٌ.

## ما رأييت وسمعت

ثمَّ أعجبني في مدينة بيروت حوانيتها المتقنة فمهما يكن الحائث صغيراً وضيقاً تجده غاية في الترتيب والنظافة إلا في الأسواق النائية في الضواحي على أنني لاحظت أن أكثر البضائع المعروضة للبيع في هذه الحوانيت مجلوب من الخارج ومعظمها آت من الولايات المتحدة بواسطة الفلّك<sup>1</sup>. وأسعار الأشياء هناك تضاهي أسعارها في نيويورك وربما زادت عنها. وأكثر الأجواخ إنكليزية أو أنها تدعى إنكليزية وإن لم تكن. لأن الناس يعتقدون أنها أجود من سواها.

ويندر جداً أن تحصل على بذلة جاهزة فهذا أمر غير مرغوب فيه وغير مألوف. وربما كان القوم على حق. فقلماً وافقت بذلة جاهزة جسماً موافقة تامة ولذلك كان شراء الجوخ وتفصيله وصنعه عند الخياط أفضل وأصلح.

وعلى الرغم من اشتهاار بيروت بصناعة الحلويات تجد أن الصنف الذي برع به أصحاب هذه الصناعة هو البقلاوة وأخوانها. أمّا القند أو الكاندي فإنه يستجلب من الخارج بعضه من هولندا والبعض الآخر من الولايات المتحدة وتحاول بعض معامل الحلوى منافسة هذا الصنف فيدركها العجز عن مضارعتها.

وتسأل عن أسباب الغلاء فيقول لك الأكثرون إن من أكبر أسبابه ارتفاع أجور العمال. وتسأل العمال فيقولون لك أن الأجور التي يتناولونها زهيدة لا تقوم بأود عيالهم. ولكنني لمست حالة عقلية عند التجار لعلها من باعث الغلاء وهي أن أكثرهم يتمشى على قاعدة «بع قليلاً واربح كثيراً» وهذه القاعدة عكس القاعدة التي يتمشى عليها الأمريكيون وهي «بع كثيراً واربح قليلاً...» ويظهر أن الرغبة في الراحة هي التي تجعل أولئك التجار يتمسكون بالقاعدة الأولى. فإن البيع كثيراً يتطلب جهداً<sup>2</sup> ووقتاً...

وليس للسُّلع أسعار موحدة معلومة إلا في المخازن الكبرى. ولهذا تكثر المساومة بين الزبّون والتاجر. وتتخللها المجاملات والحلف<sup>3</sup> بحرمة الصداقة والذمة والضّميم ويتعدّها أحياناً إلى القبور- قبور الأولياء والقديسين!

هبطتُ مرة مع صديقي السيد ميلاد المعلوف إلى مستودعات السجّاد خارج جمرک بيروت هو لشراء السجّاد وأنا للإستطلاع والفضول والرغبة في صُخبته والتعرّف إلى تلك الناحية من المدينة.

1 الفلّك: الشُّفن.

2 الجهد المشقة.

3 حلف خلفاً وخلفاً أقسم فهو حالف وحلاف.

فأخذ يستعرض السجّاد وقيس أسعاره بالدولار والقدّم فإذا السجّاد في تلك المستودعات أغلى منه في أسواق نيويورك التي يتحمّل تجاره من التّفكّات الشيء الكثير فكان ذلك موضع استغرابه واستغرابي. وذهبتُ مرّة إلى بلدة «الذوق» هكذا يكتبونها. لشراء بعض المحوكلات والمطرّزات التي اشتهرت بها تلك البلدة. وما شدّ ما أسفّتُ عندما رأيتُ الحوانيت التي تباع بها في حالة زرّة لا تتفق أبداً مع تلك المنسوجات الأنيقة. فهي موضوعة في خزائن عتيقة بالية وفي غير ترتيب. وكان الوقت مساء فإذا بالكهرباء مقطوعة وإذا بالقوم يستعينون بالشّموع وقناديل الكاز للإضاءة. فما استطعنا تمييز السلع إلاّ بجهد ومشقّة. وطريقتهم في البيع هي طريقة المساومة الشرقيّة التي لا يمكن أن يخرج منها الشاري الغريب إلاّ مغلوباً. وهي طريقة يجدون فيها لذّة واعتزازاً أمّا الشاري فلا يجد فيها إلاّ الرّيبة والخوف. وهذه الصناعة على طرافتها مكتوب عليها الإضمحلال لأنّها في حالة انعزال وانكماش يأبى أصحابها تعميمها مع أنّهم لو فعلوا لكسبوا أكثر ولأعانوا في مكافحة البطالة. فإنّ من لا يتقدّم يتأخّر...

وقد يتوهّم المهاجر أنّ المآكل في الفنادق عربيّة. أمّا التوقّع فهو عكس ما يتوهّم. فالمآكل كلّها على الطراز الأوروبي حتى أسماؤها. وأسماء الفنادق أكثرها أوروبي فهذا «فندق نورمندي» وهذا «سانت جورج» وهذا «ريجننت» وبعضهم يسمّي النزل «بانسيون» أو «فيلا» ويبالغ بعضهم فيسمي فندقه «سمربالاس» أي قصر الصيّف أو نيورويال. الخ...

كم كنتُ أعتنى لو كانت رحلتي إلى لبنان وسوريا في الصيّف لا في الشّتاء. إذن لتمكّنتُ من التنقّل والإطلاع أكثر على شكل الحياة في القرى والدّساكر<sup>1</sup> البعيدة.

ولكن لبنان الجميل في الصيّف يلبس في الشّتاء سربال مهابة وجلال. صعدتُ مرة إلى ضهور الشوير فإذا الفنادق الجميلة كلّها مقفلة وليس هناك إلاّ الحراس والخفراء وقد رأني أحدهم ألقت عن الأرض رأس صنوبر فمضى وتناول من الأرض حجراً وقذف به شجرة فسقط رأساً منها ودفعه إليّ لأنّه لم يعجبه ما التقطت!

ومدّدتُ ببصري في ذلك الجبل فلاحَت لي بسكنتا مغمورة بالثلج ورأيت السكينة ترفُّ على الأودية والجبال النائمة تحت لحاف سميك من الثلج المتلبّد. إلاّ أشجار الصنوبر فإنّها لكبرياتها ترفض أن يطمّرها الثلج! فهي هناك للنواطير في النهار رفاق وسمّار. وفي الليل تهاويل تترنّح في ضوء القمر. وأحسّنا بالجوع يدركنا في ذلك الفضاء الطلق. وكنا ثلاثة ميلاد معلوف وجوزف معلوف. وأنا. فعُدنا أدراجنا<sup>2</sup> نبحت عن مطعم فلم نجد. ثمّ لاح لنا حائوت فملنا إليه لنشتري شيئاً من الجبن الطريء فحذّرني ميلاد من أكليه. وكان صاحب الحائوت واقفاً في الجهة المقابلة للحائوت مع

1 الدّشكرة القرية العظيمة ج دساكر.

2 الدّرج الطريق ويقال رجع فلان درّجه وأدراج رجّع من حيث جاء.

أشخاص آخريّن يعلّبون سياسة الدّنيا بطناً لظهر . بينا الصّداة يتلبّد في كِفْتي الميزان القديم الطّراز في الحانوت .

وكان هذا الميزان أول شيء رأيناه عندما دخلنا إلى الحانوت فنسينّا عند رؤيته أنّنا جائعون وعدنا أدراجنا دون أن نشترى شيئاً . وتابعنا السّير إلى بكفّياً . ووقفنا عند مطعم متواضع . وسألنا عن صاحبه الغائب فقيل لنا أنّه منهمك في لعبة بوكر ولا وقت لديه لخدمة الناس !!  
فاخذتنا نوبة ضحك لهذا الجواب ... على أنّنا وجدنا إلى جانبه حانوتاً غير مشغول صاحبه بالبوكر . وحصلنا على ما سدّ الرّمق ...  
« وللحديث صلة ».

السّمير : 1949 / 1 / 25

## ما رأيت وسهعت

القهوة .

أنا من المولعين بشرب القهوة . ولا أستحي أن أقول إنّها آتني الصغرى أمّا آتني الكبرى فهي السيّكاره . فإذا وجدت إنساناً تحتكم فيه هاتان الأفتان احتكامهما فيّ . عطفت عليه عطف الجريح على الجريح ...

على أنّي وجدت القهوة في بيروت لا تتحكّم في طبقة واحدة من الناس ولا تنشر رايتها السّوداء في مكان واحد من الأرض . بل هي دولة لها علم خفاق في كلّ حانوت وبيت ودائرة ومكتب . حتى في قصر رئاسة الجمهوريّة .

تدخل إلى مكتب المدير أو ديوان الوزير فلا تكاد تأخذ مكانك حتى يفتح الباب ويدخل الخادم يحمّل إليك القهوة .

وتزور حانوت التّاجر فلا يكاد ينتهي من التّرحيب بك حتى تطلّ القهوة عليك وهي تزفر<sup>1</sup> شوقاً إليك وإن لم يكن في نفسك شوق إليها .

ولا يكمل أنس الصّحافي وسروره وأنت في مكتبه إلّا إذا شربت معه هذا السائل الأسود وأنت تتشوّق عنده رائحة الخبز .

وهي ليست شراباً فحسب . بل رمز للضيافة والتّكريم والتّرحيب ولكن إذا كان هذا الرّمز لطيفاً مستحبّاً في البيت والحانوت فهو ليس كذلك في الدائرة الرسميّة إلّا إذا كانت الزيارة لغير مهمّة<sup>2</sup> وكان

1 زفرَ أخرج نفسه بعد مدّة إياه .

2 الهمُّ الحزن وما همَّ به في نفسه .

المزور لا شيء يَشْغَلُهُ. فليست الدائرة الرسمية ملزمة بالواجبات التي لا بُدَّ منها في البيت والحائوت ومكتب الصَّحافي ولكنها عادة قديمة راسخة. وإذا طال الزَّمان على عادة صارت شيئاً مألوفاً. وصار الكلُّ يمارسونها بدون تفكير حتى يَنْجُم<sup>1</sup> عنها ضررٌ كبير. وليس في عادة تقديم القهوة غير إضاعة شيء من الوقت. وليس للوقت قيمة كبيرة هناك إلا عند صاحب الحاجة الملحة. فما سمعتُ أحداً يشكو من ضيق الوقت أو قصره أو يسير مُشرعاً إلى حاجة ما، بل تجد كثيراً من التجار يقفلون أبواب حوانيتهم في الثَّهَار لكي يذهبوا إلى القيلولة<sup>2</sup>. أو تناول الغذاء في المطعم. ولا سيَّما أولئك الذين يعلمون أنَّهم لا مُزاحِم لهم ولا مُنافِس في تجارتهم.

وأمر آخر أنكرته واستشمتجته<sup>3</sup> في الدوائر الرسمية. وهو أنَّك تذهب إلى دائرة وأنت على موعد معلوم مع مديرها أو رئيسها. وفي نيِّك أو عزمك أن تقضي معه بضع دقائق لأمرٍ من الأمور. ويكون هو في انتظارك. ولكنك لا تكاد تستقر في مكتبه حتى يفتح الباب ويدخل عليه موظف أو غير موظف فيتشغله عنك ويقطع حديثه معك. ويهْمِس في أذنه أو يقول له جهراً أن فلاناً يريد الدخول عليك فلا يقول له: ليتنظر قليلاً بل يقول له: لِيَدْخُلْ...

وهكذا تختلط المواعيد وتزحم الزَّائِر الزَّائِر.

قلت لأحدهم إنَّ هذه الطَّريقة تؤدي إلى التشويش وضَياع الوقت فتهدَّ وقال: إنِّي أعرف هذا الأمر. ولكن لكل واحد من قومنا دالة يدلُّ علينا بها فإذا قيل له: انتظر إلى أن يأتي دورك أو إلى أن ينصرف الزائر الموجود كثير<sup>4</sup> عليه الأمر واستاء وربما مضى يشعُّ علينا فهنا كلُّ أحد يعرف كل أحد. ويتوقع من كل أحد أن يخرِص على إحساسه الرقيق.

وأن أنسى فلا أنسى مرة دخلتُ فيها إلى مكتب من مكاتب الأونيسكو فرأيتُ هناك حشداً من أصحاب الحاجات فحاولتُ الرُّجوع فأبى مدير المكتب والزمني بالقعود. وهناك سمعتُ الحِجَاج<sup>5</sup> بينه وبين البعض حيناً بالعربيَّة وحيناً بالفرنسيَّة. ورأيتُ في جهاد مُرهق<sup>6</sup>. وتعب روحي مُضنيك من جزاء محاولته التوفيق بين الراجبات التي تُفرض عليه وظيفته. وبين رغائب الناس بصورة لا تذهب معها هيئة الواجب ولا يصيب شواعر القوم شيء من التوتر.

فأدركتُ من هذا المشهد أن حياة الموظف ليست بالحياة الهانئة وأنَّ عليه أن يكون صبوراً إلى درجة

1 ونجم الشيء ظهر وطلع.

2 القيلولة: القائلة الظهيرة والقيلولة النوم في الظهيرة.

3 سمع قبح.

4 كثير عظم.

5 الحِجَاج: حاجته حاجة وججاجاً جادله.

6 مُرهق: أرهقه رهقه كفرح غشيه ولحقه أو دنا منه واسم من الإرهاق وهو أن تحمِل الإنسان على ما لا يطيقه.



البلادة<sup>1</sup> وذكياً إلى درجة الثبوغ. ولبقاً إلى درجة الدبلوماسية. وإلا فإنه لا يستطيع أن يرضي أحداً. وإني أعرفُ موظفاً لبنانياً قديراً جاء إلى الولايات المتحدة لدرّس الطرائق التي يتمشى عليها الأمن العام ولما عاد إلى لبنان أراد أن يُدخلَ هذه الطرائق الحديثة على الأمن العام هناك فما لبث أن أُقيلَ من الخدمة. أمّا السبب فهو أن النفوس التي تعودت الاستمرار في الفوضى لم تستطع أن تهضم<sup>2</sup> النظام. فقل للذين يدعون إلى إنشاء المدارس لتعليم الأولاد حبذا<sup>3</sup> لو دعوتهم إلى إنشاء مدارس لتعليم الكبار والتقيّد بالنظام.

ومن دلائل الإستهتار بالنظام أنك كثيراً ما ترى اثنين واقفين على رصيف الشارع كالجملة المعترضة يتطارحان الأحاديث ويتباحثان في شؤون العالم أو شؤونها الخصوصية كأن الرصيف ملك لهما ورثاه عن أجدادهما. فإذا بلغ إليهما المارّ اضطّر أن يحيد عنهما وينزل إلى الشارع. ويربانه يفعل هذا الأمر ولا يحيدان من طريقه!!

هكذا يتشوّش النظام وما من زحام!

«للكلام صلة».

السّمر: 1/27 / 1949

## ما رأيت وسعيت

الشراع والحرف.

حرّك إنعقاد مؤتمر الثقافية والتربية الأممي في مدينة بيروت كبرياء<sup>4</sup> الشعب اللبناني واعتزازه بنفسه وماضيه فانطلقت أقلام الكتّاب والشعراء تترنّم بالمجد القديم وتشيدُ بفضل الشواطيء التي ولدَ فيها «الحرف» فتستى للفكر أن يخرج من سجون الإيلاء والصوت والحركة ويلبس الكلام صوراً ورموزاً تنفّس في اللوح وترقّم<sup>5</sup> في الرّق<sup>6</sup>. وتدوّن في القِرطاس<sup>7</sup> فكان لتلك الشواطيء فضلٌ على كلِّ

1 البلادة: بلدٌ بلا دة ضَعْف ذكاؤه قَلَّ نشاطه.

2 هَضَمَ: هَضَمَهُ حَقَّ ظَلَمَهُ. والنظام مِلاك الأمر ج أنظِمة. ومِلاك الأمر قِوامه الذي يملك به. والقِوام: بالكسر نظام الأمر وعماده ومِلاكه كقيامه.

3 وحبذا الأمر أي هو حبيب جُعِلَ حَبّاً وذاك شيء واحد وهو اسم وما بعده مرفوع به ولزم ذا حَبٍّ وجرى كالمثل بدليل قولهم في المؤنث حبذا لا حبّيه.

4 الكبرياء العظمة والتجبر والترفع عن الانقياد.

5 الرّقَم الكتابة وقولهم: هو يرقّم الماء أي بلغ من جذقه بالأمور أن يرقّم حيث لا يثبت الرّقَم.

6 الرّق: بالفتح ما يكتب فيه وهو جلد رقيق.

7 القِرطاس الصحيفة يُكْتَبُ فيها.

الشواطئ في الدنيا كما كان للفينيقيين فضل على كل الأمم...

ومصّت الأقلام تتغنّى بالشراع تغنيها بالحرف وتفيض في سرد تلك الصفحة المجيدة اللامعة من تاريخ الإنسان. وفي صفحة ليس للفينيقي الذي ستر أول شراع في البحر من ساء له فيها وإنه شيء جميل ومفيد أن يكون في تاريخ الأمة أحداث عظمى تعملها على البحر والإبحار ومباهاة العالم بها.

غير أنني أطلّنت مراراً على الشواطئ في بيروت وصيدا وطرابلس تلك الشواطئ التي انطلق منها أول شراع فما رأيت فيها غير زوارق قديمة الطراز وأحياناً كنت لا أرى شراعاً بل<sup>1</sup>. رأيت في مرفأ بيروت يخت هتار الذي شلت فيه الحركة فوقف وحمد وصار خمدوده كأنه قصعة من الشاطئ. وأصبح لا يصلح لشيء ولا يرجو منه أحد حيراً حتى صاحبه وصار الناس يزورونه كما يزورون أثرأ من الآثار القديمة.

وهو يكلف صاحبه نفقات باهظة كان الأولى والأجدى أن تذهب لمعهد علمي أو حيري أو لمشروع عمراني<sup>2</sup> مفيد.

أعتقد أن صاحب هذا اليخت قد ظلم نفسه باقتنائه إياه. وربّي حار القول أنه ظلم الشاطئ الذي أثّره مرسى وماوى لليخت المنعطل المشلول. فهو ليس سفينة لأنه لا يتحرك ولا يسير. وهو ليس بيت إدريس فيه ساكن. وهو ليس مراراً<sup>3</sup> للتبرّك إذا لم يكن صاحبه الأول قديساً!

إذن فهو هناك رمز لروح الكبرياء والأنانية في الأغنياء الذين يطغى عليهم حب الظهور والفخمة فيعملون على لفت الأنظار إلى غناهم<sup>4</sup>. بهذه المظاهر الصحابة التي كثيراً ما جلبت عليهم نقد الجمهور ونقمة. ولا سيّما في ظروف كالظروف المخرّجة التي يمرّ بها لبنان وجيرانه في هذه الفترة من الدهر.

في الأمثال الدارجة على الألسن هناك: أن المركب الذي ليس فيه شيء لله يغرق!

ويخت هتار لم يكن فيه شيء لله ولا للإنسان فتعطل. والتعطيل مثل الغرق!!

أمّا «الحرف» أو الألف باء الفينيقيّة فقد اندثرت مع الفينيقيين وصار الناس في تلك الشواطئ التي ولد فيها «الحرف» يلتبسون كنوز المعرفة في لغات الناس. ويتكلمون في مجالسهم وبيوتهم بلغة مجلوبة من وراء البحر. ويحسّونها كأهلها الأصلاء<sup>5</sup>.

سئلت مرة عما إذا كان المهاجرون لا يزالون يتكلمون اللغة العربية فقلت لسائلي: وهل يتكلم

1 بلى: جواب استفهام متقود بالخذثوجب ما يقال لك.

2 العمران البنيان.

3 المزار ما يزاد من مقابر الأولياء.

4 غني فلان غني وغناء كثر ما له فهو غني.

5 أصل النسب شرف فهو أصيل.

أجل . إنَّ اللغة العربية قد أصابها في عهد الإنتداب ما أصابها في ديار الهجرة فصار الحديث بها مزيجاً منها ومن الكلمات الأعجمية وإنَّ كانت لغة الجرائد قد رقت وسهلت وتلاّلت بالتعابير الجديدة . وقد أخذ القوم بعد الإستقلال يندفعون مع الوعي القومي فينصرفون إلى تنقيح أحاديثهم من العبارات<sup>1</sup> الإفرنجية . وكثُر المنددون بها في السر والجهر .

غير أن لبنان الوثيق الإتصالات بالخارج لا يستطيع الإنطواء على نفسه . ولا يمكنه الإستغناء عن اللغات الأجنبية فالتاجر يحتاج إليها . والسّياسي لا بدّ له منها . والصّحافي لا تكمل مهمته إلّا بها . حتى رجل الشارع يحب أن يكون له بها إلمام .

وقد جرى نقاش في مؤتمر الأونيسكو لجعل اللغة العربية من لغاته الرسمية فما أسفر النقاش عن شيء . وكان ممثلو الدول العربية يتوقعون أن ينصّروهم كثير من المندوبين فما تحقّق ظنّهم مع أن الفضل يعود إليهم - أي إلى المندوبين العرب في صيرورة اللغة الأسبانية لغة رسمية في المؤتمر كالإنكليزية والفرنسية .

ومن المؤسف أن حظّ العرب في المؤتمرات من الذين يستعينون بأصواتهم في مواقف كثيرة ليس بالحظ السعيد لأنّهم لا ينالون مثل التأييد الذي يبذلونه بل ربّما جُوزوا<sup>2</sup> على معروفهم جزاء ليس فيه شيء من المعروف .

فهل من الممكن أن يكون السبب في ذلك هو أن العرب يكتبون من اليمين إلى الشمال والأمم الأخرى تكتب من اليسار إلى اليمين ؟

وبعبارة أجلي وأوضح أن رابطة اللغة بين الأمم الأوروبية والأميركية تخضع لسلطانها كلّ حقّ وباطل فتراها متضامنة في هذا وذاك تضامناً يشبه العصبيّة<sup>3</sup> الجنسية لا تنصر العرب في مسألة إلّا إذا كانت تلك المسألة لها أكثر ممّا هي للعرب .

هذا في المؤتمرات الدولية السّياسية أمّا في مؤتمر الأونيسكو فلم تقع مُشادة<sup>4</sup> تذكر على أن هذا المؤتمر يجب أن يكون أقوى ممّا هو لكي يبلغ الغاية التي يُنشدها . ولا يعثر في سيره إليها . أمّا الآن فإنّه يتلمّس طريقه في خوف وحذر لأنّ غول<sup>5</sup> السياسة لا يزال واقفاً يترصّده وله أظفار لم تقلّم<sup>6</sup> . وشهوة

1 العبارة الكلام الذي يبين ما في النّفس من معانٍ يقال : هذا الكلام عبارة عن كذا .

2 جازاه : عاقبه وكافأه ضدّ .

3 العصبيّة التّحمّس للرأي والمدافعة عنه .

4 المشادة : شادّ ، مشادة وشداداً غالبه وشادّه في الأمر بالغ فيه ولم يخفّف .

5 الغول : واحد الغيّلان وفي زعم العرب أن الغيّلان هي الشّياطين التي تظهر للنّاس في القلّة فتتلوّن لهم في صورٍ شتى وتغوّلهم أي تضللّهم وتهلكهم .

6 قلّم : الشّجرة أزال عنها الأغصان اليابسة لتقوى .

لم تُكَبَّج<sup>1</sup>. وكثيراً ما لُذَّ لهذا الغول أن يجعل الثقافة مطيئة له. أو إذا استعصى عليه ركوبها وضعها على ظهره وطار بها إلى حيث يريد.

يجب أن يُحبسَ هذا المارد في قُمْقُمٍ زمناً طويلاً لكي يتسنى للأدب أن يَغْمُرَ<sup>2</sup> الدنيا بنوره فيسود الإخاء بين البشر وتصير الأرض كلها كالبيت الواحد والناس كلهم كالعائلة الواحدة. وقد كانت خطبة الرئيس بشاره الخوري الإفتاحية أروع الخطب التي أُلقيت في المؤتمر في مبنائها ومعناها. كما كانت برهاناً على طول باعه وسعة إطلاعه في شؤون الحياة وغاية المؤتمر. وهي نشر التفاهم بين أجناس البشر توصلاً إلى منع الحروب.

وعندي أن فكرة تخرج من بلدٍ كلَّبتان ليس له جيش ولا أسطول هي الفكرة التي يجدر بالدول ذات الجيوش والأساطيل أن تعتنقها إذا كانت تستهدف حقاً السلام العام في الأرض.

السَّمير: 28 / 1 / 1949

## ما رأيت وسمعت

الحيوان الآدمي:

الحيوان الآدمي هو ذلك العتال المسكين<sup>3</sup> الذي رأيتُه يمشي في بعض الأسواق حافي القدمين يُحْمِلُ على ظهره عبثاً ثقيلاً. ويضطرُّ - وهذا العبء الثقيل على ظهره - إلى الوقوف طويلاً على جانب الطريق منتظراً إنقطاع سيل السيَّارات المتدفِّق لكي يعبرَ الشارع.

إنَّه مشَّهد يُؤْلَمُ النَّفْسُ. بل هو منظر فيه لطمة<sup>4</sup> قاسية للإنسان الرَّاقي الذي يرى أخأله في الإنسانية قد نزلت به الضَّرورة إلى مرتبة الحيوان الأعجم. ومات فيه الحس فهو راضٍ بما قُسمَ له. وشُلَّ منه العقل فهو لا يفكرُ في التَّحرُّر من هذه العبودية السوداء. مع أنَّه في وسعه أن يريح ظهره ويخرج من مملكة الحيوان إلى مملكة البشر بدولارين وبضعة<sup>5</sup> ألواح من الخشب - بعجلة صغيرة!

سألت بعضهم لماذا يكلف العتال جسمه هذه المشقة ولا يستعين بالدُّولاب؟ فقال لي أحدهم: ليس في العتالين مَنْ يملك ثَمَنَ عَجَلَةٍ! وقال لي آخر: إنَّ هذه العجلات محظورة استعمالها في الشوارع

1 كَبَّجَ فلاناً عن حاجته رَدَّةً عنها.

2 غَمَرَ الشيءَ غَمراً علاه وستره.

3 المسكين من ليس عنده ما يكفي عياله والمسكين الخاضع الذليل.

4 لَطْمَةٌ لَطْماً ضرب خدّه أو صفحة جَسَدِهِ بالكفِّ مبسوطة أو بباطن كَفِّهِ.

5 بِضْعَةٌ: البِضْعُ في العدد من الثلاث إلى التسع تقول بضعة رجالٍ وبِضْعُ نساءٍ ويركَبُ مع العشرة فتقول بضعة عشرَ رجلاً وبِضْعُ عشرة امرأة. كذلك يستعمل مع العقود فتقول بضعة وعشرون رجلاً وبِضْعُ وعشرون امرأة ولا يستعمل مع المائة ولا مع الألف.

ولماذا - قال لي آخر: تهتم كثيراً بهؤلاء فلأنهم ربّما كانوا أزواجاً بالأماني ومنك!!

أما أنا فلم أجد في هذه الأجوبة ما يمحو الاعتقاد الذي تولّد في نفسي. وهو أن هذا العتال غير مستيقظ العقل والروح. فقد خدّر الجهل إحساسه وطمّس النور في روحه فبات لا يألم لحالته الزرية ولا يشعر أنّه ذو حقّ في الحياة كغيره من الناس. ولولا ذلك لفكّر وقاده التفكير إلى استنطاق العجلة أو اقتنائها فأراح ظهره المتعب من ذلك الوقر<sup>1</sup> الثقيل. وأراح العيون من هذا المشهد الذي يستحضر إلى الأذهان عصور الكهوف والغابات. ويبدو في مدينة بيروت المتحضرة الزاكية كالعامّة في وجه الحسنة. أجل. إن مرّ أي هذا العتال الخافي المضنوك لا يتناسب مع حشد السيارات الجديدة الأنيقة التي تكتظ بها أسواق بيروت. فضلاً عن أن الفائدة التي تجنيها البلاد من هذا العتال في حالته الحاضرة المزرية هي أقل من الفائدة التي يجنيها هو من حياته على هذه الوتيرة<sup>2</sup>. فلو استعان بالعجلة أو أعين بها فإنه يستطيع عندئذ أن يختصر المسافة والوقت وأن يقوم بأكثر ممّا يقوم به الآن من الخدمات. ويبقى لديه شيء من الوقت للتفكير في رفع مستواه.

يجب الترفية عن هؤلاء العتالين وتحسين مظاهرهم لصيانة سمعة البلد وأهله فإن السائح الأوروبي أو الأميركي أو أي سائح آخر أول ما يرى من البلد شوارعها وما في شوارعها وأول ما تلتقطه عدسة آلة التصوير التي معه هو هذا العتال وما شاكل من المراثيات المستهجنة فيعود إلى بلاده وينشر تلك الصور كأنها ليس في لبنان غيرها...

قيل لي أن بيروت لم تكن قبل مؤتمر الأونيسكو على النظافة التي رأيتها. وإن الحكومة بذلت جهوداً جبارة حتى صارت المدينة كما رأيت.

قلت: إذن في إمكان الحكومة أن تستبقي بيروت على هذه الأناقة والنظافة كل الوقت وعلى الشعب أن يعاونها في هذه المهمة تعزيزاً لمكانته وحرصاً على سمعته. فإن التّنديد بالحكومة لأن رجلاً طرح أقداراً أو نفايات أمام داره هو بمثابة تبرير لذلك الرجل وتشجيع له على الاستمرار في عادته وإعفاء له من المسؤولية ونقلها من كاهله إلى كاهلها. فيكثر الإستهفاف بالحكومة والقوانين التي تسنها. وهذا ليس بالأمر الذي تحمّد عواقبه.

النقابات...

لأصحاب الفنادق في لبنان نقابة تسعى سعيّاً حثيثاً لحمل الحكومة على إعفاء الأثاث والأدوات التي يستجلبونها من الخارج من الضريبة الجمركية. وحجّتهم في ذلك أن تكثير فنادق الإصطياف في لبنان يؤدي إلى حركة تجارية يستفيد منها الجزّار والبدّال والسّمكري والبنّاء وغيرهم من الناس فبقاء

1 الوقر: بالكسر الجمل.

2 الوتيرة: الطريقة يقال ما زال على وتيرة واحدة.

الرسوم الجمركية على الأدوات والأشياء المستجبة من الخارج يُقَعَدُ بِالزَّاعِبِ في بناء فندق عن بنائه.  
وللخدَم في الفنادق نقابة غير أنها ليست ذات فاعلية كبيرة كنقابات العمال في أوروبا وأميركا.  
ولأصحاب الجرائد نقابة رئيسها الأستاذ اسكندر الرياشي المشهور باستهتاره واستخفافه وشهرته  
متجسدة بذكائه واتصافه بالدعابة وميله إلى المغامرة. وكيفما كان الحال فلا أصحاب الجرائد في بيروت  
نقابة وللمحررين في الجرائد نقابة.

ولكن وقع في بيروت حادثة ظننت أنه سيقسم هاتين النقابتين ويقعدهما وهو أن السلطة ساقَت إلى  
السجن مخبراً نشر في إحدى الجرائد حادثة مكذوبة لها مناس بالقضاء وزُجَّ في الحبس في الليلة التي  
سبقت ليلة رأس السنة.

ولم تكن النقابتان مسافرتين ولا غبوستين ولكنهما كانتا حيال هذا الحادث كأنهما انتقلتا إلى عالم  
غير هذا العالم المنظور! إذ لم تحرك إحداهما ساكناً ولا قلماً ولا لساناً. ولم تقدم هذه ولا تلك للسجين  
ضماناً! ليخرج من السجن ويقضي العيد مع أهله وصحابه. كما قضى زعماء النقابتين وأعضاؤهما العيد  
مع أهلهم وأصحابهم...  
«وللكلام صلة».

السَّمِير: 31 / 1 / 1949

## ما رأييت وسيعت

مرض النوم.

يقولون أن القهوة تجلب الأرق والقلق وتطرد الكرى من حمى العيون وكنت أنا من الذين يؤمنون  
بهذا القول حتى لقيت بعض الأدباء في لبنان ومنهم رفيقي القديم شكري بخّاش صاحب «زحله  
الفتاة» فهو لا بدّ له من أن يعانق الوسادة بعد الظهر ولو شرب خايبة من القهوة. وإذا لم يتم ذبلت عيناه  
واحمرت أجفانه وظهرت عليه أمارات الإعياء.

عند وصولنا إلى مطار المزة استقبلنا وفد الحكومة اللبنانية ولقينا من مدير المطار السيد زهير العطية  
ترحاباً كثيراً وعناية فائقة. وفي مكتبه بدأت تطل علينا القهوة. التي صرّت بعدئذ أتوقع طلوها عليّ  
في كل مكتب وحائوت ودائرة.

ثم حملتنا السيارات إلى زحلة<sup>1</sup> حيث تناولنا طعام الغداء في منزل يوسف بك البريدي مع جمهور

1 زحل عن مكانه زحلاً وزحواً زلّ وتنحى وتبعد. وزحلة مدينة لبنانية يقصدها المصطفون لجمال مناظرها وأريجيتها  
سكانها. وفيها ينبع نهر «بردى» الذي أوحى لأمر الشعراء أحمد شوقي بقصيدته الكافية المشهورة التي نظمها وهو  
جالس على ضفة ذلك الوادي وادي نهر بردى جاعلاً عنوانها: «يا جارة الوادي».

كبير من أنساب ذلك البيت وأصدقائه.

وجاء شكري يهْلُلُ ويرحَّبُ وسار بي إلى الوادي - وادي العرائش - الذي جرَّده الخريف من حُلِيِّه<sup>1</sup> ونزع بيده القاسية سربال البشاشة وألقى عليه كآبة مهيبة. فمررتا بعين البخاش التي كلَّما مرَّ بها شكري طرح عليها نظرة أسف وتحسُّر. فقد كانت هذه العين مُلكاً لأسرة البخاش فاستولى عليها الرُّهبان أو قلَّ ذهب بها الإيوان ولكنه أبقَى عليها اسمها فكان في هذا بعض العزاء لصاحب جريدة «الفتاة».

وأبى شكري أن تغادر الوادي إلا إذا ذقنا فيه العرق الرَّحليّ أو «حليب السُّباع» كما يسمُّيه ابن الوادي نجيب ليان. فشربتنا نغبة منه في منطقة «الكوخ الأخضر» التي يحتلها في الصيف الشاعر رياض المعلوف.

ورجعتنا فإذا شكري يقول لنا بلهجة المستنجد المُستغيث: لا أستطيع البقاء معكم فقد داهمني النُّعاس!!!.

ومثل هذا الاستسلام للنُّعاس رأيتُه في الكاتب البَحَّاثَة يوسف ابراهيم يزبك الذي رافقني إلى دمشق فما كانت تجيء الساعة الثانية بعد الظهر حتى رأيت البشاشة تنطوي في وجهه ودبَّ التعب إلى أجفانه. فأسرع إلى غرفته لينام ولورُبَّ ساعة.

قد تقول ربَّما كان القوم يطيلون الشَّهر في اللَّيل. لا. فسهرات القوم هناك لا تطولُ إلى أبعد من الساعة الحادية عشرة. وأحياناً تنتهي قُبَلَهَا.

نعم. ليس الشَّهر السبب. بل يَلُوحُ أنَّ في هواء لبنان شيئاً كالمخدر أو المسكر يجرُّعه الإنسان وهو لا يدري فيجرِّه إلى الفراش مُرغماً.

ولذا حاولتُ أنا مرَّة أن أنام كما ينامون فأعيايني الأمر. ولم أستطع القيام بهذه المحاولة مرة ثانية لكثرة الزائرين وتوالي الوفود من مختلف البلدان وكلُّ وفد يسألني أن أزور بلده ناهيك<sup>2</sup> بالدَّعوات البرقية والبريدية الكثيرة التي تلقِّيْتُها من الكليات والمدارس والجمعيات والأفراد من أماكن بعيدة وقرية كحلب وعمَّان وبغداد واللاذقية وصيدا. ولكن هيهات<sup>3</sup> أن الوقت كان يشرب كما يسرب الماء من فُروج<sup>4</sup> الأصابع. فما أمكنتني أن ألبي غير قليل منها ولا أن أزور إلا معاهد قريبة كالجامعة الأميركية وكلية البنات الثانوية في بيروت الأولى وذلك بإلحاح الأستاذ وديع ديب والثانية بإلحاح الأنسة سلوى نصار التي سبق لها أن زارت الولايات المتحدة.

1 الحليّ بالفتح ما يزيّن به من مصوغ المعدنات أو الحجارة ج حليّ كدليّ أو هو جمع والواحد حليّة الحليّة بالكسر الحليّ ج حليّ وحليّ.

2 ناهيك من رجُلٍ معناه أنه بجده وغنايه ينهاك عن تطلُّب غيره.

3 هيهات اسم فعل ماضٍ بمعنى بُعد.

4 الفُرجة بالضمُّ فُرجة الحائط وما أشبهه يقال: بينهما فُرجة أي انفراج.

وقد أدهشني ما رأيت في طالبات كلية البنات من يقظة فكرية وذكاء وفهم فما كدت أخذ مكاني حتى انهالت عليّ الأسئلة منهنة في كل ناحية من نواحي الأدب والحياة والموت والخلود. وأخيراً عمدت إلى استطلاعي عن نفسي فهذه تسال - كيف نظمت أول قصيدة؟ وتلك تريد أن تعرف اسم الفتاة التي نظمت فيها القصيدة الفلانية؟

وتلك تسال - أهى شقراء أم سمراء؟

وبعد ذلك أقبلن سرباً بعد سرب وكل واحدة تحمل دفترأ في يدها تريد مني أن أكتب لها فيها كلمة تذكارية فانقضى أكثر من نصف ساعة قبل أن أنتهي.

ثم دعنا رئيسة الكلية ومديرتها إلى مائدة شاي. ولم أكنم تعجبي كيف رضيت الأنسة سلوى نصار وهي التي رافقت البروفسور لورنس في معالجة القوة الذرية وكشف سيرها أن تحصر ذاتها ومعارفها العلمية في مدرسة. وقد سألتها في ذلك فقالت لي: إنها حاولت إنشاء مختبر في بيروت فلم تنصرها الجامعة الأميركية ولا الحكومة.

وليست سلوى نصار أول اختصاصية في فن أو علم رجعت إلى الشرق العربي فلم تستطع مزاوله اختصاصها أو عملها. فكثير من الشباب الذين تلقوا العلوم في كليات أميركا وجامعاتها ورجعوا إلى بلادهم فلم يظهر لعلمهم أثر؛ لأنهم لم يجدوا المجال فسيحاً ولا الثروة صالحة فانصرفوا إلى مزاوله الوظيفة إما في السلك الحكومي وإما في المعاهد العلمية.

وبالرغم من كل ذلك فإنك تسمع الصباح يتعالى من المراجع العالية - نحن بحاجة إلى خبراء اختصاصيين من قومتنا!!

وقد زرت مدينة صيدا كما يزور الطائر الغدير. لَمُنحة<sup>2</sup> ثم يطير عنه. وكانت هذه الزيارة حافلة بأسباب الشرور وكان معي في هذه الزيارة الصديقان ميلاد المعلوف وابن عمه جوزيف اللذان سبقاني إلى نيويورك وكنا كلنا في ضيافة الأديب المحمود المشهد<sup>3</sup> والمغيب السيد شاهين القزي وقرينته الفاضلة وما كدنا نستقر في منزلها القائم على مقربة من الشاطيء حتى سرى الخبر أنني هناك فأقبل عدد كبير من سكان تلك الناحية للسلام علينا وكلهم يستفسر عن أحوال المهاجرين.

وكان الغرض من الذهاب إلى صيدا زيارة رجل الله المجاهد في سبيل اللاجئين وهو قدس الارشمندريت باسيلوس القسيس الذي تلطّف فزارني مرّتين في بيروت وهو شقيق السيد بطرس القسيس في نورولك كنكتكت.

والشواطيء في ذلك الشطر من لبنان تشبه شواطي كاليفورنيا غير أنها ليست عامرة مثلها فقليلاً

1 الشرب الفريق من الطير والحيوان ج أسراب.

2 لَمُنحة: لَمُنحة أبصره بنظر خفيف وبابه قطع والمُنحة أيضاً والإسم اللَمُنحة بالفتح.

3 المحمود المشهد: ما يشاهد.



ما تقع العين في هذه الشواطئ على شيء من العمران الذي يراه الإنسان في شطوط كاليفورنيا.  
أمّا البحر في تلك البقعة من الدنيا ففيه روعة ما رأيته في بحر آخر سواه!  
«وللكلام صلة».

السّمعير: 2 / 2 / 1949

## ما رأيته وسمعت

قلعة بعلبك - مستشفى تل شينحا - مصحح ظهر الباشق.  
كانت السماء راضية. لا جهمة<sup>1</sup> فيها ولا كدر يوم انطلقت السيارات من بيروت ثقل<sup>2</sup> وفود  
الأونيسكو إلى مدينة الشمس... إلى بعلبك<sup>3</sup> التاريخية التي كان هيكلها أو قلعتها من عجائب الدنيا  
السبع ولا تزال من أعجب آثار العصور الخوالي التي تحبر أعمدتها الشاهقة وجدرانها الضخمة عمّا  
كان بين الإنسان والصخور من صراع. وكيف كان أصحاب الشلطان والجاه يعيشون بمغزل<sup>4</sup> عن  
الجاهير لتظل هيبته ماثلة قلوب الجماهير المستضعفة. وإنك لا تقدّر إلا أن تعجب أمام تلك الآثار  
الباقية ثما كان عليه فن النقش والنحت والتصوير من رقي وسمو. حتى في أيام الفينيقيين...  
كان رفيقي في هذه الزيارة مندوب معهد ركفلر في نيويورك واسمه المستر مارشل وهو رجل  
لطيف المعشر دقيق الملاحظة شديد الرغبة في الاستطلاع فكان ونحن منطلقون في الطريق كلّمنا مررنا  
بموضع أو بلدة أو جبل يميل عليّ ويستفسرني عنه فأجيبه بما أعلم. وما كان أشدّ إعجابه بمناظر لبنان  
ولا سيمّا التي كانت تلوح لنا ونحن نصعد في الهضاب والقمم.  
وقد رأت الحكومة اللبنانية مبالغة في الشهر على سلامة الوفود وتكريمهم أن تبث الجنود في  
الطريق فكنا كلّمنا قطعنا ميلاً أو بعض ميل نرى جنديين واقفين إلى جانب الطريق.  
ولما بلغنا بعلبك رأينا أهاليها قد خرجوا من البيوت وتألّبوا<sup>5</sup> على جوانب الطريق المؤدي إلى  
القلعة. ذهبنا نحن لتفّرج على القلعة وخرجوا هم ليتفّرجوا على وفود الأونيسكو.

- 1 الجَهْمَة: جهنم جهنماً استقبله بوجه كره وأجهمت السماء صارت ذات جهام والجهام السحاب لا ماء فيه.
- 2 قل: القليل ضد الكثير والتأدرة ج أقلّ.
- 3 بعلبك اسم مدينة بالشّام، والبعل اسم صنم كان لقوم إلياس عليه السلام وبعل اسم معبود لدى الكنعانيين وبعض الشعوب السامية الأخرى وبه سُمّي بعض أصنام العرب في الجاهلية.  
وبك الشيء بكاء هشمه ومزقه والباك الأحق الثّار.
- 4 وعزله أفرزه يقال: أنا عن هذا الأمر بمغزل.
- 5 تألّبوا: تألّب الناس تجمّعوا.

واستقل مدير الآثار ومعاونته جموع الزائرين عند مدخل القلعة ومشيياً أمامهم وأخذ كل واحد منهم يشرح بدوره تاريخ القلعة وينشرد<sup>1</sup> حكاية ما فيها من المعابد وكان كلاهما يقصُّ سيرة القلعة باللغة الإنكليزية.

وكان هناك عددٌ من المصورين يدورون كالصيّادين من مكان إلى مكانٍ ويلتقطون مشاهد المتفرّجين. ولا سيّما إذا المحوا بينهم شخصيّة بارزة يعرفونها.

وبعد الطواف في القلعة انكأ القوم راحعين من مدينة الشمس بسياراتهم إلى زحلة والتقوا كلهم في نزل قادري حيث كانت في انتظارهم مأدبة من افخر المادب تفسن الطهارة في إعدادها تفتناً رائعاً مذهشاً. فكانت ملامح السرور والإعجاب بادية على وجوه الجميع.

وأحتشنت أنا قليلاً من الوقت وذهبت مع الصديق فوري الريدي والدكتور فرج إلى مستشفى تل شينحا<sup>2</sup> الذي طالما سعت «الشمير» في سبيله وحثت الناس على المذل له فإذا بنا في بناية أنيقة جميلة الترتيب غير أن غرفاً كثيرة فيها بحاجة إلى الترميم ولا سيما السطح أما الأسرة والأدوات التي أرسلها المهاجرون فلا تزال محفوظة في الغرف السفليّة.

وقد علمت وأنا في بيروت أن لجنة المستشفى في نيويورك أرسلت إلى اللجنة في زحلة عشرة آلاف دولار للقيام بالإصلاحات اللازمة وفتح المستشفى في الصيف القادم. كما علمت من فوزي أن الحكومة اللبنانية وعدت بمنح هذا المستشفى خمسين ألف ليرة لبنانية. وهكذا تتحقّق الفكرة التي ولدت مراراً ونامت مراراً. وكاد اليأس يستولي على النفوس من إمكان تحقيقها لكثرة ما اعترضها من مصاعب وقام في طريقها من عثرات وأنفوق في سبيلها مال كثير وبُدلت جهود أكثر.

وأتيح لي أن أزور مصحّ صهر الباشق في بيت مري. وهذه مؤسسة أخرى جاهدت «الشمير» في سبيلها جهاداً كبيراً. وحملت غيرها من الصُحف على الجهاد. ذهبت إليها يرافقني الكاتب المشهور جورج باز الذي يتولّى الآن إدارة المصحّ. فإذا هناك حوالي ثلاثة عشر بناية. مستقل بعضها عن بعض. وكلها قائمة في مرتفع من الأرض يُطل على البحر.

يمكنني أن أقول أن هذا المصحّ قلعة من قلاع الرّحمة والحنان. وكذلك كلُّ معبد الغاية منه تخفيف الآلام عن الإنسان.

وقد سمعت الألسن تلهج<sup>3</sup> بالثناء على هذا المصحّ. والسُن الخلق أقلام الحقّ. أمّا حرّش<sup>4</sup> الشفقة فهو حديقة يستريح فيها المرضى ويقضون أوقات التسلية في أيام الصيف غير

1 سرتة: وسرتة الحديث والخبر ونحوهما جاء به متتابعاً.

2 الشيخ نبت.

3 لَهَج: التلهج بالشيء الولوع به وقد لهج به من باب طرب إذا أغري به فتاير عليه.

4 الحرّش: الأثر والجماعة.

أن الحاجة الآن بعد أن نمت الغاية من مشروع الحرش إلى بناء خاص بالفحص الطبي توافر فيه أدوات الجراحة والطبابة الحديثة هكذا قال لي الأستاذ باز.

وهناك مصحح آخر مثل هذا في بحس. غير أن سكان بحس لما اشتهر اسم ذلك المصحح وصار ملازماً لإسم البلدة أشفقوا أن يتكعب السباح والمصطافون عن زيارتها فأطلقوا على بلديهم اسماً جديداً وهو «صهر الصوّان»<sup>1</sup> لكي يتخلصوا من إسم مصحح المسلولين في بحس.

وإنشاء المستشفيات شيء ضروري في كل بلاد وإنما يجب مع وجود المستشفيات أن يُعنى بالحؤول دون تلوث المياه. وأن تُصان الخضراوات والبقول من الجراثيم. وبذلك يُحَال دون إنتشار الأمراض كالتيّفوس التي لا يمرّ شتاء إلا وقد سقط الكثيرون ضحايا لها! درهم وقاية خير من قنطار علاج.

السّمر: 7 / 2 / 1949

## ما رأيت وسمعت

مع الدكتور طه حسين.

التقيتُ بمعزّي العصر<sup>2</sup> في دار الإذاعة اللبنانية التي حُرِصَتْ على أن تسجلَ لكل كاتب أو شاعر حديثاً أو قصيدة تذاع على مسامع الشعب اللبناني. وفي الواقع كانت هذه الإذاعة بمثابة سوق عكاظ<sup>3</sup>. ولا سيّما عندما التف عدد من الشعراء والأدباء والأساتذة بالدكتور طه حسين الذي وجّهت إليه الحكومة اللبنانية دعوة خاصة.

وألقي عليه بعضهم أسئلة فكانت أجوبته عليها أشبه بمحاضرة وكان الكل ينظرون إليه فيخيل إليهم وهو مندفع في الحديث كأنه يقرأ في كتاب.

هناك تعرّفتُ إليه. فألح عليّ أن أزور مصر وكذلك فعل الدكتور بشر فارس الذي عرفتُ منه أنه من أسرة «بكفاوية». ولكن زيارة مصر لم تكن في بروغرامي. ولا كان الوقت متسعاً لهذه الزيارة.

واجتمعتُ مرة ثانية بالدكتور طه حسين في فندق سان جورج فطلب مني أن أذكر له تاريخ مغادرتي لوادي النيل وعن سبب نزوحه عنه. فحكيتُ له كيف كانت الرقابة شديدة على الأقلام.

1 الصوّان: بفتح الصاد مشدداً ضرب من الحجارة الواحدة صوّانة.

2 المقصود بمعزّي العصر أبو العلاء المعزّي الشاعر الفيلسوف الكبير. ومعزّة ديين حماة وحلب وتضاف إلى النعمان والعزّة المعية من النساء.

3 عكاظ: كغراب سوق بصحراء بين نخلة والطائف كانت تقوم هلال ذي القعدة وتستمر عشرين يوماً تجتمع قبائل العرب فيها فيتعاكفون أي يتفاخرون ويتشادون.

والجاسوسية منتشرة في كُلِّ مكان بحيث يتحفّظ المرء في حديثه مع أعزِّ أصدقائه فذكرت له بعض الوقائع التي ألمتني وضايقتني، فأجابني قائلاً: إنّ الحالة في مصر الآن أسوأ ممّا كانت عليه في أيامك. ثمّ أردف قائلاً: هذا هو سبب نِقَمَتِي على مصر. وهذا هو السَّبب في إنطلاق لساني بالعتب عليها. فإنِّي كلّما قرعتُ باباً للإصلاح سُدَّ في وجهي.

وممّا قاله لي في سياق حديثه عن الأدب: إنّ الشعر في مصر في وقتنا الحاضر ضئيل هزيل! ولم يطلُ المكوث في بيروت ثمّ عاد إلى مصر ولسانه يلهجُ بالشَّاء عى لبنان لما لاقاه فيه من حفاوة الحكومة والأدباء.

وقد ألقى قبل سفره محاضرةً ممتعةً في نادي الجامعة الأميركية عن فنِّ الغناء في الحجاز وكيف انتقل إلى العراق ثمّ إلى الشام.

ولو سئلتُ رأيي فيه لقلتُ أنّ هذا الرجل جامعة معارف تمشي على قدمين. وأنّ مصر تعرف قدرَ هذا التابغة ولكن يظهر أنّ السياسة الحزبية هي التي تُغمضُ العيونَ عن رؤية الموهب وهي التي تحدّد الأظفار لتخديشها. غير أنّ الخسارة في النهاية لا تقع على أصحاب المواهب بل على الذين لم يحسنوا الإنتفاع بها.

وهذه علّة قديمة في تلك الأقطار.

السَّمبر: 9/ 2/ 1949

## ما رأيت وسمعت

إنّ المهاجر الرَّاغب في رؤية بلاده الأولى رفيعة المستوى عزيزة الجانب موفورة الكرامة يدرك بقليل من التأمُّل والدُّرس أنّ الضَّجيج المتعالي في بعض الجرائد هناك هو أشبه بجَعَجَعَةِ<sup>1</sup> الطَّاحُونَةِ<sup>2</sup> الفارغة. إنّ الجَعَجَعَةَ وَخَدَهَا لا تملأ الاكياس طَحِيناً<sup>3</sup>. ومثلُ ضجيج الصُّحُف شكوى هذا وتذمُّرُ ذاك من الناس. لا يزيد في إنتاج<sup>4</sup> الحقل ولا يعبِّدُ طريقاً. ولا يبيّن مستشفى. ولا ينسجُ ثوباً لعريان. ولا يروِّجُ متجراً كاسداً.

الذي يُسعدُ الأمة هو العمل المقروء بالتَّصميم على بلوغ غاية معينة. وأنّ يشمَلِ العملُ على هذه

1 جَعَجَعَ الجمل اشتدَّ هديره وجَعَجَعَتِ الرَّحَى صَوَّتَتْ.

وفي المثل: «أسمع جَعَجَعَةً ولا أرى طِحْناً يُضرب للرجل يكثر الكلام ولا يعمل».

2 الطَّاحُونُ والطَّاحُونَةُ آلة الطَّحْنِ ج طواحين.

3 الطَّحِينُ المَطْحُون.

4 نَتِجَتِ النَّاقَةُ على ما لم يسمَّ فاعله تُتَجُّ نتاجاً ونَتَجَهَا أهلها من باب ضَرَبَ.

الصورة جميع طبقات الشعب فلا يقعد في المقاهي جمهور كبير يعد خرزات المسابح ويجرع القهوة ويدخن النارجيلة ويلعب بالنرد<sup>1</sup>. بينما الطريق التي يسير فيها إلى القهوة كالثوب الخلق<sup>2</sup> الممزق. وعلى هذه الطريق تمر صفوف من البؤس والصنك بين عتال حافي القدمين أو ولد ممزق الثياب أو امرأة على وجهها هيئة الذل والإنكسار.

إن الحياة في تلك الأرض غير منسجمة وليس بين طبقات الشعب توافق في الشعور ولا في المصلحة. فالطبقة المترفة<sup>3</sup> السعيدة منها لا يخطر لها أن تفكر في الترفيه عن غير السعداء بل هي تستحسن أن يظل في البلاد فقراء لتظل بهم حاجة إلى خدمتها بأتفه الأجور. وكثيراً ما سمعت رجلاً في مطعم أو فندق يستدعي الخادم بنبرة الأمر ذي السلطان كأنها هو من طينة<sup>4</sup> الأشراف وذلك الخادم من طينة مهينة!

وتسمع البعض يتكلمون عن أميركا فيزعمون أنها بلاد المادة. وما كنت أفهم ماذا يعنون بالمادة وهم يتهافتون على اقتناء ما تنتجه المعامل الأميركية تهافت الجياع على القصاص<sup>5</sup> ولا تتوق أرواحهم إلى شيء مثل توقيها إلى الحصول على المادة.

ولقد أوضحت لبعضهم مرة أن في أميركا روحانية نيرة عملية هي أحسن نتائج من روحانية الشرق الحاضرة التي تخدر العقول والعزائم فينام أصحابها على الخضيض<sup>6</sup> ويتوهمون أن النجوم لهم وسائل.

لا، إن الروحانية الأميركية ترمي إلى إصلاح المجتمع وسعادته بتوفير أسباب الراحة والصحة في الكوخ والبيت والقصر والشوارع وتكثير الإنتاج في الحقل والمعمل واستثمار العقول والمواهب استثماراً ترفع معه الأمة قوة ومجداً.

ومهما<sup>7</sup> يجمع أصحاب تلك العقيدة المغلوطة في ميادين التصور والتخييل فلا يستطيعون أن يقولوا

1 النرد: م معرب وضعه أزدشير بن بابك ولهذا يقال النرد شينر وهو لعبة الطاولة في عصرنا الحاضر.

2 خلق الثوب والجلد خلقاً بلي.

3 ترف فلان تنعم فهو ترف.

4 الطينة المهينة: الطينة الخلقة والجليلة. والمهين: ورجل مهين أي حقير.

5 القصاص: القصعة وعاء يؤكل فيه ويترد وكان يتخذ من الخشب غالباً ج قصاع.

6 الخضيض: القرار من الأرض عند منقطع الجبل. والقرار في المكان الاستقرار.

7 مهما: بسيطة لا مركبة من مه وما ولا من ما ما خلافاً لزاعميها ولها ثلاثة معانٍ الأول ما لا يعقل غير الزمان مع

تضمن معنى الشرط مهما تأتينا به من آية الثاني الزمان والشرط فتكون ظرفاً لفعل الشرط كقوله:

وإنك مهما تؤذي بطنك سؤله وفزجك نالا منتهى الدم أجمعا

الثالث الاستفهام:

مهما لي الليلة مهما لي أودي بنغلي وسي بالية

لنا: أن الأميركي الذي يتأثر لكل نكبة من زلزال أو طوفان في أي بلاد قاصية فينهض لإغاثة المنكوبين بالماكل والملابس والأدوية والأموال هو أقل روحانية وأضعف إحساساً من أغنياء في لبنان أو غيره من البلدان العربية يبصرون بأعينهم مشاهد البؤس حولهم فلا ينبض في أجسامهم عرق حنان ولا تنسكب من أجفانهم دموع إشفاق. ولا يخرج من صناديقهم فلس<sup>1</sup> لإغاثة بائس.

بل شعار الأكثرين منهم: أنا وبعدي الطوفان<sup>2</sup>...

ولكن العمل بهذه القاعدة كثيراً ما جلب الطوفان فأغرق في أول ما أغرق أصحاب هذا الشعار...

وإذا تعمق الدارس في البحث عن أسباب النكبات التي أصابت بلادنا الأولى من قبل وجد أن من أكبر الأسباب وأدلتها تفاقم روح الأنانية الفردية. فهي الداء الدوي<sup>3</sup> الذي لا نجاة للشرق من عله إلا بالقضاء عليه. ولا يقضي عليه غير نشر التعليم الوطني الصحيح في كل الطبقات بحيث يصير الغني يدرك أن الفقير أيضاً له حق في الحياة مثل حقه وإن سعادته تتوقف على سعادته. أمّا إذا استعبده واستذله فسيأتي يوم يجيء الأجنبي فيستعبد الجميع ويسخرهم لخدمته كما كان الحال في أيام الاحتلال. وكما جرى في فلسطين ويا لهول<sup>4</sup> ما جرى فيها. فإن التاريخ لم يذكر مثل نكبتها. وستكرّ أجيال قبل أن يزول هولها من الأرواح.

السّمر: 11/2/1949

## ما رأيت وسمعت ماتم كالعرس

سَمِعْتُ عَوِيلَ النَّائِحَاتِ عَشِيَّةَ	في الحيّ يبتعثُ الأسى ويشيرُ
يبكين في جُنْحِ الظَّلامِ صَبِيَّةَ	إنَّ البكاءَ على الشَّبابِ مريرٌ <sup>5</sup>
فَتَجَهَّمْتُ وَتَلَفَّضْتُ مُرْتَاعَةَ	كالظَّبْيِ أيقنَ أَنَّهُ مأسُورٌ

فهذه الأبيات من قصيدتي «الدمعة الخرساء».

1 الفلّس: عملة يتعامل بها مصرية من غير الذهب والفضة وكانت تقدّر بسدس الدرهم ج فلوس.

2 الطوفان: الفيضان العظيم.

3 الداء الدوي: الدوي صوت الرّعد ودوي الرّيح حفيفها ودوي الأذن طنينها.

4 الهول: وهاله الشيء أفزعه.

5 جُنْحِ الظلام: الجُنْح من الليل قدر منه.

وهكذا تلفتُ أنا عندما كنَّا عاندين مِنْ جولة في ضهور الشوير وبكفئًا ورأيتُ الطَّرِيقَ عند أنطلياس مكتظةً بالخلقي وسمعتُ ولولَةً ونواحاً فاستوقفتُ السيَّارة ونزلتُ منها ونزل معي رفاقي ومشيتُنا إلى ناحيةِ النُّواح. فرأيتُنا مشهداً يروُّعُ النَّفس ويملأ القلبَ حُزناً فقد اجتمع النَّاسُ في تلك الناحية لتوديع صبيَّة ماتتْ في ريعانٍ<sup>1</sup> الصِّبَا وكلَّهم باهت كَظِيم<sup>2</sup>.

وظهر مِنْ تَأَلُّب النَّاس أنَّ الفقيدة ابنة وجيه مشهور في تلك المِنطقة. وكان في الساحة أمام البيت عددٌ مِنَ الشَّبَاب رفعُوا على أَكْفُهُم نَعش تلك الصَّبيَّة المتوفاة وكانوا كلِّما أدرك سواعدهم التعب تقدَّم آخرون وحملوا النَّعش عنهم. وإلى جانبهم وقف أربعة أو خمسة مِنَ الندَّابِين يرثون الصَّبيَّة زَجَلًا<sup>3</sup> ويتفجَّعون عليها بأقوال تدلُّ على حُرقة<sup>4</sup> كاوية.

وبين فترة وأخرى كان حَمَلَةُ النَّعش يميلون به على سواعدهم ذات اليمين وذات اليسار كأنَّهم يقصدون بعملهم هذا أن يقولوا أَتُنَّا في عَرَسٍ<sup>5</sup> الصَّبيَّة لا في مأتمها. إنَّ للحزن نشوة كنشوة الفرح. وربَّما اشتدَّ الحزن بالإنسان فضحك وامتدَّ به الفرح فبكى كالزورق في بحرٍ هائج. أو نوءٌ<sup>6</sup> عاصف.

وكنتُ والذين معي واقفين على مسافة قريبة مِنْ ذلك المشهد نستمعُ إلى الندَّابِين ونحن واجهون. فجاء ثلاثة شُبَّان ودعونا إلى داخل المنزل فدخلنا وعزَّينا الذين كانوا هناك وبينهم شاب أذبل الحزن أجفانه ونشر في وجهه كآبة عميقة. وحيرة قاتلة. وكأنَّه استأنس بي فاندفع يخاطبني ويقول: إنَّ أحسن الأيَّام وأسعدها أَمْسُ الذي انقضى. لأنَّ الإنسان عَرَفَ ما فيه. أمَّا الغد فلا يعرف أحد ما في مطاويهِ. فقلتُ له: ولكن الأَمْسُ الذي انقضى كان قبل مجيئه غداً ثم صار يوماً ثم انطوى فصار أَمْساً. ولكلُّ يوم في الدَّهر خيرُه وشرُّه وحلوه ومزُّه. وخَلُّه وخَمَرُه. وقد يكون في ما تحسَّبه خيراً شَرٌّ كبير. أو خطر مستطير<sup>7</sup> وقد يكون كما نحسب هو الخير العَمِيم.

وإنِّي لأراك في حالة هياج عاطفي كحالة الزورق في بحرٍ هائج. أو نوءٌ عاصف. فاعتصم بالصَّبْر

1 ريعان: وريعان كلُّ شيءٍ أوَّلُه ومنه ريعانُ الشَّبَاب.

2 كَظِيم: وكَظُم غيظه اجترعه وبابه ضرب فهو رجلٌ كَظِيم والغِيظ مَكْظُوم.

3 الزَّجَل نوع من أنواع الشَّعر تغلب عليه العامية ج أزجال.

4 الحُرقة الحرارة ما يجده الإنسان من لَذَّة الطَّعم أو الحُب أو الحُزن.

5 العَرَس: الزَّفاف والتَّزويج ج أعراس.

6 النُّوء: سقوط نجُم من المنازل في المَغْرِب مع الفَجَر وطلوعه رَقِيْبُه من المَشْرِق يقابله من ساعته في كلِّ ثلاثة عَشَرَ

يوماً ما خلا الجبهة فإن لها أربعة عَشَرَ يوماً وكانت العرب تضيف الأمطار والرَّياح والحَرَّ والبرد إلى الساقط مِنْهَا.

7 المُسْتَطِير: استَطِير فزادَه أَصابه دُعرٌ وفَزَعٌ.

وسلم أمرك إلى رب الحياة والموت.

وكان هذا الشاب كما قيل لي يحاول أن ينظم قصيدة في وداع الصبيّة الراحلة ولكنّ حزنه عليها  
ضعف منه الفكر. فما استطاع غير التهنّد والبكاء. وكم في سكب الدُموع من شفاء.  
وأزف الرحيل. فتألّب الناس حول النّعش ووراءه وأمامه. فخرجنا من البيت وإذا بنا نسمع  
خطيباً واقفاً على سلم الدار يرثي الرّاحلة ويودّعها. ثمّ رأينا الأيدي ترتفع في الهواء وتثر أوراق الورد  
على النّعش.

ثمّ ساد سكونٌ عميق ومشى الموكب في صمت ووقار فسرنا فيه حتى بلغنا سيارتنا وهناك مرّ بنا  
الشّاعر الحسّاس قبلان مكرزل فانضمّ إلينا وجلس معنا قليلاً ثمّ فارقنا وتابعنا نحن المسير إلى بيروت.  
وكلّنا يقول:

أكذا نموت وتنقضي أحلامنا      في لحظة وإلى التراب نصير  
خيرٌ إذن منّا الألى لم يؤلّدوا      ومنّ الأنام جلامدٌ وصخور<sup>1</sup>

السّمير: 14 / 2 / 1949

## ما رأيت وسمعت شجرة الميلاذ في بيروت

اقترّب عيد الميلاذ فأطلّت الأعياد والدُمى وبطاقات العيد من واجهات الحوانيت في بيروت على  
حدّ ما يرى المرء في أيّة مدينة أميركية صغيرة. ولا سيّما في الأسواق التجاريّة حيث تتهافّت النّساء على  
شراء الهدايا ولوازم الإحتفال بالعيد.

ومشت الديوك الهنديّة ذات الأعراف الحمراء في موكب سانتا كلوز الذي يغلب على الألسنة هناك  
اسمه الفرنسي وهو بابا نويل. فقد رأيتُ سرباً كبيراً من هذه الديوك يسوقه رجل في الشارع ويهشُّ  
عليها بعضاً في يده لتّحيد من طريق السيّارات لثلاث تدهسها فينقلب العيد عنده إلى ماتم... وإن كان لا  
فرق عند الديوك أدهسها الدّواليب أم ذبحتها السكاكين...

وليس منظر هذه الديوك السائرة في الشارع بغريب فقد رأيتُ قطيعاً كبيراً من الغنم يسوقه صاحبه  
كما يسوق ذاك ديوكه. إلى أين.. إلى الذبح!...

وتفتنّ العائلات في تزيين شجرة الميلاذ مثلما يتفتنّ الأميركيون بل أكثر. وهم يستخدمون القناديل

1 الجلمد: الصّلب أو الصّخر الصّلب.



الكهربائية الحديثة الطراز لإضاءتها في الليل. ولكنَّ البعض لا يزالون يستعينون بالشَّمْع ولكنهم لا يشعلونها غير لحظات لما فيها من الخطر.

ويؤتى للأولاد بالهدايا وأكثرها ألعيب مثل بنادق وقُطُر وعجلات تُدار بالمفاتيح. وكلها مجلوبة من الخارج.

وتتهافتُ الجرائد في بيروت على أن تصدر كُل واحدة عدداً خاصاً بالميلاد تنشرُ فيه المقالات الرائعة والقصائد الجميلة والرُّسوم الرمزية عن صاحب العيد.

ولكن شيئاً واحداً لا يرافق عيد الميلاد في بيروت هو الثلج. فهي من هذا القبيل<sup>1</sup> مثل فلوريدا. وكنتُ أقول مثل كاليفورنيا لو لم تهب عليها في الآونة الأخيرة العاصفة الثلجية.

وكأنني بأصحاب الحوانيت تنبَّهوا إلى هذه النَّاحية عندما راحوا يُلصِقُونَ على زجاج النوافذ جُذُاذات<sup>2</sup> القطن البيضاء التي تذكرُ الناظرين بالثلج. مع أن السائر في بيروت يكفيه أن يمدَّ بصره إلى قمم صُتُن ليرى الثلج جبلاً فوق تلك الجبال.

وجاء اليوم الذي يَشِيق العيد فشعرتُ نفسي بإنقباض. فأنا في وطني ولكنني بعيد عن عائلتي وجيراني وأصدقائي الذين تعودتُ أن أستقبل العيد معهم. وكنت قد تلقَّيتُ دعوات عديدة فامتنعتُ عن قبولها إلا واحدة جاءني من صديق حميم في برمانا وهو اسبريدون رزق الذي مضى عليه مع عائلته أكثر من سنة في ربوع لبنان ولم تزل بهم رغبة في البقاء إلى الصَّيف القادم. كل غريب للغريب نسيب.

وفي ذلك الفندق البيتي رأيتُ جمهرة من اللاجئين الذين تركوا بيوتهم في فلسطين ونجَّوا بأنفسهم. وأقاموا في برمانا ينتظرون الفرج وهم لا يعلمون ما تحبِّيء لهم الأيام. ويبدو عليهم أنَّهم كانوا من أهل اليسار أو الأقل كانوا في بُحْبُوحَة<sup>3</sup> من العيش.

كنتُ أنظر إلى هؤلاء الهاربين من وجه الطُغْيَان والفتك والانتقام وأتعجَّب من قسوة العالم الرَّاقِي المتمدن الذي ينادي بحقوق الإنسان في كل مكان فإذا ذكرتُ له فلسطين وأهلها صمَّ أذنيه وأطبق عينيه وزمَّ شفَتَيْهِ وصار كأنه عالمٌ سحريٌّ بعيد عن هذه الدنيا.

وعلى ذكر اللاجئين التُّعَسَاء أقول إنني التقَّيتُ في دمشق بالرجل الإنساني بيارد ضودج في مأدبة أقامها رئيس الوزارة السورية السابق جميل مردم في قصره للوفد الأميركي المؤلف من المستر غريفت سفير الولايات المتحدة في مصر وثلاثة معه وأتَّفِقَ أن مكاني كان بجانب الدكتور ضودج فقلت له: ظننتُ أنك تقاعدت عن العمل. فأجابني: إنني أسعى للحصول على أقوات وأكسيّة لمشردِّي فلسطين

1 القبيل: الصُّف المماثل تقول: خذ هذا أو ما كان قبيلة.

2 الجُذُاذة: الجُذُاذات القُرَاضَات والقراضات بالضمُّ ما سقط بالقرض ومنه قراضة الذهب.

3 ويُحْبُوحَة الدَّار وسطها بضم الباءين.

البؤساء فقلت له : ليتك تسعى لتحصل لهم على قليل من الإنصاف !...  
فارتبك قليلاً وما لبث أن قال لي : هذه المهمة مهمتكم أيها الصحافيون !  
ثم أخذ يتذمر من كون الجرائد الأميركية لا تفتح صدورها لما يود أن يقوله الزاعنون في سطر  
القضية الفلسطينية .

وسمعتُ موظفاً أميركياً آخر ينقرُ أمامي على هذا الوتر . وينقي اللوم على الجرائد الأميركية .  
وفي الواقع لو أن الظلم الذي أصاب سبعماية ألف عربي في فلسطين أصاب سبعة يهود في أية بقعة  
من الأرض لما بقي فلم ولا لسان إلا تحرك في إثارة غضب الرأي العام ونقمة على الذين اضطهدوا  
اولئك السبعة .

أما السبعماية ألف عربي فلم ينادوا من عطف العالم المتمدد أكثر مما تناله منهم عادة شحراحتنا  
زوبعة أو التهمتها النار !!

ما أظلم الإنسان للإنسان !  
وما أقرب الظلم من الضعفاء !

السَّمِير : 15 / 2 / 1949

## ما رأييت وسمعت

ما كان أجمل جلستنا في ذلك المنتزه المرح على الشاطيء عند صخرة الزوشة في ضاحية بيروت .  
كان البحر المتهلل كأنه يتسم لنا أو يضحك معنا . وإلا فما هذه التموجات البيضاء التي تثلو  
بعضها بعضاً راقصة شادية ؟

وكانت السماء قد تعرت من جلباب<sup>1</sup> الغيوم وشاع الصفاء في الآفاق وأرسلت الشمس أشعتها  
الوانية لعلها تخفف من وطأة البرد .

ولكن لا المنتزه الأنيق ولا موقعه الساحر ولا ابتسامات البحر ولا تألق السماء . كان يكون لها هذا  
الجلال والروعة في نفسي لو لم يكن معي الرفيق القديم في نيويورك ناسك الشخروب الذي طلق دنيا  
الناس وما في دنيا الناس من أزومات وكروب وحروب وغير حروب . وشاد لذاته في تلك القمّة الضيقة  
المعتزلة من صنين الجبار دنيا تنطوي فيها كل دنيا !

لا ريب في أن القاريء أدرك أنني أعني الكاتب المشهور مخايل نعيمة الذي عاش في نيويورك زمناً  
فكان كلما طرق أذنيه ضجيجا استيقظ فيه الشوق إلى الهدوء والسكينة وكلما آذى عينيه الإزدحام في

1 الجلباب : الملحقة .

شوارِعِهَا حَنًّا إِلَى الْفُضَاءِ الرَّحْبِ الْفَسِيحِ. وَكَلَّمَا شَاهَدَ تَكَالَّبَ النَّاسَ فِيهَا عَلَى الْحُطَامِ<sup>1</sup> اشْتَدَّتْ فِي نَفْسِهِ الرَّغْبَةُ إِلَى الزُّهْدِ.

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغِبَتْهَا      فَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

وَفِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الصَّحْوِ وَالْإِشْرَاقِ تَطَلَّعَ النَّسْرُ مِنْ نَافِذَةِ بَنَاءٍ شَاهِقَةٍ فِي نِيُوبُورْكَ فَرَأَى الْفُضَاءَ حُرًّا وَرَأَى فِي الْفُضَاءِ سَحْرًا. فَصَفَّقَ بِجَنَاحَيْهِ حَتَّى وَثِقَ مِنْ أَنَّهَا لَا يَزَالَانِ قَوِيَّيْنِ قَادِرَيْنِ عَلَى حَمْلِهِ فَاسْتَجْمَعَ نَفْسَهُ وَطَارَ... وَاخْتَارَ الشَّخْرُوبَ لَهُ الْوَكْنَةَ<sup>2</sup>. وَهَنَّاكَ طَابَ لَهُ الْمَقَامُ...

مِنْ تِلْكَ الْقِمَّةِ الشَّاهِقَةِ فِي صَنْيْنٍ يَنْظُرُ مَخَائِلَ نَعِيمِهِ إِلَى أَقْوَالِ النَّاسِ وَأَعْمَالِ النَّاسِ فَيَهْتَفُ مَعَ الْجَامِعَةِ - بَاطِلُ الْبَاطِلِ وَكُلُّ شَيْءٍ بَاطِلٌ.

وَهَذِهِ الْغُمْرَةُ مِنَ الزُّهْدِ الَّتِي يَصَاحِبُهُ الْإِسْتِخْفَافُ بِمَقَايِيسِ الْبَشَرِ جَعَلَتْ النُّعَيْمَةَ أَقْرَبَ إِلَى الْغَيُومِ الَّتِي تَمَرُّ فَوْقَ صَنْيْنٍ. وَالثَّلُوجُ الَّتِي تَكْسُو صَنْيْنٍ. وَالْأَشْجَارُ الَّتِي تُعْرَى وَتُكْسَى فِي ذَلِكَ الْجَبَلِ. وَالصُّخُورُ الصَّامِتَةُ الْبَاهِتَةُ هُنَاكَ مِنْهُ إِلَى الْبَشَرِ.

وَلَا أَعْنِي أَنَّهُ يَجِبُ تِلْكَ أَكْثَرَ مِنْ هَؤُلَاءِ. بَلِ الَّذِي أَعْنِيهِ أَنَّهُ صَارَ أَكْثَرَ اهْتِمَامًا بِهَا فِي الطَّبِيعَةِ مِنْ الْغَازِ وَأَسْرَارِ وَرُمُوزٍ وَمَشَاهِدٍ مِنْهُ عِنْدَمَا كَانَ فِي نِيُوبُورْكَ حَامِلًا بِيَدَيْهِ «الْغُرْبَالَ» مَتَهِيئًا لِتَحْطِيمِ أَصْنَامِ الْأَدَبِ الْبَهْلَوَانِيِّ. فَقَدْ اسْتَهْوَاهُ التَّصَوُّفُ فَأَصْبَحَ مِنْ أَكْبَرِ دُعَاةِ فِي تِلْكَ الْأَرْضِ الَّتِي لَمْ تَزَلْ بِهَا حَاجَةٌ مَاسَّةً إِلَى قَلَمِ صَاحِبِ «الْغُرْبَالَ» كَحَاجَتِهَا إِلَى الْمَعْوَلِ الَّذِي يَنْقَرُ بَطْنَ الْأَرْضِ فَيُصْلِحُهَا وَيَسْتَخْرِجُ مِنْهَا الْحَبَّ وَالْبَقْلَ. أَوْ إِلَى الْمَعْوَلِ الَّذِي يَهْدِمُ كُلَّ بِنَاءٍ مُضْطَعِضٍ مُتَدَاعٍ لِيَقُومَ مَكَانَهُ بِنَاءٌ جَدِيدٌ.

لَا أَقُولُ أَنَّ تِلْكَ الزُّوْبَعَةَ قَدْ هَمَدَتْ وَاضْمَحَلَّتْ عِنْدَمَا بَلَغَتْ الشَّخْرُوبُ وَلَكِنِّي أَقُولُ أَنَّهَا تَحَوَّلَتْ مِنْ الْأَرْضِ إِلَى الْفُضَاءِ لَعَلَّهَا تَبْلُغُ الْكَوَاكِبَ.

وَقَدْ أَعَانَتْ الْعِزْلَةَ النَّعِيمِيَّ عَلَى اسْتِثْمَارِ مَوْهَبَتِهِ فَهُوَ يُؤَلِّفُ فِي كُلِّ سَنَةٍ كِتَابًا. وَيَلْقِي عِدَّةَ مُحَاضِرَاتٍ قِيَمَةٍ. وَآخِرُ مَوْلَفَاتِهِ كِتَابٌ بِاللُّغَةِ الْإِنْكَلِيزِيَّةِ طُبِعَ فِي بِيْرُوتَ بِاسْمِ «مِرْدَاد» وَلَعَلَّهُ الْكِتَابُ الَّذِي كَانَ يَنْوِي طَبْعَهُ فِي نِيُوبُورْكَ.

كَنَّا - مَخَائِلَ وَأَنَا - نَلْتَقِي مِنْ قَبْلُ وَلَا نَلْتَقِي. نَلْتَقِي فِي مَا أَقْرَأُ لَهُ وَيَقْرَأُ لِي. وَلَا نَلْتَقِي لِلْمَسَافَاتِ الشَّاسِعَةِ الَّتِي تَفْصِلُ بَيْنَ نِيُوبُورْكَ وَبِسْكَتْنَا.

«وَهُؤُنَ اللَّهُ وَعَدْنَا فَالْتَقَيْنَا» فِي لَبْنَانَ كَمَا قَالَ الدَّرُوشُ. فَانْتَفَضَتْ الذِّكْرِيَّاتُ النَّائِمَةُ فِي نَفْسِهِ وَنَفْسِي. وَكَانَ فِي ذَلِكَ غَيْبُطَةٌ وَغَيْبُطَتِي. كَمَا كَانَ فِي بَعْضِهَا أَلْمٌ لِرُوحِي وَرُوحِهِ. وَلَكِنْ حَتَّى الذِّكْرِيَّاتِ الَّتِي تَوَلَّمُ فِيهَا لِلْمَسْرَةِ طُيُوفٌ وَأَشْبَاحٌ. فَإِنَّكَ عِنْدَمَا تَبْكِي عَلَى إِنْاءٍ انْكَسَرَ تَتَذَكَّرُ أَنَّهُ كَانَ إِنْاءً صَحِيحًا

1 الحُطَامُ مَنَاجِ الدُّنْيَا، وَالْحُطَامُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَا تَكْسَرُ مِنْهُ.

2 الْوَكْنَةُ: الْوَكْنُ عَشْرُ الطَّائِرِ فِي جَبَلٍ أَوْ جِدَارٍ.

وكان لك فيه شرابٌ سائغٌ لذيد.

إنَّ النِّعَمِي ناسكٌ ولا كالنُّسَّاك اعتزل عن الناس في رأس جبل لكي يخدم الناس وانقطع عن العالم لكي يعانق الله في تلك الصَّومعة<sup>1</sup>.

ولا يزال مخائيل محتفظاً بنشاطه الروحي ولكنه مع عزليته وتمزده انجرف في تيار العادة الدَّارجة هناك فصار يمشي وفي يده عصاً ويجلس وفي يده منسبحة<sup>2</sup>!

السَّمير: 16/2/1949

## ما رأييت وسمعت

### المجمع العلمي - حلقة الزهراء - قوَّة الأدب

يرى الزائر في دمشق الوجه العُمُراني منها عندما يشاهد الأبنية الحجرية البيضاء الحديثة الطراز والشوارع الجديدة كما يرى في جوامعها ومتاحفها وشوارعها القديمة وجهها التاريخي.

إنَّها لمدينة دمشق وجه آخر لا يراه المرء في الشوارع ولا في الأبنية هو وجهها العلمي الذي يأتي أن يلوح إلا لمن يحنُّ إليه ويسعى نحوه.

رأيتُ هذا الوجه عندما زرتُ المجمع<sup>3</sup> العلمي وتعرَّفتُ إلى الأديب الكبير الشَّاعر المتواضع خليل بك مردم نائب رئيس المجمع وإطلَّعتُ على الكتب القيِّمة التي أخرجها المجمع من عالم الخفاء وعلى مجلَّته الحافلة بالفصول العلميَّة والتَّاريخيَّة والأدبيَّة. فأعجبتُ بما يبذله رجال المجمع من جُهود في خدمة العلم والأدب.

وسرَّني أن التقيتُ هناك بالعالم المتوقِّد الذَّهن الواسع الإطِّلاع الأمير مصطفى الشهابي الذي استقال من محافظة اللاذقية لينصرف إلى التَّأليف كما أخبرني. غير أنَّي ما لبثتُ أن قرأتُ في الجرائد أنَّ الحكومة تنوي أن تعيِّنه وزيراً مفوضاً في الأرجنتين. ولا أدري إذا كانت نفذت نيتها. غير أنَّي أعتقد أنَّ عالماً مثله تستفيد الأُمَّة من مواهبه وهو منصرف إلى التَّأليف أكثر ممَّا تستفيد منه وهو منصرف عنه.

ولا يُذكر المجمع العلمي حتى يحضر إلى الخاطر إسم رئيسه الأستاذ محمد كرد علي الذي جاوزَ الثمانين وشهد الأحوال والإنقلابات التي مرَّت بالشرق في مدى تلك السنين ولا يزال على رغم الشيخوخة حاضر النكته صافي الذَّهن. وقد أكثرتُ صنيعه عندما جاء بنفسه إلى الحفلة وألقى خطابه

1 الصَّومعة: بيت العبادة عند النَّصارى.

2 المنسبحة: الشُّبحة خرزات منظومة للتَّشبيح والدَّعاء ج سُبْح.

3 المجمع: مؤسَّسة للتهوُّص باللُّغة أو العلوم أو الفنون وغيرها ج مجاميع.

فَقُمْتُ بِزِيَارَتِهِ فِي دَارِهِ تَقْدِيرًا لِصَنِيعِهِ وَاعْتِرَافًا بِفَضْلِهِ.

وَجَاءَنِي مَنْ يَدْعُونِي إِلَى «حَلَقَةِ الزَهْرَاءِ» فَقُلْتُ: وَمَا هِيَ «حَلَقَةُ الزَهْرَاءِ»؟

فَقِيلَ لِي: إِنَّهَا جَمْعِيَّةٌ أَدَبِيَّةٌ أَنْشَأَتْهَا السَّيِّدَةُ زَهْرَاءُ الْعَابِدِ يَلْتَقِي فِيهَا الْأَدَبَاءُ وَالْأَدِيبَاتُ فَيَتَذَكَّرُونَ الْعِلْمَ وَيَتَنَاشَدُونَ الشَّعْرَ بَلْ أَكْثَرَ الْمُتَضَوِّينَ إِلَيْهَا مِنَ الْجِنْسِ اللَّطِيفِ. وَهُمْ يَعْقِدُونَ جُلُوسَاتِهِمْ فِي مَنْزِلِ الزَّهْرَاءِ. فَذَهَبْتُ يَرِافِقُنِي الْأَسْتَاذُ يَوْسُفُ إِبْرَاهِيمَ يَزُوكَ فَإِذَا الدَّارُ مُكْتَظَّةٌ بِالنَّاسِ وَكَانَتْ هُنَاكَ الرَّعِيْمَةُ الْهِنْدِيَّةُ كَمَا لَا مِثْلَ الْهِنْدِ فِي مُؤْتَمَرِ الْأُونِسْكَو.

وَبَعْدَ مَا تَمَّ التَّعَارُفُ نَهَضَتْ رَئِيسَةُ الْجَمْعِيَّةِ فَأَلْقَتْ كَلِمَةً تَرْحِيبَ وَتَلْتُمُهَا الْكَاتِبَةُ الْمَفْكُورَةُ الْجَرِيئَةُ وَدَادَ سَكَكِينِي فَأَلْقَتْ كَلِمَةً دَلَّتْ عَلَى عَاطِفَةٍ نَبِيلَةٍ وَبَيَانٍ عَرَبِيٍّ جَمِيلٍ.

وَأَخِيرًا تَكَلَّمْتُ بِالْإِنْكِلِيزِيَّةِ الزَّائِرَةِ الْهِنْدِيَّةِ.

وَكَانَتْ لِي كَلِمَةٌ فِي شُكْرِ الْحَلَقَةِ وَالْخَطِيبَاتِ أَتْبَعْتُهَا بِوَصْفِ مَا عَلَيْهِ الْمَرْأَةُ الْأَمِيرَكِيَّةُ مِنْ حُرِّيَّةٍ وَانْطِلَاقٍ وَشُعُورٍ بِالْوَاجِبِ نَحْوَ مَمْلَكَتِهَا الصَّغِيرَةِ وَهُوَ الْبَيْتُ وَنَحْوَ مَمْلَكَتِهَا الْكُبْرَى أَيْ الْوَطَنِ. وَكَيْفَ أَنَّهَا تَسِيرُ وَالرَّجُلُ جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ فِي كُلِّ الْمِيَادِينِ فَهِيَ مَعَهُ فِي الْمَعْمَلِ وَهِيَ رَفِيقَتُهُ فِي الْمَكْتَبِ. وَهِيَ إِلَى جَانِبِهِ فِي كُرْسِيِّ التَّعْلِيمِ وَدِيْوَانِ الْحُكْمِ. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الْوَاقِعَةِ الَّتِي يَصْلَحُ سَرْدُهَا وَوَصْفُهَا حِفْزَ أَلْرُوحِ الْمَرْأَةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي لَمْ تَزَلْ تَعِيشُ عَلَى هَامِشِ الْحَيَاةِ مَعَ أَنَّهَا هِيَ لُبُّ الْحَيَاةِ وَلَوْ أَنَّ الرَّجُلَ عَرَفَ قِيَمَتَهَا وَأَشْرَكَهَا فِي الْمَسْئُولِيَّةِ لَاسْتَطَاعَتْ الْأُمَّةُ الْعَرَبِيَّةُ أَنْ تَبْلُغَ أَمَانِيهَا فِي زَمَنِ غَيْرِ مُتَطَاوِلِ الْمَدَى. وَلَمَّا أَصَابَهَا مَا أَصَابَهَا مِنَ الرِّزَايَا فِي الْفَتْرَةِ الْآخِرَةِ.

وَبَعْدَ ذَلِكَ دُعِينَا إِلَى مَقْصِفٍ<sup>1</sup> أَنْبَقَ وَأُدِيرَتْ عَلَيْنَا أَكْوَابُ الشَّاي وَالْقَهْوَةُ وَأَنْوَاعُ الْحَلْوَى وَالْمَعْجَنَاتِ...

وَدَنَا مَوْعِدُ السَّفَرِ. وَلَمْ يَبْقَ غَيْرُ لَيْلَةٍ. فَنَهَضْتُ فِي الصَّبَاحِ وَأَخَذْتُ أَلْمُثْيَابِي وَأُورَاقِي وَأَحْزَمَ حَقَائِيبِي وَأَكْتُبُ بَعْضَ الرِّسَائِلِ. وَإِذَا بِالْخَادِمِ يَدْخُلُ إِلَى الْغُرْفَةِ بِبِطَاقَةٍ مِنْ سَيِّدَةٍ وَيَسْلُمُهَا إِلَيَّ رَفِيقِي يَزُوكَ. فَتَزَلُّ إِلَى قَاعَةِ الْإِسْتِقْبَالِ ثُمَّ عَادَ بَعْدَ قَلِيلٍ مُسْرِعًا وَهُوَ يَقُولُ: إِنَّ فِي الْقَاعَةِ سَيِّدَةً جَلِيلَةً تَرْجُو مِنْكَ أَنْ تَزُورَ مَدْرَسَةَ دَوْحَةِ الْأَدَبِ لِلْبَنَاتِ وَقَدْ أَخْبَرْتُهَا أَنَّكَ مَشْغُولٌ وَأَنَّ الْوَقْتَ غَيْرَ مُتَّسِعٍ لَدَيْكَ ثُمَّ خَشِيتُ أَنْ تُظَنَّ أَنَّي لَا أَوْدُ أَنْ تَقُومَ بِهَذِهِ الزِّيَارَةِ فَاسْرَعْتُ لِلْوُقُوفِ عَلَى رَأْيِكَ.

قُلْتُ: بَلْ نَزُلُ عَلَى رَغْبَةِ السَّيِّدَةِ فَهَيَّا بِنَا.

وَخَرَجْنَا فَإِذَا سَيَّارَةٌ فِي انْتِظَارِنَا مَضَتْ بِنَا إِلَى تِلْكَ الْمَدْرَسَةِ الَّتِي تَحْوِي أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِمِائَةِ طَالِبَةٍ تَقُومُ عَلَى إِدَارَتِهَا جَمْعِيَّةُ دَوْحَةِ<sup>2</sup> الْأَدَبِ النَّسَائِيَّةِ وَهِيَ جَمْعِيَّةٌ تَأَلَّفَتْ فِي دِمَشْقَ فِي سَنَةِ 1928 مِنْ خَيْرَةِ سَيِّدَاتِ دِمَشْقَ.

1 المَقْصِفُ مَكَانٌ لِلتَّرْفِيهِ وَتَنَاوُلِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ.

2 الدَّوْحَةُ: الشَّجَرَةُ الْعَظِيمَةُ الْمُنْشَعِبَةُ ذَاتُ الْفُرُوعِ الْمُمْتَدَّةِ مِنْ شَجَرِ دَوْحٍ.

وهي مدارس تهتم بأهل بيوتها على حسن الإدارة من جهة وعلى حاجة البلد إليها. وهي تتألف من روضة الأطفال. التي يُدرّس فيها مسعرات البنين والبنات بين الثالثة والسادسة. والقسم الابتدائي ويُقبَل فيه البنات والبنون الذين أتموا السنة السادسة من العمر.

ثم القسم الثانوي وتدرّس فيه كل فتاة نالت الشهادة الابتدائية الرسمية.

ولا تقتصر مهمة هذه المدرسة على التعليم بل تنعدها إلى تدريب الفتاة على الحياة المنزلية والعناية الصحفية وتربية الأطفال وفي الطبخ والتغذية والخيطة والتفصيل وسائر العلوم التي تهيم الفتاة لحياة عائلية راقية.

والذي استنتجته من كلامها وكلام بعض الفتيات والسيدات أن المرأة المتعلمة تعتقد أن الرجل مسؤول عن تأخير المرأة حتى الذي لا يعاكس نهضتها ولا يعرقل سيرها. فإن مجرد وقوفه وقفة المتفرج فيه تثبیط لمهبتها وعرقلة لمساعدتها.

وكيفما كان الأمر فإن هذا الشعور الذي يحتاج في نفسها سيدفع بها إلى الأمام وبلغها الغاية التي تنشدها أحب الرجل أم كره. فإن الفكرة الصحيحة كنور الصباح تستطيع أن تحتجب عنه ولكنها لا تستطيع أن تظلمته.

وما دُمت في الحديث عن المدارس يحسن بي أن أخبر القراء أن الحكومة السورية مهتمة أشد الإهتمام في تعميم العلم وهي تنشيء المدارس في القرى والدسائر توصلاً إلى هذه الغاية. ولا بدع<sup>2</sup> أن تبدو منها هذه الهمة وعلى رأس وزارة المعارف رجل من أكبر أدباء الشرق وهو محسن بك البرازي الذي يزداد تواضعاً كلما ازدادت مكانته ارتفاعاً.

السّمر: 1949 / 2 / 25

## ما رأيت وسعيت قبر صلاح الدين الأيوبي

تعوّد الناس في الشرق ومثلها الناس في الغرب أن يزوروا قبور الأنبياء والأولياء في مواسم أعياد معينة أمّا قبر صلاح الدين الأيوبي البطل الخالد. والمحرّر الكبير الذي كتب ببطوليته أنصع صفحة في تاريخ الأمة العربية كما كتب في سجل الأخلاق العالية والمكارم السّمحاء أروع الآيات. فإنه يُزار كما

1 وقفة: اسم نوع أو هيئة: فإذا كان الفعل ثلاثياً كانت المزة منه على وزن فعلة كضربة والهيئة أو النوع على وزن فعلة كمشية.

2 ولا بدع: البدع الأمر الذي يفعل أولاً يقال: ما كان فلان في ذلك بدعاً. والغاية في كل شيء وذلك إذا كان علماً أو شجاعة أو شرفاً جأبداع.

تُزار الآثار. وهذا لا يتناسب مع كرامة هذا البطل. إذ لا يكفي أن يُرفع لمثله ضريح في قبّة. فإن شيئاً مثل هذا لسلطين لم يكونوا أبطالاً. والملوك لم يشهدوا قتالاً ولم يفعلوا شيئاً يستحق التدوين في التاريخ. فمن العَين<sup>1</sup> أن يكون صلاح الدين الأيوبي وهؤلاء سواء<sup>2</sup>...

ذهبتُ لزيارة ضريح هذا العظيم يرافقني الأديبان سليم الزركلي ويوسف يزبك. فإذا نحن أمام بوابة من خشب ذات ميزلاج<sup>3</sup> وكانت موصدة فجاءت امرأة كهلة ورفعت الميزلاج، فانفتحت البوابة ودخلنا ومشينا في أرض حديقة ذات شجر فيها بركة ماء. وما هي غير خطوات حتى صرنا أمام الحجرة فدخلناها وإذا هناك قبران لا قبر واحد أمّا القبر الثاني فهو قبر وزير صلاح الدين.

ونس على القبرين أسماء وإنما على أحدهما كتابة عربية تدور به. ورأيت على أحد جدران الحجرة آثار خطوط حاول الزوّار كتابتها ليثبتوا أسماءهم هناك ويطالعها الذين يأتون بعدهم. وكم شوّهت هذه الرغبة الصبائية من جدران وموائد وأشجار.

ويظهر بل من المؤكد أن تلك المرأة تقوم هي وزوجها على حراسة الضريح. والعناية بالزائرين غير أنها لا تعرف إلا القليل النذر من تاريخ النائم فيه. وليس ثمّة<sup>4</sup> بطاقة ولا كراس ولا رسم مطبوع يستطيع الزائر أن يشتريه ويحمله معه تذكراً.

وهذا الإهمال مشهود أيضاً في قلعة بعلبك فلا سبيل هناك إلى الحصول إلا على بطاقات لا تروي غلّة<sup>5</sup> ظمآن إلى معرفة تاريخ القلعة ولا سبيها جماعة الشّيح. وقد رأيت عدداً من الأميركيين يتساءلون عمّا إذا كان في الوُضع الحصول على كراس يحوي تاريخ القلعة وما فيها من آثار. وقد أحببت الفكرة ولعل الحكومتين اللبنانية والسورية أو إحداها أو أية هيئة أخرى تقوم بسدّ هذا الفراغ فتقيد وتستفيد.

أمّا المظهر الذي ترك في نفسي أثراً طيباً في دمشق فهو رؤية الدُخان يتصاعد من معمل في ناحية منها فقد دلّني هذا اللّهاث الأسود على ولادة طيّبة للصناعة. وزاد في طربي الإتقان الرّائع والتنظيم الجميل في معمل الغزل والنسيج للشركة الخُمّاسيّة وهو معمل كبير يمكن تشغيل 1200 عامل فيه وكل أنواله وآلاته حديثة الطراز<sup>6</sup> مجلوبة من الولايات المتّحدة وأحد أعضاء هذه الشركة صديقي أنور قطب الذي قضى رَدْحاً<sup>7</sup> من الوقت في نيويورك.

1 الغبن: غبنه في البيع غبناً غلبه ونقصه.

2 سواء: المثل والنظير.

3 الميزلاج ما يُغلق به ويُفتح باليدج مزاليج.

4 ثمّة: اسم يشار به إلى المكان البعيد بمعنى هناك وقد تلحقه التاء فيقال: ثمّة.

5 الغلّة: شدة العطش وحرارته وما يوارى الإنسان ج غلّل.

6 الطراز: النمط والشكل والجيد من كل شيء ج أطرزة.

7 الرّدح: المدة الطويلة.

وهذا المعمل قائم في مساحة<sup>1</sup> واسعة من الأرض على طريقة هندسيّة مُعجّية. وفيه كل الوسائل الحديثة من أضواء كهربائية ومغاسل للعمّال وأماكن للراحة والقيْلولة<sup>2</sup>. وإلى جانبه معمل كبير لتوليد الكهرباء تستعيرُ منه القوّة أحياناً شركة تنوير المدينة.

والقائمون بهذه الشراكة رَهْط<sup>3</sup> من الشبّان ذوي العزائم الماضية والنظر الثاقب<sup>4</sup> والنفوس الطموحة. وقد وضعتْ خريطته في الولايات المتّحدة وبناء مهندسون سوريّون وقام بتركيب الأنوال والآلات مهندس أميركي. وهو يتألّف من ثلاثة أقسام. الأوّل لغزل القطن وصنّعه خيوطاً دقيقة أو غليظة والثاني للصباغ والثالث للحياكة.

ولا يزال البناء والترتيب جارياً في بعض نواحيه.

ولم تقتصر همّ رجال هذه الشركة على بناء هذا المعمل بل تبرّع أصحابها بكثير من المال وشادوا مستشفى على مرتفع يشرف على الغوطة يتّسع لثلاثمائة وخمسين سريراً. وقد كاد أن يتمّ بناؤه وعملاً قريب يجري تأثيثه بأحدث الأسرة والوسائل والآلات الطّبيّة والجراحية.

وهكذا ترى النّهضة الجديدة في دمشق تشمّل جميع شؤون الحياة ولولا نكبة فلسطين لكان سيرُ هذه النّهضة طيراناً لا مشياً.

أجل. إن نكبة فلسطين أرهقتْ الأرواح والعزائم كما أثقلتْ كاهل الحكومتين السوريّة واللبنانيّة واستنفدتْ كثيراً من الأموال التي كان في الإمكان تعزيز المشاريع العمرانيّة بها. وسيبقى قيام دولة إسرائيليّة في فلسطين همّاً يقصّ<sup>5</sup> على مضاجع العرب.

السّمر: 28 / 2 / 1949

## ما رأيت وسعيت

### بين دمشق وشتورة

عندما زار الأستاذ فؤاد صرّوف هذه البلاد للمرة الأولى كنتُ أنا ساكناً في نورولك كنتكتك فدعوته إلى منزلي وكان الوقت صيفاً وأردتُ أن يزورَ حديقة كبرى مشهورة بأعنائها وأغراسها

1 ومسّح الأرض يمسحُ بالفتح فيها مساحةً بالكسر ذرعها. وذرع فلان الثوب وغيره ذرعاً قاسه بالذراع وذرع الطريق قطعه بسرعة كأنه يقيسه.

2 القيْلولة نومة ينصف النهار أو الاستراحة فيه وإن لم يكن نوماً.

3 الرّهط: ما دون العشرة من الرجال لا يكون فيهم امرأة. والجمع أرهط وأرهاط.

4 النظر الثاقب: وشهاب ثاقب أي مُضيء.

5 قض مضجعهم: قض المضجع قضضاً لم يبق فيه النوم. وقض الجدار مدّمته.



وورودها يقصدها الناس في أيام الأحاد والأعياد ويطوفون في أرجائها مُستمتعين بما فيها من غرائب الزَّهر والشَّجر فاستدعيتُ سيارَةَ تاكسي لتقلنا وشدُّ ما كانتُ دهشةُ فؤاد عندما رأى السيَّارة تسوقها امرأة هي زوجة صاحب التاكسي وقد أشار في كتابه «مشاهد العالم الجديد» إلى ذلك كأنه من غرائب الأشياء وطرائفها.

ومثل عجب الأستاذ صرُوف كان عجب الواقفين أمام هوتال ريجنت في بيروت عندما رأوني أضعُد إلى سيَّارة خصوصيَّة تسوقها فتاة.

ولا أدري ما جالَ في خواطرهم في تلك اللَّحظة غير أنني أوكدُ أنهم علموا أنَّ تلك الفتاة إمَّا إنَّها أميركيَّة. وإمَّا إنَّها لبنانيَّة مولودة في أميركا.

وكانت تلك السائقة الفتاة اسمها فكتوريا وهي كريمة صديقي السيد منصُور الصبَّاغ نزيل نيولندن وابنة شقيقة الوجيه شبل العقل. جاءت لتذهب بي إلى منزل خالها في شُورَة فقد كنت وعدُّه أن أقومَ بزيارته في ذلك النَّهار.

ووصلتُ إلى المنزل وأنا أحسبُ أنني وحدي المدعو. وإذا هناك جمهور كبيرٌ من الناس بينهم محافظ المنطقة. وعددٌ من الأدباء. ثمَّ أقبل علينا أمير الارثوذكسيَّة الأكبر وقائدها الأشهر غبطة البطريك الكسندورس طحان يرافقه مطرانان واثنان من الكهنة. وبعد السَّلام دُعِيَ الجميع إلى مائدة سخيَّة وكان الأدباء الحاضرون ولا سيَّما الشَّاعر سليمان سلامه أسخياء في الإعراب عن ابتهاجهم بذلك اللقاء في ذلك المنزل المضياف.

أتيتُ على ذكر هذه الزيارة لأتطرَّقُ منها إلى الكلام على ما شهدته في دمشق من آثار جهاد البطريرك<sup>1</sup> الجليل الذي يزخرُ صدره بالعلوم كما تزخرُ نفسه بالرَّغبة الحارَّة في إصلاح شؤون الرُّعيَّة ورفع مكانة الارثوذكسيَّة وضمان مستقبلها بما يقوم به من المشاريع العُمُرانيَّة ليؤمِّنَ للطائفة ريعاً كافياً تستعين به في تدبير منشآتها ومدارسها. فهو رجل عمل بعيد النَّظر في الأمور وقد سمعته يتمنَّى أن يمدَّ الله في حياته لكي يتمَّ ما بدأ به. أمَّا الضبْجَة التي تقوم بها جريدة النَّهار في بيروت حول بيعه بعض أراضي الوقف فهي لا يُقصدُ بها من وراء ذلك خدمة ولا المطالبة بحقِّ مهضُوم بل مجرَّد التشويش والنَّكايَة فإنَّ الأراضي التي يَبِعتْ لم تكن تدرُّ على البطريركيَّة شيئاً بل كانتُ الفائدة منها للوكلاء عليها. بينما المباني التي يشيِّدها غِبْطَةُ<sup>2</sup> بالمال الذي حصلَ عليه من بيع تلك الأراضي تعودُ على الطائفة بدخلٍ صامد معلوم.

وليس في استبدال وقف في حالة كساد أو بوار بوقف آخر ذي دخل فيه شيءٌ من الخطأ أو سوء إدارة بل هو دليلٌ على حِكْمة وفهم وحسن سياسة وتدبير.

1 البطريرك مُقدِّمُ النُّصارى رئيس رؤساء الأساقفة ج بطارك وبتطاركة.

2 الغِبْطَة أن يتمنَّى المرء مثل ما للمغبوط من النُّعمة من غير أن يتمنَّى زوالها عنه، وحسن الحال والمُسْرَة.

وقد سمعتُ في دمشق ثناءً مستفيضاً على غِبْطَتِهِ ورأيتُ في بيروت اشتمزازاً من الخطّة التي تتمشى عليها جريدة النّهار في هذه القضية.

ولمّا جاء ذكر المدارس في دمشق أثنى الكثيرون أمامي على مدرسة التجهيز الارثوذكسيّة وقالوا: إنّها في طليعة المدارس الرّاقية. وقد زرتها وجُلّت في أقسامها ورأيتُ من إجتهد المُعلّمين ونباهة الطلّبة ما هزّني إعجاباً.

وكم كان إكباري وإجلالي لغِبْطَتِهِ عندما حضر إلى الجامعة السوريّة ومكث يستمعُ إلى أقوال الخطباء في الحفلة حتى النّهاية بالرّغم من تقدّمه في العمر.

وبالغ في التفضّل عنيّ فجاء إلى المطار بنفسه لوداعي مع أنّي رجوتُه في اليوم السابق أن لا يفعل حرصاً على صحّته. ولما رآه المودّعون في المطار أكبرّوا منه هذه العاطفة وأعانوني في الإلحاح على غِبْطَتِهِ أن يعودَ إلى مقرّه لأنّه كان قبل ذلك اليوم في الفراش لتوعّك صحّته. وبعد لأيّ نزل على رغبتهم وكان بين الحاضرين المودّعين وزير المعارف محسن بك البرازي ورئيس الحزب الوطني نبيه العظيمة والأستاذ الكبير جميل صليّتا وغيرهما من كبار النّاس والمجتمع.

ومما يجدر بي ذكره بهذه المناسبة أنّ الحفريات التي جرت في الشارع الممتد أمام دار البطريركيّة الأرثوذكسيّة في دمشق أسفرت عن ظهور قنطرة قديمة يقال إنّها كانت في سالف الدّهر باباً للمدينة ولا يزال في بعض أحياء في دمشق مثل هذا الباب ذي القنطرة. ولكنّه باب فوق الأرض لا في جوفها..

السّمير: 1/3/1949

## ما رأيتُ وسمعتُ رائحة الحبر - توقد الفخيم - ليالي اللّهُو

إنّ في الحبر سحراً أيّ سحر. هو سائل أسود ينبعثُ منه الثّور وينطلقُ منه الشّعير. وهو شيء له سلطان الأفيون وإنّ لم تكن له رائحته.

ظننتُ عندما فارقتُ «السّمير» أنّي بعدتُ عن رائحة الحبر فلمّا حوّثني بيروت وجدتُ هذه الرائحة تنبعثُ من مطابعها فتهدّيني إليها كما هدّت نار الطائي الضيوف المدلّجين في اللّيل.

وعرفتُ أنّ آلة التّنضيد «اللينوتيب» التي كان الصّحافيّون من قبل يتمنّعون عن اقتنائها قد صارت الآن حبيبة إلى قلوبهم فكلّهم يشتهي أو يسعى لتصير هذه الآلة الميكانيكيّة في حوزته.

1 دَلَج: أدلج القوم ساروا في آخر اللّيل أو ساروا اللّيل كلّهُ.

ورأيتُ واحدةً منها حديثة الطراز في مطبعة ألبرت الريحاني شقيق فيلسوف الفريقكة الطيّب الذكر أمين الريحاني. وإذا هناك عامل يشتغل عليها ويحيدُ استعمالها وفوق ذلك يحاول أن يبتدعَ بذكائه أشياء من لوازمها لعله يستغني عن طلبها من فبركتها في نيويورك وليس له من العُدَّة<sup>1</sup> غير المبرد ودقَّة الملاحظة وقوة الإرادة. وقد أراني أداة دقيقة صنعها فإذا بها وكأنَّها مجلوبة من المعمل فوقفتُ متعجباً من حِذْقِه<sup>2</sup> ومهارته وصبره العجيب.

وقلتُ في نفسي كم كان يستفيدُ لبنان من أمثاله لو أنشئتُ فيه مصانع ومعامل... وقد تردَّدتُ على تلك المطبعة غير مرَّة لإخراج عدد «السَّмир» التذكارِي. وكثيراً ما مكان ذهابي في يوم ماطر. وهكذا عادتُ رائحة الخبز فعَلِقَتْ بأنفي وجَرَّتني إلى مطبعة حتى تحت المطر. وفي أيَّام الشَّتاء تكثُر الرِّطوبَة في البيوت والحوانيت ولا سيَّما ذات الأرض الحجرية. إنَّما في البيوت يأتونك بموقدٍ صغير دَوَّار مُتَقَلِّ يشتعلُ فيه فُحْم الحَطَب. ويضعونه أمامك. وعليك أن تنظرَ إليه وتدفا عن طريق عينيك.

ويظهر أن القومَ تعودُوا هذه الحالة فهم أقلُّ تأثراً بالرِّطوبَة من إنسان عاش في أميركا التي تشيع الحرارة في بيوتها وحوانيتها. ويلوحُ لي أن التعرُّضَ للبرْد أكثر فائدة للأجسام من التعرُّضَ للحرِّ فقد لاحظتُ في القرويين الذين يأتون إلى بيروت نشاطاً وانطلاقاً ورأيتُ وجوههم تفيض عافية...

ولا بدَّ لي من كلمة حول مقاصف<sup>3</sup> بيروت وأندية اللُّهُو فيها. فإنَّ بعضها من نوع «الفوديفيل» يقوم بالرقص الإفرنجي فيها سربٌ من الفتيات الأوروبيات أكثرهنَّ من بلاد النمسا. جئنَ إلى بيروت في طلب الرِّزْق من هذا الباب. وهنَّ المدعوَّات بالارتيسَّات.

والنَّهَافَت على هذه الأندية شديد وإنَّك ل ترى هناك عِلْيَة<sup>4</sup> القوم وجماعة الكُتَّاب والصَّحَّافين... أمَّا الغناء العربي فإنَّه لم يتقدَّم كثيراً بل لا يزال على وتيرة واحدة وأكثره أصداً لما يتغنَّى به المصريون. وعينك تنظر إلى الشَّباب عندما تمتلئ رؤوسهم من بنت العنب كيف يترنَّحون كلَّما خرجت «آه» أو «يا ليل» من حنجرة شادية!!

ولكنَّ حتى في زحمة هذه العواطف والأهواء تتسلَّل وتدور مع الكؤوس. فتجري مباحثات وتحدُّث مساومات. وتُعقد صفقات وتنجَح أو تُفشل شفاعات...

ويطلع الصَّبَّاح فإذا الذين كانوا في تلك الملاهي يُطلقون ألسنتهم أو أقلامهم إذا كانت لهم أقلام في الشَّكوى من الغلاء وفي لوم الحكومة عن مكافحة الغلاء...

1 العُدَّة الاستعداد والعُدَّة ما أُعِدَّ لأمرٍ يحدثُ ج عُدَّد.

2 الحِذْق: حَذَق فلانُ العمل وفيه حِذْقاً أو غَالِي في ممارسته حتى مهَرَ فيه فهو حاذِق ج حُذَّاق.

3 مقاصِف: المَقْصِف مكانٌ للترفيه وتناول الطَّعام والشَّراب ج مقاصِف.

4 العَلِيَّة المرتفع والرَّفيع القَدْر ج عِلْيَة.

إنَّ حياة اللَّيْلِ في هذه المِلاهِي لا تَذْهَبُ بِالمالِ وَحَدَهْ بل كَثِيراً ما ذَهَبَتْ بِالصَّيِّتِ والصَّحَّةِ . وليس في الدُّنْيا شَيْتانٌ أَغْلَى مِنْ هَذايْنِ وَلِلَّهِ في خَلْقِهِ شُؤُونُ !

السَّمير : 2 / 3 / 1949

## ما رأيتُ وسَمِعْتُ لِلبْناةِ وسويسرا

لَمْ أَعْرِضْ مِنْ قَبْلِ اللِّكلامِ عَنْ مَوْقفِ لِبْناةِ السِّيَاسِي في المَعْتَرِكِ العالَمِي لِأَنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ مِثْلُ كُلِّ أُمَّةٍ صَغِيرَةٍ في الدُّنْيا لا بدَّ لَهُ أَنْ يَنْحازَ أَخيراً طائِعاً أو مُكْرَهاً إلى هَذا المَعسِكرِ أو ذاكِ المَعسِكرِ . بل يَمْكَنُ القَوْلُ إِنَّهُ الآنَ في مَعسِكرِ الأُمَمِ الدِّيمقِراطِيَّةِ . ولا عِبرةٌ<sup>1</sup> بِما يَهْتَفُ بِهِ البَعْضُ مِنْ أَنَّ لِبْناةَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكُونَ في الشَّرْقِ بِلداً مَحايِداً مِثْلَ سويسرا في أوروپا . فَهَذا القَوْلُ مِنْ نَسِجِ المَخَيَّلاتِ الَّتِي لا يَقيِمُ أَصْحابُها لِلأَمْرِ الواقِعِ وَزناً وَيَرفضُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا مِمَّا حَدَثَ في الماضِي قِياساً لما يَنْتَظِرُ حَدوْهُ في المَسْتَقْبَلِ . وَيَتجاهَلُونَ وَهمَ يَقيِسُونَ لِبْناةَ إلى سويسرا أُموراً كَثيرةً أُخْرى بارِزةً مَلْمُوسَةً . أَهمُّها : إِنَّ سويسرا بِلادٌ لا شِواطِئَ لَها والشَّماحُ لَها بِالبَقاءِ عَلى الحِياةِ مِنْ مَصْلَحةِ كُلِّ الدُّولِ المِجاوِرةِ لَها . فلو جُرِّتْ إلى حَمَّاةٍ<sup>2</sup> الحَرْبِ لَمْ يَبْقَ في أوروپا مَلْجأٌ لِأَيِّ طَريدٍ . وَلَمْ يَعدْ هَناكَ بِلدٌ يَصْحُحُ أَنْ يَكُونَ هَمزَةٌ وَصَلُ بَيْنِ الدُّولِ المِتْحارِبَةِ .

أَمَّا لِبْناةُ فَهوَ بِلدٌ كائِنْ في الشَّرْقِ الَّذِي تَحومُ فَوْقَهُ نُسُورُ المِطامِعِ في هَذهِ الأَيَّامِ . وَهِيَّاتٌ لَهُ أَنْ يَنْجُوَ مِنْ أَظْفارِها إِلا إِذا نَجَا الشَّرْقُ كُلُّهُ .

إِنَّ في شِواطِئِ لِبْناةِ غَيرَ السُّحَرِ الَّذينَ جُنَّ<sup>3</sup> بِهِ الشَّعْراءُ والرَّسَّامُونَ ... إِنَّ تَلْكَ الشِواطِئَ قِطْعَةٌ اسْتِراتِيجِيَّةٌ ثَمِينَةٌ في البَحْرِ المِتوسِّطِ تَجْتَذِبُ إِلَيْها الأَساطِيلُ كَما يَجْتَذِبُ المِاءُ النَّميرَ<sup>4</sup> القِوافِلُ في الصَّحْراءِ !

وليس لسويسرا شِواطِئَ بِحَرٍّ ولا ضَفَّةً نَهَرٍ .

فَضْلاً<sup>5</sup> عَنْ أَنَّ لِبْناةَ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْطَوِيَ عَلى نَفْسِهِ وَيَتَنَسَّكَ فَهُوَ مِحتاجٌ إلى الخارِجِ أَكْثَرَ جِدًّا مِنْ حَاجةِ الخارِجِ إِلَيْهِ . لَضَعْفٍ في إِقْتِصادِياتِهِ وَضِيقٍ في مِساخِطِهِ وَقِلَّةٍ الأَرْضِ الزِراعيَّةِ فِيهِ . فَهَذهِ

1 العِبرةُ الانْعِاظُ والاعتِبارُ بِما مَضى جَ عِبرَةٌ .

2 حَمَّاةٌ : الحَمَّا والحَمَّا الطِينُ الأَسودُ المُنْتِنُ والقِطْعَةُ مِنْهُ حَمَّاةٌ .

3 جُنَّ جُنُوناً زَالَ عَقْلُهُ وَجُنَّ بِهِ وَمِنْهُ أَعْجَبَ بِهِ حَتَّى يَصيرُ كالمَجْنونِ .

4 النَّميرُ : وَماءٌ نَميرٌ بوزنِ سَميرٍ أَيِ ناجِعٌ عَذْباً كانَ أو غَيرَ عَذْبٍ .

5 فَضْلاً : وَفَضْلُ الشَّيْءِ فَضْلاً زَادَ عَنْ الحَاجةِ .

الأسباب الثلاثة وَخَذَهَا هي التي تدفع بشبابه إلى الهجرة. حتى في عهد الإستقلال. والهجرة تَوَسَّعَ لا انكماش.

وليسَتْ الهجرة مِنْ سويسرا مثلها مِنْ لبنان بل يصحُّ القول أن لا هجرة مِنْ سويسرا. في سويسرا صناعات ليس في لبنان مثلها. فهي تصدر الأجبان إلى مختلف أنحاء العالم كما تصدر الساعات حتى إلى الولايات المتحدة إذ ليس في وَسْطِ العامل الأميركي ذي المستوى الرَّفيع أن ينافس العامل السويسري في هذه الصَّناعة.

وأخيراً ليس مِنْ صَوَابِ الرأي أن يُقَاسَ بلد إلى بلد لمجرّد وجود تشابه بينهما مِنْ ناحية أو أكثر مِنْ ناحية. فإنَّ لكلِّ بلدٍ ماضياً غير ماضِي الآخر. وفي كُلِّ بلدٍ مِنَ الشؤون والأُمور ما ليس في ذاك. وعلى الجُملة إنَّ فكرة صيرورة لبنان في الشَّرق كسويسرا في الغرب غير قائمة على أساس مَكِين مِنَ التَّفكير. وإنَّها هي نَفْحَةٌ مِنَ نَفَحَاتِ الخيال وأنشودة مِنْ أناشيد الوَهْم. وَمِنْ غير المُمكن أن تُصيرَ حقيقة إلا إذا مانت المطامع في صدور الدول الكبرى. وزالت المشادَّة<sup>1</sup> القائمة الآن بين الشَّرق والغرب. وهذا افتراض بعيد الإحتمال.

إذن، فعلى ربانَّة السفينة اللبنانية أن يكونوا أودعَ مِنَ الحماة وأحكم مِنَ الحيات. لكي يتمكنوا مِنْ دَرءِ الخطر عن ذلك الوطن الجميل وتأمين سلامته وسعادته. ولا سيَّما بعدما صار الذُّب الصهيوني على باب الحظيرة!

السَّمير: 3 / 3 / 1949

## للانوت

عندما تقول الكنائس المسيحيَّة إنَّ المؤمنَ لا يموت بل ينتقلُ مِنْ حياة إلى حياة. فإنَّها تؤيِّدُ بقولها حقيقة كائنة في الوجود. تهتفُ بها الأقحوانة الخارجة مِنْ جَوْفِ الأرض. ويرثمُ بها العصفور الذي عاد إلى الحقل مع الرَّبيع بعد أن طواه الشَّتاء. وتخبر عنها الرُّوابي التي اكتست بعد العراء وتحدثُ بها الأشجار التي اخضرت بعد اليَّس.

ليس مع الحياة موت. والحياة في الأرض أزليَّة سرمدية وما دامت كذلك وما دُمنا نؤمنُ بوجودها فعلياً إذن أن نؤمنَ بأنَّ إنطواء إنسان لا يعني إنطواء كُلِّ إنسان. وذبول شجرة لا يفيد إندثار الشَّجر مِنَ الأرض واختفاء أزهار الحقل في غياهب الشَّتاء لا يعني حتماً أن الحقل سيبقى بلقماً خالياً كالصَّحراء.

1 المشادَّة: شادَّة مشادَّة وشيداداً غالباً وشادَّة في الأمر بالغ فيه ولم يُخفَّف.

وإذا غاص ينبوع أو جف فليس معنى ذلك أن الماء قد تلاشى بل قد سرب إلى موضع آخر. تهرم الشجرة وتشيح ولكنها قبل أن تيس وتسقط فتكون حوبتها<sup>1</sup> قد انتقلت منها إلى ما تفرع وتولد منها من شجيرات. إنها تذهب صورة وشكلاً وتبقى معنى وفعلاً. وهكذا البشر. جيل يعقب جيلاً. وسلف يغيب في خلف. فللحياة أدوار وأشكال تلوح وتختفي. أمّا الحياة ذاتها فلا إنقضاء لها ولا نهاية. وليس ما ندعوه موتاً سوى خاتمة لدور من أدوار الحياة ولكنه ليس خاتمة كل أدوارها لأنه لو كان كذلك لاندثرت البشرية مع أول شجرة مشى فيها الفناء. ولم يبق في الكون غير وجه ربك ذي الإجلال والإكرام.

السّمبر: 20 / 4 / 1949

## عدو البشريّة الأكبر

أعرف من هو عدو البشريّة الأكبر؟  
ستقول إنه السرطان الذي لم يهتد علماء الطب بعد إلى علاج له.  
إن هذا العدو ليس السرطان.  
وستقول: إنه مرض الشّل.  
إن السّل من أعداء البشريّة الألداء ولكنه ليس العدو الأكبر.  
وستقول: إنه الحرب.  
إن الحرب ويلٌ عظيم وعدو هائل. ولكنها ليست العدو الأكبر ولا الويل العظيم  
وربما تقول أخيراً: إنه الموت.  
هذا أقرب إلى الواقع غير أن الموت نتيجة محتومة للحياة فلو لم تكن حياة لم يكن موت فإذا قلت:  
إن الموت هو العدو الأكبر للبشريّة كنت كأنك تقول: إن الحياة هي العدو الأكبر.  
لا. ليس السرطان. ولا الشّل. ولا الحرب ولا الموت هم فقط أعداء الإنسان بل العدو الأكبر  
للإنسان هو الخوف لا سواه.  
إن الخوف هو السبب في جرائم ونكبات وعِلل وأمراض وحرروب كثيرة.  
فخوف الإنسان من جاره يخلق في نفسه البغض لجاره فيختصمان لأقل سبب ويقتلان لأهون  
بادرة. ومنهما ينتقل العداء إلى أسرتهما وإلى أصحابهما فيصير خوف هؤلاء من هؤلاء سبباً في تعاسة

الكل:

وخوف الغني من ضياع ثروته يجعله حريصاً كزاً<sup>1</sup> قاسي القلب حتى على أقرب الناس إليه وهكذا يُفسد ما فيه من أخلاق طيبة وسجايا حسنة...  
وخوف الحاكم من الشعب يحمله على اللجوء إلى القسوة والشدة والإرهاب فيعيش في حذر كما يعيش الشعب في قلق.  
وخوف الشعب من السلطة الغاشمة يدفع به إلى الكذب والرياء والمداينة والزلفى فتفسد الأخلاق.

وخوف الدولة من دولة تجاورها يدفعها إلى بناء القلاع وحشد الجنود على الحدود وعلى التآهب العسكري الذي يستنفد المال الكثير. وتصير كل دولة تؤول حركات الأخرى وأقوالها تأويلاً سيئاً.  
وخوف الولد من ظلم أبويه يجعله يخالف إرادتهما في الخفاء فيجمع فيعثر ويحني على نفسه.  
وخوف الفقير من الموت جوعاً يسوقه إلى ارتكاب الجرائم.  
وعلى الجملة إذا دققت في درس الحوادث وردّها إلى أسبابها وجدت الخوف من أكبر الأسباب في أكثرها. الخوف من أمر. أو الخوف من إنسان. أو الخوف من ضرر أو بلاء.  
ولكن أعجب الخوف ما يحمل صاحبه على الإنزواء في بيت أو كوخ أو قصر ليموت في آخر الأمر جوعاً وفي وشعه أن يحصل على الطعام بدلاً من أن يموت جوعاً وليس من خطر عليه ولا من عدو يسوق الأذى إليه.

السّمْير: 12/ 5/ 1949

2

## الجملة المحشوش

إذا كنت لم تر جملاً يقوده ولد رأي العين فإنك بلا شك رأيت صورة جمّل يقوده ولد إمّا على لوحة السّينما وإمّا في كتاب وإمّا في بطاقة وإمّا في جريدة أو مجلة.  
إذن فهل خطر لك أن تتساءل كيف يستطيع ولد صغير أن يقود جملاً ضخّم الجسم يزن مئات الأرتال وبرفسة<sup>3</sup> منه يستطيع أن يهرس<sup>4</sup> ذلك الولد هرساً. أو أن يقذف به إلى بُعد بعيد؟

1 الكز: وكز فلان كزاً وكزارة قل خير ومساعدته فهو كزج كز ورجل كز الدين بخيل.

2 الحشاش بالكسر ما يدخل في عظم أنف البعيد.

3 الرفسة الصدمة بالرجل في الصدر.

4 الهرس الدقّ العنيف.

إن السِّرَّ في ذلك هو أنَّ الذين دَجَّنُوا<sup>1</sup> الجملَ تعوَّدُوا أنَّ يجعلوا في عظم أنفه خشبةً أو حلقةً يصلون بها الحبل أو الزَّمام الذي يمسك به قائده سواءً كان رجلاً أم ولداً. فيمشي طائعا صاغراً. وبعض النَّاس كالجِمال تَراهُمُ كباراً وضخاماً ولكنهم يَنقادُونَ بشيءٍ كهذه الخَشَبَةِ الصَّغِيرَةِ مثلاً يَنقادُ الجَمَلُ.

أمَّا هذا الذي يَنقادُ به بعض الرُّجال كما تنقادُ الجِمالُ فقد يكون مصلحةً يَخْشَوْنَ ضياعها فيتصاغرونَ لئلاً تَضِيعَ وقد يكون غايةً يريدون بلوغها فيَتَمَسَّكُونَ<sup>2</sup> ويستخذونَ<sup>3</sup> لكي يسهلَ الوصولُ إلى تلك الغاية.

وربَّما كان هذا التَّصَاغُرُ والتَّذَلُّلُ في بعض الرُّجال كما هو في الجِمال حالة موروثة مضى على رُسُوخها في نفوسِهِم وقتٌ طويلٌ فصار مِنَ العسيرِ على أصحابِها أن يتحرَّروا مِنْها مثلاً هو عسيرٌ على الجَمَلِ أن يتحرَّرَ مِنْ تلك الخَشَبَةِ في أنْفِهِ!

فإنَّ ابنَ اللَّيْث لا يكون إلاَّ مِقْحاماً وثاباً أمَّا ابنُ الثَّعلبِ فلا يكون إلاَّ محتالاً خبيثاً مَكَّاراً... ولذلك كان مِنَ العيبِ على الإنسانِ الذي خُلِقَ لِيَكُونَ سَيِّداً أن يتذَلَّلَ ويتصاغَرَ لهذا أو لذلك من أجلِ مَغْنَمٍ ضئيلٍ أو مصلحةٍ أو غايةٍ غير نبيلة.

فالجمل الذي لم يمنحه الله عقلاً إلاَّ بمقدار هو أضعفُ مِنَ الولد وإن كان أضخمَ مِنْهُ جسداً وأعظمَ مِنْهُ قوَّةً. أمَّا الإنسان ولا سيَّما صاحب العقل السَّليم فلا يليقُ بِهِ في أيِّ مكانٍ أو زمانٍ أن يرضى لنفسِهِ بأن يُقادَ كالجَمَلِ المَخْشوشِ. وأن يُلْقَى زمامه إلى مَنْ دونه معرفةً وعِلماً وذكاءً لمجرَّد أن الذي يقوده على شيءٍ مِنَ الثَّروَةِ وعلى شيءٍ مِنَ الحِماقَةِ والرُّعُوْنَةِ والطَّيْشِ...

لا تستطيع أن تقولَ للجملِ كُنْ رجلاً لأنَّه لا يقدر أن يكونَ في وُسْعِكَ أن تنصحَ لأيِّ إنسانٍ أن يكونَ رجلاً. لأنَّه خُلِقَ ليمثِّلَ أذواره في البيت وفي المجتمع وفي الوطن كرجلٍ. فإذا نصحتُهُ فذهبَ نُصْحُكَ إِيَّاه أدراج الرِّياح. فأعلَمَ أنَّ في ذلك الرَّجُلِ نفسُ جَمَلٍ وإن كان يمشي على اثنتين كما يمشي النَّاس. ويتكلَّم كما يتكلَّم الإنسان العاقلُ.

فإذا سمعتَ أحداً يقول: إنَّ فلاناً يُقادُ كالجَمَلِ المَخْشوشِ فأعلَمَ أنَّ الجَمَلِ هو الذي توضعُ في أنْفِهِ تلك الخَشَبَةُ!

السَّمير: 19/5/1949

1 التَّذجين: دَجَّنَ بِالْمَكَانِ دَجَّنًا وَدَجُّنَا أَقَامَ بِهِ وَالْفَهْ وَلَزِمَهُ.

2 تَمَسَّكَ: الْمَسْكَةُ الْفَقْرُ وَالضَّعْفُ.

3 اسْتَخَذَ: خَضَعَ وَذَلَّ.



## كيف تعرف الإنسان

شهد رجل عند عُمر بن الخطَّاب في قضية فقال له عُمر: إيتني بمن يعرفك. فأناه برجل فأتني عليه خيراً. فقال له عُمر: أنت جاره الأدنى الذي يعرف مدخله ومخرجه؟  
قال: لا.

قال عُمر: أكنت رفيقه في السفر الذي يُستدلُّ به على مكارم الأخلاق؟  
قال: لا.

قال عُمر: أعاملته بالدينار والدرهم الذي يستبين به وزع الرجل؟  
قال: لا.

قال عُمر: أظنك رأيته قائماً في المسجد يهيمهم بالقرآن. يخفض رأسه طوراً ويرفعه طوراً.  
قال: نعم.

فقال عُمر: إذ هب فلست تعرفه!  
من هذه الحكاية يدرك الإنسان أن المرء لا يُعرف معرفة حقيقية إلا إذا كان جاراً دانياً أو رفيق سفر.  
أو متعاملاً بالمال.

هكذا كان الإنسان في زمن عُمر بن الخطَّاب وهو في هذا الزمان كما كان في ذلك الزمان فكلُّ شهادة تؤدَّى من إنسان في إنسان لم يجاوره. ولم يرافقه في سفر. ولم يأخذ معه ويُعطي في معاملة. فهي شهادة لا قيمة لها لأنها غير مبنية على الدرس والاختبار.

ولذلك لا يمكنك إلا أن تستغرب عندما تسمع أحدهم يفيض في الثناء على إنسان لم يجاوره ولم يرافقه ولم يعامله. فإذا سأله على أيُّ مُستند تبني شهادتك في الرجل؟ قال لك: إنه سمع البعض يشنون عليه.

ولو سألت أولئك الذين سمعهم يشنون عليه لما أجابوك بأكثر مما أجابك هذا الشاهد السامع.  
وليس من النادر أن تسمع أحدهم يقول لك مثلاً: إن فلاناً يسوي مليون دولار؟ وهو لا يعرف عن فلان شيئاً. لم يجاوره. ولم يرافقه في سفر. ولم يعامله بدرهم ولا دينار.  
ولو طلبت إليه البيئة على صحة ما يقول تحيّر وارتبك وقال لك: إن فلاناً يملك بناية كبرى وله في المصيف بيت وعنده سيارة فخمة.

وينسى أن البناية قد تكون مرهونة وكذلك البيت.

أو ربّما لم يكن عنده شيء مرهون.

غير أن المحدث عن فلان على كلِّ حال لم يكن كاتم سرّه ليعلم إذا كان يساوي مليوناً أو أكثر أو

أقل من مليون.

ولكنه من الناس الذين يحبون أن يتحدثوا عن الناس صدقاً أم كذباً.

ومثل أحاديث المدح أحاديث الذم. فكثيراً ما نجد أناساً يقولون عن إنسان ما إنه غبي. أو إنه خبيث أو غير ذلك من الصفات المستكرهه. وتظل أنت مؤمناً بما قالوا حتى تعرض لك فرصة فتلتقي بالرجل أو تجاوره أو ترافقه في سفر أو تعامله فيتضح لك أن الناس قد ظلموه لأنهم حكموا عليه دون أن يجاوروه أو يرافقه أو يعاملوه!

ضربنا لك مثلاً على ذلك الحديث عن المليون لتجعله مقياساً لغيره من الأحاديث التي من هذا الطراز فإن الكلمة تتضخم وتتجسم كلما انطلق بها لسان. فتدور من بيت إلى بيت ومن مكان إلى مكان حتى يقبض<sup>1</sup> الله لها رجلاً مثل عمر فيكسب بحكمته عنها الورم ويردّها إلى جوهرها الأول إذا كان لها جوهر. أو أنه ينفخ فيها فتطير كما يطير الهباء.

فإذا سئلت رأيك أو شهادتك في رجل فلا تشرع إلى تأديتها وذلك قبل أن تجاوره وتعاشره وترافقه وتعامل معه.

وإياك أن تحدعك الظواهر.

السّمعير: 1949 / 5 / 26

## المفارقات الغريبة في حياتنا

ما أكثر المفارقات في حياتنا وما أغربها وما أشد تغافلنا عن النظر إليها.

وليست المفارقات محصورة فينا وحدنا بل هي موجودة عند كل أمة ولكنها عندنا أظهر لأنها أكثر. ولا شيء يغطيها في حين إن عند الأمم الأخرى حسّنات تتضاءل حيلها<sup>2</sup> المفارقات.

من المفارقات الغريبة عندنا أننا ننفق ألوف الدولارات لكي نستمع إلى مُشد يغني قصيدة أو طقطوقة<sup>3</sup> نحفظها لا عن مُشدٍ آخر بل عن أسطوانة تدور في كل بيت فيه فونغراف. أي أننا ننفق تلك الألوف من الدولارات لنسمع مغنياً يقلد أسطوانة سمعناها مراراً كثيرة في بيوتنا وعند جيراننا وأصدقائنا ولم يكلفنا سماعها إلا قبولنا بأن نصغي ونسمع.

ليس هذا أمراً عجبياً!

ليس هذا الأمر العجيب دليلاً على أننا لا نتمكّن في التفكير. فننسى ونحن نسمع ذلك المغني المقلد

1 وقبض الله تعالى فلاناً لفلان أي جاءه به وأتاحه له ومنه قوله تعالى «وقبضنا لهم قرآنًا».

2 الحيل قبالة الشيء ويقال قعدت حيلته وبحيله بإزائه.

3 طقطق صوت أو كثير صوته وهو تكرير طق.

الفنان الذي أخذ عنه ونسى معه الشاعر الذي نظم القصيدة وحبك<sup>1</sup> الطقطوقة.

نحبّ الأدب والأدباء ونكثر الحديث عنهم كما نكثر نسج برود الشئ عليهم. ولكننا لا نقرأ مؤلفاتهم بل نكتفي بأن نسمع الغير يتحدث عنهم فتحدث نحن عنهم... ولهذا السبب يختلط علينا الأمر فنضع الكوئتب مع الكاتب وأدعياء الأدب مع زعمائه وأساطينه<sup>2</sup> وهذا لا يحدث إلا عندنا. وهو أمر ليس غريباً فقط بل مضر جداً<sup>3</sup> لأنه يجزّيء لأدعياء<sup>4</sup> على الظهور ويحمل الأدباء الحقيقيين على الإنكماش والإنزواء ضناً بمكانتهم أن تبذل.

سيغضب كثيرون ممّا نقول ولكنّه الواقع وسيغتاظ كثيرون من معالجتنا هذه الناحية الإجتماعية في حياتنا ولكن غيظهم لا ينفي وجود هذه الحالة وهو وجود لا يدعو للفخر بها. سيقول معترض أن الذنب في ذلك ذنب الجرائد ذاتها والخطيئة خطيئة أصحاب الأقلام ولكننا إذا تعمّقنا في الدرس وجدنا أن الذنب في وجود هذه الجرائد المذنبة والأقلام العيابة المفسدة ذنب الرأي العام.

وليس الرأي العام غير أنت وأنا ممن يقرأون هذه الصحف التي تتعالى جمعجعتها<sup>5</sup> في الأسماع على غير طحّن<sup>6</sup>.

عندنا أمور جوهرية<sup>7</sup> كثيرة لا نغيرها التفاتاً ولا اكتراناً كأنها لا تخصّنا. عندنا أمور غير جوهرية نبذل في سبيلها الوقت والمال كأنها أمور جوهرية لا تتم حياتنا إلا بها. وعندما نصير أمة من الأمم تشتغل بالتوافه كلّ الوقت لا يبقى لديها متسع ولا تبقى فيها قوة على معالجة الأمور النافعة المفيدة فتتخط وتتهور لتصبح مستهدفة لمطامع الغير. فيا ليت شعري متى نصير أمة كباقي الأمم نضع الأمور مواضعها ونعطي كلّ ذي حقّ حقّه ولا نخلط الأشياء بعضها ببعض بل نعمّيها على أنفسنا وعلى الناس. إننا محتاجون إلى قليل من الجرأة الرصينة الرزينة فهذا هو الإكسير الذي يشفي من هذه الآفة.

1 حبك الشيء أحكمه وحبك الأمر أحسن تدبيره.

2 الأساطين: أساطين العلم أو الأدب الثقات المبرزون فيه المفرد أسطون.

3 جدّ يجيّد وأجدّ في الأمر أيضاً يقال إن فلانا لجاد مجيّد باللغتين وفلان محسن جدّ بالكسر لا غير.

4 الأدعياء: إدعى ملكيّة الشيء زعمها لنفسه.

5 الجعجعة: جمع جمع الجمل اشتد هديره جمعجت الرّحى صوّتت وفي المثل «أسمع جعجعة ولا أرى طيحناً». يضرب الرّجل يكثر الكلام ولا يعمل.

6 جوهر الشيء حقيقته وذاته.

7 الإكسير: مادة مركّبة كان الأقدمون يزعمون أنها تحوّل المعدن الرّخيص إلى ذهب أو هو شراب في زعمهم يطيل العمر.

وقد حان أن نكتشف هذا الإكسير فنوفر كثيراً من الجهود والأوقات والأموال التي تنفقها ضياعاً ولا نستفيد منها شيئاً إلا بقاءنا حيث نحن لا نتأخر ولا نتقدم.  
إن في وسع كل إنسان أن يفكر لذاته في هذا الموضوع ويجب عليه أن يفكر جيداً لكي يتسنى له أن يشعر في قرارة نفسه بأنه مسؤول عن هذه الحالة الشاذة مثل كل شخص آخر. وفي وسعه أن يعمل على معالجتها في دائرته بدون أن يلقي التبعة على سواه لكي يتملص هو منها ويقف موقف اللأثم متناسياً أنه ملوم كغيره.

السَّهير: 10 / 7 / 1949

## الإنسان والطيران

بين آونة وأخرى تسقط طائرة سفر فتتحطم وتحترق ويهلك ما فيها من ركاب ونوتية<sup>2</sup>. فترتاع النفوس وتضطرب الأفكار فيمسي الناس خائفين من السفر في الجو؟ ومن ثم لا يمر شهر أو شهران حتى ينسى الناس تلك الفواجع ويعودون إلى السفر بالطائرات.  
ليست هذه ظاهرة غريبة في البشر. ولا هي غير مألوفة. فهذا شأن الإنسان منذ زمن. فقد كان يتذعر ويرتاع كلما غرق شخص في البحر. ولكن، هذا لم يحل بينه وبين ركوب المراكب حتى عندما كانت غير شراعية.  
وعندما كان يعيش على صيد الطيور والغزلان والأرانب وأمثالها من الحيوانات بالنبال والأشراك نزلت به نكبات كثيرة في الغابات وصارت بطون الضواري<sup>3</sup> مدافن كثيرين من الصيادين.  
غير أن الإنسان لم يعدل عن الصيد ولم ينقطع عن غزو الغابات بل حملته تلك المصائب على أن يخترع أسلحة أمضى وأفتك وأن يضمّن لنفسه الظفر حتى في الأدغال<sup>4</sup> الموحشة.  
قد يسمع إنسان بفرق إنسان وهو يستحجم على شاطئ البحر ولكِنَّه لا يبالي بل نراه يذهب إلى غشيان<sup>5</sup> الشواطئ للإستحمام والتسلي بمعاركة الأمواج.

1 لامة على كذا لوما عدله فهو لائم ولؤام. ألام فلان أنى ما يلام عليه فهو ملیم. وملیم اسم فاعل وملوم اسم مفعول.

2 النوتي: الثوتي- الملاحون في البحر وغيره الواحد نوتي.

3 الضواري: الضاري من السباع المولع بأكل اللحم ج ضواري.

4 الأدغال: الدغل الشجر الكثير الملتف ج أدغال ودغال.

5 غشي المكان غشياناً آناه.

ولما اخترعت القاطرة البخارية كان كثيرون يخشون السفر في القطار. ويحسبون ركوبه مغامرة.  
ولما وجدت الكهرباء لإنارة المنازل امتنع كثيرون عن استعمالها لإعتقادهم أنها مُجْلِبَةٌ للأخطار  
غير أن الكهرباء بقيت وزال خوف الناس منها.

وجرى القطار يخترق السهول والجبال من الساحل للساحل ولم يعد أحد يخشى ركوبه.  
واستمرار الناس على ركوب الطائرات برهان<sup>1</sup> على ثقة الإنسان من قدرته على جعل الطائرة  
مأمونة كالقطار. وإذا لم يكن الأمر كذلك فهو إذن مُسَيِّر بقوة غير منظورة. هي التي تلقي الرعب في  
نفسه وهي التي تعيد الرجاء إليه.

هل وقفت مرة أمام قرية للثمل<sup>2</sup> ورأيت كيف يذهب ويجيء من القرية وإليها. وكيف يستمر في  
مجيئه وذهابه بالرغم من أن ولدًا لذله أن يدهسه بقدميه ليلهو به ويتسلّى أو متعمداً قطع الطريق على  
الثمل.

ثم هل فكرت بكيفية بقاء الثمل في الأرض بالرغم من إقدام الإنسان تارة على سحقه وذلك أثناء  
ذهابه وإيابه. وطوراً على هدم قراه أو حرقه بالنار؟

إذا ذكرت ذلك فلا تنسى أن الإنسان لن يكون أقل قدرة على البقاء من الثمل وهو مثلما أخضع  
البحر سيخضع الجو ولن تقف به هذه النكبات عن الاستمرار في التقدم حتى تصير له السيادة على  
العناصر<sup>3</sup> كلها أو أكثرها.

السّمر: 1/ 12 / 1949

## لكرم الناس وأسمى العطايا

ما برح الناس منذ عمّرت بهم الأرض متشابهين في مطالبهم وحاجاتهم الجسدية والروحية وإن  
اختلفت ألوانهم وتباينت أديانهم وتباعدت أوطانهم. فالأبيض يجوع كما يجوع الأسود. والغني يعطش  
كما يعطش الفقير. وساكن القصر الفخم يحتاج إلى النوم كما يحتاج إليه المقيم في خيمة مضرّوبة في  
صحراء أو كوخ في سفح جبل.

1 البرهان الحجة وقد برهن عليه أي أقام الحجة.

2 الثمل م واحده ثملة وقد تضم الميم ج نبال.

3 العنصر في الكيمياء مادة أولية لا يمكن تحليلها كيميائياً إلى ما هو أبسط منها والعنصر أيضاً المادة التي تدخل في  
تكوين جسم ما كالهيدروجين والأكسجين في تكوين الماء ج عناصر.  
والعناصر عند القدماء أربعة وهي النار والهواء والماء والتراب.

فَالْغِذَاءُ وَالْمَاءُ وَالنَّوْمُ هُمْ قِيَامُ<sup>١</sup> الْجِسْمِ وَصِلَاحِهِ. وَفِي هَذِهِ الْحَوَمَةِ يَنْتَاسِي الْبَشَرُ عُلَمَاءَ وَجَهَّالًا. مَلُوكًا وَصُعَالِيكَ. وَمَتَمَدِّينَ وَمَتَوَحِّشِينَ. وَعُقْلَاءَ وَمُجَانِينَ.

وَلَكِنْ الْإِنْسَانُ لَا يَحْيَا بِالْخَبْزِ وَخَذِهِ. وَلِذَلِكَ كَانَتْ لَهُ مَطَالِبُ أَسْمَى وَأَشْوَاقُ أُنْثَى. هِيَ مَطَالِبُ الرُّوحِ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى الْغِذَاءِ كَمَا يَحْتَاجُ الْجَسَدُ. إِنَّمَا طَعَامُهَا لَيْسَ مَتًّا<sup>٢</sup> يَهْبِطُ مِنَ السَّمَاءِ. وَلَا ثَمَرًا وَبَقْلًا يَخْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ. وَلَا هُوَ لَحْمٌ وَفَاكِهِةٌ تَوْضَعُ عَلَى خُوانٍ<sup>٣</sup> وَتَدُورُ بِهَا صِحَافٌ. بَلْ هُوَ إِمَّا ابْتِسَامَةٌ فِي ثَغْرِ حَبِيبٍ تَرُدُّ إِلَيْكَ أَمَلًا هَارِبًا وَتَحْيِي فَيْكَ رَجَاءً رِثًى وَانْدَثَرًا. وَإِمَّا نُورٌ عَطْفٍ فِي عَيْنِي صَدِيقٍ أَوْ أَخٍ يَبْدُدُ مَا فِي نَفْسِكَ مِنْ غَيُومِ الْوَحْشَةِ<sup>٤</sup>. وَإِمَّا صَوْتَ عَذْبٍ رَقِيقٍ يَنْطَلِقُ مِنَ الْقَلْبِ قَبْلَ الشَّفَتَيْنِ فَيَقَعُ فِي الْأَذْنِ كَتَغْرِيدِ الْكَنَّارِ الطَّرِبِ.

إِنَّهُ الْبَشَاشَةُ فِي وَجْهِ إِنْسَانٍ.

لِذَلِكَ جَاءَ فِي أَمْثَالِنَا الْفَصْحَى «الْبَشَاشَةُ حَيْرٌ مِنَ الْقِرَى<sup>٥</sup>». وَجَاءَ فِي أَمْثَالِنَا الْعَامِيَّةِ «لَا قِيَنِي وَلَا تَغْدِيَنِي».

وَصَاحِبُ الثَّغْرِ الْمُتَبَسِّمِ وَالْمُحَيَّا الْمُتَهَلِّلِ وَالْعَيْنَيْنِ الضَّاحِكَتَيْنِ الْمَرَحَتَيْنِ هُوَ وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى النَّاسِ. وَرَبَّمَا جَازَ الْقَوْلُ إِنَّهُ أَكْرَمُ النَّاسِ. لِأَنَّهُ يُعْطِي مِنْ رُوحِهِ لَا مِنْ فَضُولِ مَالِهِ. وَهَيَّاتِ الرُّوحَ أَسْمَى الْهَيَّاتِ.

وَأَكْرَمُ مِنْ هَذَا الْإِنْسَانِ الْكَرِيمِ أَدِيبٌ يَغْصِرُ رُوحَهُ لِيَقْدُمَهَا إِلَى النَّاسِ. إِلَى أَرْوَاحِ النَّاسِ. شَرَابًا طَيِّبًا. وَغِذَاءً شَهِيًا. وَيَقْنَعُ أَنْ يَكُونَ حَظُّهُ حَظُّ الدَّالِّيَّةِ الَّتِي يَنْسَاهَا النَّاسُ وَهُمْ يَرْتَشِفُونَ عَصِيرَهَا. وَلَا يَجِدُونَ بَأْسًا<sup>٦</sup> فِي أَنْ يَعْرِبِدُوا عَلَيْهَا وَيَعْبَثُوا بِأَوْرَاقِهَا وَأَغْصَانِهَا!

هُوَ طَائِرٌ يَلْدُ لَهُ التَّغْرِيدُ وَإِنْ جَرَحَ حَنْجَرَتَهُ<sup>٧</sup>. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ حَوْلَهُ مِنْ سَمِيعٍ غَيْرِ الْأَرْضِ الْجُرْدَاءِ وَالصَّخُورِ الصَّمَاءِ<sup>٨</sup>.

وَهُوَ قَلْبٌ يَتَأَلَّمُ كُلَّمَا تَأَلَّمَ فِي الدُّنْيَا قَلْبٌ. كَأَنَّمَا الْبَشَرُ كُلُّهُمْ أَهْلٌ لَهُ وَأَنْسَبَاءُ.

وَهُوَ الْفَقِيرُ الَّذِي يُعْطِي الْأَغْنِيَاءَ وَبَلَا سَوَالٍ. وَيَفْرَحُ وَيَتَهَلَّلُ كُلَّمَا أَخَذُوا.

١ وَالْقِيَامُ مَا يُقِيمُ أَوَدَ الْإِنْسَانِ مِنَ الْقَوْتِ.

٢ الْمَنْ كُلُّ طَلٍّ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى شَجَرٍ أَوْ خَجَرٍ وَيَنْعَقِدُ غَسَلًا وَيَجِفُّ جَفَافَ الصَّمْنَعِ.

٣ الْخِيَوَانُ مَا يُوَكِّلُ عَلَيْهِ جَ أَخُونَةٍ.

٤ الْوَحْشَةُ الْخَلُوءُ وَالْهَمُّ.

٥ الْقِرَى: وَقَرِي الضَّيْفِ قَرِي أَضْافُهُ وَأَكْرَمُهُ.

٦ بَأْسًا: بَيْسَ بَأْسًا وَبُؤْسًا شَقِيًّا.

٧ الْحَنْجَرَةُ الْحُلُقُومُ مَجْرَى النَّفْسِ فِي التَّرْقُوتِ.

٨ الصَّمَاءُ: صَمَّ الْجَنِّيمُ كَانَ صُلْبًا مُصْنَمًا فَهُوَ أَصَمٌّ وَهِيَ صَمَاءٌ.

وهو الذي يسوق الإبتسامة إلى الثغر الكئيب ويمسحُ الدَّمعة في الجفن الحزين، وينيرُ الطَّريق في الليل المُكفَّه<sup>1</sup> أمام المدلج<sup>2</sup> السَّاري. وإذا أعوزَ النَّاسُ البُخور<sup>3</sup> حرق روحه بَخُوراً. وأخيراً هو ذلك الذي يُؤثرُ الغيرَ على نفسه ويمجدُ في ذلك لذةً عَظْماً. وللأديب في كُلِّ بيئةٍ فضلٌ كبير. غير أنَّ الأديب العربي في المهجرِ أعظمُ فضلاً من سواه. لأنَّه يحيا في محيطٍ ليس له ويحاول أن يفعلَ لأمِّه ما عَجَزَتْ هي عنه. فهو دولة في ذاتها. ودولة لم تخلُقها السِّياسة.

السَّمير: 6/3/1950

## الْبَحْرُ

أهدتُ إلينا مكتبة صادر في بيروت التي اشتدَّت عنايتها في الآونة الأخيرة بنشر المؤلفات الأدبيَّة عدداً من الكتب التي طبعَها بينها كتاب «مذكرات الأرقش»<sup>4</sup> للكاتب الكبير مخايل نعيمة. فاخترنا منها هذه القطعة الأدبيَّة عن «الْبَحْر» لنضمَّ إليها مقطوعة من مقطوعات قصيدتنا المشهورة «الطلاسم» وهو مقطع جعلناه تحت عنوان «الْبَحْر».

### «الْبَحْر»

لمخايل نعيمة

يا بحرُ. يا مهدي ومَهْدَ الحَيَاة  
يا بحرُ. يا صَوْتِي وصوت الدَّهْور  
يا بحرُ. يا فَوَّارة لا تَغُور  
يا بحرُ. يا قلبي وقلبَ الإله  
يا جامعٌ ما انتشر. وناثر ما اجتمع  
يا معلِّم السُّمُو والوداعة والطُّمُوح والقناعة  
يا حاملٌ أوزارنا وغاسلٌ أقدارنا  
يا نقطة في ألف ربوة نقطة. وألف ربوة نقطة في نقطة

1 المكفَّه: السحاب الغليظ الأسود.

2 دلج: أدلج القوم ساروا من أول الليل.

3 البخور ما يتبخَّر به.

4 مذكَّرة الأرقش المذكَّرة دفتر صغير يدوَّن فيه ما يُراد تذكُّره ج مذكَّرات.

والأرقش: وأرقش ورقش كلامه ترقيشاً زوره وزخرغه.

يا حالمًا ما نَحْلُمُ وما لا نَحْلُمُ  
يا مالك الأرض ومملوكها  
أَبْدَيْتُكَ لمحَّةً وَلَمَحْتُكَ أَبَدِيَّةً  
والزَّمان على صدرك في غَفْوَةِ الأبرار

أحبُّك أيُّها البَحْرُ. أحبُّ سكونَكَ الثَّانِرَ وثورتَكَ السَّاكِنَةَ. فتورتك ثورتي. وسكونك سكوني؟  
أحبُّ زَبَدَكَ وأمواجك في زبدٍ كزبدِكَ وأمواج كأمواجك. أحبُّ انكماشك وانبساطك في مثل  
انبساطك وانكماشك. وأحبُّ حنينك الأبدي فما أشبهه بحنيني.  
نحن بحران أيُّها البَحْرُ. ولكن الأرقش هو البَحْرُ الأوسع والأعمق والأبقى. فانتَ يأتيك يومٌ  
تتقلَّص فيه وتنضب. أمَّا الأرقش فلا يتقلَّص إلا لِيَتَشِيرَ. ولا ينضب إلا لِيَمْنِيَّاءَ بها لا ينضب.  
أجل. نحن بحران أيُّها البَحْرُ. الأرقش هو الأبقى.

مِنْ مَذَكَّرَاتِ الأَرَقَشِ

«البَحْرُ»

لإيليا أبو ماضي

قد سألتُ البَحْرَ يوماً هل أنا يا بحرُ مِنكا  
أصحيحُ ما رواه بعضهم عني وعنكا  
أم تُرى ما زعموا زوراً ويُهتَنَأ وإفكا  
ضحكت أمواجه مِنِّي وقالت:

لَسْتُ أَذْري!

أيها البَحْرُ أَتَدْري كم مضتُ أَلْفٌ عليكِ  
وهل الشاطيء يدري أَنَّهُ جاثٌ لديكِ  
وهل الأنهارُ تدري أَنَّها مِنكَ إِلَيْكَ  
ما الذي الأمواجُ قالَتْ حين ثارتُ؟

لَسْتُ أَذْري!

أنت يا بحرُ أسيرٌ آه ما أعظمَ أسْرَكَ  
أنت مثلي أيُّها الجَبَّار لا تملكُ أَمْرَكَ  
أشبهتُ حالَكَ حالي وحكى عِذْرِي عِذْرَكَ  
فمتى أنجو مِنَ الأسْرِ وتنجو؟

لَسْتُ أَذْري!



تُرْمِلُ الشُّحْبَ فتسقي أرضنا والشجرا  
قد أكلناك وقلنا قد أكلنا الثَّمرا  
وشربناك وقلنا قد شربنا المطرا  
أصواب ما زعمنا أم ضلال؟

لَسْتُ أَذْرِي!  
قد سألت الشُّحْبَ في الآفاق هل تذكر رَمْلَكَ  
وسألت الشَّجَرَ المُوْرَقَ هل يعرف فَضْلَكَ؟  
وسألت الدُّرَّ في الأعناق هل يذكر أَصْلَكَ  
وكانني خلقتها قالت جميعا:

لَسْتُ أَذْرِي!  
يرقصُ الموج وفي قاعك حربٌ لن تَزُولا  
تخلق الأسماك لكنْ تخلق الحوتَ الأَكولا  
قد جمعت الموتَ في صَدْرِكَ والعيشَ الجميلا  
ليت شعري أنتَ مهْدٌ أم ضريح؟

لَسْتُ أَذْرِي!  
كم فتاةٌ مثلُ ليلى وفتىٌ كابن المُلَوِّخِ  
أنفقا الساعاتِ في الشاطئ وهي تشكو وهو يشرحُ  
كُلُّها حدَّثَ أصغَتْ وإذا قالت: ترنَّحْ  
أحيف الموج سِرَّ ضيَّعاهُ:

لَسْتُ أَذْرِي!  
كم ملوكٌ ضربوا حولك في اللَّيْلِ القبابا  
طلع الصبح ولكن لم نَجِدْ إلا ضبابا  
أَلْهَمْ يا بحر يوماً رجعةً أم لا مآبا  
أهمُ في الرَّمْلِ؟ قال الرَّمْلُ إنِّي:

لَسْتُ أَذْرِي!  
فيكَ مثلي أيُّها الجَبَّارُ أَصْدافٌ ورملٌ  
إنَّما أنت بلا ظِلٍّ ولي في الأرض ظِلٌّ  
إنَّما أنت بلا عقلٍ ولي يا بحرُ عَقْلٌ  
فلماذا يا تُرَيّ أمضي وتبقى؟

لَسْتُ أَذْرِي!

يا كتاب الدَّهْر قُلْ لي هلْ له قَبْلُ وَيَعْدُ  
أنا كالزُّورق فيه وهو بحرٌ لا يُعَدُّ  
ليس لي قَصْدٌ فهل للدَّهْر في سِرِّي قَصْدُ  
حبذا العلم ولكن كيف أدري<sup>١</sup>؟

لَسْتُ أَذْرِي!  
إِنَّ في صَدْرِي يا بحرٌ لأشْراراً عجايباً  
نزل السُّفْرُ عليها وأنا كُنْتُ الحِجَابِ  
ولذا ازداد بُغْداً كلما ازددت اقْتِراباً  
وأراني كلما أوشكتُ أدري:  
لَسْتُ أَذْرِي!

السُّمير: 15 / 3 / 1950

## قَتَلَتِ الْوَقْتُ

ليس قَتَلَتِ الْوَقْتُ هم وحدهم الذين يلهون أكثر مما يجدون وسبق الحديث عنهم. فهناك أنواع كثيرة من قَتَلَتِ الْوَقْتُ يجيء في الطليعة منهم رجلٌ لا شُغْلٌ له يدخلُ عليك وأنت مُتَّهِمٌ في عَمَلِك فيطرح عليك سؤالاً تافهاً بعد سؤالٍ تافهٍ! فتحار كيف تجاوبه وكيف تصرفه عنك. أو أنه يأتيتك بخبرٍ لا علاقة لك به. ولكنه يحملُه إليك ويدُسُّه في أذنيك لكي يمدَّ حبل الحديث معك.

وربما كان خبراً مزوراً أو حكاية ليس فيها من الصِّحَّة أكثر مما في القصة من اللَّب. أو يلفاك في الطريق وأنت ذاهب في مهمّة ضروريّة فيستوقفك ليسألك رأيك في مستقبل العالم بعد مائة سنة.

أو ليبتك شكواه من ضريبة الدَّخْل.  
أو ليسألك عملاً إذا كانت الحرب ستقع في هذه السنة.  
أو ليشرح لك خلافاً بينه وبين صديق أو شريك أو جار أو نسيب.  
أو ليسألك رأيك في هذا الكاتب وذاك الشاعر وتلك الجريدة.

١ حبذا الأمر أسلوب للمدح ويقال حبذا الرُّجُل والرُّجُلان والمرأة والمرأتان والنساء.

أو لِيُسَدِّدَكَ النَّصَائِحَ وَيَبْذُلَ لَكَ الْإِرْشَادَاتِ.

تكون على موعد مع إنسان فيضيع. وفي طريقك إلى القطار فتتأخر عنه. أو عائدًا إلى مكتبك فلا تصل في الوقت المعين.

أرأيتَ لوالب الورق التي يتسلَّى الأولاد برؤيتها تدورُ في الهواء.

إنَّها أشبه بهذا النوع من الناس الذين يقتلون الوقت - وقتهم ووقت سواهم - بلا طائل. فهي تدورُ وتدورُ ولكنها لا تجلبُ حرارة ولا برودة. وكذلك جماعة الفضوليين الواغلين الذين يسألونك فلا تستفيد وتُجاوبهم فلا يستفيدون. ويفرضون أنفسهم عليك شتًا أم أبيت. فتجسُّ بقشعريرة<sup>1</sup> ولا زَمهرير<sup>2</sup> وبمثل الحمى ولا حمى.

لو كانت هناك شريعة تُعاقبُ مَنْ يقتلُ الوقت بالسجن لما بقي سجن فارغ. أو بالنفي لامتلات الصحاري والبراري والجزر الشحيقة<sup>3</sup> بهؤلاء.

السَّمير: 8 / 5 / 1950

## لتحرير القوي والرهيم

لا نظنُّ أنَّ في أيِّ عمل مشقة كالتي يعانيتها محرِّرو الجرائد العربيَّة وعمَّالها ولا سيَّما الجرائد اليوميَّة.

قلنا محرِّرو الجرائد ولم نقل أصحابها لأنَّ بين أصحابها مَنْ لا يمارسون الكتابة والتحرير فهم في نجوة من إجهاد أعصابهم وأرواحهم.

والسبب في ذلك أنَّ محرِّر الجريدة العربيَّة اليوميَّة في المهجر تختلف وضعيته عن وضعيته كُلُّ صُحفي في العالم حتى في البلدان العربيَّة حيث لا يهتمُّ المحرِّر بغير كتابة مقاله اليومي. أمَّا محرِّر الجريدة العربيَّة في المهجر فيكاد يكون الألف والياء في جريدته فهو المسؤول عن كُلِّ شيء حتى عناوين المشتركين. إنَّه لا يفارق مكتبه طيلة النَّهار وربَّما قَصَّت الظروف عليه أن يشتغل ليلًا أي بعد إنصراف الأعوان والمساعدين. وإذا فارق مكتبه في مهمَّة إلى مكان قريب أو بعيد فعليه أن يستمرَّ يكتب للجريدة ويهتمُّ بالكثير من شؤونها. وهو بعيد عنها. فكأنَّه النَّهر لا تظُلُّ له صفة النَّهر إلا إذا استمرَّ يجري بلا انقطاع!

في أيَّام الحرِّ المحرِّق يفرُّ الناس إلى الشواطئ والجبال. أمَّا الصُّحفي العربي في المهجر ففي أيِّ وقت

1 القشعريرة: الرُّعدة

2 الزَمهرير: شِدَّة البرد.

3 الشحيقة البعيدة.

زرتة تجده جالساً وراء مكتبه. عيناه على الطُروس ويده على التِراع.

وفي أيام الزَّمهرير والثُلوج يجرد الشتاء الأشجار من الورق أمّا هو فيظل يكسو الأوراق العارية الصّامته ويخلع عليها حياة ونضارة.

ليست هذه شكوى. فليس للجُندي الموكّل بحراسة معقل أو حصن أو شاطئ أو باخرة أن يتدمر ويتضجر من الشَّهر ولو نام الناس كلُّهم.

وحامل القلم كحامل البندقية جندي يفرض عليه الواجب أن يكون أميناً مخلصاً ومجاهداً مضحياً في سبيل المصلحة العامة.

ونحن ما تعودنا التذمّر ولا الشكوى لأننا نحن اخترنا لأنفسنا ما نحن فيه. وإنّا نريد أن نقول: إن رجال الصحافة العربيّة لا يرقّون بأنفسهم أو أنّ هذه المهنة من خصائصها أن تهضم أهلها.

ولكن أليس من الغبن الفاحش أن ينال تلميذ المدرسة في الصّيف على عطلة شهور ويحصل العامل في المكتب والطّاوي في المطبخ والضّاربة على الآلة الكاتبة والكثّاس والخبّاز وغيرهم من أصحاب الحِرَف على عطلة أسبوعين في السّنة. ولا يكون للمحرّر العربيّ مثل هذه الفرصة لتجديد قواه واستعادة نشاطه!

بلى. ولكن هذا الغبن اللاحق بمحرّري الصّحف لم يلزمهم إياه فردٌ ولا جمهور بل هم الذين جلبوا على أنفسهم هذا الغبن! إمّا حياء من الجمهور. وإمّا لخشية بعضهم من بعض وكلا الأمرين من صنيع الوهم!

يدلّك على ذلك أن أنصار «السّмир» ومحبّيها كانوا أكثر من مُبتهجين عندما جعلنا أيام صدورها في الأسبوع خمسة بدلاً من ستّة وذلك عندما زدنا صفحاتها إلى ثماني صفحات.

وما لبثت أن تابعتنا الجرائد اليوميّة الأخرى ولم يحدث لها انتكاس ولا وقعت في هاوية الإفلاس. ولهذا رأينا أن نفتح أمامها باباً جديداً للإستجمام والرّاحة وهو أننا سنتوقّف بـ «السّмир» عن الصّدور مدّة أسبوعين إذ لا سبيل إلى الإستعاضة عن مُضدّ بمنضد ولا عن طبّاع بطّاع. ولا عن شاحن بشاحن. ولا عن كاتب بكاتب. فالأيدي العربيّة التي تحسن مهنة الصّحافة قليلة نادرة. وهؤلاء العمّال يستحقّون كغيرهم من الناس أن يستريحوا أسبوعين في السّنة. ونحن لا نخرج عن كوننا من العمّال.

لذلك إنسياقاً مع الظروف وإتكالاً على محبّة الأنصار وغيرتهم ووفائهم وشعورهم ستحتجب «السّмир» ابتداءً من الواحد والعشرين من شهر آب الجاري إلى يوم العمّال الموافق الرابع من أيلول. جالت هذه الفكرة في النّفس منذ أسبوعين عندما اشتدّ الحرّ وكادت تذوب محادل الحبر ويذوب معها الصّبر. فأخذنا نزيد المواد الكتابيّة في «السّмир» منذ ذلك الحين وسوف تستمر هذه الزيادة بعد العطلة. وإن كانت العبرة ليست بالكميّة بل بالماهية ولا سيّما في الإنتاج الفكري.

وَمَا حَبَّبَ إِلَيْنَا هَذِهِ الْفِكْرَةَ اعْتِقَادُنَا الَّذِي يُوَافِقُنَا فِيهِ الْكُلُّ وَهُوَ خَيْرٌ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَخْتَارَ الرِّاحَةَ وَهُوَ صَاحِبُهَا مِنْ أَنْ يَخْتَارَهَا مُضْطَرّاً وَهُوَ مَرِيضٌ .  
نَعْلَنُ عَزَمَتَنَا الْيَوْمَ وَنَحْنُ وَاثِقُونَ مِنْ أَنْ أَنْصَارَ «السَّمِيرِ» وَرَفَاقَهَا الْأَوْفِيَاءُ سَوْفَ يَسْتَقْبِلُونَهُ هَذِهِ الْفِكْرَةَ بِالتَّخْبِيدِ وَالْإِرْتِيَاحِ .

السَّمِيرُ : 10 / 8 / 1950

## كُنْ سَتَقِيماً صَادِقاً - حِكَايَةُ فَلَاتٍ مَغْرِبِيَّة

زَعَمُوا أَنَّ الْفَاقَةَ عَضَّتْ بَنَاهَا رَجُلًا مَعْرُوفًا بَيْنَ النَّاسِ بِصَدَقِهِ وَاسْتِقَامَتِهِ وَتَقْوَاهُ نَدِيَّتُهُ فَقَصِدَ إِلَى رَجُلٍ مُوسِرٍ مَشْهُورٍ فِي الْبَلَدَةِ وَسَأَلَهُ أَنْ يَقْرِضَهُ مَبْلَغًا مِنَ الْمَالِ يَفْرُجُ بِهِ كَرْبَتَهُ فَقَالَ لَهُ الْمُوَسِّرُ : أَنْتَ رَجُلٌ فَقِيرٌ لَا تَمْلِكُ حَقْلًا وَلَا دَارًا وَلَا لَيْسَ عِنْدَكَ شَجَرَةٌ وَلَا مَدْرَةٌ<sup>1</sup> ، وَأَيُّ رَهْنٍ يُمْكِنُكَ أَنْ تَدَعَ عِنْدِي لِقَاءِ الْمَبْلُغِ الَّذِي سَتَسْتَدِينُهُ مِنِّي ؟

وَكَانَ الرَّجُلُ الْفَقِيرُ لَتَقْوَاهُ قَدْ أَطْلَقَ لِحْيَتَهُ وَكَانَتْ اللَّحْيَةُ فِي ذَلِكَ الْعَهْدِ لَهَا كِرَامَتُهَا وَجَلَالُهَا يَحْلِفُ بِهَا صَاحِبُهَا كَأَنَّهَا أَثَرٌ مُقَدَّسٌ أَوْ حَرَمٌ شَرِيفٌ وَيَرَى مِنَ الْجَنَائِدَةِ أَنْ يَرَعَى فِيهَا الْمَقْصَصَ أَوْ تَطَالُهَا الْمَوْسَى . فَمَدَّ يَدَهُ إِلَى لِحْيَتِهِ وَانْتَزَعَ مِنْهَا شَعْرَةً وَدَفَعَهَا إِلَى الْمُوَسِّرِ قَائِلًا : إِنِّي أَتْرُكُ هَذِهِ لَدَيْكَ رَهْنًا ...

وَلَمْ يَكُنْ الْمُوَسِّرُ الْمَرَابِي تَمَنَّ بِجَازِفُونَ فِي إِدَانَةِ أُمُورِهِمْ فَالْمُوسِرُونَ الْمَرَابُوتُونَ فِي كُلِّ زَمَانٍ نَمَطٌ وَاحِدٌ . لَا يَتْرُكُ أَحَدُهُمُ الشَّاقَّ إِلَّا مُمْسِكًا سَاقًا بَلْ عِنْفًا غَيْرَ أَنَّهُ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ جَازَفَ إِذَا دَانَ الرَّجُلُ أَلْفَ دَرَاهِمٍ . وَلَمْ يَأْخُذْ ضَمَانًا لِمَالِهِ غَيْرَ تِلْكَ الشَّعْرَةِ الَّتِي لَا تَسَاوِي غَيْرَ شَعْرَةٍ !

وَذَهَبَ الرَّجُلُ فَأَنْشَأَ حَانُوتًا وَمَلَأَ بَيْتَهُ قُوتًا وَكَانَ لَهُ جَارٌ ذُو لِحْيَةٍ مِثْلِهِ وَلَكِنَّهُ غَيْرُ مُتَدَيِّنٍ مِثْلِهِ وَلَا مَعْرُوفٍ بَيْنَ النَّاسِ بِالصَّدْقِ وَالْإِسْتِقَامَةِ بَلِ الْمَعْرُوفُ عَنْهُ أَنَّهُ مُقَامِرٌ فَسَأَلَهُ مِنْ أَيْنَ حَصَلَتْ عَلَى الْمَالِ الَّذِي تَتَجَرَّبُ بِهِ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ اسْتَدَانَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ مِنَ الْمُوَسِّرِ الْمَعْرُوفِ فِي الْبَلَدِ .

قَالَ : وَكَيْفَ أَدَانَكَ ذَلِكَ الْمَبْلُغَ وَأَنْتَ لَا تَمْلِكُ عَقَارًا وَلَا لَيْسَ لَكَ مَشْجَرٌ . وَهُوَ مَشْهُورٌ أَنَّهُ لَا يُعْطِي دَرَاهِمًا إِلَّا إِذَا ارْتَهَنَ دِينَارًا ؟

فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ رَهْنٌ عِنْدَهُ شَعْرَةٌ مِنْ لِحْيَتِهِ !

فَتَعَجَّبَ مِنْ حَدِيثِهِ وَجَعَلَ يَرُوزُ لِحْيَتَهُ الطَّوِيلَةَ الْكَثِيفَةَ بِيَدِهِ وَيَقُولُ فِي نَفْسِهِ : إِذَا كَانَ جَارِي قَدْ حَصَلَ عَلَى مَبْلُغٍ كَبِيرٍ لِقَاءِ شَعْرَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ لِحْيَتِهِ الْمُتَقَاصِرَةِ الْمُشَوَّشَةِ الْبَاهِتَةِ فَلَا رَيْبَ أَنَّي بِيَضْعِ شَعْرَاتٍ مِنْ لِحْيَتِي أَحْصَلَ عَلَى مَالٍ ذَلِكَ الْمُوَسِّرُ كُلَّهُ ! إِنَّهُ لَا مُحَالَةَ قَدْ أَصَابَهُ خِبَالٌ ... وَجَنُّونَ كَهَذَا لَا يَجِبُ أَنْ

1 الْمَدْرُ مَحْرُكَةٌ قَطَعَ الطَّيْنُ الْيَابِسَ أَوْ الْعِلْكُ الَّذِي لَا رَمْلَ فِيهِ .

يبقى في حوزته شيءٌ من المال... وما عثم أن قصّد إلى ذلك المؤسّر مسرعاً وأخبره أنّه بحاجة إلى ألف درهم وأنّه مستعدّ للوفاء بعد شهر أو أقلّ من شهر فهو يملك داراً وله حقول ومزارع وعملاً قريب يرث ثروة كبيرة فأصغى إليه المؤسّر ملياً ثم قال له: إنّي لا أدين إلاّ برهن فما الذي يمكنك أن ترهته عندي لقاء الألف درهم؟

فأسرع المقامر وقبض على لحيته بملء أصابعه وانتزع منها خُصْلَةً وقدمها إليها قائلاً: هذه رهيتي!...

فضحك المؤسّر وقال: لا يا صاحبي لا يمكنني أن أقرضك فلساً واحداً.

قال المقامر: لماذا؟ وأنت قد أقرضت جاري مبلغاً كبيراً ولم يرهن عندك غير شعرة واحدة!...

قال المؤسّر وهو يقهقه: أجل إنّي أدنّه ألف درهم لقاء شعرة واحدة أما أنت فلا أدنّك درهماً واحداً لقاء ألف شعرة... لأنّ هذا «الحش» ليس «حش» من ينوي الدّفع!

هذه حكاية شريفة لها مغزاها البديع وفيها فلسفة عظيمة تصدق على الناس في كلّ عصر ومكان فالمعاملات لا تقوم بمجرّد وجود المال وحده والعقار والملك بل يجب أن تكون هناك عملة غير مطبوعة ولا مسكوكة. عملة تستند إليها العملة المطبوعة المسكوكة. ألا وهي الثقة. وهذه لا يحصل عليها المرء بذكائه ومضائه ودهائه وإنّما ينالها بتلك الشّيمة الجميلة السّامية التي لا يسمو عليها شيء إلاّ الحب... وهي الإستقامة. فإنّك إذا قلت رجل مستقيم فكأنّك قلت: رجل صادق مخلص وفي نزيه منصف. وإذا اجتمعت هذه الصفات في رجل فهو الذي يأتمنه الناس على أموالهم وأسرارهم ومحارمهم ورجل مثل هذا هيهات أن يكون غير ناجح في أعماله وإذا لم يكن ناجحاً على القدر الذي يجب أن يكون له فهيهات أن يكون غير سعيد في حياته.

ليس كل من روجّ تجارة أو ربّح ثروة بسعيد وكثيرون ممن لا متاجر لهم ولا ثراء من السّعداء ولا نعني أن السّعادة لا تصاحب الثّروة بل الذي نريد أن نقوله أن الثّروة المكسوبة بالخداع لا يمكن أن يكون للسّعادة فيها أثر.

كم عرفت أيها القاريء أناساً من أهل المجازفة والمضاربة ظهروا على مسرح الحياة كواكب تتألّق فخلتهم دهاقنة نوابغ ولكنّهم لم يلبثوا إلاّ قليلاً ثم اختفوا كلمح البصر حتى كأنّما كنت تراهم في الحلم لا اليقظة.

إنّ شجرة التّمويه والخداع كشجر الزيزفون يزهر ولا يثمر...  
وكل من يخالف نوااميس الحياة لا مناص له من السقوط عاجلاً أو آجلاً.

السّمعير: 8 / 11 / 1950

## لا تسرع بأحكامك

يكون لك صديق - ولكلُّ منّا أصدقاء - تأنسُ به ويأنسُ بك وفجأة ينقطع عن زيارتك إذ كنتَ وإياه تسكنان بلداً واحداً وتتوقَّف رسائله إليك إذا كان في بلد بعيد عنك فتعتب أولاً ثم تتهادى في لومه وتظنّ فيه الظنون أقلها عدم المبالاة والحِثُّ بعهود الصداقة.

ولكنك أنت لا تكلف نفسك مخاطبته أو الكتابة إليه مستفسراً عن أسباب سكوته عنك أو انحجاب رسائله...

هذا من غير العدل والإنصاف فقد يكون لصديقك عُذْرٌ وأنت تلومه بدافع ما تسرّب إلى قلبك من الشكّ في صداقته ويكون الواقع بخلاف ما خمّنت وتوهّمت. ولم يدُرْ بخلدك أن تلتمس له عذراً.

قد يكون صديقك في محنة. أو زار المريض أحد أفراد عائلته فشغل به عن كلِّ شيء آخر أو لديه من مشاكل الحياة اليومية ما أسكتته عنك - ولكلُّ منّا نصيبٌ منها فلا يحسنُ والحالة هذه التسرع بالحكم على الأصدقاء إذا قصّروا قليلاً بواجب الصداقة.

ومثل التسرع في الحكم على الأصدقاء الذين عرفناهم واختبرناهم مثل التسرع في الحكم على غير الأصدقاء الذين لم نعرفهم ولم نخبرهم.

قد تلقى لأول مرة رجلاً مُصدراً المجلس ومن حوله المعجبون يثنون على كلِّ كلمة ينطقُ بها خطأ أكانت أم صواباً؟ عادة التقرب من الأغنياء، فتقول: إنّ هذا الرجل من السُّعداء يتمتّع بالغنّى الطائل وبالمقام المُعتبر والتكريم هكذا يترأى لك. ولكن إذا أُتيحَ لك سؤاله هل هو سعيد حقيقة لكان الجواب أنّه يشقى في غناه ويتعسّر في جاهه وإن بدا للناس في الظاهر سعيداً هائلاً فإنّه يتألم في داخله كلّما جلس إلى مائدة في حفلة ولا يستطيع تناول ما يشتهيهِ من بعض أصناف الطعام فيرفع يده عنه ونفسه تشتهيهِ. وإن لم يكن هذا فإنّه يكون أسير المجاملات الإجتماعيّة والواجبات التي لا مهرب لمن كان مثله من القيام بها رضي أم لم يرض.

ويقعُ نظرك على رجل عامل عائداً من مكان عمله إلى بيته فتحكمُ عليه بالتعاسة والشقاء وتقولُ مشفقاً: ما أتعسّر هذا الإنسان المحروم من ملاذ الحياة الذي تمتّع به سواه من القادرين ولكنك إذا رافقته إلى داره تبين لك أنّ هذا الرجل الذي حكمتُ عليه بالتعاسة والحرمان يعيش هائلاً وادعاً قرير النفس لا يهتم بما سيحيي به الغد. ويتمنّى الذين تحسّبهم من الأغنياء السُّعداء، أن يكونَ هم ما لهذا العامل من راحة الفكر والضّمير التي يتمتّع بها.

وهناك من الناس من تراه مواظباً على الصلّاة والتظاهر بالتقوى وحبّ الخير للجميع ودائماً يتغنّى

بالإستقامة وطهارة الذمة لإِسْأَثُوبِ الحَمَلِ الوديع فتقول إنه رجلٌ مستقيم يؤمِّنُ إلى أقصى حدٍّ.  
ولكن بعد الإختبار نرى أن تظاهره بالشرف والإستقامة ستار شفاف يخفي وراءه خُبْئَهْ وهِكْرَهْ  
واحتياله وله ذِمَّةٌ تُسَعِّعُ لإِبتِلَاعِ تمثال الحرِّيَّةِ. أو بناية الأمير.

وبعكس هذا الذي وصفنا تلقى الرجل الذي لا يُعْنَى بالصَّلَاةِ ولا يتعرَّفُ المعبود عليه لا يدَّعي  
الإستقامة والصَّدْق فتقول عنه هذا شخص لا يؤمِّنُ على شيء يجب الإبتعاد عنه. وَلَكِنَّا عند اختبارنا  
إِيَّاهْ نجدُه صادقاً شريفاً في معاملته للنَّاسِ - والدِّين هو المعاملة.

فيحسُنُ بالمرء أن لا يتسرَّع في أحكامه على الأشخاص ويتجاوز عن إذاعة ما يَحْكُمُ به لأوَّل وهلة.  
فيتجنَّبُ الإساءة إلى سُمْنَةِ الآخرين وهو لا يكون يقصد الإساءة إلى أحد.

السَّمبر: 1950 / 12 / 22

## عن أضع صحتَه أضع حرِّيَّته

إنَّ الوعكة العنيفة التي هاجمتني على غِرَّة<sup>1</sup> كِلَصَ وقَع في كَمِين<sup>2</sup> فالتقني في الفراش لم تكن شراً  
كلَّها. فقد فَتَحْتُ عيني على حقيقة غالبة لم أكن أجهل وجودها مِنْ قَبْلُ ولكنِّي كُنْتُ غافلاً عنها لا  
أوليتها حقَّها مِنَ العِناية والتَّقدير. وهي أن الإنسان تظلُّ له حرَّيته ما دامت له صحَّته. فإذا أضعها  
أضع حرِّيَّته واستقلاله. وصارت حاله كحال النَّاسِ المُقيمين خلف «الستار الحديدي» لا يملك مِنْ  
أمره ضَرّاً ولا نَفْعاً. ويملك الحاكم المُسيطر المستبدُّ كُلَّ أموره حتى طعامه وشرابه. وصحوه وورقاده  
وصمته ونطقه. ومجيئه وذهابه. وكُلَّ شيء له.

ومثل الإنسان المقيم في ظلِّ الدكتاتورية المُسلَّطة كُلُّ إنسان فارقته العافية وركبته العيلة. فإنَّ  
تكليف شؤونه يصبح مرهوناً بمشيئة الطَّبيب. فإذا منعَ عنه الطعام وجَبَ عليه أن يصومَ غير متأفِّفٍ  
ولا مُضجِرٍّ. وإذا وصف له دواء علقمي<sup>3</sup> المذاق فعليه أن يتجرَّعه وهو مُهَلِّلٌ باسم كأنه يذوق  
الشَّهد. وإذا نهاه عن الحراك فعليه أن يتحوَّلَ إلى خشبة وأن لا يشكو وإن خَدِرت أعصابه. وتصلَّبت  
أعضاؤه وتقصَّفت عظامه مِنَ الجمود والسُّكون...

وإذا سُمِحَ له أن لا يتكلَّم إلا بمقدار فعليه أن يعدَّ الكلمات التي تخرج مِنْ بين شفتَيْهِ حتى إذا بلغ  
الحدَّ المُعيَّن أَطْبَقَ شَفَتَيْهِ لكي تلتصقا كشقيِّ المحارة<sup>4</sup>!!

1 غِرَّة: الغيرة الغفلة أثناء اليقظة ج غرر ويقال أخذ على غِرَّة.

2 الكمين القوم يَكْمِثُونَ في الحرب ونحوها لمفاجئة العدو.

3 العَلْقَم: كُلُّ شيء مُرٌّ ونبات الحنظل واحده علقمة.

4 كَشَقِيَّ المَحَارَة: الشَّقُّ شِقُّ الشيء ينصفه وجانيته. والمحارة بين الأذن جوفها. والصَّدْفَة.



وإذا لاح للطبيب أن يحول بين المريض ومطالعة الجرائد والإصغاء إلى الراديو. وأن يحظر عليه قبول الزوار. فالأمر كله له. ولا يجوز للمريض أن يعصاه. بل هو لا يجسر<sup>1</sup> أن يفكر في العصيان لاعتقاده أن في الطاعة شفاؤه ثم نجاته واسترداد حريته...

إن من يمرض يفقد سلطانه على نفسه ويصبح في عداد القاصرين. ويصير غيره ربان سفينة. ويغدو الطبيب المؤكل به هو الوصي الأول والولي الأعلى.

قلت: الوصي الأول والولي الأعلى لأن الأوصياء والأولياء الذين يتطوعون للمشاركة والمراقبة في هذا الظرف كثيرون. وإنما الوصي الثاني بعد الطبيب هو الممرضة التي تحرص على سلطتها أكثر من حرص الطبيب على سلطته. إنها تنفذ أوامره تنفيذاً دقيقاً كالجندي الأمين وفي الوقت ذاته تنفذ أوامرها... فإذا كان المريض مستغرقاً في نوم هانيء لذيذ وخطر للممرضة أن توقظه فعليه أن يستيقظ وينسى أحلامه ورؤاه لكي يستقبل يد الممرضة وهي ترش بالماء الفاتر على وجهه. أو تدنو إلى فمه بالدواء أو بميزان الحرارة!

وإذا كان مستيقظاً يستمع إلى الراديو أو يطالع مجلة أو كتاباً وشاءت الممرضة أن يهجع فما أسهل أن تناوله حبة من حبوب النوم فلا تنفسي دقائق حتى تثقل أجفانه وتتخدر أعصابه شيئاً فشيئاً حتى يغيب ويفرق في بحر عميق من الكرى. فيذهل حتى عن الممرضة وإلا إذا كانت من ذوات الجمال فيخلع عندئذ بها في نومه...

ليس لك وأنت مريض أن تختار طعامك ولا شرابك. ولا أن تقرّر مواعيد صبحوك ورقادك فإذا شئت أن يبقى أمرك في يدك وأن تظل ربان سفينتك... فلا تمرض!!  
أما إذا مرضت فعليك أن تشكر الله لأنك تجد طبيباً يعنى بك. وممرضة تحرص على راحتك وسلامتك. وقلوباً محبة تحقّق حول سريرك عطفاً وإشفاقاً وحناناً.

ويحسنُ بك أن تذكر في هذا الموقف ما قاله الفيلسوف الألماني فردريك نيتشي: «كل مصيبة تُصيّني ولا تقتلني فهي قوة جديدة لي» ولا تكثر بقول القائلين: إن نيتشي مات مجنوناً بل اذكر المثل العربي القائل: خذوا الحكمة من أفواه المجانين!!!

السّمر: 18 / 1 / 1951

## حديث أدبي

من المحن الأخيرة التي ابتلي بها الله القاريء العربي ظهور عدد من الكتاب المقننين جعلوا همهم الأكبر تفضيل النثر على الشعر أو الشعر على النثر. ليبرهّنوا عن أنهم أهل قدرة في الحجاج واللجاج

كما يفعل الذين يختلفون في أيّهم<sup>1</sup> أجل وأحب المرأة الشقراء أم المرأة السمراء.

إنّ هذا الصنف من الكتاب ليس أرفع منزلة من كتاب السجع أو شعراء البديع. وهم لا يقصدون نفع عصرهم وأبناء عصرهم وإنّما يقصدون اللهو والعبث. ويفرحون أنّهم يجولون في هذا الميدان موفقين!!

وهناك صنف آخر من الكتاب الذين ولعت نفوسهم بالنقد والتمحيص. تراهم يصنّفون الأدب أصنافاً. فعندهم منه القديم والجديد. والمطروق والمبتكر. وهم لا يكتفون بنسبة الأساليب إلى الجدة<sup>2</sup> والقومية بل يلحظون بها الفكر. وينسبون أنّ الفكرة الصحيحة كالشمس جديدة وإن مرّت عليها دهور. ولذلك كثيراً ما نستخرج من عصر انحطّ فيه الأدب إلى الدرك<sup>3</sup> الأسفل فكراً عالية سامية صالحة للبقاء كالفكر<sup>4</sup> التي نجدّها في عصور الأدب الزاهرة.

بالأمس كنّا نطالع كتاباً اسمه «يتيمة الدهر» للثعالبي. فإذا هو لا يشتمل إلا على أشياء هي من الشخافة في أصولها. ومن الحماقة في صميمها. فكنا كلّما قلنا صفحة لذع الأسف منا الروح على ما كان عليه محترفو صناعة القلم من الجفاف الزوحي وما في وجوههم من صفاقة<sup>5</sup> وسماجة<sup>6</sup> يظنونها ظرفاً<sup>7</sup> وملاحة.

ولكنّا لم نضجر. بل تابعتنا القراءة كما يتابع السائر في صحراء جرداء المشي فيصل أخيراً إلى عين ماء أو واحة ذات ظل. ووصلنا نحن إلى مثل ذلك إذ عثرنا على أبيات نفيسة لشاعر اسمه عبد الله الضرير الأنبوردي هي من خير ما تلده القرائح في أيّ زمان. فكانت على قلبها خير شفيع في الكثرة السمجة المستقبحة في الكتاب. وقد رأينا أن نشرّك قراء «السمير» في هذه التحقفة<sup>8</sup> فنقلناها وهي كما يلي:

صيامي إذا أفطرت بالشححت ضلّة<sup>9</sup> وعلمي إذا لم يُجدّ ضرب من الجهل<sup>9</sup>

1 أيّهم: أي للعاقل وغيره وتنفرد عن بقية الموصولات بأنها تُعرب دانياً نحو: يسرني أيّهم هو قادم، إلا إذا أضيف وحذف الضمير الواقع صدر صلتها فتبنى على الضمّ نحو يسرني أيّهم قادم ورأيت أيّهم متضلع من العلوم. (راجع الشرتوني الجزء الرابع ص 138).

2 الجدة: وجد الشيء يجده بكسر الجيم فيها صار جديداً.

3 الدرك: أسفل كل شيء ذي عمق كالبر ونحوها. يقال: بلغ الغواص ذرك البحر.

4 الفكر: الصورة الذهنية لأمر ما ج فكر.

5 الصفاقة: ووجه صفيق بين الصفاقة وقبح.

6 السماجة: استسمجه استقبّحه. وسمّج قبح.

7 الظرف: ظرف فلان ظرفاً وظرافة كان كئيباً حاذقاً فهو ظريف وهي ظريفة.

8 التحقفة الطرفة ويقال لما له قيمة فنية أو أثرية تحقّج تحف.

9 أفطر الصائم تناول الطعام بعد صيامه. والشحّت: ما خبث وقبح من المكاسب فلزم عنه الغار كالرشوة ونحوها. والضلّة: الخيرة. وفلان يلوّمني ضلّة إذا لم يوفق للرّشاد في عدل. والضلال ضد الرّشاد وأضلّه أضاعه وأهلكه.

وتزكيتني مالاً جمعتُ منَ الربا      رياءً وبعضَ الجُودِ أخزى منَ البُخلِ<sup>1</sup>  
كسارقةِ الرُّمَّانِ منَ كرمِ جارها      تعودُ به المرضَى وتطمعُ في الفضلِ<sup>2</sup>  
ألا ربَّ ذئبٍ مرَّ بالقومِ خاوياً      فقالوا علاه البَهرُ منَ كثرةِ الأكلِ<sup>3</sup>  
ومنها:

يواسي الغراب الذئبَ في كُلِّ صَيِّدِهِ      وما صاده الغرابان منَ سَعَفِ النَّخْلِ<sup>4</sup>

ولتقريب معاني هذه الأبيات منَ الأفهام فلتتبعها ببعض التفسير. فهذا الشاعر يقول: إذا أنا صمْتُ ثمَّ افطَرْتُ بالشُّخْتِ. أي إذا كان ما آكله منَ مالِ اليتيم أو أرملة أو مسكين أو عاجز فإنَّ أكلِي هذا الشُّخْتِ الحرامِ إثمٌ وصيامي لا خير فيه.

وإذا لم يكن علمي مُجدياً أي مفيداً لهذا العلم فهو نوعٌ منَ الجهل.

ثمَّ يقول إذا قدَّمتُ زكاةَ مالي وكان هذا المال قد حصَّلته بالربِّاء المحرَّم في ديني فإنَّ عملي أو زكاتي خبثٌ<sup>5</sup> ورياء. وجُودي بالمال المكسُوب بالربِّاء هو أجلبُ للخزي منَ البُخل لأنَّ حالي عندئذ كحال امرأة سرقَت الرُّمَّان منَ كرمِ جارها لتحمله هديةً إلى مريضٍ كي تكسبَ الشكرَ والحمد بالرُّمَّان المَشْرُوق... أي ترتكبُ إثماً وتطلبُ الشكرَ عليه.

ومنَ المعاني اللطيفة في هذه الأبيات قوله إنَّ الذئبَ إذا مرَّ بالناس وهو خاوي البطن خائر القوى منَ الجُوع. قالوا إنَّما هذا الضَّعْف فيه هو منَ كثرةِ الأكل!! ذلك لأنَّه ذئب! والناس لا يصدقون أنَّ الذئب يمجوع!

وهذا رمز لأيِّ إنسانٍ اشتهرَ إثمًا بالكذب فلا يعود أحدٌ يُصدِّقه حتى عندما يصدق في حكاية أو خبرٍ أو رواية أو عُرِفَ بالبخل والكزازة<sup>6</sup> فإذا تبرَّع لمشروعٍ بمبلغٍ منَ المال كَبُرَ<sup>7</sup> على الناس أن يصدقوا أنَّ رجلاً قضى حياته يبخلُ بِماله حتى على نفسه قد سخا على غيره!.

السَّهير: 14/ 5/ 1951

- 1 التزكية: الزكاة البركة والنماء والطهارة والصَّلاح (وفي الشَّرع) حصَّةٌ منَ المال ونحوه يُوجب الشَّرعُ بذلها للفقراء ونحوهم بشروطٍ خاصَّة. والربِّاء: الفضلُ والزَّيادة (وفي علم الإقتصاد) المبلغُ يُؤدِّيه المُقتَرَضُ تبعاً لشروطٍ خاصَّة. والربِّاء في الشَّرع حرامٌ أي حرام. والرياء: الممارسة الكذب وأخزاه أخجله وأهانته.
- 2 عادة: عاد العليلَ عيادةً زاره.
- 3 البَهرُ: بهرَّ بهراً أجهده حتى تتابع نفسه.
- 4 الغراب جنس طير من الجواثم يُطلَق على أنواع كثيرة منها: الأسود والأبَّقع والزَّاغ والغُذاف. ج غرابان، والسَّعَف: جريد النَّخْلِ وورقه.
- 5 الخُبْث: خبث الشيء صار رديئاً مكروهاً.
- 6 الكَزَّازة: ورجلٌ كَزَّ البدين ببخل.
- 7 كَبُرَ: عليه الأمر شقٌّ وثقل.

## الأموات الأحياء

مضى الناس إلى المدينة الصامته التي لا ضوضاء فيها ولا اقتتال ولا زحام على المعاش ولا تنافس في سبيل المجد... إلى مدينة الأموات. وراحوا يطوفون بين القبور وتطوف معهم الذكريات المشرقة والقاعة وتستيقظ في أذهانهم حكايات وحوادث كانت ملتجئة بالصمت والسكون كالموميات المصرية.

هناك يرجع الإنسان إلى نفسه فيصير له في الحياة رأي غير رأيه. فإذا كان من الراكضين في ميادين اللهو المتهاكين على اللذة المتعبدن للحطام<sup>1</sup> أخذته الخشية وهو واقف بين القبور فرأى كل شيء - خلا الله - باطلاً. وقبض الريح<sup>2</sup> كما قال الجامعة. مضى أمس بنو الموتى يكرّمون الآباء والأمهات والأجداد والإخوان والأنسباء الذين كانوا هنا ومضوا. وانقضى النهار وانصرف الزوّار وجاء المساء فإذا الأزهار تزّين كل قبر. والماء يرطب كل نابتة عند قبر.

وهكذا ولدت في ذلك اليوم دموع كانت مكنونة وتجددت أحزان وحسرات كادت تُمحي. ولاحت للعيون والأرواح عظام ثمينة لا يجدها الإنسان في كتاب ولا في أي مكان إلا في دار الأموات.

وعندنا أن أهم هذه العظام هي أن قيمة الإنسان في حياته وبعد مماته هي في العمل المفيد الذي أناه وهو حي. فإن أفاد ذاته وخذها فما يذكره بالحسنى أحد. أمّا إذا أفاد جماعة. فإنه يخلد في الأرض ما بقيت تلك الجماعة. وإذا أفاد قبيلة فمجدّ يدوم ما دامت تلك القبيلة.

أمّا إذا خدم أمة فإن أمة بأسرها تستبقي ذكراه حيّة فيخلد بخلودها. ويندثر باندثارها. وأطول الناس ذكراً وأكثرهم خلوداً في الدنيا هم الذين خدموا الإنسانية كلّها بما بثوه من التعاليم الرفيعة. وما اكتشفوا من أسرار الطبيعة. وما وضعوا من نظم وشرائع راقية لتسود العدالة في الأرض بين الناس.

فهؤلاء هم الأموات الأحياء الذين لا يكرّم ذكراهم الأهل وحدهم ولا القبيلة وخذها ولا أمة واحدة بعينها بل الإنسانية كلّها. فطوبى<sup>3</sup> لهم. وطوبى لكل إنسان أفاد إنساناً أو أفاد جمهوراً.

السّميز: 1/6/1951

1 الحطام: ما تكسّر من اليبس.

2 قبض الريح: قبض الشيء أخذه.

3 طوبى: وطوبى فعلى من الطيب قلبوا الياء واوألضمّة ما قبلها ويقال طوبى لك وطوباك أيضاً.

## كَمْ يَدْرُومُ جَمَالَ الْمَرْأَةِ

إذا بلغت المرأة الخامسة والثلاثين مِنَ الْعُمُرِ استولَى عليها الوَهْمُ بأنَّها قد فارقتْ عَصْرَ الصَّبَا.  
وَأَنَّ دِيَابِجَةَ<sup>1</sup> حُسْنِهَا سَبَّوْخُ سَرِيعاً.

ولعلَّ الأمرَ كما تَوَهَّمُ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَدْعُو إِلَى الْقُنُوطِ. فالمرأة عندما تطأ عتبة الخامسة والثلاثين تغادرُ وراءها عالمَ السحر والفتون ولكن لا شيء يمنعها مِنْ أَنْ تَظَلَّ تُسَبِّي<sup>2</sup> وَتُصَبِّي<sup>3</sup> وتستهوِي الأَبْصَارَ والأَلْبَابَ<sup>4</sup>. وفي وسعها إذا هي قَامَتْ على العناية بنفسِها أَنْ تستبقي خِلابَتها<sup>5</sup> ومِلاحَتها<sup>6</sup> عَقْدًا<sup>7</sup> آخرَ مِنَ السنين. وليست العناية أَنْ تحاولَ كتمانَ عمرها ولا أَنْ تستعينَ بالوسائل التي تجعل فيها الحُسْنَ مُصْطَنَعاً والشَّبَابَ عارِيَةً<sup>8</sup> فَإِنَّ الْأَذْهَانَ<sup>9</sup> والأَصْبَاغَ لَا تَقِفُ الزَّمَنَ عن المسير.

يقال: إِنَّ عُمُرَ الْمَرْأَةِ فِي وَجْهِهَا فإذا ظهرتْ صَبِيَّةٌ فَهِيَ صَبِيَّةٌ وإذا بدَتْ كَهْلَةٌ فَهِيَ كَهْلَةٌ. فالمرأة اللَّيْبِيَّةُ هي التي تبدو صَبِيَّةً وتشعرُ أَنَّها صَبِيَّةٌ.

وهذا الأمرُ ميسُورٌ لها إذا هي استبقتْ ذِهنَها<sup>10</sup> صافياً لا كدورة فيه. ولم تعتزل الناسَ لما في العُرْلَةِ مِنَ الْكَأَبَةِ والوحْشَةِ. وثابرتْ على تتبُّعِ الحوادثِ والشُّؤْنِ الْعَامَّةِ ولا سِيَّما ما يجري في عالمِ الأدبِ فإنَّها إذا اشتغلتْ بهذه الشُّؤْنِ شعرتْ أَنَّها صَبِيَّةٌ وظهرتْ لِلْعُيُونِ كذلك. حَسْبُهَا<sup>11</sup> أَنْ تَلْبَسَ ثوباً جميلاً

1 الدِّيَابِجَةُ: الدِّيَابِجُ بالكسر فارسي مُعَرَّبٌ وجمعه دبابيج والدِّيَابِجَتَانِ الحَدَّانِ. والناقَةُ الْفَتِيَّةُ الشَّابَّةُ ويقال لكلامه وشعره وكتابته ديابجة حَسَنَةٌ.

2 سَبَّى عُدُوَّةً أَسْرَهُ.

3 وَتَصَبَّنَتْ شاقته ودعته إِلَى الصَّبَا فَحَنَّ إِلَيْهَا وَتَصَبَّأَهَا وَتَصَابَاهَا خدعها وفتنها. وَالصَّبْبُوهُ جَهْلَةُ الْفُتُوَّةِ وَصَبَا صَبَّوَا وَصَبَّأً. وَتَصَبَّتْ أَصلُ الْفِعْلِ تَصَبَّتْ وَالتَّاءُ فِي أَوَّلِهِ تَسْمَى تَاءَ الْمَطَاوِعَةِ أَوْ الزَّائِدَةِ وَيَجُوزُ حَذْفُهَا مِنْ أَوَّلِ الْمَضَارِعِ وَهِيَ لُغَةٌ سَلِيمَةٌ بَلِيغَةٌ.

4 الْأَلْبَابُ: اللَّبُّ الْعَقْلُ وَجمعه أَلْبَابٌ.

5 الْخِلَابَةُ: وَخَلَبَ فَلَانًا خَلَبًا وَخِلَابَةً خَدَعَهُ وَقَتَّنَ قَلْبَهُ فَهُوَ خَالِبٌ.

6 مَلَحَ الشَّيْءُ أَيَّ حَسَنَ فَهُوَ مَلِيحٌ.

7 الْعَقْدُ: مِنَ الْأَعْدَادِ الْعَشْرَةِ وَالْعِشْرُونَ إِلَى التَّسْعِينَ.

8 الْعَارِيَّةُ: مَا تَعْطِيهِ غَيْرُكَ عَلَى أَنْ يَعِيدَهُ إِلَيْكَ. يَقَالُ كُلُّ عَارِيَةٍ مُسْتَرَدَّةٌ جَ عَوَارٍ.

9 دَهْنٌ نَافِقٌ وَرَأْسُهُ وَغَيْرُهُ دَهْنًا وَدَهْنَةٌ بَلَّةٌ وَالْأَسْمُ الدَّهْنُ بِالضَّمِّ جَ أَذْهَانٌ وَدِهَانٌ.

10 الدَّهْنُ: الْفَهْمُ وَالْعَقْلُ.

11 حَسْبُهَا كَافِيهَا.

الهَيْدَامُ<sup>1</sup> فَتَغِيبُ فِي طَيَّاتِهِ بَضْعَةٌ<sup>2</sup> أَعْوَامُ. فَلِلثِّيَابِ الْجَمِيلَةِ رَوْعَتَهَا.

وَمَنْ أَجَالَ النَّظَرَ فِي الْعَصُورِ السَّالِفَةِ عَثَرَ عَلَى حَقِيقَةٍ غَرِيبَةٍ مُدْهَشَةٍ وَهِيَ أَنَّ مَعْظَمَ النِّسَاءِ الْفَاتِنَاتِ اللَّوَاتِي امْتَلَكْنَ قُلُوبَ الْمَشَاهِيرِ مِنْ كَلْبِوَيْتِرَا إِلَى هِيلَانَةَ كُنَّ عِنْدَ تَحَكُّمِهِنَّ بِتِلْكَ الْأَرْوَاحِ أَقْرَبَ إِلَى الْأَرْبَعِينَ مِنْهُمْ إِلَى الْعِشْرِينَ.

وكَذَلِكَ كَانَ الْأَمْرُ فِي الْعَصُورِ الْحَدِيثَةِ.

حَدَّثَ مَرَّةً فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الْأَدَبِ فِي فَرَنْسَا أَنَّ فَتَاةً جَمِيلَةً دُونَ الْعِشْرِينَ مِنَ الْعُمُرِ سَأَلَتْ بِلْزَاكَ مُسْتَغْرِبَةً لِمَاذَا يُحِبُّ النِّسَاءُ اللَّوَاتِي جَاوَزْنَ زَمَنَ الصَّبَا وَيَجِدُ لَذَّةً فِي عَشْرَةِ اللَّوَاتِي بِلْغَنِ الْأَرْبَعِينَ.

فَجَبَسَ بِلْزَاكَ ثُمَّ ابْتَسَمَ وَقَالَ: «لَعَلَّ السِّرَّ فِي ذَلِكَ هُوَ أَنَّ ابْنَةَ الْعِشْرِينَ يُجِبُّ أَنْ يَرْضَاهَا الرَّجُلُ أَمَّا ابْنَةُ الْأَرْبَعِينَ فَهِيَ الَّتِي تَرْضَاهُ. فَلَيْسَتْ قُوَّةُ الْمَرْأَةِ كَمَا يَقُولُونَ فِي مَعْرِفَتِهَا كَيْفَ تَسْتَعْمَلُ مَا لَهَا مِنْ جَمَالٍ بَلْ فِي قُدْرَتِهَا عَلَى اسْتِرْضَاءِ الرَّجُلِ الَّذِي تَمِيلُ إِلَيْهِ».

وَمِمَّا لَا رَيْبَ فِيهِ أَنَّ الرَّجُلَ يُعْجَبُ بِالْمَرْأَةِ الْفَطْنَةِ الذَّكِيَّةِ. وَلَكِنَّ الْمَرْأَةَ الَّتِي يُحِبُّهَا هِيَ الَّتِي تَسْتَطِيعُ أَنْ تَحْمِلَهُ عَلَى الْإِعْتِقَادِ أَنَّهُ فَطِنٌ لَيِّبٌ. فَالْغُرُورُ فِي طَبِيعَتِهِ. وَالْفَتُونُ مِنْ شِيَمِهِ. وَهُوَ يَطْرُبُ إِذَا أَقْبَلَتْ الْمَرْأَةُ عَلَيْهِ وَلَكِنَّهُ يَطْرُبُ أَكْثَرَ إِذَا أَقْبَلَ عَلَيْهَا بِحَدُوثِهَا فَوَجَدَهَا مُسْتَأْنَسَةً بِأَحَادِيثِهِ.

السَّمِيرُ: 1951 / 7 / 11

## الْأَضْفَاتُ<sup>3</sup> أَحْلَامُ

حَلِمْتُ لَيْلَةً أَمْسِ كَأَنِّي أَسِيرُ فِي غَابَةِ. وَمَعَ أَنَّ مَسِيرِي كَانَ نَهَاراً فَلَمْ أَكُنْ وَاثِقاً مِنْ أَنِّي أَسِيرُ إِلَى غَايَةِ وَاضِحَةٍ أَوْ فِي طَرِيقِ أَمِينٍ. بَلْ كُنْتُ أَشْعُرُ بِكَثِيرٍ مِنَ الْخَيْرَةِ وَالْقَلْقِ إِذْ لَا عَهْدَ لِي بِهَذِهِ الْغَابَةِ وَمَسَالِكِهَا. وَلَمْ أَعْرِفْ كَيْفَ اسْتَمَلْتُ عَلَيَّ وَلِمَاذَا أَنَا فِيهَا.

وَحَانَتْ مِنِّي التَّفَانَةُ فَرَأَيْتُ عَيْناً جَارِيَةً قَدْ جَلَسَتْ عَلَى حَافَتِهَا شَيْخٌ بَلَغَ مِنَ الْعُمُرِ عِتْيَا<sup>4</sup>. وَنَفَضَ الدَّهْرُ غِبَارَهُ فِي لَحْيَتِهِ بَيَاضاً وَأَلْقَى كَلَاكِلَهُ<sup>5</sup> عَلَى جَبِينِهِ فَتَجَعَّدَ. وَعَلَى ظَهْرِهِ فَتَقَوَّسَ.

1 وشيء مهتدم أي مُصْلَحٌ عَلَى مِقْدَارٍ وَهُوَ مَعْرَبٌ.

2 بَضْعٌ: وَيَضْعُ فِي الْعَدَدِ بِكَسْرِ الْبَاءِ وَبَعْضُ الْعَرَبِ يَفْتَحُهَا وَهُوَ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِ إِلَى الثَّنْعِ يَقُولُ بَضْعُ سَنِينَ وَبَضْعَةُ عَشْرٍ رَجُلًا وَيَضْعُ عَشْرَةَ امْرَأَةٍ فَإِذَا جَاوَزَتْ لَفْظَ الْعَشْرِ ذَهَبَ الْبَضْعُ لَا يَقُولُ بَضْعٌ وَعِشْرُونَ.

3 الْأَضْفَاتُ: وَأَضْفَاتُ أَحْلَامِ الرُّؤْيَا الَّتِي لَا يَصْحُحُ تَأْوِيلُهَا لِاخْتِلَاطِهَا.

4 الْعَتِي: وَعَتَا الشَّيْخُ اشْتَدَّ كِبَرُهُ.

5 الْكَلَكَلُ: الصَّدْرُ أَوْ هُوَ مَا بَيْنَ التَّرْقُوتَيْنِ.

دَنُوتُ مِنْهُ وَتَفَرَّسْتُ فِي وَجْهِهِ فَإِذَا هُوَ أَعْمَى فَطَارَحْتُهُ التَّحِيَّةَ فَرَدَّ بِأَحْسَنَ مِنْهَا وَلَمْ يَتَعَجَّبْ مِنْ  
وُجُودِي كَأَنَّمَا هُوَ كَانَ عَلَى مَوْعِدٍ مَعِي.

قلت: كم مضى عليك في هذه الغابة أيها الشيخ الجليل؟

قال: منذ كانت هذه الغابة.

قلت: وكيف تعيش فيها. ولا أنيس ولا رفيق.

قال: كما تعيش الشجرة وكما يعيش الطائر وكما تعيش النملة. لقد وجدت السلامة في الوحدة.

قلت: وهل لك بالمدينة إتصال وعندك عنها أنباء.

قال: إن الهواء ينقل إلي كل شيء عنها حتى همس الأرواح ونجوى الخواطر.

قلت: وما تعلم من أحوالها؟ وأحوال الناس.

قال: أعلم أن الناس في قلق مما يُسمونه «المستقبل» وهو شيء لا وجود له إلا في أذهانهم ولن

يكون إلا كما يريدون هم أن يكون. فإذا شاؤوا عَمَرُوا<sup>1</sup> بالأغاني والألحان والابتسامات وإن شاؤوا كان  
غُصَصاً<sup>2</sup> وحسرات وأهوالاً وآفات.

قلت: ولكن الناس فئتان أقوياء وضعفاء وما يستطيعه الأقوياء يَعْجزُ عنه الضعفاء. وليس في

طاقة ضعیف أن يَكَيِّفَ مَصِيرَهُ...

قال: غَلِطْتُ بل كلهم ضعفاء أمام القوة العليا التي تَبْهتُهم كما يُبْهتُ الكاتب كلاماً في قرطاس<sup>3</sup> ثم

يَمْحُو ما كَتَبَ!

قلت: إذن كيف يقدرُونَ أن يَكَيِّفُوا مَصِيرَهُمْ وهذه حالهم كلهم من الضعف؟

قال: يجب عليهم أن يتعاونُوا كما يتعاون النمل وأن يَكْدُوا وَيَكْدَحُوا<sup>4</sup> كما يَكْدَحُ<sup>4</sup> النحل. وأن

يَرْفُقُوا<sup>5</sup> غَنِيَّتَهُم بِفَقِيرِهِمْ وَيُحْسِنَ عَالِمَهُمْ إِلَى جَاهِلِهِمْ. وَيُسَيِّدُ قُوَّتَهُمْ ضَعْفَهُمْ. وَلَا يَسْخَرُ ذُو جَمَالٍ مِنْ

ذِي قُبْحٍ. وَلَا يَطْمَعُ وَاحِدٌ بِمَا عِنْدَ غَيْرِهِ وَعِنْدَهُ مَا يَكْفِيهِ. وَلَا يَسْتَلِذُ الشَّبَعُ وَحَوْلَهُ جِيَاعٌ. وَلَا يَهْتَفُ

بِالْأَغَانِي وَغَيْرِهِ حَزِينٌ بِالْكَ. وَلَا يَقُولُ كُلُّمَا سِيلَ عَنْ جَارِهِ وَعَشِيرِهِ كَمَا قَالَ قَايِينَ: هَلْ كُنْتُ حَارِساً

لْأَخِي؟

إن كل إنسان حارس لكل إنسان. فإذا جَحَدَ هذه الحقيقة وتَنَصَّلَ مِنْ هذه التَّبِيعَةِ<sup>6</sup> واستهزأ بهذا

1 عَمَرُوا: عَمَرَ الْقَوْمُ الْمَكَانَ سَكَنُوهُ.

2 الْغُصَّةُ: مَا اعْتَرَضَ فِي الْحَلْقِ مِنْ طَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ جُ غُصَصَ.

3 الْقِرْطَاسُ الصَّحِيفَةُ جُ قِرَاطِيسُ.

4 كَدَحَ فِي الْعَمَلِ وَلِنَفْسِهِ وَلِعِيَالِهِ كَدَحاً سَعَى وَكَدَّ وَكَسَبَ.

5 رَفَقَ بِهِ نَفَعَهُ.

6 التَّبِيعَةُ مَا اتَّبَعَ بِهِ.

الواجب فإنه يرجع حيواناً ضارياً<sup>1</sup>!! وفي هذا الرجوع هلاكه ودماره...  
 وحدقتُ في وجه الشيخ الأعمى وهو يتكلم فرأيتُ الألقَ يفيضُ من قسَماته<sup>2</sup> ثم غاب وجهه في  
 غَمرة<sup>3</sup> من نورٍ فيأض وانقطعَ عن الحديث وبعد هنيهة<sup>4</sup> لم أره ولكنني رأيتُ نفسي واقفاً وخدي عند  
 تلك العين الجارية!

السَّمير: 10/8/1951

## أَشْكَالٌ مِنَ الْخَلْقِ

يقول جمهورٌ من العلماءِ المفكرين: إنَّ الذَّنْبَ يلحقُ الهيئَةَ الاجتماعيةَ ويلزِمُها في صيرورةِ أيِّ إنسانٍ  
 لصّاً سراقاً، أو نصّاباً محتالاً، أو كذاباً منافقاً أو سفيهاً شتّاماً. وهو قولٌ إنَّ لم يكنْ كُلُّ صواباً فلا يخلو  
 من الصّوابِ فإنَّ المُجتمعَ الذي يخلُ فيه التّوازنُ فيكثُرُ فيه الفقراءُ والمُضنّكونُ يكثرُ فيه المجرّمونُ  
 وتَنحطُ فيه النّفوسُ وتفسدُ الأخلاقُ ويرجعُ الإنسانُ إلى الحيوانيّةِ فإذا لم يفتَرسْ جاره كما يفتَرسُ  
 الذئبُ النّعجةَ فإنه يسطو على بيته ليسرقه أو يحرقه أو على أشجاره ليقتطف ثمرها أو يقطعها أو ينقضُّ  
 على دواجنه وماشيته ليذهب بها كلّها أو ببعضها.

وإذا استشعرَ في نفسه العجزَ عن البطشِ والفتك كالذئبِ فإنه يَحْتالُ كما يَحْتالُ الثعلبُ أو يذلُّ أو  
 يستخذي كما يذلُّ الحمارُ ويستخذي ويَطولُ به عهدُ الاستِخْذاءِ حتى يَألفه كما يَألفُ الزنجيُّ الحلقةَ  
 المعلقةَ في أنفيه ويصيرُ يخشى فراقها كما يخشى أن يفارق ساقه أو ذراعَه أو عينه. نَهْ ينحطُّ إلى دركٍ<sup>5</sup>  
 أسفلَ فلا يعودُ يُبالي مِنَ الدُّنيا إلّا أن يتوافَرَ له المأكَلُ والمشربُ والمأوى كما هو الحالُ مع الهرةِ  
 والكلبِ.

إنَّ هذه الحالاتُ كُلُّها تهبطُ بالإنسانَ المصنوعَ على صورةِ الله إلى منزلةِ الحيوانِ الأعجمِ بدلاً من  
 أن تصعدَ به إلى أعلى فأعلى وتسيرَ به إلى أرقى فأرقى، هي نتائجُ حتميّةٍ لكلِّ مجتمعٍ مشوّشٍ سادَ فيه  
 الجهلُ وقلَّ الإنصافُ وانعدمَ الشّعورُ بأنَّ الإنسانَ أخو الإنسانِ وأنَّ استعبادَ الإنسانَ لأخيه عيبٌ وعارٌ  
 ومُضرةٌ كُبرى لِذلك المُجتمعِ ذاته.

1 الضَّاري: الضَّاري من السَّباعِ المولعُ بأكلِ اللّحمِ.

2 قَسَمُ الوجه قسامةٌ وقَسَماً حَسَنٌ فهو قَسِيمٌ ج قَسَمٌ.

3 الغَمرةُ: الماءُ الكثيرُ والشَّدةُ ج غمارٌ وغَمراتُ يقال: غَمَرَتُ الموتَ.

4 الهَنِيهةُ: الهِنُوى بالكسر الوقتُ وفي الحديث هُنَيْةٌ مُصَغَّرةٌ هَتَّةٌ أصلها هُنُوَةٌ أي شيء يسير ويُرْوَى هَنِيهةٌ بإبدال الياء  
 هاءً.

5 الدَّرَكُ: أسفلُ كُلِّ شيءٍ ذي عُمقٍ كالْبِئْرِ ونحوها يقال بلغ الغَوَاصُ دَرَكَ الْبَحْرِ.



غَيْرَ أَنَّ اهْبِئَةَ الْجَمَاعَةِ الَّتِي نَرْجِعُ إِلَيْهَا بِالْمَلَامِ وَنَنْهَالُ عَلَيْهَا بِالتَّغْنِيفِ لَوْجُودِ هَذِهِ النَّقَائِضِ فِيهِ تَنْصَلُّ وَتَتَبَرَّأُ مِنْ تَبَعَةِ هَذِهِ الْمَفَاسِدِ وَالْمَسَاوِيءِ وَتَزِيدُ عَلَى تَنْصَلُّهَا أَنَّهَا هِيَ ذَاتُهَا تَسْتَنْكِرُ كُلَّ مُحَرَّمٍ وَتَسْتَفْجِحُ كُلَّ حُلُقٍ دَمِيهِ وَعَادَةِ سَيِّئَةٍ وَمُضْهَرَةٍ. وَتَسْتَشْهَدُ عَلَى اسْتِنكَارِهَا وَاسْتِهْجَانِهَا لِهَذِهِ الْمَفَاسِدِ كَوْنُهَا مَسْتَنْشَرَاتٍ وَكَثَرَتِ الْقَوَائِمُ بِكِبَاحِ النَّزَعَاتِ الشَّيْطَانِيَّةِ<sup>١</sup> وَالنَّزَعَاتِ الْحَيَوَانِيَّةِ فِي الْإِنْسَانِ بِالْإِقْتِصَاصِ مِمَّنْ يَقْتَرِفُ وَيَسْرِقُ أَوْ يَخْتَسِرُ أَوْ يَعْتَدِي عَلَى النَّاسِ بِبَدْنِهِ أَوْ بِلِسَانِهِ أَوْ بِقَلَمِهِ أَوْ يَكْذِبُ أَوْ يَخْتَلِقُ أَوْ يَغْتَابُ أَوْ يَحْتَلُ عَلَى غَيْرِهِ أَوْ يَشْهَدُ بِالزُّورِ أَوْ يَنْفَعُ عَلَى النَّاسِ. أَجَلُ إِنَّ هُنَاكَ شَرَائِعَ تُعَاقِبُ الْمَرْءَ عَلَى ارْتِكَابِ هَذِهِ تَقْبِيحٍ وَاجْتِرَافٍ سِوَا أَقْدَمَ عَلَى ارْتِكَابِهَا صَاحِبِيًّا أَمْ أَقْدَمَ عَلَيْهَا سَكْرَانًا.

وَمِنْ هَذِهِ الشَّاحِيَةِ تَظْهَرُ اهْبِئَةُ الْجَمَاعَةِ بَرِيئَةٍ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، وَطَاهِرَةٌ مِنْ كُلِّ ذَنْسٍ. وَيُظْهَرُ الْجَانِبِيُّ نُسِيًّا عَدُوًّا لِمُجْتَمَعٍ وَلِنَفْسِهِ لِأَنَّهُ يَغْضِبُ الْمُجْتَمَعَ وَلَمْ يَتَّقِمْ بِأَنْظَمِيَّةٍ وَشَرَائِعِهِ.

إِنَّ هَذَا مُجْرِمُونَ مِنْ غَيْرِ هَذَا الطَّرَازِ... مُجْرِمُونَ لَا تَصِلُ إِلَيْهِمْ يَدُ الشَّرِيعَةِ وَلَا يُصْلِحُهُمْ نُصْحٌ وَلَا يَهْدِيهِمْ وَعِظٌ وَلَا إِرْشَادٌ. نَعْدُ مِنْهُمْ. وَلَا نَعْدُهُمْ. وَإِلَيْكَ نَهَاجُ قَلِيلَةٍ:

١ - الزَّجْلُ الْمَنَاعُ الْأَحْلَاقِ الزَّخْوُ الْعَصَبِ الَّذِي يَكُونُ فِي الصَّبِيحِ نَصِيرَكَ وَفِي الْمَسَاءِ نَصِيرَ غَيْرِكَ. وَفِي مَا بَيْنَهُمَا نَصِيرَ شَخْصٍ ثَالِثٍ وَهُوَ إِذَا كَانَ مَعَكَ فَلِعَايَةِ وَإِذَا صَارَ عَلَيْكَ فَلِمَا رَبَّ عِنْدَ غَيْرِكَ. وَهُوَ فِي كُلِّ حَالٍ كَالذَّبَابَةِ لَيْسَ فِي خُرْطُومِهَا غَيْرُ الْجَرَائِمِ الْمُضِرَّةِ سِوَا وَقَعَتْ عَلَى وَجْهِكَ أَوْ سَقَطَتْ عَلَى وَجْهِ سِوَاكَ أَوْ وَقَعَتْ عَلَى الْحَائِطِ أَوْ عَلَى الْمَقْعَدِ أَوْ عَلَى الصَّخْرِ.

وَتَوَدُّ هَذَا الْإِنْسَانُ الْمَرِيضُ النَّفْسِ إِلَيْكَ لَيْسَ عَنْ شُعُورٍ مِنْهُ بِأَنَّ صِدَاقَتَكَ ذَاتَ قِيَمَةٍ أَوْ أَنَّ الصَّدَاقَةَ فِي ذَاتِهَا شَيْءٌ مَرْغُوبٌ وَمَطْلُوبٌ. كَلَّا وَإِنَّمَا الْعَجْزُ فِيهِ عَنْ أَنْ يَلْتَقَى وَإِيَّاكَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ كَمَا يَلْتَقِي النَّدَى وَالنَّدَى<sup>٢</sup>. يَدْفَعُهُ إِلَى التَّرَلُّفِ<sup>٣</sup> إِلَيْكَ فَيُظْهِرُ بِمَظْهَرِ الْمُتَوَدَّدِ. وَلِلَّهِ مَا كَانَ أَحْكَمَ الْمُتَنَبِّيِّ عِنْدَمَا قَالَ:

وَالذَّلُّ يُظْهِرُ فِي الذَّلِيلِ مَوَدَّةً وَأَوْدُ مِنْهُ لِمَنْ يَوَدُّ الْأَرْقَمَ<sup>٤</sup>

٢ - رَجُلٌ مُقْتَصِرٌ يَتَطَاوَلُ إِلَى أَبْعَدِ مِمَّا تَصِلُ يَدُهُ. وَإِلَى أَبْعَدِ مَا يَصِلُ بَصَرُهُ. فَتَرَاهُ كُلَّمَا عَثَرَ أَوْ هَوَى لَا يَشْكُو الْعَثَارَ بِقَدْرِ مَا يَسْبُ الَّذِينَ أَرَادَ أَنْ يَلْحَقَ بِهِمْ فَقَصَرَ عَنْهُمْ وَأَقَامَ يَتَعَثَّرُ خَلْفَهُمْ فِي الْغُبَارِ. هَذَا الْإِنْسَانُ يَصْغَبُ عَلَيْهِ أَنْ يَعْتَرِفَ بِفَضِيلَةٍ مَا لَأَيِّ إِنْسَانٍ. فَتَرَاهُ كُلَّمَا ذَكَرَ النَّاسَ رَجُلًا بِالْحُسْنَى يُطْلِقُ لِسَانَهُ فِي تَقْدِيرِهِ وَذَمِّهِ وَتَصْوِيرِهِ فَضَائِلِهِ ذُنُوبًا وَمَحَاسِنِهِ عُيُوبًا.

١ - وَنَازَعَتِ النَّفْسُ إِلَى كَذَا نَزَاعًا اشْتَاكَتِ.

٢ - النَّدَى: بِالْكَسْرِ الْمَثَلُ وَالنُّظِيرُ.

٣ - التَّرَلُّفُ: التَّقَرُّبُ.

٤ - الْأَرْقَمُ: الْحَيَّةُ الَّتِي فِيهَا سَوَادٌ وَبَيَاضٌ.

لو خُلِقَ هذا الإنسانُ في شكلٍ غَيرِ شكلِهِ البشريِّ لَكَانَ ضِيفَدَعًا تَنِقُّ وَتَحَسَّبُ نَقِيقَهَا صُدَاحًا أَوْ حَشَرَةً سَامَةً تَلْسَعُ وَتَتَوَهَّمُ أَنَّهَا تَسْكُبُ التُّرْيَاقَ<sup>١</sup>.

يمكنك أن تلوم الهيئة الاجتماعية لوجود مثل هذا الإنسان فيها غير أنك إذا تعمقت في درس الأمور اتضح لك أن المرض والصحة توأمان. كالجمال والقيح. وكالنور والظلام. فلولوا المرض ما اهتدى الإنسان إلى الدواء. ولولا الظلام ما استطاع اكتشاف الضياء ولولا القيح لما عرف قيمة الجمال.

فعلينا أن نشفق على المقصرين الفاشلين وعلى اللصوص السراقين وعلى السفهاء الشتامين وعلى الحساد المغتابين مثلما نشفق على المرضى. وعلينا أن نحبتهم بدلاً من أن نبغضهم. لأننا إذا أبغضناهم هبطنا إلى مستواهم لأنهم هم لا يعرفون إلا الكراهة والبغضاء والكيد.

وإذا كنا لا نقدر أن نحبتهم ولا أن نهديهم إلى الشراط<sup>٢</sup> المستقيم ولا أن نقوم إغوجاجهم ونهذب نفوسهم ونظهرها من الأدران والأوساخ ففي وسعنا أن نتجاهلهم وأن نبتعد عنهم لئلا يؤذينا قربهم. فإن الشر كالنار يلتهم ذاته إذا لم يجد ما يلتهمه!

حاشية: كتب صاحب «السمر» هذا المقال جواباً على رسالة جاءت من صديق يشكو إليه تحجتي بعض الأشرار عليه.

السمر: 18/9/1951

## الإنسان المتضجر

استحوذ الضجر على صديق لي من المحيط الذي يعيش فيه. وفي هذا المحيط أنسابه وأقرباؤه وأصدقائه وفيه بيته وأسرته ومتجره. والكنيسة التي يصلي فيها والنادي الذي يلتقي فيه بعشرائه وخلائه، ولما استحوذ عليه الضجر تمنى لو أنه خلق في غير هذا المحيط أو أنه هاجر إلى أرض غير الأرض التي تحويه..

إن هذه الرغبة المتولدة من الضجر والكدر هي شعور يخامر كل إنسان يعتقد أنه مغبون في كرامته

١ الترياق: بالكسر دواء مركب اخترعه ماغيس وتممه اندارو ماخيس القديم بزيادة لحوم الأفاعي فيه وبهاكمل الغرض وهو مسميه بهذا لأنه نافع من لدغ الهوام السبعية وهي باليونانية ترياء من الأدوية المشروبة السمية وهي باليونانية قاء ممدودة ثم خفف وعرب.

٢ الشراط المستقيم: سطره ابتلعه وأنسرت في خلقه سار سيراً سهلاً والشراط بالكسر السبيل الواضح لأن الذهاب فيه يغيب غيبة الطعام المشترط والصاد أعلى للمضارعة والسين الأصل.

مَغْمُوطُ الْفَضْلِ مِنْ ذَوِيهِ وَعُشْرَائِهِ. وَقَدْ يَكُونُ عَلَى بَعْضِ الصَّوَابِ فِي اعْتِقَادِهِ فَيَزِدَادُ بِهِ تَشَبُّهًا، وَكُلُّمَا تَشَبَّهَ بِهِ إِزْدَادَ نُفُورًا وَابْتِعَادًا عَنْ مُحِيطِهِ حَتَّى لَيَبْدُو أَحْيَانًا كَأَنَّهُ يَعِيشُ فِي غَيْرِ مُحِيطِهِ.

وَلَكِنَّهُ لَوْ أَنْعَمَ الْفِكْرُ فِي أَحْوَالِ النَّاسِ وَانْكَشَفَ لَهُ مَا فِي الْمَحِيطِ الْآخِرِ الَّذِي يَتَوَهَّمُ أَنَّهُ لَوْ عَاشَ فِيهِ لَكَانَ أَسْعَدَ حَالًا وَأَنْعَمَ بَالًا لَأَذْرَكَ أَنَّ فِي كُلِّ مُحِيطٍ مَعَائِبَ وَمَسَاوِيءَ. وَأَتْعَابَهُ وَأَتْرَاحَهُ، وَنِعَمَهُ وَنِقَمَهُ. وَأَنَّ النَّاسَ حَيْثُمَا كَانُوا هُمُ النَّاسُ، فِيهِمُ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ. وَالْوَدِيعُ وَالْمُتَكَبِّرُ، وَالْوَفِيُّ وَالْغَادِرُ، وَالْبَارُّ بِأَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالْعَاقِلُ أَهْلُهُ وَأَصْحَابُهُ وَقَوْمُهُ وَوَطَنُهُ. وَفِيهِمُ طَالِبُ الشُّهْرَةِ فِي كُلِّ سَبِيلٍ وَالْمُتَهَرِّبُ مِنْهَا فِي كُلِّ سَبِيلٍ. وَفِيهِمُ الْأَبْيُّ الْمُتَرَفِّعُ عَنِ الدُّنْيَا وَالْمَفَاسِدِ كَأَنَّمَا نَفْسُهُ مِنْ جَوْهَرِ الثَّجُومِ وَكَأَنَّهَا تَتَهَادَى فِي السَّحَابِ. وَفِيهِمُ الدُّنْيِيُّ الدَّلِيلُ الْمُتَمَرِّغُ فِي حِمَاةِ الرِّذَائِلِ وَالشَّهَوَاتِ الْحَيَوَانِيَّةِ لَا يَرْتَفِعُ عَنِ التُّرَابِ إِلَّا لِيَعْبُضَ التُّرَابَ.

لَا، إِنْ الْمَرْءَ لَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَكُونَ سَعِيدًا فِي أَيِّ مُحِيطٍ وَأَيِّ بِلَادٍ إِذَا هُوَ عَرَفَ كَيْفَ يُكَيِّفُ نَفْسَهُ عَلَى أَحْوَالِهِ وَأَنْظَمَةَ مُحِيطِهِ. وَنَظَرَ إِلَى النَّاسِ نَظْرَةَ فِيلَسُوفٍ حَكِيمٍ فَأَشْفَقَ عَلَى الْجَاهِلِ وَالْمَغْرُورِ بِمَالِهِ أَوْ جَمَالِهِ إِشْفَاقَهُ عَلَى أَكْتَعٍ<sup>2</sup> أَوْ أَقْطَعَ<sup>3</sup> أَوْ أَعْمَى. وَالتَّمَسَّ الْعُذْرَ لِمَنْ هَقَّ<sup>4</sup> أَوْ أَسَاءَ. وَأَصَمَّ أُذُنَيْهِ عَنْ سَمَاعِ الْأَرَاجِيفِ وَالْأَقَاوِيلِ. وَعَاشَ كَمَا يَعِيشُ الرَّجُلُ الْمُصْلِحُ الشُّجَاعُ لَا يُؤْهِنُ هِمَّتُهُ وَلَا يَأْخُذُهُ الْغُرُورُ بِكَلِمَاتِ الْإِطْرَاءِ أَوْ التَّنْشِيطِ بَلْ يَسْتَمِرُّ فِي حَيَاتِهِ عَلَى النَّهْجِ الْقَوِيمِ لِكَيْ يَصْبِحَ قُدُوةً لِمَنْ حَوْلَهُ وَمَضْرِبَ الْمَثَلِ فِي مُحِيطِهِ بِالْوَدَاعَةِ وَالصَّبْرِ وَالْتِسَامُحِ وَالْغُفْرَانِ. فَلَيْسَ كَرُّ مُحِيطٍ مِثْلُ الْمُحِيطِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ. وَإِذَا لَمْ تَكُنْ سَعِيدًا فِي مُحِيطِكَ فَلَنْ تَقْدِرَ أَنْ تَجِدَ السَّعَادَةَ فِي مُحِيطٍ آخَرَ؛ لِأَنَّ السَّعَادَةَ لَا تَجِيءُ مِنْ الْخَارِجِ بَلْ مِنَ الدَّخْلِ. فَلَا تَدْعُ ضَبَابَ الضَّحَرِ يَغْمُرُ رُوحَكَ وَلَا تَسْمَحْ لِلْيَأْسِ أَنْ يَطْرُقَ بِأَبْكَ.

السَّمِيرُ: 4/ 12/ 1951

## شجرة العير

مَا أَظُنُّ أَنَّ فِي الْأَرْضِ شَيْئًا يَرْمِزُ إِلَى الْأَمَلِ مِثْلَ الْإِخْضَرَارِ. وَلَا شَيْءٍ يَتَجَلَّى فِيهِ الْإِخْضَرَارُ الَّذِي تَسْتَرِيحُ الْعَيْنُ وَالتَّنَفُّسُ لِمَرَّاهُ مِثْلَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الزُّمْرُودِيَّةِ<sup>5</sup> اللَّوْنِ الَّتِي اصْطَلَحَ الْمَسِيحِيُّونَ فِي أُرُوبَا

1 وَعَقَّ أَبَاهُ اسْتَخَفَّ بِهِ وَعَصَاهُ وَتَرَكَ الْإِحْسَانَ إِلَيْهِ فَهُوَ عَاقٍ وَعَقُوقٌ.

2 أَكْتَعَ: الْأَكْتَعُ مَنْ تَثَبَّتْ مَفَاصِلُهُ إِلَى كَفِّهِ وَظَهَرَتْ مَفَاصِلُ أَصُولِ أَصَابِعِهِ وَهِيَ كَتَعَاءٌ.

3 أَقْطَعَ: الْأَقْطَعُ الْمَقْطُوعُ الْبِدِّ وَالْجَمْعُ قُطْعَانٌ مِثْلُ أَسْوَدَ وَسُودَانِ.

4 هَقَّ: الْهَقْوَةُ الثَّرْلَةُ وَقَدْ هَقَّ يَهْقُو هَقْوَةً.

5 الزُّمْرُودُ: حَجَرٌ كَرِيمٌ أَخْضَرُ اللَّوْنِ شَدِيدُ الْخُضْرَةِ شَفَافٌ وَأَشَدُّ خُضْرَةً أَجُودُهُ وَأَصْفَاهُ جَوْهَرًا وَاحِدَةً زُمُرْدَةً

وأمركا على اتخاذا شعاراً للعيد عيد الطفل الذي ولد في مذود<sup>1</sup> حفير فكانت ولادته بدء فجر جديد للإنسانية. وكان هو رسول رحمة وحنان وتسامح وغفران. وكانت نفس الإنسان قبله شجرة عارية كثية لتغلب الشهوات الحيوانية عليها فإذا بها بعد أن مشى فيها ماء الإيمان بالله وبالإيمان تورق وتخصر وتصير شجرة تسير النظر وتفرح القلب.

ها هي شجرة تنتقل من الأحراج القصية في أميركا وكندا لتحتل القصور كما تحتل الأكواخ. إنها كالضيف لن تمكث غير بضعة أيام ثم ترحل. ولكنها ضيف يعطي ولا يأخذ. ولا غزو<sup>2</sup> أن تسخر على الكل حتى الذين يعشون بأغصانها ويقتطعون أطرافها ويدقون المسامير في جذعها. فقد رضى أن تدل ذاتها. وعرف الناس فيها هذه الساحة فانطلقوا ينشدونها في كل ناحية ولا سيما في هذه الفترة من السنة.

ربما توهم الأكثرون من الناس أنهم هم المالكوها وهذا خطأ. فإن هذه الشجرة هي التي تملكهم وتقودهم فتراهم يندفعون زرافات ووحدانا<sup>3</sup> إلى الأحراج لجلبها. ويندفعون إلى الأسواق لشراؤها. ثم ينصبونها<sup>4</sup> في البيوت ويخلعون عليها أنواع الزينات والحلي<sup>5</sup> والزخارف كأنها عروس تزف. وهكذا ترى هذه الشجرة الصامتة تنقل وتحمّل وتزخرف وتدل كأنها كائن حي عاقل. فما هو السر في هيام الناس بها هذا الهيام<sup>6</sup>؟

إنهم لا يهيمون بشجرة. وإنما هم يرون فيها خيال رغبة كامنة في أرواحهم. ولولا هذه الرغبة لما كان للشجرة ولا لأية شجرة قيمة عندهم.

في كل قلب أمل

وهذه الشجرة رمز الأمل

في كل نفس حنين إلى البقاء وهذه الشجرة بخضرتها الدائمة رمز البقاء.

وكل إنسان يتوق إلى الطمأنينة<sup>7</sup> والرغد<sup>8</sup> والرخاء. ولا شيء مثل الخضرة يدل على الطمأنينة والرغد والرخاء.

1 المذود اللسان ويقال رجل مذود دفاع عن الذمار والمذود مغلف الدابة ج مذاود ومذاويد.

2 ولا غزو: الغزو العجب يقال لا غزو: لا عجب.

3 زرافات ووحدانا: الزرافة كسحابة وقد تشد فاؤها الجماعة من الناس أو العشرة منهم. الواحد أول العدد والجمع وخذان.

4 نصب الشيء أقامه وبابه ضرب.

5 والحلي: ما يتزين به من مصوغ المعدنيات أو الحجارة. ج حلي.

6 الهيام بالضم كالجنون من العشق وغيره.

7 الطمأنينة الإطمئنان والثقة وعدم القلق.

8 عيشة رغد بوزن فلس ورغد بوزن فرس أي واسعة طيبة وبابه طرب وظرف.

فليبارك الله الأشجارَ كُلَّها مِن أجل هذه الشجرة.  
ولتملأ المسرة والغنطة قلوب الناس أجمع في هذه الأعياد وليُنزِل رحمته على الأرض فيقيناها أهوال  
الحروب وشُرورها.

السَّمير: 1951 / 12 / 21

## بين أَمْسٍ وَغَدٍ

بعد أيام تطوي يد الحياة صفحة في كتاب الدهر لتنشر صفحة جديدة.  
الصفحة الأولى هي ما نسميه «أَمْسٍ»<sup>1</sup> والصفحة الثانية هي ما ندعوه بـ «الغَدِ»<sup>2</sup>.  
هذا ما اصطَلَح عليه الناس.

ولكن هل في الدهر «أَمْسٍ وَغَدٍ» و «قَبْلُ وَبَعْدُ»؟  
آية قطرة في ماء النهر هي الأولى. وآية قطرة هي الأخيرة؟  
آية ذرة مِن ذرات النور جاءت قَبْلَ أو بَعْدَ الأخرى؟  
آية موجة في البحر أقدم فيه مِن الأمواج الباقية؟!

ولماذا يقيس الإنسان الفرد ذاته بمقياس خاص. وهو في نظر الدهر الذي لا حُدُودَ له ولا أوَّل ولا  
آخِر مثل الذرة<sup>3</sup> والموجة والقطرة. بل مثل كُلِّ شيء آخر في الدنيا؟  
إذن ليست قيمة الإنسان ولا قيمة أيُّ شيء بأنه جاء مِن قَبْلُ أو جاء مِن بَعْدُ<sup>4</sup> وإنما قيمته في أنه  
كائن لوجوده نفع وخير.

والمفروض في الإنسان أن يكون أكثر نفعاً لأنه أعقل مِن القطرة والذرة والموجة وله سلطان على  
الماء والهواء والضياء وعلى النبات والحيوان. فإذا هُوَ زَلَّ وهوى. أو زاعَ وَفَسَدَ إنقلب كُلُّ شيء يسيطرُ  
عليه مِن حَسَنٍ إلى قَبِيح. وَمِن خَيْرٍ إلى شَرٍّ. وَمِن نفعٍ إلى ضررٍ.  
إذن، فالخير في أن يستقبل الإنسان العام الجديد وهو عازمٌ في قرارة نفسه على أن يكون أكثر نفعاً  
فيه ممَّا كان في العام الذي آنصرم وأن يعلم علم اليقين أنه لا يَسْعَدُ إلا إذا فكر في أن ينشر السَّعادة حوله.

- 1 أَمْسٍ مثلثة الآخر مبنية اليوم الذي قبلَ يومك بليلة يُبنى معرفة ويُغرب معرفة فإذا دخلها آل فمغربٌ وسَمِعَ رأيتهُ  
أَمْسٍ مثوناً وهي شاذة ج أَمْسٍ. وأموسٌ وأماسٌ.
- 2 الغد: اليوم الذي بعد يومك واليوم المترقب البعيد وفي المثل «إن غداً لناظره قريب».
- 3 الذرة: الذرُّ التَّنُّل وصيغار التَّمَل وما يُرى في شعاع الشمس الداخل من النافذة والذرة أصغر جسمٍ في عنصر ما  
يصح أن يدخل في التفاعلات الكيميائية.
- 4 قَبْلُ نقيض بَعْدُ وأنتيك من قَبْلُ وقَبْلُ مبنيين على الضمِّ

وأنّه إذا سلك سبيل الفضيلة والحُب صار أمسه بهجا وصار غدّه أبعج.  
أمّا السالك طريق الشرّ النَّازِعُ إلى الأذى المتوغّل في دروب الإثم فهذا لا يَسْعُدُ ولا يَشْتَرِيحُ في  
أَمْسِهِ ولا في يومِهِ ولا في غَدِهِ.

ولا يَغَيِّرَنَّكْ أو يُوهي إيمانك بعدالة الحياة أن بعض الأشرار المَجْبُولِينَ بالآثام والخطايا يعيشُونَ في  
يُسْرٍ وأنهم لهم القصور والسيّارات والليالي المترنّحة... إن الرّيزفون يزهر... ولكنّه لا يُثمر. وكلّها  
طال عُمُرُ الأثيم كان شقاؤه أعظم وأمرّ.

فاستقبل العام الجديد بإيمانٍ وَطِيدٍ<sup>1</sup> فالحياة عادلة. قال تعالى: وإنّ مَنْ يعمل مثقال ذرّة خيراً يره  
وإنّ مَنْ يعمل مثقال ذرّة شراً لا بُدَّ أن يراه.

فإذا كان لك هذا الإيمان فكلُّ يوم يُطْلُ عليك تكون له روعة وبهجة رأس السّنة.

السّمير: 1951 / 12 / 24

## السّنة الجريّة

كيف استقبلت السّنة الجديدة؟

نطرح عليك هذا السؤال لأننا نعرف أنّ لكلّ إنسان ظروفًا وأحوالًا تختلف عن أحوال وظروف  
الآخرين.

على أنّ الجميع مهما اختلفت أحوالهم يلتقون عند نقطة واحدة هي الأمل. ذلك الشعور الذي  
يربك المكان الضيّق رَحْباً. ويصوّر لك الغدَ ضِحْكَاً وغدً أو سعاداً ورخاء. ويقربُ البعيد النَّائي الذي  
تجنُّ إليه. ويبعدُ عنك القريب الدّاني الذي تودُّ التخلُّصَ مِنْهُ.

أجل. إنّ أَمَلَ المريض بأنّه سيشفَى هو الذي يحرك شفّتيه بالابتسام. وأَمَلَ الغريب بأنّه سيعود إلى  
وطنه وأهله هو الذي يُهَوِّنُ عليه مشاق الغربة.

وأملُ الأمّ بأنّ ابنها الذي فارقها إلى ساحة الوغى<sup>2</sup> سيعود إليها ظافراً هو الذي يُخَفِّفُ مِنْ لَوْعَتِهَا  
على فراقه.

هذه هي النّقطة التي التقت عندها أرواح البشر في كلّ مكانٍ ليلة رأس السّنة. فغنّوا ورقصّوا  
وهتفوا وشرّبوا. وهنّأ بعضهم بعضاً.

قد لا يكون في السنة الجديدة شيء ممّا توقّعوه. وقد يكون فيها كلّ شيء توقّعوه. وربّما جاءتهم  
بأمور لم تخطر في ذهن إنسان. فالغيب لا يعلمه إلا الله.

1 الوطيد: وَطَدَ الشَّيْءُ أَثْبَتَهُ وَثَقَلَهُ وَبَاهَهُ وَعَدَّ، وَوَطَدَهُ أَيْضاً تَوَطَّيْدًا.

2 الوغى: الجَلْبَة والأصوات ومنه قيل للحرب وَغَى لما فيها من الصّوت والجَلْبَة.

ولأنها لحكمة بالغة أن يظل الغيب وما فيه محجوباً عن مدارك الغير. إذ ماذا تكون حالة الإنسان إذا عرّف أنه سيلاقي حتفه بعد يوم أو أسبوع أو شهر. أو أنه سيفقد حبيباً أو ثروته أو صحته أو صيته. أو ما شاكل من الأمور التي تحدث لكل إنسان دون أن يسبق إلى علمه أنها ستحدث. لو انفتح للإنسان كتاب الغيب لما كان له أمل على الإطلاق لأن الأمل شوق وتطلع وحنين إلى المستقبل الذي لا علم للمرء به. ولكنه يتصوره جميلاً وسعيداً فيغتنب ويفرح بهذا التصور. ولو كان غير صحيح. ولو كان كاذباً.

سألتك كيف استقبلت السنة الجديدة. ورجاؤنا أن تكون استقبلتها ضاحكاً مسروراً كبير الأمل بالمستقبل. كبير الإيمان بالله وعدله. وكبير الإيمان بأخيك الإنسان. فإنك إن فقدت ثقتك بالناس جلبت لنفسك التعاسة والغم المقيم. وربما أضعت ثقة الناس بك. وهي أعظم كنز يظفر به إنسان. فحذار ثم حذار<sup>1</sup> من أن تطير من قبلك<sup>2</sup> وتفلت من يدك. إعمل دائماً في حياتك لاستبقاء هذه الثقة. فتصير من أكبر المصلحين وأفضل المحسنين. إذ لا يمكنك أن تكسب ثقة الناس إلا إذا أحببت الناس وخدمت الناس وضحيت في سبيل الناس.

السَّعِير: 2 / 1 / 1952

## حديث مع صديق

من أمثالنا. وما أكثر أمثالنا وما أصدقها قولنا «كسر يدؤ وشحذ عليها» فهذا المثل ينطبق على كثيرين من الرجال والنساء يتصنعون الفقر ويتظاهرون بالخصاصة<sup>3</sup> ليكسبوا عطف الناس وإشفاق الجيران ويحصلوا على الصدقات والهبات والمساعدات المالية من الأفراد والجمعيات الخيرية ومن الحكومة ذاتها...

هذا المثل المشهور يصدق في كثيرين وكثيرات ممن جعلوا ديدنهم<sup>4</sup> وهمهم في الحياة تزوير الشكاوى وتلفيق الدعاوى للحصول على تعويض مالي كبير أو صغير عن خسارة وهمية أو ضرر لم يحدث. فضحية هؤلاء الناس شركة ضمان أو رجل مؤسر أو أي كان.. إذ لا فرق عندهم بين صديق أو عدو. وقريب أو جار. فالكل في نظرهم سواء والكل عندهم فرائس. لأن الغاية التي ينشدونها أولاً وأخيراً هي الحصول على المال وأحبه إلى أنفسهم مال الشحذ<sup>5</sup>.

1 حذار: اسم فعل أمر بمعنى احذر تقول حذارك زيداً وتقول حذارك ليكن منك حذر بعد حذر.

2 القبل الطاقة يقال مالي به قيل والجهة أو الناحية يقال: لي قبل فلان دين عنده.

3 الخصاصة: الفقر والحاجة وسوء الحال.

4 الديدن: العادة والدأب يقال فلان ديدنه أن يفعل كذا.

5 الشحذ: ما خبث وقبح من المكاسب فلزم عنه العار كالرشوة ونحوها ج أسحات.

حدثني أمسي صديق قال: قطعتُ أمس عهداً على ذاتي أن لا أحمل في سيارتي صديقاً ولا غريباً. وكنتُ أنا أعرف في هذا الصديق نخوةً فائقةً وغيرةً عظيمةً واستعداداً منتهياً لخدمة أصحابه وجيرانه فما رأى أحدهم في السوق إلا دعاه إلى الركوب في سيارته ليذهب به إلى بيته أو إلى أي مكان يقصده مهما يكن بعيداً ومهما يكن الطقس سيئاً وريئاً..

فقلت له: وما السبب في عدوك عن خطتك وما الداعي إلى نقيمتك على نخوتك وغيرتك.

فأجاب وهو عابس: أتعرف صديقنا «فلانا»؟

قلت: أجل أعرفه كما أعرفك!

قال: وتعرف أنه كان يشكو من ألم مؤمن في ذراعيه؟

قلت: وماذا عليك من باعه وذراعه.

قال: منذ مدة أركبته سيارتي لأحمله إلى بيته وكان معي رفيق آخر. وانفق أن مررت سيارته أخرى فلطمت مقدمة سيارتي دون أن يحدث أي خدش فيها أو ضرر لها أو للذين فيها وإنما حدث بعض الإضطراب والرجرجة إنما بعد بضعة أيام حدث ما هو أشد من الرجرجة فإن فلانا الذي ذكرته لك أرسل لي بواسطة محام مدعياً أن ذراعه انعطبت وأن ساقه تضررت وأن علي أن أبلغ شكواه بتفاصيله وحذافيرها إلى الشركة الضامنة سيارتي.

وأعجب من هذا أن فلانا الذي سميت له خاطبني بعد ذلك بالتلفون سائلاً إياي بدالة الصداقة المتينة والأخوة المكيئة التي بيننا أن أركي كذبه وأوافق على تزويره فأشهد أن ذراعه انعطبت في سيارتي وأن ساقه تأذت وهو معي من تلك اللطمة.

ولما قلت لصديقي: إنني ما تعوذت أن أؤدي شهادة زور. وليس من مقاصدي ولا من غاياتي الآن أن أفتبس هذه الخلعة<sup>1</sup> - غضب واستاء وقال لي: وأي شيء ستخسر فإن الشركة هي التي ستدفع.

عندئذ قلت له في حق<sup>2</sup>: أتسألني أي شيء أخسر؟ أي شيء يا رجل أقدس من الشرف.

أي شيء يا رجل أقدس من الشرف؟

وأي شيء أعظم وأشرف من الصدق والإستقامة؟ والله<sup>3</sup> إن مضيت في دعواك فإني لا أشهد إلا بالحق وهذا يعني أنك لن تربح إلا الفضيحة..

1 الخلعة الخلعة يقال فيه خلعة حسنة وخلعة سيئة ج خلل.

2 الحق: حقيق عليه حقاً اشتد غيظه فهو حقيق وحقيق.

3 والله: الواو حرف قسم وأحرف القسم ثلاثة: الواو والباء والتاء. ولفظ الجلالة مقسم به مخفوض وعلامة خفضه الكسرة الظاهرة في آخره. وأما: حرف تنبيه، أما وألاً تدخلان الجملة فقط اسميه كانت أو فعلية وأكثر ما تقع ألا قبل «إن» نحو ألا إنهم الشفهاء وقبل النداء ألا يا عين ويحك أسعديني. وألاً وأو وأما تستعمل أيضاً للطلب بلين أو العترض نحو «ألا تزورني» و«لو نزلت لأكرمنا مثواك». (راجع الشرتوني ج 4 ص 372).



واستراح صديقي قليلاً ثم استأنف الحديث فقال: بعد الذي وقع لي وحكيته لك صرتُ أعتقد بضرورة وضع قانون صارم يُعاقب هؤلاء الناس الذين يعيشون بالاحتيال على الشركات ولا سيما شركات الضمان كما يُعاقب اللصوص وقطّاع الطرق ومُروري الحوالات. قلت يا صاحبي هوّن عليك: فهؤلاء الناس الذين انحطّت أخلاقهم إلى هذا الدرك المهين وهانت عليهم كرامتهم إلى هذا الحدّ قد عاقبوا أنفسهم بما صنعوا عقاباً شديداً. وأيُّ قصاص أشدّ من أن يفقد الإنسان مروءته وكرامته. بل دعني أقلّ لك أن هؤلاء الناس مرّضى الأرواح والأفكار. وهم خليقون بالشفقة والرحمة مثل سائر المرّضى.

السّمير: 4/ 3/ 1952

## مَنْ هُوَ أَحَقُّ النَّاسِ

أنْ ينخدع المرء فليس ذلك دليل الجهل فيه ولا هو دليل الذكاء والدّهاء في خادعه فإنّ الرّجل الكريم عُرْضة<sup>1</sup> للإنخداع بالناس لأنّه يحسنُ الظن دائماً بالناس. فإذا رُمِيَ بالحقاقة مرة فإنّه يوصفُ بطهارة الوجدان ألف مرة. لقد سمعنا بأناس كثيرين خدعهم المحتالون الأشرار ولكننا لم نسمع بغير المحتالين الذين يدعّون الذكاء والدّهاء نزلوا على كُرْهِ منهم في السجّون! كلّ إنسان معرّض للإنخداع إمّا بالناس وإمّا بالأموال والحوادث. وانخداعه لا يُخصى عليه من الذنوب ولكنه غلط في التقدير والتخمين والتصوّر. ولكن أقبح الناس أغلاطاً وأقصرهم نظراً وأضلّهم حساباً رجل يخدع نفسه فيزيّن لها الأشياء على غير حقيقتها والناس على غير ما هم. ويمضي في الحياة على هذا الوهم الفاسد والتّصوّر الخاطيء فتراه إذا نسّب إلى شخصٍ رذيلة ليست فيه، تصوّر لحماقته أن تلك الرذيلة قد لصّقت به وصارت جزءاً من جسده وكبدّه وعينه وأنفه ورجله. وإذا لاح له أن يتوهم أنّه رجل ذو سلطان مضى يتصرّف كأنه ذو سلطان فينتهي به الأمر إلى هُزء الناس وسخريتهم لأنّهم ينظرون إليه بعين الواقع لا بعين الوهم الخداع. فيرونه كما هو لا كما يتصوّر نفسه!

ومن هو الذي يتصوّر نفسه على غير صورته الحقيقية؟ هو إمّا رجل مدخول في عقله وإمّا رجل جوعان إلى شيءٍ من الشهرة أو السّلطة. فهو لعجزه عن بلوغ ما يتمنّى يُكبّ على خمرة الوهم يجرّع منها الكأس بعد الكأس حتى يكسب شيئاً من الشجاعة

1 العُرْضة يقال: جعله عُرْضةً للشيء نصّبه له هدفاً.

على المجاهرة بأنه لا يختلف عن أحد من المشاهير وذوي السلطان. أو ربّما حمّله الوهم على التصوّر بأنّه فوق كلّ ذي شهرة وذو سلطان. ولا سيّما إذا وجد من يُشْفِق عليه كما يُشْفِق على المريض فلا يعارضه في قول ولا عمل لئلاّ يسلبه السعادة الوهميّة التي يتنعم بها.

إنّ هؤلاء الذين يخدعون أنفسهم على هذه الصورة هم كالأطفال الذين يَعْجَزُونَ عن الدخول إلى دُنيا الكبار فيَتَقَنَعُونَ بدُنياهم الصّغيرة وما فيها من الأعيب وأساطير وحكايات وخرافات. ولكن ليس في الأطفال خُبث<sup>1</sup> ولا رياء<sup>2</sup>. أمّا أولئك فليس من شيء فيهم أظهر من الخُبث والرياء والإدعاء الفارغ.

لا نودّ أن ندلّ على أحد من هؤلاء بعينه فنحن لا نبغي من هذه الكلمة سوى التّنبية إلى آفة من شرّ الآفات. وهي الغرور. فعسى أن يستفيد بها الذين تصدّق أو تنطبق عليهم إن كانوا لم يطمس الغرور على أفكارهم وقلوبهم. وبكلمة أوضح - إذا كانت باقية فيهم قوّة على الاستفادة من الغير. فإنّ كثيرين من هؤلاء لا يتعظّون إلّا إذا رأوا العبرة في أنفسهم.

السّمير: 16/4/1952

## بعض الناس

«بعض الناس». إنّ هذه الجملة ربّما شملت «كُلّ الناس» لأنّه إذا جاز لمُتكلّم بها أن يقول إنّّه لا يعني غير فريق معلوم من الناس جاز لسواه أن يزعم أنّ المعني<sup>3</sup> بها فريق آخر. فهي من هذا القبيل مثل كلمة «فلان» التي لا تعني إنساناً بعينه وتعني في الوقت ذاته كلّ إنسان. لأنّ كلّ إنسان يمكن أن يقال عنه «فلان»!

والخروج من حالة الإبهام والغموض يستلزم تمييز «بعض الناس» عن كلّ الناس بسرّ صفاتهم أو وصف هياتهم وأحوالهم وأعمالهم.

بعض الناس. يتوهّمون أنّ الله خلق الشّمس لكي يستضيئوا بها وخذهم دون كلّ الخلق. وأنّ الحياة لا يجوز لها أن تبسم لغيرهم. وإنّ غيرهم عندما تطير شهرته أو تكثر ثروته إنّما جاءت الشّهرة بلا عناء وحصل على الثّروة بلا كد. وأنّ الحظ ساعفه ففاز على غير استحقاق ولا أهليّة.

هذا البعض<sup>4</sup> من الناس يرى الحسنات في سواه ذنباً ومساوياً. ويرى الذّنوب والمساوياً في

1 الخُبث: خبث الشيء صار رديناً مكروهاً.

2 وقوم مُراءون والإسْم الرّياء يقال فعل ذلك رياءً وسُمّعة وماراه مرّاء جادله ومراه حقّه جحدّه.

3 عُنِيَ بالأمر عُنْيًا وعِنَاية اهتمّ وشغل به فهو مُعْنِي به.

4 البعْض بعض الشيء واحد أبعاضه وقد بعْضَه تبعضاً أيّ جزأه.

نفسه حسنات وفضائل... ويدّم الحسّنات في سواه لأنّه ليس له مثلها. ويمدح المساويء في نفسه لأنّه لا يستطيع مَحْوُها ولا التخلّص منها.

هذا البعض من الناس.. آفة الناس. لأنّه جعل ديدنه<sup>1</sup> في الحياة ترويح الأراجيف<sup>2</sup> والإشتغال بالتخرّصات<sup>3</sup> والإهتمام بأمور لا تغنيه. والتدخّل في قضايا ليس له فيها ناقة ولا جمل. لعلّه يصير له فيها ناقة أو جمل. أو على الأقل شاة أو عنزة!

هذا البعض يتكلّم في غير موضوعه الذي يعنيه وفي موضوع تافه في غير وقته ومجاله لمجرّد<sup>4</sup> الرّغبة في أن يسمع ذاته متكلماً لئلا يقال عنه إنّه لزم الصّمّت أو إنّه أخرس. ولذلك تراه عندما يتكلّم يرفع صوته عالياً كأنّ الذين يستمعون إليه في آذانهم وقر. بل قلّ إنّه هو المبّلي بالوقر<sup>5</sup> في أدنيّه وإلا ماذا فحديثه لم يكن جاراً ولا صراخاً!

ومن هذا البعض بعض آخر عاجز عن الصعود في مراقبي المجد والشرف فتراه أبداً ناقماً ساخطاً على الذين ارتفعوا وحلقوا رامياً إياهم بالمعائب محدثاً الناس عنهم بأنهم كانوا بالأمس في الحضيض<sup>6</sup> فكيف صاروا في الأوج<sup>7</sup>؟!

وينسى أنّ كلّ شجرة كانت في أول أمرها بذرة خبيثة في الثرى ولكنها بذرة طيّبة أعانها النور والمطر فصارت شجرة ذات قُطُوف<sup>8</sup> دانية.

إنّ هذا البعض الذي نتكلّم عنه. والبعض الذي لم نتكلّم عنه وإن كان أكثر انحطاطاً وفساداً لا يمكن أن يخلو مجتمع منه إلا إذا خلت روضة من الحشرات والأشواك...

إنّهم كالكلّمة الخبيثة لا يستطيع الإنسان الفاضل أن يمنع خروجها من فم سفيه ولكنه يستطيع أن يسدّ أدنيّه عنها. وأنّ يعرض عن قائلها إعراضه عن اللغو<sup>9</sup> والسَّقَط<sup>10</sup>!

السّمير: 1952 / 4 / 29

- 1 الدّيدَنُ العادة والدّأب يقال فلان ديدنه أن يفعل كذا.
- 2 الإرجاف واحد أراجيف الأخبار وقد أرجفوا في الشيء أي خاضوا فيه.
- 3 تخرّص كذب والخرّص الكذب.
- 4 مجرّد: المجرّد ما يدرك بالذهن دون الحواس. ومجرّد للأمر أي جدّ فيه.
- 5 الوقر: بالفتح الثقل بالأذن.
- 6 والحضيض القرار من الأرض عند منقطع الجبل والقرار المستقر من الأرض والمنقطع: ومنقطع كلّ شيء بفتح الطاء حيث ينتهي إليه طريقه نحو منقطع الوادي والزمل والطريق.
- 7 الأوج: ضدّ الهبوط.
- 8 القُطَف ما قُطِفَ عن الشّمر والقُطَف العنقود ساعة يُقَطَف ج قُطاف وقُطُوف.
- 9 اللغو: ما لا يعتدّ به من كلام وغيره وما لا يُحصل منه على فائدة ولا نفع.
- 10 السَّقَط: الخطأ في القول والفعل ج أسقاط.

## البلاء الأكبر

أجمع الحكماء على القول: إنَّ الخوف من البلاء شرٌّ من البلاء ذاته. كذلك أجمع الحكماء بل الناس كلُّهم على أنَّ الحرب هي البلاء الأكبر والوباء<sup>1</sup> الأعظم.

هي بلاء لا ينقُض من السماء مع الرُّجُوم<sup>2</sup> ولا يخرج من البحر مع الشَّحَاب. ولا تدفعه الأرض من جوفها كالماء ولكنَّه بلاء يَجْزُّهُ الإنسان على ذاته. فهو يَظْلِمُ نفسه ثمَّ ينسب الظلم إلى السماء. وهذا الإنسان الذي يسعى إلى الحرب وفي الوقت ذاته يقول: إنَّه لا يسعى إليها. موجود في كلِّ مكان من الأرض.

هو في الكُوخ القائم في الغابة عند النَّهر. وهو في البيت الذي تخفق فيه الأرياح في البادية. وهو في الدَّسَكْرَة<sup>3</sup> والقرية والبلدة والمدينة.

هو في البيت والمصنَّع والمكتب والحائِثُ هو أنت وأنا وهو. إننا اليوم في بلاء مُسْتَطِير<sup>4</sup> لأنَّ الخوف يملأ جوانحنا<sup>5</sup> من وقوع البلاء الأكبر.. من الحرب.. فترانا كلَّما تَقَرَّبَتْ دولة كبرى من دولة صغرى خامرتنا<sup>6</sup> القلق وتصورنا أنَّ هذا التَّقَرُّبُ مقدِّمة للحرب.

وكلَّما خرجت رصاصة من بندقيَّة روسي فأصابت أميركياً أو إنكليزياً على غير قَصْد قلنا: إنَّ الأرض سَتُزَلِّز زِلْزَالها<sup>7</sup>.

وكلَّما خرج وزير لمقابلة وزراء في غير بلاده. قلنا هذه علامة الحرب. وكلَّما لاح في الأوج الأعلى نورٌ يسير أو خيال يطير. استحوذ علينا الخوف من أن يكون هذا سلاح جديد للعدوِّ لم يتَّصل بنا خبره.

بل نحن لشدة خوفنا لا يصعب علينا أن نتوهم الحوادث الطبيعيَّة كالزَّلَازِل والطُّوفانات أموراً غير طبيعيَّة.. أموراً من صنْع الإنسان. العدو..

إنَّ هذا الخوف المُستولي علينا الغامر أرواحنا وأفكارنا كالضُّباب. هو الذي سيقرب الحرب إلينا.

1 الوباء بالكسر والمدَّ مَرَضٌ عامٌ.

2 الرُّجُوم النَّجُوم التي يُرمى بها.

3 الدَّسَكْرَة القرية الكبرى.

4 المُسْتَطِير: اسْتَطِير فَوَّادَهُ أَصَابَهُ دُغْرٌ وَفَزَعٌ.

5 الجوانح: من الإنسان الأضلاع.

6 خامر الشيء مارسه وخالطه يقال خامره الدَّاء وخامره الشُّكُّ.

7 الزَّلْزَال: وَزَكَزَلَهُ زَكَزَلَةً وَزَلْزَلَهُ أَخْرَكَهُ وَالزَّلْزَالُ الْبَلَاءُ.

بَلْ إِلَى الْغَابَةِ وَالْدَّسَكْرَةِ وَالْقَرْيَةِ وَالْمَدِينَةِ لَكِي تَلْتَهُمُ الَّذِينَ فِي الْغَابَةِ وَالْدَّسَكْرَةِ وَالْقَرْيَةِ وَالْمَدِينَةِ .  
وَلَنْ يَكُونَ الْمَسْئُولُ عَنِ الْحَرْبِ إِذَا شَبَّتْ نَارُهَا شَخْصَ وَاحِدٍ وَلَا جَمَاعَةً وَاحِدَةً وَلَا أُمَّةً وَاحِدَةً .  
بَلِ الْبَشَرِيَّةُ كُلُّهَا . لِأَنَّ الْخَوْفَ مِنْهَا شَامِلُ الْعَالَمِ كُلِّهِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ .  
إِنَّ خَوْفَ أَمِيرِكَ مِنْ رُوسِيَا وَخَوْفَ رُوسِيَا مِنْ أَمِيرِكَ قَدْ خَلَقَ الْخَوْفَ فِي كُلِّ بِلَادٍ . وَمَا دَامَ الْخَوْفُ  
مِنْ الْحَرْبِ مَوْجُوداً فَلِئِنَّهَا وَاقِعَةٌ لَا مَحَالَةَ إِنَّ لَمْ يَكُنْ عَاجِلاً فَاجِلاً .  
إِذَنْ فَالْعِلَاجُ الْوَحِيدُ الَّذِي يَبْقَى الدُّنْيَا كَارِثَةُ الْحَرْبِ هُوَ أَنْ يَتَلَأْشَى مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ هَذَا الْخَوْفُ  
الْقَتَالُ . فَهَلْ يَتَلَأْشَى ؟

أَلَيْسَ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَهْتَدِيَ الْبَشَرُ إِلَى وَسِيلَةٍ تَنْزِعُ مِنْ قُلُوبِهِمُ الْبُغْضَ وَتَزْرِعُ فِيهَا الْحُبَّ . فَلَا يَعُودُ  
يَخَافُ شَعْبٌ مِنْ شَعْبٍ وَلَا تَطْمَعُ أُمَّةٌ بِأُمَّةٍ . وَلَا يَعُودُ يَرَى الْإِنْسَانُ الْبَطُولَةَ كُلَّ الْبَطُولَةِ فِي قَتْلِ أَخِيهِ  
وَهَدْمِ بَيْتِهِ وَتَدْمِيرِ حَقْلِهِ وَتَشْتِيتِ أَهْلِهِ وَاسْتِثْصَالَ نَسْلِهِ .  
أَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَمُوتَ شَهَوَاتُ الْحَيَوَانِ فِي الْإِنْسَانِ ؟

السَّمِيرُ : 19 / 6 / 1952

## نَفُوسٌ مَرِيضَةٌ

كَتَبْتُ مَجْلَدَ «الْأَدِيبِ» فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ مِنْهَا الصَّادِرِ فِي شَهْرِ آيَارِ تَعْتَذِرُ عَنْ نَشْرِ كُلِّ مَا يَرِدُهَا مِنْ  
الْقَصَصِ وَالْقَصَائِدِ مَا يَلِي :

«يُلاحَظُ أَنَّ أَكْثَرَ الشُّعْرَاءِ وَكُتَّابِ الْقِصَّةِ يَتَجَلَّى «الْكِبْتُ الْجِنْسِي» فِي أَكْثَرِ مَا يَرْسُلُونَهُ لِلنَّشْرِ .  
فَالشَّاعِرُ لَا يَرَى مِنَ الْمَرْأَةِ غَيْرَ نَهْدِيَّهَا وَفَخْذَيْهَا وَالْفَرَّاشِ الْوَثِيرِ . وَكَاتِبُ الْقِصَّةِ يَمَعِنُ فِي وَصْفِ كَيْفِيَّةِ  
التَّعْبِيرِ عَنْ أَشْوَاقِهِ الْجِنْسِيَّةِ نَحْوَ الْمَرْأَةِ وَعَنْ كَيْفِيَّةِ تَمَتُّعِهِ بِهَا . فَالْمَرْأَةُ فِي الْقِصَّةِ «مُتَّعَةٌ» لِبَطْلِيَّهَا . هَذَا الْكِبْتُ  
الْجِنْسِي وَالسِّيَاسِي وَالْإِجْتِمَاعِي إِلَى آخِرِهِ مُصِيبَةٌ الشَّرْقِ الْعَرَبِيِّ يَتَجَلَّى لِلْأَسَفِ فِي أَكْثَرِ مَا يَكْتُبُهُ الْكُتَّابُ .  
لِذَلِكَ أَرْجُو مِلَاحَظَةَ ذَلِكَ» .

إِنَّ هَذِهِ الْمِلَاحَظَةَ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا مَجْلَدُ الْأَدِيبِ هِيَ مِثْلُ رَأْيِي لَنَا أَبَدِيَّاتِهِ فِي فَصْلِ كِتَابَتِهِ لـ «السَّمِيرِ»  
وَمَجْلَدِ الْمُقْتَطَفِ بِعَنْوَانِ «الْمَرْأَةُ فِي الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ» .

ثُمَّ لَمَّا كُنَّا فِي دِمَشْقَ بَسْطْنَا مِثْلَ هَذِهِ الْمِلَاحَظَةِ فِي حَدِيثٍ لَنَا مَعَ مُحَرَّرِ جَرِيدَةِ «أَلْفِ بَاءٍ» عَنِ الشُّعْرَاءِ  
الَّذِينَ يَتَغَزَّلُونَ لِأَنَّ شُعْرَاءَ قَبْلَهُمْ تَغَزَّلُوا . . . وَيَكُونُ لِأَنَّ شُعْرَاءَ غَيْرُهُمْ بَكَوْا . وَيَذْمُونَ الدُّنْيَا لِأَنَّ شُعْرَاءَ  
قَبْلَهُمْ ذَمُّوْهَا . فَلَا الْغَزَلَ الَّذِي يَصْدُرُ عَنْهُمْ يَصْدُرُ عَنْ إِحْسَاسٍ وَلَا الدُّمُوعُ الَّتِي يَذْرِفُونَهَا عَلَى الْوَرَقِ

تساقط من أجفانهم وليس ذمتهم الدنيا عن مقت<sup>1</sup> وكره.

فخرموج هذا الصوت من دار «الأديب» دليل على أن النفوس استحوذَ عليها السأم والضجر من هؤلاء الشعراء والقصاصين الذين يعتقدون أن الفن لا يكون فناً، والأدب لا يكون أدباً، بل الحياة لا تكون حياة إلا إذا انسابت أفاعي الشهوات في ما ينثرون وينظمون.. يقلّدون بذلك جماعة المتهتكين من شعراء فرنسا الذين خدروا عقولهم واقنعوا أنفسهم بأن حياة الشذوذ هي الحياة الحق والعيش الصادق.

غير أن هؤلاء الشعراء والقصاصين المقلّدين فاتهم أن ظهور هذا النوع الخليع المتهتك من الشعراء والقصاصين في أمة كالأمّة الفرنسيّة عندها من الأدب الرفيع والعلم الرّصين المتألق شلالات لا ينقطع اندفاقها وهديرها ومناثر لا يخبو ضياؤها ولا يشح نورها. لا يعيها ولا يضيرها بل ربّما كان ظهور جماعة من هذا الطراز<sup>2</sup> في حياتها شيئاً طريفاً فيه تسلية وتفكهة.

ولكن أمة كأمّتنا مشوّشة الأوضاع مشوّشة طرائق الفكر. مشوّشة مناهج الحياة. تحلم وتتوق أن بصير لها كيان جميل ونبيل ومكان محترم تحت الشّمس يؤذيها ويُفسدُ عليها الثور والهواء ظهور هذا النوع الرّخيص المبتذل المائع من الشعراء والقصاصين.

ولا يكفي في مكافحة هذا الوباء النّفساني أن تمتنع مجلة كـ «الأديب» عن نشر قصائد وقصص هؤلاء الناس. ولا أن تنهال عليهم الألسنة والأقلام بالتعنيف والتوبيخ. بل يجب أن يبحث من يهتمهم مصير الأدب العربي بل مصير الشباب بل مصير الأمّة كلّها عن أسباب انتشار هذا النوع من الأدب الرّخيص ويعملوا على استئصالها. فما هي هذه الأسباب؟ ما هي أسباب «الكبت الجنسي» الذي أشارت إليه «الأديب»؟

يمكننا أن نعدّ من أوّل الأسباب وأكبرها كون المرأة محجوبة. فالنفس أكثر ما تكون رغبة في شيء تشتهيهِ هي عندما يكون هذا الشيء محجوباً عنها ممنوعاً منها. فإذا صار في منالها خمدت حرارة الرّغبة فيه.

فهذه الظاهرة في القصص والقصائد التي تموج بها بعض الصّحف ليست في الواقع غير انعكاس أخايل وتصوّرات نشأت في أذهان أصحابها لأنّهم مبتلون بالحرمان.

أجل. وهذا هو السّر في أن الشباب العرب الذين يذهبون إلى فرنسا وسويسرا أوّل ما يستلفت انتباههم ويقيّد أفكارهم مرأى الغيد الحسان في المسارح والملاهي والأنديّة الليلية ممّا لا عهد لهم به حيث ولّدوا وتربّوا<sup>3</sup> فيجنّ جنونهم وتصير الحياة عندهم كلّ الحياة أن يطيروا على أجنحة الشهوات.

1 مقتّه أبغضه.

2 الطراز الهيئة.

2 ربّ الولد ربّاً وليه وتعهّده بما يغذيه ويؤدّبه فهو رابّ والولد مربوب وربيب.

وَأَنْ يَتَهَاوَتْهُ عَلَى مَنَاهِلِ اللَّذَّاتِ تَهَاوَتْ الْفَرَاشَ عَلَى الضَّوِّ الْمُتَالِقِ.. وَلَا غَزَوًا<sup>1</sup> فَمِثْلُ هَذِهِ الْمَغْرِيَّاتِ يَعْجَزُ عَنْ مَقَاوِمَتِهَا الرَّجُلُ الرَّشِيدُ فَكَيْفَ إِذَا عَرْضَتْ ذَاتَهَا عَلَى فَتَى طَرِيرٍ<sup>2</sup> أَوْ غَلَامٍ غَرِيرٍ<sup>3</sup>.. وَهَنَّاكَ فَرِيقَ آخَرَ مِنْ هَؤُلَاءِ النَّاشِثِينَ لَا يَنْتَقِلُ إِلَى مَكَانٍ، وَلَكِنَّهُ يَكْبُ عَلَى مَطَالَعَةِ كُتُبِ الْخُلَعَاءِ مِنْ أَصْحَابِ مَذْهَبِ الْأَدَبِ الْعَارِي - فَيَمْضِي يَسِيرَ وَرَاءَهُمْ فِي غَيْرِ هَدًى وَيَحَاوِلُ أَنْ يَقْلُدَهُمْ وَيَكُونُ مِنْهُمْ فَتَضْطَرُّ بِهَ طَرِيقُهُ وَيَبْدُو لِلْعَيَّانِ<sup>4</sup> بِهَلُولَانَا<sup>5</sup> بَلْ مَرَقَعَانَا<sup>6</sup> لِأَنَّهُ فِي مُحِيطِ أَوْلَئِكَ وَنَاسٍ غَيْرِ نَاسِهِمْ. ثُمَّ لِأَنَّهُ يَهْرَبُ مِنَ الْحَيَاةِ الَّتِي يَرَاهَا إِلَى حَيَاةٍ يَتَخَيَّلُهَا. وَيَتَحَدَّثُ عَنْ أُمُورٍ يَشْتَهِيهَا وَيَتَمَنَّاها كَأَنَّهُ أَدْرَكَهَا وَحَازَهَا وَمَا حَازَ مِنْهَا أَكْثَرَ مِمَّا تُنْسِكُ الْيَدُ الْخَيَالِ. وَيَضْبِطُ الْمَاءَ الْغُرْبَالَ!

وَيَظَلُّ رَاكِضًا وَرَاءَ الْأَوْهَامِ قَانِعًا بِالصُّورِ وَالطُّيُوفِ وَالْأَحْلَامِ حَتَّى يَجِيءَ يَوْمٌ يَصْحُو فِيهِ مِنْ نَشْوَةِ الْوَهْمِ فَيَجِدُ أَنَّهُ أَضَاعَ زَمَانَ الشَّبَابِ الَّذِي يَحِبُّ أَنْ يَصْرِفَ فِي طَلَبِ الْمَعَالِي وَصَارَ كَالسَّيْفِ عُرِّيَ مَتْنَاهُ مِنَ الْخَلَلِ. وَكَالْغَصَنِ نَفَضَ عَنْهُ أَوْرَاقَهُ فَجَفَّ وَيَبَسَ!

مَنْ تَرَدَّى بِرَدَاءٍ      مَا رَأَى لِأَبِيهِ  
سَوْفَ يَأْتِيهِ زَمَانٌ      يَتَمَنَّى الْمَوْتَ فِيهِ

إِنَّ مُشْكَلَةَ هَؤُلَاءِ الشَّبَابِ هِيَ مُشْكَلَةُ الْمَرْأَةِ فِي الشَّرْقِ الْعَرَبِيِّ ثُمَّ هِيَ مُشْكَلَةُ نَوْعِيَةِ التَّعْلِيمِ فِي الْمَدَارِسِ. فَعَلَى الْمُصْلِحِينَ أَنْ يَفَكِّرُوا فِي الْوَسَائِلِ الَّتِي تَصْرِفُ الشَّبَابَ عَنْ هَذَا الْإِتِّجَاهِ السَّقِيمِ إِلَى إِتِّجَاهَاتٍ أَصَحَّ وَأَسْمَى وَأَنْفَعَ لَهُمْ وَلِلْبِلَادِ.  
إِنَّ الْإِمْتِعَاضَ مِنْ حَالَةٍ كَائِنَةٍ لَا يَكْفِي لِإِزَالَتِهَا وَمَحْوِهَا أَوْ تَبْدِيلِهَا.

السَّمِير: 1952 / 6 / 24

## الْمَدْرِينَةُ الصَّرْعِيَّةُ<sup>4</sup>

... وَتَرَى الْقَوْمَ سُكَارَى. وَمَا هُمْ بِسُكَارَى. وَلَكِنْ مَوْجَةٌ طَافِغِيَّةٌ مِنَ الْحَرِّ الْعَنِيفِ زَحَفَتْ عَلَيْهِمْ بِرُوحِ عَدُوٍّ جَبَّارٍ مُنْتَقِمٍ فَمَا اسْتَطَاعُوا لَهَا دَفْعًا. وَلَا اسْتَطَاعُوا مِنْ وَجْهِهَا فِرَارًا. سَلَطَتْ الْوَهْنُ عَلَى

1 لَا غَزَوًا: الْغَزَوُ الْعَجَبُ.

2 طَرِيرٌ: وَطَرٌ الْبَتُّ مِنْ بَابِ رَدَّ نَبَتٍ وَمِنْهُ طَرٌّ شَارِبُ الْغُلَامِ فَهُوَ طَارِزٌ. وَالطَّرِيرُ ذُو الْمَنْظَرِ وَالرَّوَاءُ وَالْهَيْئَةُ الْحَسَنَةُ.

3 وَالْغَرِيرُ: أَيُّ غَيْرٍ مُجَرَّبٍ.

4 الْعَيَّانُ: عَايَنَهُ مَعَايِنَةً وَعَيَّانًا لَمْ أَشْكُ فِي رُؤْيِي إِثْنَاهُ.

5 الْبَهْلَوَانُ: الْبَارِعُ فِي نَوْعٍ مِنَ الْأَلْعَابِ.

3 الْمَرَقَعَانُ: بِالْفَتْحِ الْأَخْمَقُ.

4 الصَّرْعِيَّةُ: الصَّرْعُ الْمَصْرُوعُ يُقَالُ بَاتَ صَرِيعَ الْكَأْسِ جَ صَرَعَنِي وَصَرِيعٌ عَلَى وَزْنِ فَعِيلٍ وَوَزْنِ فَعِيلٍ يَسْتَوِي فِيهِ التَّذْكِيرُ وَالتَّأْنِيثُ. فَيُقَالُ: رَجُلٌ قَتِيلٌ وَامْرَأَةٌ قَتِيلٌ.

أجسامهم فتهدّلت. وعلى أجفانهم فاسترخت وذبلت. وتغلغلّت حتى إلى موضع الأسرار. فكادت الأسرار تفتضح لولا شيء كالشلل عقل الألسن عن الكلام. هو الخوف من أن تنجرح الحناجر من البوح والشكوى..

يوم بل يومان. كان كلاهما على الناس في المدينة الجبّارة كأنه عصر من هموم وأثقال. أو كومة من تلال وجبال. فقد كان كل إنسان في المدينة يتوهم أنه وحده الغريق في هذا البحر الصاهر. ولا سيّما عندما طلب النوم فأعياه. واستعان بالماء البارد فما كاد يدخل إلى جوفه حتى تفجّر من مسام جسمه عرقاً ساخناً! ومضى إلى الشجرة يستظل بها فإذا الشجرة مثله تبدو بأغصانها الصامتة كأنها تُصلي للسماء أن تدفع عنها غائلة<sup>1</sup> القيظ. وذهب إلى الشاطئ فإذا رماله تلهّث أنفاساً حرّى وتبدو كأنها تُقلّي في الشمس وتُشوى...

أجل. كان كل شيء وكل حي في قبضة الحرّ المذيب.. حتى السماء لاحت عليها فترة<sup>2</sup>. وحتى الجهاد بدا كأنه مشدود باهت.. أمّا البحر فكان ساجياً<sup>3</sup> ساهياً كأنه يخشى على ذاته أن يجفّ ويتنضب!

إنما هذا الحر الطاغى لم يكن بلا فائدة فقد حمل الناس في المدينة الصخابة على أن يقعدوا عن الحركة مكرهين. فقعدوا وفكروا فعرّفوا أنهم ضعفاء عاجزون وأنهم في نظر الطبيعة والنمل سواء<sup>4</sup>. وأن نوااميسها تجري بالسواء على الإنسان والنملة.

ولكن ربّما حالت شدة الحر بين الناس والتّفكير في أي أمر. فلم يشعروا بعجز ولا بقوة. وسيعودون بعد تراجع هذه الموجه الطاغية عنهم إلى ما كانوا فيه من ذهول ونسيان. وإلى الرّكض والاندفاع وراء المعاش..

أجل. إن المدينة الصرعى سوف تستردّ حياتها الأولى وترجع بعد السكينة العارضة إلى الدوران على ذاتها كما يدور الدّولاب الرّقاص في الساعة على محوره<sup>5</sup>. وإن توهم كثيرون أن الحرّ الطاغى سيدوم مع علمهم أن لا شيء يدوم!

السّمبر: 27/6/1952

1 الغائلة غاله الشيء اغتاله إذا أخذه من حيث لا يدري.

2 الفترة فترة وهي الغبار.

3 سَجَى أي دام وسكن ومنه البحر السّاجي وطرف ساج أي ساكن.

4 أي عدل ووسط فيما بين الفريقين وهما في هذا الأمر سواء.

5 المحور: العود من حديد وغيره تدور عليه البكرة.



## كيف تنظر

لكل إنسان عيان يبصرُ بهما الأشياء والناس والكائنات التي تعرض أمامه أو تمرُّ به ويمرُّ بها. ولكن ليس كل إنسان يرى الأشياء والناس كما يراها الآخرون. فمن الناس من لا يبصرون غير الظواهر ومنهم من يقنع بأن رأى من كل شيء سطحه. ومنهم قوم لا يبصرون شيئاً حتى وهم يبصرون!

ومنهم من يحاولون اختراق الحجب والأستار والتفادى إلى صميم الأشياء ولتبها فيشققون حيناً ويسعدون حيناً. يشققون عندما يعيهم الوصول إلى سرٍ مكتون يبحثون عنه. ويسعدون عند وصولهم إليه وانتصارهم عليه.

فكيف تنظر أنت إلى الأمور وإلى الناس؟

إنَّ مَنْ لا يمتشي لا يصل إلى مكان

وَمَنْ لا يفكر لا يهتدي إلى حقيقة محجوبة

وَمَنْ يقنع بالنظر إلى الظواهر فسوف يظلُّ بينه وبين البواطن ما بين الأرض والسماء من البُعد ولو كان الشيء الذي يُبصره بين يديه وأمام عينيه ..

لذلك لا يصير للشيء قيمة إلا إذا عرّف الإنسان ما بطن منه وما ظهر. بل لا يصير للإنسان ذاته قيمة إلا إذا كان ممن يبحثون وينقبون للوصول إلى لباب الأمور.

وليس من إنسان عاقل إلا ويخامر نفسه الشوق إلى المجهول. فإذا أضاع هذا الشوق أو فارقه صار أقرب إلى الحيوان الأعجم بل صار سَوَاء هو والحجر الأصم.

ولا يمكن أن يهتدي الإنسان إلى حقيقة محجوبة عنه إلا إذا شكَّ في ما بين يديه من الأمور وما ورثه أو أخذه عن ذويه وجيرانه من عقائد وتقاليد وعادات. فالشكَّ وَخَذَهُ بِحَرْكِ دَوْلَابِ الْفِكْرِ فَيَدُورُ وَهُوَ وَخَذَهُ الْبِدَ الْقَادِرَةُ عَلَى تَمْزِيقِ الْأَسْتَارِ الَّتِي حَاكَتْهَا الشُّنُونُ وَالْفَتْهَا الْعَيُونُ!

أجل. مَنْ لا يشكَّ لا يفكر وَمَنْ لا يفكر لا يهتدي - فشكَّ وَفَكَرَ تُصْبِحُ مِنَ الْقَوْمِ الْمُهْتَدِينَ أو على الأقل المتحررين من الأوهام والخرافات والتقاليد التي ذهب زمانها واندثر أهلها ..

السَّمِير: 10/7/1952

## الشُّعُورُ الْحَقِيقِيُّ - جِمالُ النَّفْسِ

الشُّعُورُ الْحَقِيقِيُّ يَدُلُّ عَلَى جِمالِ النَّفْسِ وَيَخْتَلِفُ عَنِ الْمَظَاهِرِ الْمَأْلُوفَةِ الَّتِي تَتَكَرَّرُ أَمَامَنَا كُلَّ يَوْمٍ. وَهُوَ مَا يَسِيرُ عَلَيْهِ بَعْضُ النَّاسِ عِنْدَ نَزُولِ الْمِلْمَاتِ<sup>1</sup> وَالْمَصَائِبِ بِالْآخِرِينَ فَتَكْثُرُ الْمُحَابَبَةُ وَالتَّصَنُّعُ وَيَبْدُو الرِّيَاءُ بِثُوبِهِ الشَّفَافِ وَمِنْ تَحْتَ الثَّوبِ الْخَبْثُ وَالْمُدَاهَنَةُ.

وَالشُّعُورُ الصَّادِقُ لَيْسَ شِفَاهُ تَتَحَرَّكُ وَالسِّينَةُ تَتَكَلَّمُ. وَعَيُونَ تَدْمَعُ وَأَيْدٍ مَمْدُودَةٌ تَتَحَرَّكُ وَبِكَلِمَةٍ لَيْسَ الشُّعُورُ الصَّادِقُ كَلِمَاتٍ مَعْسُولَةٍ مَنْمَقَّةٌ لَا تَعْنِي شَيْئاً أَوْ لَا مَعْنَى لَهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ. وَلَا هُوَ دَوْرٌ فِي رِوَايَةِ الْحَيَاةِ لَا مَغْزَى لَهُ وَجَدَ لَسَدٌ فَرَاغٌ أَوْ لِإِكْمَالِ الرِّوَايَةِ.

إِنَّ الشُّعُورَ الْحَقِيقِيَّ هُوَ مَا كَانَ صَادِراً عَنْ قَلْبٍ كَبِيرٍ وَنَفْسٍ حَسَّاسَةٍ وَإِخْلَاصٍ فِي الْقَوْلِ لَا يَشُوبُهُ شَائِبَةٌ<sup>2</sup> النَّفْعِ الذَّاتِي.

وَهَذَا الشُّعُورُ الصَّامِتُ دُونَ إِعْلَانِهِ بِالْكَلَامِ النَّاعِمِ الْمُرْخُوفِ وَالتَّذْلِيلِ عَلَيْهِ خَيْرٌ مِنْ مِثَالِ الْكَلِمَاتِ الْمَرْوُوقَةِ وَأَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ دَمْعَةٍ يَذْرِفُهَا<sup>3</sup> مَرَاوِغٌ<sup>4</sup> مِرَائِيٍّ<sup>5</sup>.

فَالشُّعُورُ النَّبِيلُ فِي صَمْتِهِ بِلَاغَةٌ يَحْسُ بِهَا الْمَرْءُ فَتَمْلِكُ عَلَيْهِ مِشَاعِرُهُ وَتَخْفُفُ عَنْهُ مَا بِهِ مِنْ هَمٍّ وَكَدَرٍ وَتَهْوُنُ عَلَيْهِ مَا يَلْقَاهُ مِنْ صَدَمَاتِ الدَّهْرِ.

وَهُوَ الَّذِي يَجْمَعُ بَيْنَ عَاطِفَةِ الْحَنَانِ وَالرَّأْفَةِ وَفَضِيلَةِ الْحِكْمَةِ فِي مِشَاظَةِ الْآخِرِينَ حُلَّ أَثْقَالِ الْحَيَاةِ وَمَتَاعِهَا. وَاسْتِعَادَةَ الْأَمَلِ وَالرَّجَاءِ إِلَى الْقُلُوبِ الْمُنْكَسِرَةِ بِدُخُولِ الْأُمُورِ مِنْ أَبْوَابِهَا عَنْ طَرِيقِ الرِّشَادِ وَالرَّوْيَةِ.

إِنَّ الْحِكْمَةَ فِي إِبْدَاءِ الشُّعُورِ الصَّادِقِ تَأْتِي بِالْعَجَائِبِ إِيَّانَ الْمِلْمَاتِ وَالْمَصَائِبِ. وَالسِّرُّ فِي ذَلِكَ هُوَ أَنْ تَجْعَلَ نَفْسَكَ مُسَاوِيَةً لِنَفُوسِ الْآخِرِينَ كَأَنَّهَا جُزْءٌ مِنْهَا. وَبِذَلِكَ يَكُونُ لِكَلَامِكَ التَّأثيرَ الْمَرْغُوبَ وَالْأثرَ الْجَمِيلَ الْبَعِيدَ فِي الْقُلُوبِ.

وَمَنْ كَانَ ذَا شُعُورٍ إِنْسَانِي حَقِيقِيٍّ لَا يَتَصَنَّعُ وَلَا يُوَارِبُ وَلَا يَضْطَرُّ لِلْمُدَاهَنَةِ<sup>6</sup>، مَدَارِكُهُ سَامِيَةٌ وَخِيَالُهُ صَافٍ. وَبِالتَّدْرِيبِ وَالتَّمْرِينِ يَصْبِحُ الشُّعُورُ الْإِنْسَانِي مَلَكَةً<sup>7</sup> فِي الْمَرْءِ كَسَائِرِ أُمُورِ الْحَيَاةِ. وَكَمَا

1 المِلْمَةُ الشَّدَّةُ. المِلْمَةُ النَّازِلَةُ الشَّدِيدَةُ مِنْ شِدَائِدِ الدَّهْرِ.

2 الشَّائِبَةُ الشَّيْءُ الْغَرِيبُ يَخْتَلِطُ بغيرِهِ وَيُقَالُ مَا فِيهِ شَائِبَةٌ لَيْسَ فِيهِ شُبُهَةٌ وَالدَّنَسُ وَالْقَدَرُ وَنَحْوُهُمَا.

3 ذَرَفَ: الدَّمْعُ سَالَ.

4 المَرَاوِغُ: رَاغٌ إِلَى كَذَا مَالٌ إِلَيْهِ سِرّاً وَحَادٌ وَفُلَانٌ يَرَاوِغُ فِي الْأَمْرِ مَرَاوِغَةً.

5 المِرَائِيَّ: وَمَارَاهُ مِمَارَةً وَمِرَاءَ شَكٍّ وَامْتَرَاهُ حَقَّقَهُ جَحْدَةً.

6 مُدَاهَنَةٌ: كَالْمُصَانَعَةِ.

7 وَحَسَّنُ الْمَلَكَةَ أَيَّ حَسَّنُ الصَّنِيعَ إِلَى عَمَالِكِهِ.

تتمرّن أصابع اليد على أوتار «العود» أو الكمنجة فتأتي بعدئذ بالأنغام الشجيّة العذبة. بشرط أن يكون للمرء الاستعداد ليكون موسيقياً كما يجب أن تكون في قلبه جذوة<sup>1</sup> الشعور الصادق لينميها بالممارسة والمزاولة.

ولا يتوهمن أحد أن الشعور الحقيقي وقف على المريض والفقير التّعيس والإشفاق عليهما دون سواهما. لا فإن معاني الشعور الإنساني أوسع وأسمى من أن تنحصر في غرفة العليل أو يحدها<sup>2</sup> كوخ الفقير بل هي تشمل سائر الناس عامتهم وخاصتهم على السواء وكلنا في حاجة إليها. الأغنياء والفقراء.

قال أحد المفكرين الكبار: إن الشعور مع المتألم ليس أسمى مثال في الحياة ففي وُسع أي إنسان أن يبدي شعوره مع صديق له في الشدة ويكون شعوره هذا سطحياً منمّماً ويكيل النصائح فتجيء بعد فوات الوقت عليها.

ومن يخلو قلبه من الشعور الصادق فهو لا يتميز عن الحيوان الأعجم. أجل إن هذا الحيوان الأعجم الذي نزلمه بتشبيهاً به بعض الناس العديمي الشعور هو أفضل بكثير من هذه الحيوانات الناطقة من بني البشر.

خذ الكلب مثلاً هذا «الحيوان الأعجم» وهو عندنا صفة احتقار وازدراء نعت به الخالي من الإحساس العديم المروءة<sup>3</sup> المنحط بأدابه وأخلاقه. وهذا خطأ درج عليه الناس - فهذا الحيوان له صفات الإخلاص والأمانة ممّا لا نراها في كثيرين من البشر الذين يتظاهرون بالصداقة والإخلاص وهم على عكس ذلك.

ومن بليغ القول «يجدر<sup>4</sup> بالمرء ألا يجعل من قلبه جزيرة منفصلة عن باقي الأرض». وعلى الجملة إن الشعور الإنساني الصادق فن سام في حياتنا إذا تدربنا عليه وتمرّنا به وأثقناه فعندئذ يصبح هذا العالم فردوساً يسود فيه السلام والرخاء.

السّмир: 1952 / 9 / 26

## في أتلنتك سيتي

الكلمة التي ألقاها صاحب «السّмир» في مادّة الحلف الشرقي يوم الأحد في 19 تشرين الأول الجاري وذلك عقيب تسليمه شهادة التقدير لجهوده الأدبية شاعراً وكاتباً ومجاهداً وطنياً...

1 الجذوة: الجمرة.

2 الحدّ الحاجز بين الشيئين.

3 المروءة الإنسانية.

4 جدّر بكذا وله صار خليقاً به فهو جدير ج جذراء.

إنَّه لشرف كبير لي أن ألتقي وإياكم في ظلِّ مؤسسة لنا كانتْ إلى عشرين سنة خلتْ سرّاً مضمراً وحُلماً خفياً فأصبحتْ اليوم تضم العشرات من الجمعيات والأندية والآلاف من أبناء لبنان وسوريا وهي الحلف السوري اللبناني الأميركي في الولايات الشرقيّة.

فإنَّ مَنْ يذكر ما كانتْ عليه جوالينا قبل عشرين سنة من التفكُّك. وما كانتْ عليه جمعياتنا من التناحر وضالّة الأهداف لا يسعه إلا أن يعترف بأنَّ تكوين هذا الحلف الكبير الشامي الأهداف كان عملاً شاقاً عسيراً. ولو لم تضطلع به نفوس بعيدة مطارح الخيال وهم صُلبة لا يتطرَّق إليها الكلال<sup>1</sup> لبقى حُلماً خفياً وسراً مضمراً في خاطر الدَّهر. ولبقيتْ جمعياتنا حلقات مبعثرة مشوشة الكيان لا وزن كبير لها.

سادتي:

إسمحوا لي أن أقول إنَّ المهاجرين بهذا التكتُّل الشعبي قدّموا نموذجاً جميلاً راقياً في التعاون والتضامن والانسجام لقومنا المتحلّنين الذين ما أضربهم شيء كالنّاحر والتطاحن وإعراضهم عن التعاون.

كذلك أعطى المهاجرون مثلاً آخر للتضحية والتجرّد عن الهوى وحب الإنصاف عندما عطفوا على القضايا العربيّة كلّها وبذلوا في سبيلها الوقت والمال في حين لا مصالح شخصيّة لهم هناك. ولا هم يتوقَّعون أجراً ولا شكراً على مساعدتهم.

وقد قام رجال الحلف بأكثر من قسطهم<sup>2</sup> في هذا السبيل فأدّوا خدمة مُزدوجة للوطن الأميركي وللأمّة التي جاؤوا منها. ولا غرابة في ذلك ففيهم رهط كبير من المحامين الممتازين ورجال الفكر النّابغين وأصحاب المواهب المختلفة.

وقد شاء هذا الحلف الكريم أن يرفع من مكاني ويشرفني بهذه الإلتفّاة الجميلة التي لا أدري إذا كنتُ أستحقّها فجعلني عاجزاً عن الإعراب عن تقديري لهذا الشُّعور النبيل. فما كنتُ أتوقَّع أن ينالني الفخر من هيئة فصل الدَّهر بين سوادها الأعظم وبين اللغة العربيّة التي أعيش فيها وأحياها.

أمّا وقد غمرني حُبّه فأنا أطمع منه بأكثر. وأتوجّه إليه بالرجاء أن يشجّع ويُنشّط الذين في أوّل الطريق مثلما يبارك الذين صاروا في آخر الطريق. وأعني تشجيع ذوي المواهب من ناشئنا فقد يكون بين هذا الشُّرب<sup>3</sup> من الفتيان والصبايا شاعر أو فيلسوف أو مخترع كبير نتمجّد به عندما يرتفع عنه الستار. فما من تربة تنبتُ المجد مثل أرواح الشُّباب.

وبعد يا سادة إذا كان شاعر مثلي يستحق أن يُكافأ لأنّه سلّط مصباحه على ناحية جميلة في الحياة

1 وكلّ الرّجل والبعر من المشي بكلّ كلالاً وكلالة أيضاً أي أعينا.

2 القِسط: الحقّ والنصيب.

3 الشُّرب الفريق من الطير والحيوان ج أشراب.

ليراها الناس فكم يستحق الذين وضعوا الزيت في مصباحه ؟ وكم يستحق الذين وضعوا المصباح في يده ؟

وإذا كان كاتب أو شاعر يستحق التكريم لأنه دعا إلى إغاثة شعب منكوب هو شعبه . وإلى تحرير وطن مُستعبد . هو وطنه . فكم يجب أن تُكرّم النفوس التي لبّت دعوته وأجابت نداءه . فمسحت الدُموع وضمدت الجراح وردّت الأمن إلى قلب الخائف الملهوف . بل كم يجب أن يُكرّم الأبطال الذين استهدفوا للموت في ساحات الوغى من أجل الحقّ والحريّة والشرف والخير العام . كهؤلاء الجنود السوريين الموجودين الآن بيننا .  
«هم الرئيس مصطفى حمداني والملازمون من الدرجة الأولى - منير باشا . وعمد استنبولي . وأدهم عوي . وعدنان فضلي» .

إن هؤلاء وأمثالهم أولى بالتكريم وأحق .  
وصدّقوني إنكم أكرمتوني من قبل بل أكرمتكم كلّ شاعر إنساني عندما مسحتم دمع اليتيم . وكسوتم جسد العاري . وضمدتم جراح الطعين . وأمتتم الخائف وأنصفت المظلوم . وبالغتم في تمجيد أمتكم عندما مضيتُم تُشدّون الحق والخير والجمال في الحياة فأنا بكم معترّ فخور .  
أما أنا فمعتقدي هو أنني لا أستحق المكافأة ولا ينبغي لي أن أطلبها لأن الشاعر عندما تنفتح عيناه على جمال في الطبيعة أو في الناس لا تتمّ سعادته ولا تكمل مهمته إلا إذا نقل ذلك الجمال إلى كلّ العيون . بل يجوز القول أن مشيئة الله تتمّ فيه عندما يجيّد نقل تلك الصور كما تتمّ مشيئة الله في الزهرة عندما يكمل تكوينها وتلوينها وتذيع شذاها . وكما تتمّ هذه المشيئة ذاتها في الأرض عندما تخرج البقل والحبّ والزهر .

وتلك هي المكافأة الكبرى للشاعر والزهرة والأرض .

السّмир: 1952 / 10 / 27

## تأملات في العيد

لَمَّا أقبل العيد .. أخذ الناس يتهافتون على شراء الهدايا للأحباب والأصدقاء . فالحوانيت كبراها وصغرها تعجّ بالشارين .. بل الأصح أن نقول بالشاريات .. فإن الوقت يظلّ غالياً ثميناً عند المرأة حتى يخطر لها أن تشتري سلعة ما . فإذا هي تنفق الوقت بلا حساب كما ينفق البحري السكران نقوده ..  
إن السيّد المسيح عليه السّلام عندما جاء إلى هذه الدُّنيا جاء لكي يوقظ الإله النائم في الإنسان . وينفخ من جديد روحاً سامية في هياكل الطين .

ما جاء المسيح عليه السّلام ليعلم الناس كيف يأكلون ويشربون ويلبسون . بل جاء لكي يعلمهم

كيف يحبون. وكيف يغفرون وكيف يصفحون وكيف يرحمون..

جاء عليه السّلام لكي ينقذ الإنسان من البغض. لأنّ البغض سمّ الروح. ولكي يحزّر الإنسان من الطمع لأنّ الطمع كالجواد الشرس الجموح لا يأمن صاحبه أن يطوح به في مهواة<sup>1</sup> أو أن يرميه أرضاً ويدوسه.

جاء عليه السّلام لكي يقضي على الحواجز والشّدود بين البشر ويمزّق أغشية الجهالة المنسدلة على قلوبهم وعقولهم لعلّهم يدركون الحقيقة الواقعة وهي أنّ الإنسان أخو الإنسان. بقطع النظر عن الجنس واللون والوطن.

لهذا من غير الخطأ أن يقال أنّ العيد ليس في شراء الهدايا وإن كانت غالية وليس في لبس الثياب الجديدة وإن كانت من خزّ وديباج. ولا في الأضواء الحمراء والخضراء والصفراء والزرّقاء المتألّقة في نوافذ البيوت وواجهات المخازن ولا في الأشجار الخضراء التي تنصبّ في البيوت وتجلى كما تجلى العرائس.

لا، وإنّما هو شعور ينبثق في النّفس كما ينبثق الفجر فتظهر الأشياء والأحياء كلّها جميلة وكلها جديدة بأنّ تحبّ.

فهل هذا الشعور هو الذي يختلج في قلوب الناس كلهم؟ إننا نخاف أن نجيب بالإيجاب كما إننا نخاف أن نجيب بالنفي؟ ففي حياة كلّ إنسان لحظات يرتفع فيها إلى الملأ<sup>2</sup> الأنور. ولكنّها لحظات كومضات البرق لا تلبث إلا قليلاً ثم تختفي. ويرجع المرء إلى الأرض ليلصق بها أو تلصق به. إذن فهو قادر على أن يكون أرفع ممّا هو وأسمى. ولكنه يطمس شعله الألوهيّة التي فيه بأغطية الجهل والطمع والنزعات الحيوانيّة. فإذا به يبحثُ جاهداً عن النقائص في الناس فيجدها! ويتصوّر القبح فيهم فإذا هم كما يتصوّر. ويصير أميل إلى الشرّ والأذى. ويصبح شأنه كشأن ولد عطشان وصل إلى غدير صافٍ فغاص فيه برجليه فلمّا تعكّر رجع عنه يشكو أنّه ماء عكر لا يصلح للشرب. وعلى الجملة إنّ الإنسان يرى الدُّنيا جميلة إذا أحبّها هو أن يراها جميلة. وفي وسعِه أن يراها دميمة قبيحة. فعليه أن يختار ما يحلو له.

ويجدر بكلّ إنسان في غمرة العيد أن يفكر كيف يمكنه أن يجعل كلّ يوم من أيامه جميلاً بهجاً<sup>3</sup> كيوم العيد. وأن يسعى في الأيام الأخرى للترفيه عن الأرواح المضنّوكة مثلما يسعى في الموسم. فتحسن الدُّنيا في عينيه ويحسن هو في عين الدُّنيا.

السّمر: 1952 / 12 / 23

1 المهواة: الهواء الجو كالمهواة والمهواة والمهواة.

2 الملأ: الجماعة وهو الخلق أيضاً وجمعه أملاء.

3 بهج به فرح وسرّ وبابه طرب فهو بهج بكسر الهاء وبهيج.

## فيما تنقش

لم تصدر «السَّمير» طيلة الأسبوع الفائت.  
ولم يكن إصدارها ممكناً.

ولذلك سبب واحد وهو أن الأنفلونزا التي اجتاحت المدائن والقرى عرَّجتْ على «السَّمير» فأقعدتْ اثنين مِنْ عمَّالِها في الفراش وكادتْ تقعدُ الثالث. وقد حاولنا أن نطبع «السَّمير» في نيويورك كم فعلنا مِنْ قَبْلُ عندما انكسرتْ المطبعة فإذا بنا نحتاج في طبعها في نيويورك إلى أيدٍ عاملة أكثر مما لدينا. وأكثر مما نقدر الحصول عليه..

واهتدينا إلى مطبعة في بروكلن فابتهجنا بالعُثور عليها كما ابتهج كولمبوس عندما ظهرتْ اليابسة.. ولكننا عندما أردنا الإتفاق مع صاحبها تكاثرتْ مطالبه وشروطه وتمادى في وضع العقبات والعراقيل فلم يكن في طاقتنا الإتفاق معه إلا إذا رهنّا المطبعة والإدارة والبيت والأرواح.

ولعلَّ الرجل لم يكن لديه الوسائل الكافية لطبع جريدة يومية وكبيرة<sup>1</sup> عليه الإعراف بالأمر الواقع فتشدّد وتعنت.. لكي يخرج مِنْ المساومة غير مفتضح..

نحمدُ الله أن هذه الأزمة لم تطل. فقد شفيَّ المرضى وعادوا إلى الإدارة والمطبعة لوصل ما انقطع. وإنَّ في ما حدث مجالاً للتفكير واستخراج العظات. فما حدث في حياة الإنسان أزمة إلا وجئنا منها فائدة. بل ربَّما كانتْ هذه الأزمة ذاتها ضرورية لحياته. ولعلَّ هذه العوارض التي تصيب المرء مِنْ رشح أو أنفلونزا أو جَرَح أو كسر أو ما شاكَل مِنْ الآفات لازمة له لكي ينقطع عن العمل قليلاً فتهدأ أعصابه ويستريح جسمه ولا سيَّما في مجتمع صحَّاب مُدافع كالبحر الهائج.

ولقد قال الفيلسوف نيتشه: «كل مُصيبية تصيبني ولا تقتلني فهي قُوَّة لي». وإذا نحن تذكَّرنا أن لا فَجْر بلا ليل. وأن لا ربيع بلا شتاء. سهَّلَ علينا أن نستقبلَ اللَّيل والشتاء مهما دجا<sup>2</sup> الأوَّل وقسا الثاني بقلوب مطمئنة واثقة مِنْ أنَّ اللَّيل مقدَّمة لكتاب لا كتاب. وأنَّ الشَّتاء العابس المُتجهِّم الواقف بالباب يجزُّ خلفه الرِّبيع الضاحك الطروب.

ومما تحقَّقناه في هذا الأسبوع أنَّ «السَّمير» عزيزة على قلوب قرائها فقد كثر السائلون المُستفسِّرون وسرَّهم أن ليس هناك غير غَيمة ضئيلة مؤذنة بالإنقشاع.

فنحن اليوم نسوقُ شكرنا المُتناهي إلى أنصارنا الأوفياء. ونأسف أن ما حدث لم يكن في قدرتنا

1 وكبيرة عليه الأمر شقٌّ وثقلٌ.

2 الدَّجَى الظُّلْمَة ودجا اللَّيل أظلم قال الأصمعي: دجا اللَّيل إنما هو ألبس كلِّ شيءٍ وليس هو من الظُّلْمَة.

الحزول دون وقوعه. ونحمدُ الله أن وطأة الأنفلونزا في هذا الموسم كانت غير ثقيلة على الناس وأن الطب كان أقدر على صدّها وتخفيف أذاها.

السّمر: 9/2/1953

## النسيان - نعمة أم نقمة؟

يسعد الإنسان ويشقى على مقدار ما يتذكّر الأمور الجميلة المبهجة أو الأمور الكريهة المزعجة - إذن فليس النسيان في ذاته نعمة ولا نقمة ولكنه يصير نعمة كبرى إذا أحسن المرء نسيان المساويء والمصائب ومحا من صفحة ذاكرته الصور البغيضة إلى نفسه سواء<sup>1</sup> كانت صور حوادث أم صور أشخاص. أمّا كيف يصير نقمة<sup>2</sup> عظيمة وطامة كبرى<sup>3</sup> فهو عندما يعجز الإنسان عن نسيان خسارة أصابته في مال له أو متاع<sup>4</sup> أو عقار<sup>5</sup> فيقضي الوقت يتذكر تلك الخسارة وكلّما تذكر تلهّف وتحسّر فإذا بالخسارة تتضاعف وتكرّر كلّما عاودته ذكراها.

إن الإنسان العاقل هو الذي لا ينسى عند إقبال الدنيا عليه أنّه كان قبل اليُسْر في ضنك وعُسْر. لأنّه إذا نسي نفخ في نفسه شيطان الغرور فإذا به يهزأ بالمعسرّين من الناس أو يتكبّر على غير الموفّقين المحظوظين في الحياة. فيخلق في نفوس الناس منه اشمئزازاً وفي عيونهم عنه ازوراراً. وفي قلوبهم نقمة على كلّ مغرور مثله حديث العهد بالغنى. إن النسيان نعمة كبرى للمحزّوين فلولاها لما تضاءلت مصيبة. ولا صغرت رزية<sup>6</sup> ولا خفّ خطب<sup>7</sup>.

وهو نقمة فادحة عندما ينسى الإنسان جميلاً أسدي إليه. وصديقاً حنّ عليه. ورفيقاً كان به برّاً شقيقاً..

وهو كارثة عندما ينسى المرء الوطن الذي أنبتّه والأمة التي لحمه لحمها ودمه دمها. فيصير كلّما ذكر الوطن الذي جاء منه أبوه وأمه يتضاحك ساخراً لأنّ ذلك الوطن ليس في مرتبة الولايات المتحدة قوّة وعظمة ورقياً ومساحة وسكناً..

1 سواء أي عدل ووسط فيها بين الفريقين وهما في هذا الأمر سواء وإن شئت سواءان.

2 وانتقم الله منه عاقبه والاسم منه النّعمة والنّعمة المكافأة بالعقوبة.

3 الطامة الكبرى: الطامة الداهية تفوق ما سواها.

4 المتاع: المنفعة والسلعة والأداة وما تمتعت به من الخواصّ ج أمتعة.

5 العقار: كلّ ملك ثابت له أصل كالأرض والدّار.

6 الرزية: المصيبة.

7 الخطب: سبب الأمر تقول ما خطبك.



وإذا حضر حفلة غناء عربية رأيت يتقرّر كأنها يشم رائحة كريمة. متظاهراً بأن له في الموسيقى والغناء ذوقاً رفيعاً.. ويكون أبوه في البيت يترنح على صوت العُتَيْر<sup>1</sup>.. بل يكون هو ذاته لم يحضر في حياته كلها حفلة غناء عربية ولا افرنجية...

إن هذا الناسي أصله والناسي ذاته أيضاً ربّما كان يتوهم أنه يفعل حسناً غير أن الناس الذين يعرفونه ويعرفون كيف كانت حياته من قبل وما هي حياته الآن لا يتوهمون بل يعتقدون أنه لا يحتقر الفن بل يهين ذاته.

النسيان. ياله من بركة.. إذا انسدل ستره<sup>2</sup> على عيب أو هفوة<sup>3</sup> أو إساءة. ولكثة آفة<sup>4</sup> كبرى إذا محت يده حسنة وطوت فضيلة وغطت مأثرة<sup>5</sup>. وكفنت جمالاً. فانت ترى أن الإنسان إذا عرف كيف ينسى وما ينسى كان النسيان نعمة عظيمة. أمّا إذا لم يعرف كيف ينسى ولا ما ينسى فإنه بالطبع<sup>6</sup> سيظل في ضحبة الآلام واخموم والمتاعب والذكريات المزعجة فاعرف كيف تنسى. واعرف ما ومن تنسى.

السّمر: 17 / 2 / 1953

## لأفة يجب أن تزول

مرّت بالصحافة العربية في المهجر فترة من الدّهر كان البعض يستخدمونها بدلاً من الرسائل. أو بالأحرى يجعلون من صفحاتها رسائل خصوصية. فإذا وُلدَ لأحدهم مولود أسرع أخوه أو حمّوه<sup>7</sup> أو نسيه أو جاره إلى توجيه رسالة إليه على صفحات الجريدة على النمط<sup>8</sup> التالي:

- 1 العتير الماعزة وهي الأتشي من المغرّج عتوز.
- 2 الشتر الستار.
- 3 الهفوة: الزلة.
- 4 الآفة: العاهة أو عرض مُفِيد لما أصابه.
- 5 المأثرة المكرمة لأنها تؤثر يذكرها قرن عن قرن.
- 6 الطبع والطبيعة والطباع السجّية والطّع المثال والصيغة تقول اضربه على طبع هذا.
- 7 حما المرأة أبو زوجها وحماها أمّه وحما الرجل أبو امراته وحماه أمها مع حما أخاه وجمع حماة حموات حموا امرأة أبو زوجها.
- 8 النمط: بفتحين الجماعة من الناس أمرهم واحد والطريقة والشّرع من الشيء.

«أهنيء ابن عمي أو نسيبي وقرينته بالمولود الجديد الذي أنعم الله به عليهما إلخ...».

وإذا توفني أحدهم تكررَت الحكاية ولكن بالتعزية بدل التهنية.

وقد يكون المهنيء أو المعزي صاحب الرسالة المنشورة في الجريدة مقيماً والشخص الذي يهنئه أو يعزيه في شارع واحد بل في بيت واحد. تحت سقف واحد.

تلك فترة في حياة الصحافة المهجرية لم يكن لنا بُدٌّ<sup>1</sup> من المرور فيها إذ لم يكن للصحافة في ذلك الدور أهداف بعيدة ولم يكن الجمهور يتطلب من الجريدة أن تكون لها أهداف بعيدة.

وأخذت السنون تكثر بأصباحها وأمسائها وأحزانها وأفراحها. فارتقى المهاجر وصلح<sup>2</sup> عيشه فصار بيته أجمل. وصار نمط<sup>3</sup> حياته أفضل. وصارت طريقته في التجارة أتم وأكمل. وبالطبع شمل الارتقاء والتحسن جميع أموره وكانت للصحافة حصتها من هذا التقدم والتحسن. ولعل شيئاً من التأثير - شيئاً كثيراً أو قليلاً - كان لرجال الفكر الذين استعانوا بالجرائد على نشر مقالاتهم الانتقادية الإصلاحية للكثير من العادات التي حملها المهاجرون معهم ولا تتسجم مع المحيط الذي يعيشون فيه.

وعندنا أن تلك السخافات التي رافقت الصحافة في طفوليتها هي أهون ضرراً وأخف مَحْمَلاً<sup>4</sup> على الطبع<sup>5</sup> من الشوائب<sup>6</sup> التي نراها في بعض الجرائد والمجلات التي تصدر في لبنان ومصر. فهناك لا يهتنون ولا يعزّون على صفحات الجرائد ولكنهم يتغزلون ويبشّون لواعجهم ويشرخون عذابهم في الحب على صفحات الجرائد وربّما كان العاشق المفتون والمحب الهائم مقيماً على بضع خطوات من التي يتغزل بها في الجريدة أو المجلة. فهاذا تفسّر هذه الظاهرة أيها القاريء؟

نحن لا نقدر أن نردّها إلى شيء إلا الجبن<sup>7</sup> المقرّون بالحمّاقة<sup>8</sup> أو البله<sup>9</sup>.

وآية حماقة أعظم من أن يجبن المرء عن مكاشفة شخص واحد بما في نفسه. فيعمد إلى تصوير شعوره على الورق ثم نشره على الملأ<sup>10</sup>. ليعلن للناس أنه عاشق!! وأن العشق قد أنحل جسمه فهو

1 البُدُّ النَّصيب من كُلِّ شيء والعوض ويقال لا بُدُّ منه: لا مفرّج أبداد وبدّة.

2 صلح الشيء صلاحاً كان نافعا أو مُناسيباً.

3 النمط الطريق والنوع من الشيء.

4 مَحْمَلاً: المَحْمِلُ الهودج الزنْبِيل الذي يُحْمَل فيه العنب ونحوه ج مَحَامِل.

5 الطبع الصيغة والمثال.

6 الشوائب: الشائبة الشيء الغريب يختلط بغيره ويقال ما فيه شائبة ليس فيه شبهة والدنس والقذر ونحوهما.

7 الجبن: صفة الجبان وقد جبن الرجل يجبن بالضم جباناً فهو جبان.

8 الحمّاقة: الحمق قلة العقل.

9 البله: بلة بُلها وبلاهة ضَعْف عقله وغلبت عليه الغفلة فهو أبله وهي بُلها ج بُلّه.

10 الملأ الجماعة من الناس.

خيال. وزرع الجَمْر في مضجعه فهو لا ينام. وأنساه نفسه فهو لا يأكل ولا يشرب ولا يدري أهو في الأرض أم في عالم مجهول...

ولكنه بعد أن تنشر الجريدة شكواه يَفِيَق من جنونه ويمضي يتباهى بأن مقالَه لم تنشره الجريدة لو لم يكن تحفة أدبيّة نفيسة!!

وعمله هذا بُرْهانٌ واضح على أن العِشْق لم يدخل قلبه. وأنه كان يتصنّع<sup>1</sup> الهوى ويتكلفه<sup>2</sup> وأن لا وجود للتي يتغزل بها ويشكو هجرها وظلمها!!

متى تتخلص الجرائد من هؤلاء الموسوسين لثريحننا منهم وتستريح؟!

السّمر: 26 / 2 / 1953

## لماذا؟...

ما من مهاجر ولا ابن مهاجر سواءً أكان متعلماً أم غير متعلّم. وصاحب منجر أم صاحب حرفة. وغنياً كبيراً أم فقيراً مُعْدِماً<sup>3</sup> إلا وتنتصب في ذهنه علامة الإستفهام عندما يدور الحديث عن الناس في الأوطان القديمة وما هم فيه من شِقَاق واختلاف في أمور وقضايا لا يُفِيدُ في حلّها وتسييرها إلا نَبْذُ<sup>4</sup> كُل سبب يدعو إلى الخلاف.

إنّ الباعث من جانبنا على هذا التساؤل هو الرّغبة الصّحيحة عند المتسائلين في أن يروا أمّتهم يَشِدُّ<sup>5</sup> بعضها بعضاً كالبنيان<sup>6</sup> المرصوص لكي تستطيع أن تنهض كما نهضت الأمم. وأن تصمد للطوارئ كما تصمد الأمم المتضامنة المتكافلة في السّراء<sup>7</sup> والضّراء<sup>8</sup>.

ولكنّ هذا المتسائل سواءً كان مهاجراً أم مقيماً ينسى أن يسأل نفسه لماذا لا يتفق مع جاره وابن وطنه. ولماذا يختلف وإيّاه على أمور تافهة. ولماذا يشدُّ به إلى الوراء كلّما أراد أن يسير إلى الأمام بفكرة أو مشروع يلوح الخير في تحقيقه؟

1 تصنّع تظاهر بما ليس فيه.

2 تكلف تعرّض لما لا يعنيه.

3 المُعْدِم: وأعْدَم الرّجل فهو مُعْدِم وعديم.

4 نَبْذُ الْقَاءُ.

5 شَدَّ عَصْدَهُ قَوَاه.

6 البُنْيَان: ما يُبْنَى.

7 السّراء النّعمة والرّخاء والمسرّة.

8 الضّراء: الشّدّة كُلّ حالة تضرّ.

لماذا؟ أجل. لماذا؟ إن الأسباب التي حَالَتْ وتحوَّلُ دون قيام جمعية شاملة للمهاجرين في أميركا هي نفس الأسباب التي حَالَتْ وتحوَّلُ دون قيام اتحاد عام ثابت الأسس بين الشعوب العربية أو بين سكان البلدان العربية.

وليس الذنب على أحد. بل هو ذنب الأجيال التي تعاقبت على هذه الشعوب وهي تَرَسَّفُ<sup>1</sup> في أغلال الخرافات والأوهام وتتخبط في مستنقعات الجهل الذي يجعل من الإنسان مُعَصِّباً حاقداً على أخيه الإنسان. لأنه لا يلبس مثل ما يلبس. ولا يأكل كما يأكل ولا يعبد ما يعبد. أو لأنه ليس من قريته ولا قبيلته ولا مذهبه.

أمّا الخير الذي يَنْجُمُ<sup>2</sup> عن تعاون الفرد مع الفرد وتضامن الجماعة مع الجماعة. والبلد مع البلد. فلا يستطيع الجهلاء أن يروه لأنه غير حاصل ولا ماثل لعيونهم ويستحيل عليهم أن يتصوروا حصوله مُمَكِّناً. أو أن يصدقوا القائلين بأنه أمر مستطاع. بل ربّما اتَّهَمُوا هؤلاء القائلين في عقولهم ووصموهم بالغباوة والبله. هذا إذا لم يرشقوهم بكل كلمة مهينة وتهمة جارحة.

ذلك لأن أرواحهم وقلوبهم لم تتطهر من شوائب<sup>3</sup> الأجيال السوداء. أو الأذران الموروثة فهم يخافون كل سعي في سبيل التفاهم والتقارب مثلما يخاف الأرمد أن يواجه الشمس. وما دام الرئيب<sup>4</sup> والشك والخوف وسوء الظن مستحوذاً على عقولهم. وهي كامنّة كالشعابين وراء أقوالهم وأعمالهم فسوف يظل أمرهم بدداً<sup>5</sup> وكلمتهم متفرقة. وقواهم مبثرة. وستظل هذه الكلمة «لماذا» تنطلق من كل فم.

السّمير: 6 / 3 / 1953

## الفجر المجري

منذ تسعة عشر قرناً وبعض القرن إندفق على الدنيا فجر جديد يختلف عن كل فجر مرّ بالأرض. أطلّ على الدنيا لكي يملأها حباً وإخاء وسلاماً ويفيض في قلوب سكان الأرض رضى وإيماناً وحبوراً.

كان كثيرون بلا عيون فخلق لهم هذا الفجر الحديد عيوناً تنفذ إلى الخفايا. وخلق لأصحابها

1 ترسّف: رَسَفَ تَرَسَّفَ مشى مشى المُقَيَّد.

2 نَجَمَ الشيء طَلَعَ وظهرَ.

3 الشائبة الشيء الغريب يختلط بغيره ويقال ما فيه شائبة ليس فيه شبهة والدنس والقذر ونحوهما.

4 الرئيب: الشك والإسـم الرّيبـة وهي التّهمة والشك.

5 البدّد: جاءت الخيل بدداً بدداً متفرقة.

أَجْنِحَةً ارْتَفَعُوا بِهَا عَنِ الْحَضِيضِ<sup>1</sup> وَطَارُوا بِقَوَّيْهَا مِنْ أَرْوَاقِ الظَّلَامِ وَكَهَوفِ الْعَثَمَةِ. وَعَمِيَتْ عَيُونُ كَثِيرَةٍ عِنْدَمَا انْدَفَقَ عَلَيْهَا هَذَا الْفَجْرُ الْمُتَوَهِّجُ لِأَنَّهَا عَيُونٌ مِنْ تَرَابٍ لَا يُشْبِعُهَا وَلَا يَزَوِّيْهَا إِلَّا التُّرَابُ. وَكَرِهَ الْخَفَافِيشُ<sup>2</sup> هَذَا الْفَجْرَ وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا الْفِرَارَ مِنْهُ لِأَنَّهُ فِي كُلِّ طَرِيقٍ فَحَاوَلُوا أَنْ يَطْمَسُوهُ وَأَنْ يَلَاشُوهُ فَعَبَّيْهُ فِي الْقَبْرِ فَإِذَا الْقَبْرُ يَتَحَوَّلُ إِلَى سَمَاءٍ وَسِيعَةٍ رَحِيَّةٍ وَإِذَا التُّرَابُ الَّذِي فِي الْقَبْرِ يَتَحَوَّلُ كُلُّهُ إِلَى مَنَابِعٍ لِلنُّورِ!

منذ تسعة عشر قرناً وبضع سنوات مات على الصليب في أرض أورشليم إنسان لكي يعلم الناس كيف تكون التضحية في سبيل الغير. وفي سبيل الفكر. وفي سبيل الروح. مات لكي ينتصر على الموت وسلم ذاته إلى القتل لكي يسجل عليهم إلى الأبد أنهم كانوا لا يدرون ما يصنعون.

مات إنساناً بأيدي ناس لكي يبعث من القبر إله بقوة ليست معهودة في أي إنسان وليست لغير إله.

وها هو العالم كلما اقتربت ذكرى يوم الصلب تراءت له صور المحبة والتبذل والعفو والرحمة ماثلة في أقوال الناصري وأعماله. وتراءت إلى جانبها صور كريمة دميعة للبشرية الجاهلة الأفغوانية<sup>3</sup> التزعزعات<sup>4</sup> الذئبية<sup>5</sup> النزوات<sup>6</sup>. وللمجتمع الأحمق المستعبد للتعصب الذميمة المتخبط في أشراك البهيمية. إن أولئك الناس المرضى القلوب والعقول لا يزال من سلالتهم<sup>7</sup> في الأرض خلق كثير. قد يكونون في الحي الذي تسكنه. أو معك في حانوتك أو مكتبك أو معملك أو في مزرعتك وحقلك. ربما كانوا في الصحافة أو الصناعة أو المعاهد العلمية.

بل ربما كانوا رؤساء وملوكاً ووزراء وسفراء وكتّاباً وحجّاباً. بل ربما كانوا حتى من رجال الدين الذين يحتفلون في هذه الفترة بتذكار الصلب والقبر والقيامة. فليس كل المتتمين إلى رب العيد يعملون بتعاليمه السامية. بل الذين يعملون بها قلة ضئيلة في

1 الحضيض: القرار في الأرض ج أحضة وحضض، والقرار المستقر.

2 الخفاش حيوان ثديي قادر على الطيران ولا يطير إلا في الليل.

3 الأفغوان ذكر الأفاعي والأفعى حية من شرار الحيات رقتاء دقيقة العنق عريضة الرأس قاتلة ج أفاع. والأفغواني نسبة إلى الأفغوان.

4 التزعزعة: ونازعت النفس إلى كذا نزاعاً اشتاقت.

5 الذئب: حيوان من الفصيلة الكلبيّة ورتبة اللواحم يُسمّى كلب البرج أذؤب وذئاب وذؤبان. والذئبية نسبة إلى الذئب.

6 النزوة: نزا وثب وبابه عدا ونزوان أيضاً بتفتحيتين.

7 السلالة ما استُبل من الشيء وانتزع والنطفة وجماعة من الكائنات الحية تتفق في صفاتها العرقية الموروثة.

الأرض لأن الحيوانية لا تزال غالبية على البشر حتى في هذا العصر.  
مع ذلك لا يزال الفجر الذي انبثق واندفق منذ تسعة عشر قرناً يتجدد في كل يوم فكأنه انبثق  
واندفق الآن!

إذا احتفلت أيها الإنسان غداً بعيد قيامة المسيح فاحتفل به بروحك وعقلك وقلبك لا بارتداء  
الملابس الجديدة وترديد التهانيء المألوفة فحسب..  
إنزع من نفسك الغرائز الحيوانية وحررها من أدران التراب تحدث أعجوبة القيامة في داخلك  
وتصبح الدنيا كلها عندك نوراً وحبوراً.

السَّمير: 3/4/1953

## أصحاب فضل على العالم

تدور في لبنان أغنية لا مُرددوها يتعبون من ترديدها ولا هي شيء له نهاية. على ما يبدو!  
هذه الأغنية التي تراقص على أقلام الكتّاب وتموج بها قصائد الشعراء. وتمتد وتتطاوّل في  
الأزجال والعتابا هي: «إننا أصحاب فضل على العالم» لأننا أعطينا الحرف وعلمناه صناعة الزجاج  
والأصباغ. والملاحة..

وإنه لشيء ضروري لكل شعب أن يكون له في تاريخه ما يتباهى به ويفاخِرُ الشعوب الأخرى.  
فإذا لم يكن له هذا الشيء وجب عليه أن يبتدعه ويوجده وأن يتغنّى به في الأصال والأسفار حتى  
يصير عنده كأنه كان قبل كل وجود. فإن ذلك ممّا يملأ النفس شعوراً بالعِزة والكرامة. غير أننا ونحن  
نُشيد هذه الأغنية كلما أردنا أن «نشف» آذاننا يخلق<sup>1</sup> بنا أن نتذكر فضل العالم علينا وأيديه الكثيرة  
عندنا فهو الذي أعطانا الكهرباء والتلغراف والراديو والمطبعة والدراجة والقطار والسيارة وموقد  
الغاز والكهرباء وأعطانا آلات الجراحة الطيبة والعقاقير المختلفة لمكافحة الأوبئة والأمراض.  
وأعطانا ألف اختراع واختراع ولا يزال يُعطينا ولا يزال نأخذ منه وعنه.

وهذا العالم الذي نترنّم دائماً بأننا أصحاب فضل عميم عليه هو الذي يبعث إلينا بالخبراء  
الإقتصاديين والفنيين والصناعيين لكي يعلمونا كيف نزيد نتاج الحقل. وكيف نستخرج الكنوز  
المدفونة في جوف الأرض. وكيف نربي الطفل وكيف نرتب البيت؟.  
بل نحن نأخذ عن هذا العالم الذي نمُن<sup>2</sup> عليه كل شيء حتى جوارب النّيلون ومُشعلات الشّكاير

1 خلق فلان بكذا وله خلاقة جدّ فهو خالق.

2 ومنّ عليه أنعم.

وأفلام المِداد<sup>1</sup>.

وليس هذا فقط بل نحن نأخذُ عنه النظريَّات الفلسفيَّة والعقائد السياسيَّة وطرائق الحكم ونقلدُه في اللباس والشراب والمشى والحديث.

وما نفاخر به عن غيرنا فهو ليس لنا. إنَّه لسوانا لأناس كانوا في هذه الدُّنيا ورحلوا عنها منذ قرون. ولعلنا لا يحقُّ لنا أن ننتمي إليهم.

أفليس من أصالة<sup>2</sup> الرأي وحسن الذوق أن نسأل هؤلاء المفاخرين بالأجداد لكونهم قد اخترعوا الحرف وصنعوا الزجاج من أين عَرَف إِذَا الصَّيْنِيُّونَ القدماء صناعة الزجاج والتَّصوير والنَّسيج العجيب؟ وكيف عرف الهنود في الأرملة العابرة أن يَشِيدُوا تلك القصور التي تدلُّ على مقدرة فنيَّة وهندسيَّة فائقة؟

أمَّا الفِكرُ فما نَظَنُّ أن في الدُّنيا فلسفة تخلو من أثر هندي أو صيني.

علينا لكي يَقْبَلَ مِنَّا النَّاسُ فخرِيَّاتنا هذه أن نفعل نحن شيئاً يثبت أننا أبناء أولئك النَّاس الذين ذلَّلوا البَحْرَ بالسُّفن وصنعوا الزجاج والبرفير واخترعوا الحرف! فماذا فعلنا حتى الساعة غير ترديد هذه اللازمة<sup>3</sup>!!

السَّمير: 9/4/1953

## على المَكشوف

حديثنا اليوم عن أفراد قلائل يوجدُ مثلهم في كُلِّ مجتمع لأنَّ الطبائع البشريَّة واحدة في كُلِّ الشعوب. لذلك لا غضاضة<sup>4</sup> علينا إذا كان في مجتمعنا فئة من هذا الصَّنَف.

آية شجرة لم تَغْرِش<sup>5</sup> عليها الحشرات

أيُّ بستان خلا من الأشواك؟

لهؤلاء الأفراد القلائل أثر في دفاتر التجار وأصحاب الحوانيت والصَّحَافِيِّين بل في دفاتر الأنساب

1 المِداد: النَّفْسُ نقول منه مدَّ الدَّواة وأمدَّها أيضاً. والنَّفْسُ بالكسر الذي يكتب به وجمعه أَنْفُسٌ وأنقاس نقول منه نَقَّسَ دواته تنقيساً، والنَّفْسُ هو ما يعرف بالحِجْر في عصرنا الحَاضِرِ.

2 الأصالة: ورجل أصيل الرَّأي أي مُحْكَمُ الرَّأي وقد أَصْلَ من باب ظَرَفَ.

3 اللازِمة عادةً فعلية أو قولية تلازم المرَّة فيأتيها فتصدر عنه دون إرادة ولا شعور.

4 الغضاضة: الغَيْبُ يقال لا غضاضة عليك في هذا العمل.

5 عَرِش: العَرِيش عريش الكرم وهو أيضاً خيمة من خشب وثُمام والجَنَع عُرْش. وعَرِش يَغْرِش ويَغْرِشُ بنى عَرِيشاً.

إنهم الحلميات<sup>1</sup> البشرية التي تعيش على غيرها. فمن المحتوم أن يكون لهم في كل دفتر أثر وأن يكون هذا الأثر شيئاً لا يشكر. فبعض الناس يهتمهم أن يتحدث بهم الخلق كيفما كان. وحيثما وجدت اسماً من أسماء هؤلاء في أي دفتر وجدت إلى جانبه نقطة سوداء دلالة على أنه من القوم المنافقين. أو أنه كان حياً فصار من الهالكين.. وإذا لم تكن هناك نقطة سوداء فلا بد أن تكون إلى جانب الاسم سطور حمراء كالمصاييح التي ترفع في الطريق للتحذير من خطر.

من هذا الفريق رجل هبط السوق التجارية وراح يدور فيها باحثاً عن تاجر يفتح له حساباً ويقيد له اعتماداً فقيل له: إن في السوق تاجراً جديداً يهتّم كثيراً الحصول على زبائن فاذهب إليه. فهزّ المحتال برأسه استنكافاً ولم يلبث أن فاض ما في قلبه على لسانه إذ قال:

هذا الذي ذكرتموه لي تاجر صغير ليس له غير زبائن معدودين. أمّا أنا فأريد أن أتعامل مع بيت تجاري كبير كثير الزبائن لعل اسمي يضيع في دفاتره!

وأكثر هؤلاء النصابين يميلون إلى الفخفة ويتظاهرون بالسخاء ولهم في التقرب من فرائسهم طرائق وأساليب شتى<sup>2</sup>. نعرف واحداً منهم كان كلما جاء إلى نيويورك يقيم الولايم في المطاعم فيخيل للناس أنه من ذوي الثراء وأنه خليفة حاتم طي في الكرم. لأنهم يجهلون أن هذا المسرف المتلاف كان قبل كل وليمة يستدين من أحد التجار ما يُعينه على دفع المصاريف!

كان لهذا الرجل بعض المال فأضاعه وكانت لبعض التجار به ثقة فتبددت.. وهو الآن لا يستطيع أن يستدين ليأكل. ومع ذلك لا يزال ينتفخ كالضفدع<sup>3</sup> ويزدهي كالطاووس<sup>4</sup> لأن جريدة خبيثة ضحكت عليه مرة ودعته زعيم أسرته ووجيه بلده!

وإنك عندما تستعرض حياة هؤلاء كيف أزهروا سريعاً كما يزهر الزيزفون وكيف انطوا كوميض البرق في صحراء تحضر إلى ذهنك سيرة الثعالب فما من ثعلب إلا وظفر بدجاجة أو دجاجات ولكنه أخيراً يقع في الفخ أو تصرعه بندقية الناطور.

آخرة المنافقين - هلاك!

السّمير: 13/4/1953

1 الحلميات الثلول في وسط الثدي والصغيرة من القردان أو الضخمة ضد ودودة تنع في الجلد فتأكله. والقردان: والقردان دويبة متطفلة ذات أرجل كثيرة تعيش على الدواب والطيور ومنها أجناس الواحد قرادة.

2 شتى: وقوم شتى وأشياء شتى وجاءه اشتاتاً أي متفرقين واحدهم شت بالفتح.

3 الضفدع حيوان برمائي ذو نقيق ج ضفادع.

4 الطاووس طائر حسن الشكل كثير الألوان يبدو كأنه يُعجب بريشه وينفسيه ينشر ذنبه كالطاق ج طواويس. والطاق: ما عطف وجعل كالقوس من الأبنية ج. أطواق وطينقان.



## نيسان الكئيب

كَأَنَّ الطَّبِيعَةَ أَرَادَتْ أَنْ تَقْلِدَ الْإِنْسَانَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ. فَهِيَ لَا تَضْحَكُ لِأَنَّهُ هُوَ لَا يَضْحَكُ. وَتَعْبَسُ وَتَتَجَهَّمُ لِأَنَّهُ لَا يَنْفَكُ يَعْبَسُ وَيَتَجَهَّمُ. فَهَلْ سَاوَرَهَا الْقَلَقُ مِنَ الْمُسْتَقْبَلِ كَمَا يَسَاوِرُهُ. أَمْ خَشِيَ عَلَى أَنْظَمَتِهَا أَنْ تَتَشَوَّشَ وَتَزُولَ كَمَا يَخْشَى الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الْإِنْقِرَاضِ بِالْأَسْلِحَةِ الذَّرِّيَّةِ. وَالْقَنَابِلِ الْهَيْدْرُوجِيَّةِ.

كَادَ يَنْقُضِي شَهْرَ نَيْسَانَ<sup>1</sup> وَهُوَ شَهْرُ الْجَذَلِ وَالْحُبُورِ وَفَتْرَةِ الْإِنْعَتَاقِ وَالتَّحْزُرِ. وَلَمْ تَظْفَرْ الدُّنْيَا بَعْدَ مِنْهُ بِابْتِسَامَةٍ. فَلَا الْأَشْجَارُ جَذَلِي مَتَرْنَحَةً. وَلَا الْأَوْدِيَةُ ضَاكِكَةً مُتَرْنَمَةً. وَلَا السُّهُولُ وَالزُّبَى سَافِرَةً مُتَهَلِّلَةً. فَكَأَنَّمَا نَيْسَانُ صَارَ لَهُ عَقْلُ رَجُلٍ سِيَاسِيٍّ مِنْ سَوَاسٍ<sup>2</sup> هَذِهِ الْفَتْرَةِ مِنَ الدَّهْرِ لَا يَفْتَحُ شَفَتَيْهِ إِلَّا بِالْحَدِيثِ عَنِ الْحَرْبِ الْمُقْبِلَةِ وَأَهْوَالِهَا. وَلَا يَفْتَحُ أَجْفَانَهُ إِلَّا لِكَيْ يَسْتَحْضِرَ شِبْهَ إِلَهِ الْحَرْبِ.

أَجَلٌ. إِنَّ نَيْسَانَ الَّذِي عَرَفَهُ النَّاسُ مِنْ قَبْلِ طِفْلٍ لَعُوبٍ طَرِيبٍ هُوَ الْيَوْمَ مَعْتَمٌ كَثِيبٌ كَشِيخٍ أَضَاعَ أَيَّامَهُ وَأَضَاعَ مَعَهَا أَحْلَامَهُ.

تَلَفَّحَتْ سِمَاوُهُ بِالْغَيُومِ الدِّكْنَاءِ وَطَالَ اسْتَارُهَا وَاحْتَجَابَهَا حَتَّى كَادَتْ الْعَيُونَ تَنْسَى أَيَّ لَوْنٍ لَوْنُهَا.

وَارْتَدَّتْ الْأَرْضُ الضُّبَابَ فَاخْتَفَى تَحْتَهُ التُّرَابُ وَمَا فِي التُّرَابِ. كَانَتْ مِنْ قَبْلِ تَخْرُجُ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ أَزْهَارُهَا وَتَنْشُرُ أَلْوَانَهَا وَأَصْبَاغُهَا فَإِذَا هِيَ دِيْبَاجَةٌ<sup>3</sup> تَسُرُّ النَّوَاطِرَ وَتَبْهَجُ الْخَوَاطِرَ. أَمَّا فِي هَذِهِ السَّنَةِ فَقَدْ غَمَرَهَا نَيْسَانُ بِالْمَطَرِ وَالضُّبَابِ فَإِذَا هِيَ شَاكِتَةٌ كَثِيبَةٌ كَالسَّمَاءِ الَّتِي فَوْقَهَا. تَتَلَجَّلَجُ فِي صَدْرِهَا الْبَذُورُ لِكَيْ تَنْطَلِقَ فَلَا تَنْطَلِقَ. وَتَحَاوِلُ الْأَشْدَاءُ النَّائِمَةَ أَنْ تَسْتَيْقِظَ وَتَنْتَشِرَ فَإِذَا هِيَ مِنَ الضُّبَابِ وَالْمَطَرِ فِي أَغْلَالٍ وَأَوْتِاقٍ.

وَلَيْسَ الضُّبَابُ شَيْئاً جَدِيداً فِي الْأَرْضِ. وَلَا الْمَطَرُ شَيْئاً لَا يُحِبُّ. وَلَكِنَّ النَفُوسَ تَصْبِرُ عَلَى الضُّبَابِ فِي كَانُونٍ لِأَنَّهَا تَتَوَقَّعُ أَنْ لَا يَكُونَ فِي نَيْسَانَ!

وَلَا تَسْتَغْرِبُ الْمَطَرُ وَلَا تَسْتَنْكَرُهُ فِي شَهُورِ الْبَرْدِ وَالزَّمْهَرِيرِ<sup>4</sup>. لِأَنَّهَا تَحْلُمُ بِالصَّحْوِ وَالْإِشْرَاقِ بَعْدَ انْقِضَاءِ تِلْكَ الشُّهُورِ.

1 نَيْسَانُ سَابِعُ الْأَشْهُرِ الرُّومِيَّةِ.

2 السَّائِسُ رَائِضُ الدَّوَابِّ وَمُدْرِبُهَا جِ سَوَاسٍ.

3 الدِّيْبَاجَةُ: دِيْبَاجَةُ الْكِتَابِ فَاعْتَمَتْ وَيُقَالُ لِكَلَامِهِ وَشَعْرِهِ وَكِتَابَتِهِ دِيْبَاجَةٌ حَسَنَةٌ وَالدِّيْبَاجُ ضَرْبٌ مِنَ الثِّيَابِ سَدَاءٌ وَلُحْمَتُهُ حَرِيرٌ.

4 الزَّمْهَرِيرُ شِدَّةُ الْبَرْدِ.

أَمَّا نَيْسَانُ فَلَا يَكُونُ جَمِيلًا إِلَّا إِذَا انْتَشَرَ فِي الدُّنْيَا أَلْقَا<sup>1</sup> وَفَاضَ عَبَقًا<sup>2</sup>.  
 وَلِكُلِّ شَيْءٍ وَقْتُ وَكُلُّ شَيْءٍ فِي وَقْتِهِ جَمِيلٌ مُسْتَحَبٌّ.  
 لَقَدْ خَيَّبَ نَيْسَانُ الْأَمَالَ فِي هَذَا الْعَامِ. وَلَكِنْ لَعَلَّ زَمَانَ الْخَيِّبَةِ لَا يَطُولُ.  
 ثُمَّ لَعَلَّ الْخَيْرَ فِي مَا تَتَذَمَّرُ مِنْهُ وَتَتَضَجَّرُ وَتَحْسِبُهُ مِنْ غَيْرِ الْخَيْرِ.  
 وَرَبَّمَا كَانَتْ الْأَرْضُ مُحْتَاجَةً إِلَى الْمَطَرِ وَالضَّبَابِ أَكْثَرَ مِنَ النُّورِ وَالصُّحُوحِ.  
 بَلْ لَعَلَّهَا لَا تَصْلُحُ إِلَّا بِهِمَا.  
 إِذَنْ فَلْنَحِبْ نَيْسَانَ عَلَى عِلَالَتِهِ. وَلْنَنْسَ أَنَّهُ مَغْمُومٌ كَثِيبٌ.

السَّمِيرُ: 1953 / 4 / 23

## ناس كالنعام

قِيلَ لِلنَّعَامَةِ: «طيري» فقالت: أنا لست طائراً. إِنَّمَا أَنَا جَمَلٌ.  
 فَقِيلَ لَهَا: «احملي» فقالت: أنا لست جملاً. إِنَّمَا أَنَا طَائِرٌ!  
 بِمَاذَا تَذْكُرُكَ - هَذِهِ الْحِكَايَةُ عَنِ النَّعَامَةِ؟  
 أَلَا تَذْكُرُكَ بِالْكُسَالَى الَّذِينَ يَتَحَلُّونَ لَأَنْفُسِهِمْ شَيْئاً<sup>3</sup> الْمَعَاذِيرَ لِلتَّهَرُّبِ مِنَ الْقِيَامِ بِأَيِّ عَمَلٍ. فَإِذَا  
 كَانَ الطَّقْسُ صَاحِبِيًّا رَائِقًا قَالُوا: إِنَّ مِثْلَ هَذَا الطَّقْسِ لِلزُّهَةِ وَالِاسْتِحْامِ بِنُورِ الشَّمْسِ لَا لِلْعَمَلِ  
 الْمُضْنِكِ<sup>4</sup>..  
 وَإِذَا كَانَتْ السَّمَاءُ شَاتِيَةً قَالُوا: كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَشْتَغَلَ الْإِنْسَانُ تَحْتَ الْمَطَرِ!  
 ثُمَّ أَلَا يَذْكُرُكَ مِثْلُ النَّعَامَةِ بِأُولَئِكَ الْبُخْلَاءِ الَّذِينَ تَلْتَقِي فِيهِمُ الثَّرْوَةُ وَالْفَلَسَفَةُ مِثْلَمَا يَلْتَقِي الْمَاءُ  
 وَالزَّيْتُ فِي وِعَاءٍ وَاحِدٍ.  
 يَقْصُدُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَغْنِيَاءِ الْبُخْلَاءِ وَفَدٍ مِنْ جَمْعِيَّةٍ قَائِمَةٍ بِمَشْرُوعٍ تَهْذِيبِيٍّ لِلْحُصُولِ مِنْهُ  
 عَلَى مَسَاعِدَةٍ مَالِيَّةٍ لِلْمَشْرُوعِ فَإِذَا بِهِ يَتَظَاهَرُ بِأَنَّهُ لَا يَفْهَمُ مَا يَقُولُونَ. وَيَدَّعِي أَنَّهُ فِي أَزْمَةٍ مَالِيَّةٍ وَضْنُكَ  
 شَدِيدٌ.. فَيَتَعَجَّبُ الْقَوْمُ وَيَرْجِعُونَ عَنْهُ وَقَدْ تَطَرَّقَ الضَّعْفُ إِلَى إِيْمَانِهِمُ بِالنَّجَاحِ.  
 وَبَعْدَ قَلِيلٍ يَدْخُلُ عَلَى هَذَا الْغَنِيِّ الْمُضْنُوكِ إِنْسَانٌ تَعَوَّدَ أَنْ يَسْتَدِينَ مِنْهُ الْمَالَ بِفَائِظٍ بَاهِظٍ فَيَسْتَقْبِلُهُ

1 نَأْتَى الْبَرْقُ لَمَعَ. أَلَيْسَ الْبَرْقُ أَلْقَا كَذَبًا.

2 وَعَبَقَ بِهِ الطَّيِّبُ عَبَقًا ظَهَرَتْ رِيحُهُ بِشَوْبِهِ أَوْ بَدَنِهِ.

3 شَيْءٌ مُتَفَرِّقَةٌ.

4 الْمُضْنُكَ الضُّيْقُ.

الغني- هاشأً باشأً<sup>1</sup> كما تستقبل العنكبوت<sup>2</sup> ذبابة وقعت في شباكها! ويسأله عما يبتغي. فلا يكاد يفتح فمه برغبته في اقتراض المبلغ بعد أن يستكتبه صكاً مُحكماً يرتهن به كل ما للرجل من متاع وأرزاق وربما<sup>3</sup> امرأته بل ربما امرأته وأولاده!.

ولنضرب لك مثلاً آخر..

سئل أحدهم وهو من الذين ارتفعوا على موجة الرخاء في أيام الحرب: لماذا لا يشترك في جريدة عربية فأجاب مُمتعضاً مُتأففاً: أنا لا أقرأ الجرائد العربية.

واتفق أن السائل مضى إلى جاره له فرأى ذلك الممتعض المتأفف من الجرائد العربية يسأل ذلك الجار أن يعيره ما عنده من الجرائد العربية!

ورآه مرة أخرى يلتقط جريدة عربية مطروحة على مقعد في محطة الصبواي ويهجم على سطورها كما يهجم جائع مسغوب على قطعة من طعام ليلتهما.

ولللنعامه أشباه كثيرون في كل صنف من البشر ولا سيما جماعة الشؤاس الذين يستطيعون أن يكونوا جيالاً عندما يريدون وطيوراً عندما يلذ لهم. وأحياناً يصيرون جيالاً وطيوراً في وقت واحد أي جمال لها أجنحة!

إن النعامه لا توجد إلا في مواقع معينة من الأرض كالقفار والصحارى. أمّا هذا الصنف النعامي من البشر فإنه موجود في كل مدينة وقرية. هو في كل برّ وبحر. وسهل وجبل. وهم طوراً<sup>4</sup> جمال لكي يحصيهم الناس في الطيور. وطيوراً لكي يحصيهم الناس في الجمال.

وربما كانوا طيوراً أو جيالاً غير أنهم ليسوا بشراً إلا في الصورة والشكل!

السّمير: 1953 / 4 / 29

- 1 وهش به يهش بالفتح هشاشة إذا خف إليه وأرتاح إليه. والباش: والبشاشة طلاقة الوجه.
- 2 العنكبوت دويبة من رتبة العنكبوتات لها أربعة أزواج من الأرجل تنسج نسيجاً رقيقاً مهلهلاً تصيد به طعامها ج عناكب.
- 3 ربّ معناها التقليل وهي حرف جرّ وشرطها أن تكون في صدر الكلام وأن يكون مجرورها إشياً ظاهراً نكرة وكثيراً ما يكون موصوفاً نحو ربّ رجل كريم لقيته. وقد تأتي للتكثير نحو «ربّ كاسية في الدنيا عارية في الآخرة» تلحق ربّ ما الكافة فيظل عملها غالباً وتدخل حينئذ على الإسم المعرفة والفعل نحو «ربّما بطرس قائم وربّما قام بطرس» وأما مع النكرة فيبقى عملها وإن زيدت عليها «ما» نحو «ربّما ضربت بسيف صقيل».
- 4 طَوْرًا: تارة.

(راجع الشرتوني ج 4 ص 359).

## مشكلة الشباب

قلنا مراراً: وقال غيرنا: إنَّ من أكبر أسباب الضنك الذي يشكو منه الشباب في بلادنا ولا سيَّما الشباب المتعلِّم. هو أنَّ هؤلاء الشباب يأنفون من العمل اليدوي ويستنكفون أن يراهم الناس ينقلون حجراً أو خشبة أو سلة فاكهة.. كما ينجتلون أن تقع عليهم العيون ينكشون حقلاً أو يزرعون بقلًا أو يحفرون بئراً أو يمهّدون درباً. بل هم يعتقدون أنَّ من واجب الغير أن يمهّدوا درباً. وأنَّ من واجب الغير أن يمهّدوا الدرب لكي يتخطّروا هم عليها في الضحى والأصيل<sup>1</sup>. ويجب أن يحرث غيرهم الأرض ويزرع الحبّ ويغرس الشجر لكي يحيثوا هم فيجثون ويأكلون بلا كد ولا عناء وبدون أن يخطّروا في أذهانهم أن يشكروا الذين زرعوا وغرسوا!

أجل. إنَّ معظم الشباب في بلادنا الأولى ولا سيَّما الحاصلون على شهادة البكالوريا لا يهتمُّهم أن يُخسِنوا شيئاً مثل التأنق في الملابس والتظرف<sup>2</sup> في الحديث وقتل الوقت في ما لا طائل تحته.

ويخيّل إليك عندما يُطلّ عليك أحدهم بهندامه<sup>3</sup> العصري أنّه ممثّل أميركي من هوليوود - كاليفورنيا - مدينة الممثلين والممثلات... لا من قرية في لبنان أو دسكرة في سوريا.

إنَّ هذا الميئان<sup>4</sup> في الشباب لا علاج له إلاّ التجنيد الإلزامي من جهة والإكثار من المدارس الصناعيّة وجعل الدخول إليها مجّاناً<sup>5</sup> وإلزامياً على حساب الحكومة. فإنَّ الشاب الذي يذوق طعم الاستقلال الذاتي يصير أكثر فهماً لاستقلال الوطن وأشدّ حذباً<sup>6</sup> عليه ورعاية له. أمّا إذا كان الإنسان - شاباً أو كهلاً<sup>7</sup> - يجوع ويعرى في وطنه ويشعر أنّه مستعبد مهان فإنَّ عزّة تموت. وإذا ماتت هذه لا يعود يميّز بين وطن حرّ ووطن مُستعبد.

لا فائدة للوطن من شاب يهوى المناظر الجميلة فيه من غابات وكروم وسواق وحدائق. بل الذي يستفيد الوطن منه هو ذاك الذي يخلق الكرم ويوجد الحديقة ويغرس الأشجار ويشقّ الأفنية ويرفع الجسور ويستولد الأنهر قوّة وضياء.

1 الأصيل: الوقت بعد العصر إلى المغرب وجمعه أصل وأصال.

2 التظرف: تظرف تكلف الظرف والظرف الكياسة. والكيس ضدّ الحق.

3 الهندام: وشيء مهتدّم مُصلح على مقدار وله هندام معزّب أندام.

4 الميئان: وميعة الشباب والنهار أولها.

5 مجّاناً وقولهم أخذه مجّاناً أي بلا بدل.

6 الحذب: حذب عليه انحنى وعطف.

7 الكهل: من جاوز الثلاثين إلى الخمسين ج كهول.

إنَّ الذي يسهر اللَّيْلُ يناجي القمر لكي يَطْلُعَ في الغَدِ على الناس ليقول لهم عذراً منكم لقد كنت أثناء اللَّيْلِ مشغولاً عنكم بمناجاة القمر بأنَّه كان يناجي .. لا يشعر به اللَّيْل ولا القَمَرُ وإنَّما الذي يسهر لكي يرفعَ جداراً أو يمهدَ درباً أو يصنعَ كُرْسِياً أو أداة فهذا إنسان يباركه اللَّيْل ويطيِّبه القمر ويخلدُ في الوطن كهضابه وأشجاره وأنهره وسواقيه ودروبه وكرومه ...

فهل يدرك الشَّبَابُ مُهمَّتَهُم في الوطن وهل يؤدُّون الرسالة التي لا يمكن أن يؤدِّيها غير الشَّبَاب وهي رسالة الجهاد والعمل لجعل الوطن أحسن ممَّا هو وجعل سكاَّنه أسعد ممَّا هم ؟.

السَّمير: 3 / 6 / 1953

## مِخْنَةُ الْأَدَبِ

كثُرَ في الآونة الأخيرة عدد القائلين في مصر ولبنان إنَّ الأدب العربيَّ في مِخْنَةٍ.

فماذا يعنون بالأدب. وماذا يعنون بالمِخْنَةِ؟

ومن هم هؤلاء القائلون؟

إذا كانوا يعنون أن لا إنتاج أدبي في هذه الأيام. فالعالم كلُّه اليوم قليل الإنتاج من هذه الناحية. إنَّ الناس في هذا الوقت فئتان: فئة مُتَصَرِّفَةٌ إلى اختراع الأسلحة الجهنَّمِيَّة لوقاية نفسها من الدِّمار وصيانة ثرائها من الإندثار.

وفئة لا تخترع ولا تستنبط تعيش مزلة الأعصاب لرؤيتها الفئة الأولى تُصبح وتُمسي<sup>1</sup> لا تفكر بغير الحرب.

وهذه الفئة كتلك الفئة تنام على فراش من الخوف وتستيقظ لترى الخوف ماثلاً أمامها في ما تأكل وتُشرب وتلبس.

فليس غريباً والعالم يغمره ضباب الخوف من الغد أن ينصرف عن الأدب إلى ما هو أهم من الأدب ..

إنَّ البلبال لا تغرَّد في الزَّوابع الشَّائرة.

وعسير جداً أن تُخرج الأرض أزهاراً والثلوج تغطيها!

ولعلَّ من أكبر أسباب المِخْنَةِ التي يتكلَّم عنها الأدباء في بعض المجلات والجرائد أنَّ الأديب العربيَّ واحد من اثنين إمَّا رجل تثقَّف في أوروبا فهو يطلب عند قومه مثل الذي عند القوم الذين قرأ عليهم

1 نصبح وتُمسي فعلاَن نامان مكتفيان بالفاعل نحو ما يزال هذا التلميذ على حاله يُصبح كما يمسي أي يصبح هو كما يمسي هو.

وأخذ عنهم. فإذا لم يجد طلبته وهو لن يجدها رجع على أمته باللوم وربما التَّجْدِيف<sup>1</sup>. وإما رجل لم يطلع إلا على قليل من الثقافة العالمية فهو يعيش دائماً في الأجيال الخالية. ويتعجب في نفسه كيف أن الناس لا يرون رأيه في الأمور. ولا ينسجون على منواله.

أضيف إلى ما تقدّم أن الشعب العربي ليس قسطاً واحداً. وعندما تختلف مقاييس الفكر في أمة فإنها تصبح أماً. لكل واحدة منها مقاييسها. وهذه هي المحنة الكبرى والطامة<sup>2</sup> العظمى. محنة الأدب ومحنة الفن ومحنة المرأة والرجل والولد.

إذن فما أحرانا<sup>3</sup> أن نقول إن المحنة ليست محنة الأدب بل محنة العرب!

السّـمير: 1953 / 6 / 5

## الماء والهواء

يقول العلماء الذين تقطعت أعمارهم في البحث عن المصدر الأول للحياة إنها ابتدأت في البحر.. في الماء.

وجاء في القرآن الكريم «وخلقنا من الماء كل شيء حي». وقال البعض أن جرثومة<sup>4</sup> الحياة الأولى هبطت من الكواكب! غير أن النظرية المتفق عليها هي أن الماء مصدر الحياة..

وفي الواقع أن هناك شيئين لا غنى عنهما لأي حي سواء كان نباتاً أم حيواناً وهما الماء والهواء. فإذا لم يكن هواء ولا ماء فلا حياة.

على أن هذا الماء الذي تغسل به جسمك وثيابك وتروي عطشك وتسقي أرضك وتصلح به طعامك. هو أحياناً خطر عليك وعدوّ مبین<sup>5</sup> لك ولا سيما إذا تجمع في نهر وطفى. أو إندفق من الفضاء ودام تهطاله فإنه بدلاً من أن ينعش الحقول يغرقها ويجرفها. وبدلاً من أن يروي الناس يهلكهم ويخنقهم. أو يشردهم في الأرض فيهمون على وجوههم كأنها يتعقبهم طاغية.

والهواء.. إنه يظل حياة وانتعاشاً وارتياحاً ونشاطاً حتى يغصّف ويثور ويتحوّل إلى زوبعة تهدم الدور وتقتلع الأشجار وترفع الأمين. وتنشر الخراب والهول في طريقها.

1 التجديف: جدّف بالنعمة كفر وفي الحديث «لا تجدّفوا بِنعمة الله».

2 الطامة الداهية.

3 ما أحرى: ما أحرأه بكذا ما أجدره به.

4 جرثومة: الجرثومة الأصل.

5 أبان الشيء أظهره ووضّحه.

أجل. إن الماء الذي هو بركة ونعمة يصير آفة كبرى أحياناً.  
تأمل ما ألطف هذا الاسم «نهر الحليب» إنك ليحضرُ إلى ذهنك عند ذكره خيال الجنة وما فيها من  
أنهر جارية بين عَسَل ولبن وخمر.  
ولكن هذا النهر الموجود في ولاية مونتانا لم يكن لطيفاً ولا ظريفاً في الأسبوع الماضي فقد أخذ  
يتعالى على معدّل قيراط في الساعة فطغى على الشدود التي تحجزه فأخذ السكان يفرون من وجهه  
كالعصافير من وجه الصياد. من وجه الماء لا الحليب!  
وبلغ من شدة النكبة أن حاكم الولاية استنجد الرئيس أيزنهاور فأنجده وأعلن منطقة الفيضان  
منطقة منكوبة لكي يتسنى للحكومة المركزية بذل المعونة لتلك الولاية بعقد القروض وتقديم  
المهندسين وغير ذلك من المساعدات التي تحتاج إليها المنطقة المنكوبة.  
وهكذا نرى أن قوى الطبيعة لا تميز بين نائم وساهر ولا بين فقير وغني ولا بين جاهل وعالم.  
وأنها جبّارة البطش والفتك ولكن قلب الإنسان الرّاقى أقوى منها فهي تجرح وهو يضمّد. وهي تخرب  
وهو يعمر ويرمم. وهي تفسد وتشوش وهو يصلح ويرتب وينظّم.  
ولكنه لا يقوم بهذه التضحيات ولا يبذل هذه الجهود العظيمة إلا لأمر واحد وهو كي يصون  
ويحمي أخاه الإنسان!  
هذه حقيقة تتجلّى لك أكثر وضوحاً كلما تعمّقت في تحليل وتعليل أعمال الإنسان. فهو يزرع  
الشجرة لكي يستظل بها إنسان. أو يأكل ثمرها إنسان. وهو يشق الطريق لكي يسير عليها هو أو إنسان  
مثله. وهو يبني السفينة والقطار والطائرة لكي تقربه من إنسان مثله بعيد عنه.  
وما دام الإنسان يعمل على هذا النسق فإنه لن يزول من الأرض مهما طغى عليه الماء ومهما ثار  
الهواء!

إنهما قوتان. ولكنه هو أقوى منهما!

السّمبر: 9/6/1953

## ضحايا الزلازل

لله هذه الطبيعة ما أقساها!  
بيوت كانت قائمة في الأرض تضحك نوافذها للشمس. وتهلّل عتباتها للضيوف. دهمتها الزوبعة  
فقوّضتها فهي ركام من خشب وطين وحجر. أو أطلال خالية مهجورة!  
أناس - فيهم الشيخ والكهل والولد. كانوا يتذكرون الأُمس ليرَوْحُوا عن قلوبهم المضموكة  
بالذكريات. أو يتطلعون إلى الغد كأنه الفردوس فيه. وكان الخيرات والبركات كلّها في مطلوبه.

لم يكن إلا كليمج البصر فإذا هؤلاء الناس قد إمحوا من سفر<sup>1</sup> الحياة أنهم قتل وصرع<sup>2</sup> لا يسيف ولا برمح ولا بخنجر ولا بنار بندقية ولا بقذيفة ذرّية. بل بالزوبعة العمياء التي ظهرت بجبروتها وطغيانها كأنها في يدها ألف منجل<sup>3</sup> من مناجل عزرائيل. وكأنها هي القنبلة الذرية بعينها. أولئك الناس الذين كان لهم ماضٍ وحاضر ومستقبل أمسوا الآن رماً هامدة لا أمس لها ولا غد! أجل.. في لحظات قليلة. تقوّضت منازل قضى أصحابها أعمارهم في تشييدها وزخرفتها وتأثيثها. وحرسوها من العابثين وصانوها من السارقين وتوهّموا أنها باقية لهم فما دامت ولا داموا. وفي لحظات قليلة.. سقط أكثر من مائتي قتيل ومئات الجرحى والمعطوبين في بعض جهات أوهايو ومشغن وماستشوستس. ماتوا وأودوا كأنهم أثموا واجترحوا الموبقات<sup>4</sup>. وهم أبرياء لم يرتكبوا ذنباً ولم يقتروا جرماً.

ترى لو أن عدوّاً باغتتنا وألحق بنا هذه الأذيّات وقتل منا هذا العدد من الخلق أما كنّا نهب رجالاً ونساءً وأطفالاً من البحر إلى البحر مُستعينين بكلّ وسيلة من وسائل الحرب للبطش به والإنتقام منه وإلحاق خسائر به أعظم جداً من الخسائر التي نزلت بنا؟

بلى.. وكنا ننسبُ إليه الهمجية والتوحّش والبربريّة وخرق المعاهدات ونكث الموائيق والعبث بكلّ اصطلاح وعُرف<sup>5</sup> وتقليد وقانون للناس المتمدّنين.

ولكنّا لم نفعل شيئاً لأنّ عدوّنا في هذه المعركة ليس إنساناً ولا حيواناً ولا شيطاناً بل هو الزوبعة... والزوبعة ليست جسماً منظوراً فنصرعها بالنار أو نقتلها بالسيف البتّار. إنّها قوّة طبيعية عمياء ليس لإنسان سلطان عليها مهما يبلغ من القوّة والبأس وشدة المراس<sup>6</sup>. بل هي قوّة غاشمة ليس لها سلطان على ذاتها.

إذن فخير ما نقوم به في هذا الموقف هو أن نسارع إلى إغاثة المنكوبين بواسطة الجمعية الإنسانيّة المتأهبة لحالات الطوارئ. وهي جمعية الصليب الأحمر.

فيا إخواننا في الدم واللغة والوطن والشعور الإنساني. إنّنا نناديكم إلى مؤازرة هذه الجمعية بالمال والتطوّع لخدمتها والتبرّع لها بالدم. فهذه هي الوسائل التي نستطيع بها تخفيف النكبات وإنقاذ الأرواح الممكن إنقاذها.

1 الشفر: بالكسر الكتاب والجمع أسفار.

2 الصريع المصروع يقال بات صريع الكأس ج صرعى.

3 المنجل ما يُخصد به إسم آلة.

4 اجترح الموبقات: وجرح اكتسب واجترح مثله والموبقات: وثيق يثق وثوقاً هلك.

5 العُرف اسم من الإعراف.

6 شدة المراس: الممارسة والمعالجة.



أذكروا الضحايا وابدلوا أكثر من الكلام. فإنكم إذا قعدتم عن الإغاثة والإعانة كنتم وأولئك الضحايا سواء. فهم الآن لا يقدرُونَ أن يعينوا أحدا ولا أن يبذلوا فلساً ولا أن يمدُّوا يداً فهل تَرْضَوْنَ وأنتم في الحياة ولكم قدرة وصولة أن يكون شأنكم شأن القتلى والصَّرْعَى<sup>1</sup> والجرحى الذين لا يملكون صِراً ولا نفعاً.

تقدّموا إلى فروع الصليب الأحمر فهي موجودة في كل مدينة وإذا أردتم أن تتولّى «السمير» إيصال تبرّعاتكم إليها فإنها تفعل ذلك بكل سرور.

السمير: 11/6/1953

## العطلة الصيفية

ما كان أعظم الفرق بين العطلة الصيفية في السنة الماضية والعطلة الصيفية في هذه السنة. في السنة الماضية كان الطقس شاتياً بارداً فيما نعمنا بالهواء الطلق ولا بالنور الضّاحي. بسبب الطقس البارد في ذينك الأسبوعين. لذلك خشيتنا عند اقتراب موعد العطلة في هذه السنة أن تتكرّر تلك الحالة فلا نستفيد كثيراً.

ولكنّ خوفنا لم يكن في موضعه. كذبت الطبيعة هواجسنا<sup>2</sup> وظنوننا وبالغت بل جاوزت الحد في التّكذيب فحبست المطر عن البلاد كلّها فذبلت الحقول وهزلت الماشية وكاد الناس أنفسهم يهزلون ويذبلون. بل مات كثيرون من المرضى والشيخوخ الذين لم تحتمل أجسامهم المضنوكّة وطأة الحر. وراح الناس يحسدون السمك في الأنهر والبحار ولكن حتى الأسماك تضايقت في الأنهر. ومن غريب ما حدث أن درجة الحرارة في نهر غير عميق في إحدى الولايات الجنوبية ارتفعت إلى التسعين فمات كل السمك في ذلك النهر.

وشابت رؤوس الأشجار قبل الأوان وتساقطت أوراقها كأنها في الخريف. واشتاق الناس إلى برّد كانون وزمّهريز<sup>3</sup> آذار. وتمنى كثيرون لو أنّهم في بلاد الأسكيمو حيث الثلوج لا تذوب ومنها يبني الأسكيمو مساكنهم!

كنّا قبيل العطلة نشاق إليها ونستعجل الأيّام لنقرب منها. غير أنّنا بعد أن صارت في حوزتنا وصرنا فيها شعرنا بحدوث شيء كالفراغ في حياتنا. لقد صار علينا أن نألف الإنقطاع عن العمل مثلما ألفنا العمل. فكان خيال القلم والمكتب يتبعنا كيفما انطلقنا. وكلّ طقطقة أو قرقة تذكرنا بطقطقة

1 الصَّرْعِيع المصروع ج صرعى.

2 الهاجس: الخاطر يقال هَجَسَ في صدرى شيء أي حدس وباب ضرب أي وقع وخطر.

3 الزّمّهريز شدة البرد.

آلات التّشفيد وقرقعة دواليب المطبعة.

ولا غرابة في ذلك فالإنسان يألف الأشياء والجهادات مثلما يألف الأحياء. وتُملا صورها نفسه فتصير جزءاً منه لا ينفصل. وترافقه في قيامه وقعوده.

يؤيد ذلك أنّ المهاجر الذي فارق وطنه صغيراً لا ينفكُ تراءى له الشجرة التي كان يتعلّق بأغصانها ويلعب في فتيها<sup>1</sup>. وصورة الساحة التي كان يركض فيها. وصورة الساقية التي كان يخوض فيها. مع أنّه على بعد ألوّف الأميال من الشجرة والساحة والساقية.. فضلاً عن السنين!

فكيف يراها وهي على هذا البعد الشحيق<sup>2</sup>؟

إنّما حاصلة في ذهنه. بل هي مطبوعة في أذهان رفاقه وأترابه<sup>3</sup> وكلّ الذين عاشوا معها وصاحبوها لا تغيب عن أذهانهم حتى يغيبوا في الثرى.

بل إنّ صور الأشياء التي يعيش الإنسان معها تزداد وضوحاً في ذهنه عند ابتعاده عنها فكأنّ الذاكرة تتبّه كلّها وتستيقظ كلّها عند اختفاء الأشياء أو انطاماسها عن النّظر.

والآن. وقد رجعنا إلى القلم والطرس والمحبرة. وعاد الرّفاق كلّ إلى العمل الذي كان يمارسه فإنّنا نحمد الله على أنّ الشّئ عاد فالتّام. وعلى كوننا رجعنا وفينا قُدرة على التحدّث إلى أنصارنا الأوفياء الذين تهبّ علينا عواطفهم في رسائلهم كأنّها نسمات الفجر اللطيفة المنعشة. وما شوقنا إلى القلم والمحبرة والمطبوعة غير الشوق إليهم. إلى التعاون وإياهم على الإستمرار في خدمة لغتنا وأمتنا والمداومة على تأييد المبادئ النّبيلة والقضايا العادلة...

السّмир: 1953 / 9 / 8

## مِزْرَاب العَيْن

كان مِزْرَاب العين في أيّام أجدادنا ولا يزال في أيّامنا شيئاً عزيزاً ثميناً في القرية اللبنانية. قد ينسى اللبناني الشجرة التي لعب تحتها. والطريق الذي ركض فوقه. والساقية التي خوّض فيها. والثّينة التي تساقها. والصخرة التي اعتلاها. ولكنّه يظلّ يتذكر مِزْرَاب العين. ليس لأنّ هذا المِزْرَاب أجمل شيء أو أعجب شيء في القرية بل لأنّه كلّما نسيه وقع حادث يستوجب التّمثّل بالقول المأثور - كاسر مِزْرَاب

1 الفمي: ما بعد الزوال من الظلّ سُمّي فِتّاً لرجوعه من جانب إلى آخر وقال ابن السكيت: الظلّ ما نسخته الشّمس والفمي ما نُسّخ الشّمس.

2 الشحيق: البعيد.

3 الثّرب: المائل في الشنّ وأكثر ما يُستعمل في المؤنث.

العين - فتحضر إلى ذهنه صورة العين ومزrabها وتوارد إلى ذهنه طيوف الفتيات والنساء قاعدات حول العين تقص كل واحدة منهن على رفيقاتها ما سمعت من أخبار.

إذا لم يكن مزراب العين أجمل ولا أعجب شيء في القرية فإنه من أنفع الأشياء للعموم إذ بدونه لا تستطيع المرأة ولا الرجل إملاء الجرّة ولا الإبريق. إذن فالإنسان الذي يكسر هذا المزراب يعتدي على العموم ويجلب الأذى لسكان القرية.

ولا يرتكب هذا الإثم إلا طالب شهرة أعياء أن يذكروها من طريق شريف. وأن يبلغها بالكذب والتعّب والعمل المبرور. فيلجأ إلى كسر مزراب العين. أو ما يشبه مزراب العين. لكي يتحدث به الناس.

وليست القرية وحدها التي تُنبئ مثل هذا الأثم. ففي كل مجتمع بشري سواء كان كبيراً أو صغيراً. لهذا المقصّر العاجز أشباه وأمثال. يقولون مع الشاعر القائل:

إذا أنت لم تنفع فضراً فإنما يعيش الفتى كيما يضر وينفع!

ولكن التجارب الكثيرة التي دوّنوها للتاريخ تخبر بالسينة نصاح أن من يحطم مزراب العين يحطم معه سمعته. وأن المزراب يستعاض عنه بغيره وأما السمعة فلا عوض منها ولا بديل. والمجتمع كالبحر لا تغرق فيه الجيف بل تعوم لأن طبيعة البحر لا تطيق الجيف فيلفظها إلى الشط.

وهكذا يحدث لمن يكسر مزراب عين أو يحاول أن يفعل أمراً منكراً مثل كسر مزراب العين. ﴿ولا يحيق المكر شيء إلا بأهله﴾<sup>1</sup>. ومن يزرع الشوك لا يحصد العنب!

السّير: 1953 / 9 / 21

## منطق بعض الشعراء

لندع الشؤون الساسية جانباً ولنلتفت اليوم إلى ناحية من نواحي التفكير أو الطرائق التي يتبعها بعض الشعراء في التعبير عما يجول في صدورهم. لنرى إلى أي مدى وصلوا. وأي هدف بلغوا. أمامي الآن أبيات لشاعر عربي في بلاد الأرجنتين يقول فيها:

فكم نصر يتم بلا عناء      ومجهود يظل بلا جزاء  
فلا تعجب لخيبة عبقرى      فليس الفوز مقياس الذكاء

ليس في هذين البيتين كلمة مبهمة تحتاج إلى مراجعة القاموس للوقوف على معناها. غير أن كل كلمة فيهما تحتاج من حيث المنطق إلى شرح مُشهب وتوضيح أكثر.

يقول الشاعر:

«فكم نصرٍ يَتِمُّ بلا عناءٍ»

فما هو هذا «النصر» الذي يَتِمُّ بلا عناء؟

وأي «نصر» يجيء عقوا؟

كُلُّ شيء يصحُّ أن يُدعى «نصراً» لا بُدَّ أن يَسْبِقَهُ تعب وعناء ومَشَقَّة. كما قال أبو تمام: «لا تُنالُ العلى إلا على جسرٍ مِنَ التعب».

ولو تعمَّق الشاعر قليلاً في تفهُّم ما تعنيه كلمة «نصر» لأدرك أنه أساء إليها عندما استعملها بهذه الصيغة. فهو نفسه لم يَتَنَصَّرْ على أي معنى مِنَ المعاني الطريفة التي صاغها شعراً إلا بعد عناء مُضْنِك. فإذا كان الظفر بمعنى أو باستعارة أو بقافية شرود<sup>1</sup> يسبقه ويرافقه إجهاد فكر وإعنات<sup>2</sup> نفس وكدُّ ذهن فما قولك بمن يُسَيِّدُ سداً لنهر. أو ينشرُ عُمراناً في قفر. أو يُرَوِّجُ فكرةً جديدةً في مُحيط مُمَسِّكٍ بما ورث مِنَ التَّقاليد. أو يبني شهرة. أو يزرعُ حقلاً أو يصنع آلة. أو يُنَحِتُ تمثالاً أو يعبدُ طريقاً أو يكشفُ صُفْعاً<sup>3</sup> مجهولاً أو يستنبط علاجاً مُفيداً. أو يُنْسِجُ ثوباً طريفاً أو يبتكرُ فناً أو أسلوباً في فنٍّ أو علم أو صناعة.

إن هذه كلُّها انتصارات. ولا يجيء واحد منها عفواً بل بكثيرٍ مِنَ الجهد والعناء.

وما دام كُلُّ نصرٍ يستلزم عناء حتى الفوز بكلمات تُستَق فتصير بيتاً مِنَ الشعر فلا يبقى ثَمَّة<sup>4</sup> معنى

لقول هذا الشاعر:

«وكم نصرٍ يَتِمُّ بلا عناء»

لأنَّه وهو يقرُّ ما يظنُّه حقيقةً حاصلةً لا يقرُّ شيئاً بل يخالف بقوله الحقيقة الحاصلة على خطِّ

مُسْتَقِيم...

أمَّا الشطر الثاني وهو:

«ومجهود يظلُّ بلا جزاء»

فلا تَحَسَّبْ نصيبه مِنَ الحقيقة أحسن مِنَ نصيب الشطر الأول أو صدر البيت. فكلُّ مجهودٍ سِوَا كان جَسَدياً أو عَقَلياً له نتيجة. ونتيجته هي جزاؤه. فإذا ضربت حجراً بِمِطْرَقَةٍ فتَحَطَّم فإنَّ ضربك إياه «مجهود» وتَحَطَّم هو الجزاء. فبلَّغْتَ غايَتَكَ؛ وفي ذلك كُلُّ الجزاء. أمَّا إذا لم يتَحَطَّم الحجر فإنَّ الأثر

1 قافية شرود: القافية في الشعر آخر جزء في البيت وقد يكون كلمة أو بعض كلمة ج قوافي. وشرود البعيد وغيره استعصى ونفر وشرود عن الطريق حاد.

2 إعنات: عَنتَ فلانٌ عَنَتاً وقع في مَشَقَّةٍ وشِدَّة.

3 الصُّفْع: بالضمُّ النَّاحية.

4 ثَمَّ اسم يشار به إلى المكان البعيد بمعنى هناك وقد تلحقه التاء فيقال ثَمَّة.

الذي تركته المطرقة فيه هو جزاؤك سواء كان أثراً كبيراً أم صغيراً. وفي كل حال كان لمجهودك جزاء.  
إذا زرعت شجرة تفاح ولم تأكل أنت من ثمرها فلا يعني ذلك أن مجهودك ذهب عبثاً ولم يكن له  
جزاء لأنك عندما زرعتها شعرت بغبطة لقدرك على زرعها فكان شعورك هذا أول جزاء لمجهودك ثم  
عاشت الشجرة ونمت وأورقت وأزهرت ففرحت برويتها وابتهجت لأنك زرعتها فكان هذا جزاء  
آخر لمجهودك.

وغبت عنها عندما أثمرت فجنى ثمرها أخ لك أو ولد أو نسيب أو صديق وأكلوا من ثمرها فكان  
هذا جزاء آخر لمجهودك..

وقد تذهب أنت وتبقى الشجرة تورق وتزهر وتُعطي الثمر للأكلين بعدك. فأي جزاء تطلب أيها  
الشاعر أكثر من هذا الجزاء لمجهود قليل مثل زرع شجرة!  
أرايت أيها القاريء كيف تقوَّض هذا البيت بنفخة من فم المنطق. فإذا الكلام الواضح تحوّل إلى  
كلام مُبهَم غامض ليس له معنى.  
واليك البيت الثاني:

فلا تعجب لخيبة عبقرِيٍّ فليس الفوز مقياس الذكاء

لو حذفنا الشطر الثاني ووضعنا مكانه قول الشاعر القديم:

«ذكاء المرء محسوبٌ عليه»

لحصل للبيت معنى يقوم به أمّا قوله: ليس الفوز مقياس الذكاء - فإنه إنكارٌ لرأي لم يقل به أحد  
لأن الفوز ليس مقياساً لشيء ولكنه دليل على شيء. ولعل الشاعر أراد أن يعتذر عن فشل العبقرِيِّ<sup>1</sup>  
ويبرهن أن الفوز لا يجيء بالذكاء فأخطأ وضل لأنه بتقريره أن العبقرِيَّ يخيب ويفشل لذكائه قرّر في  
الوقت ذاته أن النجاح نصيب المغفلين! وهذا لا يمكن أن يكون صحيحاً. لأن النجاح ليس واحداً  
بل أنواع وأشكال كثيرة فإن النجاح الذي ينشده عبقرِيٌّ مثل طوماس أديسن هو غير النجاح الذي  
يسعى وراءه تاجر أقمشة أو صاحب فبركة. وهو غير النجاح الذي يسعى وراءه رسّام فنان أو موسيقي  
مؤهوب.

إن خيبة العبقرِيِّ المريرة هي عندما ينشد ما ينشده التاجر من الربح وهو لم يخلق ليكون تاجراً..  
بل شاعراً مبتكراً للمعاني التي يستطيع أن يسبكها في أبيات من الشعر يكون فيها اللفظ على قدر المعنى  
والمعنى على قدر اللفظ حتى تكتب له ولأشعاره الشهرة والصيرورة والخلود.

السّمر: 1953 / 9 / 25

1 العبقرِيُّ: عبقرع كثير الجن والعبقرِيُّ الكامل من كل شيء والسيد والذي ليس فوقه شيء والشديد.

## كيف نرى أنفسنا وكيف يراونا الناس

كيف نرى أنفسنا شيئاً

وكيف يراونا الناس شيئاً آخر

والمسافة بعيدة جداً بين هذين الطرفين

لذلك يجدر بكل إنسان أن يناقش نفسه الحساب ويبحث عن مواضع الضعف والعجز فيه لعله يتداركها ويصلحها قبل أن يراها الناس ويدلّوا عليها بأصابعهم وبالسنتهم!  
أجل، عليه أن يفعل هذا الأمر قبل أن يفتح عينيه على عيوب الآخرين. فإن وجود عيوب في غيره لا يستر عيوبه ولا يمحوها!

مثال ذلك. إذا كان تاجراً وحدثته النفس الأمّارة بالسوء أن يشنّع على تاجر ينافسه ويواجهه فمن الخير له أن يتروّى ويتربّص فلا يطلق سهاماً ربّما ارتدت إلى صدره قبل أن تصل إلى صدر منافسه..  
كان يزعم أن ذلك التاجر لا يصدق في أقواله. وأنّ رأسماله ليس رأسماله. وأنّه أفلس مرة أو مرّتين إفاًساً إحتيالياً..

ما أحسن وأجمل أن يسأل هذا المندّد المغتاب نفسه عمّا إذا كان هو يصدق في أقواله مائة بالمائة أو أقلّ أو أكثر وعمّا إذا كان لا يخلّق لذاته أحياناً بالتمويه رأسمال ولا يمكن أن يظفر به حتى في المنام؟!  
وربّ سيدة لذّها أن ترفع من شأن فروتها وأن تتباهى بصيغتها لتوهم السامعين أنّها من ذوات الغنى الوفير فتراها تندفع في المبالغة والغلو زاعمة أنّها دفعت ألوف الدولارات ثمن فروتها ولكّنها في الحقيقة لم تدفع غير المئات بل ربّما كانت الفروة التي عليها ليست لها..  
أو تزعم أنّها ابتاعت صيغتها من أعظم وأنفس مخزن للجواهر والحلي في باريس أو نيويورك وقد تكون اشتريتها من جوهرى عادي في الحي!

أو ربّما كانت جواهرها مزيفة!

لا. إنّ التحدّث عن النفس في هذه الصورة مثل التحدّث عن الغير بتلك الصورة لا يزيد في مقام المرء ولا يرفعه بل ربّما أنقص من قدره وذهب بكثير من احترام الناس له.  
يجب أن نرى الفضائل في الناس لكي يحقّ لنا أن نتوقّع منهم أن يبصروا الفضائل فينا.  
وأحسن من هذا أن نمرّ بعيوب الغير كأننا لا نراها لكي يغضي الناس عن عيوب فينا.  
إذا أردت أن يكون رأي الناس فيك جميلاً فهذا أمرٌ هَبْنِ جداً لأنّه في طاقتك ومقدرتك. وذلك بأن تكون أنت جميلاً فيصير رأي الناس فيك جميلاً.  
إذا كنت مقامراً أو سيّكيراً فلا لوم على الناس إذا قالوا عنك إنّك مقامر أو أنّك سيّكير.

وإذا كنت بخيلاً كَرّاً فلا تنتظر أن يقول الناس عنك أنك أكرم من حاتم طي!  
أمّا إذا كنت إنساناً مهذباً عالي الأخلاق محباً للناس راغباً في الخير حريصاً على كرامتك وعلى  
سمعتك غيوراً على قومك، مُترفعاً عن الدنيا فمهما يخلق الناس عنك من الأقاويل فإنك تخرج  
أخيراً كالقمر من الغمام. وكالسيف من الغمد. فتبدد كل الأقاويل ويتبدد مروجوها الكذبة المرجفون  
كالدخان!

مهما يعلق بالذهب من الغبار فإنه لا يفقد قيمته ولا يتحوّل إلى معدن خسيس. أمّا المعدن الخسيس  
فمهما يُطلّ بالذهب ومهما يكثر متقلدوه ومادحوه فإنه يظلّ أولاً وأخيراً معدناً خسيساً!  
لا تبالِ بما يلفقه الحساد عنك إلا إذا كان ما يقولونه صحيحاً!  
إن الغبار مهما تعالّى لا يصل إلى الكواكب!

السّمر: 5/ 10/ 1953

## بعض من اللّك

لم يقتصر مؤتمر الحلف السوري اللبناني الأميركي الذي انعقد في هوتال نيويورك على أبناء وبنات  
الولايات الشرقيّة وجاراتها بل كانت كل ولاية في الإتحاد الأميركي تقريباً ممثلة في هذا المؤتمر من  
الباسفيك إلى الأتلانتيك - بل إن الثّاهت على حضوره حاوز الولايات المتّحدة إلى كندا... إلى أقاصي  
كندا فشهدنا أشخاصاً من نوفا سكوشيا.

وزاد المؤتمر طلاوة وجمالاً أن أكثر الدول العربيّة كانت ممثلة في المادبة التي أقيمت يوم الأحد  
وكانت غنيّة بالخطباء المفكرين.

وقد أسرّ الحضور أشدّ السرور عندما أعلن عريف الحفلة الأستاذ قرما عنصره أنه سيقدم إليهم  
النائب اللبناني الجريء الأستاذ إميل البستاني الذي وصل بالطائرة من لندن في ذلك النهار. ووقف  
إميل يتصرّف بالألباب تصرّف خطيب قدير مُفتّحاً كلامه بذكرى إجتماع جرى في بوسطن عندما  
كان هو تلميذاً في معهد (أم. آي. بي). إذ خطب في ذلك الإجتماع رفيق له في جامعة أخرى فاستقبل  
السّامعون كلامه بالهسهسة<sup>1</sup> لأنّه كان يخطب بالعربيّة.

غير أن هذا الخطيب صار بعدئذٍ شخصية عالميّة - هو الدكتور شارل مالك.  
وكان هو - أي إميل - يودّ أن يخطب بالعربيّة لعلّه يشتهر كما اشتهر رفيقه. ولكن خشي أن لا يُقابلَ  
بالهسهسة فلا يبلغ أمنيته!

1 الهسهسة: كل ما له صوت خفي كالتهسس.

وانتقل بعد ذلك إلى الحديث عن البلدان العربيّة وما فيها من الكُتُوز والإمكانيّات مؤكّداً أنّ الدول العربيّة ستصير قوّة تُرجّح إحدى الكيفيّتين الدوليّتين.

وذكّر ما دار بينه وبين المستر دالس وزير الخارجية الأميركيّة عند زيارته لبنان وأنّ العرب ما يزالون يتوقّعون أنّ تعمل أميركا على استرجاع مكانتها بتعديل سياستها الخارجية التي أضرت وأذت كثيراً.

ولما جاء دور المستر مائتور سفير الولايات المتحدة في لبنان وصف الحالة في البلدان العربيّة وصف خبير ولم يحجم عن الاعتراف بأنّ واشنطن ارتكبت من قبل في سياستها الخارجية أخطاء ولكنّه أوضح أنّها تعمل الآن على إصلاح هذه الأخطاء لأنّها لا تستطيع أن تتجاهل مصالحها في الشّرق الأوسط. ولا تقدّر أنّ تغمض أعفانها وتتجاهل الخطر الشيوعي.

وبينما القوم تكاد أرواحهم تستشعر أنّ كابوس السياسة يقترب منها إذا بصوت رخيم يتدفّق كالفجر فيطرّد ضباب الضجر عن النفوس. هو صوت الفتاة الموهوبة سلوى مرهج فكان شعور القوم الحاضرين شعور الظمآن وجد ينبوعاً صافياً.

ومن الخطباء الرسميين الذين استثاروا إعجاب الحضور الدكتور فريد زين الدين سفير سوريا في واشنطن ورئيس الوفد السوري لدى الأمم المتحدة. وقد ذكر الأستاذ إميل البستاني أنّ الدكتور فريد معلّمه. وأنّه كان من أركان الحركة الوطنيّة منذ عهد بعيد.

وقد قام الدكتور فريد بتقليد رئيسة الحلف السيدة شهربان ناصيف وسام الإستحقاق السوري اعترافاً بها لها من الخدمات الطيّبة في مختلف النواحي الخيريّة والإنسانيّة والوطنيّة. وفي هذه المادّة منح الحلف الأستاذ يوسف سعدو وثيقة تقدير واعتراف بخدماته المستمرة للحلف.

وعلى الجملة إنّ الذين حضروا هذا المؤتمر عادوا إلى منازلهم القريبة والبعيدة ممتلئي الأرواح غبطة متزوّدين تذكارات جميلة ولا سيّما لليلة الغنائيّة العربيّة الأولى التي كانت كأنّها منسلخة من ليالي بغداد في عصر هارون الرشيد. وكان بلبلها المطربان عامر وسناء خدّاج يرافقهما جوق موسيقيّة ما اجتمع مثله في غيرها.

كذلك عادوا إلى أماكنهم وقد إنضحت لكلّ الحالة السياسيّة في الشّرق الأوسط والاتّجاه الجديد في سياسة الولايات المتّحدة حيال تلك البقعة الخطيرة من الدّنيا.

فضلاً عن المودّات القديمة التي تجددت وهي التي ما كان قيّض لها أن تولد لولا هذا الاجتماع.

هذا بعض من كلّ إذ لا سبيل إلى الإحاطة بكلّ ما جرى في المؤتمر.

السّمير: 1953 / 10 / 6



## كتاب الطبيعة

ينسى التاجر وهو قابع في مخزنه يتوقع الربح أو يخشى الخسارة أن في الحياة ربحاً غير الربح الذي ينشده. كما أن فيها خسارة أعظم من الخسارة التي يخشاها. وهو أن يتحسّن الجمال في الطبيعة أو لا يتحسّسه ففي الأوّل غنمٌ ليس في أيّة صفقة تجارية رابحة. وفي عدم تحسّن هذا الجمال الذي يحيط به من كلّ ناحية خسارة أعظم من كلّ خسارة ماديّة.

إنّ إنساناً لا يبصر الجمال في ما حوله هو أعمى الرّوح. وعلى عقله غشاوة سوداء. ومثل هذا التاجر الضيق الأفق ذلك السّياسي الذي يقضي وقته في خلق المعائر لخصومه. أو استنباط الحيل للوصول إلى غايته. فيذهل عمّا في الناس من جمال. بل يذهل عمّا في نفسه من جمال مكثون. فإذا هو ثعبان في زيّ إنسان.

ومثل التاجر والسّياسي كلّ شخص آخر يعيش ليأكل ويشرب وينام. وإذا اهتمّ فبأن يكون طعامه أفخر من طعام جاره. وشرابه أغلى. وفراشه أنعم وأطرى. وما خلا ذلك فهو عنده فضول ومع ذلك لا يستشعر واحد منهم القبح الصّارخ في حقل حياته.

لا علاج لهذه الحالة إلاّ بعودة الإنسان إلى كتاب الطبيعة يطالعه فإنّه الكتاب الأعظم الذي يشتمل على السّحر المتجدّد والحكمة التي لا تنفد..

وهي المعلّم الأكبر الذي لا يحتاج المرء إلى غير الإصغاء إليه ليهتدي إلى السّعادة الخالصة من الشوائب.

فأين نحن من الطبيعة؟ إننا نشقى لأننا لا نقرب منها. وننسى أن ابتعادنا عنها - ابتعاد عن الجمال الحق والخير المحض وعن الله.

السّمير: 14/10/1953

## الشهر السّاحر

لو همّس الله في أعماق قلبك إنك لن تعيش غير شهر واحد وترك لك أن تختار أيّ شهر من شهور السنة. فأيتها تختار؟

لو سألتني أنا لقلت لك إنني أختار تشرين الأوّل<sup>1</sup>!

إنّ العصافير تحبه. والوحوش تحبه. والإنسان نفسه يقف فيه على قيمة السّنة.

إنّ هذا الشّهر هو كلّ الفصول مجموعة وموضوعة في علبة مؤلّفة من إحدى وثلاثين يوماً ومربوطة

1 تشرين اسم شهرين من شهور السّنة الشّريانيّة تشرين الأوّل وهو «أكتوبر» وتشرين الثاني وهو «نوفمبر».

بشريطة من قوس قزح.

هو الفترة التي تعرض فيه الطبيعة الساحرة كل زيتها وكل فنونها. هو المفصرة<sup>1</sup> التي تستخرج من الشهور الأخرى كل ما فيها من عذوبة وجمال. وفي هذا الشهر الشوق إلى الربيع. وأفراح الصيف. ونشوة الخريف ورعشة الشتاء.

في هذا الشهر يستشعر كل شيء في الأرض طرباً متوهماً. ويحسن النشاط يغني في عروقه. إن مجد الكون يتجلى في هذا الشهر. فإذا كل هضبة تختال بالأشجار التي تزيتها. أحب السرو<sup>2</sup>؟ لن أختلف وإياك. إذن أنا أحب شجر الحور<sup>3</sup>!

إن الطيور تنظر بامتعاض إلى الإنسان الأحمق يطوي المسالك في سيارته طلباً للنزهة والراحة في شهر تموز!

إن شهر تموز ليس شهر النزهة للطيور فهي تعرف أكثر من الإنسان الوقت الموافق للسفر فتراها تهجر أعشاشها في هذا الشهر وتمضي أسراباً أسراباً إلى الجنوب. وفي هذا الشهر يرق الهواء ويصفو الجلد فتلوح النجوم أدنى إلى الأرض. ويتجلى القمر قريباً جداً حتى ليكاد المرء يتوهم أنه يستطيع أن يطاله بيده. ويشعر كل إنسان كأنها على عينيه نظارتان ملوئتان. أو كأن الأرض قد اندفقت عليها سحب من الألوان.

لا يعرف هذا الشهر حدوداً ولا تحوماً<sup>4</sup>. بل يغمر بجماله السهول والهضاب والأودية والأنهر ويبعث النشوة في الطيور والأشجار وفي الناس. حتى ليكاد المرء يسمع ديبب الموسيقى في عروقه. وترى السنجاب<sup>5</sup> المتوقد العينين الكث الذنب يتحول إلى شحيح حريص يكدح ليجمع في وكفه الخفي ما يكفيه من البلوط إلى شهر آذار. ويكنز الدب الشحم في بدنه لكي يستهلكه أثناء نومه في الشتاء ويخرج في الربيع كأنه تاجر أفلس.

وتصير الريح في هذا الشهر كمنجة تعزف في الليل لحن الحب للشباب. وأجل الحان الشباب للشيوخ. فهل تسهر لتسمعها؟ من الخير لك أن تسهر! فإن هذا العازف سينتهي من عزف الحانه ويمضي.

إنه يسكب في كؤوسنا أطيب خمر الحياة فمن لا يشرب منها الآن فهو تاجر خل!

السمر: 14/10/1953

1 المفصرة المكان يعصر فيه الشمس ونحوه لاستخراج الزيت.

2 السرو: جنس شجر حرجي للترزين من فصيلة الصنوبريات الواحدة سرّوة.

3 الحوز: خشب أبيض اللون له مظهر متجانس يستعمل في صنع ألواح خشب الطبقات.

4 التخوم: تخوم الأرض حدودها.

5 السنجاب: حيوان أكبر من الجرذ له ذنب طويل كثيف الشعر يرفعه صعداً يضرب به المثل في خفة الصعود ولونه أزرق رمادي ومنه اللون السنجابي.

## تَوْلَدَ السَّمِيرُ

أُطْلِعَ عَلَيْنَا هَذَا النَّهَارَ الثَّانِي مِنْ تَشْرِينَ الثَّانِي وَأُطْلِعْتُ مَعَهُ ذِكْرِيَّاتٍ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً مَرَّتْ عَلَى تَأْسِيسِ «السَّمِيرِ». ذِكْرِيَّاتٌ فِيهَا الْحُلُوُّ وَالْمَرْ. وَفِيهَا الْمُبْهَجُ وَفِيهَا الْمُزْعَجُ. وَلَكِنَّا لَمْ نَحْتَفِظْ مِنْهَا إِلَّا بِالْجَمِيلِ. وَحَتَّى الْمُزْعَجُ مِنْهَا وَجَدْنَا فِيهِ حِلَاوَةً لِأَنَّهُ كَانَ طَرِيقاً إِلَى الْمُبْهَجِ.

صَدَرَتْ «السَّمِيرُ» مَجْلَةً نِصْفَ شَهْرِيَّةٍ عِنْدَمَا كَانَ كُلُّ شَيْءٍ يُخْبِرُ أَنَّ حَيَاةَ الْمَجْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْمَهْجَرِ أَقْصَرَ مِنْ عُمُرِ الْوَرْدِ. وَعِنْدَمَا كَانَتْ عَوَاصِفُ الْحُطْمَةِ<sup>1</sup> الْاِقْتِصَادِيَّةِ مُوشِكَةً أَنْ تَهْبَّ وَتَكْتَسِحَ وَتَجْرُفَ.

وَاسْتَمَرَّتْ «السَّمِيرُ» تَصْدُرُ مَجْلَةً مَدَّةَ سَبْعِ سَنَوَاتٍ كَانَتْ كَالسَّنَوَاتِ الْعُجَافِ<sup>2</sup> الَّتِي مَرَّتْ فِي تَارِيخِ مِصْرَ الْفِرْعَوْنِيَّةِ.

ثُمَّ وَجَدْنَا أَنْصَارَ الْمَجْلَةِ يَطْلُبُونَ وَيَلْحُونُ أَنْ تُصَيِّرَ جَرِيدَةً وَلَوْ أُسْبُوعِيَّةً فَوَثُبْنَا بِـ«السَّمِيرِ» مِنْ مَجْلَةٍ إِلَى جَرِيدَةٍ يَوْمِيَّةٍ. وَرَأْسُ الْمُنَا الْأَكْبَرِ ثَلَاثَةٌ هِيَ:

أَوَّلًا: الثِّقَّةُ بِاللَّهِ.

ثَانِيًا: وَالثِّقَّةُ بِالنَّاسِ.

ثَالِثًا: وَالثِّقَّةُ بِالنَّفْسِ.

أَجَلْ. بِالثِّقَّةِ الَّتِي لَنَا بِالْخَالِقِ وَبِالنَّاسِ وَبِالنَّفْسِ أَقْدَمْنَا عَلَى إِصْدَارِ «السَّمِيرِ» جَرِيدَةً يَوْمِيَّةً بِالرَّغْمِ مِنَ الْمَصَاعِبِ الَّتِي كَانَتْ فِي طَرِيقِنَا. لِأَنَّ الظُّرُوفَ لَمْ تَكُنْ مُوَاتِيَّةً. وَكَانَ مَنْ يَبَاشِرُ عَمَلًا جَدِيدًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ كَمَنْ يُلْقِي نَفْسَهُ فِي بَحْرٍ ثَائِرٍ لِكَيْ يَنْسَجِحَ! أَوْ كَمَنْ يَطْرَحُ نَفْسَهُ فِي أْتُونٍ سَاجِرٍ لِكَيْ يَدْفَأَ!

كَتَبْنَا نَسِيرَ فِي حَيَاتِنَا الصَّحَافِيَّةِ بِإِيْمَانِ الْمُسَافِرِ الظُّمآنِ الْمُوقِنِ بِأَنَّهُ سَيَصِلُ أَخِيرًا إِلَى سَاقِيَةِ صَافِيَةٍ أَوْ يَنْبُوعِ زَلَالٍ<sup>3</sup> يَرُوي بِهَائِهِ عَطْشَهُ.

وَكُنَّا نَعْمَلُ بِشَوْقِ الْإِنْسَانِ السَّاهِرِ الَّذِي يَقْطَعُ اللَّيْلَ مُطْمَئِنًّا إِلَى أَنَّهُ سَيَشَاهِدُ فَجْرًا سَنِيًّا فِي آخِرِ اللَّيْلِ.

1 الْحُطْمَةُ: مِنْ أَسْمَاءِ النَّارِ لِأَنَّهَا تَحْطِمُ مَا تَلْقَى.

2 الْعُجَافُ: الْعَجْفُ الْهَزَالُ فَهُوَ أَغْجِفٌ وَالْأَثَى عَجْفَاءُ.

3 الزَّلَالُ: الْمَاءُ الْعَذْبُ الصَّافِي الْبَارِدُ السَّلِسُ.

ولهذا كنّا برغم الجهاد المُضنيّ المُضنيّ نشعر بغبطة روحية نذهلُ معها عن المشاق<sup>1</sup> والمتاعب ولا سيّما عندما تتعالى حولنا أصوات التشجيع من القراء الأعزاء الذين يرجع إليهم الفضل في بقاء «السّмир» ونُمّوها وازدهارها.

فنحن اليوم نودّع السنة الرابعة والعشرين ونستقبل السنة الخامسة والعشرين والرّغبة في خدمة قومنا متّقدة جذوتها<sup>2</sup> في النّفس كأنّها نحن ما زلنا في أوّل الطريق!  
ولا ريب في أنّ رفاقنا عندهم من الحب والتّقدير اليوم مثل الذي غمرونا به من قبل.  
ولا نريد أن ندللّ على ما قامت به «السّмир» من خدمة القضايا الوطنيّة والمشاريع الخيريّة والأديبة بل الذي نريد أن نقوله في هذا الموقف إنّنا باقون على العهّد الذي قطعناه على أنفسنا منذ دخلنا حوّة<sup>3</sup> الصّحافة.

وشكراً لله ولكم يا رفاقنا ونصرأنا وأعواننا.

السّмир: 2 / 11 / 1953

## يجب أن نعيش في المستقبل

كنت أمس أستعرض بعض الحوادث التي تمرّ في حياتنا كقومٍ فلاح لي أنّنا نعيش في الماضي أكثر ممّا نعيش في الحاضر. وإنّنا قليلاً ما نعيش في المستقبل.  
ولعلّ هذا من أكبر العوامل في اضطراب أحوالنا وانعدام الانسجام في أعمالنا ثمّ لعلّه من أهمّ الأسباب في تفرّق كلمتنا وتأخرنا عن بقية الأمم.  
ولست أريد أن أقول أنّنا يجب أن ننسى الماضي ونمحو صورته من أفكارنا. فليس هذا بالأمر الممكن. لأنّ الماضي موجود فينا. إنّّه في دماغنا التي تجري في عروقنا وفي عاداتنا التي نمارسها دون وعي.  
وفي الأقوال التي نردّها على أنّها أقوالنا وهي في الواقع ممّا ورثناه عن الأسلاف؛ وفي الماضي أجداد وبطولات وآيات من علم وفن وأخلاق.  
إنّ الذي أرمي إليه وأحبّ أن أقوله لكلّ واحدٍ من أبناء بلادي هو أنّ في الأيام الماضية التي نحسبها معجداً وخيراً كلّها. سيّئات وخطيئات، من المفيد لنا أن نطويها من غير أن ننشرها لأنّ في نشرها أذية لنا. وأحسن من هذا وأفضل لحياتنا أن نضع النقاط على الحروف فلا نصوّر السيّئات حسّات. ولا ندع

1 المشقة العناء ج مشاق.

2 الجذوة الجمرة الملتهبة.

3 الحوّة: من البحر معظمه ومن القتال أشدّ موضع فيه.

الأسلاف الذين صاروا تراباً في التراب يسيطرون على أرواحنا وعقولنا وسلوكنا ويكتفون علاقاتنا مع الناس.

إذا كان جدك وجدي اختصمنا واقتتلا في الزمن الغابر على شبر أرض أو على قدرٍ من المال، أو تعادياً لأن أحدهما تفوق على الآخر في فن أو مهنة أو تجارة أو غلبته في معركة حربية فهل يجب عليك يا حفيد ذلك الجد أن تعاديني بعد أن تعاقبت السنين على ذلك الخصام وصار أولئك المتخاصمون تحت أطباق الرعام؟<sup>1</sup>

وهل من الضروري لصلاح الحياة أن أحقد عليك لأن جدي حقد على جدك؟ لا لسببٍ آخر؟! إذا كان الأسلاف لم يعرفوا قيمة التعاون لأنهم كانوا يعيشون كالشئناك بمنزل عن العالم. فهل يليق بك وببي أن نفعل مثلهم ونحن الآن في عصر لم تبق قرية في الأرض غير متصلة بالعالم كله؟ أجل<sup>2</sup>. إن أكثر الخلافات في القرى هي من هذا النوع بل إن النزاع بين الطوائف هو من مخلفات الأجداد وبقيات تلك العصور.

إذن نحن أحوج من كل الناس إلى «عهد جديد»! عهد تبدل فيه طرائقنا في النظر إلى الحياة وإلى الناس. فهذا أهم وأعظم من تبدل وجوه الحكام. عهد يشعر فيه كل واحد أنه مسؤول عن جاره وابن قريته بل عن وطنه كله. فبدون هذا الشعور لا يصير أي شعب شعباً محترماً قادراً على تكييف شؤونه وتدبير أحواله.

نريد عهداً يسأل فيه الإنسان نفسه - ماذا أقدر أن أعمل في سبيل بلادي وأمتي بدلاً من أن يقول: ماذا فعلت بلادي وأمتي في سبيلي.

نريد عهداً يقول فيه الإنسان لذاته عندما تتحرك فيه النعمة الموروثة على جاره وابن وطنه - ألا يمكنني أن أصنع من هذا الجار صاحباً وصديقاً؟ أليس أنفع لي وله أن نكون صديقين يتعاونان في كل الأمور بدلاً من أن نكون خصمين يقضيان الحياة في النزاع والمشادات والغداء؟<sup>3</sup>

ولكي يسهل على المرء أن يخفض جناحه لجاره وابن وطنه يجب عليه أن يقول في نفسه: هل أنا المخطيء في ما وقع بينهما لأنه يجوز أن يكون هو الذي أساء مثلما يجوز أن يكون غيره المسيء. ليس لإنسان أن يدعي العصمة<sup>4</sup> والكمال ولا يمكن أن يكون الحق كله ما تتصوره أنت أو أنا أو هو أنه الحق.

إن شجرة البغض تنمو كلما سقاها صاحبها ولكنها لا تثمر إلا الشوك المؤلم أو الثمر المر المذاق...

1 الرعام بالفتح التراب.

2 أجل حرف جواب بمعنى نعم.

3 الغداء بالفتح والمد تجاوز الحد بالظلم.

4 العصمة: المنع يقال عصمه الطعام أي منعه من الجوع والعصمة أيضاً الحفظ.

إذن فالخير كُلُّ الخير في أن نغرس شجرة المحبة لأن زرعها لا يستلزم مشقة ولا نفقة أكثر من غرس شجرة البغضاء!

ومن لا يحب لا يعرف كيف يصنّف ويغفر ويغضي عن العيوب.

السَّعِير: 14/12/1953

## المكاسب الخفية

أما والسنة 1953 مؤشكة أن تنطوي وتغرق في بحر الزمن. فإن التجار والموظفين والعمال منصرفون في هذه الفترة إلى إحصاء ما ربحوا فيها. ولكنهم بن يعدّو في الأرباح غير المكاسب الظاهرة المحسوبة من مال وعقار وسندات وبضائع وأدوات. إلا الذين صارت لهم في الحياة آراء مثل آراء الفلاسفة فهؤلاء لا يذهلون عن المكاسب الخفية لأنهم يعرفون ما هي ويعرفون أنها أعلى المكاسب وأهمها.

من المكاسب الخفية ما يلي:

إذا كنت طالعت كتاباً لأحد جهابذة<sup>1</sup> المفكرين فلا ريب<sup>2</sup> في أنك استفدت منه عظة أو حكمة أو أضفت إلى معارفك معرفة جديدة أو وجدت في مطالعته لذة عقلية وغبطة روحية. هذا مكسب عظيم ولكنه غير منظور.

وإذا كنت في خلال السنة المشرفة على الغياب قد ذهبت في شتائها إلى إقليم حار أو انتقلت في صيفها إلى جبل أو شاطيء لم ترره من قبل فإنك بالطبع رجعت وفي ذهنك صور رائعة لمحاسن الطبيعة كلما عدت إليه أحسست كأنك قد انتقلت إليها وأنت قاعد في بيتك أو مكتبك.

هذا ربح لم يسجله قلم في دفتر!

وإذا كنت حضرمت حفلة غناء أو رقص وطردت عنك الألحان والأنغام هماً كان رابضاً على صدرك كالكابوس. فإنك قليلاً ما تذكر هذا الأمر لكثرة ما لديك من المشاغل ولكن صدقنا إنك لو لم تذهب إلى تلك الحفلة لكان الهم الرابض على صدرك قد تضاعف. فإذن في كفة الربح.. الربح الذي لا يقع عليه نظر ماسك الدفاتر.

وربما تكون قد حاولت القيام بمغامرة فعذلت عنها لأن أصدقاء لك أوفياء وإخواناً عقلاء أوضحوا لك أنها مغامرة فاشلة محفوفة بالمكاره.. إذن فالطمأنينة الروحية التي أنت فيها الآن لأنك لم

1 الجّهيد: النقاد الخبير بغوامض الأمور جهاًبذة.

2 لا ريب: الرّيب الشك والاسم الرّيبة وهي التّهمة والشك.

تركب متن الخطر، ربحٌ كبير. ولكنه ربحٌ لا يشعر به ولا يدرك قيمته إلا أنت وحدك. ولعلك وقعت في شدة. وتلفتت حولك شاخصاً إلى صديق لك في انتظار المعونة منه لأنك تعتقد أنه يغار عليك كما يغار على نفسه ويحرص على مصلحتك كما يحرص على مصلحته. فإذا ذلك الإنسان الذي كنت تحسبه عنوان الوفاء ورمز الإخلاص قد تحوّل في تلك الساعة إلى خشبة أو إلى صنم لا شعور له ولا إحساس. بل ربّما رأيتَه يُظهرُ بك الشّامة كأيّ خصم أو عدو. إن تجربة كهذه موجعة مؤلمة ولكنها في الواقع نعمة جاءت في ثوب نقمة. فلولاها لما تكشف لك ذلك الصاحب عن صورته الحقيقية وطبيعته المزيّفة.

﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم﴾<sup>1</sup>.

والمكاسب الخفية التي من هذا الطراز أكثر من أن تحصى. وحسبنا أن نذكر منها ثلاثاً: أولاً: الصيت الحسن. فإن إنساناً محمود الشمعة عطر الصيت بين الناس هو غني كبير وإن كان فقيراً. وذو الشمعة السيئة المكروهة فقير ولو كانت له ثروة قارون. ثانياً: الصحة. هذه اعظم المكاسب. إذا كانت موفورة للمرء فإن كل شيء موفور له. إن الحياة لا تبدو جميلة لإنسان سقيم.

ثالثاً: الصديق المخلص. قالوا إنه ثالث المستحيلات لدورته. وقال أحد الشعراء:

تمسك إن ظفرت بذيّل حرّ فإن الحرّ في الدنيا قليل

لا. إن الصديق المخلص ليس خرافة كالعنقاء<sup>2</sup> والغول<sup>3</sup>. إنه موجود. ولكننا نتوقع منه أن يكون إلهاً وهو إنسان. وأن يضحّي بنفسه وماله وكل شيء له من أجلنا فنحن إذن الذين نجعل منه خرافة وشيئاً مستحيلاً.

فإذا كان لك صديق فلا تكلفه فوق طاقته ولا تطلب منه أكثر مما يطلب منك. هذه بعض المكاسب التي لا تدوّن بالأرقام في الدفاتر. لأنها فوق الأرقام.. وهي مكاسب لا تستوفى عنها ضرائب ومكوس<sup>4</sup>. فإذا كانت في حوزتك وأدرّكت قيمتها فأنت الإنسان السعيد.. وأنت أخيراً في جانب الرّبح.

السّمر: 15/12/1953

1 216 م البقرة 2.

2 العنقاء: الدّاهية وطائر معروف الاسم مجهول الجسم.

3 الغول: بالضّمّ الهلكة والدّاهية والسّغلاة ج أغوال وغيلان.

4 المكوس: المكس الجبابة ج مكوس. والعشّار قابضة؛ وعشرهم أخذ عشر أموالهم.

## روح العيد

ها هي طلائع الميلاد ورأس السنة تطلُّ على الناس من نوافذ المنازل أضواء حمراء وصفراء وزرقاء وبيضاء. وتُطلُّ معها الأشجار اللابسة مختلف الرِّخاف. وها هي بشارات العيد تتألق في الحوانيت حلي<sup>1</sup> وجواهر. أو ملابس والأعياب. وأدوات وأثاثاً. وكلُّها تبعثُ الغبطة في الأرواح كما تُسرُّ العيون. ولكن أجمل هذه البشارات وأسمى هذه العلائم هي تلك الابتسامات التي تموج في الوجوه وعلى الثغور أنَّى ذهب المرء وكيفما التفت. إذا لم يكن في الأشياء المرئية غير هذه الابتسامات التي تنمُّ على أفراح جديدة في القلوب لكفى أن يعرف الإنسان أن الدنيا تبدلت من كآبتها بشاشة. ومن خوفها طمأنينة. ومن بغضها حباً ومن شكها إيماناً. فيا ليت شعري<sup>2</sup> - وفي وسع البشر أن تتولد في نفوسهم روح المحبة والتسامح أثناء المواسم والأعياد. لماذا تفارقهم روح العيد بعد انقضاء العيد؟ أسبب ذلك أن الإنسان يجدُّ لذة في صُحبة الشقاء. وجيرة القسوة والبغضاء؟! أم أن النسمة العلوية المودعة في الإنسان لا تزال عاجزة عن التغلب على الحيوانية فيه؟! أم تراه عندما تحيي المواسم يشعر أنه كان في الأيام التي سبقتها وهي كثيرة - يسير في طريق الإثم والضلال فهو يكفر عن خطايا وآثامه في المواسم بتوزيع ما في قلبه من الحب ابتسامات وما في يده من المال هدايا وهبات؟ كانت البشرية قبل مجيء النَّاصري مُنغمسة في حَمأة<sup>3</sup> الشر والبهيمية فلمَّا جاء عليه السَّلام كَشَف بتعاليمه السُّتار المُشدل على ما فيها من محاسن فأدرك الإنسان أنه يقدر أن يحب كما يقدر أن يبغض. وأنه يستطيع أن يسوق الخير إلى جاره مثلما يقدر أن يمشي إليه بالأذى. وفوق ذلك.. واهم من ذلك أدرك الإنسان أنه يجد في عمل الخير لذة لا يجدها في عمل الشر. ولا في التخاذل لذة لا يجدها في عمل الشر. ولا في التخاذل والتقاعد عن عمل الخير.. وهذه الرُّوح هي التي وثبت بالبشرية من حَضِيض الجهل المُتلف المُدمر إلى أوج المعرفة البانية المُعمَّرة. فكانت الحضارة وكان الرُّقي.

السَّمير: 1953 / 12 / 23

1 الحلي ما: يتزيّن به من مصنّوغ المعدنيّات أو الحجارة الكريمة.

2 ليت شعري فلاناً وله وعنه ما صنّع أي ليتني شعرت.

3 حمأة: الحما الطين الأسود المُتّين والقطعة منه حمأة.



## بعد أربعة أيام

بعد بضعة أيام.. أربعة في العدد.. تسقط آخر ورقة في الروزنامة.. وتغرق في خِصَمَ الزَّمن 356 يوماً كما غَرِقَتْ قبلها آلاف السنين. بل قل الملايين.. فهكذا يقول أهل العلم.  
أجل. بعد أربعة أيام يتبدّل وجه الروزنامة فنصير ندوّن في رسائلنا وفواتيرنا ودفاترنا هذا الرقم 1954 بدلاً من 1953 لأنّ الأرض دارت دورتها فصار حتمًا علينا أن ندور معها.  
ويقف الناس في كل مكان بعد أربعة أيام يهتفون ويزمرون ويرقصون احتفالاً بانقضاء سنة أخرى عليهم وهم أحياء في الوجود يأكلون ويشربون ويحبّون ويبغضون ويطربون ويلعبون.  
هكذا كان على الأرض منذ مئات وآلاف السنين ناس كالنّاس الذين على سطحها اليوم وكما يصنع هؤلاء اليوم كان أولئك يصنعون.

إذن فالنّاس الذين كانوا هنا منذ أجيال لم تندثر منهم إلا الهياكل والصور أمّا آمالهم وأحلامهم وحبّهم وبغضهم وضحكهم وبكاؤهم وطموحهم وقناعتهم.. إنّ هذه كلّها لم تندثر لأنّها لا تزال تتكرّر كأنّها ولدت الساعة..

قد تبدّل المأوى من كوخ إلى قصر وتبدّل الملبّس من خيش إلى حرير.

ولكن الغاية من الآنية والمطية والموقد لم تزل هي هي. فالإنسان لا يزال يَعْطِش في عصر الكهرباء والذرة والزّادار كما كان يعطش في عصر المقلاع والهِراوة<sup>1</sup> والسراج ولا يروي عطشه إلا الماء سواء جاءه في إناء من خزف أو خشب أو بلّور<sup>2</sup>.

ولا يزال يجوع. ولا يشبعه إلا الطعام سواء أكان خبزاً أم قمحاً أم ثمرأ أم لحماً. وهو حتى في أرزقى حضارة إذا لم يظفر باللحم مطبوخاً أو مقدّداً<sup>3</sup> أكله نيئاً. وإذا أعوزته السكين والشوكة مزّقه بأسنانه وأظفاره!

أجل. إنّ النّاس ما زالوا اليوم كما كانوا منذ أجيال. ولكن معظم النّاس يتوهّمون أنّ العصور الخوالي كانت أهناً وكان النّاس فيها أسعد. أو أنّهم يتوهّمون أنّ الحياة اليوم أجمل وأكمل.  
وهؤلاء مثل أولئك مخطئون ومصيبون معاً. ففي كل عصر سعادة وتعاسة. وفي كل محيط هناء وشقاء.

وليس للزّمن يد في الأمرين. فالنّاس همّ الذين يجلبون الشّقاء أو الهناء لأنفسهم على مقدار ما

1 الهراوة بالكسر العصا الضخمة والجمع الهراوى بفتح الهاء والواو.

2 البلّور حجر أبيض شفاف ونوع من الزجاج.

3 المقدّد: القديد من اللحم ما قطع طولاً وملح وجفّف في الهواء والشمس.

يغضون أو يحبون. فحيث لا حب ولا هناء فلا سلام ولا طمأنينة ولا استقرار.

السَّمِير: 1953 / 12 / 28

## إِزْرِعْ جَمِيلًا وَلَوْ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ

هل سمعت قولهم - عملنا طرس<sup>1</sup> بركة. طلع طرس لغنة؟. وهل خطر في ذهنك أن تتساءل لماذا  
تصير البركة أحياناً لغنة؟ وبكلمة ثانية يتحوّل الخير إلى شرّ.

إن كثيرين يردّدون هذا المثل المشهور كما يردّدون غيره من الأمثال بدون أن يُجهدوا أنفسهم في  
التعليل والتحليل للإهداء إلى السبب في إنقلاب البركة إلى لغنة.

إن نقطة الخبر السوداء يجري بها قلم على الطرس في رسالة إلى صديق أو مقالة لطيفة أو حكاية  
ظريفة بركة تُحمد وتُشكر وتُحب. ولكن هذه النقطة ذاتها إذا وقعت على ثوب أبيض شوّهته فصارت  
لغنة.

والشمعة التي يُستضاء بها في الليل تظل بركة حتى يغفل عنها موقدها أو يعث بها طفل فيدنيها  
من ستارة النافذة أو من جريدة أو ورقة فإذا الشمعة تُحدث حريقاً فتصير نعمة بعد أن كانت نعمة.  
وهكذا كل شيء آخر. إذا أسيء استعماله أو إذا وُضع في غير موضعه..

يحدث أحياناً أن تُسدي جميلاً إلى شخص فضولي<sup>2</sup> أو مُحْتَاج أو غريب الدار. فيقابلك على جميلك  
بالعقوق أو الجحود بل ربّما جازاك عن إحسانك إليه إساءة. فتتعجّب في نفسك وترجع على ذاتك  
باللوم لأنك أحسنت!

لا يا صاحبي. إن الخاسر هو، لا، أنت. ومهما يكن من سوء فعله وقبيح سلوكه فإن جميلك يظل  
جميلاً. ويجب أن تظل أنت تعتقد أنك فعلت أمراً حسناً.

ولا ريب في أن ما لقيتَه من ذلك الجاحد العاق<sup>3</sup> يهونُ عليك إذا أنت رجعت إلى الطبيعة ورأيت  
كيف يضيع المطر المحيي في الأرض الصخرية الشائكة.

إن بعض الناس كهذه الأرض الصخرية الشائكة تشرب المطر ولا يبين فيها أي أثر.

ولكن الغمام الحُبلى بالماء تظل تزورها كما تزور الحدائق والبساتين وتُسكب عليها ماءها كما  
تُسكب على تلك.

السَّمِير: 1954 / 1 / 18

1 الطرس الصحيفة ج طروس.

2 الفضولي من الرجال المشتغل بالفضول أي الأمور التي لا تعنيه.

3 العاق: عقى أباه عقاءً وعقوقاً استخف به وعصاه وترك الإحسان إليه فهو عاق وعقوق.

## المُخَدَّرُ الْفَتَّاكُ

تُوَالِي الحكومات في كُلِّ بلدٍ راقِيَّ مكافحة المُخَدَّرَات<sup>1</sup> ومطاردة تجَّارها وزرَّاع شجرتها. لأنَّ هذه المُخَدَّرَات آفات ذات فَتْكَ مُهْلِك في الجُسُوم والعقول. وَمِنْ واجب كُلِّ حكومة أَنْ تُخْرِصَ على صِحَّة شَعْبها وأنَّ تَسَهَّرَ على سَلامَتِهِ مِنْ هذا الخطر مثل سهرها لوقايته مِنْ كُلِّ خطرٍ آخر.

إنَّما في الشَّرْقِ العربيِّ.. ونعني به كُلَّ بلادٍ ينطِقُ أهلها بالضَّاد<sup>2</sup> نوعٌ مِنَ المُخَدَّرَات لا يُزْرَعُ في أرض. ولا يُحْمَلُ في سَفْط. ولا يُنْقَلُ في حَقِيبة أو صندوق. ولا يُنَشَقُ كالذَّرُور. ولا يُحْرَقُ في سِيكاره أو غليون كالْتَبْع. ولا يُشْرَبُ في كأس أو أيِّ إناء كالخُمُور. وليس له طعم ولا لون ولكنَّه في الواقع أَضَرُّ مِنْ كُلِّ مُخَدَّرٍ يتعاطاه المُبْتَلُونَ بهذه الآفة انتشاقاً وتدخيناً وشراباً.

هو سَمٌّ زَعافٌ للعقول والأرواح والهَمَمُ يَقْدُمُهُ تجَّاره إلى الجماهير علناً كأنَّه الترياق الشَّافِي ولا يَخْشَوْنَ رَقِيماً ولا حَسِيباً ولا لوماً ولا تَبْكِيَةً.

إنَّه هذا النوعُ مِنَ الأدبِ الذي يُزَهِّدُ الإنسانَ في كُلِّ ما في الدُّنْيَا مِنْ مَتَاع. ويصوِّرُ له أنَّ الزهد هو الطَّرِيقُ القويمُ للسَّلامة والسَّعادة وأنَّ الغنى شَرٌّ مُسْتطِير وإثمٌ لا غافر له.

ولأَصْحَابِ هذا المُخَدَّرِ السَّامِ منطقٌ عَجِيبٌ في زُخْرَفَةِ هذه الفِلسَفَةِ السَّلْبِيَّةِ القاتِلَةِ لِكُلِّ طُمُوح. فإذا ذُكِرَ رِكْفَلَرٌ مثلاً وأُحْصِيَتْ ثروته العَظِيمَةُ قالوا إنَّ هذا الغَنِيَّ مريضٌ فهو تَعِيس. أو أنَّه على خِلافٍ مع زوجته فهو غيرُ مُستريحٍ كأنَّ الفَقِيرَ لا يَخْتَلِفُ مع زوجته وكأنَّه في حَرِّ حَرِيزٍ مِنَ الأمراضِ! إنَّ الواقعَ الذي يتعمَّي عنه تجَّار هذه الفِلسَفَةِ الهدَّامةِ هو أنَّ إنساناً مثل رِكْفَلَرٍ كان في أوَّلِ أمره فقيراً فلم يَعْجِبْهُ الفَقْرُ. ولم يَجِدِ السَّعادةَ ولا الراحةَ مع هذا الصَّاحِبِ! فَطَمَعَ إلى حالة أَفْضَلَ. وَعَيْشَ أَرْقى وأَجَلَ. ولَمَّا طَمَعَ جَاهِدَ ولَمَّا جَاهَدَ أَفْلَحَ وهَبَّتْ رِياحُ الحَظِّ موافقةً فَصار مِنْ جَبَابِرَةِ المَالِ. عَصَبُ الحَرْبِ وَعَصَبُ السَّلَمِ.

قد يكون هذا المُثْرَى القارُوني لقي عِناءً وشقاءً في جِهَادِهِ. وقد يكون الآن يَحْزَنُ ويفرَحُ كما يَحْزَنُ ويفرَحُ كُلُّ إنسانٍ. ويرجو ويخشى مثلك ومثلي. وهو عِرْضَةٌ<sup>3</sup> مثلك ومثلي للمرض والخوف والحزن والقلق والغم. ويجب أن يكون كذلك إذ لا يَقلِقُ ولا يَغْتَمُ ولا يَتَأَلَّمُ إلا النَّاسُ الذين أُحْتَوَتْهُمْ المقابر..

1 المُخَدَّرُ مَادَّةٌ تُسَبِّبُ في الإنسان والحيوان فَقْدانَ الوعي بدرجات متفاوتةٍ ج مُخَدَّرَات.

2 الضَّادُ أي لغة الضَّاد وهي اللغة العربية وسُمِّيَتْ بِلُغَةِ الضَّادِ لأنَّ حَرَفَ الضَّادِ هو أَحَدُ حُرُوفِها الأبْجَدِيَّةِ وغير موجودٍ في آيَةِ لُغَةٍ في العالَمِ إلا فيها.

3 وجعلت فلاناً عِرْضَةً لكذا أي نصبته له.

إذن ليس صحيحاً قول أحدهم في جريدة «الأيام» الدمشقية «أنَّ العظْمة والغنى والجاه والسُّلطان أحقر ما في الدُّنيا إذا كان الإنسان لا يعرف راحة البال ولا يدري كيف يشتري راحة البال».

وقوله «لعلَّ الفقراء المساكين أمثالي يهناون عندما يعلمون أنَّ راحة بالهم كنز فاق كنز روكفلر!». هذا هو المخدَّر الفتَّاك الذي أشلَّ قوى الأُمَّ العربيَّة طيلة الأجيال الغابرة. فإنَّها عندما صارت تصغي إلى أقوال سفسطائية كهذه وتأخذ بها كأنَّها حقائق لا رَيْبَ فيها ران عليها الكسل والخمول والجمود فتقهقرت. وصارت تنظر إلى الأشياء التي تشتهيها وتعلم أنَّ سعادتها فيها. كما نظر الثعلب إلى الدَّالية العالية فقال عن عنبها المتوهِّج: إنَّه حُصرُم.

قد يجد زاهد مُتَنسِّك سعادة في هجر العالم ولكن أن تُدعى أُمَّ بكاملها أو السواد الأعظم فيها إلى الزهد بالحياة فهذه جريمة يجب أن يُقبَضَ على صاحبها مِنْ عَنقِهِ وأن يُزَجَّ في أعَمَق سجن لوقاية النَّاس منه..

لَيْتَ أصحاب هذه التفسطة درسوا حياة روكفلر لعلَّهم يدركون كم له مِنَ الأيادي الخيريَّة والمستشفيات والكنائس فقد فعل في هذا السبيل ما لم تفعله مجموعة مِنَ الدُّول. وإذا لم يكن له مِنْ مَأْثُورَةٍ<sup>١</sup> غير المعهد المُسمَّى باسمه. لكان هذا وَخْده سبباً كافياً لتمجيده وتخليده. وداعياً إلى شكر الإنسانيَّة إيَّاه.

أجل. هذا ما فعله هذا الرجل الفاقِد راحة البال.

أما هؤلاء المُرتاحو البال فماذا فعلوا يا تُرى؟

هل قدَّموا إلى مريض دواء؟

هل أسعفوا طالباً بمنحة؟

هل بنوا مستشفى؟

هل أسسوا معهداً؟

هل نفعوا علماً؟

هل رَقُّوا صناعة؟

هل واستَوْا ضحايا نكبة بقوت أو كساء أو مال؟

إنَّنا نريد أن نُضْرَمَ نار الطموح في أرواح قومنا لا أن نخمِّدَها. ونريد أن يعرفوا أنَّ هذه الحضارة الجميلة لم يَشَيْدُها الخاملون القانعون اللَّاصِقون بالأرض. بل أصحاب الطُّمُوح الذين نفعوا أنفسهم ونفعوا أوطانهم ولم ينصُرْهم حَسَبٌ ولا عشيرة ولا جاه ولا دين بل كان ناصرهم الطُّمُوح وَخْده واعتقادهم بأنَّ المجال رَحِيب للمُجتهدين.

١ مَأْثُورَةٌ: المَأْثُورَةُ بفتح الثاء وضمتها المَكْرَمَةُ لأنَّها تُؤَثِّرُ بذكرها قرن عن قرن.

ولو أن هؤلاء شربوا هذا المخدر الفتاك. مخدر الزهد والقناعة. والرّضى بالعيش الخبيث<sup>1</sup> لما كانوا اليوم أحسن حالة من هؤلاء الذين يدعون «راحة البال» وليس لهم منها شيء!

الشّمير: 11/ 3/ 1954

## الصداقة والقرارة

مَنْ يَكْتَسِبُ صَاحِبًا تَبْقَى مَوَدَّتُهُ فَهُوَ الْغَنِيُّ بِهِ لَا ذُو الْمَالَيْنِ

أجل إن صاحب الذي تبقى مودته هو كنز ثمين ومغفل حصين. فإذا كان لك هذا الصاحب أيها القاريء العزيز فتمسك به وحاذر أن يتحوّل عنك إلى غيرك. وهو لن يتحوّل إلا إذا تبدّلت أنت فلم تحرص على مودته كما حرص هو على مودتك. ولم تصنّ سرّه كما صان سرّك. ولم تمسح دمعته عندما بكى. ولم يغمز وجهك الابتسام عندما ضحك. بل حدّثك النّفس أن تتجنّى عليه فتصطنع له الغيوب والمساويء في حين كان يصطنع لك الحسنات والميزات. أو أن يغتابه أحد عندك فتغتابه معه. أو أن تسيء إليه فتدّعي لستر عيبك أنّه هو الذي أساء إليك.

إن تصرّفاتك هذه لن تستبقي لك ذلك الصديق.

ولسنا الآن نحدّث شخصاً بعينه بل كلّ شخص فالموضوع أكبر من أن ينحصر في إنسان بعينه. وإذا حرص على مودته وصنّت سرّه وحفظت كرامته غائباً وحاضراً وأغضبت عن سيئاته. ولم تلتفت إلى هفواته. وقبّلت على علاقته. فلم يحفظ عهدك ولم يزغ ودك فأنت في حل<sup>2</sup> من كلّ عهد. ولا لوم عليك إذا هجرته أو نبذته أو نسيت أنّه في الوجود. ولا نقول أن تعاديه فمن كان غير جدير بصداقتك فهو غير جدير بعداوتك.

أنت لا تمنح إنساناً ودك إلا إذا كنت تعتقد أنّه ندك. وأنّ عنده مثل الذي عندك من شائيل ومزايا. وأنّ صفاته مجانسة لصفاتك. فإن لم يكن على شيء من الصفات الحميدة والأعمال الرّشيدة المطلوبة في الرجل. فأنت تبغي على ذاتك وتجور على سمعتك إذا اتخذته صديقاً.

ولكن إذا كان لا يحسن بك أن تؤاخيّه فمن غير الحكمة أن تعاديه. لأنك إذا نصبت من نفسك له خصماً رفعتة إلى منزلتك وساويتّه بنفسك مع أن الواجب يقضي عليك مع مثله أن تحتقره وتبتعد عنه كما تبتعد عن أجرب. وأن تُعرّض عنه كما تُعرّض بأنفك عن رائحة كريهة مؤذية.

ولا تقل في نفسك أنّي سأشهره بين الملا<sup>3</sup> وأجعله حديث الرّائع والغادي. فإنك مهما بلغ من

1 الخبيث: ضد الطيب.

2 الحل بالكسر الأحلال وهو ضد الحرام ورجل حل من الإحرام أي حلال.

3 الملا الجماعة.

نفوذك وأتساع سلطانك لن تقدر أن تسيء إليه أكثر مما أساء هو إلى نفسه. ولن تستطيع أن تزيد في هوانه هواناً ولا في شحوب أخلاقه شحوباً.

وأنتى لك أن تصلح إنساناً يضعه الناس بين الأدباء فيأبى إلا أن يضع نفسه بين الغوغاء<sup>1</sup>. وتشده إلى أعلى فتشده أخلاقه إلى أسفل. وتستتر عيوبه عن الناس فيأبى إلا أن يكشفها بيده لكل عابر سبيل. إذن فالطريقة المثلى والخطة الفضلى هي أن تعمل بنصيحتنا المشتمل عليها هذا البيت:

فآختر أصحابك وانظر في اختيارهم إلى الخلائق قبل اللون والدين

فإذا أحسنت اختيار أصدقائك أميت الحية وسلمت من الندامة في النهاية.

السَّمِير: 14/ 5/ 1954

## ولاء للوراء وللشفاء لله

لما أنشأنا «السَّمِير» لم يخطر لنا في صخو ولا نوم أن وجودها سيخلق في بعض النفوس حَقّاً<sup>2</sup> وغيظاً. ويملاً بعض القلوب حِقْداً مريراً إذ لم يكن غرضنا من إنشائها إلا خدمة قومنا الذين يقرأون اللغة العربية ويهتمهم أن تكون لهم جريدة تعالج القضايا التي لها اتصال بحياتهم ومساس بمقدراتهم. وتوافيهم بأخبار العالم وأنباء الأوطان العربية. وما ترشَّح<sup>3</sup> به أقلام المفكرين الخبِّراء من الآراء والنظريات. وما يفيض على ألسنة الشعراء من روائع وآيات.

أجل كان غرضنا من إنشاء «السَّمِير» خدمة قومنا على قدر ما يبلغ إليه الجُهد مثل موازنة مؤسساتنا الروحية والأدبية والاجتماعية وما يتصل بهذه المؤسسات. وكان من أغراضنا تعزيز أصحاب المواهب والفنون من أبناء أمّتنا. وإذاعة الحسنات والإعراض عن السيئات.

ولم يكن من غرضنا قط إحناق نفس أو إيغار<sup>4</sup> صدر. إننا الأمر الذي لم يكن من أهدافنا هو اليوم واقع كأننا نحن تعمّدناه أن يكون. ويشهد الله أننا ما أردناه أن يكون. وما لنا بوجوده يد. بل لو كان في قدرتنا أن نغسل تلك القلوب ممّا فيها من أدران الحقد وأن نطهرها من جرائم الحسد والنقمة لفعلنا في الحال. ولكن هذا الأمر فوق طاقتنا كما هو

1 الغوغاء من الناس الكثير المختلطون.

2 الحَقُّ الغيظ وج حِنَاق.

3 رَشَّح أي عَرَّق وبابه قطع لم يرشح له بشيء أي لم يعطه شيئاً.

4 الوَغْر ويحرك الحقد والضغْن والعداوة والتوقّد من الغيظ.

الحسد مرض نفساني. وهو أشدُّ الأمراض خطراً وأعسرَها شفاءً. بل هو أوَّل مرض ظهر مع الإنسان في الأرض. وكان من ضحاياه المغفور له هابيل!

وقد إرتقت الدنيا وارتقى الناس. واستأصلت شأفة<sup>1</sup> أمراض كثيرة إلا أنَّ هذا المرض باقٍ لا يزول. ولحكمة خَلَقَ الله الشُّوك في النبات وأوجد العقارب والحيتات وغيرها من الحشرات المؤذية للزُّرع والضرِّع<sup>2</sup>.

إذن فالحسد لن يزولَ مِنَ الأرض حتى ينقرض الشُّوك والعوسج وتبيد<sup>3</sup> الحشرات الضَّارة كلها..

بل إنَّ هذا المرض النفساني شديد الخطر وعسير الشِّفاء. ولكن من حُسْنِ حظ البشريَّة أنَّ المُبتَلين به ليسوا بالعدد الكبير. وليس هو بالمرض الذي ينتقل بالعدوى. والمصاب به أحقُّ الناس بالرحمة والعفو لأنَّه في عذاب لا ينتهي. وما ظنك بإنسان يحمل في جوانحه<sup>4</sup> النَّارَ! أجل إنَّ الحسد نار ولكنَّها لا تأكل إلاَّ الحاسد.

وهذا الذي يكابده<sup>5</sup> حسَّاد هذه الجريدة وحُسادنا. أعانَهُم الله على ما هُم فيه مِنَ البُلوى!.

السَّمير: 1954 / 7 / 1

## عُظْمَتِ «السَّمير» (الأسبوعيّة)

يُروى أنَّ أحد الفلاسفة كان لإنهماكه في درس المسائل العويصة<sup>6</sup> يتناول طعامه وينسى بعد قليل أنَّه تناوله.

هذا ما حدث للفيلسوف صاحب الحكاية ولكن ليس لازماً أن يكون الإنسان فيلسوفاً لكي يستولي عليه النسيان أحياناً فيذهل عن طعام أو شراب أو موعد أو حاجة له أو عن شخص معه. أو حتى عن دفع دين. فإنَّ هذه كُلُّها أمور تحدث لأيِّ إنسان مُنْهَمَك في عملٍ يَجِبُ وعنده تقديس للواجب.

أمَّا الذين لا يَنسَوْنَ فهُم أناس لا يشغلهم شاغل من فكرٍ أو عملٍ أو واجب. أو أنَّهم من ذوي

1 شأفة: الشَّافة قرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى فتذهب.

2 الضَّرِّع: لكلِّ ذات ظِلْف أو خُفٍّ.

3 أبَادَ هَلَكَ.

4 الجوانح الأضلاع التي تحت الثَّرَائِب وهي ممَّا يلي الصَّدْر كالضُّلُوع ممَّا يلي الظَّهْر الواحدة جانبة.

5 كابد: الأمر قاسى شدَّته.

6 العويص من الشَّعر ما يصعب استخراج معناه وقد أغوص الرَّجُلُ.

العقول المحدودة التي تعرف أشياء بعينها ولا تعرف شيئاً غيرها.

ليس النسيان عيباً بل كثيراً ما كان نعمة من أكبر النعم على الإنسان.

أوشك الصَّيف أن يَهْزَم بل قد تَمْشَى فيه الفَنَاء. ونحن نَعْلُلُ النَّفْسَ بِالْإِنْطِلَاقِ مِنَ الْمَدِينَةِ الَّتِي لَا تَنَامُ فِي صَيْفٍ وَلَا شِتَاءٍ. لَا زُهْدًا بِهَا وَجُنُوحًا إِلَى غَيْرِهَا فَالْمَدُنُ كُلُّهَا سَوَاءٌ فِي فِرْضِهَا لِسُلْطَانِهَا عَلَى سُكَّانِهَا. بل شَوْقًا لِلْأَصْدِقَاءِ الَّذِينَ لَا يَنْفَكُونَ بِطَالِبُونَنَا وَيَلْحُونُ فِي الْمَطَالِبَةِ بِأَنْ نَزُورَهُمْ. وَتَطَالِبُنَا النَّفْسُ بِمَا يَطَالِبُونَنَا بِهِ.

الجريدة العربية في المهجر غَرْسَةٌ لَا تَمُدُّهَا التُّرْبَةُ إِلَّا بِالْتَّنْذِرِ<sup>1</sup> مِنَ الْغَذَاءِ فَعَلَى صَاحِبِهَا أَنْ يَغْذِيَهَا بِدَمِهِ لِكَيْ يَكْفُلَ لَهَا الْبَقَاءَ. وَهِيَ لِقَلَّةِ الْأَيْدِي الْعَامِلَةِ لَا تَقْدِرُ أَنْ تَتَخَلَّى عَنْ أَيِّ عَامِلٍ فِيهَا سِوَاءِ أَكَانَ مُتْرَجِّمًا أَمْ حَاسِبًا أَمْ مُحَرِّرًا أَمْ مُنْضِدًّا أَمْ طَبَّاعًا أَمْ شَاحِنًا.

ولهذا يَنْقُضِي الصَّيْفُ دُونَ أَنْ نَتِمَكَّنَ مِنَ الْإِنْطِلَاقِ. وَأَحْيَانًا لَانْهَاطُنَا بِمَهَامِ الْجُرِيدَةِ وَشُؤُونِهَا نَكَادُ نَنْسَى الصَّيْفَ وَالشِتَاءَ.

وَهَا هِيَ عَطْلَةُ «السَّمِيرِ» السَّنَوِيَّةُ تَقْتَرِبُ بَلْ صَارَتْ مَتًّا قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى وَنَحْنُ عَنْهَا فِي ذَهُولٍ. كَأَنَّمَا لَا عَطْلَةَ. أَوْ كَأَنَّمَا لَسْنَا فِي أَشَدِّ الْحَاجَةِ إِلَى الْإِسْتِجْمَامِ<sup>2</sup>.

أَيْنَ سَنَصْرِفُ أَيَّامَ الْعَطْلَةِ؟

يَقْتَرِحُ عَلَيْنَا الْبَعْضُ أَنْ نَقْضِيَ أَيَّامَ الْعَطْلَةِ مُعْتَزِّلِينَ عَنِ النَّاسِ إِمَّا فِي جَبَلٍ. وَإِمَّا فِي شَاطِئٍ. وَإِمَّا فِي مَوْضِعٍ قَصِيٍّ نَاءً.

هَذَا رَأْيِي لَا بَأْسَ بِهِ غَيْرَ أَنَّنَا نَعْرِفُ بِالْإِخْتِبَارِ أَنَّ الْوَحْدَةَ تَحْمِلُ الْمَرءَ عَلَى التَّفْكِيرِ وَنَحْنُ إِنَّمَا نَرْغِبُ فِي الْبَعْدِ عَنِ الْجُرِيدَةِ لَعَلَّنَا نَبْعِدَ عَنِ التَّفْكِيرِ.

وَالْعِزْلَةُ تَسْتَدْعِي أَنْ يَوْجِدَ الْإِنْسَانُ لِدَايَتِهِ مَا يَلْهُو بِهِ. وَلَهُوَ<sup>3</sup> الْكَاتِبُ أَنْ يَكْتُبَ. وَالشَّاعِرُ أَنْ يَنْظُمَ. وَمَا هَذَا الَّذِي نَبْغِيهِ وَنَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الْعَطْلَةِ. فَإِنَّ الْعَطْلَةَ مَعْنَاهَا الْإِنْقِطَاعُ عَنِ الْعَمَلِ. إِذَنْ فَلْنَعْرِقْ فِي النَّاسِ لَعَلَّنَا نَنْسَى أَنْفُسَنَا. وَلَعَلَّنَا نَذْهَلُ وَلَوْ قَلِيلًا عَمَّا نَحْنُ فِيهِ الْآنَ.

السَّمِيرُ: 18/8/1954

1 التَّنْذِرُ التَّعْلِيلُ النَّافِي.

2 الْإِسْتِجْمَامُ: يُقَالُ إِنِّي لَا اسْتِجِمُ قَلْبِي بِشَيْءٍ مِنَ اللَّهْوِ لِأَقْوَى بِهِ عَلَى الْحَقِّ.

3 هَا بِالشَّيْءِ لَهْوًا لَعِبَ بِهِ أَوْلَعَ بِهِ وَاللَّهُوَةُ مَا يَلْهَى بِهِ.



## الخوف أصل الحرب

ما برح الإنسان منذ وجوده على الأرض في حرب مع العناصر والآفات الطبيعية.  
والأصل في كلِّ حرب هو الخوف.

خوف الإنسان من الصُّواري والأفاعي قاده إلى ابتداء الهراوة والنَّبوت والمقلاع والشَّهام والحراب.

وخوفه من أذى العواصف والأمطار والثلوج هداه إلى النَّار كما قاده إلى المغاور والكهوف ثمَّ إلى بناء الأكواخ والبيوت. وصنع الكساء من الجلد والنسيج ليقى جسمه فتكات الزَّمهرير.

خاف من الجوع فأخذ يخترن الأثمار والحبوب واللحوم.

وخاف من العطش وهو بعيد عن مجاري الماء فاصطنع من الطين أكواباً وأباريق.

وخاف من جاره فبنى المتاريس حول دياره.

وخاف من الليل فأوقد النَّار عند خيمته وزعم أنَّها هداية المدلَّجين<sup>1</sup> في الظلام.

وخاف أن يعبر النَّهر سباحة فمدَّ فوقه جسراً.

هذه حروب الإنسان في بداوته ولا يزال اليوم في حرب مع الأمراض وعناصر الطبيعة.

وقد كان طيلة الأجيال الغابرة بالرَّغم ممَّا أحرزه من الانتصارات يحسُّدُ الطُّيور لأنَّها أسرع منه ولا اعتقاده أنَّها أسعد وأهنأ منه. ولكم غمٌّ لو نَبَّتْ له أجنحة لعلَّه يطير إلى الحبيب أو إلى الوطن البعيد.

وتقدَّم مع السنين وارتقى واستنبط الباخرة والقطار والتلفون والتلغراف والراديو وأشياء أخرى مثلها في الأهمية. إلا أنَّ رغبته في قهر المسافة وتدويخ الأبعاد لم تتحقَّق له إلا في هذا الجيل. فقد صارت المسافة التي كان يظنُّ أنَّها لا تُطوى تُطوى كأنَّها ثوب أو قرطاس.

وهذا يبرهن أنَّ كلَّ حلُم يمرُّ في خاطر الإنسان قابل التَّحقيق. ومن هنا استمرَّ إعجاب الناس بقول نابوليون «لا مستحيل».

أجل. إنَّ القوَّة الكامنة في الإنسان لا يمكن أن يوضع لها حد تنتهي عنده.

ولكنَّ الإنسان مع كلِّ عِلْمه وحكمته - وقدرته لم تُطهَّر<sup>2</sup> نفسه بعد من الشَّوائب<sup>3</sup>. فهو لا يزال كإنسان الكهف في نزوعه إلى الفتك لا بحيوان بل بأخيَّه الإنسان.

1 أدلج: بتشديد الدال سار من آخره والإسم أيضاً الدُلجة والدُلجة.

2 تطهَّر: فعل مضارع أصله تنطهَّر والتاء في أوَّلُه تسمى تاء المضارعة أو الزائدة ويجوز حذفها وهي لغة بليغة.

3 الشَّوائب: الأقدار والأذناس.

نعم إنَّ الإنسان اليوم لا يخاف من أي شيء إلا الإنسان.  
ويلوح أنَّ الناس وإنَّ تشابهت سَحَنَاتِهِمْ<sup>1</sup> وتماثلت أغراضهم في الحياة فيهم ذئاب يلذُّ لها ومن طبيعتها أن تفرس. وفيهم نعاج وحلان لا قُدْرَةَ لها على ردِّ الذئاب عن لحومها..  
إنَّ حضارة الإنسان مهما تبلغ من السُّمُو تظلُّ حضارة مشوَّهة حتى يتمكن من الانتصار على الوحش القديم الرابض في كيانه. فلا يعود إنسان يخشى أذى من إنسان.  
وعندئذ تبطل الحروب ويَسُمُّ الإنسان..

السَّمير: 20 / 8 / 1954

## المعرفة والمسؤولية

يسألني البعض كيف أختار مواضيعي فجوابي هو أنني لا أختار ولا أنتقي بل أتناول ما يعرض لي من حوادث أو شؤون وما أكثر الشؤون والحوادث التي يقدِّر الكاتب أن يستخرج منها عِظَةً أو عِبْرَةً أو فِكاهَةً. مثال ذلك أنني جئتُ إلى مكتبي في هذا الصباح وليس في ذهني أيُّ موضوع فوق نظري وأنا أطلع جريدة التَّأيمس على عبارة أعجبتني لصِدْقِها فوقفتُ عندها ووجدتُ فيها باباً إلى موضوع خطير.

هي عبارة وردت في خطاب ألقاه العالم الدانمركي ميلز يوهنر المعدود من أعظم علماء الذرة في العالم وهي أن مسؤولية الإنسان تزداد كلما ازدادت معرفته.  
ما أصدق هذه العبارة فإننا نتجاوز عن هَقَوَاتِ الطُّفْلِ لأنَّه لا يعرف ونحن نعرف. ولا نحمله مسؤولية لأن معرفته بالأُمور ضئيلة.

فهو عندما يقصف غَرْسَةً بجهل أنه يُودي بتعب وجهد ومالٍ ويقضي على مَوْرِدِ رِزْقٍ أو مشهد جميل. إنَّه لا يقصد غير العبث. ويحيي الرجل صاحب الغَرْسَةِ العَئِيلَ<sup>2</sup> فيهرُّ رأسه أسفاً على جهوده ولكنَّه لا ينتقم من الولد الجاني بل يذهب إلى والديه يسألهما أن يفهما ولدهما أنه قد أساء وأفسد. وأن تلك الغرسة لو تركها تعيش لأزهرت وأثمرت فلو كانت له أكان يرضى أن يتلفها أحد.  
إنَّ الإنسان العارف يعذر أمَّا الجاهل فلا يَعرِف ولا يَغْفِر ولا يعترف بذنب ارتكبه.

1 السَّخنة بفتح الحاء المهملة وقد تُسَكَّن.

2 العتيلة: في الأصل والأصح العتيل؛ عتل الرجل جذبه جذباً عتيلاً. متى كان فعول بمعنى الفاعل كصبور وفعيل بمعنى المفعول كجريح لا تلحقهما تاء التأنيث فيستوي فيهما المذكر والمؤنث مع ذكر الموصوف فيقال رجلٌ صبور وامرأة صبور و غلام جريح وفئة جريح فإذا لم يذكر الموصوف لزم التاء مع إرادة المؤنث فتقول رأيت حريحاً إذا أردت جريحاً وجريحة إذا أردت امرأة. (راجع الشَّرتوني ج4 ص 106).

ولهذا يصعبُ على العاقل أن يقنعَ جاهلاً بأنه على خطأ أو أن يحوِّله عن رأي اعتنقه ولكنه لا يلومه ولا ينتقم منه لأنه أدرك أنه غير مسؤول وهو غير مسؤول لأنه لا معرفة له .

ولكنَّ حصر هذا الموضوع في شخص أو جماعة ليس من الحكمة ولا سيَّما بعد أن بات العالم ينام ويفيق وهو خائف من القنابل الذريَّة ... من إنسان غير مسؤول يلذُّ له أن يمتحنَ فعلها في البشريَّة ..

هذا ما حمل العالم الدانمركي على إلقاء خطابه داعياً الدُّول إلى التفاهم بشأن هذا المارد<sup>1</sup> الرابض على صدر الإنسانيَّة كالكابُوس واستخدام الطاقة الذريَّة لخدمة الإنسان لا لإبادته واستئصاله .

والعلَّماء في هذا العصر هم الأنبياء الذين أوتوا من المعرفة أكثر ممَّا أُوتِيَ سواهم من الخلق . إنَّهم يتكلَّمون عن معرفة . وهم الناس الذين يجبُ أن يثقَ به الناس . والخير في الإصغاء إليهم والعمل بنصائحهم فهم يعرفون ما ينتظر الإنسانيَّة من ويلٍ إذا وسوسَ إبليس لمن يملكُ القنابل الذريَّة فاستعملوها للفتك والتدمير . وما تجنيه من خيرٍ إذا وُجِّهَتْ إلى خدمة الإنسان في السَّلم .

السَّмир : 14 / 10 / 1954

## الزَّوبعة هازِل

إنطلقت في الأرض كاسحة جارفة تنشر الموت والخراب والهول في طريقها لا تُميِّز بين شجرة تفَّاح وشجرة حنظل . ولا بين كهل في السَّتين وطفل في السادسة . ولا بين كوخ في حقل وبيت على شاطئ بحر أو زورق في ثغر .

هي تلك القوَّة العمياء الهوجاء التي يشاهد الإنسان مفاعيلها ويرى ضحاياها وتعجزُ عيناه عن أن تراها . لأنَّها تسعى بلا قدَم وتنبْطشُ بلا سيف ولا رُمح .

هي الزَّوبعة الثامنة التي أطلقوا عليها إسم هازِل كما أسَمَوْا الزَّوابع السَّبع التي سبقَتْها بأسماء نساء . فهل تراهم تَمْشَوْا بهذه الأسماء على حروف الهجاء لأنَّهم يتوقَّعون حدوث ثمانٍ وعشرين زوبعة في هذه السَّنة . أم تراهم أرادوا من هذه الأسماء الجميلة اللطيفة إدخال شيء من الطَّمَأْنينة إلى القلوب ؟ .

أم أن ذلك مجرد عبث وهو ؟

إنَّ تتابع هذه الأعاصير الهوجاء<sup>2</sup> واحدة إثر الأخرى ظاهرة غريبة في الطَّبيعة ... غريبة على الأقل فينظر الإنسان الذي عرف شيئاً من أسرار الكون وفاتته أشياء . وكلُّ مجهول يبدو غريباً .

1 المارد : العاتي .

2 الهوجاء : الهوج الشَّرع والحمق .

فهل تكون الغاية الخفية من هبوب هذه الأعاصير الفتاكة صرف الناس عن التفكير بإضرار حرب هيدروجينية أو ذرية أو إبليسية.. إلى التفكير باستحداث وسائل تحميهم من غضبات الطبيعة وثوراتها الجنونية فإن هذا الإنسان لا ينفك مغترأ بقوته معتزاً بأعماله ومخترعاً حتى تنزل به كارثة أو جائحة طبيعية ليست في حسابه فينكشف له ما فيه من عجز وضعف وهوان وغرور. بلغت ضحايا هذه الزوبعة مائة وخمسة أنفس. أما الخسائر المالية فتقدر بمئات الملايين في هايتي وتسع ولايات أميركية.

وهناك خسائر معنوية قلما تناولها إحصاء وهي ما استولى على الناس الذين في درب الزوبعة من القلق المضنك. وما استحوذ على أنسابهم وأصدقائهم من الجزع عليهم. وأخيراً تلاشت هايزل واضمحلت قواها في مدينة تورنتو كندا ولكن بعد أن عاثت فيها وفي ما حولها على مسافة خمسة أميال فساداً وتخريباً. فقد قتلت هناك أكثر من ستين شخصاً وبلغ من هولها أن الماء تعالى في الشوارع من تتابع المطر وغزارته فإذا المدينة كأنها في طوفان. وقد جرف الماء سبعة عشر منزلاً من أحد الشوارع إلى النهر وكان ذلك عند منتصف الليل. وقذفت الزوبعة سيارتين بمن فيهما إلى النهر. فاستخدمت السلطات طائرات الهليكوبتر لإنقاذ الغرقى من النهر الطأغي. ويتطلع الناس الآن إلى السماء فيرونها تضحك كأنها خارجة من عرس<sup>1</sup>...

السَّمير: 18/10/1954

## المدرسة الضرورية

أعتقد أن لبنان لا يحتاج اليوم إلى مدارس ولا سيماً مدارس العلوم النظرية. فهذه كثيرة فيه. بل هي أكثر مما يجب أن تكون فيه. وحاجته الكبرى إلى أرض تصلح للزراعة وماء كاف لري المزارع والحقول والبساتين. ونفوس لا تأنف من العمل في الأرض ولا يستحي أصحابها أن تتلوث أيديهم بالتراب.

«وإذا كان لا بُدَّ من إنشاء مدرسة جديدة فيجب انشاؤها للكبار». ولا سيماً أولئك الناس المستأثرون بخيرات الأرض وجهود المساكين.

مدرسة يتعلمون فيها أن الوطن لا يسعد وفيه فئات محرومة شقية.

«مدرسة تلقن طلابها قبل كل شيء أن حرية المرء تنتهي عند حرية الآخرين. وأنه فوق الكل لا

1 العرس بوزن القفل طعام الوليمة بذكر ويؤت وجمعه أعراس وعرسات.

خِرْقَةً<sup>1</sup> تُطَوَّى وتُنَشَّرُ بِحَسَبِ<sup>2</sup> الأهواء والغايات.

«مدرسة تغرسُ في عقول تلامذتها أنَّ كُلَّ مواطن مسؤول عن سعادة جاره وسلامته وصيانة حرثه وضرعه وماله وكرامته وأنَّ الوطن جسم إذا تَطَرَّقَ الفساد إلى عضو مِنْ أعضائه تألَّم كُلُّه ووهن كُلُّه».

إنَّ الكلام المتقدم مقتطف من رسالة بعث بها صاحب «السَّمير» إلى صديق له كتب إليه يستفسره عن رأيه في مشروع مدرسة جديدة في لبنان وفي الواقع أنَّ حاجة لبنان الأولى في هذا الباب إلى العلوم العمليَّة التي تُوَدِّي إلى تحسين البيت والحقل والطريق وتُغني الوطن عن أشياء كثيرة يستوردها مِنْ الخارج فيغيِّر العلوم العلميَّة الحديثة لا تتقدَّم زراعة ولا صناعة ولا فن. وتظلُّ موارد الرزق بدونها شحيحة.

لا يصرف الناس عن الجدل إلا العمل فلولاً البطالة والفراغ الكبير لما نشأت قضية كتاب الخالدي ومسألة جورج شكر.

وإلى أن تزول البطالة ويستهدف كُلُّ إنسان إسعاد غيره بإسعاد نفسه ستظلُّ هذه المنازعات الجاهليَّة تذرقرونها بين فترة وأخرى.

ولو أنَّ الأعوام التي قضاها الشَّرقيُّون في الجدل الدِّيني واللاهوتي صرفوا جزءاً يسيراً منها في استثمار القوى والعقول البشريَّة واستغلال الأرض وما في جوفها مِنْ كنوز لكانوا هم اليوم قادة العالم.

فيا ضيعة الأجيال التي انقضت في اللُّهو والعبث.

السَّمير: 1954/10/29

## عيد الميلااد

أرسلنا مِنْ قَبْل كلمة عن عيد الميلااد تذكيراً للأنسباء والأصدقاء والرِّفاق بأنَّ لهم وراء البُخر أنسباء وأصدقاء ورفاقاً أعزَّاء هم الجنود. وأنَّ هؤلاء الغائبين لا يَخْتَصِرُ المسافة إليهم مثل رسالة أو هدية يشعرون معها أنَّهم غير منسيين.

واليوم نرى مِنْ واجِبنا أن نرسل كلمة حول «عيد الشُّكر» الذي أصبح على الأبواب. إنَّ كثيرين يحسِّبون أنَّ كُلَّ ما يتطلَّبه العيد منهم هو أن تفتك سكاكينهم برقاب الدِّيوك الهنديَّة وأنَّ

1 الخِرْقَة: القطعة من خِرْق الثوب.

2 بِحَسَبِ قالوا: ليكن عَمَلُكَ بِحَسَبِ ذلك بالفتح أي على قَدْرِهِ.

تفتك أسنانهم بلحومها.

أو أنهم يحسبون العيد هو أن يلتقوا في ذلك اليوم هم وأحبابهم وأصحابهم حول مائدة واحدة فيشربون الخمر ويأكلون الأطياب. ويشكرون الله لأنهم اجتمعوا وشربوا وأكلوا..  
أجل. هذا كله يجري في العيد. ويرافقه في كل مدينة وقرية ودشكرة. وهذا كله من العيد. ولكنه ليس العيد.

إن الصحة شيء ثمين بل هي أثمن الأشياء التي يملكها الإنسان فشكر الله عليها واجب.  
ووجود الأهل حول المرء تخفق قلوبهم بالحب له هو من النعم والآلاء. ومن الواجب أن يشكر العناية من أجل ذلك.  
والصاحب الوفي الصادق الود بركة من السماء فعلى الإنسان الذي له هذا الصاحب أن يشكر الحياة على منحها الغالية.

ووجود الإنسان في حالة رخاء وطمأنينة نعمة كبرى وشكر الله ضروري فقد قيل بالشكر تدوم النعم.  
إنما الإقتصار على هذا النوع من التفكير يدل على أنانية طاغية. والأنانية الطاغية ليست شيئاً حسناً.  
ولا صفة ممدوحة.

إذن يجب علينا في عيد الشكر أن نفكر تفكيراً عميقاً بالغير. لكي نقوى فينا عادة التفكير بسوانا فنذكرهم في كل يوم من أيام السنة.

أجل. لنفكر بالعاثرين الشاقطين في معترك الحياة. الذين شلت منهم العزائم والأرواح. وأن نحنو عليهم كما نحنو على جندي أصيب في المعركة فانعطب. بل يجب أن نساعدهم ونشكر الله أننا قادرون على أن نساعدهم.

لنفكر في العيد بالمرضى والعجزة والأيتام والفقراء ولنعمل على نجدتهم بالدواء والغذاء والكساء ولنشفع هذه كلها بالكلمة الطيبة التي ترمو إليهم نعمة الرجاء. وتجدد إيمانهم بالمتهدم بالحياة والناس.  
أنت بالطبع لا تقدر أن تفعل وحده كثير؛ فجهود الفرد محدودة.

ولكنك إذا فعلت ما تقدر عليه. وصنع غيرك ما في طاقته. اجتمع من قليلك وقليله شيء كثير.  
فاذكر في عيد الشكر الجمعيات الخيرية والمؤسسات الإنسانية. وامد يدك إليها بالمعونة مهما تكن ضئيلة.

وفي وطنك الأول فقراء وتعماء وأرامل وشيوخ عاجزون. فاذكرهم وأجعل غيرك يشترك معك في تخفيف بلواهم.

وإذا نسيت فلا تنس اللاجئين المشردين.

إننا نناديك لأننا نعرف أنك غير بخيل فقد رأيناك تنفق الألوف على الأعراس والولائم والمآتم.

كما رأيْنَاكَ تفتحُ يدك وجيبك لمشاريع هوائِيَّةٍ آخرَ مَنْ يؤمِّنَ بصحَّتِها أو نفعِها - أنتَ .  
إذا فعلتَ في العيد شيئاً ممَّا ذكرناه لك فمن المؤكَّد أنَّكَ ستكونُ أكثرَ غِنطةً وفرحاً عند جلوسك  
أنتَ وأهلك وأصحابك حول المائدة في العيد .  
ومن الثابت المحقَّق أنَّ اللُّقمة تصير في فمِكَ ألذَّ وأطيب .

السَّمير: 21 / 11 / 1954

## الشَّيخ والطفل

يمثِّلُ المصوِّرون العام المُشرف على النهاية شيخاً تعباً منهوِكاً شَحَّ فتيلُ حياته واقتربَ مِنَ الإنطفاء .  
كما يمثِّلون العام الطَّالع مِن وراء الحجاب طفلاً صغيراً تطفح قسَمات وجْهه حياة وحبوراً . وأملاً  
مُيَّراً .

هي رواية تتكرَّر عند الناس كلِّها دارت الأرض دورة فيزعمون أنَّ السَّنة التي انتهت قد زالت  
وصارت أثراً بعد عين مع أنَّها لا تزال باقيَّة فيهم .. في ما قالوا وما عملوا .. في البيوت التي شادوها .  
والطرق التي عبَّدوها . والأشجار التي غرسوها . وفي الصُّور التي رسموها . وفي الحروف التي  
كتبوها .

ولِى النَّاحية الأخيرة نظر الشَّاعر القائل :

فلا تكتب بكفِّكَ غير شيء يسرُّكَ في القيَّامة أن تراه

وكان كلامه أتمَّ وأعمَّ لو قال « يسرُّ الناس دوماً أن يروهُ » .

أجل . إنَّ الإنسان هو الذي يصنع سيرته ويرسم صورته للناس أصدق رسم وأدق تصوير بما يقول  
ويفعل .. إنَّه يدلُّ الناس على مكنونات نفسه وإنَّ ظنَّ أنَّه بما يعمل يستر تلك المكنونات عن العيون .  
كما إنَّه يدلُّهم على مقدار فهمه أو غباوته وحُسن أدبه أو سوء أدبه . فليس أحد سواه يخبر عنه مثلاً  
يخبر هو عن ذاته .

ولا يقدر أحد أن يسيءَ إليه كما يسيء هو إذا حمق إلى نفسه .

وإذ جاز أن نقول كلِّها سلخنا آخر ورقة في الروزنامة « إنتهت سنة » فلا يجوز القول أنَّ ما جرى في  
تلك السنة قد انتهى أو مضى بل هو باق فينا وفي ما فعلناه . وعليه يجدر بكلِّ إنسان في هذه الفترة مِنَ  
الزَّمن أن يعودَ إلى نفسه فيحاسبها فيدوِّن لها الحسنات ويقابلها إلى ما اقترفت مِنَ سيئات . فإذا رجحت  
كِفَّة الحسنات حقَّ له أن يستقبل السنة الجديدة معترفاً فخوراً . أمَّا إذا رجحت كِيفَّة السيِّئات فخليق به أن  
يستغفر ويتوب ويستقبل السنة الجديدة والرَّغبة في الخير . تملأ صدره . فإنَّ الأصل في كُلِّ عمل جميل  
كان أم قبيحاً هو رغبة المرء فيه .

أجل إنَّ السنة المُصَرِّمة سوف تبقى معنا وإنَّ انطوتْ أَيَّامُهَا فإنَّ ما فعلناه في أَيَّامِهَا لم ينطو معها .  
ولسنا نحن الذين يفنون الزَّمن بل هو الذي يفنينا . فما أحسن أنْ نَفْنَى في ما هو خير وجمال ومحبة .  
إنَّ الذين يسرون على طريق الحقِّ والخير والجمال هم الشُّهداء الذين تباركهم الحياة .  
أمَّا الأشرار فلا سعادة لهم ولا هناء .  
وإذا متَّعدوا فلا تدوم سعادتهم أكثر ممَّا يدوم زهر الزَّيزفون .

السَّهير : 27 / 12 / 1954

## اللُّورق السَّاقطة

غداً تسقط آخر ورقة في الروزنامة التي صاحبها الناس ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً بأصباحها  
وأمسائها . بحسناتها وسيئاتها . بيسرها وعُسرها وخصبها وقحطها . ولكلِّ يوم خيره وشره .  
وكانتْ كلِّما غابتْ شمس تسقط منها ورقة وتغيب في هاوية الأبد . فما انتبهوا إلى سقوط ثلاثمائة  
وأربع وستين ورقة وانتبهوا بكلِّ جوارحهم وكلِّ أفكارهم إلى سقوط هذه الورقة الأخيرة . وترنَّحوا  
طرباً لسقوطها كأنَّها سقطتْ معها جبال من الأثقال عن أكتافهم . وكأنَّها غاب معها كلُّ شرٍّ يخافون  
وكلُّ شيء يكرهون .  
إنَّ سقوط ورقة من رُوزنامة أو كتاب أو سقوط ورقة من شجرة بل سقوط شجرة نامية بكلِّ  
أوراقها لا يُطرب جندياً ولا يُبهج نَحلة . والدليل أنَّ الجنادب والنَّمال لم يتبدَّل من أطوارها شيء . فما  
تزال النَّملة تكدُّ وتكدح . ولا يزال الجُنْدُب يشب ويصدق .  
ولكن البَشَر رأوا في سقوط ورقة من تقويم السَّنة باعثاً على الطرب والمرح .  
وغداً يحجى اللَّيل فتعجُّ المراقص وتكتظ الملاهي بالزَّاقصين الضَّاحكين . وتغصُّ الشوارع  
بالبلاعبين العابثين . وتمتلئ البيوت بالسَّاهرين الآكلين الشاربين أو بالصَّافرين الزَّامرين . أو بالمضاربين  
المقامرين الذين يتوسَّمون الخير في وجوه الفتيان والبنات المرسومة على الورق ويتسَوَّون في غَمرة الأمل  
فتياهم وفتياتهم وقد يكونون على قَيْدٍ<sup>1</sup> خطوات منهم ..  
السُّرُّ في هذا الذي يعملُه النَّاس كلِّما انصرم عمر سنة هو أنَّهم يشعرون بانتصارهم على الوقت .  
وإنَّ كان انتصاراً سراًبيئاً لا بقاء له ولا دوام .

وما أشبه الإنسان الفارح بانقضاء سنة من الدَّهر الذي لا ينقضي بمسافر طريقة طويلة وهو يعرف  
أنَّه طويل وأنَّ نهايته تعني نهايته فهو كلِّما وجد واحة ظليلة ألقى رحاله وأقام هُنيئة يستريح في فيها

1 القيد المقدار يقال بينهما قيدٌ رُمح .



ويروي عطشه بائها ثمَّ يرحل عنها ليتابع السير في الطريق إليها التي لها أمام وليس لها وراء. فالذين يفرحون بانقضاء سنة ويستبشرون بقدوم سنة هم كلُّهم هذا المسافر.  
إذن ليضطرب مَنْ شاء أن يضطرب. وليلعب مَنْ يسعده أن يلعب. ولنملا كلنا الدنيا هزجاً وغناء حتى ترقص النجوم في الفلك وتغني معنا الجبال والبحار.  
«فَمَنْ يَعْلَمُ بَعْدَ الْيَوْمِ مَا يَحْدُثُ أَوْ يَجْرِي؟»  
مَنْ؟

السَّعِيرُ: 1954 / 12 / 30

## الشعر المنشور

ليس في مهازل الحياة ما يستدعي ضحك الأديب العربي مثل الكلام المملوك الذي يحاول أصحابه إكراه الناس على مطالعته فيسمُّونه «شعراً» ويخشون الفضيحة فيلجفون هذه التسمية بقولهم «شعر منشور».

وتخدعك التسمية فتهمج على قراءة هذا الشعر المنشور.. فيصيبك نوع من الغثيان الذي يصاب به متنشق الغاز. أو إذا لم تخدعك التسمية لمعرفة سابقة لك بهذا الصنف من الهذيان فإنك تشيح بوجهك عنه فتسلم روحك من التمرمر ورأسك من الغثيان ويسلم أصحابه من تجديدك<sup>1</sup> ولعناتك.  
إن أصحاب هذه الطريقة مثل الدعاة إلى العدول عن اللغة الفصحى إلى اللغة العامية يكبر عليهم أن يعترفوا بالعجز الذي فيهم فيتهمون اللغة بالعجز.

وعبثاً تقول لهم أن اللغة العامية كانت فصيحى وفستدت. مثلما تفسد الخمر فتصير خللاً.. وهذا الذي يسميه أصحابه شعراً منشوراً يخرج عن أن يكون شعراً كما يخرج عن أن يكون نثراً. فهو إذن خمر فستدت فصارت خللاً. ولعل الأصح أن نقول أنه خل في الأصل يقدمه أصحابه إلى الناس في كؤوس الخمر تضليلاً للناس.

وهذا تمويه وتضليل لا يليق بأي إنسان يحاول أن يتسبب إلى الأدب ويخصي نفسه في صفوف أهله.

إن الشعر غير المؤزون كثير ولكن ليس منه شيء في ما نطالعه من ثمرات صيبانية هي عار على الشعر والنثر معاً لأنها ليست كلاماً مستقيماً يحوي معنى أو يشتمل على فكرة أو صورة ولكنها حروف تنمق وكلمات تزوق لا رابط بها من شعور أو فكر. وينتهي القاريء منها فإذا به للخيبة كالفارس بيده

1 التجديف الكفر بالنعم وقيل هو استقلال ما أعطاه الله. عز وجل.

على الهواء.

ومثل هؤلاء دُعاة الشعر الرّمزي بل إن هؤلاء أشدّ ضلّالاً وأكثر سخفاً<sup>1</sup>. وأيُّ ضلال أعظم من أن ترسم حجراً لتلقي في ذهن رائيه أن البيت يبني بالحجارة. هذا ما يريدك منك ولكن هذا الحجر الذي يُبنى به البيت يجوز أن يسقط على رأسك فيقتلك إمّا بدافع عاصفة وإمّا بيد عدوّ.. وهو من ناحية أخرى رمز الجهاد والصّلابّة. ويرمز أيضاً إلى العقبات والعثرات.

وهكذا ترى أن التخاطب بالرّموز ليس للقوم المتمدّنين فإنّ المتوحّشين هم الذين يستعينون بالرّموز للإعراب عمّا في نفوسهم.

السّمير: 14 / 1 / 1955

## النّجاح والفشل

يتعجّب الناس كيف أن أناساً ينجحون على غير أهليّة ولا استحقاق وكيف أن أناساً ذوي أهليّة لا ينجحون.

إنّ النّجاح كلمة يمكن تأويلها وتفسيرها تفاسير مختلفة ومُضاربة وفقاً<sup>2</sup> لاختلاف النّظر إليه. غير أن هناك قاعدة عامّة ومقياساً شاملاً للنّجاح بكلّ أشكاله وهي أن يباشر المرء عملاً ويُخرجه على أحسن ما يكون. فإذا هو أكمله عدّ ناجحاً وإذا قصر عن القيام به عدّ فاشلاً.

بعض الناس لا يصلحون لأن يكونوا تجّاراً مثلاً ولكنهم يروّجون تجّاراً ناجحين فتخلّق فيهم رغبة بأن يكونوا تجّاراً فلا يصيرون ولا يُفْلِحون. فيخرجون من حومة التّجارة وهم يُسبّون فشلهم إلى الحظ وإلى الظروف وإلى الشّرائع وإلى كلّ أحد في الدّنيا إلا أنفسهم.

وما يصدّق في التّجارة يصدّق في كلّ حومة<sup>3</sup> أخرى. فإنّ الإنسان مطبوع على المحاكاة والتّقليد ولا سيّما إذا كان ممن لم يرزقهم الله ذكاء خارقاً أو لم يمنحهم موهبة من المواهب.

كلّنا مثلاً نحبّ أن نغني ولكن الذين يحسنون الغناء أو يستطيعون أن يحسنوه قليلون وهؤلاء القليلون هم الذين يشتهرون لأنهم خلّقوا لهذا الفنّ.

وكلّنا نريد أن نقود أمّنا إلى مراتع الحرّيّة والكرامة ولكن الذين أوتوا المقدرة على هذا الأمر لا يولدون كلّ يوم ولا يهبطون من السّماء مع المطر. إنهم كالماش ذلك المعدين<sup>4</sup> الكريم فهو لا يصير إلى

1 الشّخف: رِقّة العقل فهو سخيف.

2 الوفاق من الموافقة بين الشيئين كالإلتحام يقال حلوبته وفق عياله أي لها لبن قدّر كفايته لا فضل فيه.

3 حومة القتال مُعظّمه.

4 المعدين مكان كلّ شيء فيه أصله وموضع استخراج المعادن من ذهب وغيره.

حالته من الصفاء واللمعان إلا بعد أجيال تمر عليه ويكون في طبعه ما يعين السنين في عملها.  
وما من إنسان لا يحلم بأن يخلد اسمه في التاريخ بآية من علم أو فن أو مغامرة أو اكتشاف غير أن  
الذين يستطيعون أن يحققوا هذه الأحلام هم القوم المختارون.  
ليس كل من يقول «يا رب يا رب» يدخل ملكوت السماء لأن كثيرين ترقص كلمة الرب على  
شفاههم وفي قلوبهم تراقص الشياطين.  
لا بُد من الكفاءة والأهلية في كل فن وعلم وصناعة وتجارة. أمّا الذين ينجحون ولا أهلية لهم  
فإنهم في الواقع ينجحون على حساب الأهلية في غيرهم. أو على حساب وضعيّة في المحيط أو ظروف  
أوجدتها غيرهم فسهّل على أمثالهم استغلالها.  
ومن الناس من يُدركون نجاحاً وهم أشرار وفيهم طبائع اللصوص والمحتالين والعيّارين<sup>1</sup>.  
هؤلاء أيضاً أصحاب أهلية ولكن في باب غير مشروع. وما يبلغونه من النجاح تظل راحته كريمة  
وصورته دميمة شوهاء. ولا بُد في النهاية أن يتبدّد نجاحهم كالشراب فلا يبقى لهم ممّا كسبوا بالحرام  
إلا العار.  
إن للحياة نواميس لا يقدر أن يعبث بها إنسان بل لا يقدر أن ينجو من طائلها<sup>2</sup> إنسان مهما يبلغ  
من القوة والسلطان.

السّمر: 27 / 1 / 1955

## أنواع الخوف

قال لنا أحد زوّارنا الكثر:

«إذا كان الذين يملكون القنابل الأتوميّة والهيدروجينيّة يملّكهم الذعر منها فكم يجب أن يخافها  
الذين لا يملكونها. ولا يعرفون كيف يستنبطونها ولا كيف يتّقونها. وليس لهم قدرة على منع مالكيها  
من إستخدامها في الحروب».

وقفنا عند مفاجأة الزائر إيّانا بهذا السؤال مبهورين لأنّه في الواقع سؤال وجيه. ولكننا بعد قليل من  
التأمّل والتّفكير أجبناه بما يلي:

«إنّ الذين يملكون القنابل الذريّة يخافونها أكثر من سواهم لأنهم مطلّعون على أسرارها عارفون  
بفتكاتها وأهوالها إذا انطلّقت من عقاليها<sup>3</sup>. وليس خوفهم ممّا في حوزتهم منها بل ممّا في حوزة<sup>4</sup> غيرهم

1 العيّار من الرّجال الذي يتبع هوى نفسه.

2 الطائل: النّفع يقال هذا أمر لا طائل تحته ج طوائل.

3 العقّال: الحبل الذي يعقل به البعير ج عقّل (والبعير مجازي)

4 الحوزة: الناحية وحوزة الرّجل ما في ملكه وحوزة الإسلام حدوده ونواحيه.

مِنْ هَذِهِ الْأَسْلِحَةِ الْجَهَنَّمِيَّةِ. وَخَوْفُ الْمَرْءِ مِنْ سِلَاحٍ هُوَ بِفَتْكِهِ عَلِيمٌ أَعْظَمُ مِنْ خَوْفِ إِنْسَانٍ لَيْسَتْ لَهُ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ.

خَذْ مَثَلًا عَلَى ذَلِكَ إِذَا تَفَشَّى مَرَضٌ مُعْتَدًا فِي الْحَيِّ أَوْ فِي الْقَرْيَةِ أَوْ فِي الْمَدِينَةِ فَإِنَّ الْكِبَارَ الرَّاشِدِينَ هُمُ الَّذِينَ يَنْذِعُونَ. بَيْنَمَا الْأَطْفَالُ الَّذِينَ يَهْدُدُهُمُ الْوَبَاءُ قَبْلَ غَيْرِهِمْ لَا يَدْخُلُهُمُ الْخَوْفُ إِلَّا عَلَى قَدَرٍ مَا يَفْهَمُونَ خَطَرَهُ مِنَ الْأَمْهَاتِ وَالْآبَاءِ.

وَالنَّاسُ الَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ الْقُنَابِلَ الذَّرِّيَّةَ وَالْهَيْدَرُوجِيَّةَ شَأْنُهُمْ حَيَالُهَا<sup>1</sup> شَأْنُ الْأَوْلَادِ حَيَالُ مَرَضٍ تَفَشَّى فِي الْحَيِّ أَوْ الْقَرْيَةِ أَوْ الْمَدِينَةِ. لِأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ عَنْهَا إِلَّا مَا طَالَعُوهُ فِي صَحْفِ الْأَخْبَارِ مِنْ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ وَتَصَرُّحَاتِ الْخُبَرَاءِ.

قَدْ يَقُولُ قَائِلٌ إِنَّ خَوْفَ هَؤُلَاءِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ أَعْظَمَ لِمَعْرِفَتِهِمُ الضَّيْلَةَ عَنْ هَذِهِ الْأَسْلِحَةِ. وَهَذَا الْإِفْتِرَاضُ لَا غُبَارٌ<sup>2</sup> عَلَيْهِ وَلَكِنَّهُ لَيْسَ الْأَمْرُ الْوَاقِعُ. بَلِ الْأَمْرُ الْوَاقِعُ هُوَ أَنَّ هَؤُلَاءِ يَتَحَدَّثُونَ بِهَا كَمَا يَتَحَدَّثُونَ بِأَيِّ خَبَرٍ فِي سَهْرَةٍ ثُمَّ يَنْصَرِفُونَ عَنْهَا إِلَى مَوْضُوعٍ آخَرَ وَلَا شُكَّ أَنَّ الْجَهْلَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَوَاقِفِ نِعْمَةٌ لَيْسَ أَجَلٌ مِنْهَا إِلَّا نِعْمَةُ النُّسْيَانِ.

وَقَدْ سَمِعْنَا أَحَدَهُمْ يَقُولُ: مَا دَامَ الْمَوْتُ سَيَكُونُ بِالْجُمْلَةِ فَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَحْزَنَ وَلَا أَنْ يَجْزَعَ لِأَنَّهُ لَنْ يَمُوتَ وَخَذَهُ!!

السَّمِيرُ: 1955 / 2 / 23

## مَخْلُوقَاتُ ضَرُورِيَّةٍ

إِذَا ابْتَلَاكَ اللَّهُ أَيُّهَا الْقَارِيءُ الْعَزِيزُ بِإِنْسَانٍ ثَقِيلَ الظِّلِّ لَا يَشْعُرُ أَنَّهُ ثَقِيلٌ. مِثْلَمَا لَا يَشْعُرُ الْحَجَرُ أَنَّهُ حَجَرٌ وَالرَّصَاصُ أَنَّهُ رِصَاصٌ. يَدْخُلُ عَلَيْكَ وَأَنْتَ مُنْهَمَكٌ فِي عَمَلٍ تَسَابِقُ الْوَقْتِ لِكَيْ تَقْضِيَهُ. وَانْدَفَعَ يَسْأَلُكَ عَنْ صَحَّتِكَ ثُمَّ عَنْ تِجَارَتِكَ أَوْ صِنَاعَتِكَ. ثُمَّ عَنْ نَسِيكَ فَلَانٍ وَعَنْ قَرِيبِكَ فَلَيْتَانٍ. وَعَمَّا حَدَثَ فِي سُورِيَا وَجَرَى فِي لُبْنَانَ. وَهَلْ تَنْشَبُ الْحَرْبُ فِي الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ أَمْ تَذَرُ قُرُونَهَا فِي الشَّرْقِ الْأَدْنَى. فَعَلَيْكَ يَا صَاحِبِي أَنْ تَنْذَرَعَ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ وَالْحُلُمِ الطَّوِيلِ. وَأَنْ تَتَجَرَّعَ زَيْتَ الْخُرُوعِ. فَأَحَادِيثُ الثُّقَلَاءِ أحياناً مفيدة للستامعين مثل زيت الخروع وإن كانت كريهة المذاق مثله. ولماذا تتمللمل وتبترم به وبأقواله وتنسى أن النعمة تأتي أحياناً في ثوب نقمة. أليس أمراً ممكناً أن يكون القدر ساقه إليك لتعرف أنت مقدار صبرك على المكارِه.

1 حَيَاتٍ: الحَيَالُ قِبَالَةُ الشَّيْءِ وَيُقَالُ قَعَدْتَ حَيَالَهُ وَبَحَيَالَهُ بِإِزَائِهِ.

2 لَا غُبَارَ عَلَيْهِ: الْغُبَرَةُ الْغُبَارُ (وَالْتَّعْبِيرُ مَجَازِي).

أليس مِنَ الْمُحْتَمَلِ لو لم يَنْقَطِعْ عَلَيْكَ عَمَلُكَ هَذَا الوَاغِلُ أَنْ تَرْتَكِبَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ فِي عَمَلِكَ خَطَا  
يُفْسِدُ عَلَيْكَ كُلُّ مَا عَمَلْتَهُ . فِجَاءُ هَذَا الثَّقِيلِ لَكَ تَنْجُو مِنَ الْخَطَا الَّذِي كَانَ وَفَوْعُهُ مُمْكِنًا لو لم يَجِيءُ .  
أليس مِنَ الْمُمْكِنِ لو لم تَغْمِرِ الْهَرْدَةُ رَوْحَكَ مِنْ حَدِيثِهِ أَنْ تَنْظُرَ سَارِحَ الْفِكْرِ فِي عَالَمِ خَلْقِهِ لَكَ  
الْخِيَالُ فَذَهَلَتْ بِهِ عَنْ الْعَالَمِ الْمَحْسُوسِ وَمَا فِي هَذَا الْعَالَمِ الْمَحْسُوسِ مِنْ آفَاتٍ وَنَكَبَاتٍ وَبَلَايَا وَرَزَايَا .  
وَمَا فِي هَذَا الذُّهُولِ مِنَ الضَّرَرِ لِأَنَّهُ يُبْعِدُكَ عَنْ حَقَائِقِ الْعَيْشِ . فِجَاءُ هَذَا الثَّقِيلِ يَوْقُظُكَ مِنْ سُبَاتِكَ  
وَيُرِدُّكَ إِلَى دُنْيَا الْمَلْمُوسَاتِ . إِذَنْ فَهُوَ قَدْ أَفَادَكَ وَأَنْتَ تَنْظُرُ أَنَّهُ قَدْ أَضْرَكَ وَسَاءَكَ .  
لَكَ تَحْسُنُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِكَ وَيُظَلُّ إِيْمَانُكَ بِعَدْلِ الْحَيَاةِ يَجِبُ أَنْ تَتَذَكَّرَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا  
عَبَثًا حَتَّى الثَّقَلَاءِ . وَأَنْ وَجُودَ هَؤُلَاءِ لَيْسَ شَرًّا كَمَا تَتَوَهَّمُ .  
وَلِمَاذَا تَحْسَبُهُمْ مِنْ وَسَائِلِ الْأَذَى وَلَا تَحْسَبُهُمْ مِنْ وَسَائِلِ التَّرْفِيهِ .  
إِنَّ الْمَكَارَهَ تَزُولُ بِالصَّبْرِ عَلَيْهَا فَكُنْ مِنَ الصَّابِرِينَ تَكُنْ مِنَ الرَّابِحِينَ .

السَّعِيرُ : 11 / 3 / 1955

## تَكَرُّرُ الْمَشَاهِدِ

الْحَيَاةُ - وَإِنْ تَعَدَّدَتْ مَظَاهِرُهَا وَأَدْوَارُهَا تَكَادُ تَكُونُ صُورَةُ الْيَوْمِ الْوَاحِدِ صُورَةُ كُلِّ يَوْمٍ . وَحَالَةُ  
النَّاسِ فِي أَيِّ عَصْرِ هِيَ حَالَةُ النَّاسِ فِي كُلِّ عَصْرٍ . وَمَا جَرَى فِي زَمَانٍ هُوَ مِثَالُ لِكُلِّ مَا يَجْرِي فِي كُلِّ  
زَمَانٍ .

كَانَ مِنْ قَبْلُ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ نَاسٌ أَخْيَارٌ وَنَاسٌ أَشْرَارٌ . وَلَا يَزَالُ عَلَيْهَا نَاسٌ أَخْيَارٌ وَنَاسٌ  
أَشْرَارٌ .

وَكَانَ فِيهِمُ الْجَمِيلُ وَالْقَبِيحُ وَالسَّخِيَّ وَالْبَخِيلُ . وَالْمُحِبُّ لِلْخَيْرِ وَالْمَاقِتُ لِكُلِّ خَيْرٍ . وَالْمُجْتَهِدُ  
الطَّمُوحُ إِلَى الْمَجْدِ وَالْكَسَلَانُ الْقَانِعُ الْخَانِعُ الرَّاضِي مِنَ الدُّنْيَا بِكَسْرَةٍ خُبْرٍ .  
وَلَا يَزَالُ فِي الدُّنْيَا كُلُّ هَؤُلَاءِ الْأَصْنَافِ مِنَ الْبَشَرِ .  
كَانَ فِي الْأَرْضِ خَيْرٌ وَشَرٌّ وَجَمَالٌ وَقَبِيحٌ وَحُبٌّ وَبُغْضٌ وَعِزٌّ وَذُلٌّ .  
وَلَا تَزَالُ فِيهَا هَذِهِ الْأَضْدَادُ كُلُّهَا .

لِذَلِكَ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَتَعَجَّبَ مِنْ وَجُودِ إِنْسَانٍ يَبْغُضُ إِلَى جَانِبِ إِنْسَانٍ يُحِبُّ . وَمِنْ وَجُودِ  
إِنْسَانٍ يُحِبُّ الْهَدْمَ وَالتَّدمِيرَ إِلَى جَانِبِ إِنْسَانٍ مَوْلِعٍ بِالْبِنَاءِ وَالتَّعْمِيرِ . فَلَوْ كَانَ الْوَقْتُ كُلَّهُ فَجْرًا لَضَجَرَتْ  
الْعَيُونُ مِنْ رُؤْيَيْهِ . وَلَوْ كَانَ كُلُّهُ لَيْلًا لَتَسَاوَى فِيهِ الْمُبْصِرُونَ وَالْعُمَيَّانُ .

1 والكثرة بالكثرة القطعة من الشيء المكسور ج كسرة.

ولولا هذه التزعات<sup>1</sup> الشريرة في الأرض لما شعر أحد بالحاجة إلى نبي أو مُصلح. بل لما كان لأي نبي أو مُصلح فضل في صلاح دعا إليه أو طلاح نهى عنه.

إذا عرف الإنسان هذه الحقيقة أي أن وجود الشوك الجارح الممزق يعلن فضل الزهر النافع المتأرجح. وأن وجود الفساد يستدعي قيام المصلحين المناضلين لتطهير الأرض منه.

إذا عرف الإنسان هذه الحقيقة لم يَعُدْ يَنْقِمُ على الأشرار بل يَشْرِي في عروقه شعور الإشفاق عليهم لأنهم رضوا - ولهم عَقُول - أن يكونوا في الدنيا قُبْحاً لا جمالاً. وذُلّاً لا مَجْداً. وأن يكونوا معاول تهدم. لا سواعد تبني وتشيد وترفع.

إِنْ نَكُنْ زَهْراً فَمَا أَمَجَدْنَا      أَوْ نَكُنْ شَوْكاً فَمَا الْخَطَرُ

السَّعِير: 25 / 3 / 1955

## الرَّابِع

ما هذه اليقظة في الأشجار تَطِيرُ مِنَ الأغصان نديّة خضراء لتعانق النور وتشربه فيتحوّل فيها نضارة وقوّة؟.

ما هذه اليقظة في الثراب الباهت البارد. إنها تتمشى فيه حرارة وتنتشر منه أعشاباً كانت بالأمس بالية فردّت إليها الحياة. وكانت ذائبة فراجعها الانتعاش؟. حتى كأن في كل ذرّة من الثراب قوة محرّك كهربائي.

وهذه اليقظة في الناس.. ما أجملها. فقد أخذوا يأتون بالأزهار والزياحين ويغرسونها حول منازلهم. بل في منازلهم. كما أخذوا يفكرون منذ الساعة بمغادرة المدينة ذات الأبراج التي تحجبُ السماء عن الإنسان بل تحجبُ الإنسان عن نفسه. ويتأهبّون للانطلاق إلى الشواطئ والجبال شوقاً إلى مجاورة الفنّان الأعظم. إلى الطّبيعة التي تنفض الآن سحرها في المروج والأودية وعلى القمم والرّبي. فإذا هناك مواكب خرساء من الألوان والأنداء والأشذاء والتّهاليل. وإذا الأرض كلها هيكل فسيح تتصاعدُ منه التسابيح<sup>2</sup> إلى الله من الجداول والأنهار خريراً وهديراً ومن الشلالات اصطفاقاً واصطخاباً. ومن حناجر الطير صداحاً وترنيماً. ومن الجبال المتشحة بالنور صلاة مُضمرة خاشعة.

قال الكلُّ مِنْ قَبْلُ استناداً إلى التقاويم الفلكيّة: إنَّ الرَّبِيعَ لم يبتديء في ذلك الموعد إلا في التقاويم. بل ظلَّ سِرّاً مكنوناً وخيلاً محجوباً عن العيون حتى كان الأحد الماضي فانطلق في الدنيا كنهرٍ كان وراء

1 التزعة: ونازعت النفس إلى كذا نزاعاً اشتاقت.

2 سَبَّحَكَ قال سبحانه الله وسبَّحَ الله وله نَزْهه وقُدْسُه.

سَدَّ وَسَقَطَ السَّدَّ. وَخَرَجَ مِنَ الْخَبَاءِ<sup>1</sup> كُلَّهُ بِكُلِّ مَا فِيهِ مِنْ حَلَاوَةٍ وَمَلَاخَةٍ وَفَنٍ وَعَذُوبَةٍ.  
أَجَلَ. إِنَّا الْآنَ فِي الرَّبِيعِ بَلِّ الدُّنْيَا كُلَّهَا فِيهِ. بَلِّ هُوَ كُلُّهُ فِي كُلِّ الدُّنْيَا. فَمَا أَجَلَ هَذِهِ الْفَتْرَةِ فِي عُمُرِ  
الدَّهْرِ - بَلِّ مَا أَجْمَلَهَا وَأَجَلَهَا فِي عُمُرِ الْإِنْسَانِ.

السَّمِير: 12/4/1955

## السَّابِعُ عَشَرَ مِنْ نَيْسَانَ

بعض الأيام تفضلُ سواها. بل تفضلُ أعواماً وأجيالاً. مثلها تفضلُ ليلة القَدَرِ<sup>2</sup> كُلَّ اللَّيَالِي وَتَقُومُ  
بِالْفِ شَهْرٍ.

وكان لـ 17 نيسان معنى أوسع من عيد وطني - فقد وافق اليوم السابع عشر من شهر نيسان في  
هذه السَّنة عيد القيامة عند الطوائف الأرثوذكسيَّة. وهو عيد يعني الانتصار على الموت والتحرُّر من  
القبر والأكفان. وهذا المعنى السَّامي يتجدَّد في الثُّفوس كُلِّهَا جيء على ذكر معلِّم البشريَّة الأعظم ولید  
المُذود الذي رَمَى في كُلِّ قول قاله وعَمِلَ عمله إلى تغليب قوَّة الخير في الإنسان على قوَّة الشرِّ. وإلى قهر  
البَغْضَاء بالمحبَّة. وإلى إفهام الإنسان أنَّه يقترب من الألوهيَّة كُلِّما ابتعد عن التَّزَعَّات البهيميَّة. وأنَّه لا  
يُكْمَلُ إلا إذا صار يتصوَّر ذاته أنَّه غيره. فإذا أمكنه هذا الأمر لم يُعَدَّ في وَسْعيه أن يسيء ولا أن يظلم.  
بل لا يعود يفعل إلا ما هو فضيلة ولا يقول إلا ما هو جمال. لأنَّ الأنانيَّة تضمحلُّ فيه أو على الأقل  
تحتجب وتستتر وراء «الغيرية».

ولكنَّ الإنسان عَجَزَ<sup>3</sup> عن هذا الأمر لأنَّ غرائزه كانت أقوى وأغلب. وهي غرائز لا يمكن  
استئصالها في جيل ولا في أجيال. وتزداد الطَّرِيق إلى الكمال الإنساني طويلاً ومشقَّة كُلِّما استغلت  
التعاليم المسيحيَّة لغير الغاية منها.

- 
- 1 الحَيَاء كَكَيْسَاء مِنَ الْأَبْنِيَةِ يَكُونُ مِنْ وَبَرٍ أَوْ صُوفٍ أَوْ شَعْرِ.
  - 2 ليلة القَدَرِ:

1 ك القَدَرِ 97. «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ» أَي الْقُرْآنَ جُمْلَةً وَاحِدَةً مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا «فِي لَيْلَةِ الْقَدَرِ» أَي  
الشَّرَفِ الْعَظِيمِ «وَمَا أَذْرَاكَ» أَعْلَمَكَ يَا مُحَمَّدٌ «مَا لَيْلَةُ الْقَدَرِ» تَعْظِيمٌ لَشَأْنِهَا وَتَعْجِيبٌ مِنْ «لَيْلَةِ الْقَدَرِ خَيْرٌ مِنْ  
أَلْفِ شَهْرٍ» لَيْسَ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدَرِ فَالْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْهُ فِي أَلْفِ شَهْرٍ لَيْسَتْ فِيهَا.  
«تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ» بِحَذْفِ إِحْدَى التَّاءَيْنِ مِنَ الْأَصْلِ «وَالرُّوحُ» أَي جَبْرِيلُ «فِيهَا» فِي اللَّيْلَةِ «بِإِذْنِ رَبِّهِمْ» بِأَمْرِهِ  
«مِنْ كُلِّ أَمْرٍ» قَضَاءُ اللَّهِ فِيهَا لِتِلْكَ السَّنةِ إِلَى قَابِلٍ وَمِنْ سَبِيَّةٍ بِمَعْنَى الْبَاءِ «سَلَامٌ هِيَ» خَيْرٌ مُقَدَّمٌ وَمُبْتَدَأٌ «حَتَّى  
مَطْلَعِ الْفَجْرِ» بَفَتْحِ اللَّامِ وَكَسْرِهَا إِلَى وَقْتِ طُلُوعِهِ جَعَلَتْ سَلَاماً لِكثْرَةِ السَّلَامِ فِيهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَا تَمُرُ بِمَوْمِنٍ وَلَا  
بِمُؤْمِنَةٍ إِلَّا سَلِمَتْ عَلَيْهِ (تفسير الجلالين).

- 3 عَجَزَ فُلَانٌ عَنِ الشَّيْءِ عَجْزاً ضَعِيفاً وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ. فَهُوَ عَاجِزٌ عَجْزَةً.

ولكن الأمر الواضح الذي لا خلاف فيه ولا مراء<sup>1</sup> هو أن الإنسان اليوم أرقى من إنسان ما قبل المسيح عليه السلام. وما دام قد ارتقى إلى هذا الحد في غضون ألفي سنة فإنه لا شك وأصل في النهاية إلى الكمال المنشود.

السَّمير: 18/4/1955

## ذِكْرَى اللَّائِنَات

بعد أيام تنصرم حياة شهر أيار وفي نهايته يقف الناس الأحياء يفكرون في النهاية - نهاية الأحياء. ونهاية الأشياء. ويقودهم التفكير إلى تذكر الآباء والأمهات والأقارب الذين فارقوا هذه الحياة وسكنوا ظلمات القبور فتستيقظ في نفوسهم عاطفة عرفان الجميل. وتحملهم هذه العاطفة على زيارة المقابر وتزيين الأضرحة تكريماً للراقيدين تحت التراب.

لعل قائل يقول: إنما الإنسان الحي يسعى إلى تكريم نفسه لأنه يسُنُّ سُنَّة<sup>2</sup> سينا له منها بعد عمر طويل مثل الذي نال الذين يكرمهم.

وهو قول فيه كثير من الصواب. ولكنه ليس ممّا يعاب به الإنسان. بل إن وجود هذا الشعور فيه وإن كان أنانيّة هو من حسن حظ الإنسانية. فلو ذهل الإنسان عن التفكير بنفسه والعمل على تمجيدها وتكريمها لكان أشدّ ذهولاً من غيره. ولصار كائناتاً كالجماد يمرّ به القاتل فلا يغضب ولا يتأثر وتطرح عنده جثة المقتول فلا يتحرك ولا يتألم.

وعندنا أن الأنانيّة أنواع كثيرة لا نوع واحد. وفيها الأنانيّة الجميلة النافعة. وفيها الأنانيّة القبيحة المضرّة.

ومثال الأنانيّة الكريمة البغيضة المضرّة هي التي نراها في جماعة من الأغنياء لهم نفوس إسفنجيّة تمتصّ الخير من كلّ مكان ولا تقطر ممّا تمتص قطرة في أي مكان.

إن الأنانيّة المكروهة الممقوتة ماثلة أمامنا في غنيّ يقدر أن يُغيثَ ملهوفاً فلا يُغيثه. وأن يكسو عارياً فلا يكسوه. وأن يداوي مريضاً فلا يداويه. وأن ينشئ مدرسة في قرية فقيرة فلا ينشئها. وأن يبني مصحّاً أو مستوصفاً يلجأ إليه المرضى المساكين فلا يبنيه.

وأن يدعى إلى تخفيف كارثة أو نكبة في بلد ما فينفض طوقه ويقول: هذا لا يعنيني.

1 ماراه مهارة ومراء وامترى فيه وتمارى شك.

2 سنّ سُنَّة: السّنن الطريفة يقال استقام فلان على سنن واحد. ويقال امض على سننك وسننك أي على وجهك وتنح عن سنن الطريق وسننه وسننه ثلاث لغات والسُنَّة السيرة. وسنّ السُنَّة وضعها. وسنّ الشكين ونحوه سنّا أحده فهو مسنون وسنين.



وبعبارة مختصرة إنَّ الأنانيَّة المكروهة هي التي يحصرُ صاحبها اهتمامه بنفسه وخذها دون سائر الخلق. فهو ذئبٌ في صورة إنسان لأنَّ الذئبَ وأمثاله من الحيوانات الضَّارية<sup>1</sup> لا تهتمُّ إلا بذاتها. أمَّا الأنانيَّة الجميلة النافعة فهي التي نراها في الجندي الذي يطلب المجد في ساحات الوغى<sup>2</sup>. فإنه في الوقت ذاته يصونُ وطناً ويحمي شعباً. ونراها في الغني الذي يستكثر من الثروة ليهبها في النهاية لمؤسسة علمية أو معهد كياوي أو مستشفى.

ونرى الأنانيَّة الجميلة في الأم التي تضحي بحياتها وراحتها في سبيل أولادها لكي تحصل منهم على الحبِّ والتَّكريم. إنها تحافظ بهذه الأنانيَّة على ذاتها. على كيانها وعلى بقائها. ومن أمثلة الأنانيَّة الفاضلة أنانيَّة الفنَّانين الذين لا يهتمُّون بما يهتم له الناس من مأكل وملبس ومشرب ولهو. لأنَّ هذه المطالب تبدو عندهم حقيرة تافهة بإزاء ما يراود أرواحهم من رؤى. وما يترأى لهم في مسارح الطَّبيعة من آيات. فيذهلون بها حتى عن أمور ضرورية كلَّ الضرورة للكائن البشري.

أجل إنَّ الأنانيَّة تبلغ بالفنَّان إلى حدِّ نسيان ذاته. فيعيش يكدِّ ويكدح<sup>3</sup> ويجوع ويعطش ويستبدِّ بنفسه إرهاقاً وجِرماتاً في سبيل شيء هو أعزُّ عنده من كلِّ شيء!.. في سبيل الفنِّ. حتى إذا حاز ذلك الشيء صار ثروة خالدة لأُمَّته وبلاده بل للعالم كُله.

ونحن عندما نكرِّم موتانا لا نكرِّم عظاماً نخرة. ولا رِماً بالية. بل ما فعلوه من حسنات وتركوه من ذكريات. وليس ضرورياً أن يكون كلُّ واحد منهم فتاناً عبقرياً ليستحق التَّكريم والتَّمجيد. يكفي أن يكون رجلاً غرس شجرة أو عبَّد طريقاً أو ربَّى ولداً.

ويكفي أن تكون امرأة نسجت ثوباً أو عمَّرت بيتاً أو اعتنت بعيلة أو سهرت على مريض. أو ضمَّدت جرحاً مُصاب. أو آست محزوناً. فإن الحياة في جملتها من هذه الأمور التي نحسبها غير ذات شأن. وهي في الواقع جوهر كلِّ شأن.

لنذهب يوم الإثنين إلى المقابر. فكم من عظمة بالغة في وقفة على القبر.

السَّмир: 1955 / 5 / 26

1 الضَّاري من السَّباع المولع بأكل اللحم ج ضواري.

2 الوغى: الجلبة والأصوات ومنه قيل للحرب وغى لما فيها من الصَّوت والجلبة.

3 الكدحُ العمل والسَّعي والكدُّ والكسبُ.

## مِنَ الْقَلْبِ إِلَى الْقَلْبِ

هذا حديث من القلب إلى القلب. لا كلفة فيه لأنه بيننا وبين أصدقائنا أنصار هذه الجريدة التي عرفت فيهم المحبة والوفاء وعرفوها في كل أدوارها صحيفة تلتزم الصراحة في أقوالها وأعمالها. بهذه الصراحة التي أحببناها من أجلها نريد أن نحدثهم اليوم بأمر اعتزمناه ونجد من حقهم علينا أن نشرح لهم الأسباب التي أوجبت علينا أن نعزمه. إنه الحديث عن «السَّمِير».

والحديث عن «السَّمِير» يقود حتماً إلى التحدث عن الصحافة العربية في المهجر. وعن حاضر هذه الصحافة ومستقبلها.

والحديث عن هذه الصحافة بهم كل قارئ عربي في العالم الجديد لأن الجريدة العربية صارت جزءاً من حياته مثلما هو قوام حياته. أمّا الناس في الأقطار العربية فلا تهمهم صحافة المهجر لأنها ليست لهم. ولم يضعوا في هيكلها حجراً ولا حصاة. ولم يقتلعوا من طريقها عوسجة ولا شوكة. ولكنهم كثيراً ما جلسوا كأهلها على مائدتها وأكلوا ما طبخت وشربوا ما اعتصرت. وطاروا عنها لا يذكرون لها فضلاً ولا يحفظون لها جميلاً.

هذه الصحافة كما يعرف المطلعون قامت من ناحية التحرير والتحرير على أكتاف أفراد معدودين من حملة الأقلام العربية كان رأس ما لهم الأكبر في حومتها تلك الرغبة المضطربة إلى درجة الإفتتان في أن يشاهدوا بأعينهم فكرة تجول في رؤوسهم تتجسد على أيديهم حبراً وورقاً. وتدور في الأرض لتقع حيناً في بقعة خصيبة ولود. وحيناً في أرض عقيمة عاقر. وأحياناً لا تقع في مكان لأنها لا تفارق مكانها. فكثير من الأفكار ليس لها أجنحة لتطير. وكثير من الأفكار يقتلها الظهور كما يقتل الصقيع الأنهار.

إن هؤلاء الأدباء الماهدين - غواة الصحافة المسحورين برائحة الحبر. الساحرين الناس بالجمال الذين يفيضونه في الحبر. قد توارى أكثرهم في ظلمات الأبد - بعد أن أدوا قسطهم للحرف العربي. وقاموا بأكثر من الواجب الذي فرضوه على أنفسهم نحو لغتهم وقومهم. كل على طريقته. وكل على مقدار طاقته. ولولا هذا الزهط الكريم من جنود اليراع لتهدمت الجسور التي تصل بين المهاجرين وأوطانهم الأولى. بل لولا أعلامهم لتقطعت الشائج بين المهاجرين أنفسهم.

أمّا الناحية العملية الآلية في الصحافة العربية. وهي العقدة الكبرى - فقد كان إلى جانب أولئك الأدباء الفاتحين عدد من منضدي الحروف الخبراء الذين يرجع إليهم فضل عظيم في ولادة الصحافة العربية في هذا المهجر ثم في استمرارها.

1 القوام قوام كل شيء عماده ونظامه وقوام الأمر ما يقوم به.

والمنضد - هذا الجندي المجهول - هو الدَّعامة الكرى في الجريدة العربية - بل هو القوَّة وراء العرش حسب التعبير السَّاري. فإذا مرض مرضتْ الجريدة معه. وإذا اضطربتْ شؤونه اضطربتْ شؤونها. وإذا انقطع عن العمل مُكرهاً أو عامداً فمن العسير أن تصدر الجريدة في أوقاتها.

غير أن هذا المنضد ذو قوَّة خارقة على مقاومة العوارض. فهو لا يمرض كباقي الناس. ولا تضطرب أموره كما تضطرب أمور الناس ولا يتواكل ولا يتكاسل كما يتواكل ويتكاسل بعض الناس. إنَّما هؤلاء المنضدون في الجرائد العربية بالرَّغم ممَّا أودع الله فيهم مِنْ جَلَد على المكاره وثبات في الشَّدائد سرى على بعضهم النَّاموس الأزلي الذي يسري على جميع الأحياء فقلَّ عددهم كما قلَّ عدد الكتَّاب. ولم يبق مِنْ هؤلاء وأولئك إلا نفرٌ قليل يصابرون الأيَّام ويذيبون الأرواح والأجسام على مذبح هذه المهنة التي أحبُّوها على ما فيها مِنْ إرهاق وتعب ومشقة فهم مَشْدودون إليها بأحد ثلاثة عوامل، ألا وهي: إمَّا قوَّة الإستمرار. وإمَّا مطالب العيش الملحة في هذا المعترك الصَّاحب القاسي. وإمَّا لأنَّهم مبتلون بهوَس الأدب وجنونه.

ولو أنَّهم انتقلوا عن كراسيهم لما وجد بعدهم مَنْ يرضى الجلوس عليها إمَّا في صحبتها مِنْ همٍّ وعناء. وما في حومتها مِنْ تكدي وضيق.

ولكن بعض الناس يتوهَّمون أنَّها صنعة هيئة ليئة. وأنَّ صاحبها الذي يعطي الناس سواد بصره وسُويِّداه<sup>1</sup> قلبه لا يعطي شيئاً. ويحسِّبون أنَّها جرعة ليست ذات تكاليف - مع أنَّ تكاليف جريدة «السَّمير» لا تقلُّ عن ستمائة دولار في الأسبوع. وأحياناً تزيد عن هذا المعدل كثيراً. فقد أنفقنا في سنة واحدة على إصلاح الآلات أكثر مِنْ ألفي دولار. وليس المال هو العقبة.

ولكنَّ العقبة العارضة لا يذلُّها المال وإنْ كَثُر. وهي لا تعترض جريدة كبرى وحدها ولا جريدة صغرى وحدها. بل تعترض الصَّحافة العربية كُلُّها في المهجر. ولا ينكرُ هذا الأمر إلا المكابرون. ولذلك صار العامل الواحد في الجريدة العربية يقوم بما كان يقوم به عاملان أو ثلاثة مِنْ قَبْلُ. ولولا آلة اللينوتيب العجيبة لكان الخطُّبُ أعظم.

وتجاه هذا النقصان في الأيدي العاملة وتكاثر النَّفقات مِنْ ناحية ثانية واشتداد الضَّغط على أعصاب وأرواح رفاقنا في الجهاد الأدبي وجدنا أنَّ لا راحة لهم ولا لنا ولا ضمان «للسَّمير» إلا بواحد مِنْ أمرين.

الأول: أن نرفعَ بدل الاشتراك إلى 25 دولاراً في السَّنة.

والثاني: أن نُبقيَ البدل كما هو الآن ونصدر «السَّمير» ثلاث مرَّات في الأسبوع مع زيادة المواد والرُّسوم. إذ لا سبيل إلى الإقتصاد في أثمان الأشياء ولا في أجور العمَّال.

1 السُّويِّداه بسواء القلب حبَّته وكذلك أسوده وسُويِّداه.

ولما كانت الزيادة في بدل الإشتراك لا يقدر الكل أن يتحملوها فقد اخترنا الأمر الثاني . وهو إصدار «السّмир» في هذا الصّيف مؤقتاً ثلاث مرّات في هذا الأسبوع .  
وفي الوقت ذاته نتوقع من كل مشترك أن يوافقنا برأيه . «فالسّмир» لمشتركها أكثر ممّا هي لنا .  
ونحن مستعدّون للعمل برأي الأكثرية منهم مهما يكن في العمل من التّضحية والمشقة .  
والله الموفّق إلى الصواب أولاً وأخيراً .

السّмир : 2 / 6 / 1955

## الخاصّة والكافّة

منذ حين قريب قام جدل في جرائد بيروت حول هذا السؤال - لمن يكتب الأديب ؟ . للخاصّة أم يكتب للكافّة .

واختلفت الأقلام في مَنْ هم الخاصّة وَمَنْ هم الكافّة اختلافاً شديداً أسفر عن لا شيء . فلم يقدر أحدٌ منهم أن يحدّد مَنْ هم الخاصّة كما عجز أن يعيّن بالذات مَنْ هم الكافّة .

وانصرف الأقلام إلى هذا الموضوع في هذه الأيام التي تتمخّض بالعظائم دليل على أن قومنا غير مدركين تمام الإدراك ما يجري في الدّنيا من الأمور التي سيكون لها حتماً تأثير عليهم جميعاً . على الخاصّة والكافّة ! وعلى الذين يكتبون للخاصّة والكافّة معاً .

ثم إن في توابث الأقلام العربيّة في هذه الحومة حول الخاصّة والكافّة برهاناً ساطعاً على أن الأدباء أنفسهم لم تحرّر عقولهم وأرواحهم من الطّبقيّة . أي أنّهم لا يزالون يقسّمون الشّعب إلى طبقات . وهذه الظّاهرة فيهم ليست من علائم الخير .

وهذا المبحث الذي قتل فيه متناولوه وقتاً ثميناً جداً يذكرنا بالجدل بين النّحويّين والعروضيّين في عصور انحطاط الدولة وتقهر العقول وخمود الأرواح - حتى صار ظهور كاتب مُفكّر في تلك الأيام أعجوبة خارقة . وصار حيّدان الشّاعر عمّا ألف النّظاميون كُفراً وتجديفاً على الأدب وعلى اللّغة والبيان .

وعندنا أن هذا الجدل الأخير الذي نشب حول الخاصّة والكافّة يهون كلّ الهون<sup>1</sup> يظل من العبث واللّهو إلا إذا دخل على إخواننا الأدباء أنّهم من «الخاصّة» ويرفعون بينهم وبين الناس سدّاً كسد الإسكندر . أو يحفرون بينهم وبين الناس هاوية ويصيرون هم في جانب والنّاس كلّهم في جانب آخر . وتصير حياتهم كلّها تكلفاً وتصنعاً كحياة العروضيّين والنّحويّين في الزّمن القديم .

السّмир : 10 / 6 / 1955

1 الهون أيضاً مصدر هان عليه شيء يهون أي خفّ .

ولما كانت الزيادة في بدل الإشتراك لا يقدر الكل أن يتحملوها فقد اخترنا الأمر الثاني . وهو إصدار «السَّمير» في هذا الصَّيف مؤقتاً ثلاث مرَّات في هذا الأسبوع .  
وفي الوقت ذاته نتوقع من كل مشترك أن يوافقنا برأيه . «فالسَّمير» لمشتركها أكثر مما هي لنا .  
ونحن مستعدون للعمل برأي الأكثرية منهم مهما يكن في العمل من التصحية والمشقة .  
والله الموفق إلى الصواب أولاً وأخيراً .

السَّمير : 1955 / 6 / 2

## الخاصة والكافة

منذ حين قريب قام جدل في جرائد بيروت حول هذا السؤال - لمن يكتب الأديب ؟ . للخاصة أم يكتب للكافة .

واختلفت الأقلام في مَنْ هُمْ الخاصة وَمَنْ هُمْ الكافة اختلافاً شديداً أسفر عن لا شيء . فلم يَقْدِر أحدٌ منهم أن يحدّد مَنْ هُمْ الخاصة كما عَجَزَ أن يعيّن بالذات مَنْ هُمْ الكافة .  
وانصراف الأقلام إلى هذا الموضوع في هذه الأيام التي تتمخّص بالعظائم دليل على أن قومنا غير مدركين تمام الإدراك ما يجري في الدنيا من الأمور التي سيكون لها حتماً تأثير عليهم جميعاً . على الخاصة والكافة ! وعلى الذين يكتبون للخاصة والكافة معاً .

ثم إن في توائب الأقلام العربيّة في هذه الحوثة حول الخاصة والكافة برهاناً ساطعاً على أن الأدباء أنفسهم لم تتحرّر عقولهم وأرواحهم من الطبقية . أي أنهم لا يزالون يقسمون الشعب إلى طبقات . وهذه الظاهرة فيهم ليست من علائم الخير .

وهذا المبحث الذي قتل فيه مُتناولوه وقتاً ثميناً جداً يذكرنا بالجدل بين النحويين والعروضيّين في عصور انحطاط الدولة وتقهقر العقول وخمود الأرواح - حتى صار ظهور كاتب مُفكّر في تلك الأيام أعجوبة خارقة . وصار حيّدان الشاعر عمّا ألف النظاميون كُفراً وتجديفاً على الأدب وعلى اللّغة والبيان .

وعندنا أن هذا الجدل الأخير الذي نشب حول الخاصة والكافة يهون كلّهون<sup>1</sup> يظل من العبث واللّهو إلا إذا دخل على إخواننا الأدباء أنهم من «الخاصة» فيرفعون بينهم وبين الناس سدّاً كسد الإسكندر . أو يحفرون بينهم وبين الناس هاوية ويصيرون هم في جانب والناس كلّهم في جانب آخر . وتصير حياتهم كلّها تكلفاً وتصنعاً كحياة العروضيّين والنحويّين في الزّمن القديم .

السَّمير : 1955 / 6 / 10

1 الهون أيضاً مصدر هان عليه شيء يهون أي خفّ .

## المُهاجِلُونَ<sup>١</sup>

نحن ندركُ ما للوقتِ مِنْ قيمةٍ - ونعرف ما لاستغلال الوقتِ في الشئِ الخَيْرِ مِنْ نفعِ الناسِ . ولهذا لا نسمح لأنفسنا بأنْ نصرفَ لحظةً مِنْ هذا الوقتِ الثمينِ في مُماحِكَاتٍ لا طائلَ تحتها ونُفَرِّضُ علينا الشُّعورَ بقيمةِ الوقتِ أنْ نُصْرِفَهُ في أمرٍ مفيدٍ أو سعيٍّ حميدٍ . أو توجيهٍ سديدٍ لأنْ الإنصِرافَ إلى المُماحِكَاتِ والتَّوَعُّلِ في مجاهِلِها لا يقتلُ الوقتَ فَحَسْبُ بل يقتلُ ما هو أعظمُ وأثمنُ مِنَ الوقتِ . وهو إحترامُ الإنسانِ لِنَفْسِهِ وإحترامُ العقلاءِ له .

ولا يجعلُ مُماحِكَةَ الناسِ والتحكُّمَ بالناسِ دَيْدَنَهُ<sup>٢</sup> في الحياةِ إلا إنسانٌ عاجزٌ مُقَصِّرٌ صغيرُ العقلِ صغيرُ القَدْرِ لا يَعْرِفُ ما للوقتِ مِنْ قيمةٍ . ولا يدركُ أنَّ للناسِ عقولاً تُمَيِّزُ بينَ صحيحِ القولِ وزائفِهِ . وبينَ غايةٍ نبيلةٍ وغايةٍ سافلةٍ . وبينَ كلمةٍ يُرادُ بها الخيرُ وكلمةٍ لا يُرادُ بها إلا العَيْثُ والإفسادُ . وعندما ينسى الإنسانُ أنَّه كائنٌ ذو قيمةٍ يجبُ أنْ يحرصَ عليها لا يبقىَ لشيءٍ قيمةٌ عنده وتَلْتَبَسُ عليه الأمورُ فيصيرُ وهو يغوصُ في الأحوالِ يتباهى كأنَّها هو يستحمُّ في العطورِ ويصيرُ يتصوَّرُ ضَحِكَ الناسِ عليه وسخرهم منه تحبُّذاً واستحساناً . ويتوهَّمُ أنَّه ماءٌ وهو سرابٌ وأنَّه شيءٌ كبيرٌ وهو لا شيءٌ .

أجل . لا ينصرفُ إلى مُماحِكَةِ الناسِ غيرُ إنسانٍ أدركَه العَجْزُ والتَّقصيرُ عن اللُّحاقِ بهم ولكن بقيتْ فيه قوَّةٌ على التَّطَلُّعِ إلى ما يصنعون وكلِّما تطلَّعَ - وما أكثرَ ما يتطلَّعَ - ورأى ما هم فيه مِنْ إرتفاعٍ . وما هو فيه مِنْ انخفاضٍ ازدادَ حَنَقُهُ<sup>٣</sup> وغيظه وازدادتْ مع حَنَقِهِ وغيظه ووقاحتُهُ<sup>٤</sup> وشراسَتُهُ فيُمسِي ولا شيءَ حسنٍ في عينيه ممَّا يراه النَّاسُ حُسْنًا . ويصيرُ يَدُمُّ كُلَّ فكرةٍ تصدرُ عنهم ولو كانتْ خَيْرَهِ ونَفْعِهِ . ولو كانتْ هي الفكرةُ التي يجبُ أنْ تصدرَ عنه .

بل هو يصيرُ كلِّما سمعَ إنساناً يُمتَدِّحُ مِنْ إنسانٍ يشعرُ كأنَّه يتلاشى ويضمحلُ وكانَ الدُّنيا تضطرمُ في عروقه وأوصاله . فيثورُ ويضطربُ ويهيجُ ويصخبُ لعلَّه يلفتُ إليه الأنظارَ . ولعلَّ النَّاسَ يُحِسُّونَ أنَّه موجودٌ . ولكي يبرهنَ لهم أنَّه يَقْدِرُ أنْ يكونَ فُضُولِيًّا وَقِحًا . وأنَّه يَسْهَلُ عليه أنْ يتدخلَ في ما لا يَغْنِيهِ ويتعرَّضُ لقضايا ليستْ ممَّا يدخلُ في نطاقِ فَهْمِهِ .

وعندما يبلغُ التَّوابعُ بالمرءِ إلى هذه الحالةِ يصيرُ تقويمُ ذنبِ الكلبِ أسهلَّ مِنْ تقويمِهِ . وهُدَايَةُ

١ مَحَكَّ لَحْجٍ وَمُماحِكَاتٍ تَلَاجَا . وَالْمُلَاجَةُ التَّهادِي فِي الْخُصُومَةِ .

٢ الدَّيْدَنُ الدَّأْبُ .

٣ الْحَنَقُ الْغَيْظُ .

٤ وَقَحُ الرَّجُلِ قَلَّ حَيَاؤُهُ فَهُوَ وَقِحٌ وَقَوَّاحٌ .

الذئب وتعليمه أهون من هدايته وتعليمه.

إن الذين يقتلون الوقت بالمأحكات يقتلون في الوقت ذاته أنفسهم. فهم مجرمون ولكن القانون لا يظالمهم. لأن القانون لا يقتص من المأحكين أكثر مما يهيمه أن يقتص من يعوض يظن. ومن الخير أن يتجاهل المرء المأحكين كما تجاهلهم القانون.

السَّير: 1955 / 7 / 22

## بين الجهل والمعرفة

ساق إلينا أحد الأدباء السؤال التالي قال:

قرأتُ لكم قصيدة جاء فيها هذا البيت:

أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ دَامَتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَةُ الْجَهْلِ إِنَّكُمْ سُعْدَاءُ

فجئتُ أسألكم كيف يكون الجهل نعمة وكيف توفّقون بين قولكم هذا وقولكم في قصيدتكم الرائعة التي حيّثُم بها السَّام:

فالجهل أنى كان كان عقوبة والعلم أنى كان كان ثواباً

أجل كيف يكون الجهل نعمة وهو عقوبة أو عقوبة وهو نعمة؟.

فهل من إضاح تطمئن له النَّفس الحائرة

مُسْتَفْسِر

أَيُّهَا الْمُسْتَفْسِر الْأَدِيبُ صَاحِبُ النَّفْسِ الْحَائِرَةِ:

ليس بين القولين تناقض يستوجب التوفيق بينهما. فإنَّ الجهل يكون أحياناً نعمة. وأحياناً عقوبة. فمثال الجهل الذي هو نعمة جهل الولد متاعب الحياة وهمومها التي يعانيتها الكبير ذو الرُّشد. فإنَّ هذا النوع من الجهل لا يشعر صاحبه بمسؤولية. ولا تلزمه واجبات فهو يضحك ملء شِدْقَيْهِ<sup>1</sup> لأيِّ أمر تافه ويمرح ما اتَّسع أمامه مجال المرح لا يخامرهم ولا يخالج قلبه خوف من طارئ أو استياء من حالة. فهو سعيد لأنَّه جاهل. وجهله نعمة عليه لأنَّه يحول بينه وبين التَّأثُّر بما يتأثَّر به العارف المدرك. ولكنَّ هذا الجهل نفسه يصير عقوبة لصاحبه لأنَّه يقف به في دائرة ضيقة لا يتعدّاها. بينما ذو العلم يشب فوق الحدود ويطير من حَوْمة إلى حَوْمة لأنَّ العلم بالأشياء والأمور يعينه على معالجتها وممارستها والدخول فيها والخروج منها غير هيَّاب ولا مُتَرَدِّد. بينما الجاهل واقف باهت لا يدري ما يصنع. أيمشي إلى الأمام أم يرجع إلى الوراء.

1 الشَّدق جانب الفم وجمعه أشْدَق.

فالعِلْمُ في هذا الموقف جزاء وثواب لصاحبه . والجهل عقاب في ذاته لأنه يشتمل على جرمان أليم .  
إنَّ القول :

أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ دَامَتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَةُ الْجَهْلِ إِنَّكُمْ سُعْدَاءُ

ينبع من حالة نَفْسِيَّةٍ شَعَرَ القائل وهو في غمرتها أنَّ المعرفة هي التي جَلَبَتْ عليه الأسى وأنَّ الجاهلين أسعدُ منه حالاً . وأزوح بالآ . لأنَّهم لا يرون الأشياء كما يراها . ولا يتحسَّسون الأمور والحوادث كما يتحسَّسها هو فهم لذلك في نجوة من الكدر والغَمِّ . إنَّهم سعداء لأنهم جهلاء . وفي أمثالنا العامة : «عينٌ لا تَقْشَعُ قلبٌ لا يُوجَعُ» . فالجاهل من هذه النَّاحِيَةِ فقط في نِعْمَةٍ وارفَةٍ . والجهل في هذه الحالة هو النُّعْمَةُ الكبرى . وأمَّا بالنسبة لكونه عقوبة فهو ظاهر في عجز أصحابه عن منافسة أهل العلم في ترقية أحوالهم وتحسين شؤونهم واستثمار قواهم واستغلال ما في أوطانهم من كنوز دفينَةٍ وغير دفينَةٍ . فيحلُّ بهم الضَّنْكُ والعَوَزُ<sup>1</sup> وينزل بهم العقاب - وهو تحكُّمُ ذَوِي المعرفة بهم والسيطرة على مقدراتهم وتسخيرهم لخدمتهم واستغلالهم واستعبادهم كما هو حاصل الآن في بلاد المغرب . وأيُّ ثواب أعظم من إشراق الشُّعور في أعماق الإنسان بأنَّه كان حُرّاً ليس لغيره أن يَحْكُمَهُ بدون رضاه . فهذا الشُّعور يُكْسِبُهُ قوَّةٌ معنويَّةٌ فائقة على النُّضال في سبيل كرامتِهِ وعزَّتِهِ . كما يُكْسِبُهُ غِبْطَةً رويحيَّةً لا حدَّ لها .

فأنت ترى أنَّ الجهل نِعْمَةٌ . ولكن في حَيَزٍ ضَيِّقٍ ولأمدٍ مَحْدُودٍ وحالة معيَّنة . غير أنَّه في حالة الشُّمُولِ<sup>2</sup> عقوبة قاسية . أمَّا العلم فإنَّه وإنَّ جَلَبَ لصاحبه الحزن أحياناً فهو في حالة الشُّمُولِ بركة فائضة ونِعْمَةٌ عظيمة لا تعادلها نِعْمَةٌ .

السَّمِير : 15 / 8 / 1955

## يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ

ما أكثر الذين تفتح عيونهم على العيوب والأخطاء في سواهم... في أنسابهم وأصدقائهم وعُشْرَانِهِمْ وأبناء بلادهم.. لأنَّ العيوب والأخطاء كالآثار المعطوبة في الشَّجَرَةِ أوَّل ما تقع عليها الأنظار أو كالشَّعْرَاتِ البيضاء هي أوَّل ما يراه المرء أو المرأة عندما يتطلَّع في المرأة . وتراهم لا يلمحون خطأ أو عيباً حتى تتهافَّت ألسنتهم على تقبيحِهِ واستنكارِهِ ورمي صاحبه إمَّا بالزُّعُونَةِ والحماقة . وإمَّا بسوء النِّيَّةِ ولؤم الطَّبْعِ . ولا يتورَّعون عن ذلك ولو كان الذي يسلقونه

1 العَوَزُ : وعَوَزَ الرَّجُلُ افتقر .

2 الشُّمُولُ : شملهم الأمر بالكسر شُمُولاً عَمَّهُمْ .



بألسنتهم رجلاً كبيراً في قومه. أو جماعة محترمة في المجتمع أو شعباً كاملاً!

وليس الانتقاد محظوراً ولا هو خطيئة بل أمرٌ لازم وضروري ولا سيَّما الانتقاد الصادر عن رويّة وتفكير. المُنِيّق من قلبٍ مخلص المنطلق من نفس نبيلة تنشد الكمال في الإنسان وفي أعمال الإنسان. ولكنَّ الانتقاد ولو جاء من إنسان مخلص لا شائبة<sup>1</sup> في نيّته... ولو كان صائباً - لا تتمُّ الفائدة منه إلا إذا كان النّاقِد يتحاشى الأمر الذي يُنهِي عنه. ولا يرتكبُ الخطأ الذي وقع فيه غيره وعده هو إثماً كبيراً.

إنَّ النفخ في الرّماد والصّياح في وادٍ أجزل فائدة من هذا التّوع من الانتقاد.

نحن نعرف - وأنت أيها القاريء تعرف - أناساً ما اشتملَ عليهم مجلس إلا اندفعوا في ذم التعصّب والمتعصّبين في الدين وقالوا عن أنفسهم إنهم لا يفرّقون بين مذهب ومذهب وبين مِلَّة ومِلَّة. ويسترسلون في النّقد على هذا الوتر حتى يُخيّلُ إليك أن كلّ واحدٍ منهم من مذهب محيي الدّين الصّوفي القائل:

وقد صار قلبي قابلاً كلّ صورةٍ      فمرّعى لغزلانٍ وديراً للرهبان<sup>2</sup>  
ومسجد أوثانٍ وكعبة طائفٍ      وألواح توراة ومصحف قرآنٍ  
أدين بدين الحبّ أنّي توجّهتُ      ركائبه فالحبّ ديني وإيماني

ولكنّك لا تكاد تعلن له أنّك من مذهب غير مذهبه أو أنّ لك في بعض القضايا رأياً يختلف عن رأيه حتى تنتشر على مُحَيّاه غمامة استياء وربّما انتفض كأنّها لدغته عقرب. وصار يحاذر أن يكون صريحاً في حديثه معك كأنك غريب عنه. مع أنّه جارك وصاحبك وابن وطنك. ويصير يعتقد في سرّه أنّك إنسان مُمرّد أو مُلحد مستوجب نار جهنّم! وهكذا يتّضح لك أنّه من الناس الذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم. وإنّهم يردّدون كلاماً ليس لهم.

ونعرف نحن - وتعرف أنت أيها القاريء - أناساً كلّما جرى ذكرُ حادثٍ نزاعٍ في قريةٍ من قرى الوطن أو قتالٍ بين عائلتين أو قريتين رأيتهم يتعجّبون كيف يتنازع المتخلّفون عن الوطن على عين ماء. أو على جدار كرم. وكيف يقتتلون من أجل مختار أو ناطور. فتقول في نفسك: ما أنبل هؤلاء الناس وما أشرف مقاصدهم. إنهم محبّون للسلام هائمون بالوئام. ولكنّك إذا مضيت تستقي أخبارهم وتنسّم أسرارهم انكشف لك أن هؤلاء الكارهين للنّزاع النّاقمين على الخصام هم من وراء كلّ نزاع هناك. وأنّهم كثيراً ما أرسلوا المال إلى أنسابهم في الوطن ليعملوا على قهر جاري أو نكاية نسيب إليهم ينازعهم

1 الشّائبة: واحدة الشّوائب وهي الأقدار والأذناس.

2 الرّاهب واحد رهبان النّصارى ومصدره الرّهبة، والرّهبانّيّة أو الرّهبان بالضمّ قد يكون واحداً ج رهبانين ورهبانّة ورهبانوت.

على شجرة أو صخرة، ويخاصمهم من أجل خروف أو عثرة. أو شيء كالخروف أو العثرة.  
وإذا سموا في نكاياتهم ومخاصماتهم فلكي يقهروا كبيراً في بلدتهم يمقتونه أو لينصروا كبيراً آخر  
يحبونه.

أجل. إن هؤلاء وأمثالهم يعرفون كيف ينتقدون. ولكنهم لا يعرفون كيف يكونون هم بعيدين  
عن الأخطاء التي ينتقدون الغير من أجلها.

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

السّير: 19/10/1955

## الأربعون

من الحالات النفسية المضرّة في بلادنا الأولى أن الإنسان لا يكاد يطاق عتبة الأربعين من عمره حتى  
تنطلق من حنجرته بقوة صاروخ ذريّ قوله الشاعر العربي القديم:

«وماذا تبتغي الشعراء مني وقد جاوزت حدّ الأربعين»

وتتلو هذا الصاروخ آهة مُجلجلة تخرج من صدره كثيفة عارمة كالدخان الذي يتصاعد من فوهة  
بركان. وتنتشر على وجهه قترّة<sup>1</sup> هي مزيج من الكآبة واليأس والاستسلام فكأنما الأربعون هي الحدّ  
الأقصى في عمر الإنسان. وهذا خطأ لم يقع فيه الشّدج وحدهم بل وقع فيه كثيرون من غير الشّدج.  
أوهم ذلك الشاعر الذي قطع الطريق على نفسه بقوله:

«وماذا تبتغي الشعراء مني.. الخ

وسنّ بقوله هذا عادة ليس فيها شيء من الفائدة. وفيها كثير من الأذى.

وتابعه بعد أجيال وأحقاب الكاتب المصري مصطفى المنفلوطي فكتب عند بلوغه الأربعين مقالاً  
اجتهد كثيراً في تنميقة فجاء أشبه بكلام إنسان مريض مُدنف<sup>2</sup> حضرت ساعته وأدرك أنه شارف منيته.  
وهذا يثبت أن للوهم من سلطان وأن له عدوى أشدّ خطراً من عدوى الطاعون والكوليرا. وأن  
جراثيمه تعمّر وتبقى من جيل إلى جيل. وتنتقل من بلاد إلى بلاد كأنها هي شيء في الهواء.

بل إن هذا الخطأ شائع بين الشباب في بلادنا القديمة. وهو فيهم مجسم مضخم أكثر مما هو في  
سواهم حتى ذلك الشاعر الذي ألقى عصاه واستسلم عندما جاوز حدّ الأربعين فإن كثيرين منهم  
يكون من الدنيا ويتظلمون من القدر بكاء من لم يبق في نفسه رجاء في شيء ولم يبق لأحد رجاء فيه.  
وكانها ليس في الدنيا شيء يستأهل أن يحيا المرء من أجله.

1 القترّة: القترج قترّة وهي الغبار.

2 المدنف: ديف المريض أي نقل فهو مدنف ومدنف.

وإذا صار المرء يتوهم أنه بلغ من الحياة كل ما يريد. وبلغت منه الحياة كل غاية لها. فقل: إن شأته صار كشأن السيف الكليل لا يصلح إلا أن يكون أثراً يعلق على حائط.

وكلما دار الوهم في رأسه اشتد زهده في الحياة وازدادت همته ضعفاً وعزيمته وهناً. ويصير كلما مر به عام توهم أنه أعوام. وأحسن لشدة تلك هذا الوهم منه أنه يحمل في كل عام أثقال السنين كلها.

وأكثر ما يستولي هذا الوهم على الناس القاعدين بلا عمل. ولا سيما في القرى حيث أوقات الفراغ خزان لا يتنفذ. فإن المستغرق في عمل يحبه. والمنصرف إلى قضاء مهمة يقدسها، يذهل عن الوقت فلا يدري إذا كان يسرع أم يبطيء وإذا كان يطول أم يقصر. ولا تستشعر نفسه الملل إذ لا ميسر في الوقت لديه يشغله بالتضجر. وعندما ينتهي من عمله لا يأسف على الساعات التي مرت به لأنه لم ينفقها عبثاً بل استغلها في عمل مفيد وقضاها في واجب حميد.

إن لأوقات التي ينفقها القوم في البطالة كمياه الأنهر والسواقي والينابيع المنحدرة من أودية لبنان وسفوحه إلى البحر.. كلتاها ذاهبة ضياعاً. فخسارة هذه الأوقات أعظم من خسارة الأموال. وأضر بالوطن وأهله من محل المواسم. فإن خسارة المال تعرض أمّا الوقت الضائع فلا يمكن استرداده. ومحل المواسم شر. ولكن الشر الأعظم هو محل الهمم وبوار العزائم وقحط الأرواح. ليس أثقل من الوقت على الإنسان البطال.

وليس أثقل على الأرض من الإنسان البطال.

وأوطاننا الأولى علّتها الكبرى أن الوقت لا قيمة له عند الناس هناك. وليس أدل على استهانتهم بقيمة الوقت من قول الشاعر:

«وماذا تبتغي الشعراء مني وقد جاوزت حد الأربعين»

فقد قرّر جازماً ومؤكداً أن ليس للوقت قيمة بعد الأربعين. مع أن الخير كل الخير في السنين التي بعدها لأنها عصر النضوج والحكمة.

السّمر: 1955 / 12 / 2

## طلاب الشهرة

ما من أحد في الدنيا إلا ويلد له أن يشتهر.

فالشُّهرة نوع من البقاء وأحياناً هي نوع من الخلود.

والإنسان مفطوراً<sup>1</sup> على حب البقاء. فتراه يحاول بكل وسيلة أن يستبقي ذكره في هذه الدنيا وأن

1 المفطور: الفطرة الخلقة التي يكون عليها كل موجود أول خلقه.

والمفطرة السليمة (في اصطلاح الفلاسفة) استعداد لإصابة الحكم والتمييز بين الحق والباطل. ج فطر.

يظلَّ أَسْمُهُ يَدَوِّي فِي مَسَامِعِ الدَّهْرِ.

إِنَّمَا الَّذِينَ يَخْلُدُونَ خُلُوداً طَيِّباً قَلِيلُونَ.

وَالسَّبِيلُ إِلَى الْإِشْتِهَارِ كَثِيرَةٌ وَمَتَعِدَّةٌ. مِنْهَا السَّبِيلُ السَّوِيُّ وَهُوَ سَبِيلُ الصَّالِحِينَ.

وَمِنْهَا السَّبِيلُ الْأَعْوَجُ وَهُوَ سَبِيلُ الْأَشْرَارِ.

هَذَا رَسَامٌ يَنْزُوي عَنْ النَّاسِ فِي غُرْفَةِ زَرِّيَةِ الْأَثَاثِ خَافَتَهُ الضَّوْءُ وَيُكَبُّ عَلَى لَوْحَتِهِ لِيَطْبَعَ فِي وَجْهِهَا وَجْهًا فِي مَخِيلَتِهِ. أَوْ طَيْفًا<sup>1</sup> لَاحٍ لَهُ فِي النَّهَارِ وَهُوَ سَائِرٌ فِي الطَّرِيقِ. أَوْ مُشْهَدًا مِنْ مَشَاهِدِ الطَّبِيعَةِ عِنْدَ الْفَجْرِ أَوْ عِنْدَ الْأَصِيلِ.

إِنَّ هَذَا الرَّسَامَ يَبْغِي بِمَا يَصْنَعُ أَنْ يَخْلُدَ ذَاتَهُ بِمَا يَصُورُ وَيَرْسُمُ مِنَ الْمَشَاهِدِ الَّتِي حَوْلَهُ أَوْ الْفِكْرِ الَّتِي تَتَمَخَّضُ بِهَا رُوحُهُ.

وَهَذَا عَالَمٌ مُنْصَرَفٌ عَنِ اللَّذَاتِ انْصَرَفَ الزُّهَّادُ لِكَيْ يَطَّلَعَ عَلَى النَّاسِ بِاخْتِرَاعٍ فِيهِ مَنَافِعٌ لِلْبَشَرِيَّةِ كُلِّهَا أَوْ لِأُمَّةٍ أَوْ لِقَبِيلَةٍ. إِنَّهُ لَا يَصْنَعُ مَا يَصْنَعُ طَمَعًا بِثَرْوَةٍ أَوْ مَنَاصِبٍ رَفِيعَةٍ وَلَكِنَّهُ يَطْمَعُ أَنْ تَمْلَأَ جَوَانِبَ نَفْسِهِ نَشْوَةُ الظَّفَرِ وَالْإِنْتِصَارِ عَلَى عَقَبَةٍ كَانَتْ فِي طَرِيقِ النَّاسِ فَمَحَاها. ثُمَّ هُوَ يَطْمَعُ بِأَنْ يَتَحَدَّثَ بِهِ النَّاسُ زَمَنًا طَوِيلًا. وَحَدِيثُ النَّاسِ هُوَ الشُّهُرَةُ.

وَقَسَّ عَلَى الْفَتَّانِ وَالْعَالِمِ وَغَيْرِهِمَا مِمَّا يَفْعَلُونَ إِرَادَةَ الْحَيَاةِ فِيهِمْ. بَيْنَ جُنْدِيٍّ يَغَامِرُ بِحَيَاتِهِ لِيَصُونُ عِلْمَ بِلَادِهِ أَوْ لِيَكْسِبَ لَهَا فَوْزًا.

أَوْ مُصْلِحٌ يُسْتَهْدَفُ لِكُلِّ مِحْنَةٍ وَكُلِّ بَلَاءٍ فِي سَبِيلِ إِنْقَاذِ أُمَّتِهِ مِنْ ذُلٍّ وَعِبُودِيَّةٍ أَوْ لِكَيْ يُنْقِذَهَا مِنْ نَقَائِصٍ<sup>2</sup> وَعُيُوبٍ فِيهَا.

كُلُّ هَؤُلَاءِ وَأَمْثَالِهِمْ يَطْلُبُونَ الشُّهُرَةَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَيَسِيرُونَ فِي السَّبِيلِ الْقَوِيمَةِ إِلَيْهَا وَإِنْ كَانَتْ سَبِيلًا طَوِيلَةً وَشَاقَّةً.

إِنَّمَا إِلَى جَانِبِ هَؤُلَاءِ الصَّالِحِينَ مِنْ ذَوِي الْعَبَقَرِيَّةِ أَنْاسٌ لَمْ يُخْلَقُوا لِيَخْصُلُوا عَلَى الشُّهُرَةِ مِنْ هَذِهِ السَّبِيلِ. فَتَرَاهُمْ يَطْلُبُونَهَا بِمُخَالَفَةِ الْقَوَانِينِ كَقُطَاعِ الطُّرُقِ وَالسَّرَّاقِينَ وَالْقَتْلَةَ وَمَنْ عَلَى هَذِهِ الشَّكَالَةِ مِمَّنْ تَخَلَّتْ عَنْهُمْ السَّمَاءُ فَاسْتَوْلَتْ عَلَيْهِمُ الشَّيَاطِينُ.

وَهُنَاكَ صِنْفٌ مِنَ النَّاسِ لَا يُحْصَى مِنَ الْقَتْلَةِ وَاللَّصُورِ وَلَكِنْ أَصْحَابُهُ أُمَّةٌ مِثْلُ الْقَتْلَةِ وَالْمَجْرِمِينَ وَهُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْجَزُونَ عَنْ أَنْ يَكُونُوا مِنْ ذَوِي الْمَوَاهِبِ فَيَنْشُدُونَ الشُّهُرَةَ بِالتَّهَجُّمِ وَالتَّطَاوُلِ عَلَى أَصْحَابِ الْمَوَاهِبِ لَعَلَّهُمْ يَشْتَهَرُونَ. فَيَشْتَهَرُونَ وَلَكِنْ مِثْلًا اشْتَهَرَ كَاسِرُ مِزْرَابِ الْعَيْنِ فِي الْقَرْيَةِ.

وَلَقَدْ كَانَ بَيْنَ تَلَامِيذِ الْمَسِيحِ وَاحِدٍ مِنْ هَذَا الصَّنْفِ الْمُنْحَطِ هُوَ ذَلِكَ الَّذِي بَاعَ سَيِّدَهُ بِثَلَاثِينَ مِنْ

1 الطَّيْفُ الْخَيَالُ الطَّائِفُ وَهُوَ مَا يَرَاهُ النَّاسُ.

2 النَّقْصُ الْعَيْبُ.

الفضة دون أن يَطْرَفَ له جفن.  
ولكنَّ المسيحيَّة لم تتمجَّد بيوضاس بل بكلِّ رسول إلا ذلك الخائن اللعين.

الشمير: 17/12/1955

## أفتة كبرى

عندما تقع في الجريدة غلطة مطبعية تفسد المعنى وتشوِّهه تسارع الجريدة إلى تداركها بالثبته عنها  
أنها غلطة. ووضع الصواب مكان الخطأ.  
وعندما يجرح أي إنسان يداه بأداة يخشى أن يفسد جرحه فيسرع إلى غسل يده بالضمانات التي تقيه  
من الفساد.

وعندما يكون في المجتمع علة أخلاقية أو عادة منضرة يجد العقلاء الزاغبون في الخير والصلاح  
والكمال من واجبهم أن يستأصلوا هذه العلة بالوعظ والإرشاد والقُدوة<sup>2</sup> الحسنة حرصاً على سمنعتهم  
التي هي جزء من سمنعة المجتمع.  
لا يستدعي الطبيب إلا المريض.

ولا يحارب المصلحون فكرة سخيصة إلا لأن لها أتباعاً وأنصاراً يتوهمون إنها غير سخيصة.  
ونحن نحاول أن نكون في جانب الإنصاف حتى مع أعدائنا الذين لا يعرفون للإنصاف وزناً في  
سليمهم وحريهم.

ولكننا لا نقدر أن نوافق أي صاحب فكرة سخيصة في ضلاله. كما أننا يصعب علينا أن نقنع أنفسنا  
بأن الغناء في المآتم شيء جميل. وأن الرقص حيال القبور والرَّمَم من الفضائل في هذا العصر!! وأن  
العريضة والشكر والرقص العاري الخليع في نكبة هو منتهى الذوق الرفيع!  
وإذا كان بعض الكاتبين تخلّوا عن عقولهم ومداركهم وحطّموا كلَّ قياس منطقي لقاء دولارات  
استفادوها فنحن لا نقف منهم موقف المحاسب. ولكننا لا نقدر أن نسلِّك الطريق الذي سلكوه لأننا  
نحترم أنفسنا ونحترم الضحايا ونخشع أمام الموت.

وإذا كانوا أكثرنا من إبداء المعاذير وابتداع الأقاويل تبريراً للرقص على المقابر والعزف في المآتم فلا  
غربة في صنيعهم. إن الرائحة الكريهة تحتاج إلى عطور كثيرة لتحوّل دون ظهورها وانتشارها.  
لا يغسل الناس إلا الثياب القذرة. ولا يرقعون إلا الرداء المُنْخَرِق.

1 طَرَفَ البَصَرُ طَرَفًا تَحْرَكَ جفناه.

2 القُدوة الأسوة يقال فلان قُدوةٌ يقتدى به وقد يُضَمُّ فيقال لي بك قُدوةٌ وقُدوةٌ وقُدّةٌ

ولكنهم في كُلِّ ما فعلوا كانوا كالمقهور الذي يستدفيء بضوء النجوم!.  
وكلُّ ما نرجوه أن يكون هؤلاء المكابرون في الحقائق السافرة على اتفاق ووثام مع عقولهم  
وضمائرهم. وأنهم مقتنعون حقاً بأن الرقص حيال الأجداث والقتل من الأمور الجميلة المرغوب  
فيها!.

أما إذا لم يكونوا على وفاق مع أنفسهم فإننا نراهم جديرين بالشفقة والعطف والمغفرة منا ومن  
غيرنا. فالرحمة شيء لا يقدر أحد أن يضمن به على محتاج إليها.  
ولكن لعلهم وقد رأوا كيف كانت نتيجة الهزء بالآلام الناس والشجر من الموتى والأحياء في وقت  
واحد.. لعلهم وقد رأوا أعراض العقلاء عنهم يسارعون الآن إلى إصلاح غلطتهم فهي أعظم وأبشع  
من خطأ مطبعي في جريدة. وأكثر ضرراً من جرح في إصبع أو ساعد.  
إنها آفة خلقية عليهم أن ينقذوا أنفسهم منها. إذ لا أحد غيرهم يستطيع هذا الأمر!  
ميامي فلوريدا..

السَّمير: 16/3/1956

## ذكريات

رجعتُ مساء أمس من ميامي لا أحمل في حقيتي غير ثيابي. ولا أحمل في يدي غير معطفي  
الشَّتوي. ولكني كنتُ أحمل أشياء كثيرة غير منظورة هي أهم وأثمن وأعز من كُلِّ شيء يُوضع في  
حقيبة. أو يُحمل في يد - هي ذكريات الأصدقاء الأوفياء والإخوان الأصفياء الذين لقيتهم هناك بين  
زوار مثلي ومقيمين مثل شقيقي - وما أحاطوني به من مظاهر الحب والوفاء.  
أجل. عُدْتُ أحمل هذه الذكريات الجميلة المؤنسة للروح وأحمل معها خيالات المشاهد السَّاحرة  
التي اشترك الإنسان والطبيعة في تكوينها. وانفردت بها تلك الأرض التي تزداد عُمرانا وسُكَّاناً في كُلِّ  
لحظة. فإنَّ الناس يتدفَّقون عليها من كُلِّ ولاية - حتى كاليفورنيا - كما كانوا يتدفَّقون على أميركا بعد  
اكتشافها.

وإنَّه لمن حظُّ المُسافر في الطائرة أنَّ الذكريات والصُّور الذهنيَّة والفِكر والخوارج النفسيَّة لا توزن  
كالحقائب والصُّرر. ولا يؤخذ عنها رَسْم نَقْل ولا رَسْم جرمي. وإلا لما حلَّقت في الفضاء طائرة ولا  
سافر إنسان في طائرة لأنَّها ليستْ أشياء يسعها مكان. ويطيُّرُ بها جناحان. إنَّها أشياء لا يسعها إلا وعاء  
واحد هو قلب الإنسان.

وأنا الآن في مكتبي أستعرض موكب هذه الذكريات وأحاول أن أنقلها من النَّفس إلى الطُّرس  
فيعترضني خيال النكبة وأكاد أسمع صرخات المُشرَّدين وعويل النساء اللواتي فقدن أزواجهن

وأولادهم أو أخواتهم. كما وأكد استدني مشاهد الفزع والهول ومراكب الخائفين والشاكين والمتضرعين الذين خسروا كل شيء كان لهم. وكادوا يفقدون الإيمان بالله. ويدوسون حتى الثقة بالإنسان.

وكلما لاحت لخيالي هذه المشاهد الكثيرة المحزنة المزلزلة للروح أحسنتُ كأن كل قطرة من روحي تهتف بي - إلى النجدة! إلى النجدة! هذا وقت المدد والمعونة. بل هذا هو الوقت الذي يبرهن فيه الإنسان عما أودع الله فيه من عطف وحنان وحب لأخيه الإنسان.

ولكنني لست ممن يقنعون حيال نكبة مثل هذه بالتلهف والتحسر والتوجع للمنكوبين بل أنا ممن يسترشدون العقل في هذه المواقف والعقل يقول: إن لجنة الإغاثة اللبنانية الأميركية يجب أن تستأنف الجهاد المبرور. فهي لجنة رسمية معترف بها من حكومة الولاية. وكل دولار يتبرع به أي شخص عن يدها يحسم من ضريبة الدخل.

ولما كنت في ميامي تحدثتُ إلى بعض الأفاضل المعروفين فإذا هم من رأيي وسيؤلفون لجنة رسمية دائمة على غرار لجنة نيويورك للتعاون معها في الأزمة الحاضرة وفي كل أزمة تقع في المستقبل. وكان صديقي الوحيد السيد يوسف سلمون ممن تحدثوا في هذا الموضوع فدفع إليّ حواله بمائة دولار لمنكوبي الزلزلة كفاتحة الإكتتاب الجديد.

ووقفتُ على رسالة من بيروت إلى السيدة عليا جريديني في ميامي من شقيقتها السيدة جميلة إبراهيم داغر تصف كيف جرت الهزات في بيروت نقتطف منه ما يلي:

«لا تسألني عن الخوف الذي نحن فيه اليوم. فاجأتنا الهزة الأولى ونحن سهرانين في البيت وكان عندنا أربعة أشخاص من مجدلونا. فشعرنا أن البيت كله يميل ويرتج والأبواب والشبابيك والزجاج يقرقع ويتحطم ويحدث ضجة عظيمة. فصرخنا وركضنا نختبيء في الغرف. ثم هدأت الحال. وبعد ربع ساعة ابتدأت الهزة الثانية وكانت أشد وأقوى من الأولى. فخرجنا مع ضيوفنا إلى الشارع ومنه إلى جنيّة الصنّائع حيث كان الألوف من السكان على الطرقات. والسيّارات تنقل الناس إلى خارج المدينة - حتى بلغت أجرة السيّارة 150 ليرة بعدما كانت ليرتين!!..»

«وما هي غير لحظات حتى حدثت الهزة الثالثة. فجزع الناس جزعاً عظيماً. وكانوا يخرجون من بيوتهم بملابس النوم يطلبون النجاة... وكنا نركض مع الناس ونطلب من أصحاب السيّارات أن ينقلونا من المدينة فلا أحد يسمع. وبقينا على هذه الحالة إلى نصف الليل. وأخيراً عدنا إلى البيت مسلمين أمرنا الله.

وفي اليوم التالي - السبت - حدثت هزة رابعة قبل الظهر. وكان صهرك في الشغل فجاء ركضاً إلى البيت فلم يجدنا. وبعد أن فتش علينا وجدنا في الجنيّة القريبة ممّا. وبقينا خارج البيت حتى نصف

الليل. واليوم (الثامن عشر من آذار) قبل أن نكتب هذه الرسالة حصلت هزتان خفيفتان».

ثم تذكر كاتبة الرسالة القرى التي انهدمت فيها بيوت وقتل فيها ناس. ولما كنا قد نشرنا أسماء هذه القرى من قبل في «السّمر» فإننا نكتفي بالإشارة إلى أن «كفر حتى» التي نكتب وبلغ عدد قتلاها ثلاثة عشر هي غير «كفر متى».

وتذكر الرسالة أن بنايات ضخمة في بيروت تصدّعت. ومنها قصر الجمهورية وبناية البوسطة والتلّغراف. وبناية العسيلي. وأن الناس يعيشون الآن في خوف.

السّمر: 28 / 3 / 1956

## استغاثة واستنجد

يا ابن وطني

المنتمي إلى أرض الفكر والإلهام وموطن الشعر والجمال

بل يا نسمة من نسّمات الحب المنعشة. وقبسا من أقباس المروءة والمعروف.

أيها المهاجر المجاهد الرّائع في أرض الحرّية والخير والسلامة.

بل أيها الإنسان الذي يتفجّر في قلبه ينبوع حنان ورحمة كلما نزلت بوطنه جائحة<sup>1</sup> ويطلع موهّجاً

كلّما دجا<sup>2</sup> ليل كارثة. تصوّر عندما تأوي في الليل إلى فراشك لتنام مستريحاً هادئاً أن إنساناً شريداً هدم

الزلازل بيته يطرّق بيتك مستجيراً بك لتمنحه سقفاً يتظلّل به ولو ليلة. وفراشاً ينام عليه ولو ساعة.

ورغيفاً يحفظ به رمقه<sup>3</sup> الذّاهب. وكساء يستر به جسده المرتعش.

قل لي برّبك يا ابن وطني. لو جاء إليك إنسان هذه حالته من التّعاسة أفكنت تردّه عن بابك وتقول

له - لا مكان لك عندي. فاذهب إلى غيري؟.

لا. قد يفعل إنسان غيرك هذه السيئة. أمّا أنت فحاشا لك أن تستبدل من طبيعتك السّخية طبيعة

بخيلة. وأن تنزع الإبتسامه عن محيّاك المتهلّل لتلبّس مكانها جهمة<sup>4</sup> وعُبوسة<sup>5</sup>.

أذكر يا أخي - سواء كنت رجلاً أم امرأة - أن هنالك وراء البحر.. في وطنك الحبيب الغالي..

1 الجائحة: جاح فلان جَوْحاً عدل عن المحجّة إلى غيرها وجاحت الجائحة المال أهلكته وجاحت الجائحة الناس أهلكت ما لهم واستأصلته.

2 دجا الليل: دجا الليل عمّت ظلمته وألبس كلّ شيء فهو داج.

3 سدّ رمقه: الرّمقة بقية الرّوح.

4 الجهمة: الوجه الغليظ المجتمع السّمح.

5 وعبس وجهه عبوساً كلّح وكلّح تكشّر في عبوس.



ألوفاً مِنَ النَّاسِ مَنْ كَانُوا يَأْوُونَ إِلَى مُضَاجِعِهِمْ فِي اللَّيْلِ آمِنِينَ كَمَا تَأْوِي أَنْتَ إِلَى مَضْجَعِكَ فِي أَرْضِ  
كُولِبُوسٍ.. فَأَمْسُوا بَعْدَ الزَّلَازِلِ وَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ جِدَارٌ يَسْنَدُ إِلَيْهِ ظَهْرُهُ وَلَا وَسَادٌ يُلْقِي إِلَيْهِ رَأْسَهُ.  
وَكُلُّ هَؤُلَاءِ يَطْرُقُونَ بَابَكَ وَيَسْتَنْجِدُونَ بِكَ.

وَكُلُّ هَؤُلَاءِ إِخْوَانُ لَكَ. لَوْ زَرْتَهُمْ قَبْلَ الْكَارِثَةِ الَّتِي حَطَّمَتْهُمْ لَفَرَشُوا طَرِيقَكَ بِالزَّيَاحِينَ. وَفَتَحُوا  
لَكَ أَبْوَابَهُمْ وَقَبَّلَ أَبْوَابَهُمْ قُلُوبَهُمْ. وَغَمَرُوكَ كَمَا يَغْمُرُ نُورُ الشَّمْسِ الْأَزْهَارَ.  
وَلَكِنَّهُمْ الْآنَ مُحْتَاجُونَ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ. وَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى حَبِّكَ... إِلَى وَطَنِيَّتِكَ... إِلَى مُرُوءَتِكَ...  
إِلَى إِنْسَانِيَّتِكَ.

وَإِذْكَرُ أَنَّ الدُّنْيَا كُلُّهَا عَيُونَ شَاطِصَةٌ إِلَيْكَ لِتَعْرِفَ مَقْدَارَ حُبِّكَ لَوْطَنِكَ الْأَوَّلِ. وَمَقْدَارَ غَيْرَتِكَ عَلَى  
أَبْنَاءِ بِلَادِكَ فِي هَذِهِ الْكَارِثَةِ.

فَدَعِ التَّارِيخَ عِنْدَمَا يَذْكُرُ قِسْوَةَ الزَّلَازِلِ أَنْ يَذْكُرَ مَعَهَا رَحْمَتَكَ وَمُرُوءَتَكَ وَشَهَامَتَكَ.

السَّمِيرُ: 1956 / 4 / 23

## بعد عشرة قرون

إِنْقَضَتْ عَشْرَةُ قُرُونٍ عَلَى وَفَاةِ فِيلْسُوفِ الْمَعْرِءَةِ الضَّرِيرِ أَبُو الْعَلَاءِ الْمَعْرِّيِّ.

وَهَذِهِ الْقُرُونُ الْعَشْرَةُ مَرَّتْ بِالعَالَمِ الْعَرَبِيِّ وَكَأَنَّهَا لَمْ يَمُرْ مِنْهَا بِهِ يَوْمٌ وَاحِدٌ. فَقَدْ تَبَدَّلَتْ الْأُمَمُ مِنْ  
أَطْوَارِهَا أَطْوَاراً جَدِيدَةً. وَمِنْ حَالَاتِهَا السَّاذِجَةِ الْخَشَنَةِ حَالَاتٌ رَاقِيَةٌ رَفِيعَةٌ. فَتَحَرَّرَ الْإِنْسَانُ فِيهَا مِنْ  
عِبُودِيَّاتٍ كَثِيرَةٍ. وَصَارَ أَكْثَرُ شَعُوراً بِحَقِّهِ. وَأَكْثَرُ احْتِرَاماً لِحَقِّ أَخِيهِ.

أَمَّا الشَّرْقُ الْعَرَبِيُّ.. وَمَا شَاكَلَ الشَّرْقُ الْعَرَبِيُّ. فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ فِي حَاضِرِهِ كَمَا كَانَ فِي مَاضِيهِ يَتَّخِذُ  
الدِّينَ وَسِيلَةً إِلَى أَغْرَاضٍ وَأَهْدَافٍ لَيْسَتْ مِنَ الدِّينِ فِي شَيْءٍ. وَهُوَ لِلْجَهْلِ الْمُسْتَحُوذِ عَلَيْهِ لَا يَدْرِكُ مَا لَهُ  
مِنَ الْحَقُوقِ كإِنْسَانٍ. وَجَهْلُهُ حَقُوقَهُ يُجْعَلُهُ أَكْثَرَ جَهْلاً لِحَقُوقِ الْآخَرِينَ. فَهُوَ لِذَلِكَ يَسِيرُ الْقَهْقَرَى بَيْنَمَا  
العَالَمُ كُلُّهُ يَسِيرُ إِلَى الْأَمَامِ.

وَيَقُولُونَ لَكَ أَنَّ الْعِلْمَ فِي هَذَا الْمَعْهَدِ أَكْثَرَ انْتِشَاراً فِي الشَّرْقِ مِنَ الْعُهُودِ الْمَاضِيَةِ. وَأَنَّ أَهْلَهُ آخِذُونَ  
بِأَسْبَابِ الْحَضَارَةِ الْحَدِيثَةِ. وَأَنَّ رُوحَ التَّحَرُّرِ مِنَ التَّقَالِيدِ الرَّثَّةِ وَالْعَادَاتِ الْبَالِيَةِ تَمْتَدُّ وَتَنْتَشِرُ وَتَدْخُلُ إِلَى  
الْحَانُوتِ وَالْمَكْتَبِ وَالْبَيْتِ.

وَتَصَدِّقُ أَنْتَ مَا يَقُولُونَ وَتَظَلُّ مُتَفَانِلاً مُسْتَبْشِراً حَتَّى يَقَعَ حَادِثٌ يَمَسُّ الْوَتَرَ الْحَسَّاسَ - وَتَرِ  
الطَّائِفِيَّةَ. فَإِذَا النَّاسُ هُنَاكَ يَرْجِعُونَ عَشْرَةَ قُرُونٍ إِلَى الْوَرَاءِ وَيَتَصَرَّفُونَ كَمَا كَانَ يَتَصَرَّفُ النَّاسُ فِي تِلْكَ  
الْأَيَّامِ.

فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ قَالَ أَبُو الْعَلَاءِ يُخَاطِبُ النَّاسَ فِي عَصِرِهِ:

«إِنَّ الدِّينَاتِ أَلَقَتْ بَيْنَكُمْ إِحْنًا وَعَلَّمَتْكُمْ أَفَانِينَ الْعَدَاوَاتِ»

وهو قولٌ صادقٌ. وغير صادقٍ. أمّا صدقه فهو أن الناس في ذاك الزمن كانت بينهم إحن<sup>1</sup> وأحقاد. وكانت عداوة بعضهم لبعض أفانين.

وأما أن الديانات هي التي أَلَقَتْ بينهم الأحن وعَلَّمَتْهم أفانين العداوات فهو خطأ إذ ما من دين يدعو إلى شَبَاحِضٍ وَاشْتَاكِرٍ ويحضُّ على الحقد والانتقام. بل كُلُّهَا تقول بالإخاء الإنساني والحب والرحمة والنصح والتسامح.

لكن الإنسان هو الذي يفسد الأمور على نفسه بجهله وحماقته فإذا الدِّين قارورة حقد وبغض وأداة عدوان وبغي وانتقام.

نقد اقتصَّ الناس في أوروبا باسمه الدِّين وارتكبوا باسمه الموبقات<sup>2</sup>. لكنهم أفاقوا من سكرة غرورهم وتبوا. أمّا الشرقيون فيبدو أن سكرتهم بهذا السائل العجيب التي استمرَّت قروناً لم تزل ذات قدرة على البقاء في تلك الأرض أجيالاً أخرى. ولو لم يكن الأمر كذلك.

وكأن نعتقد أن الطائفة في لبنان سائرة في طريق الزوال مثل القداحة والصَّوَّانة. لكنَّ الحوادث التي وقعت في السنوات الأخيرة دَلَّتْ على أنَّ التَّفكير هناك لا يزال كالتَّفكير منذ أجيال. أي على أساس الطائفة.

إنَّنا لا نخشى على لبنان من طغيان الأنهر ولا ثورات البراكين. ولكننا نخاف عليه من هذه العنعنات. فهي شرٌّ من نوياء والشمة والنَّار.

السَّمير: 1956 / 5 / 28

## الضُّواري البشرية

عندما كان الإنسان الأوَّل يعيش في الغابات والأدغال ويأوي إلى المغاور والكهوف دفعته غريزة حبِّ البقاء إلى الاستعانة بأخراوات الضَّخمة والحجارة المحددة لمحاربة الضُّواري ومقاتلة الأفاعي وقايةً لنفسه ومحافظةً على كيانه.

ثم ارتقى وتحضرَّ ومكن البيوت والقصور وأنشأ المدن وعمرَّ الأرض الخراب. فابتعد عن الوحوش والأفاعي. أو ابتعدتْ هي عنه وأصبح آمناً على جلده من أظافرها وأنيابها لأنَّه صار أقدر على حماية نفسه منها. غير أنَّه وجد نفسه أحياناً مُستهدفاً لخطر جديد يحتاج في إنقاؤه إلى وسيلة غير

1 الإحن: الإحنة الحقد وج الإحن.

2 الموبقات: وبقيَّة ببقه وثوباً هلك والموبق منقبض منه.

الهراوة والحجر وهو وجود ناس فيهم نزع الضواري إلى التخديش والتمزيق - تخديش السمعات السليمة لا الجلود. وتمزيق الكرامات المحترمة لا اللحوم. فوضع الشرائع وسن القوانين ليحمي نفسه ويصون شرفه من هؤلاء الأشرار الأشد أذى من الأراقم<sup>1</sup> والعقارب والأولع بالفتك والتّهشيم من الضواري.

إنّ وجود اللصوص هو الذي أوجد الوصيّة - لا تسرق. وهو الذي حمل المفكرين على وضع قانون يعاقب على السرقة.

ووجود قطاع<sup>2</sup> طرق يسلبون الناس أمتعتهم ونقودهم قضى بوضع قانون يعاقب السلايين والنهّابين.

ووجود تجار محتالين يأكلون مال الناس ثمّ يعلنون إفلاسهم أوجب وضع قانون ضد الإفلاس الإحتيالي.

ووجود أقلام سبابة عيّابة في عالم الصحافة قضى بوضع قانون للإقتصاص ممن يفترون على الناس ويرشقونهم بالتّهم الباطلة بغياً وعدواناً وزوراً وبهتاناً<sup>3</sup>.

وهذا القانون لازم كلّ اللزوم - إذ كيف يعاقب المجتمع ولدأ حطّم زجاج باب أو زجاج نافذة. ولا يعاقب من يحاول تحطيم سُمعة وتشويه صيت وهدم كرامة؟.

فأنت ترى أنّ القوانين وضعت لحماية الناس الفضلاء من أذى الناس الأردياء. وللإقتصاص من الشّفهاء الذين ينهشون أعراض الناس بالسّيّتهم الساقطة وأقلامهم القذرة.. أولئك الناس الذين يجدون في تشويه سُمعة إنسان طيّب أو هدم صيت امرأة فاضلة لذّة كالتي يجدها الذئب في شرب دم النّعجة. وتراهم يدورون من بيت إلى بيت لينشروا إشاعات السوء أو يتحدثوا بها كأنّهم سمعوها من غيرهم. وهم الذين اختلقوها وفبركوها وزوّقوها لكي يوجدوا اضطراباً في عائلة سعيدة. أو لكي يخلّقوا راحة جماعة مطمئنة. أو ليهدموا صيت تاجر. أو ليلوثوا سُمعة أديب.

إنّ هؤلاء الأشرار خطرٌ على المجتمع - لا وقاية منهم ولا سلامة إلا بالالتجاء إلى القوانين التي تعاقب على الإفتراءات وتحاسب الذين يرشقون الناس بالتّهم الباطلة حساباً عسيراً.

السّمير: 6/6/1956

1 الأراقم: الحية التي فيها سواد وبياض ج أراقم.

2 قطاع الطريق اللصوص.

3 وبّهته قال عليه ما لم يفعله فهو مبهوت وبّهتاً وبّهتاناً.

## طاها حسين ينفذ الانقلاب

( ننقل هذا الخبر بحذافيره<sup>1</sup> لنقول كلمتنا التي يصل إليها القاريء بعد الإنتهاء من هذا الخبر ) :  
القاهرة الثامن من حزيران - نشرت «الجمهورية» أمس مقال الدكتور طه حسين المنتظر والذي  
نسج فيه على منوال جديد في كتابة اللغة العربية. إذ استغنى فيه عن الألف المقصورة بالمدودة وحذف  
الألف من قولهم «كتبوا» و«ذهبوا» وأثبت الألف في اسمه فصار «طاها».

وسيعرض طه حسين هذه التبسيطات في الكتابة العربية على المجمع العربي في دمشق في دورته  
القادمة مع مقترحات منها توحيد شكل الهمزة.

وهذا مثل مما جاء في مقالة عن «خصام في غير موضع للخصام» متحدثاً عن الدولة فقال: «وكأنها  
لم تطمئن بعد «إلا» أن الإمتيازات الأجنبية قد أُلغيت و«إلا» أن القوانين المصرية يجب أن تنفذ «علا»  
الذين يسكنون مصر جميعاً وينشطون فيها من المصريين والأجانب «علا» السواء».

أو يقول: «كان التلاميذ المسيحيون في ما «مضا» لا يتعلمون دينهم في المدارس الحكومية وكان  
«ذلك» إهمالاً من وزارة المعارف.

وقد حاولت أن أصلح «هاذا» الإهمال حين كنت وزيراً للمعارف فقررتُ تعليم المسيحية  
للمسيحيين من التلاميذ في مدارس الدولة لتحقيق المساواة بينهم وبين إخوانهم المسلمين الذين  
يتعلمون دينهم.

### تمخض الجبل فولد فأراً

ما من كاتب أو شاعر عربي أطل على الدنيا في النصف الأخير من القرن الماضي إلا عرض له أن  
يفكر في تبسيط اللغة العربية لتخفف مؤونتها<sup>2</sup> ويصلح شأنها ويسهل على الكل أن يتحدثوا أو يكتبوا  
بها بدون خوف من غيلان<sup>3</sup> النحو وحيثان الصرف. ولكن لم يخطر في ذهن أحد أن أديباً كبيراً مشهوراً  
مثل الدكتور طه حسين يعالج هذه المشكلة معالجة صنيائية فيكتفي بتوحيد الألف ليجعل «على - علا»  
و «إلى - إلا». ويخفى عليه ما في ذلك من التشويش والتلبيك.

لا. إن هذه الطريقة لا تزيل غموضاً ولا تحل عقدة بل توجد غموضاً أعظم وتخلق عقداً جديدة.  
وليست مشكلة العربية إنها تحتوي ألفاً ممدودة وألفاً مقصورة. ولا همزة عالية وهمزة خفيفة. فهذه

1 الحذافير: حذاً غير الشيء أعاليه ونواحيه والواحد حذافار.

2 المؤونة: ومأنت القوم احتملت مؤونتهم.

3 غيلان: والغول بالضم من الشعالي. والسغلاة أخبت الغيلان وكذا السغلاء.

أخف أعبائها وأهون عِلَلِهَا. وإِنَّمَا عَلَّتْهَا الْكِبَرُى ودَاوَاهَا الْعُضَال<sup>1</sup> هو هذه الحركات في أواخر الكلمات بين ضم وفتح وكسر وتنوين. إِنَّمَا هُنَاكَ صَغِيرَةٌ يَكَاد لَا يَتَبَيَّنُهَا النَّظَرُ وَلَكِنْ هَذِهِ الْهَنَاتُ<sup>2</sup> الصَّغِيرَةُ هِيَ الَّتِي وَقَفَتْ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ عَنِ النَّمُو وَقَضَّتْ عَلَيْهَا بِالْجُمُودِ. وَالْقَتَّ الزُّهْدُ فِي نَفُوسِ الْمُشْتَغَلِينَ بِالْأَدَبِ فَهَجَرُوهُ. أَمَّا الَّذِينَ أَقَامُوا فَقَدْ كَانَ هُمُ الْوَاحِدُ الْأَوَّلُ وَالْأَكْبَرُ أَنْ يَتَحَاشَى الْوُقُوعَ فِي الشُّوَابِّ وَأَنْ يَتَجَنَّبَ الْعَثَرَاتِ. مِمَّا سَدَّ دُرُوباً وَاسِعَةً لِلْفِكْرِ. وَحَدَّ مِنْ قُوَّةِ الْخَيَالِ فَقُلَّ الْإِبْتِكَارُ وَتَعَذَّرَ الْإِبْدَاعُ. وَنَسْتَطِيعُ أَنْ نَقُولَ أَنَّ فِكْرَةَ حَذْفِ الْأَلْفِ مِنْ «كُتُبُوا وَخُطِبُوا وَذَهَبُوا» لَيْسَتْ جَدِيدَةً. فَقَدْ قَالَ بِهَا كَثِيرُونَ قَبْلَ الدُّكْتُور طه حُسَيْنٍ وَاسْتَعْمَلُوهَا فِي كِتَابَاتِهِمْ. فَالدُّكْتُور طه حُسَيْنٌ مُقَلِّدٌ فِي هَذَا الْأَمْرِ لَا مُبْتَكِرٌ.

وَلَكِنْ حَذْفُ الْأَلْفِ فِي هَذَا الْمَقَامِ لَا سَخَافَةٌ فِيهِ - بَلِ السَّخَافَةُ فِي اسْتِعْمَالِ الْأَلْفِ الْمَمْدُودَةِ وَحَدِّهَا فِي مَوَاقِعَ يَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى الْأَلْفِ الْمَقْصُورَةِ. فَالْكَلِمَةُ تُصِيرُ كَلَا. وَالْبَلَى يُصِيرُ الْبَلَا. إِذْنُ طَرِيقَةُ الدُّكْتُورِ حُسَيْنٍ مُجْلِبَةٌ لِلْمَتَاعِبِ وَالْمَشَاكِلِ وَمُضَاعِفَةٌ لِلْإِلْتِبَاسِ وَالْإِشْكَالِ. كَانَ الْأُخْرَى بِالدُّكْتُورِ طه حُسَيْنٍ وَهُوَ يَرِيدُ تَبْسِيطَ اللُّغَةِ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى فِكْرَةِ الْمُصْلِحِ الْكَبِيرِ قَاسِمٍ أَمِينٍ فَيَدْعُو إِلَى الْعَمَلِ بِهَا وَالنُّزُولِ عَلَيْهَا. وَهِيَ تَسْكِينُ أَوَاخِرِ الْكَلِمَاتِ. عِنْدُنَا يَسْتَوِي الْمَاءُ وَالْخَشَبَةُ. وَتُصِيرُ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ كَبَاقِي لُغَاتِ الْعَالَمِ سَهْلَةً الْمَتَالِ وَكُلُّ عِلَاجٍ غَيْرُ هَذَا الْعِلَاجِ بَاطِلٌ وَقَبْضُ الرِّيحِ.

السَّمِير: 18/6/1956

## الْقَرِيبُ الْبَعِيدُ

كَمْ مَرَّةً لَقِيتُ شَخْصاً مِنْ جَنْسِكَ. لُغَتُهُ لُغَتُكَ. وَتَارِيخُهُ تَارِيخُكَ. وَعَادَاتُهُ عَادَاتُكَ. وَزِيَّتُهُ زِيَّتُكَ. وَطَعَامُهُ طَعَامُكَ. وَأَغَانِيهِ أَغَانِيكَ حَتَّى مَذْهَبُهُ هُوَ مَذْهَبُكَ. وَكُلُّ شَيْءٍ فِيكَ يَقْرُبُكَ إِلَيْهِ. وَكُلُّ شَيْءٍ فِيهِ يَقْرُبُهُ إِلَيْكَ. وَلَكِنَّكَ بَعْدَ أَنْ تَجُولَ مَعَهُ فِي أَيْتِهِ قَضِيَّةٍ مِنْ قَضَايَا بِلَادِكَ أَوْ غَيْرِ بِلَادِكَ تَشْعُرُ أَنَّكَ غَرِيبٌ عَنْهُ وَأَنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ هَاوِيَةٌ لَا جِسْرَ فَوْقَهَا تَعْبُرُ عَلَيْهِ إِلَيْهِ. فَتَعُودُ عَنْهُ وَأَنْتِ كَثِيبٌ حَزِينٌ لِأَنَّكَ أَضَعْتَ وَاحِداً مِنْ أَبْنَاءِ أُمَّتِكَ. أَضَعْتَهُ وَهُوَ مَوْجُودٌ... وَبَعُدَ عَنْكَ وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْكَ وَإِذَا بَيْنَكُمَا مَا بَيْنَ غَرِيبَيْنِ.

أَتُرِيدُ أَنْ تَعْرِفَ السَّبَبَ فِي هَذَا التَّبَايُنِ بَلِ التَّنَاكُرِ بَيْنَكُمَا؟

إِنَّ السَّبَبَ بَسِيطٌ جَدًّا. وَهُوَ إِنَّكَ تَعِيشُ فِي عَصْرِ. وَهُوَ يَعِيشُ فِي عَصَرٍ آخَرَ. أَنْتِ تَتَحَدَّثُ عَنْ

1 وداء عُضَال وأمر عُضَال أي شديد أعياء الأطباء.

2 الهَنَات: الداهية ج هَنَوَات.

الحاضر والمستقبل. أما هو فليس عنده حاضر ومستقبل بل الزمان كله عنده هو الماضي. وهو لا يذكر من الزمن الماضي غير الصفحات السوداء فيه.

والسر الآخر في اختلافكم هو أنك تسير إلى الأمام وتتطلع إلى قدام. أما هو فيأبى أن يسير - وإذا مشى إلى الوراء مشى متقهقراً.

ونحاول جهدك أن تفتح عينيه على الأمور التي تراها وتعتقد أن الخير في رؤيتها. فيحزن كما تحزن البغال أو يثور كما يثور البزكان فترجع عنه واليأس يحز في نفسك لأنك عجزت أن تخرجه من كهف الإنكماش إلى فضاء الإنطلاق. إلى دنيا العقل المتحرر.

أما هو فيمضي عنك وفي قلبه جقدٌ عنيت ونغض لك لأنك لا تقول كما يقول ولا تفعل كما يفعل. فنت في رأيه إنسان متمرد على تقاليد آبائك وأجدادك. أو أنت في نظره عدو قومك وبلادك.

وكنتم التقى إنسان مثلك بإنسان مثله فبئها لا بُدَّ مفترقان إلى غير لقاء.

ذلك لأن الجهل لا يقدر أن يُحِب. إن المحبة بنت المعرفة وحدها. وهذه المحبة هي التي تبقى وتدوم.

والجاهل صبق الصدر أداً ينوّه كل فكرة جديدة بدعة<sup>1</sup> وإلحاداً. ويتصور كل مخالف له في رأي أو نظرية عدواً وإن كان أعظم فيلسوف.

وما كثر أمثال هؤلاء الجهلاء في أمة إلا ذلت وصعفت وصارت فريسة باردة لكل طامع. ومسرّحاً لشعابين التفاق والشقاق والنزاع المذهب للقوى.

وأمة يكثر فيها هؤلاء الجهلاء يكون العبء على كواهل المتنورين فيها أعظم وأصعب. والطريق إلى الحرية والكرامة الوطنية أطول وأصعب وأشق. إذ ليس من الأمور السهلة أن تنقل إلى القرن العشرين أناساً يعيشون ويفكرون بعقلية القرن السابع عشر أو الثامن عشر.

كما إنه من العسير أن تبني جداراً من حجارة غير متناسقة ولا مساوية. فالحجر الأملس المسطح لا يلتحم مع حجر غير أملس ولا مسطح.

ولو كانت العقول تُنحت كما تُنحت الحجارة لما كان الوقت الثمين يمضي في الأسف والحزن.

لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون<sup>2</sup> والله في خلقه شؤون!

السَّمِير: 19/7/1956

1 البدعة: الحدث في الدين بعد الإنزال.

2 9 ك الزمر 39 قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ أي لا يستويان كما لا يستوي العالم والجاهل. (تفسير الجلالين).

## حكاية طبق الأصل

زار أحدهم دار جريدة عربية. وبعد أن تشاءب وتمطى قال للمحرر: إنَّ لجريدتكم سُمعةً حسنةً في بلدتنا وأنا مِن أنصارها.

قال المحرر: شكراً ومرحباً<sup>1</sup>.

قال الزائر: عندي خبر وأظنُّ أنَّ الجريدة تحب أن تنشره.

قال المحرر: هاته. إنَّ الجريدة أنشئت لنشر الأخبار.

فتهلل الزائر وقال: أمّا الخبر فهو أنَّ الوجيه الكبير والصناعي الكبير صاحب الأيادي البيضاء على المشاريع الخيرية وصاحب النفوذ البعيد في الدوائر الرسمية حنين ابن بطوطة اعتزم السفر إلى الوطن حباً بالوطن الذي فارقه منذ أربعين سنة.. ولما علم الأصدقاء بعزمه على السفر تسابقوا إلى إقامة الولائم السخية بالمآكل العامرة بالمشارب على شرفه. فاحتها مأدبة في بيت صديقه حاتم طي صاحب الدار الجميلة. وواحدة في بيت نسيه الهمام والتاجر المقدام بولس طماطم. وواحدة أحيائها «نادي البطون» المشهور على شرف المسافر لأنه عضو عامل في النادي وله في سبيله خدمات جليلة. ومأدبة في قاعة جمعية «الأبطال». ومأدبة في...

فقاطعه المحرر: قلت لي أن لديك خبراً. فأين هو؟

قال الزائر: يا عجباً. أليس ما سرّدته عليك خبراً.

قال المحرر: كلا. بل الذي سرّدته سلسلة نعوت وألقاب لا أدري إذا كانت تنطبق على أصحابها.

بل لا أدري إذا كان أصحابها يرضون أن تسبغ عليهم هذه النعوت والأوصاف والأزجج أنهم سوف يتكدّرون ويغضبون إذا كانوا من ذوي الإحساس لأن مدح الإنسان بما ليس فيه هو القَدْح<sup>2</sup> بعينه. بل الأصح أن يقال إنه تهكُّم فاضح وسُخْرٌ مَرِير.

فبهت<sup>3</sup> الزائر وقال: إذن كيف يكون الخبر؟

قال المحرر: الخبر. الخبر.. هو أن تقول عن إنسان سافر إلى مكان - «أنَّ فلاناً سافر إلى موضع

كذا». وإذا مرض ولزم البيت فالخبر الصحيح هو أن تقول «أصابَتْ فلاناً وعَكَّة<sup>4</sup> لزم البيت بسببها».

أمّا النعوت الطنّانة والألقاب الرنّانة فهي ليست أخبار. ولا يليق ابتدائها باستعمالها حيث يجوز

1 وقولهم مَرحباً وأهلاً أي أتيت سعة وأتيت أهلاً فاستأنس ولا تَسْتَوْجِسْ.

2 القَدْح: قَدْح فيه طَعَن.

3 بهت الرَّجُلُ دَهِشَ مأخوذاً بالحُجَّة.

4 الوَعَكَّة: الوَعَكُ مَفْتُ الحَمَى وقد وَعَكْتَهُ الحَمَى فهو مَوْعُوكٌ.

وحيث لا يجوز. وإذا لم تكن ألقاباً لذوي مَهَنٍ أو وظائف فهي أماديح. والأماديح غير الأخبار. وأنت أَلصَقْتَ بصاحبك المسافر ألقاباً ونعوتاً عظيمة. فهل لك أن تخبرني ما هي صناعته أو تجارته وما هو شأنه في المجتمع؟

فارتبك الزائر أمام هذا السؤال ولكنه تماسك وقال: إنَّه مِن ذوي الثَّراء.

قال المحرِّر: إذا كان صاحبك مِن ذوي الثَّراء فأَيُّ الغنى غناه؟

قال الزائر: ماذا تعني. وهل الغنى أنواع.

قال المحرِّر: أجل. إنَّه أنواع كثيرة حسنة وسيئة. فمن أنواعه السَّيِّئة نوع يجعل مِن صاحبه صَنَمًا لا حِسَّ فيه. ونوع يجعل صاحبه سَجِينًا لا حَرِيَّةَ له. ونوع يجعل صاحبه جباناً يرتعد كلِّما طرق بابه طارق. ونوع يجعل صاحبه أبكم أصم ولا سَمِيًّا عندما يتنادى النَّاس إلى الغوث والنجدة في نكبة.

أمَّا أنواع الثَّراء الجميلة فهي تلك التي تهذب طباع صاحبها وترقق شعوره فيصير يُحسن كأنَّه مسؤول عن إغاثة المَنكوب. وعن مطاردة الجَهِل ومحاربة الأمراض. وهذه الأنواع مِن الثَّراء هي التي أوجدت المدارس والملاجيء والمستشفيات وعمَّرت المعابد والمكاتب.

أمَّا وقد شرحتُ لك أنواع الثَّراء فأخبرني عن ثراء صاحبك مِن أي نوع.

قال الزائر: أنا لا أفهم ما تقول. كُلُّ ما أعرفه أنَّ صاحبي رجل غني. وهو الذي أرسلني إلى الجريدة لِتُخَبِّر النَّاس أنَّه مسافر إلى الوطن وأنَّه ذو شأن عظيم. وذلك لكي يحمل الجريدة معه ويستعين بها على تعريف نفسه إلى النَّاس هناك. فالنَّاس تخدعهم الكلمة المكتوبة...

قال المحرِّر: وهل صاحبك مشترك في الجريدة؟

قال الزائر: إنَّه غير مُشترك في أيَّة جريدة.

قال المحرِّر: ولماذا هو غير مشترك في جريدة. ألم تقل لي إنَّه غني كبير؟

قال الزائر: أجل. إنَّه غني. ولكنه يجهل القراءة والكتابة!...

قال المحرِّر: لعلَّه يجهل اللُّغة العربية.

قال الزائر: إنَّه يجهل اللُّغة العربية والإنكليزيَّة والفرنسيَّة وكلُّ لغة في العالم!...

السَّмир: 1/10/1956

## الكتب هيئتك...

بيروت - «المناسبة لإفتتاح المدارس قصد طفل لا يتجاوز السادسة مِن عُمْرِهِ إلى مدرسة الرَّمَل في محلة النَّهر. ودخل غرفة مُدِيرِها، طالباً تسجيل اسمته مُبرزاً الأوراق المطلوبة مِن بطاقة هُويَّة وشهادة صحيَّة وغير ذلك.



وَنَظَرَ إِلَيْهِ الْمَدِيرُ بِاسْمٍ وَقَالَ:

- بعدك صغير... عُدْ إِلَى السَّنَةِ الْقَادِمَةِ.

فَضَحِكَ الْوَلَدُ وَقَالَ:

- لَيْش هِي قَضِيَّة «شَعْر شَايِب»؟...

فَدُهِشَ الْمَدِيرُ لِهَذَا الْجَوَابِ. وَقَالَ:

- يَظْهَرُ أَنَّكَ تَلْمِيزُ ذَكِي فُلَانٍ أَتَرَكَكَ.

وَأَحَالَهُ إِلَى مَعْلَمٍ لِيَجْرِيَ لَهُ إِمْتِحَانًا. وَكَانَتْ النَتِيجَةُ أَنَّ تَجَمُّعَ الْمُعَلِّمِينَ حَوْلَ الصَّبِيِّ لَفَرَطَ ظَرْفِهِ

وَسُرْعَةَ خَاطِرِهِ. وَصَحَّبُوهُ إِلَى الْمَدِيرِ لِيَسْجَلَ إِسْمَهُ. فَسَأَلَهُ:

- مَا إِسْمُ وَالِدِكَ

- جَمِيلُ بَهْنَانِ

- وَأَسْمُكَ

- سَمِيرُ بَهْنَانِ

- مَا مِهْنَةُ أَبِيكَ؟

- «مُسَبِّحُ كَارَات»

- مَا مَذْهَبُكَ؟

- لِبْنَانِي

- مَذْهَبُكَ. لَا جَنْسِيَّتَكَ!

- لِبْنَانِي

أَقْصَدُ: دِيَانَتَكَ.

فَأَجَابَهُ: أَنَا فَاهِم... رَاح «تَسَوَّقُهَا» بِالطَائِفِيَّةِ! أَنَا لِبْنَانِي. وَأَبِي لِبْنَانِي. وَأُمِّي لِبْنَانِيَّة... أَكْتُبُ

هَيْكَ!...

هَذَا وَلَدٌ ذَهَبَ إِلَى الْمَدْرَسَةِ لِيَتَعَلَّمَ فَكَانَ مُعَلِّمًا. لَا لِأَطْفَالٍ. بَلْ لِرِجَالٍ كِبَارٍ بَيْنَهُمُ الْمُعَلِّمُونَ

وَالْفَلَسَفَةُ وَالشُعْرَاءُ وَالْكَتَّابُ وَالنُّوَّابُ وَالْوُزَرَاءُ وَالْمُدْرَاءُ وَالرُّؤَسَاءُ.

إِسْتَطَاعَ هَذَا الْوَلَدُ الصَّغِيرُ أَنْ يَطَهِّرَ نَفْسَهُ وَيَنْقِي قَلْبَهُ مِنْ أَدْرَانِ الطَائِفِيَّةِ بَيْنَمَا شَعْبٌ بِأَسْرِهِ يَدْرِي

أَنَّ الطَائِفِيَّةَ عَلَّتْهُ الْكِبَرُ وَيَخْشَى أَنْ يَطَهِّرَ نَفْسَهُ مِنْ جَرَائِمِهَا. هَذِهِ الْجَرَائِمُ الْمُعْشِيشَةُ فِي أَرْوَاحِ الْجَهْلَةِ

وَالْمُتَعَلِّمِينَ عَلَى السَّوَاءِ.

كَمْ مِنْ مَرَّةٍ دَخَلَ غَرِيبٌ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ أَبْنَاءِ وَطَنِهِ لِيَطْرُدَ بِهِمُ الْوَحْشَةَ عَنْ قَلْبِهِ. فَكَانَ أَوَّلُ خَاطِرِ

مَرٍّ فِي أَذْهَانِهِمْ أَنْ يَعْرِفُوا مِنْ أَيِّ طَائِفَةٍ هُوَ.. كَمَا أَرَادَ مَدِيرُ مَدْرَسَةِ الرَّمْلِ أَنْ يَعْرِفَ مَذْهَبَ الْوَلَدِ.

فَيَأْخُذُونَ فِي طَرَحِ الْأَسْئَلَةِ عَلَيْهِ لِيَصِلُوا إِلَى هَدَفِهِمْ مَدَاوِرَةً لَا مَجَابَهَةً. فَيَسْأَلُهُ أَحَدُهُمْ: مَا اسْمُكَ؟ فِإِذَا

كان اسمه من الأسماء المشتركة بين الطوائف كفؤاد أو جميل أو رشيد- تحوّل إلى سؤاله عن البلد الذي هو منه . فإذا كان البلد قرية سكّانها من كلّ المذاهب وأعجزهم أن يعرفوا ما هي طائفته أخذوا في سرد القصص والنوادر التي ينقبض لها أو يضحك لها . ولا يزالون يجولون في كلّ حومة حتى يعرفوا من أيّ مذهب هو . فإذا كان من أكثرهم لقي تكريماً . أمّا إذا لم يكن فإنه لا يلاقي جفاء ولكنه لا يلاقي البشاشة والحفاوة التي كان يمكن أن يلاقيها لو كان من بلدتهم أو من طائفتهم ...

وهكذا يجد نفسه غريباً بينهم وهو مواطنهم . ويحسّ أنّه بعيد عنهم وهو قاعد معهم . ويعذر الإنسان جماعة من الجاهلين إذا هم انجرفوا مع تيّار الطائفية . ولكن أيّ عذر للعقلاء المتوّرين .. أيّ عذر للقوم الحاكمين عن سكوتهم عن النظام الفاسد القائم في المدارس ... النظام الذي لا يقبل ولداً قبل أن يعرف ما هو مذهبه ؟

أليس قبيحاً ونكيراً أن تزجّ الطائفية في المدارس وهناك نواب ووزراء وكتّاب وشعراء ينادون بإلغاء الطائفية ... أيّة طائفية يريدون أن تلغى ؟

ليست حكاية هذا الولد حكاية يتندّر بها الناس وإنما هي ثورة على نظام . وتمرد على عقلية . وإن لم تكن هي الثورة ذاتها فإنّها مقدّمة لها . فليس من الممكن أن يظلّ للطائفية سلطانها القائم وفي الجيل المقبل مثل هذا الولد الذي أدرك معنى الوطنية الصحيحة أكثر ممّا أدركها القاعدون في كراسي الحكم الذين يخيّل إلينا أنّهم قرأوا حكاية هذا الولد وابتسموا إعجاباً بذكائه . وما كانوا ليتسمون لو شعروا أنّها صفقة قاسية للنظام الطائفي ولأنصاره ... لهم !

السّمر : 17 / 10 / 1956

## ولادة الإنسان

بعد أقلّ من أسبوع من اليوم يحتفل العالم المسيحي ويشاركه العالم غير المسيحي بولادة طفل . والأصح أن نقول إنّ الإحتفال في الواقع بولادة الإنسانية ولادة جديدة راقية نبيلة . فقد كانت الحياة قبل تلك الولادة قائمة على النزعات الحيوانية في الإنسان . على تقديس القوّة والتعبّد للفتك والبطش . وعندما ترقّ وتُعْطِفُ تمشي على قاعدة عين بعين وسنّ بسنّ . واستمرت تجري ولا تحيد عنها حتى جاء الناصري ينادي بالمحبّة والصّفح والرّفق والعفو والغفران . لأنّه أدرك أنّ الناس الذين استحوذت عليهم فلسفة القوّة أجيالاً يأتون ما يأتون من المنكرات والجرائم وهم يتوهمون أنّهم يأتون أعمالاً مَجيدة . إنّهم لا يدرون ما يصنعون فهم معذورون .. فآثامهم ليست آثامهم بل آثام آبائهم وأجدادهم . وليست ذنوبهم غير ذنوب عصرهم .

ولا تزال من ذلك العصر بقية في كلّ عصر . ولا يزال في الناس كثير من طبع وغرائز أولئك الناس

لأنَّ الروحانيَّة في الإنسان لم تبلغ مقداراً كافياً مِنَ القوَّة للتغلُّب على شهوات اللَّحم والدَّم. ولمعرفة الحقيقة المتجسِّدة أمام الشَّمْس وهي أنَّ الإنسان يبطش بنفسه عندما يبطش بأخيه الإنسان. وأنَّه يُهين كرامته عندما يقبل أن يَسْتَذِلَّ بشريّاً مثله.

منذ حوالي ألفي سنة اهتزَّت البشريَّة طرباً لصوت الرّب يسوع وهو يقول للمؤمنين: «أحبُّوا أعداءكم. باركوا لاعينكم. أحسنوا إلى مُبغضيكُم».

وهي لا تزال تسمع كُلَّ يوم هذه النصيحة الغالية. ولكن الذين يعملون بها هم بين الناس أقلُّ مِنَ الغُرَيْد<sup>1</sup> بين الغُرَبان.

وهذا لا يعني أنَّها مبادئ لا تصلح للعمل بها. بل يعني أنَّ طبيعة التُّراب في الإنسان لا تزال أقوى فيه مِنَ طبيعة الرُّوح. ولذلك هو يَشْقَى.

على أنَّ الإنسانِيَّة التي ترتعد فرائصها<sup>2</sup> في هذه الأيام كُلِّها مرَّ في ذهنيها طيف الحرب - تدلُّ بهذا الخوف على سُمُوها ورقيتها وعلى أنَّها واصلة يوماً إلى الطُّوبى<sup>3</sup>.. إلى حالة مِنَ الإخاء تضمحلُّ معها الفوارق بين الشُّعوب. وعندئذ لا يتعلَّى قوي على ضعيف ولا كثير على قليل. ولا يتجنَّى مسلح على أعزل.

وإذا لم تبلغ هذه الحالة المنشودة في عصرنا هذا فلا نَغْلَط إذا قلنا أنَّ هذا العصر هو مقدِّمة لها. ويا ليت الاحتفال بمولد المسيح يجري كُلَّ يوم لتطلُّ المحبَّة مُستيقظة في الأرواح. وتطلُّ القلوب تُحِسُّ مع القلوب. والأفكار مُتَّجهة إلى إسعاد الشُّوى<sup>4</sup> أقرباء وغرباء.

السَّمير: 19/12/1956

## بَيْنَ عامٍ وعامٍ

ها نحن الآن واقفون بين سنة تَغْرُق في لُجَّة الأبد<sup>5</sup> وسنة تُطِلُّ علينا من وراء الحجاب، هذا في اصطلاح الفلكيين. أمَّا في غير اصطلاحهم فإن ملايين الأحلام تضمحلُّ مع آخر ورقة في الروزنامة وملايين الأحلام تولد مع ولادة الرِّقْم الجديد.

وهذا لا يجري فقط عند انقضاء سنة وبدء سنة أخرى. بل هو يجري في كُلِّ يوم بل كُلِّ لحظة.

1 غَرْد الطَّائِر والإنسان غَرْداً رَفَعَ صوته بالغناء وطَرَّب به فهو غَرْدٌ وغُرَيْدٌ.

2 الفَرِيصَة: العَفْصَة الصَّدْرِيَّة ج فرائص ويقال ارتعدت فرائصه.

3 والطُّوبى الطَّيِّب وجمع الطَّيِّب وتأنيث الأَطِيب والحُسْنَى والخَيْر والخَيْرَة وشجرة في الحَنَّة أو الجَنَّة بالهنديَّة.

4 الشُّوى العدل والوسط ج أسواء.

5 لُجَّة الأبد: اللُّجَّة معظم البحر وتردُّ أمواجه ج لُجَجٌ ولُجَجٌ. والأبد: الدَّهر والجمع آباء والأبد أيضاً الدَّائم.

فولادة الأحلام والرغائب لا تقتصر على ذهاب فترة من الدهر اسمها السنة إنها تولد مع مطلع كل شمس بل مع كل نكّة من تكّات الساعة. ولكننا لا نشعر بها لأنها خافية مستترة عتّا استتار الأعشاب والأزهار في جوف الأرض في زمن الخريف فنحن لا نرى في الشتاء البراعم في الأغصان لأنها ليست في أديم الشجرة بل في عروقها في رجمها كالأجيال التي ستأتي.

ولكن الإنسان لمحدودية بصره وعقله وقوّته يقنع بما يقع تحت حواسه. فهو لا يبالي لأنه لا يدري - كم ذاق الأحياء في كل يوم انقضى من الفصص واللذات، والآلام والمسرّات لأنه لا يحس من ذلك شيئاً غير ما ذاقه هو.

وهو للانانية المتولدة فيه من محدودية عقله وقواه يتوهم أن انقضاء السنة يعني انقضاء همومه ومتاعبه. وأن مجيء سنة أخرى يعني مجيء الخير والسعادة.

ولو كانت الأيّام والليالي هي التي تجلب الخير وتدفع الضير لاختار الإنسان منها ما يرضيه ويسعده ويغنيه. ولكن الأمر على غير ما يتوهم.

ولكنه ما دام في هيكله اللحمي العظمي فسوف تظل له أشواقه وأحلامه وهمومه وحسراته. إن الإنسان - لا الأيّام والليالي - هو الذي يجلب الخير والشر لذاته. فما أضرم نار الحروب نهار ولا ليل. ولا نشر الحب والبغض كوكب ولا شهاب. بل هذا الإنسان الذي يسمو أحياناً حتى يكاد يبلغ درجة إلهه - وينحطّ ويسفل أحياناً حتى يهبط إلى منزلة شيطان.

انه يبني ويعمر وينتج ويثمر فإذا هناك حضارة بدّية. ثم يهدم ويخرّب ويدمر تلك الحضارة كمنزل خرب أو طلل دائر. فلنتجه كلنا في مطلع السنة الجديدة إلى الخير.. إلى البناء.. إلى التجديد.. إلى جعل هذه الدنيا أملح وأصلح مما هي.

وبذلك نجعل كل يوم موكب خيرات ومهرجان مسرّات.

السّمر: 28 / 12 / 1956

## نعمة في ثوب نقمة

عندما كانت «السّمر» طفلة بنت سنة. وكان ضباب الضائقة الإقتصادية غيماً على كبرى المؤسسات التجارية وصغراها - فتحت حساباً في بنك فاعور. وكنت أعتقد أن صخرة جبل طارق تنزكزل وهذا البنك لا ينزكزل. لأن كل شيء كان يدلّ على أنه يختلف عن سائر البنوك.. ولكنه يا للأسف انحطم مثل سائر البنوك.

وجئت إلى مكنتي صباحاً. وكان الطبق الثاني من البناية المحاذية للبنك فرأيت الناس مجتمعين

أمام البنك وعيونهم على ورقة ملصوقة على بابه ..

كان في هذه الورقة كُلُّ الخبر ..

وكان كُلُّ الخبر أنَّ الحكومة اقفلتُ البنك لأنَّ النقد الموجود فيه لا يزيد عن 18 ألف دولار . بينما

الودائع تزيد عن ستمائة ألف دولار !

ونطلَّعتُ في وجوه القوم فإذا الكآبة تبرقعها . أمّا أنا فأخذتُني نوبة مِن الضَّحْك إذ قلت في نفسي :

- الله ، الله . صار بنك فاعور مديناً لي ! وصار لي في ذمَّته بضع مائة دولار . وهكذا صدَّق القول -

شرُّ البليَّة ما يُضحك .

وأمس جاءني مِن دِثرويت مشغن خبر هو أنَّ اللُّصوص سطوا ليلاً على مخزن صديقي الكاتب

اللُّبَّق إبراهيم سويد وسرقوا كُلَّ النقود الموجودة في العداة وحملوا معهم سبعين كرتوناً مِن السكاير .

ولمَّا كُنْتُ أعرف خُلُق إبراهيم الطروب حتى في أشدَّ الأزِمات فإنِّي لا أشك في أنَّه وقف أمام هذه

الحادثة وعينه تشعَّان ابتساماً إذ أنَّه أصبح تاجراً يطمع به اللُّصوص !

ولا رَيْب في أنَّه مالَ على زوجته الغضبي التي تستمطرُ السَّماء سيلاً مِن اللَّعنات على اللصوص

وقال لها ببرودته : لماذا الغضب ؟ لو لم يكن عندنا شيء لما سُرِقَ مِنَّا شيء .. ولو لم يكن السارقون في

حاجة إلى ما سرقوا لما سرقوا !

ثم تصوَّره يقول لها وعينه تبرقان مِن تحت النظَّارتين : وماذا سرق اللُّصوص مِنَّا : إنَّهم لم يسرقوا

شيئاً ثميناً لا يمكن الإستعاضة عنه بمثله . إنَّ الأشياء الثَّمينة حقاً مثل النُّور والعِطر والصَّوت لا تصل

إليه الأيدي ولو كانتُ أيدي سحرَة . هوَّني عليك فاللُّصوص لم يسرقوا أصدقاءنا . ولا أحلامنا .. ولا

رغائبنا . ولم تنتزع أيديهم غير أشياء يمكننا أن نكون سعداء بدونها . بل هم لما كسروا بابنا كسروا أعزَّ

وأثمن شيء لهم وهو الشرف والكرامة . ولما حطَّموا زجاجنا حطَّموا مستقبلهم . وسيعود الزجاج أمّا

كرامتهم فلن ترجع أبداً . إنَّهم ربحوا عَرَضاً تافهاً بخساً وخسروا جوهرأ ثميناً .

ويظلُّ إبراهيم ينقر على هذا الوتر حتى تقتنع زوجته بأنَّ اللُّصوص أحسنوا إليه وإليها وحتى

تمنَّى لو أنَّهم عادوا إلى الحانوت كُلِّ ليلة !

إنَّ فلسفة إبراهيم تُفيد في كُلِّ موقف مثل هذا الموقف ولا سيَّما في فترة المواسم .

السَّمير : 1956 / 12 / 31

## ملك العطر والسَّخَر

أخذ « النهار » يتمدَّد بعد التقلُّص ويطول بعد القصر .

إنَّه الآن يستردُّ شيئاً فشيئاً الدَّقائِق والسَّاعات التي اختلسها منه « الليل » في شهور البرد والضَّباب

والثُّلُوج والعَمَّة .

وتمدُّ النَّهار وتَقْصُرُ اللَّيْلُ يعني أَنَّ الرَّبَّيعَ ملكُ الصِّفاءِ والسَّناءِ والسُّحرِ والعطرِ قد رجع مرة أخرى إلى الأرض.

أجل . رجع لكي يطرِّزَ جوانبَ الأرضِ بالزَّنابقِ والورودِ .. ويفرشَ أغطيته السُّندُسيَّةَ في الشُّهولِ والمروجِ . ويلمسَ بيده السَّحريَّةَ الحقولَ الجرداءَ فتخصبُ وتنجبُ للأحياءِ أنواعَ الحَبِّ والبقلِ ... ويهمسُ في آذانِ الأشجارِ فتستيقظُ الحياةُ في عروقها وتورقُ وتزهو وتثمرُ . ويمسحُ وجهَ السَّماءِ بعد الإنكدارِ وينهمرُ منها الإلهامُ .

أجل . قد وَلِدَ الرَّبَّيعُ ... ووَلِدَ معه الخَيرُ في السَّواقِي . والحرارةُ في الضِّيَاءِ . والنَّضارةُ في النَّباتِ والأغراسِ . وكادَتْ الحياةُ تَراءى للأبصارِ حتَّى في الرِّمالِ الصَّامِةِ والصُّخُورِ الباهِةِ .

فأين كان قبل مجيئه؟

أكان مُحتجباً وراء الغيوم؟

أم كان مُعتصماً في صومعة؟

أم كان محبوساً في كهفٍ مِن كهوف الجنِّ؟

أين كانتْ هذه الإشاراتُ الرُّوحانيَّةُ والنَّغَماتُ السَّعريَّةُ؟

لعلَّكَ تتراجعُ إلى الوراءِ مُستغرباً مُندهشاً إذا قلنا لك : إِنَّ هذه كُلُّها كانتْ هنا وإنَّها لم تنفتحْ عليها العيونُ ولم تصلْ إليها الأيدي . فالبعضُ كانوا يرونها ويلمسونها ويجدون غِبطَةً عامرةً مجهولةً مِنَ الذين أقصى ما يرون هو ما تقع عليه أبصارهم وأقصى ما يلمسون هو ما تصل إليهم أصابعهم ... ولكن وراء ما يرون ويلمسون آياتٌ أنظم وأبدع ممَّا تقع عليه العيون .

يكفي أن تستحضرَ إلى ذَهِنِكَ صورةَ نهرِ طروب أو مَرَجٍ ضاحكٍ لتصيرُ لك الفتتانِ وتسعدُ روحك بأنَّهما في حَوْزَتِكَ .

أمَّا إذا لم يساعذك خيالك على تصوُّرِ النَّهرِ الذي بعدَتْ عنه أو احتجبَ عنك فلا يكون لك منه شيءٌ حتَّى قَطْرَةٌ . إذا غاب حبيبُكَ عن نظرك يغيب عن فكرك وقلبك؟ إذن كيف تحنُّ إليه وتشتاقُ إلى قربهِ؟

إعلم أَنَّ الرَّبَّيعَ كان موجوداً معنا حتَّى في شهورِ الزَّمهريرِ والضُّبابِ والثَّلُوجِ . ولكن عند الذين يقدرُونَ أن يجدوا النَّهرَ في صورةِ النَّهرِ . وتطلُّ عليهم الخميلةُ كلِّما ذكروا الخميلة ..

هذا شأنُ النفوسِ الصَّافيةِ النَّيرةِ . أمَّا النفوسُ الكثيفةُ المظلمةُ فإنَّها لا تشاهدُ جمالَ الرَّبَّيعِ حتَّى وهو مائلٌ لديها بكلِّ بشاشاته وكلِّ آياته .

وإذا نحن تركنا الخيالَ إلى الواقعِ . فالواقعُ هو إنَّنا كُنَّا في الصَّقيعِ نمشي على الرَّبَّيعِ .. على البذورِ الهاجعةِ تحت التُّرابِ بكلِّ ما فيها مِن أوراقٍ وأغصانٍ . وبكلِّ ما في أوراقها مِن ألوانٍ وطيوبٍ .

إنَّ أيَّامَ الزَّمهريرِ والعتمَةِ والضُّبابِ كانتْ فترةَ المَخاضِ بهذا المولودِ الجميلِ .

وكانت ضرورة ليرجع إلينا بأزهاره وأطيّاره وأنسامه العطريّة.  
وإذا رحل عتّاً بعد حين فالسعيد السعيد هو مَنْ يقدّر أن يحتفظ به بعد ذهابه في ذاكرته. حتى  
إذا تضايق من الضباب والعُتمة والزّمهرير والكلوحة في الأفاق وجوانب الأرض رجع إلى ذاكرته  
فاستخرج منها مروجاً خضراء وحدائق غنّاء وجداول مثرنّة. وزهوراً وعطوراً ونوراً.

السّمير: 1957 / 3 / 25

## خاطر النهار

كلّما أطلّ الرّبيع وشاعت الحرارة في الهواء والغبراء والضياء. تهافت الناس في الولايات المتّحدة  
وغير الولايات المتّحدة على تنظيف البيوت من الأثاث العتيق وإخراج ما في زوايا الغرف والسرايب  
من أمتعة مهجورة وأشياء مهملة لم تبق لأصحابها بها حاجة.

إنّ تنظيف المنازل من الأشياء المهملة والنفايات أمرٌ جميل ومفيد. ولكنّ الأجل والأفيد في مثل  
هذا الفصل من السنة أن يلتفت الناس إلى ما في زوايا نفوسهم من حزازات وأحقاد وضغائن هي أضرُّ  
وأقبح من كلّ النفايات والأشياء العتيقة المهملة فهي ليست غير أثقال تبهّط أرواحهم وتحول بينها  
وبين الإنطلاق والتحرّز بل أستار كثيفة تمنع النور من الدّخول وتمنعهم من رؤية النور. فجدير بهم أن  
يمزّقوا هذه الحُجب وأن يطرحوها مع النفايات والأشياء المهملة. فتطهّر أرواحهم كما طهّرت بيوتهم  
ونظّفت سرايبهم.

وأهمُّ من هذا أو هو على الأقل مهم مثله أن يفتش المرء في زوايا دماغه عن أوهام سخيّة تملأ رأسه  
ويحسبها هو أشياء صلبة وهي ليست غير هواء حار أو بارد. فإنّه إذا لم يطرحها خارجاً بقيت روحه في  
عتمّة الشتاء ولو غمر الأرض ألف ربيع.

قلنا إذا كان أمراً حسناً أن يطرد الإنسان الغبار من بيته ويطرح الأشياء المهملة خارجاً ويفتح  
الشّبابيك ليدخل الهواء والنور إلى البيت مبالغة في العناية بصحّته.

فكم ينبغي له أن يعتني ببيت هو أهم من كلّ بيت... نعني ذاته.

أجل. إنّ الإنسان العاقل الفاهم هو الذي يطهّر ذاته من غبار الجهل وعفونة التزعات البهيميّة  
فيصير يرى ربيعاً في كلّ ما يرى. وتصير الحياة أجمل في عينه. ويصير يرى المحاسن في الناس.

يقول الفلاسفة: (إعرف نفسك). ولكن كيف يعرف الإنسان نفسه إذا لم يحاسبها حساباً دقيقاً  
فيحصى ما لها وما عليها ويكون مُجرّداً مُنصفاً فلا يحصي سيئة مع الحسنات ولا حسنة مع السيئات.  
لأنّه إذا لم يعدل كان من القوم الغاشمين الذين لا يرجى منهم خيرٌ ولا لهم صلاح.

السّمير: 1957 / 3 / 29

## حكاية المهاجر

نشر اليوم في هذا الباب الخطاب الذي ألقاه صاحب «السَّيمِر» في الإحتفال الكبير بتدشين الكنيسة الأرثوذكسيَّة الجديدة في مدينة بردجبورت كنتكت إجابة للمُطالِبين بنشره. وهو كما يلي:

سادتي:

أريد أن أشكركم على الدعوة التي وجَّهها إلينا راعيكم الوقور وجميعتكم المحترمة. وأن أعترف إليكم لأنَّ قرينتي تعذَّر عليها الحضور معي لمشارككم في هذا اليوم السَّعيد مع أن لا شيء أحبُّ إليها وإلَّا من زيارة هذه النَّاحية من ولاية كنتكت الجميلة التي عشنا فيها زمناً طويلاً حتى ردَّتنا رياح الحياة إلى بابل الجديدة... إلى المدينة العملاقة..

نيويورك التي كلَّما توغلَّ فيها الإنسان شعر أنَّه يبتعد عن نفسه وعن الله. لما فيها من زخام وما في زحامها من ضغط على الأعصاب وإرهاق للأرواح. حتى إنَّك قلَّما ترى الناس فيها يضحكون كأنَّ الضَّحك يؤذي الشَّفاء أو يطير بالأسنان. والضَّحك هو إحدى ميزات الإنسان على الحيوان الأعجم. ولكنَّهم إذا أضاعوا هذه الميزة أو تخلَّوا عنها فما أضاعوا الميزة الكبرى للإنسان منذ صار يمشي مُتصبِّاً على قدمين وهي الخيال و التصرُّور. فهو عندما صار يتخيَّل أشياء ليست في حوزته أجمل وأفضل من الأشياء التي في حوزته. إشتاق إلى بلوغها وسعى إلى إدراكها وعندئذ أخذ يرتقي ويسمو ويتقدَّم... لم يعد يعجبه النوم في مغارة أو كهف أو كوخ فبنى البيت وطمح إلى أحسن فُشاد القصر. ولم يعد يرضى بأن يكون لباسه من ورق الشَّجر ومن جلود الحيوانات فغزل وحاك ونسج وارتدى الصوف والحرير.

وكان يعيش في بقعة محدودة من الأرض عند ضفة نهر فحنَّ إلى أبعد منها وحمله الحنين على أن يمدَّ فوق النَّهر جسراً ويعبر عليه إلى أرضٍ أوسع وأخصب.

وأدرك بالتجربة أنَّ الأرض التي منها طعامه وشرابه ولباسه تعطيه أكثر إذا هو اعتنى بها أكثر فمضى يقلع ما لا ينفع ويزرع ما ينفع فكانت الحقول والبساتين والغياض والرياض.

وكان الإنسان في أوَّل نشأته.. في أيام سذاجته وبدأوته يظُنُّ أنَّ الأرض لا تتسع إلا له ولقبيلته فكان ينظر إلى القبائل الأخرى نظره إلى عدوٍ لدود يجب أن يحترس منه ويتأهب لقتاله.

ولكن بعد الخصام والقتال أدرك أنَّ الأرض تتسع له ولسواه. وإنَّ حُرَّيته تنتهي عند حرية الآخرين. وهذا الإدراك دفعه إلى التعاون وأخيه الإنسان. وكان من ثمار التعاون المُتبادل أنَّ القبائل والعشائر صارت شعوباً وأمماً وصار لهذه الأمم حضارات جميلة ومدنيَّات رائعة.

غير أنَّ الإنسان بالرَّغم ممَّا أدركه من المعرفة. وما بناه من الحضارات... بالرَّغم من الحقول



والبساتين.. والدُّور والقصور.. والأطالس والديباج.. بالرَّغم منْ هذه كلِّها ظلَّ يشعر أنَّ في حياته نقصاً وأنَّ سعادته غير كاملة. وأنَّ الوجود ذاته غير كامل.. وظلَّ يحسُّ ويتصوَّر أنَّ هناك عالماً أفضل وأجمل وأكمل يجب أن يسعى إليه وأنَّ يكون له.

فأين هو هذا العالم الأجل والأكمل؟ إنَّه ليس وراء الغيوم ولا فوق النجوم.

وليس هو شيئاً يُقتنى كالذهب والألماس والجواهر الكريمة!

ولا هو ممَّا يلمس باليد ويُرَى بالعين.

ومع ذلك قد وجده.

وجده لا على ضفَّة نهر ولا على قُمة جبل ولا في قاع بحر.

إنَّه وجده في أعماق نفسه. في ضميره.. في وجدانه.

إنَّه الإيمان الذي يدفع الإنسان إلى السَّعي وراء الكمال الرُّوحي... إلى اتِّحاد ذاته بالذَّات العليا.

وتحنُّ روحه التي هي نفحة منْ الله.. إلى الله!

السَّهير: 3/4/1957

## لمن يكتبون؟

لَمَن يرصف الكلام أولئك الشعراء الذين تحلَّلوا منْ الأوزان والقوافي ليأتوا بشيء جديد مُبتكر. ليتَّسع المجال أمام خيالههم وتنطلق أفكارهم كالضياء في الفضاء لا تصدُّها عقبة ولا يقف في طريقها عائق. ولكنَّهم حتى الساعة لم يأتوا بشيء جديد مُبتكر غير التَّحلُّل منْ الأوزان والتمرُّد على القوافي. فإنَّ أكثر كلامهم أقرب إلى وسوسة الشياطين أو ترثرة العرَّافين. طَلَّاسم والغاز تحاول بكلِّ ما فيك منْ الفهم أن تفكَّ رموزها فترجع عنها تعباً فمضنوكة بعض الحزن روحك بأنبياء الحادَّة ومِلءُ صدرك الأسف على الوقت الذي أضاعوه في ابتداع هذا الأدب الذي باعدَ بينهم وبين النَّاس ولم يقترب منهم قيراطاً منْ الألهة.

وإذا أنت لم تحزن عليهم فإنَّك بلا شك تشكُّ في فهمك وذكاكك وتحزن على نفسك لأنَّك عجزت عن فهم ما كتبوا. حتى كأنَّها كنت وأنت تطالعه تقرأ شعراً فارسياً أو تركياً. حروفه عربيَّة ولكنَّه ليس عربياً. فقد حاولوا كما قلنا لك أن يخلقوا نمطاً جديداً منْ كلام. وحقاً إنَّهم نجحوا في محاولتهم فكانتْ حصيلتها نمطاً غريباً شاذاً بعيداً عن أن يكونَ كلاماً مفهوماً منْ النَّاس في محيطهم لأنَّهم جاءوا بهذه الطَّريقة منْ محيط غريب غير محيطهم فما سدَّت فراغاً ولا قضتْ حاجة بل أضافتْ كمِّيَّة كبيرة إلى ما في اللغة العربيَّة منْ موميات. على أنَّه لا بُدَّ منْ الإعتراف بأنَّ السَّبب في هذا الإتجاه الشاذ هو ما في كثير منْ الشعر العربي منْ تفاهة وقيم ورقابة وعفونة في المعاني والقوافي. وأصحاب الطرائق الجديدة على

حقّ في أن لا يتابعوا أحداً من النّظامين الذين يقلّدون الشعراء ولا يحسنون حتى التقليد. ولكنّهم ليسوا على حقّ في أن يتابعوا شعراء في الغرب لهم أحاسيس خاصة يعثر ويفتضح مقلّدوها. فضلاً عن أن للشعوب التي خرج منها أولئك الشعراء خصائص إجتماعيّة وعنصريّة وتاريخيّة تختلف عن خصائص سواها من الشعوب. وعندها من الثّروات الفكرية ما يجعلها تنظر إلى هذه الأنواع المستحدثة من الأدب نظرها إلى حرّكات بهلوانيّة.

جاءني مرّة أديب من هؤلاء نائر على كلّ ما في العربيّة من أوضاع وعرض عليّ منظومة له يمجّد فيها الدّعارة والفجور ويلجّ في تركيب تعابير هي في منتهى الأغراب وبعضها مضحك مثل تشبيهه قامة المرأة بالبيلسان! فقلت له لماذا «البيلسان» وفي اللغة «الخيزران» وتأملتُ في وجهه فرأيتُ علانم الاستياء بادية فيه من ملاحظتي. فلم أكرّث لاستيائه بل استرسلتُ في الكلام فقلت له: أنا لا أرى وجهاً للمقابلة بين قامة المرأة «والبيلسان» فهو أكثر ما يكون أعوج وليس الإعوجاج من الجبال في قامة المرأة. وهو فاقد اللبونة. وأحسن ما توصف به قامة المرأة هو اللين والإنسجام.

ومضيتُ في هذا الشّرح لعلّي أقنعه بسماحة ذلك التشبيه ولكنّه لم يقتنع. وكانتُ الحجة التي يركز إليها ويتمسكُ بها هي أن الشعراء الأقدمين شبّهوا القدّ بالخيزران وهو لا يريد أن يتابعهم!

قلت له: إذن لا يجب أن نحبّ لأنّهم أحبّوا. ولا أن تشوّق لأنّهم تشوّقوا. ولا أن تنظّم الشعر لأنّهم نظّموا. ولا أن تشرب الحليب وتقول أنّه أبيض اللّون لأنّهم شربوا الحليب وقالوا عنه أنّه أبيض اللّون.

وثمّ قلت له: تستطيع أن تشبّه القامة المترنّحة بأغنية مرقصة تمشي على قدمين. أو أن تقول إنّها سحر من لحم ودم فتخالف الشعراء الأقدمين أمّا أن تشبّه القامة «بالبيلسان» مخالفة لهم لأنّهم شبّهوها بالخيزران فإنّك ترتكب سخفاً.

وهذا كلّ هين عند أولئك الذين يركبون متن الأغراب فلا يفهمهم النّاس مع أن الإنسان لم يلجأ إلى اللّغة إلا ليلج ما يجيش في نفسه إلى إنسان آخر. إلى جماعة من النّاس. ولذلك يجب أن يحسن التعبير وأن يكون كلامه جليّاً واضحاً. أمّا إذا تعمّد التّورية والتّعمية فإنّه يفسد الأمر على نفسه.

فهل للأدباء الطّالعين أن يتذكّروا أنّهم يكتبون للنّاس. وأنّهم إذا كانت لديهم فكرة أو صورة أو خاطرة تجيش في أرواحهم فلا تعيش إلا إذا خرجت من قلوبهم إلى قلوب النّاس. وعليهم أن يحسنوا تأديتها إذا كانوا لا يريدون أن تختنق في صدورهم.

السّمر: 10/4/1957

## الإسراف والبخل

نحن شعب كريم مضياف فأمر لا جدال فيه؛ لأن تاريخنا كله منذ عصر الخيمة إلى عصر القصر، ومنذ عصر الناقة إلى عصر الطائرة - يشهد لنا شهادة حق لا تزوير فيها ولا تزويق بأننا عرفنا بالكرم وعرف الكرم بنا. وإننا قوم لا يقتصر كرمنا على بذل المال وحده بل نجود أحياناً بأنفسنا في سبيل استبقاء هذه الميزة لنا دون غيرنا، واستبقائها كاملة غير منقوصة ولا مشوهة.

ولكننا أحياناً نجاوز الحد في الجود حتى يبدو كرمنا مزيفاً مُصطنعاً. وحتى يتحول مدح الناس لنا إلى استخفاف بنا أو تلويم وتثريب لينا نَصنع.

خذ مثلاً أعراسنا. فإن أعراس الأمراء والملوك في الزمن الحالي ليست أجمل منها ولا أكثر نفقة وكلفة ولا أحسن تنسيقاً وترتيباً.

ولو أن الذين يتكلفون هذه الفخخة والأبهة في الأعراس هم الأغنياء وحدهم لكان الأمر متحملاً هيناً؛ فالأغنياء الذين اعتزلوا الناس - أو قل الذين ابتعد عنهم الناس. يحتاجون إلى هذه المظاهر الطنّانة لكي يُنبتوا وجودهم ولكي يدلوا على أنهم من ذوي الثراء.

ولكن الأمر غير قاصر على هؤلاء.. بل يكاد يكون البذل في هذا الباب عامّاً شاملاً مما يدل على أن الرّخاء أصاب الجميع وأن الغنى ليس وقفاً على بعض دون بعض.

استوى الماء والخسبة. بل قل إن الذين يُنفقون الأموال على الأعراس وغير الأعراس وهم غير أغنياء هم أكرم من الأغنياء. فليس من ينفق الألف وعنده الألوف بكريم بل الكريم هو الذي يبذل الألف؛ وليس له سواها.

ولكن هذا الكرم على جماله وجلاله إذا رضيت عنه العاطفة، فلا يرضى عنه العقل الرّشيد. ومهما تكن الغاية منه فلن تكون غير لذة عابرة لا تستأهل كل هذا الإسراف.

ومثل أعراسنا مادبنا ولا ثمننا فمن النادر أن تقام وليمة لعشرة لا يكفي ما يهيأ له من مطاعم ومشارب لثلاثين وأربعين وإذا لم يستطع أهل الدار هذه الأشياء كلّها استعانوا بالخبراء وفي هذا ما فيه من التكاليف. ولذلك صار بعضهم يدعو ضيوفه إلى مطعم أو فندق تفادياً من أمرين: الأول إرهاب ربّة الدار، والثاني إنفاق مال لا لزوم لإنفاقه. ومهما تنقّى ربّة البيت من أصناف الطعام ومهما تبالغ في إعداده. يظلّ المطعم الكبير أوفى بالعناية وأكثر استعداداً.

إننا لا نعيب على قومنا هذا السخاء المتناهي. ولكننا نود أن يكون للمشاريع الإنسانية والأدبية والخيرية نصيب من هذا السخاء. وبذلك يزداد كرمنا جمالاً ويزداد شكر الناس لنا كما يزداد مقامنا ارتفاعاً بين الأمم.

نكتب هذه الكلمة لا لنحُضُّ قومنا على البخل المكروه بل للتنبيه على أن الكرم إذا تجاوز الحدَّ ولم يكن في موضعه هو مثل البخل لا يُكسِبُ صاحبه غيرَ الذمِّ. فالْبخل هو الطَّرَفُ الأقصى للإقتصاد، والإسراف هو الطَّرَفُ الآخر للكرم.

كلاهما مُسْتَهْجَنٌ مذموم. وكلاهما مُضِرٌّ بصاحبه. وقد قال الشاعر:

بين تبذيرٍ وبُخلٍ رُثْبَةٌ      وكِلا هَذينِ إنْ زاد قَتْلُ!

السَّمير: 1957/5/8

## عيد الله الصغير

مع يوم الأحد القادم عيد عظيم يختلف عن جميع الأعياد. هو ليس عيد قدِّيس ولا بطل ولا نابغة فأعياد القدِّيسين والأبطال كثيرة عند الأمم الرَّاقية. ولكنه الكائن الذي يصنع الأبطال والنوابغ والقدِّيسين. وينفخ الدنيا بين حين وحين بالعلماء والشعراء وأهل الفن. إنه عيد الذي تتمثل فيه كل الصفات التي ترفع الإنسان من حضيض التُّراب المِهين إلى أوج النُّور وملكوت الصِّفا والطَّهر.

إذا طلبت الرحمة فلا تجدها في كائن على الأرض كما تجدها في هذا الكائن السَّامي. وإذا شئت معرفة ما هو الحنان والغفران والصِّقح والتضحية والإستشهاد في سبيل الغير فهذه الفضائل لا تتجلَّى في حيٍّ كما تتجلَّى في هذا الكائن. هو إله صغير أفاض على الإنسانيَّة جمالاً يستر نقائصها وعيوبها ويغطي مفاقرها ويمحو ذنوبها. إنه.. الأم

فإذا ذهبت يوم الأحد القادم إلى الكنيسة لتصلِّي فتذكَّر أن الإله الذي تصلِّي له جاء من أم.

السَّمير: 1957/5/10

## حول شعراء المهجر

لمجلة الضاد التي تصدر في حلب عناية طيبة بالأدب والأدباء وهي كثيراً ما نشرت رياحينها على صاحب «السَّمير» وحملتته من الثناء ما تنوء روحه ويعجز عن وفائه. وآخر يد لها في هذا السَّبيل أنها نشرت رسالة له بعث بها إلى الكاتب الكبير نظير زيتون تعليقاً على الفصول التي كتبها في الدفاع عن شعراء المهجر الذين لذَّ للبعض في مصر أن يتجنَّوا عليهم عقيب المحاضرة التي ألقاها الشاعر جورج صيدح عنهم في القاهرة. وفي الرسالة عدا الثناء على الأستاذ زيتون رأي صاحب «السَّمير» في تلك الضجَّة المُصطنعة.

وهذه هي الرسالة نقلاً عن مجلة «الضاد» الزاهرة.

أخي الكاتب الألمي الأستاذ نظير زيتون.

أصافحك بالروح. وأجدُ لزاماً عليّ أن أختلس قليلاً من الوقت لأشكرَ لك منافحتك عن الشعراء العرب في المهجر فقد بددتَ بمقالِكَ الرّصين البليغ ذلك الغبار الذي إعلولى حول أسمائهم على ضفاف النّيل إثر المحاضرة التي ألقاها صديقنا الشاعر جورج صيدح الذي يلوح لي إن الذين دعوه ما دعوه إلا وفي أنفسهم أن يُشيروا الغبار حوله وحولنا. وليس هذا الضّجيج أمراً عجيّباً فأهون أمر عند الذين لا يعملون هو التّشجيع على الذين يعملون..

وما أخالني أتجنّي إذا ذهبتُ إلى القول أن إخواننا هناك النّاقمين علينا بلا زور وقد بهرهم أن تبني فئة قليلة من الأدباء العرب في العالم الجديد دولة رفيعة للضّاد لم يقم مثلها في التّاريخ. والأعجوبة الكبرى هي أن هذه الفئة لم يكن لها ناصر من حكومة ولا من سلطان ولا من جمهور ولا من بيئة ولا من حزب. ولعلّ أكثر ما أزعج أولئك السّادة وأقلقهم هو تهافت الشّباب على الطعام الرّوحي الجديد الهابط عليهم من سماء المهجر فراحوا يستحدثون له العيوب تنفيراً للأرواح العطشى عن هذا المنهل العذب.

وما هذه أوّل نبلة يطلقها علينا جماعة المتزمتين المتعنتين فقد زعم الرّافعي مرّة - غفر الله له - وجاراه بعضهم في زعمه أن أدباء المهجر يريدون هدم القرآن...! أرايتَ كيداً أعظم من هذا الكيد يا أخي الحصيف:؟. أرايتَ كيف أن السّم التّقيع ليس في حمة الأفعى وحدها!

ويبالغ بعضهم غير هازل حتى ليقول عن شعر المهجر أنه ليس عربياً!!؟

لماذا هذا الشعر غير عربي؟. لماذا؟

لأنّه لم يخرج من البادية

أم لأنّه لا يشتمل على وصف النّاقة والجمال والنّواح على الأثافي والطلل

أم لأنّه ليس أماديح في أمير ولا مرثي في وزير؟

أم لأنّه ليس نظماً يتحدّى نظماً ولا معاني تتسلّق على معاني؟

أم لأنّه ليس لأهله دعاة يصفّقون له ويتقاضون أجره التّصفيق!

أم لأن أصحابه لا يروجون لأنفسهم كما يروج التجار..

أم ليس من هذا شيء بل هي قلة الإنصاف التي ذاق المتنبّي طعمها فقال:

وإنما قلة الإنصاف قاطعةٌ بين الأنام ولو كانوا ذوي رَحِم

ويغلط الجماعة غلطاً كبيراً عندما يقسمون الشعر إلى مهاجر ومستوطن. ومسافر ومقيم فالخلاف

- إذا كان هناك من خلاف - ليس بين شاعر في المهجر وشاعر في وادي النّيل وليست المشادة بين شعر

صحيح كلّه وشعر غير صحيح كلّه. ولا بين أدب تليد وأدب طريف. بل الخلاف على ما أرى هو

بين نسق ونسق. ونزعة في الحياة ونزعة أخرى. وبين أرواح تهوى الإنعتاق والإنطلاق ولها قدرة على التجديد والتوليد. وأرواح مترددة متخاذلة تحسب هلاكها في التفكُّت من القيود والأغلال فهي لا تحدد ولا تؤلِّد. والفرق بينهما كالفرق بين النسور والحياد. إنَّ الجياد تركض وتخب في الدروب المعبَّدة أمَّا النُّسور فالفضاء كله طريقها..

أنا شديد الإيمان بالآية ﴿أَمَّا الزُّبْدُ فَيَنُفِّثُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفُخُ النَّاسُ فَيَمُوتُ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>1</sup> فليتصاعد الغبار من كلِّ مكان ولينتكاثف فإنَّه أخيراً يرجع إلى الأرض ويرجع غباراً.  
لك يا عزيزي حُبِّي واحترامي وشُكْرِي.

السَّمير: 1957/5/17

## إلى قرّاء «السَّمير» ومحبيها

وما أنصاريها ومحبوها إلا إخواني وأصدقائي أوجَّه هذه الكلمة وأنا في المستشفى منذ أيَّام لعلَّ ما كانت في الحِشْبَان. إنِّي أخاطبكم لا بِقَلَمٍ ولا بِلسانٍ ولا بِقَلْبٍ يتمنَّى أن تكونوا جميعكم في نَجْوَةٍ مِنْ عوارض الحياة وطواريء الأيَّام.

وليستُ العلة التي أعانيها بالعلة التي لا تُداوى. لكنَّ طَوْرَ النِّقَاحَةِ مِنْ أَيْةٍ عِلَّةٍ يَسْتَغْرِقُ وَقْتاً. وقد نَصَحَنِي الْأَطْبَاءُ بِالْإِنْقِطَاعِ عَنِ الْعَمَلِ وَالتَّفَكُّيرِ فِيهِ انْقِطَاعاً تَاماً مدة تتراوح بين شهرين على الأقل وثلاثة أشهر على الكثير.

يريد الطَّيِّبُ أَنْ أَكُونَ بَعِيداً عَنْ كُلِّ أَمْرٍ مُرْجِعٍ. ولا سبيلَ إلى ذلك إلا بِإِيقَافِ «السَّمِير» عَنِ الصُّدُورِ.

ففي هذه المدة يتسنى لي أن أبلغ النِّقَاحَةَ التَّامَّةَ بدونِ تَغْوِيقٍ. كما يَنْفَسِحُ الْوَقْتُ لَدَيَّ لِلتَّفَكُّيرِ فِي الْوَصُولِ إِلَى طَرِيقَةٍ نَتَمَكَّنُ مَعَهَا مِنْ إِصْدَارِ «السَّمِير» فِي شَكْلِ أَحْسَنِ وَتَرْتِيبِ أَجْمَلٍ. هي هِدْنَةٌ بَيْنَ الْجِسْمِ الْمُتَعَبِ الْمُنْهَوْكِ وَالْعَمَلِ.

وهي فرصة تتيح لكلِّ واحدٍ مِنَّا أَنْ يَفَكِّرَ فِي أَنَّ الْإِسْتِجْهَامَ ضَرْوَرِيٍّ لِلْإِنْسَانِ سَوَاءً كَانَ كَاتِباً أَوْ تَاجِراً أَوْ عَامِلاً أَوْ فَنَاناً. ويجب أن أثنِّي على إخلاص واجتهاد الرِّفَاقِ الْأَوْفِيَاءِ فِي إِدَارَةِ «السَّمِير» فَقَدْ بَذَلَ كُلُّ مِنْهُمْ الْجُحُودَ فِي مَتَابَعَةِ إِصْدَارِ «السَّمِير» أَثْنَاءَ وَجُودِي فِي الْمُسْتَشْفَى فَلَهُمُ الشُّكْرُ الْجَزِيلُ. وإلى أن تنقضي هذه الهدنة أو العطلة نسأل الأنصار الأوفياء أن يواصلوا صاحب «السَّمِير» بالدُّعَاءِ.

وإلى الملتقى على أحسن حال. إن شاء الله.

السَّمير: 1957/6/28

## الفهرس

<p>أكرم الناس وأسمى العطايا ..... 306</p> <p>الأموات الأحياء ..... 321</p> <p>أضغاث أحلام ..... 323</p> <p>أشكال من الخلق ..... 325</p> <p>الإنسان المتضجر ..... 327</p> <p>آفة يجب أن تزول ..... 350</p> <p>أصحاب فضل على العالم ..... 355</p> <p>إزرع جيلاً ولو في غير موضعه ..... 383</p> <p>الأوراق الساقطة ..... 397</p> <p>أنواع الخوف ..... 400</p> <p>الأربعون ..... 414</p> <p>آفة كبرى ..... 417</p> <p>إستغاثة واستنجاد ..... 420</p> <p>أكتب هيك ..... 428</p> <p>الإسراف والبخل ..... 439</p> <p>إلى قراء «السَّمير» ومحبيها ..... 442</p> <p style="text-align: center;">- ب -</p> <p>بضاعتنا ترد إلينا ..... 10</p> <p>بعد ثلاثة أيام ..... 53</p> <p>البرج الشَّادي ..... 68</p> <p>بين الفصحى والعامية ..... 75</p> <p>البهلوان - والعبقري ..... 105</p> <p>البحيرة والجبل ..... 126</p> <p>بائعة الملكوت ..... 160</p> <p>بعد الزَّوِيعَة ..... 224</p> <p>البحر ..... 308</p> <p>بين أمس وغد ..... 330</p> <p>بعض الناس ..... 335</p>	<p style="text-align: center;">- أ -</p> <p>المقدمة ..... 5</p> <p>الإغراق المذموم في الشعر ..... 16</p> <p>أحبوا أعداءكم ..... 20</p> <p>إلى أمِّ العواصم ..... 27</p> <p>آخر ورقة ..... 31</p> <p>إزرع جيلاً ولو في غير موضعه ..... 36</p> <p>أبو الثورات ..... 40</p> <p>أنقذوا أمة تتعذب ..... 52</p> <p>إصنع جيلاً ..... 63</p> <p>أين تجد الزَّبيع ..... 106</p> <p>إلى مونتريال ..... 120</p> <p>الأدباء الشاكتون ..... 124</p> <p>إزرع جيلاً ..... 144</p> <p>الإنسان الإله ..... 145</p> <p>الإنسان والطبيعة ..... 153</p> <p>الآباء والبنون ..... 157</p> <p>آراء وملاحظات ..... 159</p> <p>الأفيال المسمومة ..... 167</p> <p>أوراق الخريف ..... 183</p> <p>الإبتسام ..... 212</p> <p>الإخاء البشري ..... 217</p> <p>الأجداد - والعنزة ..... 220</p> <p>أشتر أم خير ..... 226</p> <p>أشواك وأزهار ..... 247</p> <p>الآلات والناس ..... 249</p> <p>أول الغيث قطر ..... 257</p> <p>أنا في لبنان ..... 259</p> <p>الإنسان والطيران ..... 305</p>
--	---

390 ..... الخوف أصل الحرب  
409 ..... الخاصة والكافة  
435 ..... خاطر النهار

#### - د -

387 ..... داء لا دواء له ولا شفاء له

#### - ذ -

148 ..... ذلك الحادث  
405 ..... ذكرى الأموات  
418 ..... ذكريات

#### - ر -

381 ..... روح العيد  
403 ..... الربيع

#### - ز -

392 ..... الزوبعة هايزل

#### - س -

12 ..... ساعة خلوة  
54 ..... السنة العاشرة لجريدة «السمير»  
79 ..... ساء الذليل مقاماً أينما نزل  
111 ..... سمعت  
163 ..... السَّيَّارة المسروقة  
171 ..... سنة 1942  
255 ..... السنة العشرون  
331 ..... السنة الجديدة  
404 ..... السابع عشر من نيسان

#### - ش -

35 ..... الشعر والحياة  
94 ..... شذوذ الطبيعة  
170 ..... شجرة العيد  
328 ..... شجرة العيد  
343 ..... الشعور الحقيقي - جمال النفس  
374 ..... الشهر الساحر  
396 ..... الشيخ والطفل  
398 ..... الشعر المنشور

337 ..... البلاء الأكبر  
372 ..... بعض من الكل  
382 ..... بعد أربعة أيام  
411 ..... بين الجهل والمعرفة  
421 ..... بعد عشرة قرون  
431 ..... بين عام وعام

#### - ت -

66 ..... تأملات  
99 ..... الترجمة ومشاقها  
207 ..... التصلب في الرأي  
218 ..... تجار الأفاويل  
346 ..... تأملات في العيد  
402 ..... تكثر المشاهد

#### - ج -

65 ..... جارنا الطروب  
165 ..... جبال بنسلفانيا  
193 ..... جدال  
300 ..... الجمل المخشوش

#### - ح -

13 ..... حكايات كالأساطير  
56 ..... الحق على مين؟!  
128 ..... حديث معها  
147 ..... حادث غير منتظر  
199 ..... حادث لم يكن بالحسبان  
213 ..... الحز في نيويورك  
227 ..... حديث معك  
243 ..... حكاية ملفقة  
318 ..... حديث أدبي  
332 ..... حديث مع صديق  
427 ..... حكاية طبق الأصل  
436 ..... حكاية المهاجر  
440 ..... حول شعراء المهجر

#### - خ -

85 ..... ختام مرحلة



356	على المكشوف
366	العطلة الصيفية
388	عطلة «الشمير الأسبوعية»
394	عيد الميلاد
440	عيد الإله الصغير

### - غ -

78	غلط ولكنه غير مطبوع
118	الغائب الحاضر
216	الغضب والطرب
253	الغضب الجميل
348	غيمة تنقشع

### - ف -

26	فتش عن المرأة
30	في مدينة واشنطن
47	في جبال الكاتسكل
49	في مدينة الأموات
82	فلسفة العجز - فلسفة الحمقى
88	في مثل هذا اليوم
130	في الطريق إلى مونتريال
151	في مدينة لورنس
154	في مدينة مانشستر
158	في نورود - ماس
164	الفقر والتوابع
195	فن النقد
344	في أتلنتك سيتي
353	الفجر الجديد

### - ق -

43	قبل الرحيل
188	قف بالمقابر صامتاً متأملاً
196	قيمة الدم
311	قتلة الوقت
425	القريب البعيد

### - ك -

21	كلمة إلى الأبناء عن طريق الآباء
----	---------------------------------

### - ص -

200	الصمت والكلام
201	الصلاة
205	صوت من العراق
386	الصداقة والعداوة

### - ض -

80	الضفدع في الحكايات
250	الضيف
364	ضحايا الزوابع
422	الضواري البشرية

### - ط -

58	طفل المذود
98	الطاووس وبعض الناس
237	طلاب الشهرة الجوفاء
415	طلاب الشهرة
424	طاها حسين ينفذ الانقلاب

### - ع -

18	العيون السود
22	عيد تكريم الموتى
24	العيون الضيقة
29	عن الطريق
	عن الطريق: نيسان الكذاب - انهزام الربيع -
41	مقابلة بين فترتين وحالتين
42	عن الطريق: في مدينة القباب والصتلان
45	على شاطئ البحيرة
89	عيد بأية حال عدت يا عيد
96	العير المتنكر
137	عشرات الحياة
143	عندما ينام العقل
176	عذو الصليب الأحمر
189	عش في زمانك
215	عيد الطفل
254	العالم محتاج إلى الضحك
299	عدو البشرية الأكبر

71	ما رأيت وما سمعت
90	متفجرات لا نار فيها
92	ما هي مقاصدك ؟
95	مشهد فيه عبرة
101	مرحبا بالزبيح
107	ما هو الطوفان
108	ماذا كانوا يصنعون
113	ما رأيت وما سمعت
114	ما رأيت وما سمعت: منتره ديترويت
121	المرأة الثرثرة
133	من أنا
134	الماسة المخبوءة لا تلمع
136	المطرودة من البيوت
138	المعدة والجيب
140	من لوح الذاكرة
162	من إنسان إلى شيطان
172	ما هي مقاصدك في سنة 1942 ؟
174	المكتتبون
177	ما هي أسباب الثروة
178	ما هو الألم ؟
180	مات حكيمي
186	المكان والإنسان
197	مودة الدليل
209	المطية العجيبة
210	مع التهر
221	ما هي السعادة
229	المجد والمسرة والسلام
234	المنزل الأول
241	من يرث الأرض
251	ماذا رأيت وسمعت
262	ما رأيت وسمعت
266	ما رأيت وسمعت
268	ما رأيت وسمعت
270	ما رأيت وسمعت
273	ما رأيت وسمعت

37	كتاب الحياة
39	كيف يعلن الكاتب نفسه
60	كل عام وأنتم سالمون 1939
76	كلنا مغلوبون - أولاً وأخيراً
93	كيف استقبلتها ؟
182	كيف تتفلت من همومك
191	كل واشرب وسر
205	كيف يموت الإنسان وهو حي
238	كيف تتسع الدنيا وتضيق
302	كيف تعرف الإنسان
314	كن مستقيماً صادقاً - حكاية ذات مغزى
322	كم يدوم جمال المرأة
342	كيف تنظر
371	كيف نرى أنفسنا وكيف يرانا الناس
374	كتاب الطبيعة

#### - ل -

44	لذة ضائعة - متى يبلغ البنيان تمامه ؟
84	ليلة في الجبل
155	لماذا يسعد هذا ويشقى ذاك ؟
168	لا تجزع روحك
232	لا فضل فوق
240	لماذا !
245	ليس للفكرة مذهب
298	لا موت !
312	لتجديد القوى والهمم
316	لا تتسرع بأحكامك
352	لماذا ؟
437	لمن يكتبون ؟

#### - م -

23	مقارنة بين الجمهور والبحر
33	مهم أن تطالع ولكن أهم منه كيف تطالع
34	مار نقولا وصاحب «الشمير»
46	ماذا رأيت في رحلتي
50	من غربل الناس نخلوه
57	من هو يا ترى فكتور ؟

26	نجيب دياب	275	ما رأيت وسمعت
62	نهر التسيان	278	ما رأيت وسمعت
117	نقطة الخبر	280	ما رأيت وسمعت
139	الناقم على الدنيا	281	ما رأيت وسمعت
140	نحن بنو الموتى	283	ما رأيت وسمعت (مأتم كالعرس)
185	نور ونار	285	ما رأيت وسمعت (شجرة الميلاد في بيروت)
222	التقع العام	287	ما رأيت وسمعت
223	الناس والكتب		ما رأيت وسمعت (المجمع العلمي -
248	ناسك الشخروب	289	حلقة الزهراء - ذوحة الأدب)
338	نفوس مريضة		ما رأيت وسمعت
349	التسيان - نعمه أم نقمة؟	291	(قبر صلاح الدين الأيوبي)
358	نيسان الكتيب	293	ما رأيت وسمعت (بين دمشق وشتورة)
359	ناس كالنعام		ما رأيت وسمعت (رائحة الخبر -
399	النجاح والفشل	295	موقد الفحم - ليالي اللهو)
432	نعمة في ثوب نقمة	297	ما رأيت وسمعت (لبنان وسويسرا)
	- ه -	303	المفارقات الغريبة في حياتنا
19	هزل في جدّ	317	من أضاع صحته أضاع حريته
100	هل يعرف الفنان قيمة آياته؟	334	من هو أحق الناس
132	هل لك خصوم وأعداء	340	المدينة الصرعى
230	هدية صديقين	361	مشكلة الشباب
233	هل تهلك الإنسان معرفته	362	محنة الأدب
235	هزل في جدّ	363	الماء والهواء
	- و -	367	مزارب العين
104	الولادة والألم	368	منطق بعض الشعراء
239	ويل لهؤلاء	376	مولد التميمير
430	ولادة الإنسانية	379	المكاسب الخفية
	- ي -	384	المخدر الفتاك
74	يوم الإله الصغير	391	المعرفة والمسؤولية
110	يوم الأمتيات	393	المدرسة الضرورية
115	يوم العمال	401	مخلوقات ضرورية
150	يوم الأم	407	من القلب إلى القلب
184	يا ليتني سكر	410	المباحكون
377	يجب أن نعيش في المستقبل	433	ملك العطر والشحر
412	يقولون ما لا يفعلون		- ن -
		11	الثائم في المطاعم